المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الثورات الداخلية والحملات العسكرية الخارجية على مكة المكرمة وأثرها على الأوضاع العامة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي

٥٧٠-٩٢٣هـ/١١٧٥-١٥١٧م

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب

عبد الحفيظ بن حمدي بن حامد السالمي

الرقم الجامعي : ٤٢٥٧٠١٣٨

إشراف

الأستاذ الدكتور / ضيف الله بن يحيى الزهراني

العام الجامعي ١٤٢٩/ ١٤٣٠هـ /٢٠٠٨/٢٠٠٩م

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة : الثورات الداخلية والحملات العسكرية الخارجية على مكة المكرمة ، وأثرها على الأوضاع العامة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي ٥٧٠-٩٢٣هـ/١١٧٥-١٥١٧م .

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد :

اشتملت الرسالة على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول تناول الفصل الأول الثورات الداخلية بين أمراء البيت الحاكم وقد اشتمل على مبحثين ناقش المبحث الأول الثورات الداخلية خلال العصر الأيوبي وما حدث من تنافس على الإمارة وناقش المبحث الثاني الثورات الداخلية خلال العصر المملوكي وسعي كثير من أبناء البيت الحاكم لانتزاع الإمارة من بعضهم البعض . أما الفصل الثاني أثر الثورات الداخلية على الأوضاع العامة وقد اشتمل على خمسة مباحث ناقش المبحث الأول أثر الثورات على الوضع الديني في البلد الحرام ، وناقش المبحث الثاني أثر الثورات على الوضع السياسي الذي كان هدف الثورات الأول ، وناقش المبحث الثالث أثر الثورات على الوضع الاقتصادي وما حدث من تردي له في بعض الثورات ومعاناة السكان منه ، وناقش المبحث الرابع أثر الثورات على الوضع الأمني الذي كان اضطرابه سبباً في تردي كثير من الأوضاع ،وناقش المبحث الخامس أثر الثورات على الوضع الاجتماعي حيث شهد هزات اجتماعية كبيرة من جراء القتل والسلب . أما الفصل الثالث فاشتمل على الحملات العسكرية الخارجية خلال العصرين الأيوبي والمملوكي وقد احتوى على أربعة مباحث : المبحث الأول ناقش الحملات التي قدمت من مصر والشام ، وسبب قدمها ونتائجها ، وناقش المبحث الثاني الحملات التي قدمت من العراق عندما كانت الدولة العباسية تحاول استعادة نفوذها على الأماكن المقدسة ، وناقش المبحث الثالث الحملات التي قدمت من اليمن وأهدافها ونتائجها، وناقش المبحث الرابع ناقش الحملات التي قدمت من المدينة المنورة وأسباها ونتائجها . أما الفصل الرابع فقد اشتمل على مناقشة أثر الحملات على الأوضاع العامة في خمسة مباحث : ناقش المبحث الأول أثر الحملات على الوضع الديني في البلد الحرام وخصوصاً أثناء فترة الحج ، وناقش المبحث الثاني أثر الحملات على الوضع السياسي حيث أن أغلب الحملات كانت تهدف لتغيير سياسي ، وناقش المبحث الثالث أثر الحملات على الوضع الاقتصادي ، ما حدث له من هزات سلبية وإيجابية في بعض الفترات ، وناقش المبحث الرابع أثر الحملات على الوضع الأمني خلال الصراع مع القوات المقاومة ،وما عاناه المجتمع المكي في هذا الجانب ، وناقش المبحث الخامس أثر الحملات على الوضع الاجتماعي من خلال تعرض المجتمع للهجمات التي كانت تؤثر بشكل كبير على كثافة السكان واستقرارهم .

أما الخاتمة فقد ذكر فيها النتائج التي تم استنتاجها من الدراسة منها :

١- عدم وضع قاعدة نظامية لولاية العهد لدى أمراء مكة المكرمة سهل قيام النزاعات وظهور الثورات بين أبناء الأمراء بعد وفاتهم مما كان له الأثر الكبير على جميع الجوانب في الحياة في مكة المكرمة .

٢ - قدوم الحملات العسكرية إلى مكة المكرمة وبقاء بعض جنودها أوجد شريحة اجتماعية من السكان تتميز بشيء من السلطة على المجتمع المكي .

٣- عدم الاهتمام بالناحية الدينية ونشر تعاليم الدين الصحيح بين القبائل البدوية القاطنة على طريق الحجاج جعلها تشكل خطراً على حجاج بيت الله الحرام ومن ثم تأثرت جوانب أخرى لمكة المكرمة .

الطالب / المشرف على الرسالة / رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية عميد كلية الشريعة/

ABSTRACT

Title of this is: Internal Revolutions and External Wars on Makkah Al-Mukaramah and Their Results on the General Situations Within Ayobi and Mamluki Ruling Eras 570-923 AH /1175-1517 AD.

Praise be to God alone and bless and peace be upon the prophet;

This thesis composes of an introduction and four chapters. The first one is about the internal revolutions inside the ruling family. This chapter talks about the internal revolutions during the Ayobi and the Mamluki eras and the challenge on ruling Makkah Al-Mukaramah between the princes.

The second chapter talks about the effect of these revolutions on the general situations and consists of five searches ; the effect of revolutions on the religious, the political, economic, internal security and social situations in the holy places.

The third chapter talks about the external wars and consisted of four searches; wars from Egypt, Northern Arabian Peninsula, Iraq, Yemen and those from Al-Madinah Al-Munawarah.

The fourth chapter talks about the effect of these wars on the general situations; religious, political, economic, security and the social situations.

The conclusion mentioned the most important results of the thesis:

١. There were no ruling system for the vice presidency effected the lives of Makkah Al-Mukaramah residents because of fighting on the next ruler.

٢. Some of the soldiers lived in Makkah after wars and performed some kind of power on Makkah social status.

٣. Neglecting the religious side between tribes on the way of pilgrimage was a threat for the pilgrims and other sides in Makkah.

Student:
Supervisor:
Head of Historical and Cultural Higher Education:
Dean of Religious College:

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله وحده حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه على ما أسبغه عليّ من نعمه التي لا تعد ولا تحصى ومنها أن أعانني على إتمام هذا العمل حتى خرج في صورته النهائية .

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير والاحترام لسعادة الأستاذ الدكتور ضيف الله بن يحيى الزهراني المشرف على الدراسة على ما يتميز به من نبل الخلق وجميل المعشر وسمو التعامل وسعة الأفق وغزارة العلم ، فقد أولاني الكثير من عطفه وكرمه ،وزودني بمصابيح طرق البحث العلمي ، وأرشدني إلى مفاتيح كنوز المعرفة ، وذلك بتوجيهاته المفيدة ، وإرشاداته النافعة وآرائه الحكيمة لإخراج هذه الدراسة على هذه الصورة ، فله مني جزيل الشكر وعظيم الامتنان ، وأسأل الله العلي القدير أن يثيبه على ما قدمه لي خير الثواب في الدنيا والآخرة .

كما أشكر سعادة رئيس قسم الدارسات العليا التاريخية والحضارية ، والشكر موصول لفضيلة عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالجامعة .

كما أشكر جميع من ساعدني في إخراج هذه الدراسة ومد لي يد العون ، وحثني على بذل الجهد تحفيزاً وتشجيعاً فلهم مني جزيل الشكر والامتنان ، وأسأل الله لهم المثوبة والأجر في الدنيا والآخرة .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الإهـــــداء

إلى أحب البقاع إلى الله عز وجل إلى مكة المكرمة البلد الأمين الذي اختاره الله سبحانه وتعالى ليكون مقر بيته الكريم و مهوى أفئدة المؤمنين وقبلة جميع المسلمين إلى البلد الذي يشتاق كل مسلم على وجه الأرض أن يزوره ، وقد أكرمنا الله سبحانه وتعالى بأن ننعم بجواره إلى البلد الذي تشد إليه الرحال ، وتجبى إليه الثمرات بعد دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، أهدي هذا العمل المتواضع الذي يناقش فترة من فترات تاريخه المجيد والذي آمل أن يكون في رضا الله سبحانه وتعالى .

المقدمة :

الحمد لله القائل في محكم التتريل : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (ابراهيم:٣٥)

والصلاة والسلام على سيد المرسلين القائل : (إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ، و لم تحلل لي قط إلا ساعة من الدهر ... الخ)[1]

مكة أفضل البقاع على وجه الأرض ، وأحبها إلى الله عز وجل و إلى رسوله الكريم محمد بن عبد الله ﷺ وقد حباها الله سبحانه وتعالى بأن بعث فيها خاتم رسله وأنزل بها أفضل كتبه ، وكانت نقطة البداية في نشر الدين الإسلامي الذي عم أرجاء المعمورة بفضل الله وكرمه ، ومنذ أن خلق الله هذه الأرض جعل لهذه البقعة منها ميزة عظيمة ، حيث إنها مهوى أفئدة المسلمين من كل فج ، وإليها يتجه المسلمون ، وكان لساكنيها ميزة الجوار للبيت الكريم ، وقد حرم الله سبحانه هذه المدينة وجعلها بلداً آمناً ، وقد عرف الناس منذ الأزل فضل مكة وقدسيتها فكان أهلها في رغد من العيش بفضل الله سبحانه وتعالى حيث كانوا محل تقدير واحترام الخلق بصفتهم أهل الحرم وجيران البيت قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٧) وعندما دخل النبي ﷺ مكة في عام الفتح أعلن تحريم القتال فيها ، وأنها لم تحل إلا لجند الله المؤمنين للقضاء على الشرك وأهله .

ولهذا كان القتال في مكة من أقبح الأعمال وسفك الدم الحرام فيها من أشنع الأفعال ، وقد تعرضت مكة لدخول قوات عسكرية داخلية وخارجية خلال العصور الإسلامية ومنها العصرين الأيوبي والمملوكي ، كانت تقوم بعملية القتل والسلب والنهب دون خوف من الله عز وجل أو رادع من ضمير ، مما يدل أن كثيراً من الناس كان يجهل قدسية البلد الحرام ، وأن الإيمان قد ضعف لدى شريحة كبيرة من البشر ، وخصوصاً الذين كانوا يجهزون الجند

---

(١) البخاري : الصحيح ، باب المغازي ، حديث رقم ٣٩٧١.

ويجيشون الجيوش لكي يسفكوا الدم الحرام بالبلد الحرام متناسين وعيد الله سبحانه وتعالى ومتجاهلين نصوص الشريعة المحمدية ، ما عدا من كان هدفه تطهير البلد الأمين من المفسدين الذين يؤذون المؤمنين من حجاج ومعتمرين ، ومجاورين ، وقد عانت مكة من معارك طاحنة بأسباب عدة أغلبها الصراع على الحكم بين أبناء البيت الحاكم ، وقدوم حملات عسكرية كان غالبها السيطرة على الجانب السياسي لمكة بسبب مكانتها الإسلامية العالمية.

ولذا أخذت هذه الدراسة جانب الهجمات العسكرية على مكة وما أحدثته من آثار تحت مسمى: (**الثورات الداخلية والحملات العسكرية الخارجية على مكة المكرمة وأثرها على الأوضاع العامة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي ٥٧٠هـ/١١٧٤م-٩٢٣هـ/١٥١٦م**)

هذا وقد كانت هذه الثورات الداخلية بين أبناء البيت الحاكم في مكة والحملات العسكرية التي تقدم إليها من خارجها ذات تأثير بالغ على مجريات الأمور بجميع نواحيها من دينية وسياسية واقتصادية وأمنية واجتماعية ، فالثورات الداخلية بين أبناء البيت الحاكم وصراعاتهم العسكرية ، والحملات الخارجية وما تمارسه من أعمال حربية كان لها الأثر الكبير على الناحية الدينية في مكة برز ذلك جلياً في موسم الحج فقد كانت العديد من مواسم الحج تتعطل فيها الممارسات العقائدية بسبب هذه الصراعات ،وكان كثير من الحجاج الذين تحملوا المشاق وتكبدوا عناء السفر يفوتهم تأدية النسك بسبب هذه الظروف القاسية ،كما أنه امتد أثرهما إلى الناحية السياسية فكل ثورة داخلية أو حملة خارجية كانت تهدف في المقام الأول لتغيير سياسي في المنطقة ، وكانت تنجح في بعضها بشكل سريع وبعضها لا يحالفها النجاح مما يؤثر على الوضع السياسي ويعقده من جديد ، كما أن لهما أثر على الناحية الاقتصادية فكل ثورة داخلية وكل حملة عسكرية خارجية كانت في حاجة إلى التموين وكان لتباعد المسافات في ذلك العصر وصعوبة المواصلات أن عانت مكة في ميدانها الاقتصادي الشيء الكثير فكانت أسواقها هدفاً لكل مجند في الثورات والحملات على حد سواء مما شكل أزمات اقتصادية كبيرة للبلد الآمن ، كما أن لكليهما أثر على الناحية الأمنية أيضاً فعندما تحدث الثورة أو تقدم الحملة يختل الجانب الأمني لمكة وما يتبعها من قرى

مما يجعل الناس في خوف دائم من القتل والنهب حتى القضاة والعلماء ، فكان الجميع منشغلاً بالإطاحة بالآخر ولا يفكر في شأن العامة ، كما كان لهما أثراً بالغ على الناحية الاجتماعية فما أن تنشب الثورة أو تقدم الحملة حتى ينقسم غالب المجتمع إلى قسمين مع كل طرف فئة معينة من الناس تعمل جاهدة على مساندة زعيمها لكي يحقق النجاح أما العامة فكانوا عرضة للقتل والسلب مما يجعل المجتمع بين عشية وضحاها من أفقر المجتمعات ، وأقلهم عدداً وذلك لما يحصل من النهب والسلب وما يسقط من القتلى ، كما أن قدوم الحملات العسكرية أعطى المجتمع المكي دخول عنصر آخر متميز عن السكان ألا وهم جنود الحملة الذين يقيمون في البلد والذين كانوا يشكلون طبقة حاكمة متعالية على المجتمع بحكم القوة والنفوذ .

هذا وقد كان البحث في هذا الجانب من تاريخ مكة مهماً جداً ، فمكة تعرضت في هذه الفترة من الزمن لثورات كثيرة مستمرة بين أبناء البيت الحاكم ، وكان الصراع مريراً ومؤلماً ، كما أن الحملات العسكرية الخارجية التي كانت تفد إليها تحمل في طياتها العديد من الأهداف التي كانت تريد تحقيقها مستخدمة الوسائل الحربية فمنبر المسجد الحرام كان له دوره في إبراز السلطة السياسية التي تبسط سيطرتها على البلد في جميع أرجاء العالم الإسلامي ، لذا كان التنافس الخفي أحياناً والمعلن أحياناً أخرى سبباً في تسيير هذه الحملات

هذا وقد كان من الأسباب التي دفعت الباحث لدراسة هذا الموضوع ما يلي :

١-دراسة الثورات الداخلية بين أبناء البيت الحاكم في تلك الفترة فقدكانت لكثرتها ملفته للنظر فما أن يلي الإمارة أمير حتى تقوم ضده العديد من الثورات فكانت تحتاج لدراسة يتبين منها معرفة تداعيات تلك الثورات ونتائجها .

٢- دراسة أسباب وحيثيات التنافس السياسي بين الوحدات السياسية في العالم الإسلامي على مكة ، وما صاحب هذا التنافس من تحركات عسكرية كان لها التأثير الواضح على جميع جوانب الحياة.

٣- التعرف على أسباب ونتائج كثير من الأحداث لجوانب الحياة في مكة في تلك الفترة الزمنية .

٤- الرغبة في تقديم عمل ولو بسيط في تاريخ مكة ينفع الله به طلبة العلم ومن يحاول معرفة بعض الأحداث التي تمت بها في فترة الدراسة وننال به الأجر والمثوبة من الله .

أما الخطة التي سارت عليها الدراسة فكانت تحتوي على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول أساسية يندرج تحتها عدد من المباحث بالإضافة إلى خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع يناقش التمهيد الوضع السياسي في الفترة الزمنية التي شملتها الدراسة بشكل مختصر بهدف وضع القارئ على بصيرة بالتداعيات السياسية التي كانت في الغالب من أهم الأسباب التي أدت إلى الصدامات المسلحة سواءً التي كانت نتيجة عن الثورات الداخلية أو التي كانت بسبب الحملات الخارجية وما ترتب عليها من نتائج ، فكانت خطة الدراسة على النحو التالي :

الفصل الأول وكان بعنوان الثورات الداخلية خلال العصرين الأيوبي والمملوكي ، ويضم مبحثين ناقش الأول منهما تتبع الثورات الداخلية في مكة خلال العصر الأيوبي وما صاحب الثورات من صدامات عسكرية بين الأطراف المتنازعة وقد شملت هذه الفترة من عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م إلى عام ٦٤٨هـ/١٢٤٩م .

أما المبحث الثاني فكان عن الثورات الداخلية في مكة خلال العصر المملوكي وقد أخذ فترة طويلة امتدت من عام٦٤٨هـ/١٢٤٩م إلى عام ٩٢٣هـ/١٥١٦م ، وقد شملت الدراسة جميع الثورات التي حدثت وتداعياتها وما صاحبها من صدامات مسلحة .

أما الفصل الثاني للدراسة فكان بعنوان أثر الثورات الداخلية على الأوضاع العامة لمكة ويضم خمسة مباحث ناقش المبحث الأول منها أثر الثورات الداخلية على الجانب الديني، وتناول المبحث الثاني أثر الثورات الداخلية على الجانب السياسي ،وما نتج عنه من تغير في الزعامات السياسية ، وناقش المبحث الثالث أثر الثورات الداخلية على الجانب الاقتصادي ، وبيان ما تعرض له هذا الجانب من هزات عنيفة ، وعرض المبحث الرابع أثر الثورات الداخلية على الجانب الأمني ، وبيان حال الأمن وما تعرض له الناس من خوف ورعب جراء الصدام المسلح وتناول المبحث الخامس أثر الثورات الداخلية على الجانب الاجتماعي وبيان أثر الثورات على المتغيرات الاجتماعية التي أحدثتها .

أما الفصل الثالث فكان بعنوان : الحملات العسكرية الخارجية على مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي وقد قسم إلى أربعة مباحث ناقش الأول منها الحملات العسكرية التي قدمت من مصر وبلاد الشام ، حيث كانت بعض الحملات يشترك فيها

جند من مصر والشام معاً حيث إن مصر والشام تحت قيادة سياسية واحدة ودرس المبحث الثاني الحملات العسكرية التي قدمت من العراق مقر الخلافة العباسية وما صاحبها من أحداث ، وعرض المبحث الثالث الحملات العسكرية التي قدمت من اليمن وما صاحبها ونتج عنها من صدامات عسكرية ، وناقش المبحث الرابع الحملات العسكرية التي قدمت من المدينة النبوية حيث كان التنافس بين أبناء البيت الحاكم في مكة والبيت الحاكم في المدينة على أشده في تلك الفترة .

أما الفصل الرابع فكان بعنوان أثر الحملات العسكرية الخارجية على الأوضاع العامة في مكة وقُسم إلى خمسة مباحث ناقش المبحث الأول منها أثر الحملات العسكرية على الجانب الديني وما نتج عن الحملات من تعطيل لبعض العبادات .

درس المبحث الثاني أثر الحملات العسكرية على الجانب السياسي ، فقد كان السبب الرئيس في أغلب الحملات سياسياً بحتاً ؛ وعرض المبحث الثالث أثر الحملات العسكرية على الجانب الاقتصادي وما صاحب هذا الجانب من أزمات بسبب الصدامات العسكرية منذ قدوم الحملة من مقر انطلاقها ؛ وناقش المبحث الرابع أثر الحملات العسكرية على الجانب الأمني وما حدث من تباين لبعض الحملات في هذا الجانب ؛ وأخيراً عرض المبحث الخامس أثر الحملات العسكرية على الجانب الاجتماعي وما صاحب هذا الجانب من متغيرات اجتماعية بسبب الصراعات العسكرية بين الحملات والقوات المتصدية لها .

التعريف بأهم المصادر التي قامت عليها الدراسة :

استمدت الدراسة معلوماتها من عدة مصادر كان أهمها المصادر التي عاش مؤلفوها في مكة وكتبوا عن الأحداث التي عاصروها فكانوا خير شاهد على تلك الأحداث بحيث تحصلت الدراسة على معلومات قيمة ووفيرة من هذه المصادر ، وكان أشهر من استقت عنه الدراسة مادتها العلمية ما كتبه " التقي الفاسي " في كتابه العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين فقد قدم مادة علمية غزيرة لأنه عاش في المدة الممتدة من عام ٧٧٥هـ/١٣٧٣م إلى عام ٨٣٢هـ/١٤٢٨م ، وقد كان كتابه عبارة عن تراجم لشخصيات كثيرة في مختلف العصور التاريخية ، وقد بدأ كتابه بالحديث عن مكة وفضلها وآثارها ومعالمها ، ثم تطرق لسيرة النبي

المصطفى ﷺ ، ثم بدأ بالتراجم مبتدئاً بالترجمة لكل من سمي بمحمد تيمناً باسم النبي ﷺ ثم ترجم للشخصيات بالتدريج على حروف المعجم وقد أسهب في التراجم للشخصيات التي عاصرها من الأمراء وكبار رجال الدولة من العلماء والقضاة والقادة مما جعل كتابه يعتبر مورداً كبيراً للدراسة .

كما أفادت الدراسة من كتابه الثاني شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، وهو كتاب قيم في جزأين وقد اهتم فيه بالكتابة عن مكة وقدسية الحرم الشريف من قبل البعثة النبوية و ماورد في ذلك من الأقوال المأثورة ، وأيضاً بالحديث عن عمارة الكعبة المعظمة وشرفها ، واهتمام الحكام بها ، وما حدث لها من أحداث تاريخية على مر العصور ، كما تحدث عن الحرم عموماً والمسجد الحرام خصوصاً من وجهة نظر حضارية ، حيث تتبع المنشآت المعمارية جميعها بالتفصيل ، وقد استفادت الدراسة من هذا الكتاب عموماً وعلى وجه الخصوص عند حديثه عن ولاة مكة حيث تطرق للأحداث التي تمت فيها.

كما استفادت الدراسة مما كتبه العلامة النجم "عمر بن فهد" في كتابه إتحاف الورى بأخبار أم القرى وقد كان مورداً خصباً لمعلومات الدراسة حيث إنه من المؤلفين الذين عاصروا الكثير من الأحداث لأنه عاش في الفترة الممتدة من عام ٨١٢هـ/١٤٠٩م إلى وفاته في عام ٨٨٥هـ/١٤٥١م وقد بدأ كتابه بالحديث عن السيرة النبوية وفق السنوات والأعوام ذاكراً الأحداث التي تتم في العام ثم ينتقل إلى العام الذي يليه حتى العام الذي توفي فيه ٨٨٥هـ/١٤٨٠م ، وقد كان كتابه غزيراً في مادته العلمية وخصوصاً الأعوام التي عاشها وشاهد أحداثها فكانت وافيه في جميع جوانبها وشاملة لجميع مظاهر الحياة السياسية والعمرانية والاجتماعية والاقتصادية ، وبهذا يعتبر كتابه من أكثر الكتب مادة علمية في العصر المملوكي.

كما استفادت الدراسة من كتابه الآخر الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، وهوكتاب نهج المؤلف فيه على منوال شيخه التقي الفاسي حيث أورد في هذا الكتاب تراجم للشخصيات التي لم يترجم عنها التقي الفاسي في كتابه العقد الثمين وترجم للشخصيات التي جاءت بعد التقي الفاسي ، وبهذا حمل كتابه هذا الكثير من المادة العلمية المرتبطة بالأحداث التاريخية .

كما استفادت الدراسة أيضاً مما كتبه نجل العلامة عمر بن فهد الشيخ عبد العزيز بن عمر

بن فهد و يلقب بالعز بن فهد ، فكان كتابه غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام مورداً خصباً لغزارة مادته العلمية فقد ترجم فيه لحكام مكة منذ الفتح على عهد رسول الله ﷺ إلى سنة وفاته في عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م ، وقد كانت ترجمته للشخصيات التي عاصرها أكثر التراجم غزارة في ما احتوته من معلومات متنوعة .

كما كان كتابه الآخر بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى مورداً خصباً أيضاً للدراسة لأنه كتب فيه عن كل ما عاصره وشاهد من أحداث بالتفصيل مبتدئاً بالسنة التي توفي فيها والده مؤلف كتاب إتحاف الورى إلى السنة التي توفي فيها عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م فكان ما كتبه عبارة عن مشاهدات حية عاشها المؤلف ،وقد كان مرتباً بالسنوات فكتب في كل الجوانب السياسية والعمرانية والاجتماعية والاقتصادية مما جعل مادة العلمية كثيرة ومتنوعة .

ومن المصادر التي تم الاستعانة بها في الدراسة كتاب سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي لمؤلفه الشيخ " عبد الملك بن حسين العصامي المكي" المتوفى سنة ١١١١هـ/١٦٩٩م فقد حوى كتابه الكثير من المعلومات عن الأحداث التي تمت في مكة وحيث إنه من المؤلفين المكيين فقد كانت كتاباته تستقى من المصادر التي سبقته مثل الفاسي وابن فهد ومع هذا فقد كان كتابه ذا فائدة كبيرة في استقاء المعلومات عن الأحداث .

ومن المصادر التي تم الاستعانة بها في الدراسة كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك لمؤلفه الشيخ " تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي " المتوفى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م الذي كان يكتب عن الأحداث التاريخية وفق السنوات مبتدئاً بالكتابة عن السلطان صلاح الدين الأيوبي ثم بأحداث سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م حتى ٨٤٥هـ/١٤٤١م وهو العام الذي توفي فيه وقد كان لكتابه فائدة كبيرة على الدراسة حيث إنه أحد المؤلفين الذين عاشوا في العهد المملوكي وشاهد عيان على الكثير من الحملات العسكرية التي خرجت من مصر إلى البلد الحرام ، فكان خير معين للتعرف على الكثير من الأحداث التي صاحبت الإعداد للحملات وتجهيزها ثم سيرها ونتائجها ، ومواقف السلطة السياسية في مصر من أمراء مكة .

ومن المصادر التي تم الاستعانة بها أيضاً في الدراسة كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لمؤلفه الأمير " يوسف بن تغري بردي " المتوفى سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م وهو كتاب يؤرخ لمن تولى الحكم في مصر منذ الفتح الإسلامي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وقد

استفادت منه الدراسة في ما كتبه عن ملوك مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي حيث يتطرق أحياناً للأحداث التي كانت تتم في الحجاز وما يصاحب حملة الحجاج من أحداث ، وما كتبه عن الملوك وعلاقتهم بإمارة مكة حتى العام الذي توفي فيه ، وبهذا كان كتاباً يحتوي في طياته الكثير من المعلومات التي أفادت الدراسة .

كما استفادت الدراسة من كتابه الدليل الشافي على المنهل الصافي ، وهو كتاب يترجم للعديد من الشخصيات بشكل مختصر ، فكان مصدراً مهماً للعديد من الشخصيات التي عاصرت الأحداث في العصر المملوكي لمعرفة المؤلف برجال عصره ومناصبهم فكان يعطي معرفة مختصره مفيدة عن الشخصية ، ومفتاح لمعرفة أوسع بتتبعها في المصادر الأخرى .

ومن المصادر التي تم الاستفادة منها في الدراسة كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، لمؤلفه الشيخ "علي بن الحسن الخزرجي " المتوفى سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م ، وهو كتاب اختص بتاريخ الدولة الرسولية في اليمن ، وقد استفادت منه الدراسة في ذكره لما يتعلق بمكة وموقف سلاطين بني رسول في صراعهم مع الأيوبيين على مكة ، فكان من الكتب التي أفادت الدراسة كثيراً في هذا الجانب حيث كان يكتب بالتفصيل عن أحداث ملوك بني رسول ، فكان يصف في كثير من كتبه الشخصيات التي يذكرها مثل أمراء مكة من الأشراف ويعطي وصفاً دقيقاً لسيرهم .

ومن المصادر التي استفادت منها الدراسة كتاب غاية الأماني في أخبار القطر اليماني لمؤلفه الشيخ " يحيى بن الحسين بن القاسم " المتوفى سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٩م وهو كتاب يؤرخ بالسنوات حيث يذكر في كل سنة الأحداث التي تمت فيها فيسهب في أحداث بعض السنين ويختصر في بعضها ، وقد استفادت منه الدراسة في ما كتبه عن تاريخ الدولة الرسولية وأنشطة حكامها في علاقاتهم بالحجاز .

ومن المصادر التي أفادت منها الدراسة في استقاء المعلومات كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لمؤلفه الإمام "شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي المعروف بأبي شامة " المتوفى سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م وكانت الاستفادة منه فيما كتبه عن الدولة الأيوبية وعلاقاتها بأمراء مكة وقد كان معاصراً للدولة الأيوبية فكانت كتاباته مفيدة جداً للدراسة .

ومن المصادر التي أفادت منها الدراسة في أحداثها وخصوصاً في العهد الأيوبي كتاب

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لمؤلفه " جمال الدين محمد بن سالم بن واصل " المتوفى سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م وقد نهج مؤلفه مثل غالب مؤلفي عصره في الكتابة عن الأحداث وفق السنوات فكانت كتاباته عن الحجاز قليلة لأنه ركز على بلاد الشام ومصر ، ومع هذا استفادت الدراسة فيما كتبه عن الحجاز عند ذكر سلاطين الدولة الأيوبية وجهودهم في حفظ الحاج والاهتمام به والحرص على راحته ، فكانت كتاباته مفيدة مع قلتها لأنه كان معاصراً للأحداث .

ومن المصادر التي تم الاستعانة بها في الدراسة كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لمؤلفه الإمام "شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي "، المتوفى سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م وهو كتاب قيّم حوى العديد من التراجم لشخصيات كثيرة انفرد بالترجمة عنها خصوصاً الشخصيات التي كانت لها علاقة بالدولة المملوكية وأسهمت بدور ملحوظ في الأحداث التاريخية التي كانت خلال القرن التاسع ، وخصوصاً الشخصيات التي من أصل تركي ، وقد اتسم أسلوبه بالشمولية في حديثه عن الشخصيات فيذكر المناصب التي تولاها ، وشيوخه في طلب العلم ، ورحلاته ، وما اتصف به من الفضائل ، وصفته الشخصية ، وكان يذكر من كتب عن الشخصيات التي يتحدث عنها من المؤلفين المعاصرين والسابقين له .

ومن المصادر التي أثرت موضوع الدراسة كتاب معجم البلدان لمؤلفه ياقوت بن عبد الله الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م وقد اشتمل هذا الكتاب على معلومات غزيرة عن المدن والأقاليم الجبال والقرى التي تعرضت لها الدراسة وخصوصاً منازل الحاج فكان يعطي وصفاً دقيقاً لها ويبين موقعها ، و يعطي في تغطيته لتعريف بعض المناطق معلومات تاريخية مفصلة عنها فكانت كتاباته شاملة لعديد من المواقع الجغرافية في شبه الجزيرة العربية

كما استفادت الدراسة من عدد من المراجع الحديثة التي تناقش تاريخ مكة وخصوصاً التي تتحدث عن الجانب السياسي خلال العصرين الأيوبي والمملوكي وسيرد في نهاية الدراسة قائمة بجميع الجهود العلمية التي أفادت الدراسة في تقديم المادة العلمية من مصادر ومراجع ومجلات علمية ورسائل جامعية .

الباحث

الطالب : عبد الحفيظ بن حمدي السالمي

تمهيـــــد :

الحالة السياسية في مكة المكرمة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي :

عندما قامت الدولة الأيوبية في مصر عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م كانت مكة تحت حكم الأمير عيسى بن فليته وهو أحد أفراد الأسرة الهاشمية التي حكمت منذ عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م (١) وقد كانت مكة مستقلة ذاتياً حيث إن تولية أمرائها يتم باتفاق الأسرة الهاشمية ، وكان في الغالب أمير مكة يعين قبل وفاته ولي عهده ، فإذا مات تولى بعده مباشرة دون تدخل من أي سلطة سياسية في ذلك الوقت ، يدلنا على هذا أنه عندما توفي الأمير عيسى بن فليته تولى بعده ابنه داود بن عيسى (٢) مباشرة دون وصول مرسوم له بالولاية من أي سلطة خارجية . ومع هذا فقد كانت الخلافة العباسية تحاول فرض سلطتها على إمارة مكة بعد سقوط الخلافة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م ، وكانت أحياناً تستغل موسم الحج في إرسال قوات عسكرية مستغلة في ذلك أي خلاف يحدث بين أبناء البيت الحاكم ، تحاول فرض من تريد على الإمارة ، يدلنا على

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٣٩.الفاسي : العقد الثمين ،ج٤، ص٦٧، ج٥، ص٤٣٧. ابن فهد، عمر بن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى،ط١، مركز إحياء التراث الإسلامي ،مكة المكرمة ١٤٠٤هـ، ج٢، ص٥٣٥.ابن فهد ، غاية المرام ، ج١، ص٥٣٤، ٥٣٩. الجزيري عبد القادر بن محمد : درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ،ط١، دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠٣هـ ، ج١، ص٥٧٠. السنجاري ، علي بن تاج الدين : منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، ج٢،ط١، ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ١٤١٩هـ ، ج٢، ص٢٥٦.الطبري محمد بن علي : إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن ، ط١ ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ج١، ص١٠٦.

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٣٩.الفاسي : العقد الثمين ،ج٤، ص٦٧، ج٥، ص٤٣٧. ابن فهد، عمر بن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى،ط١، مركز إحياء التراث الإسلامي ،مكة المكرمة ١٤٠٤هـ، ج٢، ص٥٣٥.ابن فهد ، غاية المرام ، ج١، ص٥٣٤، ٥٣٩. الجزيري عبد القادر بن محمد : درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ،ط١، دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠٣هـ ، ج١، ص٥٧٠. السنجاري ، علي بن تاج الدين : منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، ج٢،ط١، ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ١٤١٩هـ ، ج٢، ص٢٥٦.الطبري محمد بن علي : إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن ، ط١ ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ج١، ص١٠٦.

هذا ما قامت به في عام ٥٧١هـ/١١٧٥م عندما أصدرت أمراً بعزل الأمير مكثر بن عيسى بن فليته الذي استطاع أن ينتزع الإمارة من أخيه الأمير داود بن عيسى ، و أرسلت حملة عسكرية بصحبة الحجاج في مسعى لتحقيق ما أمرت به وقد أسفرت الحملة عن إعادة تنصيب الأمير داود أميراً بعد فشل تعيين الأمير قاسم بن مهنا الحسيني الذي عينته الخلافة العباسية(١) ومع ما قامت به الحملة من تنصيب الأمير داود إلا أنه لم يستمر في الولاية حيث عاد أخوه الأمير مكثر وانتزع منه الإمارة ومع هذا لم تحاول الخلافة العباسية إعادة الأمير داود إلى الإمارة أو تحاول القضاء على الأمير مكثر ، ورضيت بالأمر الواقع (٢)، ويبدو أن الأمير مكثر قد أرضى الخلافة العباسية بالدعاء على منبر المسجد الحرام للخليفة العباسي (٣)، فتركت التدخل في شؤون الإمارة ، وهذا يدلنا أن أمراء مكة كانوا على درجة من الاستقلال بإمارتهم ، وأن الخلافة العباسية كانت راضية باستقلال الإمارة مع المحافظة على الدعاء لها على منبر المسجد الحرام مما يساهم في المحافظة على مكانتها في العالم الإسلامي .

---

(١) ابن الجوزي ، جمال الدين عبد الرحمن بن علي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق سهيل زكار ، ط بدون، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ص ٥٢٩. ابن الأثير، علي بن محمد: الكامل في التاريخ ، ط٣، ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٠هـ ، ج٩،ص ١٣٧. ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر :تاريخ ابن الوردي ، المطبعة الحيدرية،النجف، ١٣٨٩هـ، ج٢، ص١٢٣.الفاسي:العقد الثمين ،ج٤،ص ٦٧، ج٦، ص١٢٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٣٦. العصامي ،عبد الملك بن حسين : :سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ ، ج٤، ص٢٢١.جميل حرب محمود حسين : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ط١، تهامة للطباعة والنشر ، جدة ، ١٤٠٥، ص٣١. فريال محمود قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ،رسالة دكتوراة غير منشورة ، مقدمة لجامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، ١٤١٠، ص ١٨٠. عائشة ، عبد الله باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة لجامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٠هـ، ص ٤٤.

(٢) يبدو أن الأمير مكثر قد استطاع أن يكسب رضى الخلافة العباسية فقد أرسل أحد أبنائه إلى الخليفة العباسي في عام ٥٧٣هـ وقوبل بالترحيب والتكريم . ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٠، ص٥٣١.

(٣) كان شعار الخلافة العباسية ظاهراً في مكة المكرمة فخطيب المسجد الحرام يرتدي السواد الذي هو شعار الدولة العباسية ، ويدعو للخليفة العباسي في عهد الأمير مكثر مما يدل أن الأمير مكثر قد استطاع أن يكسب ود الخلافة العباسية . ابن جبير ، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني : رحلة ابن جبير ، ط بدون ، دار بيروت للطابعة والنشر ، ١٤٠٤هـ ، ص ٧٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٦٠.

ومن الطبيعي أن يكون شعار الخلافة العباسية ظاهراً في مكة وذلك أن الإمارة كانت محاطة بكيانات سياسية موالية لها فالدولة الأيوبية في مصر والشام ، واليمن ، سنية المذهب وموالية لها ، وبهذا لا توجد وحدة سياسية منافسة للخلافة العباسية تستطيع أن تزاحمها على النفوذ في مكة أو على زعامة العالم الإسلامي ، كما أن الحجاز بموارده الشحيحة في حاجة ماسة لما يصل إليه من هذه الكيانات السياسية بطرق شتى .

وقد كان للخلافة العباسية مظاهر نفوذ في مكة تمثل ذلك في كسوة الكعبة المعظمة التي كانت ترسلها بصحبة ركب الحجاج العراقي في كل عام ، وتعيين القضاة ،واختيار سدنة الكعبة المعظمة من آل الشيبي ، وتعيين شيخ الحرم (١)

كما أن الخلافة العباسية حرصت على إظهار زعامتها للعالم الإسلامي في موسم الحج حيث كان ركب الحاج العراقي يتقدم جميع الركوب وأعلام (٢) الخلافة العباسية تتقدم أعلام جميع الكيانات السياسية التي تفد إلى موسم الحج ، بما يعني تبعية جميع الزعامات للخلافة العباسية ، وكان أمراء الركب العراقي حريصين على تنفيذ هذه الزعامة حتى لو حدث صدام عسكري مع بعض الوفود القادمة من مناطق أخرى (٣).

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص١٤٣. الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١١٢، ١٣١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٤٩، ٦٤٣.با سلامة،حسين عبد الله : تاريخ الكعبة المعظمة ، ط ٢ ، تهامة للنشر ، ١٤٠٢هـ ،ص ٢٦٠. الكردي محمد طاهر : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، ط١، دار خضر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٢٠هـ ، ج٣، ص٣٥٢. زين العابدين : الكعبة والحج في العصور المختلفة ، ص١٦٣.

(٢) كان للكيانات السياسية التي تفد وفودها لأداء فريضة الحج أعلام تميزها عن غيرها ، يدلنا على هذا ما ورد في خطاب الخليفة العباسي في تعيين ناظر المسجد الحرام عام ٦٥٩هـ من المهام التي يقوم بها عدم السماح لأعلام الكيانات السياسية بالتقدم على أعلام الخلافة العباسية في الخروج إلى المشاعر المقدسة ، فورد ((وصعود الأعلام العباسية المنصورة إلى جبل عرفات قبل أعلام زعماء البلاد من جميع الجهات)) . الفاسي : العقد الثمين ، ج، ص٤٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٨٤.

(٣) أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق ، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٨هـ ، ج٣، ص٤٢٣. الذهبي ، محمد بن أحمد : تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام ، ط١، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧هـ ، مجلد حوادث سنة ٥٧١-٥٨٠، ص ١٧. اليافعي ، عبد الله بن أسعد : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ط٢، دار الكتاب الإسلامي ، ج٣، ص٤٢٦. ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية ، ، ط بدون ، دار الفكر ، ج١٢، ص٣٢٩. ابن تغري بردي ، جمال الدين يوسف الأتابكي : النجوم الزاهرة في ملوك=

أما الدولة الأيوبية فقد حرصت في بداية أمرها على عدم التدخل في شؤون مكة السياسية، وفي نفس الوقت حرصت على أن يكون ولاء الأمراء لها وذلك أن الدولة الأيوبية أرسلت حملة عسكرية في عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م كان هدفها ضم اليمن إلى أملاك الدولة الأيوبية وقد مرت الحملة في طريقها بمكة ودخلها الملك المعظم توران شاه فرحب به أميرها الأمير عيسى بن فليته ودخل في طاعته[1] ، وبحكم سيطرة الدولة الأيوبية على اليمن أصبح الحجاز يقع بين ولايات أيوبية كان من البديهي أن يكون للدولة الأيوبية نفوذ عليه .

ومع هذا فإن بني أيوب لم يحاولوا التدخل بشكل مباشر في شؤون الإمارة السياسية، فلم يتدخلوا في شأن من يصل إلى السلطة من أبناء البيت الحاكم ، يدلنا على هذا أن الملك المعظم توران شاه عندما مر بمكة في طريق عودته من اليمن في عام ٥٧١هـ/١١٧٥م لم يتعرض لشؤونها السياسية مع أنه وجد ابني عيسى بن فليته الأمير مكثر و داود مختلفين على السلطة ،فما كان منه إلا أن أصلح بين الأخوين وخرج عائداً إلى مصر دون أن يفرض أحدهما على الآخر، ودون أن يتدخل في شؤون الإمارة [2] ،وهذا يدل أن الدولة الأيوبية كانت لا تريد التدخل المباشر في شؤون الإمارة السياسية .

=مصر والقاهرة ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ج٢، ص١٠٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٥٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٤.

(١) ابن الأثير :الكامل ، ج٩، ص١٢٢. سبط ابن الجوزي ، شمس الدين بن المظفر يوسف التركي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرأباد ، ١٣٧٠هـ، ج٨، ص ٣٠٠. ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل:مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ،ط بدون ، ج١، ص٢٤٠. النويري ، أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق فوزي العنتيل ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٥هـ، ج٢٨، ص٣٧٣. الفاسي : العقد الثمين ، ج١، ص١١٨. المقريزي ، أحمد بن علي : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، ط بدون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٧٠. ابن فهد: إتحاف الورى ، ج٢ ص ٥٣٤. سليمان عبد الغني مالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية، ط١، طبوعات دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤٠٣هـ،ص ٤٠.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص ٦٧، ج٦، ص١٢١. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٣٩،٥٣٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٠. علي بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، مطابع جامعة القاهرة ،١٣٩٣هـ ، ص ٨،٩. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٣٠. فريال قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص١٧٧. عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص٤٣.

ومع أن الدولة الأيوبية كانت تتجنب التدخل المباشر في شؤون مكة السياسية إلا أنها كانت ترى أن من واجبها أن تضع حداً لبعض تصرفات أمرائها وخصوصاً ما يتعلق بحجاج بيت الله الحرام .

وذلك أنه في عهد الأمير مكثر بن عيسى بن فليته كان يؤخذ من الحجاج ضريبة ، فقام السلطان صلاح الدين الأيوبي بإلغاء هذه الضريبة وعوض الأمير ما يكفيه من المال وحدد له مناطق زراعية في مصر (1) واليمن، يحمل إليه ما تنتجه من محصولها الزراعي (2) ،كما أن السلطان صلاح الدين أرسل إلى الأمير مكثر ينهاه عن الظلم ، ويتوعده بالغزو إذا لم ينته (3) . وهذا دليل على تبعية الإمارة إلى الدولة الأيوبية ، فالأمير مكثر لم يستطع أن يرفض طلب السلطان في رفع المكوس عن كاهل الناس .

كما أن وجود المناطق الزراعية التابعة لأمير مكة في أراض تتبع الدولة الأيوبية تجعله رهيناً بالولاء لهذه الدولة للمحافظة على مكتسباته من الأموال والغلال .

وفي عام ٥٨١هـ/١١٨٥م قدم الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب إلى مكة بقصد القضاء على الاضطراب الأمني بسبب تجاوزات العبيد بها ، وقام بضرب العملة باسم أخيه السلطان صلاح الدين ومنع شعار المذهب الزيدي في المسجد الحرام ، وعاد إلى اليمن ولم يتعرض لتغيير وضع الأمير (4)

---

(١) كان لأمراء مكة المكرمة مناطق زراعية في العراق عبارة عن إقطاعات يصل محصولها إلى مكة ، وقد استولي عليها عام ٥٦٧هـ ولم تعد تصل ما تنتجه إلى مكة وذلك بسبب الخلافات بين أبناء البيت الحاكم بمكة . الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص٢٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٣٣.

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٣٠، ٥٥. أبو شامة : الروضتين ، ج٣، ص٩.النويري : نهاية الأرب ، ج٢٨، ص٣٦٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج١، ص٣٤١. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٤٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٢. الزهراني ، غباشي : تاريخ مكة التجاري ، الغرفة التجارية الصناعة بمكة ، ط١، ١٤١٨هـ ، ص ٢٩.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص١٢٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٤٣. الزهراني ، غباشي : تاريخ مكة التجاري ، ص ٢٩.

(٤) أبو شامة الروضتين ، ج٣، ص٢٧١. الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص٢٩٥. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢، ص٣٤٠. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦، ص١٠٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٥٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٤. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢١. الزهراني ، غباشي : تاريخ مكة التجاري ، ص٩٤.

وبهذا نستطيع القول أن قيام الملك العزيز بضرب العملة ، وتأديب الخارجين عن القانون يعتبر إعلاناً بالتبعية المطلقة للدولة الأيوبية ، ومن الطبيعي أن قدوم الملك العزيز لم يكن من تلقاء نفسه وإنما بإيعاز من السلطة السياسية في مصر ، مما يدل أن السلطة السياسية في مصر جعلت إمارة مكة تتبع والي اليمن الملك العزيز طغتكين بن أيوب .

وفي نفس الوقت مع ما حدث من خلل أمني وقدوم الملك العزيز بحملته والقضاء على المفسدين وترسيخ الأمن في البلد الحرام، إلا أنه لم يتعرض للبيت الحاكم ، وبهذا نستطيع القول أن حكومة مكة كانت تتبع الدولة الأيوبية بشكل كبير ما عدا تنصيب الأمراء فقد كان من اختصاص الأسرة الحاكمة ، كما أن الخلافة العباسية لم تحرك ساكناً في تصرفات الدولة الأيوبية في الحجاز مما يدل أن الخلافة العباسية رأت في الدولة الأيوبية حليفتها في مصر والشام قوتها التي تنفذ بها ما تريده في إمارة مكة فتركت لها حرية التصرف .

كما أن أمراء مكة حرصوا على التعامل مع الخلافة العباسية وسلاطين الدولة الأيوبية بحذر شديد خوفاً على استقلالهم الذاتي لإمارتهم ، وفي نفس الوقت طمعاً فيما يمكن أن يحصلوا عليه مقابل الدعاء للخليفة العباسي وللسلطان الأيوبي على منبر المسجد الحرام ، وقد كان يتم هذا في خطبة الجمعة حيث يدعو الخطيب للخليفة العباسي ثم للأمير مكثر بن عيسى بن فليته ثم للسلطان صلاح الدين الأيوبي (١)

استمر حكم الهواشم لمكة حتى عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م حيث استطاع قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني أن ينتزع إمارتها بعد هجوم عسكري خاطف وينهي حكم الهواشم (٢) ،وبهذا نستطيع أن نقول أن إمارة مكة قد اتسع نطاقها فأصبحت تضم مناطق واسعة تمتد من مكة إلى ينبع ، وكان قتادة من الدهاء بمكان ،حيث إنه تجنب غضب الخلافة العباسية من انتزاعه

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٤.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن : تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ،تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط١، ١٤٠١هـ ، ج٤، ص١٣٥. الفاسي : العقد الثمين ،ج١،ص ٣٢٩. ج٥، ص٤٦٤. المقريزي أحمد بن علي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٨هـ، ج١، ص٢٧٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٧. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٠٨. عبد الكريم محمود الخطيب : تاريخ ينبع ،ط١، الرياض ، ١٤٠٥هـ ، ص ٢٣. فريال قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص ٢٠٠.

لإمارة مكة ،كما أنه أراد أن يضفي على إمارته صفة الشرعية فخطب على منبر المسجد الحرام للخليفة العباسي الناصر لدين الله وبهذا ضمن عدم تدخل الخلافة العباسية فيما أحرزه من كسب سياسي ، وحصل بموقفه هذا على أموال طائلة كانت تأتيه من الخلافة [١].

استمر قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني ، في الإمارة حتى مقتله في عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م وبمقتله اضطرب الوضع السياسي مما كان سبباً في تدخلات خارجية مسلحة [٢] ،كان أولها على يد أمير الحاج العراقي الأمير آقباش الناصري في موسم حج ٦١٧هـ/١٢٢٠م[٣] ثم حدث التدخل من السلطة السياسية في اليمن في موسم عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م بقيادة الملك المسعود الأيوبي [٤] فكان هذا التدخل إيذاناً بدخول مكة تحت السيطرة اليمنية ،وتنحي سلطة آل قتادة فترة من الزمن، وقد امتدت سيطرة السلطات اليمنية التابعة للسلطة الأيوبية في مصر إلى وفاة الملك المسعود في عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م ، وظهور سلطة بني رسول في اليمن فدخلت مكة مباشرة تحت النفوذ الأيوبي المصري حيث

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص١٣٥،ج٥،ص ٥٤٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٤٧١. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦، ص٢٤٩. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٢٢. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ،عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود. ط بدون ، ص ٣٧.

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص٣٤٤. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٩٢. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٠٥،ج٥ ،٤٧٣.الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٨٦، ٥٨٧. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٢٨. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٨٥.

(٣) اليافعي : مرآة الجنان ، ج٤، ص٣٦. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٩٢. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٩٧. المقريزي: السلوك ، ج١، ص٣٢٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٧٨.

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص٣٥٠. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص٣٩٨. الفاسي : العقد الثمين ج٣،ص٤٠٣ ،ج٦، ص٢٥٥. ابن فهد :إتحاف الورى ،ج٣، ص٣٢،٣٤. الطبري ، علي بن عبد القادر : الأرج المسكي في التاريخ المكي، ط١، المكتبة التجارية ، مكةالمكرمة ، ص١١٨. يحيى بن الحسين بن القاسم ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق سعيد عاشور ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،القاهرة ، ١٣٨٨هـ، ص٤١٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٩٠. ناصر بن عبدالله البركاتي : بنو رسول وعلاقاتهم بالبيت الأيوبي والتنافس بينهم على العلاقة بالحجاز ،مجلة جامعة أم القرى ، السنة الثالثة العدد الرابع ، ١٤١١هـ ، ص ١٤٦.

عينت السلطة الأيوبية على مكة نائباً ،من قبلها [1]، وقد استمر هذا الوضع حتى عام ٦٢٩هـ/١٢٣١م حيث بدأ الصراع بين الدولة الرسولية في اليمن والدولة الأيوبية في مصر على مكة وبدأت كلتا الدولتين ترسل الحملات العسكرية إلى البلد الحرام لإخراج نائب الدولة الأخرى وقواها ،وكان آل قتادة مجرد قادة لبعض الوحدات العسكرية وأمراء على مناطق صغيرة تتبع في الغالب السلطة اليمنية [2]، وقد استمر هذا الصراع حتى عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م عندما استطاع أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة أن ينتزع مكة من السلطة اليمنية بعد هجوم خاطف ، وبهذا أعاد أبو سعد سلطة آل قتادة من جديد [3] ، وقد ساعد أبا سعد الاضطرابات التي وقعت في اليمن بسبب مقتل السلطان عمر بن علي بن رسول ،وانشغال خلفائه في مسألة ولاية السلطنة من بعده ، كما ساعد أبا سعد أيضاً ضعف السلطة الأيوبية بسبب قدوم الحملة الصليبية السابعة على مصر ، وطمع الجند المماليك في السلطة الأيوبية ، فكان هذان السببان فرصة لأبي سعد الحسن بن علي بن قتادة أن يرسخ أقدامه في الإمارة.

دخل أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة بعد انتزاعه الإمارة من يد السلطات اليمنية في صراع داخلي مع أبناء عمومته حول منصب إمارة مكة ، وقد انتهى بمقتله في عام

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٤،ص٢٥٩. النويري : نهاية الأرب ، ج٢٩، ص١٥٧. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٢.السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٩٦. ابن العماد ، عبد الحي بن أحمد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ج٥، ص١٢٠. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٥٦.

(٢) الخزرجي ، علي بن الحسين : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق محمد بسيوني عسل ، مطبعة الهلال مصر،١٣٢٩هـ، ج١،ص٤٩، ٦٤، ٥٤،٦١.الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص١٢٣،٢٨٣، ج٤،ص٢٦٧،٨٠، ٢٩٥، ج٥، ص٣٦٢، ج٦، ص٢٥٧. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٠،٤١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٤٩، ٥٣، ٤٠٢، ٥٦،٥٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٦١٥،٦١٣،٦٠١، ٦١٧، ٦١٩، ٦٢٦. ابن ظهيرة ، جمال الدين محمد بن جارالله القرشي : الجامع اللطيف مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، ط١، مكتبة الثقافة ، ١٤٢٣هـ، ص٢٧١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٩٤،٢٩٧، ٢٩٩،٣٠٠.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٧٧. الفاسي : العقد الثمين ،ج٢، ص٨٩، ج٣، ص٣٩٧،ج٦، ص٣٦٤. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٦٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٦٠٥،٦٣٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٦.: ناصر البركات : بنو رسول ، ص ١٦٦ .

٦٥٢هـ/١٢٥٤م [١] وقد كان هذا الحدث سبباً في تدخل خارجي جديد من قبل السلطات اليمنية ، حيث أُرسلت حملة عسكرية من اليمن في نفس العام بقصد اغتنام فرصة الخلافات الداخلية وإعادة مكة إلى السلطات اليمنية من جديد ، ونجحت الحملة في تحقيق هدفها ولكن لم يطل بها المقام حيث أعاد آل قتادة تنظيم صفوفهم واستطاعوا إخراج القوات اليمنية معلنين بذلك عودة سلطة آل قتادة إلى الإمارة [٢].

وقد كان لخروج القوات اليمنية أثر كبير على السلطة السياسية في اليمن حيث اقتنعت بصعوبة إعادة فرض السلطة اليمنية على مكة ، وأخذت تسعى إلى كسب ود أشرافها من آل قتادة بالهبات والهدايا وتقديم الأموال مقابل الدعاء لسلاطين اليمن على منبر المسجد الحرام ، وفي نفس الوقت قام الأشراف بتحقيق رغبة سلاطين اليمن في هذا الجانب نظراً لحاجتهم لما يرسل إليهم من أموال [٣]، ولرغبتهم في عمل توازن في علاقاتهم بين الوحدات السياسية في مصر واليمن ، ويبدو أن الأشراف لم يعتبروا أن الدعاء لسلطان من السلاطين يعني التبعية له ،بل كان فيما يبدو لسببين الأول اكتفاء شرهم ، والثاني الحصول على الهبات والعطايا ، لهذا كان الدعاء في المسجد الحرام يضم عدداً من الزعماء في بعض الأوقات مثل زعماء اليمن و مصر والخليفة العباسي وشريف مكة المكرمة[٤].

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص١٠٠. الفاسي العقد الثمين ، ج٥، ص٤٤٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٧٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٦٤٠. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٣١٥. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٦. عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص٧٨.

(٢) اليماني : عبدالباقي بن عبد المجيد : بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى حجازي ،ط بدون ، دار الكلمة صنعاء ، ص ٨٤. الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص١١٥.الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٤٩،ج٣، ص١٧٦، ج٥،ص ٢٤٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٧٦،٧٧. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص٤٥. السنجاري :منائح الكرم ، ج٢، ص٣١٧. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٦٥.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص١٣٣. الفاسي : العقد : ج٢، ص١٥٤. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٤٠٥. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٨٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٨١، ١٢٩، ٩١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦١٢، ٦٠٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٧. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٣٠.

(٤) مما يدل أن أمراء مكة كانوا يدعون لأي سلطان أو ملك يدفع لهم مبالغ مالية وهبات وعطايا ، أن أبا نمي لم يوافق أن يدعو للخليفة الحاكم بأمر الله العباسي عندما حج في عام٦٩٧هـ وذلك لأن الخليفة العباسي =

وفي نفس الوقت كانت المنافسات تثور بين الحين والآخر بين أمير مكة أبي نمي وأبناء عمومته ،وكان يواجه هذه الثورات برباطة جأش ، ففي عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م أعلن تبعيته لسلطان المماليك السلطان بيبرس البندقداري ، في محاولة ناجحة لإبعاد نفوذ السلطة اليمنية عن إمارته وتأييد خصومه ، ثم قضى على إدريس بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني شريكه في الإمارة وأحد أشد منافسيه من البيت الحاكم ومع هذا لم يصف الجو لأبي نمي من ظهور منافسين له ، ولكنه استطاع أن يصمد في مواجهة التهديدات التي أحاطت به ويحافظ على تسنمه للإمارة [(١)]

وقد كان سلاطين المماليك حريصين على تبعية مكة لسلطانهم ،وإبعاد نفوذ أي سلطة أخرى تحاول التدخل في الشأن السياسي لها ، وذلك منذ حج السلطان بيبرس البندقداري في عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م ، حيث أخذوا يفرضون على أمرائها شروطهم وطلباتهم ،ويصدرون المراسيم بتوليتهم من قبلهم، وأصبح يذكر أسماء سلاطينهم على منبر المسجد الحرام ، وكان أبو نمي يتعهد بتنفيذ ما يطلب منه ويقسم على ذلك [(٢)]. مما يدل أن أبا نمي كان يقدر قوة المماليك ويعرف كيفية التعامل معها حتى يحافظ على بقائه في إمارته .

بعد وفاة أبي نمي بن الحسن بن علي بن قتادة في عام ٧٠١هـ/١٣٠١م حدث اختلاف بين أبنائه مما جعل للسلطات المملوكية نفوذاً كبيراً على الإمارة فتدخلت السلطة المملوكية

=لم يعط أبا نمي مبلغاً من المال ، مع أن الخليفة أرفع منزلة من السلاطين نسباً ومنصباً ، ولكن لم يكن لديه مال يدفعه سنوياً لإمارة مكة لذا تجنب أمراء مكة الدعاء لهم ، وعندما كان خلفاء بنو العباس في بغداد يدفعون الأموال كان الدعاء مستمراً لهم . الفاسي : العقد الثمين ، ج١، ص١١٥.

(١) ابن عبد الظاهر ، محيي الدين عبدالله : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، ط١، الرياض ، ص ٣٥١. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥،ص٤٤٧.الفاسي:العقد الثمين ،ج١،ص١٢٥. ج٢،ص١٥٦،١٥٢،١٥١،ج٣،ص١٧٥،ج٥،ص٤٤٣.المقريزي:السلوك،ج١، ص٥٠١،ج٢،ص٧٩،٦٦،٥٩. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٨٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٦٤١،ج٢،ص٤٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٠٥،١٠٣،١٠١،٩٩،٩٣،٨٠.

(٢) النويري : نهاية الأرب ، ج٣، ص١٥٠، ١٦٦. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٢٥٤. ابن خلدون تاريخ ابن خلدون ، ج٥،ص٤٤٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج٢،ص١٥٤،١٥١،ج٣، ص١٧٥. الفاسي: شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٦، ٤٠٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٩٤،٨٠-٩٩، ١٢٥،١١٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦١١،٦٠٧،٦٠٢.

بالتولية و العزل لمن أرادت من أبناء أبي نمي ، وقد أدى الخلاف بين أبناء أبي نمي على السلطة إلى ازدياد نفوذ المماليك بعد أن التجأ حميضة بن أبي نمي إلى السلطات المغولية في بغداد عام ٧١٥هـ/١٣١٥م ، والدعاء لها على منبر المسجد الحرام في فترة توليه للسلطة ، مما جعل السلطات المملوكية تسير الحملات العسكرية التي تهدف إلى ترسيخ أقدامها في الحجاز لمساندة من يواليها وينفذ مطالبها من أبناء البيت الحاكم، وتغدق عليهم الأموال وعلى السكان أيضاً عن طريق الهبات والصدقات ، فزاد نفوذ السلطات المملوكية في مكة ، كما أن السلطات المملوكية أصبح لها من نفوذ الكلمة أن تقبض على من أرادت من أبناء البيت الحاكم الذين تتوجس منهم التمرد والعصيان ، وتنقلهم إلى مصر حيث يتم سجنهم ، وقد كان أبناء البيت الحاكم يرون أن لا مناص لهم من كسب ود السلطات المملوكية فكان كل طامع في الإمارة يحاول جاهداً كسب ود السلطات المملوكية ، أملاً في تعيينه في يوم من الأيام أميراً لمكة. (١)

ومع هذا كانت السلطة السياسية في مصر تعمل في بعض الأحيان على احترام رأي أمير مكة وأعيان الحرم في اختيار من يلي الإمارة بعد وفاة أميرها ، وترسل له بالمراسيم السلطانية فيتم تنصيبه أميراً ويُعلن ذلك على رؤوس الأشهاد في المسجد الحرام (٢)

وفي عام ٨١١هـ/١٤٠٨م استحدثت السلطة السياسية في مصر منصب نيابة الحجاز وعينت لهذا المنصب أمير مكة حسن بن عجلان،، وعينت ابنيه أحمد و بركات أميرين في مكة بالشراكة (٣)

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤، ص٧٧. الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٠٧،٣٣٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٤٥-٤٥١، ج٤، ص١٠٣، ١٠٠،ج٥،ص٢١٣. الفاسي: شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤٦،٤١٣ . المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٥٠٣،٤٩٧،٣٨٣،٣٦٩،٣٤٩، ٥٠٥، ٥٢٦ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٦٣،١٥٨،١٥٥،١٥٣،١٥٠،١٤٦،١٤٠،١٣٧،١٣٤ .ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٧٦،٦٤،٦١،٥٥،٥٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦١٤-٦١٩، ٦٢٣.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٥، ص٤١٨. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٣، ص٣٥١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٩٠، ١٩٦ . السنجاري : منائح الكرم ،ج٢، ص٣٨٣.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٣٦١. المقريزي : السلوك ، ج٦، ص٢٠٩.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٤٦٢. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٦٧. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٤٠٨.=

وبهذا شملت ولاية حسن بن عجلان مناطق الحجاز الواقعة بين مكة ومصر وأشهرها إمارة المدينة المنورة فأميرها أصبح تحت إشراف نائب الحجاز حسن بن عجلان ، ويدعى لحسن بن عجلان على منبر المسجد النبوي بعد الدعاء للسلطان وقبل الدعاء لأميرها وبهذا يكون حسن بن عجلان مشرفاً على إمارات الحجاز جميعها (١) ، ويبدو أن الدافع لهذا قوة حسن بن عجلان في إدارة أمور الإمارة وقضائه على حركات التمرد ، و حسن تعامله مع السلطة السياسية في مصر .

بعد تولي السلطان المؤيد شيخ، ساءت العلاقة بين حسن بن عجلان والسلطان وذلك فيما يبدو بسبب خلاف مالي (٢) مما جعل السلطان يقرر عزله عن النيابة وعزل ولديه بركات وأحمد عن الإمارة ويولي ابن أخيه رميثة بن محمد بن عجلان في عام ٨١٨هـ/١٤١٥م منصب نيابة الحجاز وإمارة مكة (٣)

لم يتمتع رميثة بن محمد بن عجلان بولايته طويلاً لأن حسن بن عجلان أرسل ولده بركات في شهر رجب عام ٨١٩هـ/١٤١٦م إلى مصر لكي يستعطف السلطة السياسية على والده ويطلب العفو عنه وإعادته إلى منصبه وقد نجح بركات في مسعاه حيث تعهد للسلطة السياسية بدفع مبلغ (٣٠) ألف مثقال من الذهب مقابل عودة والده إلى الإمارة(٤) وبهذا يكون بركات قد وضع أول خطوة في جانب شراء منصب الإمارة من

=الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ،ج١، ص١٨٦. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٢٥.

(١) شملت هذه النيابة إمارة المدينة المنورة ، ومدينة ينبع ، ومنطقة خليص ، ووادي الصفراء . المقريزي : السلوك ، ج٦، ص٢٠٩. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٣، ص٧٤. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٢٥.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٣٧١. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٣، ص٥١٦،٥٤٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٢٩٩،٣١٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٩٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٤١٧.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٣٧٣. المقريزي : السلوك ، ج٦، ص٤٠٣. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٣،ص٥٢٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٣٠٣. ابن فهد : الدر الكمين ، ج٢، ص٧٣٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٩٩. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٩٨.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٣٧٣،٣٨١. المقريزي : السلوك ، ج٦، ص٤٢٠،٤٥٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٣٠،٥٤٨،٥٥٥،٥٧١. ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص٣٠٤،٣٢٥. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٧١.

السلطة السياسية في مصر ، كما يبدو أن السلطة السياسية في مصر طلبت هذا المبلغ مقابل منصب الإمارة عندما رأت ازدهار الجانب الاقتصادي لإمارة مكة ، وتردد السفن التجارية على ميناء جدة ، وكثرة عوائد التجارة على الإمارة ، كما يبدو أن منصب نيابة الحجاز لم يعد يتولاه حسن بن عجلان حيث لم يرد له ذكر في الولاية الجديدة وإنما ورد ذكر إمارة مكة فقط ، وقد ألغت السلطة السياسية في مصر هذا المنصب حتى عام ٨٨٧هـ/١٤٨٢م، عندما قلدته من جديد لمحمد بن بركات بن حسن بن عجلان نائباً عاماً على الحجاز يعين في مناطقها الإدارية من يشاء، بالإضافة لمنصبه في إمارة مكة [(١)] ،ويبدو أن الدافع لهذا ما تميز به محمد بن بركات من مهارة في إدارة الحكم في الإمارة حيث عم الأمن والاستقرار.

وبعد وفاة محمد بن بركات بن حسن بن عجلان في شهر محرم عام ٩٠٣هـ/١٤٨٧م عينت السلطة السياسية في مصر ابنه بركات نائباً للسلطة على الحجاز بالإضافة لمنصبه في إمارة مكة [(٢)] ، ولكن لم يستمر توليه لهذا المنصب بسبب الخلافات السياسية بين أبناء محمد بن بركات مما جعل الدولة تعدل عن منصب ولاية الحجاز بإمارة خاصة بمكة لمن يستطيع من أبناء البيت الحاكم السيطرة على مقاليد الأمور بها [(٣)] وقد استمر هذا الوضع إلى نهاية الدولة المملوكية في عام ٩٢٣هـ/١٥١٦م.

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج١، ص٢٠٥. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص٥٣٨. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٧٩.العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤،ص ٢٩١. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٥٨.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج١، ص١١٥١،١٠٤٢. ابن فهد :غاية المرام ، ج٣، ص١٠١،٧٣. العصامي: سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٩٥. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١٠٢.

(٣) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج١، ص١١٩١. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨١. العصامي: سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٩٨. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١٠٧.

الفصل الأول : الثورات الداخلية في مكة المكرمة .

المبحث الأول : الثورات الداخلية خلال العصر الأيوبي .

المبحث الثاني : الثورات الداخلية خلال العصر المملوكي .

المبحث الأول
الثورات الداخلية في مكة المكرمة خلال العصر الأيوبي
٥٧٠هـ/١١٧٤م-٦٤٨هـ/١٢٥٠م

ثورة الأمير مكثر[١] بن عيسى بن فُليتة ٥٧١هـ/١١٧٤م:

عندما قامت الدولة الأيوبية في مصر والشام على يد السلطان صلاح الدين [٢] يوسف بن نجم الدين أيوب عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٥م [٣] كان يحكم مكة الأمير عيسى [٤] بن فُليتة بن هاشم الحسني ، وقد توفي في الثاني من شعبان من نفس السنة بعد أن حكم ما يقارب ثلاث

(١) هو الأمير مكثر بن عيسى بن فليتة بن قاسم بن محمد الحسني المكي . نازع أخاه الأمير داود في إمارة مكة فكانا يتداولان الحكم فيها ، وهو آخر الحكام من بني فليته من أسرة الهواشم، انتزع منه قتادة بن إدريس بن مطاعن إمارة مكة عام ٥٩٧هـ، توفي في وادي نخلة عام ٦٠٠هـ .

الفاسي: العقد الثمين ، ج٦، ص ١٢١. الزركلي ،خير الدين : الأعلام ، ط١٥، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٢م ، ج ٧، ص ٢٨٤.

(٢) صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان ، الملك الناصر ،من أشهر ملوك المسلمين ، ولد ببلدة تكريت سنة٥٣٢هـ كان على درجة كبيرة من العلم الشرعي ، زالت على يده الدولة الفاطمية ، حارب الصليبيين وانتصر عليهم في عدة مواقع أشهرها موقعة حطين ٥٨٣هـ، ثم فتح بيت المقدس ، توفي في دمشق عام ٥٨٩هـ. ابن خلكان ، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ،ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٩هـ،ج٥،ص٤٩٤.الذهبي ، محمد بن أحمد : سير أعلام النبلاء ، ط١١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٧هـ، ج٢١،ص ٢٧٨. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،ط١، ،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،١٩٦٧م، ج٤، ص ١٠٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل ، ج٩ ، ص١٣٠.ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٥،ص ٥١٩. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢١، ص ٢٧٩. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ص ٢٨٨.

(٤) هو:عيسى بن فليتة بن قاسم الحسني المكي أمير مكة ولي الإمارة في آخر سنة٥٥٦هـ بعد ابن أخيه قاسم بن هاشم بن فليتة ، كان كريم النفس كثير الحلم يجالس أهل الخير والصلاح ، توفي في شعبان سنة٥٧٠هـ. ابن ابن الأثير:الكامل ، ج٩، ص ٧٧.ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢، ص ٢٤٣. الفاسي : العقد الثمين ج ٥ ص ٤٣٧. ابن فهد: غاية المرام ، ج١، ص ٥٢٧ .

عشرة سنة فتولى بعده ابنه الأمير داود بن عيسى بن فُليتة [(١)] وذلك بوصية من والده الأمير عيسى قبيل وفاته ، ويبدو أن الأمير عيسى بن فُليتة رأى في تولية ابنه داود خيراً لمكة وأهلها وذلك لما يتمتع به من صفات حسنة تبينت منذ توليه الأمر حيث ذُكر أنه بعد توليه الحكم بعد وفاة والده ((أحسن السيرة ، وعدل بين الناس)).[(٢)] ويبدو أن الأمير عيسى لم يعين خلال مدة حكمه ولياً للعهد من أبنائه إلا في العامين الأخيرين من حكمه لذا دعم توليه بعهد منه قبيل الوفاة حيث ما ذُكر : أن تعيين الأمير داود كان بعهد من والده قبيل وفاته ، فلو كان الأمير داود ولياً للعهد منذ مدة طويلة في عهد والده لما احتاج إلى عهد من والده قبيل وفاته ، ولهذا يتبين أن موضوع خلافة الأمير عيسى لم تحسم إلا في العامين الأخيرين من حكمه وتم تأكيدها في الأيام الأخيرة من حياته ، ويكون قصد الأمير عيسى بعدم تعيين ولياً للعهد إلا في العامين الأخيرين من مدة حياته هو خوفه من حصول خلاف بين أبنائه على السلطة قد يستغلها بعض أصحاب المصالح في إذكاء نار الفتنة بين الأخوين مما يؤدي إلى انقسام المؤيدين للأمير عيسى وضعفه أمام خصومه ، كما أن المصادر لم تبين أيهما الأكبر بين الأخوين ولكن يبدو من تولية داود أنه هو الأكبر سناً من أخيه مكثر ، كما أن ما حدث من معارضة للأمير عيسى من أخيه الأمير مالك [(٣)] بن فليته وما صاحبها من

---

(١) هو : داود بن عيسى بن فُليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر ، يعرف بأبي هاشم الحسني المكي تولى الإمارة بمكة عام ٥٠٧هـ ، لم تستقر له الأمور للتراع مع أخيه مكثر على السلطة توفي عام٥٨٩هـ . الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤، ص ٦٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج١ ص ٥٣٤. عارف عبد الغني : تاريخ أمراء مكة المكرمة ، ط١، دار البشائر ، دمشق ،١٤١٣هـ، ص ٤٥١ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، مجلد حوادث ٥٧١-٥٨٠، ص ٧٧.الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٦٧. ابن فهد: إتحاف الورى ، ج٢، ص ٥٣٥ . ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٣٤.

(٣) هو الأمير مالك بن فليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر الحسني المكي المعروف بابن أبي هاشم ، عارض أخاه الأمير عيسى بن فليتة في إمارة مكة ، وقامت بينهما حروب كثيرة انتهت بانتصار أخيه الأمير عيسى واستقر له الأمر بعد وفاة أخيه الأمير مالك في تيماء سنة ٥٦٧هـ. الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص٢٢. ابن فهد : غاية المرام ج١، ص ٥٣٣.

صدام مسلح استمر إلى وفاة الأمير مالك بتيماء[1] عام ٥٦٧هـ/١١٧١م [2]. كانت كافية في إشغال الأمير عيسى بن فليتة عن الحسم في موضوع ولاية العهد قبل وفاته بمدة طويلة .

وتكون بداية ولاية الأمير داود هو يوم الثاني من شعبان عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م وهو اليوم الذي توفي فيه والده الأمير عيسى بن فليته [3] .

ومع بداية تولي الأمير داود قام باستمالة رعيته وذلك بحسن السيرة وإقامة العدل مما يدل على أنه كان يعمل على كسب ود رعيته إليه ومع هذه الجهود لم ينته عامه الأول حتى قام أخوه الأمير مكثر بثورة عليه كانت على مستوى عالٍ من التنظيم والسرعة يدلنا على هذا سرعة إنهاء الصراع وحسم النتيجة في ليلة واحدة وخروج الأمير داود من مكة حيث قام الأمير مكثر بالإطاحة بحكم أخيه وانتزاع الإمارة منه في ليلة واحدة هي ليلة النصف من رجب سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م[4] ومع هول المفاجأة وقوة الثورة خرج الأمير داود إلى وادي نخلة [5] حيث يكون في مأمن لكي يتمكن من التفكير بعمق في الطريقة التي يعود بها إلى إمارته . وقد سنحت الفرصة للأمير داود بن عيسى في محاولة لإنهاء الصراع بينه وبين أخيه

---

(١) تيماء : تقع شمال غرب المملكة العربية السعودية كانت قديماً واحة خصبة تنتشر بها الزراعة وتشتهر بتمرها الجيد تقع في منتصف الطريق بين تبوك والمدينة المنورة ، وهي اليوم محافظة كبيرة تتبع منطقة تبوك إدارياً .
ياقوت الحموي :معجم البدان ، ط١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٤١٧هـ، ج٢ ، ص٤٧١.المنجد= =في اللغة والأعلام ، ط١٢، دار المشرق ، بيروت ، ص ١٩٩.شرف الدين ، أحمد حسين : المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية ، ط١ ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ١٤٠٤هـ، ص ٢٢.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص ٢٢ ، ج٥، ص ٤٣٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٢، ص ٥٣٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج ١، ص ٥٣٣.

(٣) الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٥، ص ٤٣٧، ج٤،ص ٦٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص ٥٣٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٢٧.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٦٧، ج٦، ص ١٢١. الفاسي :شفاء الغرام ج٢، ص ٣٣٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ٥٣٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٣٩. الجزيري : الدرر، ج١، ص ٥٧٠. عبد الفتاح راوه :تاريخ أمراء البلد الحرام ، ص١٤٦.

(٥) نخلة : هما نخلتان نخلة الشامية ونخلة اليمانية وهما: واديان لقبيلة هذيل ، تبدأ نخلة الشامية من جبال هدأة الطائف ثم تنحدر إلى أن تصل إلى المضيق وهو للأشراف ،ونخلة اليمانية تبدأ من منطقة البهيتة عند بلدة السيل الكبير وتنحدر حتى تلاقي نخلة الشامية عند المضيق ، ويسكن بأسفل نخلة اليمانية قبيلة القناوية وهم من قبائل الأشراف ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج٨، ص ٣٨٠. عاتق بن غيث البلادي :معالم مكة التاريخية والأثرية ، ط٢،، دار مكة للنشر والتوزيع ،١٤٠٣هـ، ص ٢٩٩ .

الأمير مكثر بعد شهر واحد من بداية النزاع وتولي أخيه الأمير مكثر وذلك عندما استغل مرور الأمير شمس الدولة توران شاه الأيوبي[١] بمكة في طريقه من اليمن إلى الشام فاجتمع به الأخوان في وادي الزاهر [٢] وأثمر اللقاء عن عقد صلح بين الأخوين [٣]ولكن يبدو أن الأمير داود كان يهدف إلى أن يساعده الأمير توران شاه على أخيه ويعيده إلى الإمارة ،ولكن لم يثمر اللقاء إلا عن عقد صلح بين الأخوين حتى أنه لم يتجاوز ذلك إلى شراكة في الإمارة حيث لم تدل المصادر على هذا فيكون ما تم في اللقاء هو صلح فقط بين الأخوين مما يدل أن الأمير توران شاه حاول أن يتجنب الدخول في صراع سياسي وعسكري في المنطقة .

و يؤيد ما سبق أن الأمير داود بن عيسى تم تنصيبه أميراً بمكة من قبل أمير الحاج العراقي طاشتكين[٤]في نفس العام [٥] أي بعد ثلاثة شهور من الصلح الذي تم على يد توران شاه بين الأخوين مما يدل على أن الأمير داود كان غير راض بالصلح فقط مع أخيه ، وأيضاً لم يشارك أخاه في صراعه ضد أمير الحاج العراقي طاشتكين مما يدل أن الصلح السابق بين الأخوين لم يتجاوز أيام تواجد الأمير توران شاه بمكة .

---

(١) شمس الدولة : الملك المعظم توران شاه بن أيوب بن شاذي ، أخو السلطان صلاح الدين ، جهزه السلطان صلاح الدين بجيش إلى اليمن في رجب سنة ٥٦٩هـ فضمها إلى سلطنته ، كان كريماً أريحياً ، عاد من اليمن سنة ٥٧١هـ فاستخلفه السلطان بدمشق ، ثم انتقل إلى مصر وتوفي في مدينة الإسكندرية سنة٥٧٦هـ.
ابن خلكان :وفيات الأعيان ، ج ١، ص ٢٩٢. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢١، ص ٥٣.

(٢) الزاهر : موضع بمكة المكرمة وهو وادي فخ يمر بين حراء ومكة ويذهب إلى الحديبية ، وهو اليوم حي كبير من أحياء مكة المكرمة يقع في شمال غرب الحرم . ياقوت الحموي :معجم البلدان ، ج٦، ص ٤١٦. عاتق بن غيث : معالم مكة التاريخية والأثرية ، ص ١٣.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٦٧، ج٦، ص ١٢١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٢، ص٥٣٦. ابن فهد: غاية المرام ، ج ١، ص ٥٣٩. الجزيري : الدرر ، ج ١ ، ص ٥٧٠. فريال ، محمود قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص ١٧٧.

(٤) هو : طاشتكين بن عبد الله المقتفوي مجير الدين ، أمير الحرمين ، حج بالناس ستاً عشرين سنة ، وكان يسير في طريق الحج مثل الملوك . كان جواداً شجاعاً سمحاً قليل الكلام ، حليماً توفي سنة٦٠٢هـ .
الفاسي: العقد الثمين، ج ٤، ص ٢٩١.

(٥)المصدر السابق ، ج ٤، ص ٦٧، ج٦ ، ١٢١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٢، ٥٣٧. ابن فهد:غاية المرام، ج١ص ٥٤١. عبد الفتاح راوه : تاريخ أمراء البلد الحرام ، ص١٤٦.

ومع أن الأمير داود قد عاد إلى منصبه في الإمارة بمساعدة أمير الحاج العراقي إلا أن الأمير مكثر لم يستكين لذلك فقد استعاد الإمارة من أخيه في العام التالي أي عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م مما يدل على أنه قد دار صراع بين الأخوين بمجرد خروج قوات الأمير طاشتكين أمير الحاج العراقي ، انتهى بسيطرة الأمير مكثر ، ومما يؤيد ذلك أيضاً أن السلطان صلاح الدين الأيوبي سلطان الدولة الأيوبية كتب للأمير مكثر سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م يأمره بالترفع عن ظلم الناس بمكة .(١)

وقد استمر الأمير مكثر في الإمارة ، مع معارضة من أخيه الأمير داود ،لأنه عاصر قدوم ابن جبير في رحلته إلى مكة حيث ذكر ابن جبير أن الأمير الذي كان يدعو له الخطيب على المنبر،((يدعى مكثر بن عيسى بن فليتة)) وذلك عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م.(٢)ولذا يبدو أن النصيب الأكبر من الولاية كان للأمير مكثر حيث لم ترد الأحداث بإمارة الأمير داود إلا في عام ٥٨٧هـ/١١٩٠م حيث أقدم على أخذ ما في الكعبة من الأموال وطوقاً كان يمسك الحجر الأسود ثم غادر مكة إلى وادي نخلة لما علم بقدوم أمير الحاج بولاية أخيه الأمير مكثر ، والراجح أن الأمير داود قام بهجوم سريع ،القصد منه الحصول على قدركبير من الأموال لذا نراه يقدم على أخذ مال الكعبة وما يطوق الحجر الأسود من الفضة التي قيل إن وزنها كان ثلاثة آلاف وسبعة وتسعون درهماً وهذا العمل بدوره يفقده تعاطف المسلمين عامة وخصوصاً بين أتباعه في البلد الحرام لذا فقد اكتفى بما أخذ وهرب تاركاً منصب الإمارة ، وبقي بوادي نخلة حتى توفي عام ٥٨٩هـ/١١٩٢م وبوفاته استقرت الأمور أكثر للأمير مكثر فتولى إمارة مكة عشر سنين متوالية منذ عام ٥٨٧هـ/١١٩٠م حتى عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م.(٣)

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٦٧ ،ج ٦، ١٢٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٤٠. ابن فهد :غاية المرام ، ج ١، ص ٥٤٣.

(٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ط بدون.دار بيروت للطباعة والنشر ،١٤٠٤هـ، ص ١٢٤.

(٣)الذهبي : تاريخ الإسلام ، مجلد حوادث سنة٥٧١-٥٨٠هـ، ص ٧٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٦٨، ج٦، ص١٢١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧٦.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص ٥٥٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٥٣٥. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص٢٦٩. السنجاري :منائح الكرم، ص ٢٦٥.

ثورة[1] الشريف قتادة[2] بن إدريس الحسني ٥٩٧هـ/١٢٠٠م :

استمر الأمير مكثر بن عيسى بن فليته في حكم مكة حتى أطاح بحكمه قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م على الرأي الأرجح وقد اختلف المؤرخون في نهاية حكمه و تاريخ قيام ثورة قتادة عليه حيث ذكر بعضهم أنها عام ٥٩٨هـ/١٢٠١م وبعضهم أنها عام ٥٩٩هـ/١٢٠٢م ، ولكن ما ذكره الفاسي نقلاً عن الميورقي[3] نقلاً عن القاضي عثمان بن عبد الواحد العسقلاني المكي [4] أنها كانت في عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م يكون الأقرب للصحة ،حيث ذكر المؤرخون أن مدة حكم الأمير مكثر بعد إخراج أخيه داود عام ٥٨٧هـ-١٢٠٠م كانت عشر سنوات واتفقوا عليها فيكون نهايتها عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م ،كما أن القاضي عثمان بن عبد الواحد العسقلاني المكي كان الأقرب في حياته ووفاته من غيره من المؤرخين للحدث وقد ذكر أن مولده كان في بداية تولي قتادة الحكم في مكة وهو الأقرب للصحة [5]، وبهذا تكون بداية ثورة قتادة بن إدريس على حكام مكة من الهواشم وزعيمهم الأمير مكثر في عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م.

---

(١) تم اعتبار هجوم قتادة بن إدريس ثورة على إمارة مكة حيث أنه أحد أفراد البيت الحسني ،وحكام مكة من أبناء البيت الحسني ، وكان قتادة يتزعم عدد من العشائر التي أغلبها من الأشراف في منطقة ينبع النخل ، وقد ساعده في ثورته عدد من قادة حكام مكة .

(٢) هو قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسني الينبعي المكي ، أبو عزيز ، استطاع توحيد القبائل حوله في منطقة ينبع ويبسط نفوذه على المنطقة ،ثم انتزع مكة من حكامها الهواشم سنة٥٩٧هـ ، حاول توسيع حدود إمارته فدخل في صراعات عسكرية كثيرة، كان شجاعاً مهيباً ، قتل على يد ابنه حسن سنة٦١٧هـ.
الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٢، ص ١٥٩. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٦٣. الزركلي: الأعلام ، ج ٥، ص ١٨٩.

(٣) هو : أحمد بن علي بن أبي بكر عيسى بن العبدري الميورقي ،كان عالما فاضلاً سكن الطائف ثم مكة وأخذ عن فضلائها كان مشهوراً بالخير والصلاح توفي ٦٧٨هـ . الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٦٥.

(٤) هو عثمان بن عبد الواحد بن إسماعيل العسقلاني المكي ، القاضي فخر الدين ، ولد سنة٥٩٧هـ ، كان عالماً كبيراً أخذ عنه الميورقي كثيراً من مروياته . الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ١٧٠.

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥، ص ١٧٠، ٤٦٣،٤٦٤. ج٦، ص ١٢١.

و قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم هو أحد أبناء البيت العلوي ويتصل نسبه بالخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ،ولكن ليس من أسرة الأمير مكثر (الهواشم) ، وإنما من فرع آخر من فروع البيت العلوي ُسمي بني مطاعن.[1] أراد الله له أن يلي أمر مكة وتبدأ بولايته أسرة جديدة يتعاقب أبناؤها على تولي الإمارة مدة من الزمن .

وقد كان قتادة بن إدريس بن مطاعن يسكن مع قومه بني مطاعن في وادي ينبع [2]، وكان غالبهم بادية يمتهنون حرفة الرعي ،و بعضهم كان يعمل بالزراعة بالأخص في مكان يسمى نهر العلقمية بوادي ينبع [3]، وقد استطاع قتادة أن يوحد صفوف قبائل الأشراف مبتدئاً بقومه بني مطاعن ثم بني أحمد وبني إبراهيم وبني علي وغيرهم من القبائل المجاورة لهم في وادي ينبع وبعد أن حقق انتصاراً على المناوئين له واستمالة البعض الآخر ثم تملكه لوادي الصفراء[4][1] ترأس على الجميع ،وبهذا يكون قتادة على قدر عالٍ من التجربة العسكرية و

---

(١) يتصل نسبه مع الهواشم في جدهم محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله الرضى بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب . أبو عنبة الأصغر: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ،ط١،مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤٢١هـ، ص ١٠٧، ١٠٩ .

(٢) ينبع : منطقة واسعة فيها قرى وأودية وعيون ماؤها عذب وهي الآن محافظة كبيرة من محافظات المدينة المنورة وبها مدينة صناعية حديثة ، و سميت ينبع قديماً لكثرة ينابيعها والمقصود هنا ما يسمى اليوم ينبع النخل ويتبعها مدينة ينبع البحر الميناء ، . ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي : صورة الأرض ،دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ص٤٠. المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط بدون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ،١٤٠٨هـ، ص٨٣.السمهودي ، علي بن أحمد : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، ج٤، ط٤، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٣٣٤. حمد الجاسر: بلاد ينبع ، ص ٢٢.

(٣) ليس في ينبع نهر جار وإنما اشتهرت منذ القدم بمياه العيون الجارية حيث ذكر أنه كان بها قديماً ما يقارب ١٧٠عيناً جارية ، وبهذا تكون منطقة نهر العلقمية هي عين كبيرة تتدفق في الوادي فأُطلق عليها نهر لكبرها وكثرة مائها ، وهي قرية لا زالت معروفة بينبع النخل . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٨، ص ٥١١. عبد الكريم الخطيب : تاريخ ينبع ، ص٢٢٣.

(٤) وادي الصفراء : من أودية الحجاز الكبيرة كثير القرى ، في طريق الحاج سلكه رسول الله ﷺ غير مرة بينه ، وهو يصب في البحر موازياً لوادي ينبع عند بلدة الجار التاريخية،وتكثر به مزارع النخل ، وتكثر به عيون الماء . سكانه قديماً من كنانة وغفار ، سكانه اليوم بنوسالم من حرب ، وهو على بعد ٥١ كيلاً من المدينة المنورة . الحموي : معجم البلدان ، ج ٣، ص١٩٣. عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز ، ط ١ ، دار مكة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٠هـ، ج٥، ص١٥٠.عاتق بن غيث البلادي : المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢هـ، ص ١٧٧.

القوة بجمعه لصفوف هذه القبائل ،وعلى أهبة الاستعداد للدخول في أي صراع عسكري يحقق له كسباً سياسياً لذا نراه يتطلع إلى انتزاع إمارة مكة من سادتها أبناء عمومته الهواشم . ويتحين الفرصة للدخول في صراع عسكري معهم وقد تحقق له ذلك عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م ، وقد ذكر المؤرخون عدداً من الأسباب التي دفعت بقتادة للثورة على أبناء عمومته الهواشم منها: أن الهواشم انغمسوا في اللهو والترف واعتزازهم بسلطانهم وممارستهم للظلم ، وإعراضهم عن صون مكة وحراستها وكره بعض قادتهم لهم بسبب ظلمهم ،كما ذكر المؤرخون أن بعض التجار استغاث بقتادة حين تعرض لظلم من الهواشم فقام قتادة بحملته نصرة للمستجير به .(٢)

ويتضح من خلال الأحداث التاريخية أن الظلم قد انتشر بشكل أكبر في مكة في عهد حكومة الأمير مكثر على أهلها وعلى زوارها من الحجاج والمعتمرين ويدلنا على هذا كتاب السلطان صلاح الدين الأيوبي لمكثر ينهاه فيه عن الظلم ويتهدده بالقدوم عليه وتنحيته عن الحكم.(٣) وهذا يدل على أن شكوى الناس من حجاج ومعتمرين وتجار قد وصلت إلى السلطان في مصر .

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص١٣٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٦٤،٤٦٣. =
=الطبري: إتحاف فضلاء الزمن ج١ ، ص١٠٨. عبد الكريم الخطيب : تاريخ ينبع ،ص ٢٢٣ ، ٢٢٤. ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٠.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٦٣، ٤٦٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٢، ص ٥٦٦. ابن فهد: غاية المرام ،ج١، ص٥٥١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧٧.

(٣) نص الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم اعلم أيها الأمير الشريف أنه ما أزال نعمة عن أماكنها وأبرز الهمم عن مكامنها وأثار سهم النوائب عن كنائنها كالظلم الذي لا يعفو الله عن فاعله والجور الذي لا يفرق في الإثم بين قائله وقابله ، فإما رهبت ذلك الحرم الشريف وأجللت ذلك المقام المنيف وإلا قوينا العزائم ثم أطلقنا الشكائم وكان الجواب ما تراه لا ما تقرأه وغير ذلك فإنا نهضنا إلى ثغر مكة المحروسة في شهر جماد الأخرى طالبين الأولى والأخرى في جيش قد ملأ السهل والجبل وكظم على أنفاس الرياح فلم يتسلسل بين الأسل وذلك لكثرة الجيوش وسعادة الجموع ، وقد صارت عوامل الرياح تعطي في بحار الدر .
الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥، ص٤٦٤،ج٦، ص ١٢٣ . ابن فهد: إتحاف الورى ، ج ٢، ص٥٦٦.

و قد أدى تمادي حكومة مكثر في الظلم[1] أن لحق ظلمهم بعض قادتهم العسكريين مما جعل قوة الحكومة تصاب بالشلل والضعف في مواجهة القوة المهاجمة ، وذلك أن بعض القادة العسكريين قد استمالهم قتادة إلى صفه وطلب مساعدتهم له إذا هاجم مكة وقد وفى له هؤلاء القادة بما وعدوه حيث لم يلاق قتادة مقاومة عسكرية تجبره على التراجع ، وكان لموقف هؤلاء القادة أن أصبح موقف الأمير مكثر ضعيفاً، فقرر الخروج إلى وادي نخلة دون مقاومة تاركاً حكم مكة لسيدها الجديد .

وتذكر بعض المصادر أن قتادة قد أرسل ابنه حنظلة على رأس القوة التي دخلت مكة وأنهت حكم الأمير مكثر وقومه ثم قدم هو بعد أن خرج الأمير مكثر واستقرت الأمور [2] سواء كان القائد قتادة أو ابنه حنظلة فإن النصر كان باسم قتادة حيث لا يعتبر حنظلة سوى قائدٍ من قادة والده نفذ خطة مرسومة له.

وتبين لنا من خلال الأحداث السابقة بين مكثر وأخيه داود بن عيسى أن حكومة الهواشم قد أنهكها الصراع الداخلي مما جعلها ضعيفة في مقاومة أي ثورة تملك من المقومات ما تمتلكه ثورة قتادة . فقد كان قتادة يمتلك قوة فتية ناشئة كثيفة العدد متماسكة الأعضاء متوحدة الهدف كاملة التسليح ،كيفتها البيئة الصحراوية على تحمل المشاق العسكرية ، بالإضافة لقيادة حكيمة متمرسة ، تطمح لكسب مادي و سياسي .

---

(١) لا يمكن أن تدوم حكومة تتبع منهج الظلم لأن الله لا يقبل الظلم على خلقه جميعاً ،فكيف بسكان بلده المحرم وضيوفه من الحجاج والمعتمرين ، ولهذا لم يكن الله لينصر الأمير مكثر وقومه ضد الشريف قتادة الثائر الجديد لأن الظلم من أبغض المعاصي إلى الله عز وجل وقد توعد الله الظالمين بالعذاب الأليم = =قال تعالى:﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف : آية ، ٤١. وقال الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل بتحريم الظلم بين الناس : (قال : يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)...الخ الحديث . الإمام مسلم ، أبي الحسين بن الحجاج : صحيح مسلم ، ط٢،كتاب البر والصلة والآداب ،باب تحريم الظلم ، ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ، ج١٦، ص ١٠٨.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٤٦٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص ٥٦٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧٧. ابن فهد : غاية المرام ج ١، ص ٥٥١. المقريزي ، السلوك ، ج١، ص٢٧٤ . ك سنوك : صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، مكتبة دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ،١٤١٩هـ، ص١٧١.

ونستشف مما سبق أن قتادة بن إدريس عندما قرر الزحف على مكة شاور أتباعه فأجابوه بالسمع والطاعة ولكن بينوا له ما تحتاجه الحملة من التكلفة المادية الكبيرة مما يدل على أنهم كانوا يريدون أن يعرفوا ما لهم وما عليهم من هذه الحملة فأجابهم بأن لديه من الخيل كذا ومن النفقة كذا وأن لكم كذا مما جعلهم يطمئنون ويستعدون للخروج معه.

كما يتضح من الأحداث أن قتادة قد اتبع عنصر المفاجأة لخصومه الهواشم حيث كتم أمر حملته وسار بشكل سريع حتى أنه فاجأ الأمير مكثر وقومه بهجوم مباغت دخل على أثره مكة في مناسبة دينية عند السكان وهو يوم ٢٧ من شهر رجب وهو اليوم الذي يخرج الناس فيه إلى التنعيم(١) للعمرة (٢)فيخرج غالبية أهل مكة وأعيانها(٣) ، وبهذا أحسن التوقيت ،فقطع على الهواشم الفرصة في تجميع القوات واستنفار الأتباع، فكانت المقاومة بسيطة جداً مما يؤكد وجود خلل في صفوف قواتهم العسكرية وبعد وفاة الأمير مكثر قام ابنه الأمير محمد بن مكثر بمحاولة لاسترداد الإمارة عام ٦٠٠هـ/١٢٠٣م بعد وفاة والده بثلاث سنوات

(١) التنعيم : موضع شمال مكة به مسجد يحرم منه أهل مكة ، أمر النبيﷺ السيدة عائشة أم المؤمنين بالإحرام منه على ثلاثة أميال من مكة ، وهو أدنى الحل وهو حد الحرم من جهة المدينة المنورة . الأزرقي ، محمد بن عبد الله: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق ، رشدي الصالح ملحس ، ط٦ ،مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ، ج٢ ، ص٢٠٢ . الطبري ، أحمد بن عبد الله : القرى لقاصد أم القرى ، ط٢، دار الفكر ، ١٤١٣هـ، ص ٦٢١ . الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١، ص ٥٤٠.

(٢) كان أهل مكة يكثرون من العمرة في هذا الشهر ، وكانت هذه العمرة في هذا اليوم تسمى لديهم عمرة الأكمة لأنهم يحرمون بالعمرة من جوار جبل صغير أما مسجد أم المؤمنين السيدة عائشة في التنعيم ، وقد ذكر هذه العمرة ابن جبير في رحلته وذكر أن الشائع بين الناس في ذلك الوقت أنها تقليد لعبد الله بن الزبير حيث أعتمر بعدأن أعاد بناء الكعبة من ذلك الموضع . ابن جبير : الرحلة ، ص١١٤.

(٣) السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٦٦. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١٠٨. فريال محمود قطان ، الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص ٢٠١.

فلم يحقق نجاحاً حيث تصدت له قوات قتادة بقرب المتكأ [(١)] وكسرته فكانت نهاية مقاومة الهواشم لحكومة قتادة بن إدريس بن مطاعن .[(٢)]

ويلاحظ أن القيادة السياسية في العراق المتمثلة في الخلافة العباسية لم تعترض على ثورة قتادة بن إدريس ، فقد استمرت قوافل الحجيج في القدوم على مكة دون اعتراض على الحدث السياسي بها مما يؤكد أن الخلافة كانت تترقب الوضع دون تأييد أو معارضة ، مترقبة ما تفصح عنه الأيام من سياسة جديدة للحكام الجدد ويبدو أن سياسة قتادة بن إدريس جعلتها تسلك هذا المسلك حيث خطب قتادة للخليفة العباسي الناصر لدين الله [(٣)] على منبر المسجد الحرام منذ أن قضى على دولة الهواشم مما يدل على دهاء قتادة في عدم الاصطدام مع الخلافة العباسية في وقت الصراع مع حكام مكة ورغبة منه في تحقيق أطماعه بعيداً عن تدخل القوى السياسية والعسكرية القوية في مصر والعراق ، كما أن الخلافة العباسية كانت تراقب قوة قتادة بشيء من الحذر فقد كانت ترسل له الهدايا المتمثلة في الخلع والذهب في كل سنة مما يؤكد رغبة الخلافة في كسب ولاء قتادة لها وكذلك في تهدئة الأوضاع في مكة مكتفية بالدعاء للخليفة العباسي الناصر لدين الله على منبر المسجد الحرام وموسم الحج[(٤)].

---

(١) هو مسجد بأجياد الصغير وموضع فيه يقال له المتكأ ، يروي البعض أن النبيﷺ اتكأ فيه . الأزرقي :أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، ج٢، ص٢٠٢ ، . الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٨٠.

(٢)ابن عنبة الأصغر: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، ص١٠٩. الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥، ص ٤٦٤ . ابن فهد : غاية المرام ، ج ١، ص ٥٥١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٦٦. الطبري ؛: الأرج المسكي ، ص ١١٧.

(٣) الناصر لدين الله : هو أحمد بن أبي العباس بن المستضيء بأمر الله العباسي ، بويع بالخلافة سنة٥٧٥هـ ،حكم الدولة العباسية ٤٧سنة ، كان شديد الاهتمام بمصالح الخلافة ، كان حسن الخلق شهماً ، توفي سنة٦٢٢هـ. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢٢، ص ١٩٢. الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص ١٨. السيوطي ، جلال الدين : تاريخ الخلفاء ، ط١ ، دار الفكر، بيروت، ص٤١٣.

(٤)ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص ١٣٥.الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٧١. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٦٧. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٦٠.

ثورة الشريف حسن[١] بن قتادة ٦١٧هـ/١٢٢٠م .

منذ أن استقرت الأمور لقتادة بن إدريس في حكم مكة لم يحسم موضوع ولاية العهد من بعده لأحد من أفراد أسرته وقد شغل نفسه بتثبيت إمارته وتوسيع دائرة ملكه . وفي عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م أرسل قتادة حملة عسكرية هدفها القضاء على حكام المدينة النبوية وضمها إلى ملكه وجعل أخاه الحسن بن إدريس قائداً لها ويساعده ابنه حسن بن قتادة ، وكان سبب ترك قتادة قيادة الحملة بنفسه لمرض ألم به عندما وصلت الحملة إلى وادي الفرع[٢] في طريقها إلى المدينة النبوية، فترك القيادة لأخيه وابنه وقفل راجعاً إلى مكة ؛ ويبدو أن أخاه قائد الحملة اغتر بتولية قتادة له قيادة الجيش وفكر في الإمارة بعد وفاة أخيه قتادة من مرضه الذي ألم به، فأقدم على عمل ينقصه الحنكة وبعد النظر حيث طلب من قادة الجيش أن يبايعوه بالإمارة بمجرد وفاة أخيه قتادة ويحلفوا له مسبقاً على هذا الأمر مما يدل أن مرض قتادة كان شديداً وبرؤه ميئوساً منه ، وما أن علم حسن بن قتادة بالأمر عن طريق مناصريه حتى سارع إلى مقابلة عمه وتعنيفه على ما أقدم عليه ثم قتله [٣] في خطوة قوية لكي يحسم بها عدم انتقال حكم مكة لغيره بعد وفاة والده ، وقد كان لعمه نصيب من القدر لدى أخيه قتادة فكان حسن يخشى نتيجة هذه المودة في إبعاده عن الحكم.

---

(١) هو : حسن بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني المكي ، تولى حكم مكة٦١٧هـ ، لم يستقر في حكم مكة لمعارضة أخيه راجح له انتهى حكمه بدخول القوات اليمنية عام ٦٢٠هـ بقيادة الملك المسعود الأيوبي ، دخل العراق للاستعانة بالخلافة لاسترداد إمارته فأدركته المنية فيه سنة٦٢٣هـ . الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص ٤٠٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٨٠. الزركلي : الأعلام ، ج٢، ص ٢١١.

(٢) وادي الفرع : وادٍ كبير من أودية الحجاز يمر على١٥٠كيلاً جنوب المدينة المنورة ، كثير العيون ، تكثر به مزارع النخيل ، سكانه بنوعمرو من حرب ، وكان عند البعثة النبوية لقبيلة مزينة ، وهو منطقة زراعية كبيرة ، وفيها قرى عديدة ومساجد كثيرة. الحموي : معجم البلدان ، ج٦،ص٤٢٧. عاتق غيث البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ص ٢٣٦. عمر رضا كحالة :جغرافية شبه الجزيرة ، ط٢، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ١٣٨٤هـ،ص ٢٦ .

(٣)ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج٩، ص ٦١٨. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٠٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٨٥. عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص ٦٢.

وقد كان لهذا الحادث أثره على الحملة حيث إنها لم تواصل العمل في تحقيق هدفها الذي خرجت من أجله ، وقد وصل خبر هذا الحادث بين حسن بن قتادة وعمه إلى والده قتادة فغضب غضباً شديداً وأقسم على قتل ابنه انتقاماً لمقتل أخيه ، وقد كان بجوار قتادة بعض أنصار ابنه حسن فقاموا بإيصال موقف والده له فما كان من حسن بن قتادة إلا العودة إلى مكة لمقابلة والده والتأكد من موقفه وفي نفس الوقت كان على حذر شديد حيث قرر في نفسه القضاء على والده إذا تأكد له غضبه لمقتل أخيه وذلك خوفاً من والده إذا برئ من مرضه أن يحقق قوله فيه ، فقدم حسن بن قتادة في قلة من أتباعه ودخل إلى دار والده بعد أن فرق الجموع التي كانت محتشدة تترقب نهاية قتادة ، وما أن رآه والده حتى انهال عليه تأنيباً وتهديداً لما فعله بعمه فما كان من حسن بن قتادة إلى أن قضى على والده بشكل سريع(١) .

وقد اختلف المؤرخون في طريقة قتل قتادة حيث ذكر بعضهم أن حسن بن قتادة قام بخنق والده واستعان على ذلك بجارية من جواري أبيه وغلام له ثم قتلهما بعد ذلك ليخفى طريقة نهاية والده (٢)، وقيل أيضاً إن حسن قتل والده بالسم ، ثم خرج إلى عِلّية القوم من أهل مكة والأشراف بالمسجد الحرام وأخبرهم أن والده قد طلب منهم أن يحلفوا له بالحكم من بعده لشدة مرضه وضعفه، فحلفوا له وبعد أن استوثق له الأمر من الأشراف وعِلّية القوم أخرج لهم تابوتاً يزعم أن فيه جسد والده قتادة المتوفى وقام بدفنه ليتأكد للناس وفاته ، وكان قد دفن والده سراً في مكان آخر حتى لا يتم نبشه سواء من أحد أفراد الأسرة أو من عدو في المستقبل (٣).

---

(١)ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج٩، ص ٦١٨. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٧٤. ابن فهد :=
=إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٨٥.

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٧٥. السنجاري : منائح الكرم ، ٢، ص ٢٨٥.

(٣)ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص ٦١٨. ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ص٢٠٦. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص ١٣٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥، ص ٤٧٤. بن فهد : إتحاف الورى ، ج٣ص ٢٦، ابن فهد : غاية المرام ، ج١،ص ٥٧٥. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٨٥.

وموضوع إخفاء جسد قتادة بن إدريس يتأكد أن القتل لم يكن بالسم أو بالخنق حيث أن كلتا الطريقتين لا يتبين لهما أثر في جسد المتوفى، مما يجعلنا نجزم بأن القتل كان بآلة حادة تؤثر في الجسد يمكن ملاحظتها ممن يشاهد جسد المتوفى، لذا أخفى حسن بن قتادة جسد والده عن أقاربه ومشيعيه وأخفى قبره أيضاً (١).

وقد تبين ما فعله حسن بوالده من إخفاء قبره وذلك عندما قدم مكة الملك المسعود(٢) صاحب اليمن صحبة راجح بن قتادة وهزيمة حسن بن قتادة عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م فأمر الملك المسعود بنبش قبر قتادة فعندما نبش القبر وفتح التابوت لم يجدوا فيه شيئاً ، وكان نبش قبر قتادة على الأرجح بطلب من ابنه راجح لكي يبين للناس كذب إدعاء أخيه حسن (٣).

وقد أقدم حسن بن قتادة على قتل أخٍ آخر له لم تذكر المصادر اسمه كان قائداً لحامية ينبع في عهد والده ، بخطة ماكرة حيث أرسل له خطاباً بلسان والده قتادة يستدعيه للحضور إلى مكة وما إن وصل حتى قبض عليه وقتل (٤) وبهذا يكون قد قضى على أكثر إخوته شوكة حيث كان هذا الأخ يقود حامية عسكرية في حصن ينبع يخشى منها حسن بن قتادة التمرد عليه .

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص ٦١٨. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٠٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص٢٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج١،ص ٥٧٥. العاصمي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٢٩.السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٦.

(٢) الملك المسعود : هو يوسف بن محمد بن أبي بكر بن أيوب ، جهزه والده الملك الكامل سنة ٦١١هـ إلى اليمن فملكها سنة ٦١٢هـ كان شهماً مقداماً ، جباراً سفاكاً للدماء ، تنسب إليه الدراهم المسعودية ، توفي سنة ٦٢٦هـ في مكة المكرمة وهو في طريقه إلى بلاد الشام ، وهو آخر ملوك بني أيوب في اليمن . الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١،ص٤٢. الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص ٢٥٥. الزركلي : الأعلام ، ج٨، ص ٢٤٨.

(٣) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٥، ص ٤٧٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص٣٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج١،ص ٥٨٣.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص ٦١٨. ابن الوردي :تاريخ ابن الوردي ، ص٢٠٦. الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص ٤٠٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص٢٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٦.

وقد أختلف المؤرخون في سنة ثورة حسن بن قتادة ومقتل أبيه قتادة بن إدريس فأغلب المصادر تذكر أن مقتل قتادة كان عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م ماعدا ابن الأثير الذي يذكر أن تاريخ هذا الحادث كان عام ٦١٨هـ/١٢٢١م في جماد الآخرة ويوافقه على ذلك ابن الوردي في تاريخه [(١)]. هذا ومع أن ابن الأثير كان معاصراً للحدث إلا أن عام٦١٧هـ/١٢٢٠م هو الأقرب للصحة ، وذلك أن الفاسي عندما ذكر ترجمة الأمير آقباش ذكر في بداية الترجمة أنه حج بالناس عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م وهو العام الذي توفي فيه ثم ذكر في نهاية الترجمة أنه قرأ في شاهد[(٢)] قبره الذي وجده بمقبرة المعلاة أنه توفي في خامس عشر من ذي الحجة و لم يذكر العام مما يؤكد أنه لم يذكر عام الوفاة الذي من البديهي أن يكون مسجلاً على الشاهد لأنه ذكره في بداية الترجمة وهو٦١٧هـ/١٢٢٠م [(٣)].

ثورة الشريف راجح[(٤)] بن قتادة الحسني الأولى ٦١٧هـ/١٢٢٠م:

لم يتمتع حسن بسلطة الحكم في مكة حيث لم ينته عامه الأول حتى ظهر أحد أخوته مطالباً بالإمارة وهو راجح بن قتادة ، وتذكر المصادر أن راجح بن قتادة أكبر سناً من أخيه حسن[(٥)]، وبهذا يكون هو الأحق بوراثة العرش ، وكان مقيماً في البادية خارج مكة[(١)] يجمع

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج ٩، ص ٦١٨. ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ج٢، ص ٢٠٦.ناصر البركاتي ، بنو رسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي ، ص١٤٦.

(٢) هو حجر يكتب فيه معلومات عن المتوفى وتاريخ الوفاة يوضع على القبر ، يُعرف بصاحب القبر ، والشواهد تكتب بخطوط مختلفة ، ويقوم بعملها أناس ماهرون في الكتابة والنقش على الأحجار .

(٣) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٣، ص ٢٠٣.

(٤) هو راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسني المكي ، طمع في حكم مكة فعارض ولاية أخيه حسن بعد وفاة والده ، واستنجد بقوات خارجية لتحقيق هدفه ، عاصر النزاع بين الدولتين الأيوبية والرسولية على مكة ، وكان له دوركبير فيه ، توفي عام٦٥٤هـ . الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص٧٨. ابن تغري بردي : الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق ، فهيم محمد شلتوت ، ط بدون ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ج١، ص ٣٠٣

(٥) كان للشريف قتادة عددمن الأبناء منهم : راجح ،و حسن ، وإدريس وعلي .الفاسي : العقد الثمين، ج٥، ص ٤٧٥. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٨٤.

يجمع الأنصار ويحالف المناوئين مما يدل أنه نفذ من خطط أخيه حسن في تصفية منافسيه على الحكم .

ويبدو أن حسن بن قتادة قد استطاع أن يكسب أكبر عدد من الأتباع بحيث لم يبق مع أخيه راجح أحد يعتمد عليه مما جعل راجح بن قتادة يلتجئ إلى حملة الحجاج العراقية التي قدمت عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م لكي يطلب مساعدة أمير الحملة آقباش الناصري[٢] في تحقيق أطماعه شارحاً له أحقيته في الإمارة وباذلاً له وللخليفة ما يرضيهم من المال ،وهذا الإجراء يؤكد لنا دور الخلافة السياسي في إمارة مكة لذا أراد راجح أن يكسب الموقف لصالحه قبل أن تصل الحملة إلى ويتقابل قائدها مع أخيه حسن بن قتادة .

وقد استطاع راجح بن قتادة أن يوجه قوات الحملة لصالحه في محاربة أخيه حسن إلا أن النتيجة كانت غير سارة له حيث انتهى الوضع بهزيمة ساحقة له وللحملة العراقية مات فيها أمير الحملة العراقية وتفرق جنده [٣] مما جعل راجح بن قتادة يولي وجهه تجاه حكام اليمن من بني أيوب يستنصرهم لاستعادة ملكه السليب بعد أن تأكد لديه أن الخلافة في بغداد غير قادرة على مساعدته ، وأن بعد المسافة بين الحجاز والعراق وما بين القطرين من مفاوز ومخاطر كفيلة بصرف نظره عن طلب المساعدة منها مرة أخرى فرحل إلى اليمن واجتمع بملكها الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر الأيوبي ، واستطاع أن يقنع الملك المسعود بوجهة نظره في أحقيته بالحكم ، مع ما كان يحمله الملك المسعود من رغبة في

---

(١)ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج٩، ص ٣٤٥. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص ٩٢. الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص ٤٠٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٨. ابن فهد : غاية المرام ،ج١، ص ٥٧٨،٦١٧. الجزيري : الدرر، ج١، ص ٥٨٦.

(٢) هو آقباش بن عبد الله الناصري ، كان من أكابر الأمراء عند الخليفة العباسي ، الناصر لدين الله وأخلصهم عنده ، كان حسن السيرة ، ولاه الخليفة إمرة الحاج سنة ٦١٧هـ ، فكان كثير الحماية للحجاج قتل في مكة المكرمة في نفس السنة ، في الصراع بين أبناء قتادة على الحكم ، فحزن عليه الخليفة حزناً شديداً . اليافعي : مرآة الجنان ، ج٤،ص ٣٦. ابن كثير: البداية والنهاية ، ج١٣،ص ٩٢.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج ٩، ص ٣٤٥. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص ٩٢. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٠٢. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٢٥.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٨. ابن فهد : غاية المرام، ج١، ص ٥٧٨، ٦١٧. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٨٦، ٥٨٧.. ناصر البركاتي : بنو رسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي ، ص ١٤٦.

توسيع دائرة حكمه فزحف على مكة واستطاع أن ينهي حكم حسن بن قتادة بعد مواجهة عنيفة عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م و قيل ٦٢٠هـ ١٢٢٣م.[١]

وقد استطاع راجح بن قتادة أن ينهي حكم أخيه حسن بتحالفه الخارجي مع حكام اليمن الأيوبيين ، ولكنه خسر في نفس الوقت منصب الإمارة بمعنى أنه فقد الحكم الذي كان يناضل من أجله وأصبح أحد أمراء سلطان اليمن ، وخلال صراع حكام اليمن مع سادتهم سلاطين الدولة الأيوبية على مكة أصبح راجح أحد القادة العسكريين في الصراع، في محاولة منه للحصول على الإمارة. هذا وقد كان الملك المسعود الأيوبي من الذكاء بمكان حيث أبعد راجح عن مكة مقر الزعامة الدينية والسياسية للحجاز وجعله والياً على منطقة حلي[٢] والسرين[٣] ونصف المخلاف[٤] الذي يقع من حدود منطقة حلي إلى منطقة الشرجة[١] في

---

(١) النويري، أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق فوزي العنتيل ، ط بدون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٤٠٥هـ ، ج ٢٩، ص ١٢١. ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ص٢٠٧. الفاسي : العقد الثمين،ج١، ص ١٢٠، ج٣، ص ٤٠٣. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٧٦. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٣، ص ٣٤. ابن فهد :غاية المرام ، ج١،ص ٥٩٠. يحيى بن الحسين : غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق سعيد عاشور ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ ، ص ٤١٠.

(٢) حلي : مدينة صغيرة يتبعها مجموعة من القرى الواقعة على امتداد وادي حلي الذي يأتي من مرتفعات عسير ، تقع جنوب القنفذة على بعد٦٠كيلاً وهي اليوم أطلالاً و لم يبق بها سوى بعض القرى في الوادي ، تعرف قديماً بحلي بن يعقوب ، . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص ١٧٨. عبد الرحمن صادق الشريف : جغرافية المملكة العربية السعودية ، دار المريخ ، ط١، ١٤٠٤هـ، الرياض ، ج٢، ص٢٠٨ . دائرة المعارف الإسلامية= =، ج٨، ص ٥٧. عاتق بن غيث : بين مكة واليمن ، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤هـ،١٧٦.

(٣) السرين : ميناء على ساحل البحر الأحمر الشرقي يبعد عن الليث٤٣كم جنوباً ، وهو بين مكة وحلي . كان من المدن التجارية الهامة في صدر الإسلام .ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥ص٤٥ . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ط١، ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،١٤٠٧هـ،ج٥،ص ١٤.أبو إسحاق الحربي: المناسك وطرق الحج ومعالم الجزيرة ،تحقيق حمد الجاسر ، دار اليمامة ، الرياض ،١٣٨٩هـ، ص ٦٤٦.

(٤) المخلاف هي: المنطقة والناحية والأطراف ، قيل : في كل بلد مخلاف وهو عند أهل اليمن تعني المنطقة الواسعة التي ينزل بها الناس ، والمقصود هنا المخلاف السليماني نسبة إلى أحد أمرائه وهو سليمان بن طرف الحكمي من أهل النصف الثاني من القرن الرابع الهجري الذي وحد مخلاف حكم ومخلاف عثر تحت أمرته باسم المخلاف السليماني ، وظل بعد ذلك علماً على المنطقة الممتدة من الشرجة في ساحل الموسم جنوباً إلى بلاد حلي بن يعقوب شمالاً . ابن منظور : لسان العرب ،ط١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان، ١٤١٩هـ، ج٤،

ساحل اليمن ، وبهذا يكون قد جعله مراقباً لمنطقة الساحل من اليمن إلى مكة مما يدل على اهتمام الملك المسعود بالتجارة القادمة من اليمن إلى الحجاز ، ثم أقام بمكة نائباً عنه مع قوة عسكرية للدفاع عنها ضد أي قوة مهاجمة .

أما حسن بن قتادة فقد عاد إلى منبع حكومته الأساسي في وادي ينبع بعد الهزيمة وأخذ يجمع الأنصار ويحشد القوات وزحف لاسترداد ملكه ولكن استطاعت القوات اليمنية المتواجدة في مكة أن تنزل به هزيمة ساحقة عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م [٢]

لم يستطع بعدها أن يقوم بأية محاولة عسكرية من داخل شبه الجزيرة فقرر الاستعانة بالقوى الخارجية فزار الشام فلم يجد قبولاً ثم سافر إلى العراق و لم يجد قبولاً أيضاً وذلك لما سبق منه في معاملته لحجاج العراق ومقتل أمير حملته عام ٦١٨هـ/ ١٢٢١م ، وكاد أهل العراق قتله لمواقفه السابقه من قتل أمير الحج العراقي عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م ، ولكن وافاه الأجل في العراق ودفن فيه ٦٢٣هـ/١٢٢٥م.[٣]

ثورة الشريف حسن[٤] بن علي بن قتادة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م

ص ١٩١. محمد أحمد العقيلي : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ط بدون ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٩هـ ،ج١، ص ١٤.

(١) الشرجة : مدينة تجارية بساحل اليمن ، وهي مدينة صغيرة وبيوتها من الشجر والقصب وهي من أراضي اليمن في المملكة العربية السعودية الجنوبية على ساحل البحر الأحمر . المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٨٥. القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥،ص١٢. محمد العقيلي : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ص١٢٤.

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢، ٣٤١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٣٦. ابن فهد : غاية المرام، ج١،ص٥٨٣. . يحيى بن الحسين : غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، ص٤١٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢، ص٢٩٠. الطبري :الأرج المسكي ، ص ١١٨

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢، ٣٤١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٣٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٨٣،٥٩٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢، ص٢٩٠. المقريزي: السلوك ، ج١، ص ٣٣٣. الطبري :الأرج المسكي ، ص ١١٨. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٧٠. الطربي : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١١٩. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤١٠.

(٤) الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسني المكي أبو سعد ، صاحب مكة وينبع ، ولي إمرة مكة نحو أربع سنين ، انتزع مكة من القوات اليمنية عام٦٤٧هـ ، فاستقل بالحكم ، كان فاضل

بعد أن توفي الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر بن أيوب الأيوبي صاحب اليمن في مكة في الرابع والعشرين من جماد الأولى عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م بسبب مرض أصابه وهو في الطريق بين اليمن ومكة ودفن بها ، فتولى نائبه على اليمن الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول [١] على ما كان تحت يد سيده الملك المسعود من مناطق اليمن والحجاز.[٢] أخذ في العمل على الاستقلال عن القيادة السياسية في مصر ، مما عجل بالصدام المسلح بين الطرفين وكانت مكة ميدان هذا الصدام .

هذا وقد عمل السلطان نور الدين بن علي بن رسول في نفس الوقت على تعيين نوابٍ من عنده على مكة .كما عمل على استخدام القيادات البارزة من أبناء وأحفاد قتادة بن إدريس بن مطاعن وهم أبناء الأسرة الحاكمة قبل أن ينتزعها منهم الملك المسعود يوسف الأيوبي عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م كقادة لجيوش الدولة الرسولية اليمنية وحماة لبعض الحصون العسكرية التي كان الهدف منها صد الحملات العسكرية المصرية مثل أبي سعد الحسن بن

الأخلاق ، شديد الحياء شجاعاً كريماً ، قتل في أوائل رمضان سنة ٦٥١هـ . الفاسي: العقد الثمين ، ج ٣، ٣٩٧. ابن فهد : غاية المرام ج ١، ص ٦٣٣. عبد الفتاح راوه ، تاريخ أمراء البلد الحرام ، ص١٥٨.

(١) هو السلطان نورالدين عمر بن علي بن رسول، الملك المنصور ، أول ملوك الدولة الرسولية في اليمن ،كان أحد قادة الملك المسعود الأيوبي ، وبعد وفاته استقل بملك اليمن وجميع المناطق التي كان يحكمها الملك المسعود ، كان شجاعاً مهيباً سائساً جواداً ، توفي عام٦٤٧هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢٣، ١٧٣. المقريزي : الذهب المسبوك ،ص ٧٩. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٤٣٣.

(٢)النويري : نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ١٥٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ٣٦٠، ج٦، ص ٢٥٦. ابن فهد : إتحاف الورى، ج٣،ص ٤٥. السنجاري: منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٩٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩٠. ابن العماد: شذرات الذهب ج٥، ص ١٢٠.

علي بن قتادة ، الذي جعله قائداً لحصن عسكري في منطقة وادي مر [1] على الطريق الذي تسلكه القوافل القادمة إلى مكة من جهة الشام ومصر عام ٦٣٩هـ /١٢٤١م[2] .

ويلاحظ هنا أن السلطان عمر بن علي بن رسول في خطوته هذه أراد تحقيق ثلاثة أمور الأول : أن يجعل من أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة حليفاً له في المنطقة وهذا يدلنا على قوة أبي سعد وسيادته التي برزت في الصدامات بين الأيوبيين والرسوليين والثاني : أن يجعله نداً لراجح بن قتادة حليفه السابق بحيث لا يستقل أحدهما عن سلطته إلا نازعه الآخر ، والثالث: أن يكون أبو سعد الحسن بن قتادة خصماً عنيداً للأيوبيين يمنع بقوته في وادي مر الحملات العسكرية المصرية من الهجوم على مكة بشكل مفاجئ مما يعطي نوابه فرصة من الوقت في التصدي للحملات والعمل على إفشالها وهذا لما يتمتع به أبو سعد خصوصاً والأشراف عموماً بكثرة الأنصار والمعاونين في منطقة وادي مر ، لذا يكون ولاء سكانه من البادية أقرب من ولائهم لأي قائد من خارج المنطقة .

وإضافة إلى ما يتمتع به أبو سعد الحسن بن علي من صفات قيادية كما أسلفنا فقد أخذت هذه الدوافع تدفعه إلى التفكير في الهجوم على مكة وانتزاعها من واليها اليمني مستغلاً الظروف التي سنحت له عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م ، وكان الدافع الثاني ولاء السكان من القبائل البدوية الذي جعله يعتمد على قوة عسكرية تدين له ولأسرته بالولاء ويحركها متى أراد .

وفي عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م أقدم السلطان عمر بن علي بن رسول على تعيين محمد بن أحمد بن المسيب [1] نائباً عنه بمكة وكانت هذه الخطوة من السلطان غير موفقة حيث أن

---

(١) وادي مر : هو وادي مر الظهران وهو من أكبر أودية الحجاز خصوبة ومياهاً وسكاناً ، كان فيه ما يقارب ثلاثمائة عين ماء جارية ، يأخذ أعلى مساقط مياهه من منحدرات السراة الشرقية ، ويتكون من رافدين عظيمين هما وادي نخلة الشامية ، ووادي نخلة اليمانية ، كما تصب به روافد عديدة ، سكنته خزاعة قديماً ، وفي العهد الإسلامي امتلك الأشراف بنو حسن الوادي حتى سمي وادي الشريف وهو اسمه إلى الآن . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٨، ص ٢٤٧. عاتق بن غيث : معالم مكة التأريخية والأثرية ، ص٢٥٨.

(٢)الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٦٩.الفاسي: العقد الثمين ، ج ٣، ص ١٢٣. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٥٧. ، ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٦٢٩. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١،ص ١٢٠.

نائبه الجديد ابن المسيب لم يكن من الحنكة السياسية والعسكرية بمكان ، حيث قام بتغييرات سريعة على السكان مما وضعه السلطان نورالدين عمر بن علي بن رسول أفقدته ولاءهم ومنها : أنه أعاد الجبايات [2] ، والمكوس[3]، وقلع المربعة[4] التي وضعها السلطان نور الدين على زمزم لكي تنظم حقوق المواطنين بمكة في مسألة الجبايات ورفع المظالم عنهم مما يقيد الولاة بعدم التعرض لأخذ أموال الناس بالباطل . وكان هذا العمل كفيلاً بانصراف الناس عن تأييد حكام الدولة الرسولية ، كما أقدم على أعمال أخرى كانت جميعها تؤدي إلى الخسران والسقوط وضعف السلطة منها :أنه استولى على الصدقات التي كانت تأتي إلى مكة من اليمن مما أدى إلى ضائقة اقتصادية ، وبنى حصناً في منطقة نخلة سماه العطشان يكون القصد منه حماية ولايته من هجوم خارجي مما يؤكد أنه كان يعمل على الاستقلال عن حكومة بني رسول في اليمن ، ومما يؤيد ذلك أنه عقد حلفاً مع قبيلة هذيل [5]واستوثق منهم

---

(١) هو : محمد بن أحمد بن المسيب اليمني ، ولي مكة عام ٦٤٦هـ ، بأمر الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ملك اليمن بعد عزل ابن الشلاح ، كان له أعمال غير حكيمة ، فكرهه الناس بمكة ، ثار عليه الحسن بن علي بن قتادة وأنهى إمارته عام٦٤٧هـ . الفاسي :العقد الثمين ، ج٢، ص ٨٩.

(٢) الجبايات : من جبى بمعنى الجمع جمعه ، وجبي الخراج استيفائه ، وجمعه وتحصيله . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص١٧٦. الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، ط بدون ، دار الفكر ، بروت ، لبنان ، ١٤١٥هـ، ص ١١٤٢ . ابن عباد : المحيط في اللغة ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ ، ج٧، ص ١٩٨.

(٣) المكوس : جمع مكس وهو بمعنى الجباية مكسه يمكسه مكساً : دارهم تؤخذ من بائع السلع في الأسواق ، وهي ضريبة تأخذها المكاس ممن يدخل البلد من التجار والفلاحين على البضائع التي يقدمون بها . ابن منظور : لسان العرب ، ج١٣، ص ١٦٠. الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، ص٥١٨. ابن عباد : المحيط في اللغة، ج٦، ص ١٩٣.ص مصطفى الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ص٤٠٦.

(٤) عندما قدم الملك المنصور عمر بن علي بن رسول إلى مكة عام ٦٣٩هـ أبطل سائر المكوس والجبايات والمظالم التي كان يأخذها أمراء مكة من الناس ، وكتب أمره هذا على حجر مربع وجعله على جدار مبنى زمزم قبالة الحجر الأسود لكي يراه الناس . الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٦٤. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص١٢٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٦٢٩.

(٥) هذيل : إحدى القبائل المضرية ، وهم بنو هذيل بن مدركة بن إلياس بن نزار معد بن عدنان ، وهي من القبائل= =الحجازية ولهجتهم أقرب اللهجات إلى الفصحى ، وتنقسم اليوم إلى قسمين شمالي وجنوبي ، وتقع ديار هذيل في أطراف مكة المكرمة من جهة الشرق والجنوب وتصل إلى مدينة الطائف ، وهي عدة بطون منها المطارفة ، والمساعيد ، ودعد ، وغيرهم .

بالأيمان لنفسه ، ثم قام بعمل أضعف سلطته وجعله عرضة لكل طامع وهو أنه منع عن الجنود مرتباهم مما جعل ولاءهم تجاهه يضعف بشكل مخل ، وهذا العمل أخل بما اتفق عليه مع السلطان عمر بن علي بن رسول عندما ولاه حيث تعهد للسلطان بالمال من الحجاز وكفاية الجند، بمعنى أنه يقوم بدفع مرتبات الجند من النفقة اللازمة التي كانوا يتقاضونها من قبل الدولة ، ومع ما يكن من تصرفات سيئة من قبل ابن المسيب إلا إن اللوم يقع على السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول الذي رغب في تحصيل الأموال والتخلص من مرتبات الجند مما يدل أن السلطان كان يعاني من ضائقة مالية دفعته لقبول عرض ابن المسيب ، ومع ما سبق من ظروف وأسباب استغلها أبو سعد حسن بن علي بن قتادة فقام بثورته بعد أن تمكن من بعض القبائل وخصوصاً قبيلة زُبيّد [(١)] وضع خطة عسكرية ماهرة للقضاء على القوات اليمنية ، وذلك أن القوات اليمنية كانت تنقسم إلى فرقتين تقوم يومياً بعملية حراسة لمكة فتخرج إحداها إلى أعلى مكة وفي نفس الوقت تخرج الأخرى إلى أسفلها.
وهذا عرض عسكري مستمر يبين مدى حرص القوات اليمنية على المحافظة على البلد من كل معتد ، فكانت خطة أبي سعد الحسن بن على بن قتادة هو ضرب إحدى الفرقتين وشل حركتها بالكامل في وقت ابتعاد الفرقة الثانية ، وعندما يقضى على الأولى تصبح الثانية غير قادرة على المقاومة ، وقام أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة بتنفيذ خطة ثورته العسكرية بكل مهارة وإتقان فهاجم بقواته إحدى الفرقتين مما يدل أن ثورته كان يخطط لها في الكتمان مما جعل الأمر مفاجئاً للقوات اليمنية ،فقام بتنفيذ خطته في يوم الجمعة التاسع من ذي القعدة عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م بمهاجمة الفرقة الأولى وبعد انتصاره عليها ، ضعفت الفرقة االثانية عن المقاومة فاستسلمت مما يؤيد عدم تأييد القوات اليمنية لابن المسيب لمواقفه

السويدي ، محمد أمين : سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ، ص٧٣. عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ،ط٣، ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢هـ،ج٣، ص ١٢١٣. عاتق بن غيث ، معجم قبائل الحجاز ، ج٣، ص ٥١٨.

(١) زُبيّد : هي أحدى القبائل المنفصلة عن قبيلة حرب وهي بطن من مسروح ، وتسكن الساحل من جنوب جدة إلى ينبع وتدخل في الأودية التهامية ، وكانت فيهم إمارة حرب كافة ومن أشهر قبائلهم زُبيد الشام الذين يملكون ثغر رابغ إلى بدر ، وتفرع منها عشائر كثيرة . عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب، ج٢ ، ص ٤٦٥. عاتق بن غيث : معجم قبائل الحجاز ، ج٣، ص ١٨٠.

السابقة، وتقصيره في مرتبات الجند فأسلموه لأبي سعد فقبض عليه وسجنه وأخذ ما معه من الخيل والسلاح و الأموال ، ثم قام بعمل ذكي يدل على حنكته السياسية وجمع تأييد سكان مكة له وكسب تأييد القيادة السياسية لثورته في اليمن حتى لا تعتبره ثائراً عليها فتعمل على إخراجه من الإمارة ، وذلك أنه أحضر أعيان أهل مكة وأخبرهم أن ثورته إنما القصد منها المحافظة على أموال الدولة التي أراد ابن المسيب الهرب بها إلى العراق وأن ابن المسيب مخالف للسلطان نور الدين عمر بن رسول وأنه قد تيقن خلافه وتمرده عليه ،أما أبوسعد الحسن بن علي فهو تابع للسلطان يتصدى لكل من يخالفه، وبهذا يوحي للدولة أنه غير طامع في السلطة ولكنه خادم مطيع لها يمتثل أوامرها ويحافظ على مقدراتها.(١)

وبعد نجاح أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة بثورته بأيام قليلة وصلت الأخبار بوفاة السلطان عمر بن علي بن رسول ، وكان هذا الخبر ساراً لأبي سعد حيث أصبح سيد مكة بدون منازع.(٢)

ثورة الشريف راجح بن قتادة الحسني الثانية ٦٤٨/١٢٥٠م:

بعد أن نجح حسن بن علي بن قتادة في انتزاع مكة من أميرها ابن المسيب عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م واستقرار الأمور له بوفاة سلطان اليمن السلطان عمر بن علي بن رسول في نفس العام كما أسلفنا ، كان هذا النجاح ظهوراً لشخصية جديدة وزعيم قوي فرض نفسه على القوى السياسية المتصارعة على الحكم وأيضاً على أسرة آل قتادة بني مطاعن الذين فقدوا سلطتهم عندما أصبحوا ولاة وقادة لسلاطين اليمن .

ومع هذا البروز لهذه الشخصية الجديدة شعر راجح بن قتادة أنه أولى من ابن أخيه الشريف حسن بن علي بن قتادة بالحكم ، وذلك لتضحياته السابقة في المطالبة بحكمها منذ أن تزعم الثورة الأولى في العام الذي قتل فيه والده ، وما قام به من جهود في هذا السبيل ،

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٣٧٩. ابن فهد: إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٦٨. ابن فهد : غاية المرام ج١، ص ٦٣٣. الجزيري: الدرر ، ج ١، ص ٥٩٦. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٤٣٥. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣١١.الطبري : اتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١٢٠.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٧٧. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٤٣٥. ابن فهد: إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٦٨. الجزيري: الدرر ، ج ١، ص ٥٩٦. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٩.

لهذا لم يرض راجح بن قتادة أن تذهب تضحياته سدى، فقرر الثورة على ابن أخيه حسن بن علي بن قتادة . عندما غابت عن الساحة القوات العسكرية الخارجية والتي كانت كفيلة بإزاحة ابن أخيه عن الحكم.

وقد تراجع مركز راجح القيادي منذ أن ولاه الملك المسعود كما مر بنا على حلي والسرين ونصف المخلاف مما أبعده عن حكم مكة وإسناد الحكم فيها إلى ولاة من اليمن ، وقد تلت الدولة الرسولية سابقتها الدولة الأيوبية في اليمن من تولية نواب لها من قادة اليمن ، مستبعدة راجح وأفراد أسرته عن الحكم و استخدامهم قادة مساندين لقادة الحملات العسكرية التي تأتي من اليمن ، وما أن تحقق الحملات أهدافها حتى يستبعد الأشراف عن المراكز القيادية في الحكم ؛ هذا وكان أول تغير ضد راجح بن قتادة سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م، وذلك عندما تغيب عن مواجهة السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول عندما قدم بحملة عسكرية ويبدو أن راجح بن قتادة لم يحسن التصرف مع الجند اليمنيين حيث كان المسؤول عن المبالغ المالية التي أرسلها السلطان له للتزود بها وصرفها على التسليح للتصدي للحملات المصرية. (١)

ومع هذا التصرف من راجح بن قتادة إلا أن حنكة الملك المنصور الرسولي جعلته يغض الطرف عن تصرف راجح، ويعمل على استخدامه مثل ما كان في السابق ومع هذا لم يتمكن راجح من التحرك نحو الاستقلال بمكة ،وذلك للتنافس المحموم بين الدولة الأيوبية في مصر والدولة الرسولية في اليمن وما صاحب ذلك من قدوم حملات عسكرية قوية لم تعط راجح بن قتادة الفرصة في السير نحو الاستقلال ، فقنع بما حصل عليه من مراكز عسكرية مترقباً ما تسفر عنه هذه الصدامات ولكن فوجئ بتحرك سريع من ابن أخيه حسن بن علي بن قتادة حالفه الحظ في النجاح العسكري وحالفه الحظ أيضاً في وفاة الزعيم اليمني في نفس الوقت، مما جعله سيد مكة بدون منازع ، هنا قرر راجح بن قتادة أن يعود إلى محاولة استعادة إمارته من ابن أخيه ويبدو هنا أن راجح بن قتادة لم يقدر قوة ابن أخيه حسن

---

(١)الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٥٤. الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٨٠. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩٢.ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٦٢١. ناصر البركاتي : بنو رسول وعلاقاتهم بالبيت الأيوبي، ص١٥٥.

بن علي بن قتادة حيث لم يحالف أنصاره السابقين حكام اليمن ، فاتجه لطلب المساعدة من حكام المدينة المنورة أبناء عمومته بني الحسين بن علي بن أبي طالب ،وذلك لأنه تربطهم به صلات قربى حيث إن والدته منهم ولهذا التجأ له م،فما كان من حكام المدينة المنورة إلا أن أمدوه بقوة عسكرية قدرها (٧٠٠) فارس بقيادة الأمير عيسى الحسيني [1]، فزحف راجح بهذه القوة ، وقد وصلت أخبار هذه الحملة سريعاً إلى مكة فأرسل حسن بن علي بن قتادة إلى ابنه في ينبع يستدعيه وهذه خطة ذكية حيث أوقع أعداءه بين قوتين ، فخرج أبو نمي [2] بن حسن بن علي بن قتادة مسرعاً على رأس قوة صغيرة تقدر بـــ(٤٠) فارساً لنجدة والده وفي الطريق صادف حملة عمه راجح قاصداً مكة فهاجمهم بقوته الصغيرة واستطاع بقدرة الله أن يفرق جمعهم وينزل بهم هزيمة نكراء أنهت الحملة وحكمت عليها بالفشل السريع.[3]

وهذه لم تكن متوقعة إذا نظرنا إلى أعداد القوتين. وهذا يدل على أمرين ، الأول: شجاعة أبي نمي ومن معه حيث لم يتوان في مهاجمة الحملة والثاني : استخدامه لعنصر المفاجأة حيث إن راجح بن قتادة ومن معه لم يتوقع الهجوم الخلفي من جهة ينبع ، والظاهر أن انهزام الحملة كان لتوقعهم أن هذه الفرقة مقدمة لجيش آخر ودل على ذلك إقدامها على الهجوم السريع مع قلة عددها ، كما أنهم سوف يصبحون بين قوتين الأولى القادمة من مكة بقيادة حسن بن علي بن قتادة والثانية هذه التي بدأت طلائعها مع أبي نمي ، ومما يؤيد هذه الواقعة وأن أبا نمي فاجأها ، ما ذكر من أحداثها أنه من هول المفاجأة أن قائدها الأمير عيسى قد انتشرت عمامته و لم يستطع إعادتها وذلك لانشغاله بالهرب خوفاً من القتل وكان

---

(١) هو الأمير عيسى الحسيني المدني أحد الفرسان المعدودين في زمانه ويعد من أبطال بني الحسين أمراء المدينة المنورة لشجاعته ومهارته القتالية ، وكان يلقب بالحرون لشدة بأسه في القتال .

ابن عنبة : عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، ص ١١١.ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٠. ، السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣١٣.

(٢) هو : محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن ، الحسني أبو نمي ، ولي إمرة مكة نحو خمسين سنة إلا أوقات يسيرة ، شريكاً ومستقلاً في بعضها ، كان أميراً كبيراً ، يحب الأدب وأهله ، ويجالس الشعراء ويعطيهم الإجازات السنية ، كان ضخم الجثة أسمر اللون ، ذا عقل وسياسة ، شجاعاً محتشماً توفي عام ٧٠١هـــ. الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ١٤٨.

(٣)ابن عنبة : عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، ص ١١١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٠. ، السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣١٣.

يجرها خلفه مما يدل أنهم لم يكونوا على استعداد كامل بلبس السلاح الواقي والاستعداد للمواجهة العسكرية ، وأيضاً أن جند حملة راجح بن قتادة لم يكن لهم دافع كبير يحملهم على مواصلة القتال والزحف فكان تفرقهم هذا فرصة لهم ليتخلصوا من مساعدة راجح بن قتادة ، والدليل على هذا أنهم لم يعاودوا الكرة مع راجح وينتقموا من هذه الهزيمة التي لحقت بهم وبهذا نرجح انهزام الحملة ورجوعها متفرقة وفشل ثورة راجح بن قتادة الثانية.(١)

المبحث الثاني: الثورات الداخلية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي ٦٤٨هـ/١٢٥٠م-٩٢٣هـ/١٥١٦م

---

(١) وصف هذه الموقعة الشاعر : السيد جعفر الحسيني بقصيدة يمدح فيها أبا نمي ويشير إلى أمير الحملة راجح والأمير عيسى الحرون وهروبه وتفرق الحملة بقوله :

ألم يبلغك شأن بني حسين … وفرهم وما فعل الحرون

فيا لله فعل أبي نمي … وبعض البأس يشبهه الجنون

يصول بأربعين على مئات … وكم من كثرة ظلت تهون

ابن عنبة : عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، ص١١١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٠. ، السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣١٣.

ثورة الشريف جماز[1] بن حسن بن قتادة ٦٥١هـ/١٢٥٣م:

استمر أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة في حكم مكة بعد هزيمة عمه راجح بن قتادة على يد أبي نمي بن حسن بن علي بن قتادة كما مر معنا سابقاً عام ٦٤٧/١٢٤٩م ، ولكن لم تستقر له الأمور حيث ظهر منافس جديد من نفس الأسرة يطمع في الحكم وهو جماز بن حسن بن قتادة ، حفيد مؤسس الإمارة قتادة بن مطاعن الحسني ، وابن حسن بن قتادة الذي تولى الحكم بعد مقتل والده قتادة ، وبهذا يعتقد جماز أن له حقاً في تولي الإمارة بحكم الوراثة ، ويبدو أن جماز بن حسن لم يكن لديه العدد الكافي في داخل منطقة الحجاز من المؤيدين الذين يستطيع انتزاع الإمارة بهم ، كما يبدو أنه قرر أن يحقق نجاحاً سريعا في محاولته لذا قرر الاستعانة بقوة خارجية فاتجه إلى بلاد الشام وخصوصاً إلى مدينة دمشق واستطاع أن يأتي بحملة عسكرية منها ، ولكن قبل أن تؤدي الحملة العسكرية مهمتها، وذلك عندما قاربت الحملة مكة خرج جماز مع عدد من أتباعه الخاصين ودخل مكة خفية واستطاع مباغتة أبي سعد والفتك به ،وانتزاع الإمارة [2]. وبهذا يكون جماز قد أراح الحملة من عناء القتال عندما أقدم على خطوته الجريئة هذه ، وقد اختلف المؤرخون حول الشهر الذي وقعت فيه الثورة ،فقد ذكر بعضهم أنها حدثت في أوائل رمضان وقال آخرون أنها كانت في الخامس من شوال عام ٦٥١هـ /١٢٥٣م[3] ،والأرجح أنها وقعت في الخامس من شوال ، وذلك ما ذكره الميورقي الذي كان معاصراً للحدث ومن أهل مكة ، ومما يرجح هذا القول أن ما ذُكر عن الحملة أنها كانت مع الركب وعادة لا يخرج ركب الحجاج إلا بعد عيد الفطر المبارك وفي شهر شوال الذي هو من أشهر الحج .

---

(١) هو جماز بن حسن بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني المكي ، أمير مكة وليها عام٦٥١هـ بعد قتل حسن بن علي بن قتادة في مكة ، استقر ببلدة ينبع بعد أن أخرجه عمه راجح بن قتادة عام٦٥٣هـ . الفاسي :العقد الثمين ، ج٣، ص ٢٨٣. ابن فهد : غاية المرام ،ج١، ص ٦٣٨. ابن تغري بردي ، جمال الدين يوسف : الدليل الشافي على المنهل الصافي ، ج١،ص ٢٥٠

(٢) ابن خلدون: تاريخ بن خلدون ،ج ٤، ص ١٣٧. الخزرجي : العقود اللؤلؤية، ج١، ص ١٢٤. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٢٨٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٧٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩٨. العصامي: سمط النجوم العوالي ، ط١، ج٤، ص ٢٣٦.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٧٤.

وقد استمر جماز في إمارته حتى نهاية شهر ذي الحجة من نفس العام حيث هاجمه عمه راجح بن قتادة وأجبره على مغادرة مكة (١)

ثورة الشريف راجح بن قتادة الثالثة٦٥٢هـ/١٢٥٤م

لم يتمتع جماز بن حسن بن قتادة بانتصاره على ابن عمه أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة ، وذلك لظهور خصم عنيد وله تاريخ مثير في الصراع السياسي والعسكري على إمارة مكة ألا وهو عمه راجح بن قتادة ، الذي كان يرقب الأحداث في المنطقة ويتحين الفرصة في استعادة الإمارة التي ناضل في سبيل الوصول إليها كثيراً منذ وفاة والده قتادة ؛ ويعتبر ما قام به جماز من القضاء على أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة مكسباً كبيراً لراجح بن قتادة حيث إن جماز بن حسن أزاح من أمام راجح خصماً عنيداً صعب المراس لم يستطع راجح التغلب عليه ، ولتحقيق مكسب هذا الإنجاز تحرك راجح إلى مكة لانتزاعها من أميرها الجديد جماز بن حسن بن قتادة ، وقد استطاع أن يجبر جماز بن حسن على الخروج من مكة والعودة إلى ينبع (٢) ويتبين لنا أن راجح بن قتادة استغل الموقف أحسن استغلال من عدة وجوه ، منها: أنه لم يقدم على الزحف على مكة إلا في نهاية شهر ذي الحجة مما يؤكد خلوها من أي قوات عسكرية مصاحبة للحجاج قد يستغلها لصالحه جماز بن حسن وخصوصاً الجند الذين كانوا تحت قيادته الذين قدم بهم من الشام مع ركب الحجاج،ومنها : أنه استغل غضب الأشراف من مقتل أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة فلن يساعد جماز بن حسن أحد من الأشراف مع قصر المدة حيث لم يتمكن جماز من كسب السكان وجمع الأعوان في الوقت الذي لدى راجح من الأنصار والأعوان والخبرة العسكرية والسياسية ما

---

(١) ابن خلدون: تاريخ بن خلدون ،ج ٤، ص ١٣٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٢٨٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٧٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢، ٣١٥. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١٢٤.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٢٨٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٧٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٦٣٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩٨. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤،ص ٢٣٦.عبد الفتاح راوه : تاريخ أمراء البلد الحرام ، ص١٥٩.

ليس لدى جماز ؛ ومع أن المصادر لم تذكر لنا أن راجح بن قتادة اعتمد في ثورته هذه على قوات يمنية فلو كانت هناك قوات يمنية مساندة لراجح لكانت قادمة مصاحبة للحجاج ولحصل الصدام بينها وبين القوات التي قدم بها جماز في الموسم ولكن لم تحصل مواجهة عسكرية مما يؤكد أن المساعدين لراجح في ثورته هذه كانوا من داخل الحجاز ومن داخل البيت الحاكم وهذا ما جعل جماز بن حسن يخشى أن يحدث له ما حدث من قِبله لابن عمه أبي سعد الحسن بن قتادة من اغتيال . ويتضح أن جماز بن حسن كان يفتقر للأنصار من داخل الحجاز ، بدليل أنه لم يقاوم قدوم راجح بن قتادة ، ومن مال إليه وخطب باسمه هو أحد أفراد البيت الرسولي سلطان اليمن الملك المظفر [1] الذي يرتبط بهم راجح بن قتادة منذ زمن بعيد بعلاقات صداقة وثيقة جداً ، لهذا فضل الانسحاب دون مقاومة تاركاً مكة المكرمة لراجح بن قتادة[2] .

ثورة الشريف غانم[3] بن راجح بن قتادة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م

(١) الملك المظفر : هو يوسف بن عمر بن علي بن رسول الملك المظفر ، صاحب اليمن ، تولى حكم اليمن بعد والده المنصور عمر ٦٤٧هـ ، واستمر حتى وفاته ٦٩٤هـ، كان له صدقات كثيرة في مكة ، وكان محباً للعلم وأهله كريماً عفيفاً وهو ثاني ملوك بني رسول في اليمن.الفاسي ، العقد الثمين ، ج٦، ص٢٥٣. ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج٢، ص٨٠٤.الزركلي، الأعلام، ج٨،ص ٢٤٣.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٢٨٣.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٧٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٦٣٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩٨. الطبري : اتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١٢٤.

(٣) هو غانم بن راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني ، ثار على والده راجح وانتزع منه إمارة مكة سنة ٦٥٢هـ ، ثم تركها مكرهاً لأبي نمي بن حسن بن قتادة و إدريس بن قتادة ، في نفس العام بعد ثلاثة شهور من ثورته . الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٥،ص ٤٤٣. ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، ج٢، ص٥١٨.

لم يستمر راجح بن قتادة في حكم مكة بعد أن انتزعها من ابن أخيه جماز بن حسن بن قتادة سوى ثلاثة شهور ،مثل المدة التي قضاها جماز في الحكم بعد التخلص من أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة ،حيث تذكر المصادر أن غانم بن راجح بن قتادة أخرج والده في ربيع الأول سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م بدون قتال [١] ويبدو هنا أن راجح بن قتادة لم يقاوم ظهور ابنه غانم فسلم له البلد بدون قتال ،ويُحتمل هنا أمران ، الأول: أن غانم بن راجح استطاع أن يجمع له من الأنصار ما يفوق أنصار والده مما جعل والده يسلم الإمارة بدون مقاومة لقلة أنصاره وتيقنه من النتيجة مسبقاً ، والثاني : أن راجح بن قتادة قد تعب من الصراع على الإمارة ، فقد ناضل في سبيل الحصول عليها بشتى الطرق مدة (٣٥) عاماً وقد كبر سنه وضعف ، فعندما خرج له منافس من صلبه قرر الخروج من ساحة الصراع مفسحاً الطريق لابنه على كره منه حيث نستدل على هذا أنه لم يمد لابنه يد العون في صراعه على التمسك بالحكم ضد منافسيه ، ولم يعاود الكرة على استعادة الإمارة ثانياً ويرضى بالخلود للراحة في منطقة السرين مبتعداً عن الصراع السياسي [٢]، وبهذا طوى راجح بن قتادة صفحة نضاله المستميت.

---

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج١، ص١١٥. الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٤، ص٨١، ج٥، ص ٤٤٣. المقريزي ، السلوك ، ج١، ص٤٨٦. ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٣، ص ٧٦. ابن فهد ، غاية المرام ، ج١، ص ٦٤٠. الجزيري ، الدرر ، ج٣، ص ٥٩٨.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ١٧٥. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٣، ص ٧٨. الجزيري : الدرر ،ج١،ص ٦٠٠.

ثورة الشريفين أبي نمي بن حسن بن علي بن قتادة و إدريس [1] بن قتادة الأولى ٦٥٢هـ/١٢٥٤م

لم ينعم غانم بن راجح بن قتادة بحكم مكة بعد إخراج والده راجح بن قتادة سوى سبعة أشهر، فقد ظهر في شهر شوال من نفس العام أبو نمي محمد بن حسن بن علي بن قتادة ، و إدريس بن قتادة في تحالف هو الأول من نوعه بين شخصيتين من رجال البيت الحاكم في النضال لانتزاع إمارة مكة من غانم بن راجح بن قتادة وحكمها بالشراكة ، واستطاعا انتزاع الإمارة من غانم بن راجح بثورة كانت خسائرها من البشر قليلة جداً ، مما يدل على أنها كانت على درجة عالية من التنظيم ، واستمالة الأتباع ، حيث يبدو أن الثائرين استطاعا أن يجمعا حولهما عدداً كبيراً من الأتباع، بحيث لم يستطع غانم بن راجح أن يقاوم بشكل قوي ، و لم يسقط في هذه المواجهة العسكرية بين الطرفين سوى ثلاثة قتلى مما يدل أن المواجهة كانت بسيطة للغاية وهجوما سريعاً مخطط له ، ومن أشهر من قتل الشيخ عالي شيخ منطقة المبارك [2]. وبهذا انسحب غانم بن راجح من مكة وسلمها لسيديها الجديدين أبي نمي وعم أبيه إدريس بن قتادة [3]، اللّذين حكما حتى يوم الخامس عشر من ذي القعدة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م ،حيث أجبرهم قوات عسكرية قادمة من اليمن بقيادة مبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس [4] على المغادرة بعد صدام مسلح سقط فيه عدد من القتلى

---

(١) هو إدريس بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني أمير مكة ، ولي إمرتها نحو سبع عشرة سنة شريكاً لابن أخيه أبي نمي في أكثر هذه المدة ، وقد كان يدور بين الحين والآخر صراع بينهما ينتهي في غالبه بالصلح ، قتله ابن أخيه أبو نمي في جماد الأولى سنة ٦٦٩هـ . الفاسي ،العقد الثمين ، ج٣، ص ١٧٥.

(٢) المبارك : عين جارية في وادي الزبارة عند مصب وادي نبع وهو للأشراف المناعمة ومن خالطهم من هذيل ، تبعد عن مكة المكرمة ٣٥ كيلاً شمال شرق ، وأطلق اسم العين على الوادي فقيل وادي المبارك ، وهو يقع بين الزبارة والريان . عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج ٨ ، ص ١٢.

(٣) الخزرجي: العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ١١٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٤٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٧٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج ١، ص ٦٤٠. الجزيري : الدرر، ج٣، ص ٥٩٨.

(٤) هو الأمير علي بن الحسين بن برطاس مبارز الدين ، أرسله الملك المظفر سلطان اليمن الرسولي سنة ٦٥٢هـ ، نجح في دخول مكة وانتزاعها من الأشراف ، وفي العام التالي حلت به الهزيمة من الأشراف ، ولم ينج إلا= =بصعوبة وفدية كبيرة . الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢٤٨.

وشارك في القتال ضد القوات اليمنية الأمير جماز بن شيحة [1] أخو أمير المدينة المنورة ، مما يدل أن أبانمي وإدريس كان لهما مدد خارجي من قبل صاحب المدينة المنورة ، ويتبين أيضاً أن غانم بن راجح لم يكن يحظى بدعم السلطة السياسية في اليمن ، وأنه لم يكن البديل عن والده راجح بن قتادة الذي كان الحليف السابق للحكومة اليمنية ، لذالم تساند الحكومة اليمنية غانم في استعادة الإمارة لموقفه السابق من والده ؛ وأيضاً لم ترض عن حكامها الجدد لذا أرسلت حملتها العسكرية التي حققت نجاحاً كبيراً [2]، وبهذا دخلت مكة تحت حكم السلطات اليمنية من جديد.

ثورة الشريفين أبي نمي محمد بن حسن بن علي بن قتادة و إدريس بن قتادة الثانية ٦٥٣ هـ /١٢٥٥م:

منذ أن خرج أبو نمي بن حسن بن علي بن قتادة و إدريس بن قتادة من مكة بعد هزيمتهما من قِبل القوات اليمنية في الخامس عشر من ذي القعدة عام ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م[3] إلى السادس والعشرين من محرم عام ٦٥٣/١٢٥٥م ، أي ما يقارب ٧١يوماً تقريباً ، وهما يعدان العدة ويجمعان الحشود لاسترداد إمارتهما من السلطات اليمنية ، وقد استعانا بجماز بن شيحة الذي سبق وأن ساند قواتهما في الصدام الأول عند قدوم الحملة عام ٦٥٢هـ/١٢٥٤م ويبدو أن جماز بن شيحة قد أرسله أخوه أمير المدينة المنورة في ذلك

---

(١) هو جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين الحسيني ، عز الدين أبو سند ، أمير المدينة النبوية ، كان شجاعاً مهيباً سايساً حازماً ذا رأي وهمة عالية ، كانت له صدامات عسكرية كثيرة في محاولات لتوسيع دائرة ملكه ، تولى الأمارة سنة ٦٥٧هـ ، استمر أميراً ، حتى كبر وضعف وتنازل لأبنه سنة٧٠٠هـ ، وتوفي سنة٧٠٤هـ. الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص ٢٨٤. ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، ج١،ص٢٥٠.

(٢)الخزرجي: العقود اللؤلؤية ، ج١، ص١١٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢٤٨،ح٢، ص١٤٩. الفاسي: شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤٥. المقريزي : السلوك ،ج١،ص ٤٨٦. ابن فهد : غاية المرام ،ج ٢، ص ٤٥.

(٣)الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢٤٨،ح٢، ص١٤٩. المقريزي : السلوك ،ج١،ص ٤٨٦. فهد : غاية المرام ،ج ٢، ص ٤٥. الجزيري : الدرر ، ج٣،ص٥٨٩. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٩. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١ص ١٢٤.

الوقت الأمير منيف [1] بن شيحة الحسيني لمساندة أبي نمي وإدريس ، وعندما اكتملت الاستعدادات العسكرية زحفا بها[2]، وكان توقيتهما مناسباً جداً حيث إن مكة قد خلت من الحجاج الوافدين وخصوصاً من الحجاج اليمنيين الذين لو تم الهجوم في موسم الحج كان بمقدور القائد اليمني أن يستغل وجودهم ويجندهم لصالح القتال مع قواته وبهذا لم يبق إلا القوات العسكرية اليمنية التي قدمت معه في بداية قدومه والتي تقدر بـــ(٢٠٠) فارس . وقد أُحكم الحصار على مكة من جميع الجهات ودار القتال في وسط البلد وهذا دليل على شدة الحصار الذي ضربه المهاجمان ، واستطاعا أن يترلا بالقوات اليمنية هزيمة ساحقة مما اضطر القوات اليمنية أن تلتجئ بالمسجد الحرام فحاصرتهم القوات المهاجمة في المسجد الحرام ودار القتال في داخله بجوار الكعبة المعظمة مما يدل على كثرة المهاجمين ولم يجد قائد القوات اليمنية أمامه مجال للفرار بعد هزيمته ومقتل غالب جنده إلى أن يستسلم للمهاجمين ويفتدي نفسه بمبلغ من المال ويعود إلى اليمن بمن سلم من جنده وكان هذا في السادس والعشرين من محرم ٦٥٣هـــ /١٢٥٥م.[3]

الخلاف بين الشريفين أبي نمي بن حسن بن علي بن قتادة و إدريس بن قتادة ٦٥٤ هـــ /١٢٥٥م:

لم يستمر الوفاق بين أبي نمي بن حسن بن علي بن قتادة وعم أبيه إدريس ابن قتادة، فما أن تحقق لهم النصر على القوات اليمنية حتى بدأ الشقاق بينهما على السلطة ، مما يدل أن

(١) هو الأمير منيف بن شيحة بن قاسم بن مهنا بن حسين الحسيني ، أمير المدينة المنورة ،تولى أمر المدينة المنورة سنة٦٥٣هـــو توفي سنة ٦٥٧هـــ فتولى أمر المدينة أخوه الأمير جماز بن شيحة بعد تنازل ابن أخيه الأمير مالك بن منيف له بالإمارة . الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٢٨٤. عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ط١، مطبعة المدينة المنورة ، ١٤١٤هـــ ، ج٢، ص ٢٢٢.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ١، ص ١١٥. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤٥. الفاسي: العقد الثمين ،ج٣،ص ١٧٦، ج٥، ص ٢٤٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٧٦. يحيى بن الحسين: غاية الأماني ، ص ٤٤٠. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١٢٤.

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤٥. الفاسي: العقد الثمين ،ج٣،ص ١٧٦، ج٥، ص ٢٤٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٧٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ص ١١. ص٤٨٦. الجزيري : الدرر، ج ١، ص ٥٩٩.

اتفاقهما لم يكن نابعاً من نية صافية وإنما كانت المصالح والأهداف الكامنة لدى كل منها هي التي تحرك العلاقات بينهما ، لذا ما إن تخلصا من العدو الخارجي حتى بدأ أحدهم يحاول التخلص من الآخر وعندما بدأت العلاقة تسوء بينهما ، و تبين أن أبا نمي أكثر مكانة ودوراً في الحكم من إدريس . أحس إدريس بضعف موقفه فخرج من مكة قاصداً أخاه راجح بن قتادة المقيم بمنطقة السرين (1)، ويبدو أنه كان يهدف لجمع الأنصار الأقوياء حوله لكي يوازن قوة أبي نمي المتزايدة عليه ، ولما لراجح بن قتادة من قبول عند السلطة السياسية في اليمن فيمكن عن طريقه تحسين العلاقات مع السلطات اليمنية للاستعانة بها وقت الحاجة ، ويبدو أيضاً أن أبا نمي كان يتوقع هذا التصرف من خصمه إدريس، وكان أيضاً يترقب الفرصة في خروج إدريس من مكة لأي أمر كان حتى يعلن إقصائه عن مشاركته في الحكم ، فما أن خرج إدريس قاصداً أخاه راجح حتى أعلن الشريف أبانمي إنفراده بالسلطة .

هذا ومع أن إدريس بن قتادة قد سمع بنبأ عزله ، فيبدو أن أخاه راجح بن قتادة قد أقنعه بعدم المقاومة وإنهاء الصراع بالصلح الذي تزعمه هو شخصياً حيث قدم مع أخيه إدريس ، واستطاع أن يصلح بين الخصمين ويجنبهما ويلات الصراع العسكري على السلطة وذلك بعودتهما إلى الشراكة في الحكم (2).

ويبدو لنا أن أبا نمي قبل بوساطة عم أبيه راجح بن قتادة ، الذي له مقدرة في زعزعة الأمور في مكة ، لما يتمتع به من علاقات قوية مع السلطات اليمنية قد يستخدمها ضده إذا لم يقبل بوساطته مع أن وساطته تبين انتهاء رغبة راجح بن قتادة في الحكم فهو لم يستغل الخلاف الناشب بين أبي نمي ، و إدريس لصالحه ، و لم يؤجج من ناره لذا قبل أبو نمي بوساطة راجح وإنجاح مسعاه.

---

(1) الفاسي ، العقد الثمين ، ج٣، ص١٧٥،ج٢،ص ١٥٠.الفاسي ، شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤٥. المقريزي ، السلوك ، ج١، ص ٤٩١. ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٣، ص٧٨. ابن فهد ، غاية المرام ، ج١، ص ٦٤٠. ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص ٢٧٤. الطبري ، إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١٢٤.

(2) الفاسي ، العقد الثمين ، ج٣، ص١٧٥،ج٢،ص ١٥٠. ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٣، ص٧٨. الجزيري ، الدرر ، ج١، ص ٦٠٠. ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص ٢٧٤.

ثورة أبناء[١] الشريف حسن بن قتادة ٦٥٦هـ/١٢٥٧م:

استمر أبو نمي محمد بن حسن بن علي بن قتادة وعم أبيه إدريس بن قتادة في الحكم بالشراكة فيما بينهما ، وفي عام ٦٥٦هـ/١٢٥٧م خرج أبو نمي لتوسيع دائرة ملكه ببسط سيطرته على مدينة الطائف[٢] وحرب قبيلة ثقيف[٣] التي تستوطنها وبقي إدريس بن قتادة في مكة ، لتسيير شؤون الحكم بها ، ففاجأه أبناء حسن بن قتادة بهجوم مباغت استطاعوا دخول البلد والقبض على إدريس بن قتادة ، وما أن علم أبو نمي محمد حتى عاد مسرعاً وأجبر أبناء حسن بن قتادة على مغادرة البلد بدون قتال بعد أن بقوا فيها مدة ستة أيام فقط.[٤]

ويبدو أن محاولة أبناء حسن بن قتادة كان يعوزها الكثير من التنظيم ، وحشد القوى، حيث إنها لم تؤت ثمارها إلا بالخروج بدون خسائر ، و يبدو أن قبضهم على إدريس بن قتادة جعلهم يستطيعون أن يساوموا أبا نمي على شروط صلح انتهى بخروجهم سالمين مقابل إطلاق إدريس بن قتادة ، وهم بهذا الهجوم السريع لم يحسنوا التوقيت ، لأن خروج أبي نمي إلى الطائف كان على رأس قوة عسكرية مجهزة ، وبهذا ليس في حاجة إلى استعداد ، بينما

---

(١) لم تذكر المصادر أسماء أبناء الشريف حسن بن قتادة الذين قاموا بالهجوم على مكة سنة٦٥٦هـ ولكن يبدو أنهم بقيادة جماز بن حسن أمير مكة السابق .

(٢) الطائف : مدينة تاريخية قديمة ، تقع على قمة جبل غزوان ، وهي ذات مزارع وأعناب ،وفواكه أهل مكة منها ، وغالب سكان الطائف من قبيلة ثقيف ، قيل سميت بالطائف لأنه كان يحيط بها سور طائف عليها . وهي اليوم مدينة كبيرة بها جميع الدوائر الحكومية والمصيف الأول للمملكة العربية السعودية ، ومحافظة تتبع أمارة منطقة مكة المكرمة وتبعد عن مكة المكرمة ثمانين كيلاً . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٦، ص ٢٤١. أبو حجر، آمنة إبراهيم : موسوعة المدن العربية ،ط١، دار السلام للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢م، ص١٦١.

(٣) ثقيف : قبيلة كبيرة من العدنانية وهم بطن من هوازن اشتهروا باسم أبيهم ثقيف وهو قسي بن منبه ، منهم الصحابي ، المغيرة بن شعبة رضي الله عنه والحجاج بن يوسف الثقفي عامل عبد الملك بن مروان على العراق ، وهي موجودة إلى اليوم وقد تفرعت إلى عدة قبائل منهم : الحمدة ،و النمور ، وبنو سالم ، وطويرق ، وبني سفيان وغيرهم . السويدي ، سبائك الذهب ، ص١٤٨. الموريتاني ، حماد بن الأمين : تحفة الألباب وشرح الأنساب ، ط بدون ، ج ١، ص ٢٦٤. عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ، ج١، ص ١٤٧.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١، ص٣٣١. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤٥. المقريزي : السلوك ،ج١، ص٥٠١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٨٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٣٧.

هم في حاجة لوقت طويل ، وجهود كبيرة للتمكن من الصمود ، لهذا كان نجاح أبي نمي متوقعاً في مثل هذه الظروف .

و لم تذكر المصادر أسماء أبناء حسن بن قتادة الذين قاموا بالثورة ، ولكن نستطيع أن نذكر منهم من وردت أسماؤهم في تلك الفترة وهم إدريس بن حسن ابن قتادة الذي كان له سلطة بينبع و جماز بن حسن بن قتادة ، الذي سبق أن حكم مكة في ثورته على أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة والد أبي نمي الحالي [(١)]، واستخدامه لنفس الأسلوب في الهجوم السريع مثل ما قام به عندما قتل أبي سعد في هجومه الخاطف مستبقاً وصول الحملة العسكرية التي استنجد بها من الشام عام ٦٥١هـ/١٢٥٣م.

الخلاف بين الشريفين أبي نمي بن حسن بن علي بن قتادة و إدريس بن قتادة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م

استمر أبو نمي بن حسن بن علي بن قتادة وإدريس بن قتادة في الحكم على وفاق ووئام مدة ثلاثة عشر عاماً ، منذ أن أصلح بينهما راجح بن قتادة بعد خلافهما السابق عام ٦٥٤ هـ /١٢٥٥م كما مر معنا سابقاً.

وفي عام ٦٦٧هـ /١٢٦٨م حصل خلاف آخر بينهما ، استطاع على أثره أبو نمي أن يخرج إدريس بن قتادة من مكة ويستقل لوحده بالإمارة[(٢)].

ولكي يقوي أبو نمي من موقفه ويضعف موقف خصمه إدريس ، حاول كسب السلطة السياسية في مصر ، وذلك بأنه خطب باسم السلطان الملك الظاهر بيبرس [(٣)] بمعنى أنه أعلن

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج١،ص ١٢٣، ج٥، ص ٤٤٣.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٠١،٦٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩٦، ٦٠٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢،ص ٣١١.

(٢) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ص ٣٥١. ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص ٤٤٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢، ص ١٥١، ج٣، ص ١٧٥. المقريزي ، السلوك ، ج٢، ص ٥٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٩٣.

(٣) هو الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بن عبد الله البندقداري الصالحي ، وهو الرابع من ملوك الترك بمصر ، كان أحد مماليك علاء الدين البندقداري ، ثم انتقل إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فعينه قائداً لطائفة من الجند ، كان له دور قوي في هزيمة الملك لويس التاسع وأسره في معركة المنصورة ، ثم كان له دور كبير في=

تبعيته السياسية لحكومة مصر المملوكية ، ثم أرسل خطاباً للسلطان الملك الظاهر يؤكد هذه التبعية ، و يشرح فيه سبب الخلاف بينه وبين شريكه إدريس أنه لم يوافقه في التبعية السياسية لحكومة مصر المملوكية ، بل كان إدريس يرغب في التبعية السياسية لحكومة اليمن الرسولية ، ولهذا قام بإخراجه من مكة والانفراد بحكمها ، وبهذا يبين للسلطان أنه الشخص المناسب الذي يمكن أن تتحالف الدولة معه وترضى عن حكمه ، كما طلب في خطابه أن تمتنع الدولة المملوكية عن دعم إدريس بمنع حكام المدينة المنورة [(١)] وذلك بإرسال مرسوم [(٢)] يمنعهم من مساعدة خصمه إدريس ضده [(٣)] ، وقد وجد خطاب أبي نمي قبولاً عند السلطان المملوكي الظاهر بيبرس حيث كان السلطان يرغب في بسط نفوذه على الحجاز لمكانة الحجاز لدى العالم الإسلامي ، وبهذا ترتفع مكانة السلطان بيبرس في العالم الإسلامي بخدمته للحرمين الشريفين وقد عرف عن السلطان هذا الطموح فقد حرص على إعادة الخلافة العباسية بعد سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٧م وذلك بتنصيب خليفة عباسي في مصر عام ٦٥٩هـ /١٢٦٠م [(٤)] وكسب بهذا العمل احترام العالم الإسلامي .

وقد رغب السلطان أن يبرز دوره في الإشراف على حكومة مكة المتمثلة في شخص أبي نمي ، فأرسل إليه جواباً لخطابه يتضمن أوامر يطلب من أبي نمي تنفيذها في مقابل الرضا عن

=انتصار المسلمين في عين جالوت ، تولى السلطنة سنة ٦٥٨هـ، وبقي بها إلى أن توفي سنة ٦٧٦هـ. ابن تغري بردي :الدليل الشافي ، ج ١، ص ٢٠٣. الصفدي ، صلاح الدين خليل : الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرنأووط ، تركي مصطفي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،١٤٠٢هـ، ج١٠، ص٢٠٧.

(١) كان يحكم المدينة المنورة في عام ٦٥٧هـ الشريف جماز بن شيحة بن هاشم الحسيني بعد وفاة أخيه منيف. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٢٨٤. عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ج٢، ص ٢٢٢.

(٢) المرسوم هو : ماجرت العادة بكتابته من المقررات والأوامر واللوازم السلطانية . القلقشندي :صبح الأعشى ، ج١١،ص ١٠٧، ١٣،ص٢٣.

(٣) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٥١.الفاسي : القد الثمين ، ج٢، ص ١٥١.، ج٣، ص ١٧٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٩٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٣.

(٤) أقام الظاهر بيبرس الخليفة العباسي : أبي القاسم أحمد بن الظاهر بالله العباسي ، وذلك عام٦٥٩هـ وبايعه بالخلافة وأمده بالجنود لاستعادة بغداد فقتل عام ٦٦٠هـ ، فقام الظاهر بيبرس بتنصيب الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن علي العباسي ، وبقي في مصر . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣، ص ٢٣٢. ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ،ج٢، ص٣٠٦،٣٠٣.محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ، المكتب الإسلامي ، ط ٤، بيروت ، ١٤١١هـ، ج٧، ص٤٥.

توليه الإمارة منها : " تسبيل [1] البيت للعاكف والباد ، وألا يؤخذ عنه حق ، ولا يمنع زائر في ليل أو نهار ، وألا يتعرض إلى تاجر ولا حاج بظلم ، وأن تكون الخطبة والسكة له " ، وفي مقابل الوفاء من قبل أبي نمي بما طلب السلطان من مطالب يُعطى عشرون ألف درهم نقرة [2] في كل عام ، فرد أبي نمي على السلطان بالالتزام بكل ما طلب فأرسل له السلطان تقليداً بإمارة مكة لوحده [3].

وفي هذه الظروف اصطلح إدريس بن قتادة مع أبي نمي واتفقا على طاعة السلطان المملوكي الظاهر بيبرس ، وتم هذا بعد أن جمع إدريس بن قتادة جنداً وقدم بهم مكة ،ولكن لم يحدث صدام بين الخصمين [4] ، ويبدو أن أبا نمي رضي بالصلح للمحافظة على ما حصل عليه من مكاسب من السلطان الظاهر بيبرس ، وتيقن بأن شريكه إدريس لن يتركه ينفرد بالمكاسب المصرية لوحده فقرر الصلح معه وإشراكه في الإمارة ، ولكي يحصل إدريس على نصيبه من المكاسب من السلطان الظاهر بيبرس أرسل كتاباً للسلطان الظاهر بيبرس يخبره بما حصل من اتفاق مع أبي نمي فرضي السلطان بما حصل من وفاق بينهما ، ويبدو هنا أن السلطة في مصر لا تريد أن تتدخل بشكل كبير في الصراع بين المتنافسين على الإمارة فأيدت الصلح وباركته بين الطرفين ، واستلم نواب كل من أبي نمي بن حسن بن علي بن قتادة ،وإدريس بن قتادة ما يخصه من أموال الأوقاف[5] التي تخص الحرم الشريف بمصر وبلاد الشام.[1]

---

(١) التسبيل : من سبل أي أباح وسبلت الشيء أي أبحته بدون مقابل من الناس وتصدق به وجعله في سبيل الله . ابن منظور : لسان العرب ، ج٦، ص ١٦٢. الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ص ٩١١.

(٢) الدرهم النقرة : هو الذي ثلثاه من الفضة الخالصة وثلث نحاس ، ويضرب بالسكة السلطانية بدار ضرب النقود ، وينسب إلى الملك الكامل الأيوبي (٦١٥-٦٣٦هـ) . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣،ص ٤٤٣. الزهراني : أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة ، ص ١٠٤. الزهراني ، غباشي : تاريخ مكة المكرمة التجاري ، ص٩٩..

(٣) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٥١ الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ١٥١.، ج٣، ص ١٧٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٩٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٣.

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٥١ المصدر السابق ، ج٢، ص ١٥١.، ج٣، ص ١٧٥. المصدر السابق ، ج٣، ص ٩٣. المصدر السابق ، ج٢، ص ١٣.

(٥) الوقف لغة : الحبس عن التصرف ، ومنه وقفت الدار وقفاً أي حبستها في سبيل الله .والوقف شرعاً : حبس الأصل وتسبيل المنافع ، أي حبس أصل المال وصرف منافعه في سبيل الله .ويقصد هنا الأوقاف التي خصص ريعها للحرم الشريف بمكة المكرمة في مصر والشام . المقري ، أحمد بن محمد الفيومي : المصباح المنير ، ط١، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٧هـ ، ص ٣٤٤. السيد سابق : فقه السنة ،ط بدون ، دار الأصفهاني،=

لم يستمر الوفاق بين أبي نمي بن حسن بن علي بن قتادة و شريكه إدريس بن قتادة ، فقد حصل خلاف بين الطرفين في ربيع الأول عام ٦٦٩هـ/١٢٧٠م ، على أثر اغتيال أحد أبناء أبي نمي [٢]، ويبدو أن ذلك كان مخططاً لاغتيال أبي نمي من قبل شريكه إدريس وأنصاره فلم يُنفذ إلا في أحد أبناء أبي نمي ، في حين خرج أبو نمي هارباً إلى ينبع في محاولة لكسب التأييد وجمع الجنود ، واستطاع خلال أربعين يوماً من خروجه من مكة أن يحشد الجنود ويهاجم إدريس بن قتادة الذي خرج بدوره لملاقاة أبي نمي وتقابل الطرفان في جمادى الأولى ٦٦٩هـ/١٢٧٠م في وادي خليص[٣] واستطاع أبو نمي أن ينازل إدريس ويلقيه عن ظهر جواده ثم يترل عليه ويفصل رأسه عن جسده [٤]، مما يؤكد حنق أبي نمي لمواقف إدريس ولمقتل ولده الذي يبدو أن لشريكه إدريس يداً فيه ،ويؤكد انتصار قوات أبي نمي وهزيمة قوات إدريس بن قتادة وتفرقها الأمر الذي مكن أبو نمي من الوصول إلى إدريس وقتله ، وبهذا ينهي أبو نمي موضوع الشراكة في حكم مكة وينفرد بالسلطة بها .

=جدة ،ج١٠،ص ٤٤٧. وهبة الزحيلي:الفقه الإسلامي وأدلته ، ط٣، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٩هـ،ج٨، ص١٥٣ .

(١) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٥١. الفاسي : القد الثمين ، ج٢، ص ١٥١.، ج٣، ص ١٧٥. المقريزي:السلوك ، ج٢، ص ٥٩. ابن فهد:إتحاف الورى ،ج٣، ص٩٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٣.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢، ص ١٥١، ج٣، ص ١٧٥. المقريزي: السلوك ، ج٢،ص ٦٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٩٩.

(٣) خليص : وادٍ كثير الماء والزرع ، يقع شمال مكة المكرمة على بعد ١٠٠كم ، سكانه قبائل حرب ، زبيد والبلادية ، وفيه حوالي ٣٠قرية ، ويزيد سكانه اليوم على ٣٠ألف نسمة ، وبه عين تسمى باسمه ،وكان به حصن عسكري قديماً . الحموي : معجم البلدان ، ج٣، ص٢٤٦. عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ،ج٣، ص ١٤٩.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢، ص ١٥١، ج٣، ص ١٧٥. المقريزي: السلوك ، ج٢،ص ٦٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٩٩. الجزيري : الدرر، ج١، ص ٦٠٣. العصامي : سمط النجوم العوالي : ج٤، ص ٢٣٩.

ثورة الشريف غانم[1] بن إدريس بن حسن بن قتادة ٦٧٠هـ/١٢٧١م

في آخر شهر صفر عام ٦٧٠هـ/١٢٧١م هاجم غانم بن إدريس بن حسن بن قتادة أبا نمي في مكة ، وقد استعان في هجومه هذا بالأمير جماز بن شيحة الحسيني أمير المدينة النبوية واستطاع إخراج أبي نمي [2] وهذا يدل أن الهجوم كان سريعاً ومفاجئاً لأبي نمي ، وقد استطاع أبو نمي أن يستعيد إمارته من المهاجمين بعد أربعين يوماً من استيلائهم عليها مما يدل على كثرة أنصاره داخل مكة وخارجها حيث تمكن بعد أربعين يوماً من استعادة إمارته وإخراج الغزاة[3] وهذا وقت قياسي يدل على كثرة المؤيدين له ، كما يبدو أن غانم بن إدريس كان يسعى لتحقيق مكسب سياسي بحكم مكة مستغلاً الظروف بعد مقتل إدريس بن قتادة على يد أبي نمي في العام السابق ٦٦٩هـ /١٢٧٠ في معركة وادي خليص ، وقد استعان في هذا بقوات خارجية ، في مسعى لتحقيق النصر والمحافظة عليه ، ولكن لم يتحقق له ذلك.

ثورة الشريف إدريس[4] بن حسن بن قتادة الحسني ٦٧٥هـ/١٢٧٦م

لم يترك أبناء حسن بن قتادة أبا نمي ينعم بحكم مكة ،حيث أقدم إدريس بن حسن بن قتادة حاكم ينبع على مناهضة أبي نمي في محاولة منه لانتزاع الحكم منه ، بعد أن فشل ابنه غانم بن إدريس بن حسن بن قتادة في الثورة السابقة عام ٦٧٠هـ/١٢٧١م ، والملاحظ أن أبناء حسن بن قتادة يعملون على إنهاك قوى أبي نمي حتى يتسنى لهم إلحاق الهزيمة به ،

---

(١) هو : غانم بن إدريس بن حسن بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني ، كان والده إدريس ، حاكماً على ينبع ، وكان هو صديقاً لجماز بن شيحة أمير المدينة المنورة ، و قد استعان به في هجومه على مكة عام٦٧٠هـ ، في محاولة لنتزاع الحكم من محمد أبي نمي فلم يستمر سوى أربعين يوماً . الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٤٣. ابن فهد ، غاية المرام ، ج ٢، ص ٤٧.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٢، ١٥٢، ج٥، ص ٤٤٣. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٧٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٠١. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢نص ٤٧. الجزيري ، الدرر ، ج ١،ص ٦٠٤.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٤٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٠١. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢،ص ٤٧. الجزيري ، الدرر ، ج ١،ص ٦٠٤.

(٤) هو إدريس بن حسن بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني ، حاكم منطقة ينبع وما حولها ، وهو أحد المتهمين بقتل أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة ، حاول انتزاع مكة من أبي نمي عام٦٧٥هـ فلم يكتب له التوفيق . الفاسي : العقد ، ج٥، ص ٤٤٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٧.

فإدريس بن حسن بن قتادة مد يد العون لأبي نمي في صراعه مع إدريس بن قتادة شريكه في الحكم عندما حصل الشقاق بينهما ، حتى إذا ما تخلص أبو نمي من إدريس بن قتادة بمقتله في معركة وادي خليص ، ظهر في المنافسة غانم بن إدريس بمساعدة جماز بن شيحة أمير المدينة المنورة ، وبعد انتصار أبي نمي عليهما واسترداد إمارته يظهر إدريس بن حسن الحليف السابق لأبي نمي في موقف المنافس الراغب في إخراج أبي نمي من الإمارة ، حيث أقدم إدريس عام ٦٧٥هـــ /١٢٧٦م على غزو أبي نمي بمشاركة جماز بن شيحة أمير المدينة المنورة بقوات تقدر بـــ(٨١٥) مقاتلاً ،منهم (٢١٥)فارساً و(٦٠٠)راجلاً ، فخرج إلى لقائهم أبو نمي بقوات تقدربـــ(٣٨٠) مقاتلاً منهم (٢٠٠)فارس و(١٨٠) راجل ، وتقابل الطرفان في وادي مر الظهران ، ودارت معركة حاسمة نصر الله سبحانه وتعالى أبا نمي على أعدائه مع قلة عدد قواته في مقابل قوات أعدائه التي تزيد عن قواته بأكثر من الضعف ، وأسفر هذا النصر عن وقوع إدريس بن حسن بن قتادة أسيراً في يد الشريف أبي نمي في الوقت الذي لاذ الأمير جماز بن شيحة الحسيني بالهرب.[1]

ويبدو هنا أن الأمير جماز بن شيحة كان يرغب في حكم مكة حيث إنه يعمل على مناصرة كل من يقاوم سلطتها ، في محاولة منه في إضعاف الطرفين حتى يتسنى له الانتصار في النهاية على الأضعف و يضمها إلى إمارته.

وقد ذكر الشيخ تقي الدين الفاسي في كتابه العقد الثمين" أن من قام بهذه بالثورة هو الشريف غانم بن إدريس " مستشهداً بأن الشريف غانم قد قام بالثورة السابقة عام ٦٧٠هـــ/١٢٧١م [2]. وهذا يبدو غير صحيح حيث إن النصوص ذكرت أن القائم بالثورة هو حاكم ينبع ، وينبع كانت في هذه الفترة تحت حكم إدريس والد الشريف غانم ولا يوجد مانع في قيام إدريس بالثورة ضد أبي نمي ، وتكون محاولة إدريس هو العمل على تحقيق مالم يستطع تحقيقه ابنه غانم ، كما أن إدريس بحكم سلطته يستطيع جمع أكبر عدد من المقاتلين وتسليحهم أكثر من غانم وهذا ما تم فعلاً والله أعلم .

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢، ص ١٥٢. ج ٥، ص ٤٤٣. ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٠٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٠٤. عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص٢٤١.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥، ص ٤٤٣.

ثورة الشريفين أبي الغيث[1] بن أبي نمي وأخيه عطيفة[2] ٧٠١هـ/١٣٠١م

استمر أبو نمي محمد بن حسن بن علي بن قتادة يحكم مكة حتى وافاه الأجل المحتوم في يوم الأحد الرابع من شهر صفر عام ٧٠١هـ/١٢٧٢م [3]، وكان موضوع خلافته قد حسم قبيل وفاته بيومين حيث اختار أبو نمي من بين أبنائه حميضة [4]وأخيه رميثة[5] ليكونا شريكين في الحكم فدُعي لهما في المسجد الحرام ، وهذا يعتبر إعلاناً بتوليهما منصب الإمارة .[6] ويبدو أنه قد دار صراع أسري بين أبناء أبي نمي قبيل وفاته حول من يتولى

---

(١) هو : عماد الدين أبو الغيث بن أبي نمي محمد بن الحسن بن علي بن قتادة الحسني المكي ، أمير مكة ، ولي أمرها سنة ٧٠١هـ ، شريكاً لأخيه عطيفة ، وعزل في سنة ٧٠٤هـ ، ثم تولى الحكم في مكة سنة٧١٣هـ، وقتل أخيراً على يد أخيه حميضة سنة ٧١٥هـ. الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦، ص ٣٠٧.يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤٩٢.

(٢) هو: سيف الدين عطيفة بن أبي نمي محمد بن الحسن بن علي بن قتادة الحسني المكي ، تولى حكم مكة خمس عشرة سنة مستقلاً بها في بعضها وشريكاً لأخيه رميثة في بعضها كان حسن السيرة ، قبض عليه بمصر بأمر السلطان المملوكي الملك الناصر سنة ٧٣٧هـ بعد أن استدعاه إليه وبقي بمصر حتى توفي سنة٧٤٣هـ. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢١٢. ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١، ص ٤٤٣. الزركلي : الأعلام ، ج ٤، ص ٢٣٧.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ١٦٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣،ص ١٣٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٩١٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٢٤. ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٦،ص ٢.

(٤) هو عز الدين حميضة بن أبي نمي محمد بن الحسن بن علي بن قتادة الحسني المكي ، أمير مكة ولي إمرها إحدى عشرة سنة ونصف ، في أربع مرات شريكاً لأخيه رميثة ومستقلاً ، خرج إلى العراق للاستعانة بحكامها في استعادة إمارته بمكة ، فقد ثقة حكام الدولة المملوكية ، مما جعلها تعمل على استبعاده كلياً عن حكم مكة ، حتى قتل عام ٧٢٠هـ .الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٥. ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١، ص٢٧٩. الزركلي : الأعلام ، ج٢، ص٢٨٥.

(٥) هو أسد الدين رميثة بن أبي نمي محمد بن حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي ، ولي إمرة مكة ،حوالي ثلاثين عاماً في سبع مرات ، مستقلاً أربعة عشرة سنة ، وشريكاً لأخيه حميضة في مرتين ، كانت فترة حكمه فترة نزاع على السلطة بين أبناء الشريف أبي نمي ، وصاحبها تدخلات خارجية أثرت عليها ، توفي سنة٧٤٦هـ بمكة المكرمة . الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ١٠٠. ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١، ص٣٠٦.

(٦) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢،ص ٣٤٦. الفاسي : العقد الثمين ،ج ٣، ص٤٤٣. ابن فهد : إتحاف الورى = =ج٣، ص ١٣٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٩١٤.

الحكم بعده ، يدلنا على هذا قيام أبي نمي بسجن ابنه رميثة في يوم الجمعة ١٤ محرم سنة ٧٠١هـ/١٢٧٢م أي قبيل وفاة أبي نمي بـ(٢٠) يوماً وذلك بمشورة أحد أبنائه [١]،الذي يبدو أنه حميضة ، لأنه الذي أُشرك مع رميثة في الحكم ، فيحتمل أنه طلب سجن أخيه رميثة لمنازعة أخيه رميثة له في تولي الحكم لوحده . ثم أُطلق رميثة بعد عدة أيام ، ويبدو أن سبب إطلاق رميثة أن الأسرة الحاكمة توصلت لحل ترضى عنه يقنع رميثة حيث تم إشراكه في الحكم مع أخيه حميضة ، وهذا ما تم فعلاً حيث دعي له مع أخيه حميضة قبيل وفاة أبيهما بيومين مما يدل أن الصلح تم على يد أبي نمي وبرضاه .

وبعد موت أبي نمي وقيام ابنيه حميضة وأخيه رميثة بالحكم من بعده ظهر الخلاف بين أبنائه ، فقد ظهرت المعارضة من أخويهما أبي الغيث ، و عطيفة ، وبدا أن لهما من يساندهما من رجال الدولة ، فقد مال الأشراف [٢] إلى مناصرة أبي الغيث وأخيه عطيفة ، ومال القواد[٣] إلى مناصرة حميضة وأخيه ورميثة، فما كان من رميثة و حميضة إلا أن قبضا على

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤، ص ١٠٠.

(٢) الأشراف : لقب يطلق على أبناء وأحفاد الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وذلك لنسبهم الشريف المتصل برسول الله ﷺ عن طريق أمهم فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، وينقسمون إلى قسمين اليوم الأشراف ، والسادة والآن هم قبائل متعددة في الحجاز ، وهم في هذه الفترة أقارب وأبناء وأحفاد الشريف قتادة بن إدريس بن مطاعن ، وكان لعدد كبير منهم عدد كبير من الأتباع مما جعلهم قوة لها دورها في مكة المكرمة . عاتق بن غيث : معجم قبائل الحجاز ، ج١، ص١٦ . عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ، ج١، ص ٣٠

(٣) القادة : كان القادة يكونون قوة عسكرية كبيرة ومتعددة تساند من ترضى عنه من حكام مكة المكرمة وكانت تربط بعضهم بالأشراف صلات نسب عن طريق المصاهرة مثل القائد جماز بن صبيحة خال الشريف أحمد بن عجلان ، وهم من طوائف متعددة من أهل مكة المكرمة ، يشكل عتقاء الأشراف عدداً كبيراً منهم ، من أشهرهم القواد العمرية نسبة إلى القائد عمر بن مسعود العمري ، والقادة اليوسفية ، والزبابعة ، وغيرهم . وقد ذكر القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، ج٤، ص ٢٨١.((أن الأشراف أتباع شريف مكة من بني الحسن ، يعبر عن أكابرهم بالقواد ، وهم بمثابة الأمراء للملوك وربما استخدم المماليك الترك ومن في معناهم))وهذا غير صحيح إذا راجعنا تراجم القواد في ذلك العصر حيث لا نجد منهم شريف واحد، بل عتقاء الأشراف وبعضهم يحمل لقب الشريف مثل لقب الحسني ، ومن هنا يحتمل حصل اللبس عند القلقشندي .

وذكر رتشارد مروتيل في كتابه :الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة ، ص٣٦،أن القائد ((هو عتيق الشريف أوعبده)) وهذا يصح على عدد كبير من القادة ، ولكن يوجد من القادة من ليس من عبيد الأشراف أو عتقائهم بل من قبائل الحجاز مثل القائد : أحمد بن قفيف العدواني.الفلقشندي ، = =صبح الأعشى ، ج٤، ص ٢٨١. ابن فهد ، عمر الهاشمي : الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد

أخويهما أبي الغيث ،و عطيفة ، وأودعاهما السجن ، وبقيا في السجن مدة يسيرة لم تتجاوز بضعة أشهر فاستطاعا أن يتخلصا من السجن ويحتميا ببعض الأشراف والقواد ، الذين وفروا لهما الحماية الكافية من الوصول إليهما بسوء حتى استطاعا أن يصلا إلى ينبع بأمان ويستقرا فيها[1]يرقبان الأحداث ويتحينان الفرص [2]، وهنا يبدو بوضوح دور القواد والأشراف في مكة المكرمة ، حيث إن أميرها في هذه الفترة لا يستطيع أن يصل إلى خصمه إذا التجأ إلى أحد رجال هاتين الفرقتين واحتمى به .

استمر أبو الغيث ،وأخوه عطيفة في ينبع يرقبان الأحداث ، ويتحينان الفرص ، ويحاولان استغلال المواقف للوصول إلى سدة الحكم. وقد ظهر لهم ذلك عندما قرب موسم الحج عام ٧٠١هـ/١٢٧٢م حيث قدم الأمير بيبرس الجاشنكير [3] على رأس عدد كبير من أمراء الدولة المملوكية وقادتها لأداء فريضة الحج ، فقابل أبو الغيث ، وعطيفة الأمير بيبرس وصحبته من الأمراء وشكوا من أخويهما حميضة ورميثة ، واستطاعا أن يكسبا إلى صفهما الأمير بيبرس الجاشنكير ومن معه من الأمراء ،ويبدو أن حميضة ورميثة ، وقفا موقفاً سلبياً من الأمراء من حيث الحفاوة والاستقبال والخدمة اللازمة ، ومن ذلك أن الأمير بيبرس الجاشنكير عندما سأل حميضة بن أبي نمي عن سوء معاملة أخويه أبي الغيث وعطيفة أجابه

الأمين ، تحقيق عبد الملك بن دهيش ، ط١، دار خضر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢١هـ ، ج ١،ص ٥٠١، ج٢ص ١١٨٥. السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،ط بدون ، دار الجيل ، بيروت ، ج ٦، ٢٣٨،ج١٠، ص ١٧٢. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والأقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص ٣٦.

(١) يعتبر هذا بداية ظهور دور قوتين سياسيتين عسكريتين منفصلتين عن قوات الحكومة في مكة ومتنافستين هما : الأشراف والقواد وقد بدأتا بالتدخل في مسألة الحكم في مكة مما يدل على ما تتمتع به هاتان الفرقتان من قوة عسكرية ومادية .

(٢) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج١،ص ٣٣٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٥،ج٤،ص ١٠٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٣٤. الجزيري : الدرر ، ج١،ص ٩١٤.

(٣) هو: ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري ، كان من مماليك المنصور قلاوون ، ثم أصبح من كبار أمراء الدولة ، وعندما خرج الناصر محمد بن قلاوون من الحكم في شوال سنة٧٠٨هـ تقلد السلطنة بأمر قادة الجيش ثم عاد الناصر محمد إلى حكمه سنة٧٠٩هـ ، فقتل بيبرس الجاشنكير ، وكانت مدة ملكه١٠ أشهر ٢٤ يوماً . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٠، ص٢١٨. ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ط بدون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج١، ص ٥٠٢. الزركلي: الأعلام ، ج١،ص ٧٩.

حميضة بقوله : « يا أمير نحن نتصرف في أخوتنا وأنتم قد قضيتم حجكم فلا تدخلوا بيننا » وهذا الموقف مما جعل الأمير بيبرس ومن معه من الأمراء يقررون القبض على حميضة ورميثة ويولون الإمارة لأبي الغيث وعطيفة بعد أن أدوا القسم على طاعة سلطان المماليك بمصر[1] ، ثم اصطحبوا معهم حميضة ورميثة إلى مصر وسجنوهما [2]، وهذا العمل يؤكد رغبة الأمير بيبرس الجاشنكير في تهدئة الأوضاع بمكة ، والقضاء على التراع على السلطة بين أبناء البيت الحاكم .

وتذكر بعض المصادر أن الأمير بيبرس الجاشنكير أشرك في منصب الإمارة مع أبي الغيث بن أبي نمي محمد بن إدريس بن قتادة[3]، وقد أخرجه أبو الغيث من مكة بعد أيام من رحيل الأمير بيبرس وانفرد بالحكم ، وجرت بسبب هذا الأمر حروب بين الأشراف [4].

وهذا القول يكون مردوداً لعدة أسباب منها: أن المصادر لم تذكر أن محمد بن إدريس قد قابل الأمير بيبرس الجاشنكير عندما قدم إلى الأماكن المقدسة ،ولكنها تذكر أن اللذين قابلا الأمير بيبرس الجاشنكير هما ابنا أبي نمي أبا الغيث وعطيفة اللذين قد تعرضا للظلم من أخويهما حميضة ورميثة واشتكوا من سلب الحقوق والسجن ، و لم يكن معهما محمد بن إدريس الذي لم تذكر المصادر أنه قد تعرض للظلم من حاكمي مكة حميضة وأخيه رميثة .

---

(١) هو الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي ، سلطان مصر والشام والحجاز ، تولى الحكم ثلاث مرات الأولى سنة ٦٩٣هـ ، ثم خلع في المحرم سنة ٦٩٤هـ ، والثانية ٦٩٨هـ وخلع نفسه سنة٧٠٨هـ ، والثالثة سنة ٧٠٩هـ ،حتى وفاته سنة ٧٤١هـ ، كان كريماً مهيباً سائساً ، يعظم العلماء ، له أعمال بر وخير كثيرة . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٤ ،ص٢٥١. ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٤،ص ١٤٤. الزركلي : الأعلام ، ج٧، ص ١١.

(٢)الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٣٣٥. الفاسي : العقد ، ج٣، ص ٤٤٥، ج ٤، ص ١٠٠. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٣٤٩. ابن فهد: إتحاف الورى ، ج ٣، ص ١٣٤.ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٢٩. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٧٥.

(٣) هو : محمد بن إدريس بن قتادة بن إدريس بن مطاعن ، ذكر أنه تولى حكم مكة شريكاً لأبي الغيث بأمر الأمير بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠١هـ، كان أبو نمي يعطيه ربع دخل أمير مكة كل سنة ، وربما يكون هذا استرضاءً له لأنه قتل والده إدريس . الفاسي: العقد الثمين ، ج ٤، ص ٤٥٥.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٥، ج٤، ١٠٠.الفاسي: شفاء الغرام ، ج ٢، ص ٣٤٦.ابن فهد : إتحاف الورى، ج٣، ص ١٣٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٢٦. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١٣٦.

ومنها أيضاً: أنه من غير المقبول لدى أبناء أبي نمي الذين يزيد عددهم عن العشرين شخصاً والذين ظهر تنافسهم على العرش منذ وفاة والدهم قبول شريك لهم في الإمارة من غير أخوتهم .

ومنها أيضاً : أن عطيفة كان شريكاً لأخيه أبي الغيث حتى عام ٧٠٣هـ/١٣٠١م بدليل أن الشكوى التي قدمت للسلطان الملك الناصر عن اختلال الأمن في مكة وضعف سلطة الحاكمين فيها شملت الأخوين عطيفة وأبا الغيث ،و لم تشمل غيرهما [١].

عودة الشريفين حميضة ورميثة لحكم مكة المكرمة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م:

استمر أبو الغيث وأخوه عطيفة في الحكم ، ولكن يبدو أنهما لم يستطيعا التوفيق بين مطالب استقرار الحكم وبين مطالب مناصريهم مما أدى إلى ظهور خللٍ أمنيٍ كبيرٍ أثر على زوار الحرم الشريف [٢] أدى إلى أن فقدا ثقة القيادة السياسية في مصر . مما جعل القيادة تفكر في تنحيتهما عن الحكم وإعادة أخويهما حميضة ورميثة وهذا ما تم فعلاً على يد نفس الأمير الذي سبق وأن عزلهما عام ٧٠١هـ/١٣٠١م الأمير بيبرس الجاشنكير عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م [٣].

ويبدو أن وراء إطلاق حميضة وأخيه رميثة هدفاً سياسياً إضافة لما سبق ذكره حيث ذُكر أن أبا الغيث عندما كان أميراً على مكة كاتب السلطان الملك المؤيد [٤] ملك اليمن

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٥. ابن فهد : إتحاف الورى، ج٣، ص ١٣٧. الجزيري : الدرر ،ج١، ص ٦١٦.

(٢) المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٣٦٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٣٧. الجزيري : الدرر، ج١، ٦١٦.

(٣) الفاسي : العقد ، ج٣،ص ٤٤٧، ج٤،ص ١٠١. الفاسي ، شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤٦. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٣٨٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٤٠. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٧٥.

(٤) هو : الملك المؤيد هزبر الدين داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول ، تولى الملك بعد وفاة أخيه الملك الأشرف سنة ٦٩٥هـ ، كان شجاعاً جواداً له مآثر علمية كثيرة ، وله إلمام ببعض العلوم وخصوصاً الأدب ، توفي في مدينة تعز عام ٧٢١هـ.الكبسي ، محمد بن إسماعيل ، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، تحقيق خالد أبازيد الأذرعي ، ط١، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء ، ١٤٢٦هـ ، ص ١٤٥. الزركلي : الأعلام ، ج ٢، ص ٣٣٦.

بالدخول تحت إمرته وبذل النصيحة له[1]؛ وهذا بلا شك يغضب السلطة السياسية في مصر فهي صاحبة الفضل بعد الله في تنصيب أبي الغيث وأخيه عطيفة في الحكم ، ودخول حكام مكة تحت سلطة الملك الرسولي يعطي بلاشك سلطة لها على الحرم الشريف الذي لا يمكن أن تفرط فيه السلطة السياسية لدولة المماليك ، فكان من أمرها عزل أبي الغيث وأخيه عطيفة وإعادة أخويهما حميضة ورميثة إلى الحكم وبهذا تكون حكومة مصر قد قطعت الطريق على حكومة اليمن الرسولية في بسط سيادتها على المسجد الحرام .

ثورة الشريف حميضة بن أبي نمي ٧١٤هـ /١٣١٤م

استمر حميضة بن أبي نمي وأخوه رميثة بن أبي نمي في الحكم حتى عام ٧١٣هـ/١٣١٣م حيث تغيرت نظرة القيادة السياسية في مصر ضدهما ، وذلك أنهما لم يحسنا السيرة مع رعاياهما في مكة والقادمين إليها من حجاج ومعتمرين [2] فقررت استبدالهما بأخيهما أبي الغيث ، حيث أرسلته القيادة السياسية مع حملة عسكرية أسفرت عن تنصيبه أميراً في موسم حج عام ٧١٣هـ/١٣٠٣م وتنحية حميضة ورميثة [3]

اتجه حميضة ورميثة إلى جنوب مكة واستقرا في منطقة حلي [4] يرقبان الأحداث ويتحينان الفرصة في الانقضاض على أخيهما أبي الغيث لاستعادة الإمارة، وقد حاول أبو الغيث بالقوات التي قدمت معه تعقب أخويه والقبض عليهما فزحف باتجاه منطقة حلي ففر أخواه حميضة ورميثة إلى منطقة السراة [5] وتحصنا بها فعاد أبو الغيث وهو لم يبلغ مراده من التخلص من أخويه حميضة ورميثة .

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٣٣٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص١٣٤.

(٢) الفاسي : القعد الثمين ، ج٣، ص٤٤٦،ج٤،ص١٠١. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٤٢١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ١٤٦، ١٤٨.ابن فهد: غاية المرام ، ج٢، ص ٥٦. الجزيري : الدرر، ج١، ص٦٢٠.

(٣)الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٠٧. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ١٥٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٢٩.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٤٨،ج٤،ص١٠٢. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٤٨٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ١٥٠. الجزيري: الدرر ، ج١، ص٦٢٠.

(٥) السراة هي الأرض المرتفعة وهي منطقة جبلية وعرة تحجز بين نجد وتهامة وهي ممتدة من شمال شبه الجزيرة العربية حتى بلاد اليمن بمحاذاة ساحل البحر الأحمر ويبلغ طولها حوالي ١٧٠٠كم ويسمى كل جزء منها باسم

ويبدو أن أبا الغيث اغتر بهرب أخويه إلى منطقة السراة ، وأعتقد أنهما لم يصبح لديهما القدرة على مقاومته فسمح للقوات التي قدم بها من مصر في السفر ومغادرة مكة ، فما كان من أخيه حميضة إلا أن جمع عدداً من أنصاره وهاجم بهم أخاه أبا الغيث في بداية ربيع الأول عام ٧١٤هـ/١٣١٤م واستطاع أن ينزل به هزيمة نكراء سقط على أثرها خمسة عشر قتيلاً من أصحاب أبي الغيث ومن الخيل أكثر من عشرين فرساً وفر على أثرها أبو الغيث والتجأ إلى أخواله من قبيلة هذيل بوادي نخلة واحتمى بهم، وأخذ يراسل السلطان الملك الناصر في مصر لإمداده بقوات يسترد بها إمارته ، في الوقت الذي دخل حميضة مكة ظافراً منصوراً ، وأخذ هو أيضاً يراسل السلطان الملك الناصر لاستمالته واستعطافه بتقديم الهدايا التي قيل أنها بلغت اثني عشر فرساً من جياد الخيل وذلك بهدف المحافظة على ما حققه من انجاز سياسي ، ولكي يأمن إرسال قوات عسكرية تنتزع منه إمارته ؛ ولكن السلطان الملك الناصر لم يرض عن تصرف حميضة مع أخيه وقام باعتقال رسوله ،وفي نفس الوقت وعد رسل أبي الغيث بالمساعدة العاجلة (١).

يتبين لنا من خلال الأحداث السابقة أن رميثة لم يشارك أخاه حميضة في ثورته ضد أخيهما أبي الغيث مما يدل أن الأخوين اختلفت آرائهما حول سبيل استرداد الإمارة فلم تذكر المصادر مشاركة لرميثة في المواجهة التي تمت بين الأخوين حميضة وأبي الغيث كما أنها لم تذكر مشاركة رميثة لحميضة في عودته للحكم ، ونستدل من هذا أن رميثة كان يقدر حجم عداء السلطة السياسية في مصر ويرغب في سلوك طريق غير طريق المواجهة الذي تبين أن حميضة كان مصراً على سلوكه وبهذا نستطيع القول إن رميثة اعتزل الصراع الأخير بين أخويه الشريفين حميضة وأبي الغيث .

المنطقة التي يشرف عليها فيقال سراة الحجاز وسراة اليمن ، وتسكنها العديد من القبائل العربية.ياقوت= =الحموي : معجم البلدان ، ج٥، ص ٣٤. عبد الحفيظ محمد سعيد سقا : الجغرافية الطبيعية للمملكة العربية السعودية ، ط٢، دار كنوز العلم ،جدة ، ١٤١٩هـ ، ص٨٣.

(١)الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤،ص ١٠٢، ج٦، ص ٣٠٧. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢، ص ٣٤٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ١٥١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٥٦.السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٢٩.

لم يترك الشريف حميضة أخاه أبا الغيث ينتظر مدداً من مصر يستطيع بواسطته انتزاع ما حققه من كسب عسكري ، بعد موقف السلطان الملك الناصر الرافض لعودة حميضة لطاعة السلطة في مصر ، فقرر قتال أخيه أبي الغيث ، وفي نفس الوقت جمع أبو الغيث عدداً من أنصاره قيل إنهم يزيدون كثيراً على أنصار أخيه حميضة ، وتقابل الطرفان في يوم الثلاثاء الرابع من ذي الحجة سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م بالقرب من مكة ، وأسفر اللقاء عن انتصار ساحق لقوات حميضة مع قلة عددها في مقابل قوات أبي الغيث ، وجُرِح أبو الغيث في المعركة ، ثم خرج إلى خيف بني شديد[1] فوقع في الأسر مما يدل أن قوات حميضة تعقبته ، ثم قتل بخيف بني شديد بأمر أخيه حميضة.[2]

لم يرض السلطان الملك الناصر عن الأحداث التي تمت في مكة والتي أسفرت عن تولي خصمه حميضة مقاليد الحكم بها ومقتل حليفه ونائبه أبي الغيث .

وفي هذه الظروف استغل رميثة الوضع القائم أحسن استغلال وذلك أنه سافر إلى مصر في محاولة للتقرب من السلطة السياسية في مصر ورغبة في تحقيق كسب سياسي ، وأخبر السلطة في مصر أنه هارب من أخيه حميضة ، وأن أخاه حميضة قد خطب بعد توليه الإمارة لسلطان اليمن الملك المؤيد و لم يخطب للسلطان الملك الناصر .

فما كان من السلطة السياسية في مصر إلا أن أرسلت حملة عسكرية مصاحبة لرميثة ٧١٥هـ/١٣١٥م فقدمت الحملة وعندما قاربت مكة خرج حميضة ، واتجه إلى جنوبها وتعقبته قوات الحملة ، ولكنها لم تستطع القبض عليه حيث غير حميضة وجهته فخرج إلى العراق فتولى أخوه رميثة الحكم[3]

---

(١) خيف بني شديد: الخيف ما ارتفع عن الأرض موضع مجرى السيل ومسيل الماء وانحدر عن غلظ الجبل والجمع أخياف ، وخيف بني شديد يسكنه الأشراف ذوي راجح . ابن منظور : لسان العرب ، ج٤،ص ٢٦٣. عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ،ج٣،ص١٨٢.

(٢)الفاسي : العقد الثمين ، ج٣،ص٤٤٨،ج ٤،ص ١٠٢، ج٦، ص ٣٠٧. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢، ص ٣٤٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ١٥١. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١٢١.

(٣)الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٤١٥.الفاسي : العقد الثمين ، ج٣،ص٤٤٨. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٥٠٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٦٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ١٥٣.

استمر رميثة بن أبي نمي في الحكم ، في الوقت الذي فشلت محاولة حميضة في استعادته بمساعدة خارجية ، فقرر أن يقوم بعمل خاطف ضد أخيه رميثة ينهي به حكمه ، فاستطاع بعد انقضاء موسم الحج عام ٧١٧هـ /١٣١٧م أن يستميل عدد من أصحاب البشرة السوداء بمكة وكان غالبهم من الأرقاء [١] و يقوم بهجوم سريع استطاع على أثره أن يجبر أخاه رميثة على مغادرة مكة ، فلجأ إلى وادي نخلة ، ويقوم بقطع الخطبة عن السلطان الملك الناصر ، ويخطب للإيلخان أبي سعيد خربندا إيلخان العراق وفارس [٢] ، وقام بأخذ أموال التجار.[٣]

يعتبر ما قام به حميضة من قطع خطبة الملك الناصر والإعلان بالتبعية لإيلخان العراق وفارس ، وأخذ أموال التجار ، أمور مجانبة للصواب فقد حمله غضبه من الملك الناصر أن يتصرف هذا التصرف في الوقت الذي يجب عليه أن يصانع الملك الناصر ، ويعي دور مكة بالنسبة للدولة المملوكية مع سهولة وصول قواتها المسلحة إلى الحجاز متى أرادت، وقد ذاق مرارة عداوتها سابقاً ؛ ولكن يبدو أن حميضة كان قد تيقن تماماً بأن موقف الدولة المملوكية لن يتغير تجاهه فأقدم على الخطبة لإيلخان العراق وفارس ، وربما كان يهدف إلى إرغام السلطة السياسية في مصر على مهادنته والاعتراف بالأمر الواقع ، ولكن ما حدث من السلطة السياسية في مصر إلى أن أرسلت حملة عسكرية في ربيع الآخر

---

(١) كان بمكة في تلك الفترة عدد كبير من العبيد اللذين يبدو أنهم من العتقاء وبعضهم ما زال في الرق من أصحاب البشرة السوداء وكانوا يشكلون كثافة كبيرة ، ويتجاوزون الحدود في إيذاء الناس بمكة وسرقة أمتعة الحجاج والمعتمرين والتجار ، وكانوا قوة لا يستهان بها وقد تسببوا في قيام فتن كثيرة بمكة في موسم الحج . ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي ، ج١،ص ٤٢٣. المقريزي : السلوك ، ج ٢، ص ١٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٥٩.

(٢) هو : خربندا محمد بن أرغون بن أبغا بن هولاكوقان ملك العراق وبلاد فارس ومنطقة كردستان وآسيا الصغرى بعد أخيه غازان ، توفي في ٢٧رمضان سنة ٧١٦هـ ببغداد ، كان موصوفاً بالكرم ، محباً للعمارة و للهو واللعب ، اعتنق المذهب الشيعي وقرب أهله . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤، ص ٧٧. الصفدي : الوافي بالوفيات ،ج٢، ص ١٢٩. ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٣، ص ٣٧٨.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص ٤٥٠، ج٤، ص١٠٣. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٥٢٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٥٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٦٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٢٣. السنيدي ، عبد العزيز بن راشد : الشريف حميضة بن أبي نمي في بلاط المغول الإيلخانيين ، مجلة التاريخ العربي ، العدد ٢٥، ١٤٢٤هـ ، ص٣٤٢.

عام٧١٨هـ/١٣١٨م هدفها القضاء على خصمها حميضة ، وحققت الحملة نجاحاً في إخراج حميضة من مكة ولكن لم تستطع القبض عليه بل قبضت على أخيه رميثة بتهمة أنه تواطأ مع أخيه حميضة وولت الحكم لأخيهما عطيفة [(١)] وبقي حميضة خارج مكة يترقب الأحداث للوثوب عليها من جديد ، وقد أستطاع أن يهاجم أخاه عطيفة في جماد الآخرة سنة ٧٢٠هـ /١٣٢٠م وقد انتصر عطيفة مع قلة عدد أتباعه ،وبعد أيام يسيرة قتل حميضة على يد أحد الجنود المماليك الذين كانوا بصحبته وذلك في شهر جمادى الآخر سنة ٧٢٠هـ /١٣٢٠م.[(٢)]

ثورة الشريف رميثة بن أبي نمي ٧٣٦هـ/١٣٣٥م

استمر عطيفة بن أبي نمي حاكماً منذ توليته عام عام ٧١٩هـ/١٣١٩م بأمر السلطان الملك الناصر.[(٣)] وكان أخوه رميثة بن أبي نمي قد أطلق سراحه الملك الناصر ، وعاد إلى مكة عام ٧٢٠هـ /١٣٢٠م ، ويبدو أنه لم يكن له من الأمر شيء وذلك لتولي أخيه عطيفة مقاليد الحكم ، ولكن إطلاق رميثة أغضب سكان مكة لخوفهم أن يُعزل عطيفة الذي أقام العدل فيهم فترة توليه الحكم . [(٤)] ويبدو أن السلطان الملك الناصر كان يريد من إرسال رميثة ورقة ضغط على أخيه عطيفة حتى لا يفكر في التمرد على السلطة السياسية بمصر. واستمر الأخوان عطيفة ورميثة يتوليان الإمارة بالشراكة أحياناً وبالانفراد أحياناً لأحدهما ، وكان ما يحصل بينهما من تنافر غير مسلح ينتهي في غالبه بالصلح ، ماعدا تنافراً واحداً حدث بين الأخوين عام ٧٣٦هـ/١٣٣٥م حدث فيه صدام مسلح ، و ذلك أن عطيفة

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص ٤٥٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٥٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٦٤.

(٢) اليافعي ، المرآة ، ج٤، ص ٢٥٩. القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤، ص ٢٧٩. الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص ٤٥١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٦٧. ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٢، ص ٨١ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢١٣. المقريزي : السلوك ،ج ٢، ص ٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٦٣. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٧٥.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢١٣،ج٤،ص١٠٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٨٩. الجزيري : الدرر، ج١، ص ٦٢٥.

أراد أن يخرج أخاه رميثة من الشراكة في الحكم فجمع كل منهما أنصاره وهاجم رميثة أخاه عطيفة في يوم الثامن والعشرين من رمضان عام ٧٣٦هـ/١٣٣٥م بين الظهر والعصر ، وقد تحصن عطيفة بمكة في سكنه برباط أم الخليفة (١) واستطاع أنصاره حماية مستودعات الأسلحة ومكان الخيل بالعلقمية(٢) وقتل من أنصار رميثة ثلاثة رجال في حين قتل من أنصار عطيفة رجل واحد أو رجلان ، وذلك يعود لضيق مكان القتال حيث يصعب الحركة فيه للمباني المحيطة به وبهذا لم يستطع رميثة أن يحقق غرضه وعاد خاسراً ، ثم اصطلح رميثة وأخوه عطيفة في عام ٧٣٧هـ/١٣٣٦م واشتركا في الحكم ، ولكن كان كل منها يتوجس من الآخر وفي نفس العام استدعي رميثة وعطيفة إلى مصر وقبض على عطيفة وأطلق رميثة وعين حاكماً منفرداً (٣).ويبدو أن القيادة السياسية في مصر أرادت بهذا الإجراء أن تنهي مسألة الصراع المستمر بين الأخوين على الحكم ، وذلك بتعيين رميثة لوحده وتُبقي أخاه عطيفة في مصر بعيداً عن منطقة الصراع .

الخلاف بين أبناء الشريف رميثة بن أبي نمي على الحكم في مكة المكرمة :

عندما كبر رميثة بن أبي نمي وضعف ،طمع أبناؤه في حكم مكة وانتزاعها من أبيهم وخصوصاً ابناه ثقبة (٤)و عجلان(٥)، وقررا أن يحصلا على الحكم بالطرق السلمية ،وذلك

---

(١) هو: رباط أم الخليفة أم الخليفة الناصر العباسي ، ويعرف بالعطيفية لأن الشريف عطيفة كان يسكنه ، وقد أوقف سنة ٥٧٩هـ ويقع بالجانب الشامي من المسجد الحرام . الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص ٦٠٨.

(٢) العلقمية : هو أحد المباني الحكومية قرب المروة بناها بنو عجلان ،كان يستخدم جزء منه مستودعات للأسلحة وجزء منه سجناً سياسياً . الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص ٢٦٢. ج٣، ص٦٠. عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج١٠، ص ١٠٠.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤، ص ١٠٧،ج ٥، ص ٢١٥. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٠٧،٢٠٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٤١. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٧٥.

(٤) هو ثقبة بن رميثة بن محمد بن حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي ، ولي إمارة مكة مدة سنين شريكاً لأخيه عجلان ، ومستقلاً في بعضها ، كان كثير العناية بالزيدية بمكة ، موصفاً بالكرم والشجاعة ، توفي في شوال سنة ٧٦٢هـ . الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٢٥٦. ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، ج١، ص ٢٣١.

(٥) هو عجلان بن رميثة بن محمد بن حسن بن على بن قتادة الحسني المكي ، ولي إمارة مكة نحو ثلاثين سنة مستقلاً بها مدة وشريكاً لأخيه ثقبة مدة ، وشريكاً لأبنه أحمد مدة أخرى ، كان ذا عقل ودهاء وسياسة حسنة ، محباً

عن طريق تقديم مبلغٍ من المال لوالدهما رميثة ومن ثم يتنازل لهما طائعاً مختاراً ، وتعتبر هذه الطريقة الأولى في مسألة شراء منصب الإمارة بتقديم مبلغ من المال لحاكم مكة دون اللجوء إلى السلطة السياسية في مصر ، أو حتى إلى مجرد معرفة رأيها في هذا الأمر .

ولهذا قدم الأخوان عجلان وثقبة مبلغ (٦٠)ألف درهم ، فوافق أبوهما رميثة على ذلك ،ولكن السلطة السياسية في مصر لم توافق على هذا الإجراء عندما بلغها فأمرت برد الأمارة إلى حاكمها السابق رميثة ، وقبضت على ثقبة بن رميثة في مصر بعد أن استدعته ، فيما يبدو أنها قامت بعمل خطة للقبض على الأخوين فاستدعتهما إلى مصر ، فلم يجبها إلا ثقبة الذي فيما يبدو كان يطمع في توليه إمارة بمفرده فقُبض عليه في الوقت الذي نجا عجلان عندما قرر عدم السفر إلى مصر[1].

يبدو أن السلطة السياسية في مصر قد راجعت نفسها في خطأ إعادة تولية رميثة عندما تبين لها أن رميثة قد وصل إلى درجة متقدمة من العجز عن إدارة الحكم وخصوصاً عندما تمرد عجلان على والده عندما رفضت السلطة السياسية في مصر توليته وأخيه ثقبة الحكم وحدث نتيجة لهذا غلاء الأسعار ونقص المؤن وتحمل الحجاج مشقات كبيرة [2] ، لذا نراها تقدم على تولية عجلان بن رميثة الحكم عندما قدم إلى مصر عام ٧٤٦هـ/١٣٤٥م ويبدو أن قدوم عجلان إلى مصر كان بطلب من السلطة السياسية في مصر ، ويدلنا على هذا أن عجلان قدم إلى مصر مع معرفته بسجن أخيه ثقبة بها وبهذا لم يقدم على السفر إلى مصر إلا إذا كان متأكداً أنه لن يصيبه مكروه بل سوف يتولى حكم مكة وحدث فعلاً أن عجلان قوبل بالترحاب وعقد له بالأمارة بمفرده فقدم مكة في جمادى الآخرة من نفس العام ولم يلبث والده رميثة بن أبي نمي أن توفي في يوم الجمعة الثامن من

لأهل السنة ، وقد قيل أنه شافعي المذهب ، ملك عقاراً كثيراً بمكة وبوادي مر ، توفي في الحادي عشر من جمادى الأولى ، سنة ٧٧٧هـ بمكة . الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ١٨٩ . ابن تغري بردي : الدليل= =الشافي ، ج١، ص٤٤٢.

(١)الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ١٨٩، ج٣، ٢٥٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٢٢٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٩٥، ١٣١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٥٢.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ١٨٩، ج٣، ٢٥٦. المقريزي : السلوك ، ج٣، ص ٤١١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٢٢٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٩٥، ١٣١. الجزيري : الدرر ، ج ١ص ٩٥.

ذي القعدة سنة ٧٤٦هـ /١٣٤٦م [١]كما أطلقت السلطة السياسية في مصر ثقبة بن رميثة من السجن فقدم إلى مكة [٢] ، ولعلها تهدف في هذا إلا دوام ولاء عجلان لها لخوفه من ميل السلطة المصرية إلى أخيه ثقبة والله أعلم .

لم يرض ثقبة بن رميثة بإنفراد أخيه عجلان بمفرده الحكم فأخذ يعمل على تحقيق دور له في الحكم سواء بالشراكة أو بالإنفراد ، فأقام بوادي نخلة بعدما قدم من مصر مدة يسيرة من الزمن ثم عاد إلى مصر في نفس العام ومعه هدية للسلطة السياسية بمصر وهي عبارة عن مجموعة من الخيل ، فوعِد بخير ، وأثناء تواجده بمصر لحق به أخواه سند [٣] بن رميثة و مغامس [٤]بن رميثة ، وكانا قد تمردا على أخيهم عجلان فأخرجهما من مكة فعندما قدما إلى مصر قُبض على الجميع واعتقلوا بمصر [٥] مما يؤكد أن سياسة حكومة مصر تسعى لاستقرار الأمور بالقبض على المعارضين من أبناء البيت الحاكم.

وفي عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م أفرجت السلطة السياسية بمصر عن الأشراف المعتقلين لديها وهم أبناء رميثة بن أبي نمي الثلاثة: ثقبة ، وسند ، ومغامس وابن عمهم محمد بن

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ١٠٨.الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢، ص ٣٤٨. ابن فهد : غاية المرام= =،ج٢، ص ٩٥. ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٦، ص١٤٩.

(٢)الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ١٨٩، ج٣، ٢٥٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٣٠. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٣٩، ١٤٠.

(٣) هو سند بن رميثة بن أبي نمي بن حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي ، أمير مكة ولي إمرتها شريكاً لابن عمه محمد بن عطيفة بعد عزل أخويه ثقبة وعجلان وذلك في رجب سنة ٧٦٠هـ ، وانتهت ولايته لها على أثر فتنة وقعت بين الأتراك وبني حسن سنة ٧٦٢هـ ، توفي على أثر مرض ألم به سنة ٧٧٣هـ . الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٢٤٥.

(٤) هو مغامس بن رميثة بن أبي نمي بن حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي ، كان أحد الثائرين على أخيه الشريف عجلان سنة ٧٤٦هـ ، سجن في مصر مع أخويه سند وثقبة عندما قدموا إليها للشكوى من عجلان ، ثم أطلق سراحه مع أخويه سنة ٧٥٦هـ ، كان من الفرسان المعدودين في بني حسن ، توفي مقتولاً في فتنة حدثت بين بني حسن والأتراك بمكة سنة٧٦١هـ. الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦، ص١٠٦. ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، ج١، ص ٣٢٦.

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٢٤٥ ، ج ٦، ص١٠٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٢٣٠. رتشارد مورتيل ، الأحوال السياسية والأقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص٩٤.

عطيفة [1] فوصلوا إلى مكة وشاركوا عجلان في الحكم بأخذهم نصف دخل البلاد و لم يعارض في ذلك عجلان و لم يحدث أي صدام عسكري بين الطرفين مما يدل أنهم كانوا يحملون تعييناً رسمياً من السلطة السياسية في مصر،وأن كثرتهم جعلت عجلان يتحاشى الصدام معهم ، ويبدو أن شريك ا عجلان أخوه ثقبة أما الأشراف الآخرين سند ومغامس ومحمد بن عطيفة ليس لهم في حكم مكة أمر وإنما كانوا مصاحبين لثقبة ومساندين له [2].

وفي عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م حدث خلاف بين الأخوين عجلان و ثقبة فأقام ثقبة بأنصاره في منطقة الجديد[3] فزحف عجلان بأنصاره لحرب أخيه ثقبة فلم يحدث بينهما قتال حيث سعى القواد في الصلح بين الأخوين فتم الصلح بينهما [4] ، وهنا نستشف أن المشارك لعجلان هو أخوه ثقبة فقط.

ثم غادر عجلان إلى مصر في نفس العام وكان قصده طلب الانفراد بحكم مكة ، وتأييد السلطة السياسية له بمصر ، فتم له ما أراد حيث عين بمفرده ، ولكن حدث أثناء غيبته أن زحف أخوه ثقبة على مكة وقطع ذكر اسم أخيه عجلان واستقل بالحكم ، ولكن فوجئ بمجيء أخيه عجلان في الخامس من شوال ٧٥٠هـ/١٣٤٩م بمرسوم توليته الإمارة بمفرده ، وقد تزود أيضاً بما يحتاجه من أسلحة وعتاد ، وعدد من الجنود المرتزقة وعدد من المماليك اشتراهم من مصر، ويبدو أن السلطة السياسية في مصر أمدت عجلان بما يحتاجه من أموال استطاع بها أن يبني له قوة عسكرية مزودة بما تحتاجه من عتاد ويقدم بها ، فعندما قدم بقواته إلى الحجاز لم يجد ثقبة أمامه إلا أن يخرج من مكة باتجاه اليمن يترقب الفرصة من جديد

---

(١) هو محمد بن عطيفة بن أبي نمي بن حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي ، أمير مكة ، وليها بعد عزل عجلان ، و ثقبة سنة ٧٦٠هـ ، ثم سافر إلى مصر بعد فتنة حدثت للأتراك سنة ٧٦١هـ فبقي بها إلى أن مات سنة= =٧٦٣هـ . الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢، ص٢٦٢. ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، ج٢، ص ٦٥٥.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص ٢٥٧، ج٤،ص٢٤٧،ج٦، ص١٠٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص٢٣٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٤٠. الجزيري : الدرر، ص٦٤٧.

(٣) الجديد : أحد الأماكن الخصبة بوادي مر به عين ماء عذبة . عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٢، ص١٣٥.

(٤)الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص ٢٥٧،ج٥،ص١٩٠. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ٢٤١. السنجاري:منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٥٥.

للوثوب عليها متى سنحت الفرصة ويعمل على إضعاف حكومة أخيه عجلان بتهديد تموين مكة بالغلال والأزواد[1].

وفي عام ٧٥٢هـ/١٣٥١م سافر ثقبة بن رميثة إلى مصر واستطاع أن يحصل على تفويض بحكم مكة بمفرده وعزل أخيه عجلان ، وقدم إلى الحجاز فرفض عجلان أن يتنازل عن الحكم لأخيه واستعد للحرب ،فانتظر ثقبة حتى قدم ركب الحج المصري فسار بصحبتهم وطلب منهم نصرته على أخيه ، فدارت مفاوضات بين الأخوين تزعّمها أمير الحاج المصري الأمير طيبغا المجدي [2] والشيخ عز الدين ابن جماعة [3]، الذي كان مرافقاً لركب الحجاج انتهت بعقد صلح بين الأخوين على أن تكون الإمارة شراكة بينهما.[4]

لم يدم الوفاق بين الأخوين عجلان وأخيه ثقبة حيث كانت المصالح الشخصية تتحكم في العلاقة بينهما ، وما أن يستأثر أحدهما بكسب مادي حتى يكون سبباً في إعادة النزاع بينهما من جديد ؛ ومن ذلك أن عجلان استولى على قافلة تجارية قادمة من اليمن فيها مبالغ طائلة لأهل مكة ، فما أن سمع ثقبة حتى طلب من أخيه نصيبه من هذا الكسب ، حيث إنه شريكه في الحكم وفي النهب أيضاً ، فرفض عجلان أن يعطيه شيئاً منها ، ويبدو أن الأخوين كانا يحاولان جمع أكبر قدر من الأموال حتى يتمكن كل منهما من التفوق على منافسه بكسب أكبر قدر من الأعوان الذين يجمعهم بالطبع بما ينفق عليهم من المال ، وبهذا أصبح الأخوان لا يتورعان عن كسب المال بأي طريقة كانت ، وفي مقابل رفض عجلان إعطاء

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص ٢٥٧،ج٥،ص١٩٠. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٨. المقريزي : السلوك ، ج ٤، ص ١٢١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ٢٤١. السنجاري:منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٥٥.

(٢) هو الأمير علاء الدين طيبغا المجدي الجمدار ، تولى نيابة حماة مرتين ، ثم طلب إلى مصر وأقام بها أميراً كبيراً ، ثم رسم له بالإقامة بدمشق مقدم ، ثم عاد إلى مصر . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٢، ص ٢٣١. الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ١٦، ص ٢٩٣.

(٣) هو عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني ، الحافظ قاضي القضاة ولي قضاء مصر سنة٧٣٩هـ ، وحج وجاور بمكة ، ومات بمكة المكرمة ٧٦٧هـ ،ألف العديد من الكتب منها: هدية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك ، والمناسك الغرى . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٢، ص ٣٧٨. الزركلي : الأعلام ، ج٤، ص ٢٦.

(٤)الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص ٢٥٧،ج٥،ص١٩٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٥٣.ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٣٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٥٢.

أخيه ثقبة من ما نهبه قرر ثقبة الغدر بأخيه والقبض عليه ،فسافر ثقبة تجاه أخيه عجلان ، واستطاع بحيلة أن يقبض عليه ويقيده وهو في قلة من أصحابه ويأخذ ما نهبه أخوه من أموال ، وينفرد بالإمارة ، وفي نفس الوقت استطاع عجلان أن يفلت من قبضة أخيه ويختفي في البادية عند بعض المناصرين له فترة يسيرة من الزمن [١].

ويبدو أن عجلان كتب إلى السلطة بمصر بعد نجاته عن تصرف أخيه معه وما حدث من إنفراد أخيه ثقبة بالحكم ، كما أن تصرف ثقبة مع أخيه لم يلق قبولاً لدى السلطة السياسية بمصر فقررت إعادة الأمور إلى طبيعتها في إشراك الأخوين في الإمارة، وعند رفض ثقبة عودة أخيه عجلان لشراكته في الإمارة يتم تنحيته وتولية عجلان بمفرده ، ورتبت هذا الأمر مع أمير الحاج المصري الأمير زين الدين عمر شاه الحاجب [٢] وعند قدوم ركب الحجاج التقى بهم عجلان وبين لهم ما تعرض له من ظلم من أخيه ثقبة فطمأنوا قلبه واصطحبوه معهم فقابلهم أخوه ثقبة ، وحاول أمير الحاج ومن معه من الأمراء الصلح بين عجلان وأخيه ثقبة ، ولكن ثقبة رفض الصلح رفضاً قاطعاً مما أغضب الأمراء فقبضوا عليه بحيلة ذكية حيث ساروا قريباً منه وهم يحادثونه في الصلح مع أخيه ، وهو يأبى عليهم فقام الأمراء بأخذ سلاحه وتقييده ومن معه من أخوته سند ، ومغامس ، وابن عمهم محمد بن عطيفة ، وقاموا بتنصيب عجلان أميراً بمفردة ، وبقي ثقبة وأخوته تحت الحراسة حتى فرغ الناس من الحج فسافروا بالأشراف مكبلين إلى مصر وذلك في عام ٧٥٤هـ/١٣٥٣م[٣].

---

(١) الفاسي : العقد ، ج٥، ص ١٩٢. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص١٧٦.ابن فهد: إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٥٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٤٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٥٣.

(٢) هو :الأمير عمرشاه التركي أول ما تأمر طبلخاناة ، ثم ولي نيابة حماة مرة بعد أخرى ، وعمل حاجب الحجاب وباشر الجوبية بصرامة وشهامة وكانت سيرته في حماة مشكورة ، مات بدمشق سنة ٧٧١هـ . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣، ص١٩٨.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣،ص٢٥٧، ج٥، ص ١٩٢. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص ١٨٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٦٠.ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٣٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٥٤.

ظل ثقبة بن رميثة وأخويه سند ومغامس وابن عمهم محمد بن عطيفة في السجن في مصر حتى شفع فيهم الأمير فياض بن مهنا [(١)] فتم إطلاقهم عام ٧٥٦هـ/١٣٥٤م وقدموا إلى الحجاز في السابع عشر من رمضان من نفس العام ، وأخذوا في جمع الأنصار وحشد القوى وحاصروا عجلان في يوم الثالث عشر من ذي القعدة وحدثت مناوشات بين أنصار الفريقين قتل فيها بعض الجنود ، وفي اليوم التالي رفع ثقبة وأنصاره الحصار عن عجلان ، ويبدو أن السبب هو تأكد ثقبة وأنصاره أن عجلان من القوة بحيث يستطيع الصمود حتى قدوم ركب الحجاج الذي قد أوشك على القدوم لذا تم رفع الحصار وانتقل ثقبة وأنصاره إلى الجديد ، وأخذوا يتزودون بالمؤن عن طريق نهب القوافل التجارية القادمة إلى مكة واستمر الوضع على هذا النحو حتى انتهاء موسم الحج لعام ٧٥٦هـ/١٣٥٤م.[(٢)]

اصطلح عجلان مع أخيه ثقبة بعد انتهاء موسم الحج لعام ٧٥٦هـ/١٣٥٤م ، ويبدو أن الدافع لهذا الصلح هو عدم دخول ركب الحاج المصري في الصراع بين الأخوين لصالح عجلان ، وأيضاً ما فرضه ثقبة وأنصاره من حصار اقتصادي على مكة مما جعل عجلان يقرر الصلح مع أخيه ، فتم الصلح في التاسع من المحرم سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٥م على أن يكون الأخوان عجلان وثقبة شريكين في الإمارة ، وقام عجلان بإعطاء أخيه ثقبة نصف ما يملك من مماليك ،مما يدل على رغبة عجلان في إنهاء النزاع مع أخيه ، كما انقسم الأشراف والقواد في ولائهم بين الأخوين ، مما يدل أن الصلح كان على أن تتعادل موازين القوى بينهما ، ومع هذا التنازل من قبل عجلان إلا أن ثقبة كان يضمر التمرد على أخيه ، ويبدو أنه استطاع أن يستميل أكثر الأنصار لصفه ، فزحف باتجاه مكة في الثالث عشر من جمادى الآخرة وملكها بمفرده في الوقت الذي انسحب عجلان إلى وادي الجديد ، يترقب وصول ركب الحاج المصري مما يؤكد أن القيادة السياسية في مصر كانت على اتصال دائم مع

---

(١) هو فياض بن مهنا بن عيسى بن مهنا الفضلي ، أمير العرب في بادية سورية والعراق من آل فضل ، تولى إمارة العرب بعد أخيه أحمد سنة ٧٤٩هـ، ثم عزل وسجن في الأسكندرية ، ثم أعيد إلى الإمارة ومات في العراق سنة ٧٦١هـ .ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٣،ص٢٣٤ الزركلي : الأعلام ، ج٥، ص ١٦٤.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣،ص٢٥٨، ج٥، ص ١٩٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٦٧.ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٣٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٥٦.

عجلان ، فعندما قدم ركب الحاج أعاد الإمارة إلى عجلان في الوقت الذي خرج ثقبة إلى جنوب مكة يعاود الحصار الاقتصادي باستيلائه على القوافل التي تأتي من جنوب البلاد [١] .

استمر ثقبة بن رميثة في معارضته لأخيه عجلان ، وكان للأشراف والقواد دور بارز في هذا النزاع حيث إن هاتين القوتين أصبحتا تتحكم في الوضع السياسي للمنطقة ، وكان كل من ثقبة وأخيه عجلان يحاول كل منهما كسب ولاء هاتين القوتين ، وكسبهما عادة يكون بدفع مبالغ مالية لهم فإذا نقصت لأمر ما يتحول الحلف للخصم الآخر ، واتضح أيضاً أن القوتين أصبحتا متنافستين فيما بينهما بحيث إذا حالف القواد أحد الأشراف حالفت القوة الأخرى الشريف الآخر ، وهذا ما حصل في عام ٧٥٨هـ/١٣٥٦م فقد ترك القواد حليفهم ثقبة وحالفوا أخاه عجلان ، فمال الأشراف جميعهم إلى ثقبة وحالفوه ضد أخيه عجلان ، ونتيجة لهذا الحلف الجديد، حاول عجلان أن يجني ثماره ،فخرج بحلفائه لقتال أخيه ثقبة حتى وصل إلى البرقة [٢] فمنعه القواد من قتال أخيه ، وهنا يبدو أن القوتين العسكريتين: القواد والأشراف كانتا تحاولان كسب الخلاف بين الأخوين وتجنب التصادم فيما بينها لإطالة فترة الاستفادة من الخلاف الناشب بينهما لاستمرار مواردها ، كما حاول ثقبة بأنصاره الأشراف اقتحام مكة ، ولكنه لم يستطع وذلك في ذي القعدة عام ٧٥٨هـ/١٣٥٦م ، وعندما قدم موسم الحج اتفق الأخوان واشتركا معاً في الحكم في محاولة للاستفادة فيما يبدو من موسم الحج.[٣]

استمر ثقبة وأخيه عجلان شريكين في الإمارة حتى عام ٧٦٠هـ/١٣٥٨م حيث استدعت السلطة السياسية في مصر عجلان ، وأخاه ثقبة للقدوم إلى مصر فلم يوافقا ، وذلك لتوقعهما القبض عليهما ، فتم عزلهما عن الحكم و توليه أخيهما سند بن رميثة ،

---

(١) الفاسي: العقد الثمين ، ج٣، ص ٢٥٨، ج٥،ص١٩٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣،ص ٢٦٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢،ص ١٣٤.

(٢) البرقة : قرية حسنة بين خيف بني شديد ، وأبو عروة بطرف مر الظهران ، كان بها مزارع نخيل ، وخضار نضرة ، وبها حصن ، وقصر يسكنه أمير مكة المكرمة قديماً . سكانها اليوم آل الكريمي من الأشراف . ابن فهد : حسن القرى في أودية أمر القرى ، ص ٦٥ . عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج١، ص٢٠٦.

(٣) الفاسي :العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٢٥٨ ، ج٥، ص ١٩٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣،ص ٢٧١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢،ص ١٣٥.

وابن عمهما محمد بن عطيفة ، مما يدل على حرص السلطة على استمرار الشراكة في الحكم ، ويبدو أن سبب عزلهما أنه عندما اتفق الأخوان في عام ٧٥٨هـ/١٣٥٦م تضرر الناس مما أصابهم من المكوس والظلم حيث أن كلاً من الأخوين يحاول أن يجمع أكثر عددٍ من المال للإنفاق على أتباعه وبهذا قررت السلطة السياسية في مصر تنحيتهما(١).

أدرك عجلان أنه أخطأ في التعامل مع السلطة السياسية في مصر عندما رفض طلبها بالحضور إلى مصر عام ٧٦٠هـ/١٣٥٨م حيث ترتب عليه تنحيته وأخيه ثقبة عن الحكم ، وتولية أخيه سند وابن عمه محمد بن عطيفة ، فقرر السفر إلى مصر في محاولة لكسب ود السلطة السياسية في مصر التي كان يتزعمها السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (٢) وما أن وصل إلى مصر حتى تم القبض عليه وعلى ابنيه اللذين كانا مرافقين له وهما أحمد (٣) وكبيش(٤) وسجن الجميع (٥)، وبعد مقتل السلطان الناصر حسن سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م أُطلق عجلان وابناه من السجن وتم تعيينه أميراً على مكة بالشراكة مع أخيه ثقبة فتوجه إلى

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٢٥٨، ج٥، ص ١٩٤.الفاسي: شفاء الغرام ،ج ٢، ص ٤١٩. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص ٢٤٢. إتحاف الورى ، ج ٣،ص ٢٧١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢،ص ١٣٦.

(٢) هو الملك الناصر بدر الدين أبو المعالي حسن بن محمد بن قلاوون ، تولى الملك في رابع عشر رمضان سنة ٧٤٨هـ ، بعد أخيه المظفر حاجي ، وخلع سنة٧٥٢هـ ثم أعيد سنة ٧٥٥هـ بعد أخيه الصالح صالح بن الناصر ، واستمر إلى سنة ٧٦٢هـ حيث قتل على يد مماليكه ، كان شجاعاً مهيباً وافر الحرمة ، محباً للرعية يميل للهو كثيراً . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٠،ص ١٨٧. الزركلي : الأعلام ، ج٢، ص ٢١٦.

(٣) هو أحمد بن عجلان بن رميثة الحسني المكي ، ولي إمرة مكة ستاً وعشرين سنة شريكاً لأبيه ومستقلاً ثم أشرك ابنه محمد معه في الحكم ، قبض عليه سنة ٧٦٠هـ وسجن في مصر بأمر السلطان الناصر حسن ، وأطلق بعد مقتل السلطان الناصر حسن سنة٧٦٢هـ ، كان كثير العدل مشكور السيرة ، توفي سنة٧٨٨هـ. الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص ٥٥. ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١، ص ٢٠١ . ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١، ص ٥٩.

(٤) هو كبيش بن عجلان بن رميثة الحسني المكي ، كان ينوب في إمرة مكة عن أبيه وأخيه أحمد ، كان مقرباً من أخيه أحمد لوفرة رأيه وشهامته ، وكفايته ، كان مدبر الإمارة بعد وفاة أحمد وذلك لصغر سن محمد بن أحمد بن عجلان ، قتل على يد أصحاب الشريف عنان عام ٧٨٩هـ . الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص ٣.

(٥) المصدر السابق ، ج ٣، ص ٥٥، ج ٥، ص ١٩٤، ج٦، ص ٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص٢٧٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٨٢.

الحجاز في نفس السنة فلم يلبث أن توفي ثقبة بن رميثة في شوال سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م ، فأشرك عجلان ابنه أحمد معه في الحكم [١].

ثورة الشريف سند بن رميثة ٧٦٣هـ/١٣٦١م

بعد نجاح عجلان في ضم حلفاء أخيه سند بن رميثة إليه عن طريق ابنه أحمد بن عجلان أصبح عجلان يجمع القوتين العسكريتين في مكة قوة الأشراف ، وقوة القادة العمرية [٢]. لهذا أصبح بمقدور عجلان أن يتحرك في رغبة لتوسيع دائرة ملكه ، فزحف باتجاه جنوب مكة لقصد منطقة حلي، واستطاع أن يقضي على مقاومة أهلها وضمها إلى إمارته ، وقد حصل على مكاسب كبيرة أخذ منها نصيباً كبيراً لنفسه مما أغضب بعض أنصاره من الأشراف بني حسن لقلة نصيبهم من الغنيمة ، ويبدو أن بني حسن غضبوا من قبل عندما انضم إلى عجلان القادة العمرية نصرة لأبنه أحمد ، ويبدو أن قلة نصبيهم من الغنيمة كان لكثرة مقتسميها من أنصار عجلان من أشراف وقادة ، لذا غضب بعض الأشراف من بني حسن وراسلوا سند بن رميثة الذي انتهى به المطاف في ينبع بعد تخلي أنصاره القادة العمرية وانضمامهم لعجلان كما أسلفنا، على أن يقدم إليهم ليساعدوه على تولي الإمارة ، ومنوه بالنصر على أخيه عجلان، فقدم سند ، وهاجم بمن معه مدينة جدة [٣] واستولى على قافلة

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٥١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٨٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ص ١٣٦. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٧٦. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١٥٨.

(٢) القادة العمرية هم فئة من القادة العسكريين الذين كان لهم قوة عسكرية وعدد كبير من الأتباع ، وهم ينتسبون إلى عمر بن مسعود العمري ، وكان أشراف مكة المكرمة تربطهم بهم صلات مصاهرة كثيرة منهم :القائد= =راجح بن محمد العمري ، وسنان بن راجح العمري ، وعبد الله بن عمر العمري ، ولقاح بن منصور العمري . الفاسي : العقد الثمين :ج٣، ص ٢٨٨. ج٤،ص ٨٣ ،٢٤٥ ، ج٦، ١٩.

(٣)جدة مدينة تقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر على بعد حوالي ٧٥كيلاً عن مكة المكرمة ، تم اتخاذها ميناء في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهي اليوم الميناء الرئيسي للمملكة العربية السعودية ، ومن أكبر المدن بها جميع الخدمات وفيها مطار دولي وميناء بحري من أحدث الموانئ العالمية يستقبل معظم وفود الحجاج .عبدالقدوس الأنصاري : موسوعة تاريخ مدينة جدة ، ج١ ، ط٢، مطابع الروضة ، جدة ، ١٤٠١هـ ، ص ١٤. آمنة إبراهيم أبو حجر : موسوعة المدن العربية ، ص١٥٤. عبد الحكيم العفيفي : موسوعة ١٠٠٠مدينة إسلامية ، ط١، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ١٤٢١هـ ، ص ١٨٧.

تجارية (جلبة) (١) فيها مال جزيل لأحد التجار فنهبها واتجه إلى الجديد بوادي مر ، وهو بهذا العمل يقصد التزود بالمال لتوزيعه على أنصاره من بني حسن لكي يكسب ولاءهم له وهذا ما تم فعلاً ، حيث وزع سند ما نهبه من مال على بني الحسن ولكن لم يسعفه الحظ حيث لم يلبث أن مرض وتوفي بالجديد من وادي مر سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م (٢) .

ثورة الشريف كبيش بن عجلان بن رميثة ٧٨٨هـ/١٣٦٨م

بعد مقتل محمد(٣) بن أحمد بن عجلان عام ٧٨٨هـ/١٣٦٨م في حفل استقبال ركب حج مصر تولى إمارة مكة عنان بن (٤) مغامس بن رميثة بمرسوم من السلطة السياسية بمصر فتمرد كبيش بن عجلان غضباً لمقتل ابن أخيه ولتعيين عنان بن مغامس في منصب الإمارة وهذا يعني خروج الإمارة من بيت عجلان إلى فرع آخر من الأسرة الحاكمة ، واتجه إلى جدة في مسعى لفرض حصار اقتصادي على مكة ، وبعد أن تم تعيين عنان رسمياً في المسجد

---

(١) جلبة من جلب يجلب وهو بمعنى ما يجلب للبيع من كل شيء من بلد إلى بلد ، تطلق على الإبل التي تحمل المتاع للبيع من مكان لآخر ، والمقصود هنا السفينة لأنه يجلب عليها بضائع التجار للبيع . ابن منظور : لسان العرب ، ج٢، ص ٣١٤. الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، ص ٦٥.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٢٤٥،ج ٥، ص ١٩٥. ابن فهد: إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٢٩٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٥٠.

(٣) هو : محمد بن أحمد بن عجلان بن رميثة الحسني المكي ، أمير مكة ، تولى إمارتها ثمان سنين شريكاً لأبيه أحمد ، لم يكن له أمر في ولايته حيث كان المتصرف عمه كبيش بن عجلان استقل في ولايته من العشرين في شعبان سنة ٧٨٨هـ وتم اغتياله في مستهل ذي الحجة من نفس العام ، فيكون فترة استقلاله بحكم مكة مائة يوم فقط الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢، ص ٣٣.ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج٢، ص ٥٨٤.

(٤) هو : عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نمي الحسني المكي ، أمير مكة ، ولي إمرتها مرتين الأولى سنة إلا أربعة أشهر ، والثانية سنتان ، سجن بمصر بعد أن استدعاه السلطان سنة ٧٩٤هـ وتوفي بمصر على أثر مرض ألم به سنة ٨٠٥هـ ، كان كثير الشجاعة والكرم ، عالي الهمة . الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ٤١٦. ابن تغري بردي: الدليل الشافي ، ج١، ص٥٠٨. السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٦، ص ١٤٧.

الحرام أرسل ابن عمه على [1] بن مبارك بن رميثة بن أبي نمي الحسني إلى جدة لكي يخرج كبيش بن عجلان ومن معه منها ، في خطة ذكية لاستمالة كبار بني حسن ،وعندما وصل علي بن مبارك إلى جدة غادرها كبيش بدون قتال [2].مما يدل على أن كبيش لم يكن يسعى لتوسيع دائرة العداء بينه وبين كبار بني حسن ،ويأمل أيضاً في تهدئة الأوضاع حتى يغادر ركب الحجاج إلى مصر حتى لا يستغلهم عنان في القضاء على كبيش وأنصاره فقرر الانسحاب من جدة حتى يستجمع قواه .

وبعد انسحاب كبيش بن عجلان من جدة اجتمع مع الأمير جركس الخليلي [3] الذي حج في ذلك العام وهو في طريق عودته إلى مصر بعد انتهاء موسم الحج وبين له أنه لم يهاجم ركب الحج احتراماً له وطلب منه مساعدته في تحسين صورة بيت آل عجلان عند السلطة السياسية في مصر والعمل على بذل مايعود بالنفع عليهم وقد وعده الأمير جاركس خيراً[4] وهذه محاولة ذكية من كبيش لكسب السلطة السياسية في مصر وتهدئتها عن إرسال حملات عسكرية تثبت إمارة عنان بن مغامس ، في الوقت الذي أخذ جاهداً في جمع الأنصار لمنازلة عنان وفرض حصار اقتصادي على مكة وهذا ما تم فعلاً حيث جمع كبيش عدداً من أنصاره من القواد العمرية ، كما جمع عدد كبيراً من الأعراب [5] وقصد بهم مدينة جدة

---

(١) هو : علي بن مبارك بن رميثة بن أبي نمي الحسني المكي ، كان من رؤساء بني حسن استماله عنان إلى صفه أثناء ولايته على مكة ، كان يطمع في حكم مكة ، سافر إلى مصر سنة٨٩٧هـ رغبة في الإمارة فاعتقل بها توفي سنة ٨١٥هـ بمصر . الفاسي : العقد الثمين ،ج ٥، ص ٢٩٢. السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٥، ص ٢٧٧. ابن فهد : غاية المرام ،ج ٢، ص ٢٢٥.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤١٦،ج ٦،ص ٤. المقريزي : السلوك ، ج٥، ص١٨٩. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١١، ص ٢٤٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٤٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٧٢.

(٣) هو : الأمير جركس بن عبد الله الخليلي ، كان من كبار الأمراء في عهد السلطان الظاهر برقوق ، له وجاهة وثراء واسع ، ينسب إليه الخان المشهور بالقاهرة بخان الخيلي ، توفي قتيلاً في معركة منطاش الناصري في بلاد الشام سنة ٧٩١هـ. المقريزي ، السلوك ، ج ٥، ص ١٨٧ ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، ج١، ص ٢٣٣.

(٤)الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦،ص ٤ .

(٥) الأعراب هم سكان البادية ، ورجل أعرابي إذا كان بدوياً صاحب نجعة وانتواء وارتياد للكلاء ووتتبع لمساقط الغيث . ابن منظور : لسان العرب ، ج٩، ص ١١٢. محيي الدين الدرويش : إعراب القرآن الكريم ،ط٧، دار ابن كثير للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٤٢٠، ج٣، ص ٢٥٨.

واستطاع السيطرة عليها ثم نزل عند صهاريج [1]مدينة جدة[2] وهنا يلاحظ أن كبيش كان على درجة كبيرة من الذكاء العسكري حيث إنه منذ بداية الصراع بينه وبين عنان كان يتجه إلى مدينة جدة لما تمثله هذه المدينة من قيمة اقتصادية لإمارة مكة حيث تعتبر البوابة البحرية الرئيسية ، لذا حرص كبيش على تهديدها باستمرار ، كما أن نزوله عند صهاريج جدة وسيطرته عليها يعطيه قوة في منع أعدائه من الماء الذي تفتقده مدينة جدة مما يؤثر على أعدائه بشكل كبير.

ما أن سمع عنان بن مغامس بهجوم كبيش على جدة واستيلائه عليها حتى زحف بأنصاره لانتزاعها ونزل بقواته في الحديد ،[3] فأقام ثلاثة عشر يوماً وقد تضرر عنان وقواته لقلة الماء وذلك لسيطرة كبيش وأتباعه على صهاريج الماء كما أسلفنا، و لم يقع بين عنان وأتباعه وبين كبيش وأتباعه قتال وذلك لأن في كل يوم يخرج من بين كبار الأشراف من يجير [4] بين الفريقين في ترك القتال ، ومع أن طول المدة قد أضر بعنان وأتباعه إلا أنه قد أثر أيضاً على أصحاب كبيش حيث بدأ فيهم الفتور عن القتال وبدأ أصحابه من القادة يشكون في العاقبة فيما لو قُتل أحد الأشراف فيطالبون بدمه ، أما الأعراب فكانوا ممن يؤثر السلامة ويأمل في الكسب فقط وليس لهم في القتل مصلحة ، عند ذلك خشي كبيش من الهزيمة فرحل عن

---

(١) صهاريج : جمع صهريج هي الحياض يجتمع فيها الماء ، وهي تعمل في أفواه الأودية ليجتمع فيها مياه الأمطار ، وهي عبارة عن خزانات للمياه ، وتبنى عادة بالآجر والخافقي في باطن الأرض لحفظ المياه ،ومغطاه عادة ، وتغطى فوهة الصهريج بخرزة من الرخام أو الحجر لإمكان الدخول إليه وتنظيفه . ابن منظور : لسان العرب ، ج٧، ص ٤٣٠. المنجد في الأعلام واللغة ، ص٤٣٨. محمد أمين وآخرون ، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ،ط١، الجامعة الأمريكية ، القاهرة ،١٣٩٦هـ ، ص ٧٣.

(٢) الفاسي: العقد الثمين ، ج٦،ص ٤. ابن فهد: إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٣٥٧. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٧٤.

(٣) الحديد : موضع قريب من جدة إلى الجنوب منها . لم نعثر على تعريف له في المعاجم .

(٤) الإجارة هنا بمعنى المنع أي يمنع أحد كبار القوم من الحرب بين الطرفين ويكونوا في مأمن حتى ينتهي التفاوض . ابن منظور : لسان العرب ، ج ٢، ص ٤١٥. الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، ص٣٣٢.

جدة فدخلها عنان ونظم وضعها حيث عين فيها نائباً عنه وهو محمد[1] بن عجلان وعاد إلى مكة [2]، في محاولة منه لتفرقة أبناء عجلان .

لم يستطع عنان أن يكسب ولاء محمد بن عجلان نائبه على جده وذلك أن عيون عنان نقلوا له أن محمد بن عجلان مقصر في نيابته على جدة مما أوغر صدره عليه فما كان منه إلا أنه أرسل بخطاب توبيخ شديد اللهجة لمحمد بن عجلان على ما نقل عنه ، فكان هذا الخطاب مؤلماً لمحمد بن عجلان الذي كان منحازاً لعنان ضد أخوته وأبنائهم ، فما كان منه إلا أن أعلن تمرده على حليفه عنان وقام باستدعاء أخيه كبيش بعد أن أمنه حيث كان كبيش يخشى على نفسه من أخيه محمد بن عجلان لما له من سابقة في كحله[3] ومن معه من الأشراف في سجن محمد بن أحمد بن عجلان ،حيث كان كبيش المتصرف في الإمارة ، كما استدعى كل من كان في صف عنان من آل عجلان إليه في مدينة جدة وأعلنوا تمردهم وقاموا بنهب ما في مدينة جدة من أموال التجار والغلال الموجودة في المستودعات مما كان للسلطة السياسية بمصر و واعتدوا على السفن التجارية بالنهب أيضاً ، فقدر ما أخذوه بمبالغ كبيرة قيل إنها بلغت ستمائة مثقال [4] من الذهب[1] ، وبهذا يكون عنان قد خسر خسارة

---

(١) هو : محمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني المكي ، كان أحد المسجونين في سجن أخيه الشريف أحمد بن عجلان مع عنان بن مغامس وغيره من كبار الأشراف ، وقد تعرض مع عدد منهم لسمل عينيه مع عدد من الأشراف بأمر من ابن أخيه محمد بن أحمد بن عجلان وأخيه كبيش أستنابه عنان عنه في جدة عام٧٨٨هـ ثم اختلف معه وباينه ، ناب عن أخويه علي و حسن مدة يسير في عهد كل منهما توفي سنة٨٠٢هـ. الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ٢٦٠. ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج٢ ، ص ٦٥٤.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ٢٦٠،ج ٥، ص٤١٦، ج٦،ص٤ . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٥٧. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٧٤.

(٣)التكحيل أو السمل هو فقؤ العين بحديدة محماة وهي طريقة ، لإذهاب بصر السجناء حيث يتم وضع مبردمحمى= =على النار في داخل العين حتى تفقد الرؤية . ابن منظور : لسان العرب ، ج٦، ص ٣٧٠.الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ص ٩١٤.

(٤) المثقال في اللغة اسم لما له ثقل ، ويقصد به عند الفقهاء الدينار ، وعند الجمهور أنه الذي يزن درهماً وثلاثة أسباع الدرهم أي أن كل سبعة مثاقيل تزن عشرة دراهم . ابن سلام ، القاسم : الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٦هـ ، ص٥٢٢. الفيومي : المصباح المنير ، ص٤٧. الكردي ، أحمد الحجي : المقادير الشرعية (المكاييل والموازين) وما يتعلق بها من الأحكام الشرعية ، وما يقابلها

كبيرة حيث انفصل عنه عدد كبير من الأعوان لغضب محمد بن عجلان ، كما أنه خسر مورد مكة الاقتصادي وهو مدينة جدة التي أصبحت في يد المناوئين له ، كما خسر ثقة السلطة السياسية في مصر عندما أقدم محمد وأتباعه من نهب مستودعات الغلال في مدينة جدة التي كانت لبعض أمراء مصر مثل الأمير جاركس الخليلي ، وكان على عنان أن يتحرك لكسب ثقة السلطة السياسية في مصر، باستعادة الأموال والغلال التي نهبت من جدة وأن يقيم الأمن في طريق الحاج الذي أخذ أصحاب محمد بن عجلان وكبيش يعيثون فيه فسادا، ولكن الوضع الذي كان فيه عنان لم يكن يسمح له بمغادرة البلاد حيث قصده خصومه يتقدمهم كبيش بن عجلان و محمد بن عجلان ، فما كان من عنان بن مغامس إلا أن أقدم على خطوة لم تكن موفقة وذلك باسترضاء عدد من زعماء بني حسن حيث أشرك ثلاثة منهم معه في الإمارة وذلك بالدعاء لهم مع الدعاء له في محاولة لكسر تجمع الأشراف ضده وهم : أحمد[٢] بن ثقبة بن رميثة ، وعقيل ابن مبارك ، وأخوه علي بن مبارك .

كان هذا الإجراء مضعفاً لسلطته في الإمارة لكثرة عدد الزعماء مما يجعل الكثير منهم يطمع في السلطة لنفسه ويشعر بقوته عندما تم اختياره شريكاً في الإمارة ، كما أن هذا الأمر بالإضافة لما حدث من نهب في أموال التجار والاستيلاء على الغلال المخزونة في مستودعات مدينة جدة ، أكدت للسلطة ضعف عنان عن القيام بمتطلبات الإمارة التي كانت تأمله السلطة السياسية في مصر وأثبتت لها أيضاً قوة نفوذ أسرة آل عجلان في منطقة الحجاز مما جعل السلطة تسرع بعزل عنان بن مغامس وتعيين أحد أفراد أسرة آل عجلان وهو

من المقادير المعاصرة .مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الكويت ، السنة السادسة عشرة ، العدد٤٧، رمضان ١٤٢٢هـ ، ص ٢٩٤.

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ٢٦١ ،ج ٥، ص٤١٩، ج٦،ص٥ . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٦١. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ص ٢٠٦، ٢٤٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٧٥.

(٢) هو أحمد بن ثقبة بن رميثة بن أبي نمي الحسني المكي ، ولي إمرة مكة المكرمة شريكاً لعنان بتفويض من عنان= =كان ضريراً بسبب سمل عينيه في سجن الشريف محمد بن أحمد بن عجلان ، توفي سنة٨١٢هـ . الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ن ص ١٣. ابن تغري بردي : الدليل الشافي ،ج١ ، ص ٤٢. السخاوي : الضوء اللامع ،ج ١، ص ٢٦٦.

علي[١] بن عجلان أميراً على مكة ، وبهذا أصبحت ثورة كبيش شرعية حيث يطالب بتنفيذ أوامر السلطة السياسية في مصر بخروج عنان من مكة لواليها الجديد ، فامتنع عنان وأصحابه من تسليم البلد لآل عجلان وصمموا على المواجهة ، فزحف كبيش بمن معه من الأتباع ، وقيل إن قواته بلغت (١٠٠) فارس و(١٠٠٠) راجل وكان القادة العمرية ، والحميضات[٢] يشكلون عصب قوات كبيش ، وعندما وصلت القوات إلى مكة أسرع كبيش بمهاجمة قوات عنان قبل أن يتم استعداد قواته ، وقبل أن يضع خطة محكمة للقتال مما أدى إلى تخلخل القوات وتفرقها في الهجوم ،مما أضعف من قوتها العسكرية في مواجهة قوت عنان التي كانت مستريحة ومجتمعة وكان لتفرق قوات كبيش في الهجوم فرصة سانحة لمن أراد الانصراف عن المواجهة وعدم الاشتراك في الحرب ، وهذا ما تم فعلاً بالنسبة للقادة الحميضات حيث أخذوا في دخولهم من طريق يخرجهم على مسجد الإجابة [٣] في الوقت الذي كان كبيش ومعه القادة العمرية وبقية الجيش تسلك طريق ثنية أذاخر [٤] فكان هذا الافتراق سبباً في تقاعس القادة الحميضات عن المشاركة في الهجوم ، ويحتمل أن عنان استطاع أن يستميلهم إلى عدم المشاركة في الهجوم عليه فكان ذلك خللاً في صفوف القوات المهاجمة ، ويدل على هذا أن قوات عنان كانت بأجمعها في مواجهة القوة التي مع كبيش و لم يكن هناك فريق آخر لمواجهة القادة الحميضات مما يدل أن هناك اتفاقاً مسبقاً حصل بين

---

(١) هو : علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني المكي ، ولي إمرة مكة ثمان سنين وثلاثة أشهر ، كانت فترة ولايته كثيرة الفتن والأحداث بينه وبين الأشراف والقواد حيث لم تصفو له الأمور، كان صاحب كرم وشهامة وعقل رزين ، توفي مقتولاً على يد الأشراف في شوال سنة ٧٩٧هـ .
الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥، ص ٢٨١. ابن تغري بردي : الدليل الشافي ،ج١ ، ص ٤٦٤.

(٢) الحميضات فريق من القادة العسكريين الذين كان لهم شأن في مكة في تلك الفترة ، وكانوا ينافسون القادة العمرية والأشراف ، في قوتهم العسكرية ، ويبدو أنهم من عتقاء الشريف حميضة ، من أشهرهم القائد كبيش بن مظفر الحميضي ، و أحمد بن خريص الحميضي . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص ١٦٦،٤٢١.

(٣) مسجد الإجابة يقع الآن بحي المعابدة وهو على يسار الذاهب إلى منى . الكردي ، محمد طاهر : التاريخ القويم= =لمكة وبيت الله الكريم ط١، دار خضر للطباعة والنشر ،بيروت ،١٤٢٠ هـ ، ج٥، ٨٦ . الطبري : الأرج المسكي ، ص ٧٣.

(٤) أذاخر هو الجبل الذي يشرف على الأبطح من الشمال و يتصل بالحجون من الشرق ، ولا زالت هناك ثنية تعرف منذ القدم بثنية أذاخر ، ومن ثنية أذاخر دخل النبيﷺ يوم فتح مكة . الأزرقي : أخبار مكة ،ج٢ ،ص٢٨٩. عاتق بن غيث : معالم مكة التاريخية والأثرية ، ص ٢٢.

عنان والقادة الحميضات ، أما بالنسبة لفريق كبيش فقد واصل زحفه حتى تقابل مع قوات عنان ودارت معركة كبيرة في شعب أذاخر انتهت بمقتل كبيش وعدد من أتباعه وهزيمة قواته و انسحابها إلى وادي مر وذلك في يوم السبت الثلاثين من شعبان ٧٨٩هـ/١٣٨٦م وعاد عنان ظافراً منصورا [١]

بعد هزيمة الأشراف في وقعة أذاخر ،اتجه علي بن عجلان إلى مصر في شهر رمضان من عام ٧٨٩هـ/١٣٨٦م لكسب تأييد السلطة من جديد ، ويحتمل أنه كان يأمل في إمداد عسكري من مصر يستطيع بواسطته انتزاع الإمارة من عنان وأصحابه ، يتبين هذا من سفره الذي سبق مجيء ركب الحج المصري ، ولكن السلطة السياسية في مصر اقتنعت بعد هزيمة آل عجلان في موقعة أذاخر أن قوة عنان لايستهان بها وأنها توازي قوة آل عجلان ، وأنه من الأفضل عدم المواجهة معها، فقررت أن يشترك عنان بن مغامس مع علي بن عجلان في الإمارة بشرط أن يحضر عنان لمقابلة المحمل [٢] مما يدل على طاعته للسلطة السياسية في مصر لأنه قد أبدى تمرده عندما رفض تسليم الإمارة لعلي بن عجلان عندما عين بمفرده أميراً على مكة ، وقد استطاع آل عجلان أن يبعدوا عنان عن الحضور لمقابلة المحمل للاحتفال بتعيينه شريكاً لعلي بن عجلان في الإمارة ،حيث تبين لعنان عندما قدم لمقابلة المحمل أن آل عجلان يريدون الفتك به مما جعله يحجم عن الحضور للقاء المحمل ،وينضم إلى أنصاره الذين خرجوا إلى الزيمة[٣] بوادي نخلة تخوفاً من أنصار علي بن عجلان وركب الحج المصري ، فدخل علي بن عجلان مكة ونُصّب أميراً عليها، ثم تعقب علي بن عجلان ومن معه من الجند المصاحبين

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥، ص ٢٨١،٤١٩، ج٦، ص٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٦١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٠٦،٢٤٣.

(٢) المحمل : هو عبارة عن جمل يوضع عليه هودج مخروطي الشكل يحمل فيه ما يهدى للمسجد الحرام من الهدايا والهبات ، ويزين بأنواع الزينة ، وتعددت المحامل فكان يأتي محمل من الشام ومحمل من اليمن ومن العراق أحياناً ومن مصر ، ويختص المحمل المصري بأنه كان يحمل كسوة الكعبة المشرفة . إبراهيم حلمي : المحمل ، ط بدون مكتبة التراث الإسلامي ، ص ١٢. فؤاد عبد الحميد عنقاوي : مكة الحج والطوافة ،ط١، مكتبة الملك فهد= =الوطنية ، ١٤١٥هـ، ج١، ص ١٤١.

(٣) الزيمة : هي قرية بها عين عذبة الماء بوادي نخلة اليمانية على بعد ٤٥كيلاً على طريق الطائف ، كانت المرحلة الأولى للقوافل المتجهة إلى الطائف . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤، ص ٤٩٤. عاتق بن غيث : معالم مكة المكرمة التاريخية والأثرية ، ص ١٢٤.

لركب الحجاج عنان بن مغامس مما يدل أن علي بن عجلان استطاع أن يؤثر على قادة ركب الحجاج ،وتسخيرهم لخدمة إمارته بمصاحبته في تعقب عنان في محاولة كانت تهدف للتخلص من عنان باستخدام القوات المصاحبة لركب الحجاج ، ولكن عنان وجماعته استطاعوا الهرب من مطاردة علي ومن معه من العسكر المصري ومناصريه و لم يقتل منهم إلا نفر يسير وكسب أصحاب علي ثلاثة عشر درعا[(١)] و خمسة من الخيل [(٢)]، مما يدل على أن عنان لم يكن يرغب في مواجهة قوات علي بن عجلان بجميع أصحابه، وذلك لعدم تكافؤ الفريقين ، والدليل على ذلك أن عنان انتظر حتى عاد ركب الحج المصري بعد انقضاء موسم الحج فقام، هو وأنصاره بالاستيلاء على وادي مر الغني بمزارعه وعلى مدينة جدة ميناء مكة التي ترد منه الغلال الخارجية ، وقاموا بنهب التجار المتواجدين بمدينة جدة من تجار اليمن وفرضوا حصاراً شديداً على مكة بقطع الطرق المؤدية إليها ، مما جعل علي بن عجلان يستعين على قضاء حوائجه بالاستعانة بأموال التجار القادمين من اليمن المتواجدين في البلاد [(٣)] و لم يستطع علي بن عجلان أن يخرج لمنع عنان وأصحابه والتصدي لهم والدخول معهم في صدام مسلح .

هذا وقام عنان بالاعتذار للسلطة السياسية في مصر، حيث قام بإرسال خطاب يعتذر فيه عن ما صدر منه وأن السبب في عدم حضوره لاستقبال المحمل وركب الحج هو خوفه من القتل من آل عجلان الذين كانوا يرتبون لاغتياله في استقبال المحمل ، فما كان من السلطة

---

(١) الدرع : هو كل غطاء معد لحماية الجسم أو أجزاء معينة منه ، وتصنع من أنواع متعددة منها ما هو من الحديد ومنها ماهو من الجلد ، وبعضها من الخشب ، وهي قديمة الصنع ذكرت في القرآن الكريم في عهد النبي داود عليه السلام ، وأشهرها ما كانت مصنوعة من حلقات صغيرة .يرتديها المحاربون ، ولها أشكال متنوعة وأسماء متنوعة أيضاً تدل على شكلها عموماً . الموسوعة العسكرية ،ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٨٥م، ج٢، ص ٣٢٤.

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤، ص٢٨١.الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥، ص ٢٨١ ،٤١٩ . المقريزي : السلوك ، ج٥، ص ١٩٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٦١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٠٦،٢٤٣.

(٣)الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥، ص ٢٨١ ،٤١٩ . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٦١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٠٦،٢٤٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٧٥.

السياسية في مصر المتمثلة في السلطان الظاهر برقوق [1] إلا أن أرسل إلى عنان بأنه ما زال على ولايته (يعني شريكاً لعلي بن عجلان) وأن يفعل ما يقدر عليه في استمراره في الحكم والحصول على حقه منه ،ولكن عنان لم يستطع أن يقوم بهجوم على قوات علي بن عجلان وذلك لتفرق كلمة أصحابه واختلافهم مما أغضب عنان فسافر في عام ٧٩٠هـ /١٣٨٧م إلى مصر لمقابلة السلطان الظاهر برقوق لمساعدته في تحقيق رغبته في عودته إلى الإمارة .[2]

لم تكن الظروف السياسية في مصر مهيّأة للاستماع لطلب عنان بن مغامس وأحوال ولايته ، حيث كانت المؤامرات تحاك في الساحة السياسية والصراعات على أشدها بين القادة المماليك[3]، لذا بقي عنان في مصر يرقب الأحداث ويحاول الحصول على عهد جديد بالإمارة ، وقد استطاع الحصول على وعد بذلك بعد خلع السلطان الملك الظاهر برقوق سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م إلا أنه لم يتم الأمر لحدوث ثورة بين القادة المماليك أدت لتأخر صدور تعيينه ، وحدث أثنائها قدوم محمد بن عجلان إلى مصر في محاولة لكسب السلطة السياسية لإبعاد عنان عن الإمارة ، وقد نجح مسعى محمد بن عجلان حيث استطاع أن يقنع السلطة السياسية في مصر المتمثلة في الأمير منطاش [4] الذي كان له دوركبير في تسيير أمور

---

(١) السلطان الملك الظاهر برقوق أبو سعيد أول ملوك الشراكسة بمصر ، كان من مماليك الأمير يلبغا الكبير ، ترقى في الرتب العسكرية حتى كان مدبر المملكة للملك الصالح حاجي بن الأشرف شعبان فانتزع مملكة مصر منه سنة ٧٨٤هـ ، حكم فترتين الفترة الأولى من سنة ٧٨٤هـ ألى سنة ٧٩١هـ ، والثانية من سنة٧٩٢هـ إلى وفاته ٨٠١هـ كان شهماً شجاعاً ذكياً خبيراً بالأمور محباً لجمع المال . السخاوي : الضوء اللامع ،ج٣،ص١١. ابن تغري بردي : الدليل الشافي ،ج١ ، ص ١٨٧.الزركلي : الأعلام ، ج٢، ص ٤٨.

(٢)الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥، ص ٢٨١ ،٤١٩ . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٦١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٤٣،٢٠٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٧٥.

(٣) أثناء قدوم الشريف عنان إلى مصر في شهر شوال سنة ٧٩٠هـ كان عدد من المماليك يدبرون مؤامرة لخلع السلطان الظاهر برقوق يتزعمها عدد من الأمراء منهم الأمير منطاش ، والأمير الطنبغا الجوباني نائب السلطان على مدينة دمشق ، والأمير يلبغا الناصري نائب السلطان على مدينة حلب وغيرهم ،وانتهت بخلع السلطان سنة ٧٩١هـ ، لذا كانت الظروف لم تساعد أن تمد الدولة يد العون للشريف عنان لأخذ حقه في حكم مكة= =المكرمة . المقريزي : السلوك ، ج ٥ ، ص ٢١١، ٢٢٩.

(٤) هو الأمير تمربغا الأفضلي منطاش ، كان والي ملطية ، انضم إلى ثورة الأمير يلبغا الناصري ضد الملك الظاهر برقوق ، سنة ٧٩١هـ ، حتى تم إسقاط حكم الملك الظاهر برقوق ، ثم حدث النزاع بين الأمير منطاش والأمير يلبغا الناصري ، وانتهى بانتصار الأمير منطاش وهزيمة الناصري ، وأصبح منطاش مدبر دولة السلطان الناصر

الدولة المملوكية بخطورة عنان على إمارة مكة ،فأمر الأمير منطاش بالقبض على عنان وإيداعه السجن(1)، يلاحظ هنا الدور الذي لعبه محمد بن عجلان ضد صديقه عنان بن مغامس وكان سبب هذا التغير كما أسلفنا خطأ عنان في التعامل مع كبار بني حسن ، فخلافه مع محمد بن عجلان كان له التأثير الكبير في تغير الأمور عليه في إمارته ، وتحالف محمد بن عجلان مع كبيش عدوه السابق ثم تأييد دولة علي بن عجلان حتى وصل الأمر أن يسافر محمد بن عجلان إلى مصر لتأييد أخيه علي مع أنه كان أحد ضحايا بني عجلان فهو ممن فقد بصره في سجن أحمد بن عجلان وابنه محمد بن أحمد بن عجلان ،حيث تم سمل عينيه مع عدد من السجناء السياسيين من بني حسن بمشورة كبيش على ابن أخيه محمدبن أحمد بن عجلان والتي كان من نتائجها مقتل محمد بن أحمد بن عجلان في موسم سنة ٧٨٨هـ /١٣٨٦م (2).

أراد الله سبحانه وتعالى لعنان بن مغامس أن يخلص من السجن في مصر، وذلك أنه وعدد من السجناء من قادة المماليك استطاعوا أن يحفروا لهم مخرجاً في السجن ، وكان الوضع في حالة من الاضطراب السياسي حيث كانت قوات السلطان برقوق تحقق انتصاراتها في بلاد الشام، والوضع في مصر في غاية الضعف، لغياب غالبية القوات المسلحة وتفرق كلمة من بقي بمصر ، وكان رفقاء عنان في السجن من أتباع السلطان برقوق ، فعندما خلصوا من السجن استولوا على مقاليد الأمور بقلعة (3) الحكم بالقاهرة ، وأعلنوا تبعيتهم للسلطان برقوق وأرسلوا يبشرون السلطان بتحقيق نصرهم في مصر وكان رسولهم إلى

حاجي ، وبعد عودة الملك الظاهر برقوق للحكم سنة ٧٩٢هـ ، انهزم الأمير منطاش وبقي مشرداً حتى قبض عليه وقتل في رمضان سنة ٧٩٥هـ في مدينة حلب . المقريزي : السلوك ، ج٥، ص ٢٠١، ٢٥٥، ٣٣٧.

(1) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥، ص ٢٨١ ،٤٢٠. المقريزي : السلوك ، ج٥، ص ٢٥٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٣٧٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٠٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٧٦.

(2) المقريزي : السلوك ، ج٥، ص ١٨٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٣٥١. ابن فهد: غاية المرام ، ج ٢، ص ١٩٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٨٨.

(3) القلعة : هي قلعة الجبل أسسها السلطان صلاح الدين الأيوبي على قمة جبل المقطم ، وأتم بناءها أخوه العادل سنة ٦١٤هـ ، وتحتوي على مباني للحكومة وثكنات الجند ، وللقلعة عدة أبواب منها باب المدرج وهو الباب الرئيسي للقلعة ، والباب الجبل ، وباب السلسلة .حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ، ط بدون ، ص ١٨٣. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج٤، ص٦١١.

السلطان هو عنان بن مغامس ، فعندما عاد السلطان برقوق لحكمه في مصر للمرة الثانية ٧٩٢هـ ١٣٨٩م شفع كبير القادة المماليك ويدعى الأمير بطا [١] في عودة عنان إلى إمارة مكة فتم تعيينه في منصبه ولكن شريكاً لعلي بن عجلان لكل منهما نصف الإمارة وذلك في ربيع الآخر سنة ٧٩٢هـ/١٣٨٩م [٢]

وصل عنان بن مغامس إلى مكة في شهر شعبان سنة ٧٩٢هـ/١٣٨٩م بمرسوم توليته لنصف الإمارة ، فاستقبله بعض أنصاره قبل دخوله وسعى بعض أهل الخير في الصلح بين بني عجلان و عنان وأصحابه فتم الاتفاق بينهما على أن يقيم كل من علي بن عجلان و عنان بن مغامس خارج مكة ويكون لكل منهما نواب يمثلونهما في إدارة دفة الحكم وقبض مالهما من مخصصات مالية ، وتنقسم القوة العسكرية المتمثلة في الأشراف والقواد حيث ينضم الأشراف إلى علي ابن عجلان والقواد إلى عنان [٣]. يتبين من الاتفاق أن كلا الجانبين كان يتحاشى دخول مكة حتى لا يكون عرضة لحصار الطرف الآخر ، كما يتبين دور القوتين العسكريتين في الصراع السياسي بين الأمراء من الأشراف ، ويتبين أن هذا الاتفاق لن يستمر طويلاً وذلك لتنافس القوتين العسكريتين حيث إن هاتين القوتين أخذت في التنامي حتى أصبح كل أمير يخطب ودها ليضمن بقائه في الحكم بمفرده ، وقد أراد عنان أن يؤكد صادق وده لآل عجلان ،حيث أقدم على عقد زواج سياسي فقد تزوج في نهاية سنة ٧٩٢هـ/١٣٨٩م بالسيدة فاطمة [٤] بنت أحمد بن عجلان بن رميثة ، ابنة أخي علي بن

---

(١) بطا الدودار : هو الأمير بطا الطولوتمري كان مسجوناً في سجن القلعة بمصر سجنه الأمير منطاش مدبر دولة الناصر حاجي بن شعبان . وعندما استولى على القلعة بعد خلاصه من السجن أعلن تبعيته للملك الظاهر برقوق فعينه دويداراً وأمير مائة ثم عينه نائباً بدمشق حتى توفي سنة٧٩٤هـ المقريزي : السلوك ، ج٥، ص٢٧٩، ٢٨٥، ٣١٩.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٤٢٠ المقريزي : السلوك ، ج ٥، ص ٢٨٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٧٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٣١. الجزيري : الدرر ، ج ١، ص ٦٧٧.

(٣) المصدر السابق ، ج٥، ص٤٢٠ المصدر السابق ، ج ٥، ص ٢٨٨. المصدر السابق ، ج٣، ص ٣٧٦.المصدر السابق، ج٢، ص ٢٣١. المصدر السابق ، ج ١، ص ٦٧٧.

(٤) هي : فاطمة بنت أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسنية المكية ، تزوجها الشريف محمد بن محمود بن أحمد بن رميثة ثم طلقها وتزوجها الشريف عنان بن مغامس في إمارته الثانية على مكة المكرمة في آخر سنة

عجلان شريكه في الإمارة كما أنه كان يهدف للاستفادة من مال زوجته فيما لو حدث له ضائقة مالية حيث كانت زوجته تمتلك عقاراً كثيراً [1]

لم تستقم الأمور في إمارة مكة في وضع مضطرب بين القيادة السياسية حيث كان كل من الطرفين يتربص بالآخر وأتباعهما ليس لهم غاية سوى الحصول على أوفر نصيب من الفائدة المالية فقد حاول أصحاب علي بن عجلان الفتك بعنان في المسعى وقاموا أيضاً بإخراج نواب عنان من مكة وعدم ذكر اسمه على منبر المسجد الحرام [2] مما يؤيد عمق الخلاف بين الفريقين ، كما حدث ضرر كبير على السكان والوافدين من حجاج ومعتمرين وتجار من قطع الطرق وسلب الأموال والأمتعة ، حيث كان كل من الأميرين عنان و علي مغلوباً مع أصحابه، لا يستطيع منعهم لأنه لو منعهم مما يقومون به يخشى انحيازهم للطرف الآخر لذا كان الأمر صعباً على أهل مكة والوافدين عليها ، حيث انتشر النهب والسلب وزيادة الضرائب ، وقلة الأمن ، و لم يكن هذا خافياً على السلطة السياسية بمصر ويبدو أنها أرادت حسم موضوع الإمارة وتعيين أحدهما بمفرده لحسم الوضع الأمني بها حيث تأكد لديها أن تولية أميرين في إمارة مكة لم يحسم مادة الخلاف بينهما، فأرسلت إلى عنان بن مغامس ، وعلي بن عجلان بالحضور إلى مصر ، وفعلاً وصلا إلى مصر في جمادى الآخرة سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م فما كان من السلطة السياسية بمصر متمثلة في السلطان برقوق إلا أن عين علي بن عجلان بمفرده في الإمارة وزوده بعطايا ثمينة من الخيل والعبيد ، وكمية كبيرة من القمح والمال، وأبقى عنان بن مغامس تحت الإقامة الجبرية في مصر قاصداً حسم الخلاف بين الأشراف [3] ، ويبدو أن ما قام به علي من أعمال أدخلت الرضا على قلب السلطان برقوق عنه حيث إن علي بن عجلان عندما قرر السفر إلى مصر زار المدينة المنورة

٧٩٢هـ وبعد موته عنها تزوجها الشريف بركات بن حسن بن عجلان فماتت عنده سنة٨١٤هـ ، كانت ذات حشمة ورياسة ، وعقار كثير . الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص ٤٢٨.

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص ٤٢٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٧٦.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٢١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٨٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٣٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٧٨.

(٣)الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٢١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٨٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٣٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٧٨.

وجمع عدداً من الناس بالحرم النبوي لقراءة ختمة[1] شريفة للسلطان ، والدعاء له بعد القراءة وكتب بذلك محضراً مما يؤيد أنه سوف يُطلع السلطان على هذا العمل كما قام باصطحاب هدايا حسنة للسلطان وغيره من كبار الدولة في الوقت الذي لم يقم عنان بشيء يذكر من ذلك [2] فكان لهذه الخطوات من علي أثرها عند السلطان وحاشيته فكانت سبباً بعد الله سبحانه وتعالى في تعيينه في الإمارة وعزل عنان بن مغامس وإبقائه في مصر بعيداً عن أحداث مكة .

ثورة الشريف حسن[3] بن عجلان سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م:

كان حسن بن عجلان يطمح في إمارة مكة كغيره من أبناء الأسرة الحاكمة ، وقد بدأ أول تحرك له على ساحة الأحداث في عام ٧٩٢هـ/١٣٨٩م عندما حصل خلاف بين علي بن عجلان وأخويه حسن ومحمد فخرجا عنه ونزلا في وادي مر ثم هاجم حسن بن عجلان مكة مع بعض أنصاره وخرجوا منها سريعاً بعد قتلهم رجل واحد [4] ويبدو أن هجومهم السريع كان الهدف منه الكسب المادي للتزود بالأموال والطعام لكسب تأييد مزيد من المناصرين لهم ، وخروجهم السريع كان خوفاً من جنود علي بن عجلان ،حيث لم يشتد عودهم بعد بعدد من الجنود يستطيعون بهم مواجهة قوات علي بن عجلان ، ويبد أن سبب الخلاف بين علي بن عجلان وأخويه أن علي بن عجلان لم يكافئ أخويه على ما قدماه له من خدمات وذلك أن محمد بن عجلان انحاز إلى أخيه علي ،وترك مساندة عنان بن مغامس

---

(١) قراءة الختمة تعني : أن يجتمع ثلاثون شخصاً ويقرأ كل منهم جزءاً من القرآن الكريم فتتم قراءة القرآن كاملاً في وقت واحد ثم يدعون بعد القراءة لمن كان يقصدون له أجر القراءة . ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٣٣.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥، ص ٢٨٢، ٤٢٢. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣، ص ٣٨٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ص ٢٣٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٧٨.

(٣) هو : حسن بن عجلان بن رميثة ين أبي نمي الحسني المكي بدر الدين ، تولى إمارة مكة سنة٧٩٧هـ بعد مقتل أخيه الشريف علي بن عجلان ، واستمر في ولايته أثنتين وعشرين سنة وثلاثة أشهر ، كان من أكثر أمراء مكة عقاراً بوادي مر ، وله من العبيد والخيل العدد الكبير ، كان من أكثر أمراء مكة رعاية لمصالح الحجاج ، توفي سنة ٨٢٩هـ في القاهرة . الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ص ٣٤٧. ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١، ص ٢٦٤.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٣٤٨، ج ٥، ص٢٨٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٧٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٣١.

كما مر سلفاً ، و حسن بن عجلان سبق أن سافر إلى مصرسنة ٧٨٩ هـ/١٣٨٦م بهدف تأييد أمر أخيه علي بن عجلان في الإمارة أثناء النزاع بين علي و عنان بن مغامس على الإمارة، وقد نجح حسن بن عجلان في مسعاه حيث قدم إلى مكة ومعه حوالي خمسين فارساً وخلعة(١)الولاية ومرسوم باستمرار أخيه علي في ولايته (٢).

وفي عام ٧٩٧هـ/١٣٩٤م غضب حسن بن عجلان من أخيه علي ، وخرج بأتباعه ، وعسكر في الزاهر خارج البلد، ويبدو أن هدفه كان الهجوم في أقرب وقت ممكن ، ولكن استطاع علي أن يجند من أتباعه من يفرّق صفوف أتباع أخيه حسن بالمكيدة ، حيث استطاع أن يضعف من تأييد بعض أتباع حسن بتقدم مساعدة مالية ،جعلتهم يتركون معسكر حسن بن عجلان فكان لانسحابهم أثر على الباقين فتبعوهم مما أغضب حسن بن عجلان ، وجعله يهمل اعتماده على المناصرين له في الداخل ويتجه إلى طلب مناصرة القوة السياسية في مصر(٣) التي قد سبق أن تعامل معها في تأييد أمر أخيه علي بن عجلان ، وهذا يدل على أن علي بن عجلان استطاع أن يصل إلى أصحاب التأثير في أنصار حسن ويكسبهم بالناحية المادية فكان تأثيرهم على الباقين كبيراً ،مما عجل بانصراف الثائرين جميعاً وفي مصر سعى حسن بن عجلان لدى السلطان الظاهر برقوق في تعيينه أميراً بدلاً من أخيه علي بن عجلان ، ولكن يبدو أن السلطان كان راضياً عن علي ،مما جعل مسعى حسن يبوء بالفشل بل تعداه إلى أن أمر السلطان الظاهر برقوق بسجنه وسجن معه علي بن مبارك بن رميثة الذي كان مرافقاً له أثناء قدومه إلى مصر في سجن القلعة بالقاهرة ، وكان يطمع أيضاً

---

(١) الخلعة : هي ما يخلعه السلطان أو الملك على أحد الموظفين لديه ، وكبار رجال الدولة ، أو كبار الضيوف ووفود الدول الأخرى ، وهي تعبير عن تقدير السلطان للمخلوع عليه ، ورضاه عن موظفيه وترقياتهم ، وعادة تكون في المناسبات مثل التعيين في المناصب الحكومية ، والأعياد ، وتكون عادة من أفخر الأقمشة ، ومتقنة الصنع ، والنقوش . المقريزي : الخطط ، ج٢، ص ٢٢٨. ما ير :الملابس المملوكية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ١٠١.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٣٤٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٦١، ابن فهد: غاية المرام ، ج٢، ص ٢٠٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٧٥.

(٣) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣٤٨ . المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣٩٣. المصدر السابق ، ج٢، ص٢٣٦.

في الإمارة ، وكتب إلى علي بن عجلان يخبره بذلك [1] ، ويطالبه بإقامة العدل وحسن معاملة أهل مكة وزوارها ، مما يدل أن السلطان كان يهدف إلى تهدئة الأوضاع في الإمارة بإبعاد المناوئين بسجنهم بعيداً عنها.

بقي حسن بن عجلان في سجن القلعة بالقاهرة ،حتى قُتل أخوه علي ابن عجلان يوم الأربعاء سابع شوال سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م على يد بعض الأشراف [2]، وما أن وصل الخبر إلى السلطان الظاهر برقوق حتى قام بإطلاق حسن بن عجلان من السجن وعينه أميراً لمكة وقرر أن يرافقه الأمير يلبغا السالمي [3] لكي يقلده منصب الإمارة وكان ذلك في اليوم التاسع من ذي القعدة سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م[4] وعندما قرر حسن السفر إلى مكة بعد عودة حاج مصر بحوالي نصف شهر زود السلطان الملك الظاهر برقوق الشريف حسن بن عجلان بما يحتاجه من عتاد ومؤن حيث وصل معه عدد من الجنود قيل إن عددهم يقارب ١٣٠فارساً، ، ومن الخيل ٩٠فرساً ، وهذا يدل على أن حسن بن عجلان كان متخوفاً من الأشراف فطلب من السلطان أن يشد من عضده بهذه القوة ، ثم وصل حسن بن عجلان إلى مكة يوم السبت ١٤ربيع ثاني سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٥م ودخل المسجد الحرام فلبس الخلعة وقرئ عهده بالولاية وتسلم البلاد من أخيه محمد بن عجلان الذي قام بالأمر بعد مقتل أخيه علي بن عجلان [5].

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٣٤٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٩٣، ابن فهد: غاية المرام ، ج٢، ص ٢٣٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٧٥.

(٢) الذين تولوا قتل الشريف علي هم : جندب بن جخيدب الحسني ، وعبية بن واصل الحسني ، وحمزة بن قاسم الحسني . الفاسي : العقد الثمين ،ج٣،ص٢٩٠، ج٥، ص ٢٨٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٩٤.

(٣) هو الأمير يلبغا أبو المعالي السالمي الظاهري الحنفي ، أصله من سمرقند ، من مماليك الظاهر برقوق كان له محاسن كثيرة في دولة الظاهر برقوق ، ولاه الظاهر عدة مناصب منها : نظر خانقاه سعيد السعداء ، واستداراً ، ووزارة الدولة وغيرها : وقد أبطل مظالم كثيرة في مناصبه التي تولاها ، كان كثير العبادة والاشتغال بالعلم ، سريع الانفعال طائشاً لحوحاً ، سجن عدة مرات وقتل في أخرها خنقاً سنة ٨١١هـ . السخاوي : الضوء اللامع ، ج ١٠، ص ٢٨٩. ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج٢، ص ٧٩٤.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٣٤٨. المقريزي : السلوك ، ج٥، ص ٣٧٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٩٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٨٠. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٧٠.

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٣٤٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٩٨. ابن فهد: غاية المرام ، ج٢، ص٢٥٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٨٢.

ثورة الشريف رميثة[1] بن محمد بن عجلان سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م :

استمر حسن بن عجلان في حكم مكة منذ توليه عام ٧٩٧هـ/١٣٩٤م ، وقد قاد دفة الحكم فيها بكل كفاءة واقتدار حيث لم يستطع أحد أن يتمرد عليه ، وذلك يعود لفضل الله سبحانه وتعالى ، ثم لحسن سياسته التي اتبعها مع الأشراف والقادة والتي تجمع بين الشدة واللين وقد استمر في الحكم بدون منازع ما يقارب ١٩عاماً ، وفي عام ٨١٥هـ/١٤١٢م ، حدث أن ضرب أحمد [2] بن محمد بن عجلان مسعوداً الصبحي [3] نائب حسن بن عجلان بمدينة جدة لخلافه معه على أمر مالي فغضب حسن بن عجلان من فعل أحمد بن محمد بن عجلان ، وأمر بإخراج أحمد بن محمد بن عجلان من البلاد ، فغضب مع أحمد أخوه رميثة وقرر الخروج مع أخيه في محاولة القصد منها أن يتراجع حسن بن عجلان عن قراره بإخراج الشريف أحمد بن محمد بن عجلان ، وقد تدخل في أمر الصلح بين حسن بن عجلان وأبناء أخيه القواد العمرية ولكن أصر حسن بن عجلان على موقفه فخرج الأخوان إلى ينبع ثم إلى مصر في محاولة لشرح موقف حسن بن عجلان لدى السلطة السياسية بمصر ولكن لم يوفقوا في ذلك [4]، واجتمع بهم القاضي نور الدين بن الجلال [5]

---

(١) هو : رميثة بن محمد بن عجلان بن رميثة الحسني المكي ، أمير مكة ، بدأ بالتمرد على عمه الشريف حسن بن عجلان سنة ٨١٥هـ ، وعين أميراً لمكة سنة ٨١٨هـ ، ثم عزل وأعيد عمه حسن بن عجلان سنة٨١٩هـ ، ثم دخل في طاعة عمه حسن وابنه بركات حتى قتل في معركة مع إحدى القبائل البدوية سنة٨٣٧هـ .
ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١، ٣٠٦. ابن فهد ، عمر بن فهد الهاشمي : الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج٢، ص ٧٣٢. السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣، ص ٢٣٠.

(٢) هو أحمد بن محمد بن عجلان بن رميثة الحسني المكي ، كان سبباً في خلاف أخيه رميثة مع عمه حسن بن عجلان . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٤٩٣.

(٣) مسعود الصبحي كان يعمل نائباً لحسن بن عجلان على مدينة جدة . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٤٩٣.

(٤) كانت الدولة في مصر في حالة من الاضطراب لتمرد القادة المماليك على السلطان فرج بن برقوق وانتهى بخلعه من الملك في نفس السنة ٨١٥هـ ، لذا لم تكن السلطة السياسية في مصر في وقت يسمح لها بالنظر في شكاوي الناس من الأمراء التابعين للدولة . المقريزي : السلوك ، ج٦، ص ٣١٩.

(٥) هو القاضي ، نور الدين بن جلال الدين محمد الطنبدي ، توفي سنة٨٦٣هـ . المقريزي : السلوك ، ج٧، ص ٢٥٦.

واقترح عليهم الرجوع إلى عمهم وأنه سوف يرضيهم فقبلوا وعادوا مع ركب الحجاج ولما وصلوا إلى ينبع وسمع بمجيئهم حسن بن عجلان منعهم من دخول مكة فأقاموا بينبع إلى السنة التالية[1]. يتبين هنا أن حسن بن عجلان كان في مركز من القوة والتمكن في البلاد حتى أنه لم يعد يعتبر لأحد من القواد أو الأشراف ، وموقفه هذا يدل على أنه لم يكن يخشى من تحالف أي قوة عليه وذلك يعود لاستقرار الأمور له مدة تسعة عشر عاماً نتيجة لاستخدام القوة لكل من تسول له نفسه التمرد على السلطة ،وأيضاً الدعم الذي كان يتلقاه من السلطة السياسية في مصر والتي ساعدته في سجن كل مناوئ له.

ويعتبر موقف حسن من ابن أخيه أحمد بن محمد بن عجلان وأخيه رميثة غير سليم إذا نُظر إلى ما ترتب عليه من أحداث مستقبلية ، فمهما كان حسن بن عجلان في موقف قوي وتمكن من الأمور إلا أنه يجب عليه أن يعالج الأمور التي تطرأ بشيء من الحكمة فموقفه من ابن أخيه أحمد كان يمكن حله بسهولة حيث لم يصل إلى درجة القتل ، فكان يمكن حسن بن عجلان أن يرضي عامله مسعود الصبحي بالمال ويكسب ود أبناء أخيه ، فتمرد أبناء أخيه كلفه الشيء الكثير أكثر مما لو أتبع جانب ترضي الخصم ، كما أن تشدد حسن بن عجلان أمام عودة أبناء أخيه إلى مكة ومنعه إياهم من دخولها ورفضه تدخل الساعين بالصلح من القواد العمرية والقاضي نور الدين بن الجلال كان موقفاً مجانباً للصواب ، فكان باستطاعة حسن بن عجلان أن يكسب جميع هؤلاء ، وهم لهم مكانتهم الاجتماعية وينهي الخلاف بأيسر الطرق بدل أن يخلق له أعداء لهم شوكتهم في المطالبة في حكم مكة .

تصلب حسن بن عجلان في موقفه من ابن أخيه رميثة بن محمد بن عجلان متخذا قرار الإبعاد حلاً وحيداً فرفض بقاءه في ينبع وقرر أن يخرجه منها هائماً ويبدو أن بقاء رميثة في ينبع كان يشكل خطراً على حسن بن عجلان وأنه بدأت تزداد شوكته فقرر حسن بن عجلان إخراجه من ينبع مما جعل رميثة يقرر التحرك العسكري ضد عمه عجلان ، بعد أن اجتمع لديه عدد من المناوئين لعمه حسن بن عجلان ، فزحف تجاه مكة فوصل حدا [2]

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٣٦٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٤٩٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٧٤. ابن فهد : الدر الكمين ، ج ٢، ٧٣٣.

(٢) حدّا : منطقة زراعية بها عين في أسفل وادي مر الظهران تقع بين الحديبية ، وبحرة على الطريق بين مكة المكرمة وجدة وهي مركز إداري تتبع إمارة منطقة مكة المكرمة اليوم .ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣،

في ليلة السادس من جمادى الأولى سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م ، فلما علم حسن بن عجلان خرج لملاقاته وأمر أهل حدا بإبعاده فأبعدوه عنهم خوفاً من حسن بن عجلان ، فعاد إلى ينبع ، فتبعه وانضم إليه بعض القادة العمرية فقويت بهم شوكته وأعادوه معهم إلى منازلهم بالعد(١) فلما علم حسن بن عجلان تحرك بعسكره لإخراج رميثة ومن معه من العد ، فما كان من رميثة إلا أن تحرك في طريق آخر لقصد مكة ، ونجح في دخولها في ضحى يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م وانضم إليه جماعة من جنود حسن بن عجلان الذين بمكة ، ولما علم حسن بن عجلان بما حدث قدم سريعاً لملاقاة ابن أخيه ، وفي نفس الوقت خرج رميثة وأعوانه دون أن يحدثوا بمكة أمراً يسوء الناس مما يدل أن رميثة كان يهدف لتجميع الأنصار وكسب الأعوان والرأي العام عموماً ، ثم عسكر رميثة وأعوانه في وادي نخلة ، فتحرك حسن بن عجلان تجاههم فتركوها إلى الطائف ، فأرسل حسن بن عجلان إلى أهل الطائف يطلب منهم عدم مساعدتهم، فتحركوا إلى جنوب مكة ، ودخلوا في قتال مع إحدى قبائل المنطقة يبدوا أنها إحدى فخوذ قبيلة هذيل وكسبوا منهم غنائم وفيرة ، وهنا يتبين أن رميثة كان يقصد جمع القوى معه وعدم الدخول في صدام عسكري مع عمه حسن حتى يشعر أنه يكافئه في القوة العسكرية ، ثم قصد رميثة وأصحابه مدينة جدة في خطوة لحصار حسن بن عجلان اقتصاديا وتهديد مورده المالي والتزود بالمال الوفير لكسب مزيد من الأنصار ، وفي جدة استولوا على ما فيها من المال والغلال ، ونهبوا بيت مسعود الصبحي نائب حسنبن عجلان على جدة الذي كان سبباً في الخلاف بين حسن بن عجلان وأبناء أخيه رميثة بن محمد بن عجلان وأخوته ،وكان دخولهم جدة في رمضان سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م ، وبهذا أصبح رميثة وأعوانه على أهبة الاستعداد للدخول في مواجهة عسكرية مع عمه حسن بن عجلان يدلنا على هذا أنهم لم يغادروا جدة عندما علموا بتحرك حسن تجاههم بل صمد رميثة وأعوانه وقرروا المواجهة مما

ص١٢٣. البلادي : معالم مكة المكرمة التاريخية والأثرية ، ص٨١. حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ،دار اليمامة ، الرياض ، ج١، ص ٤١٨.

(١) العد : منهل يتكون من ثلاث آبار يستسقي منها الناس ، وهي أم الجرم ، والعويجاء ، والشويمية ، في واد يدعى وادي العد جنوب غربي مكة ، وتأتي مياه الوادي من جبال تسمى جبال العد وهي تمر جنوب بحرة وحداء . البلادي : معالم مكة المكرمة التاريخية والأثرية ، ص١٨٠.

يدل أنهم في وضع مالي وعسكري يمكنهم من المواجهة ، وعندما قدم حسن بن عجلان لم يقاتلهم وذلك لتدخل كبار القادة في جيشه في أمر الصلح بين الفريقين وأنهم يوافقون على خروجهم من جدة فوافق حسن بن عجلان على عدم القتال إلى انتهاء موسم الحج من نفس السنة [1]، وهنا يتبين أن حسن بن عجلان بدأ يشعر بقوة ابن أخيه رميثة ، وبدأ يحرص على كسب ود القادة في جيشه بعدم إغضابهم في قبول ما يعرضونه عليه في عدم المواجهة العسكرية بين الطرفين ، وكان القادة يرغبون في عدم المواجهة لكي ترتفع مكانتهم لدى الطرفين ، حيث إن كلاً منها في حاجة للقادة فيحصل مرادهم بما يأخذونه من هبات وعطايا .

بعد انتهاء موسم الحج خرج حسن بن عجلان لملاقاة ابن أخيه رميثة بن محمد ابن عجلان في وادي العد ، وكان في وضع عسكري جيد ، وذلك لقدوم الأمير مقبل [2] بن مخبار من ينبع بقوة عسكرية لنصرة حسن بن عجلان [3]، فلما علم رميثة قرر عدم المواجهة خوفاً من الفشل لتفوق قوة حسن عليه في العدد والعدة ، وخرج ببعض أتباعه إلى جهة اليمن ، واجتمعوا بمنطقة حلي ، وقام حسن بن عجلان باستغلال الوقت فقام بتحصين مكة بعمارة بعض مناطق في أسوارها يمكن أن يستغلها المناوئون في دخولها ، ويحتمل أنها المواضع التي استطاعت قوات رميثة الدخول منها في الهجوم السابق .

وفي مدينة حلي استطاع رميثة أن يقابل ركب حج اليمن الذين كانوا غير راضين عن معاملة حسن بن عجلان لهم في أخذ المكوس على الحجاج حيث عُوملوا بقسوة من قبل

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٣٦٨ . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٥٠٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٩٦.

(٢) هو : مقبل بن مخبار بن محمد بن عقيل بن راجح الحسني الينبعي ، أمير ينبع ، سجنته السلطة السياسية في مصر و مات سنة ٨٣٠هـ في ربيع الأول في سجنه في مدينة الأسكندرية . السخاوي : الضوء اللامع ، ج١٠، ص ١٦٧، ٢١٠.

(٣) كان السبب في قدوم مقبل بن مخبار لنصرة الشريف حسن بن عجلان ، لأن السلطة السياسية في مصر عينت عام ٨١١هـ الشريف حسن بن عجلان نائباً على الحجاز ، ويكون هو الذي يعين أمراء الأقاليم ،ولهذا أراد= =مقبل بن مخبار أن يتقرب من الشريف حسن بن عجلان بمساعدته له . الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٣٦١.

عمال حسن ، ولم يراعوا قدر القاضي مفلح [1] الذي كان يلجأ إليه حجاج اليمن في التدخل للتخفيف عنهم من عمال حسن ، مما أغضبه ، فكان ذلك حسناً لرميثة الذي اجتمع به وحصل منه على مبالغ مالية خففت كثيراً من حاجة رميثة ، وشجعه على القدوم إلى اليمن لمقابلة السلطان الملك الناصر أحمد بن إسماعيل الرسولي [2]، وفي نفس الوقت أرسل لمولاه السلطان يخبره بأمر رميثة وخلافه مع حسن بن عجلان ويطلب مساعدته ، ثم سافر رميثة إلى اليمن واجتمع بالسلطان الملك الناصر الرسولي[3] الذي رحب به وأكرمه وأمده بما يحتاجه من المال والكسوة والطعام [4]، وعاد رميثة ونزل بأنصاره على الأشراف ذوي حميضة في وادي الآبار[5] ، فقرر حسن محاربتهم فسعى أهل الخير في الصلح بين الفريقين فتم على أن يعطي حسن رميثة بن محمد بن عجلان مائتي ألف درهم [6] ويكون جباية القوافل التجارية لحسن بن عجلان هذه السنة ، بمعنى ألا يتعرض رميثة للتجار القادمين إلى جدة

---

(١) القاضي مفلح : هو أمين الدين مفلح التركي ، كان تاجراً يملك سفناً تجارية ، وناخوذة في السفن التجارية. مجهول : تاريخ الدولة الرسولية في اليمن ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، ط بدون ، مطبعة لكتاب العربي ، دمشق ، ١٩٨٤م ، ص ١٥٣، ١٦٧.

(٢) هو السلطان الملك الناصر أحمد بن إسماعيل بن العباس الرسولي ، تولى الملك سنة٨٠٣هـ ، ولم تحمد سيرته ، كان جباراً ،كثير الظلم نازعه أخوه حسين استمر في الملك حتى توفي في تعز بعد صاعقة وقعت على حصنه فارتاع منها ومرض فمات سنة ٨٢٧هـ. السخاوي : الضوء اللامع ، ج١، ص ٢٣٩. الزركلي : الأعلام ، ج١، ص ٩٧.

(٣) كان الملك الناصر على خلاف مع حسن بن عجلان على مال أخذه حسن بن عجلان من القاضي عبد الرحمن بن جميع ثم تم الصلح على إعادة المال على دفعات كل سنة عشرة آلاف مثقال ، ويفي حسن بما تعهد به فكان هذا معيناً على نجاح رميثة عند الملك الناصر .الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٣٦٤.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص ٣٧٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٥١٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٩٧. ابن فهد: الدر الكمين ، ج ٢، ص ٧٣٣. مجهول : تاريخ الدولة الرسولية في اليمن، ص١٧٢.

(٥) وادي الآبار : ويدعى الأبيار يقع على بعد ٩٠ كيلاً جنوب مكة المكرمة على طريق اليمن ، ويسمى أعلاه البيضاء وأوسطه رحمة ،وأسفله وادي الأبيار ، وسمى بهذا لكثرة الأبيار به ، ومن أبياره الخرقاء ، والبيضاء . عاتق بن غيث : بين مكة اليمن رحلات ومشاهدات ، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع ،١٤٠٤هـ، ص ٢٥.

(٦) الدرهم : لفظة درهم مأخوذة من لفظة دراخما اليونانية ،والدرهم عملة ساسانية قديمة من الفضة استعمله المسلمون ولم يحدث عليه تغيير إلا في وزن الدرهم حيث جعله المسلمون سته دوانق وجعلوه وزناً شرعياً . ناهض عبد الرزاق القيسي : تاريخ النقود وتطورها ،ط بدون ، دار زهران للنشر ،١٤٢٦هـ ، ص ٣٥.

ومكة ، وتكون هدنة بين الطرفين إلى نهاية العشر الأولى من شهر محرم سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م[١]

في سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م حدثت أمور أغضبت السلطة السياسية في مصر على حسن بن عجلان منها : تخوف حسن بن عجلان من أمير المحمل على نفسه فلم يحضر إلا بعد تمنع وأخذ العهود من أمير المحمل [٢] بعدم التعرض له بسوء ، ويبدو أن حسن بن عجلان خشي من عزله لاضطراب النواحي الأمنية في البلاد بسبب الصراع بينه وبين ابن أخيه رميثة ، وما حدث بين ركب حج مصر والقواد العمرية من قتال في المسجد الحرام في نفس العام، وما نتج عنه من اضطراب أمور الحاج وموقف حسن بن عجلان من انضمامه للقواد العمرية [٣].

لذا قررت السلطة السياسية في مصر تنحية حسن بن عجلان عن الإمارة ، وتعيين رميثة بن محمد بن عجلان ، مما يدل أن السلطة السياسية في مصر لم تكن غائبة عن الصراع الدائر بين الشريفين ، وأنها رأت أن رميثة من القوة بمكان يستطيع أن يحقق مطالبها في المنطقة، لما يتمتع به من نفوذ وقوة . ووصل خبر ولايته في السادس عشرمن ربيع الأول سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م ، فلما علم حسن بن عجلان بالأمر رفض أن يسلم مكة لأميرها الجديد وبدأ في استمالة كبار الأشراف والقادة العمرية لمساعدته في منع رميثة من تولي الإمارة ، مما حسّن الموقف بالنسبة لهم في تحقيق مطالبهم دون أن يمدوا يد العون لأحد الطرفين ، وكان حسن بن عجلان أقوى من الناحية العسكرية من رميثة ، حيث إنه استطاع أن يخرج أصحاب رميثة من جدة في نفس السنة ويضطر رميثة إلى الاتجاه إلى ناحية شمال الحجاز حتى قدم ركب الحج فقدم صحبتهم مما يؤكد أن ركب الحج كان يرافقه قوة عسكرية لتنصيب الأمير ، ودخل رميثة مكة في مستهل ذي الحجة سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م وقرئ توقيعه

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص ٣٧٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٥١٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٩٧. ابن فهد: الدر الكمين ، ج ٢، ص ٧٣٣.

(٢) كان أمير المحمل في هذه السنة الأمير جقمق أحد أمراء السلطان المؤيد شيخ المحمودي . المقريزي : السلوك ، ج٦، ص ٣٦٨.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٣٧١. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٤٣١. المقريزي : السلوك ، ج٦، ص ٣٦٨. ابن فهد : إتحاف الورى، ج٣، ص٥١٦. الطبري ، إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١٩٦.

بالإمارة ، أما حسن بن عجلان فقد خرج مع أتباعه، ونزل الشقان[1] في محاولة لحصار مكة اقتصاديا حيث أخذ من المراكب التجارية الزالة [2] وأخذ الجباء ، وأمر المراكب التجارية بعدم الرسو في جدة والعبور إلى ينبع أو العودة إلى اليمن ، كما استولى على غلال أموال أصحاب رميثة في منطقة الجديد ، و لم يستطع رميثة وأصحابه استعادها [3] مما يدل على تفوق قوة حسن بن عجلان في القوة العسكرية، وبهذا يكون قد ضرب حصاراً شديداً على مكة من البر والبحر ،وبعد هذا الأمر أرسل حسن بن عجلان إلى السلطان المملوكي المؤيد شيخ المحمودي [4] يستعطفه ، بعد أن وضعه أمام الأمر الواقع حيث بين له تفوقه على خصمه رميثة وأنه أفضل من يحقق مطالب الدولة ، بعد أن فرض الحصار على إمارة مكة و لم يستطع أميرها الجديد أن يقاومه ، كما قدّم حسن بن عجلان الهدايا القيمة للسلطان المؤيد شيخ المحمودي ، والتزم بدفع مبلغ (٣٠) ألف مثقال مقابل عودته للإمارة [5] ، وهنا يتبين تغير سياسة الدولة في تعيين أصحاب المناصب الكبيرة ، لأن هذا الإجراء أول حدث له في عهد الدولة المملوكية حيث يتم شراء منصب إمارة مكة بالمال ، لهذا ما كان من السلطان المؤيد شيخ إلا أن أعاد حسن بن عجلان إلى إمارته من جديد وكتب له تعييناً

---

(١) الشقان : موضع ساحلي به قرية من قرى منطقة غميقة بالقرب من منطقة الليث ، تتبع إمارة منطقة مكة اليوم . حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد السعودية ، ج ٢، ص ٨٠٣.

(٢) الزالة : يقصد به مبلغ من المال مقابل العبور من المنطقة . قد تكون مقابل دخول السفن في المنطقة الوحلة تزل بها ، فيخرجها أهل المنطقة . وهي من زل زليلاً إذا زل في طين أو منطق . ابن منظور : لسان العرب ، ج٦، ص٧٢.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص ٣٧٢. المقريزي : السلوك ، ج ٦، ص ٤٠٣. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣، ص ٥٢٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ص٣٠٣. الجزيري : الدرر ، ج ١، ص ٦٩٩.

(٤) هو الملك المؤيد أبو النصر شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري ، كان من مما ليك الظاهر برقوق ، ترقى في الرتب العسكرية في دولة المماليك حتى أصبح مقدم ألف في عهد الناصر فرج بن برقوق ، سجنه الناصر فرج ثم أطلقه فكان من أشد الثائرين عليه في بلاد الشام ، وبعد مقتل الناصر فرج على يديه عين أتابكاً للدولة في فترة حكم الخليفة العباسي العباس بن محمد سنة ٨١٥هـ ، ثم خلع الخليفة وعين سلطاناً وتلقب بالملك المؤيد ، كان شجاعاً ، كريماً سفاكاً للدماء ، توفي سنة ٨٢٤هـ . المقريزي : السلوك ، ج ٦، ص٣٣٨. السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٣، ص ٣٠٨. الزركلي : الأعلام ، ج٣،ص ١٨٢.

(٥)ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٣٠. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٣٠٤. الجزيري : الدرر، ج ١، ص ٧٠٠.

بتاريخ الثامن عشر من رمضان سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م وصل إليه في مدينة جدة بتاريخ الثاني عشر من شوال من نفس السنة ، فسر حسن بن عجلان ،وقرر الزحف إلى مكة في الوقت الذي رفض رميثة ومن معه من القواد العمرية تسليم البلد والخروج منه وقرروا الحرب ، فزحف حسن بن عجلان في قوة كبيرة مدعومة بقوات قدمت من ينبع لنصرة حسن بن عجلان بقيادة أمير ينبع مقبل بن مخبار ، وأخذ حسن بن عجلان يرسل إلى أنصار رميثة يحثهم على الخروج ، ويخوفهم سوء النتيجة إذا أصروا على المقاومة [1]، وهو بهذا يحاول أن يحقق النصر بأقل الخسائر ، وهذا دليل على حنكته وبعد نظره ، ثم زحف بقواته المسلحة ونزل الزاهر في شهر شوال من نفس السنة ، وانتشرت عساكره بأطراف مكة وأحاطوا بها ، وهو ما يزال يراسل كبار أصحاب رميثة من القواد العمرية ، يستحثهم على عدم المقاومة ، وهذا أسلوب فعال في نفسيات المحاصرين، نلاحظ أن حسن بن عجلان استخدمه ببراعة ، حيث إنه لم يراسل خصمه رميثة ،وإنما اتجه إلى مراسلة القوى الفاعلة في جيشه ،وهم كبار القادة العمرية ، وهذا الأسلوب يحدث خللاً في صفوف المقاومين ، حيث قدم ثلاثة من كبار القادة العمرية لمقابلة حسن مما يدل أن معنوياتهم تجاه المقاومة بدأت تنهار فطلبوا من حسن مهلة يومين في التشاور ثم الخروج بأصحابهم ، وفي نفس الوقت زحف بقواته ونزل بقرب العسيلة [2]، وأرسل بعض أصحابه لتثبيط القادة الحميضات ، عن القتال وقد كانوا مع القادة العمرية في صفوف رميثة ، ولكنهم لم يصغوا لهم وذلك لكثرة المؤيدين لرميثة بن محمد بن عجلان من أتباع القادة الحميضات ، وهذا وإن حدث إلا أنه قد أثر على معنوياتهم ، ثم زحف حسن بن عجلان من موقعه بالقرب من العسيلة متجهاً إلى مكة ، ونزل المعابدة [3] ،وكانت قواته تبلغ (٣٠٠)فارساً وأكثر من (١٠٠)راجل ، في

---

(١)الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص ٣٧٢. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٣، ص ٥٢٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٣٠٣. الجزيري : الدرر ، ج ١، ص ٧٠٠.

(٢) العسيلة : بئر من الأبار التي بمنى ، وهي في مترلة بني حسن بمنى . الفاسي : شفاء الغرام ، ج، ص ٦٢٩.

(٣) المعابدة ، كان يسمى قديماً شعب الصفى ، وكان فيه دور لبني كنانة وآل عتبة بن أبي معيط ، ودور لربيعة من بني عبد شمس ،وهي اليوم حي من أكبر أحياء مكة المكرمة.الكردي : التاريخ القويم ،ج٢، ص ١١،٢١٦.السباعي ، أحمد : تاريخ مكة (دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران)، ط٦، ١٤٠٤هـ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، ج١، ص ٣١.

مقابل قوات خصمه رميثة التي تبلغ ثلث قوات حسن بن عجلان ، ومع هذا التفوق في العدد ما زال حسن ابن عجلان يراسل أصحاب رميثة في محاولة لتجنب أكثر الخسائر ، ثم زحف حتى وصل إلى باب المعلاة [1] واستطاع بأتباعه إحراق باب المعلاة وإزاحة من يحميه من أتباع رميثة ، ثم استطاع أتباع حسن بن عجلان أن يفتحوا عدة مواضع في سور المعلاة ويدخلون منه فحدث الاشتباك مع أتباع رميثة ، ثم حدث أن طلب بعض الأعيان من أتباع حسن بن عجلان إيقاف القتال بين الطرفين رغبة في التوصل إلى صلح يرضي الطرفين ، وعند هذا خرج عدد من الفقهاء والعلماء من مكة ومعهم المصاحف يطلبون من حسن بن عجلان السماح لهم أن يتدخلوا في الصلح بين الفريقين ، وأن يوقف عسكره عن القتال حتى يبذلوا جهدهم في الصلح ، فوافق حسن بشرط أن يخرج رميثة وأتباعه من البلد، ووافق رميثة على الخروج بأتباعه فخرج إلى جهة جنوب مكة ، وفي نفس الوقت دخل حسن بن عجلان من السور وخيم بالقرب من بركتي المعلاة وفي صباح يوم الأربعاء السادس عشرمن شوال سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م دخل حسن بن عجلان المسجد الحرام ، وتم تنصيبه أميراً حيث قُرئ كتاب تنصيبه من قبل السلطة السياسية بمصر ، ثم أخذ حسن بن عجلان يعمل على إنهاء معارضة ابن أخيه رميثة بن محمد بن عجلان بالحيلة والدهاء مما يدل أنه ندم على تشدده في مواقفه السابقة من أبناء أخيه حيث كلفه تمرد رميثة الشيء الكثير ، فأرسل إلى كبار القادة العمرية المصاحبين له يستميلهم في الدخول في طاعته الذين بدأوا يشعرون برجحان قوة حسن بن عجلان ، ونقص موارد خصمه رميثة التي كانت الدافع الكبير في استمرارهم في الوقوف معه ، وفي نفس الوقت أرسل إلى ابن أخيه عن طريق المقربين منه من خاصته لكي يعود في الطاعة ، وهو بهذا يفرق بين القوة العسكرية والقوة السياسية المعارضة له ، ويشكك بعضها في بعض من حيث الولاء فعندما وافق كبار القادة العمرية على التخلي عن رميثة ، وقلّ ما بيده من المال، وخصوصاً في المال الذي كان يأتيه من اليمن من

---

(١) المعلاة : مرتفع بأعلى مكة على سفح جبل الحجون ، وهي تبدأ من المدعى والقشاشية إلى جهة الحجون ، وسميت المعلاة لأن هذه الجهة عالية عن المسجد الحرام ، وهي نصف مكة الأعلى ، وبها مقبرة مكة المشهورة بقبور المعلاة ، وينطقها أهل مكة بالتخفيف ، فيقولون : المعلى ، وكان بها سور مكة ، وبهذا تكون آخر حدود مكة داخل السور القديم . الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص ٤١. الكردي : التاريخ القويم ، ج٢، ص ٥٨، ٢٥٨. السباعي : تاريخ مكة ، ج١،ص١٨٢.

الملك الناصر أحمد بن إسماعيل الرسولي ، ويبدو أن حسن بن عجلان كان له دور في تخفيف مصدر المال اليمني الذي كان يصل لرميثة يدلنا على هذا أن حسن بن عجلان كان متتبعاً المصادر المالية في تموين رميثة ويعاقب من يشك فيه بالسعي لتموين رميثة بالمال ، وقد حدث أن اتهم نائب حسن بن عجلان على جدة جابر الحراشي (1) بتموين رميثة بالمال فقتله حسن بن عجلان .

وبهذا يكون حسن بن عجلان استخدم عدة طريق في حصار خصمه رميثة وإضعاف قوته فلم يجد رميثة أمامه إلا الموافقة على العودة إلى طاعة عمه حسن بن عجلان والانضمام تحت لوائه ، فقدم إليه بإخوته وخاصته ، فاستقبلهم حسن وأكرمهم وبالغ في الإحسان إليهم وحلف كلٌ من الفريقين للآخر بإخلاص الود وعدم الخروج والتمرد وذلك في يوم الجمعة العشرين من صفر سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م (2).

استمر رميثة بن محمد بن عجلان على علاقته الحسنة مع عمه حسن بن عجلان حتى عام ٨٢٤هـ/١٤٢٠م ،حيث تمرد رميثة على عمه من جديد وانضم إليه عدد من الأشراف والقادة ، وكان الأشراف والقادة العمرية والحميضات قد حدث بينهم اتفاق على التعاون والتعاضد ضد تهديدات حسن بن عجلان لهم ، وذلك أن حسن ابن عجلان بعد أن اصطلح مع ابن أخيه رميثة عام ٨٢٠هـ/١٤١٧م، أراد إضعاف القوتين العسكريتين في البلاد فأراد أن ينتزع منهم الأسلحة الحربية التي كانوا يمتلكونها من خيل ودروع وغيرها ، فشعر الطرفان بالخطر فتم الاتفاق بينهما على عدم تسليم الأسلحة والوقوف صفاً واحداً في وجه حسن بن عجلان إذا حاول انتزاعها بالقوة (3) ، وأمام هذا الموقف لم يسع حسن بن

---

(١) هو : جابر بن عبد الله الحراشي ، فوض إليه حسن بن عجلان أمر جدة فقام بمصالحه أحسن قيام ، بنى فرضة جدة ، لكي تنافس فرضة عدن ، اختلف مع حسن بن عجلان ، فترك العمل معه وتنقل بين اليمن وينبع ومصر ، محاولاً الانتقام من حسن بن عجلان ، ثم عاد لخدمة حسن بن عجلان واستعمله على جدة أيضاً ثم قتله لاتهامه بتموين رميثة بن محمد بن عجلان سنة ٨١٦هـ .الفاسي العقد الثمين ، ج٣، ص ٢٦٠.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص ٣٧٢، ٣٧٤،٣٧٣. المقريزي : السلوك ، ج٦، ص ٤٢٠. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣، ص ٥٣٠. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ص٣٠٤. الجزيري : الدرر ، ج ١، ص ٧٠٠. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج ١، ص ١٩٨.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص ٣٧٦ . ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣، ص ٥٤١. ابن فهد : غاية المرام ج ٢، ص٣١٠ .

عجلان إلا أن غض الطرف عن هذا الأمر ، لخوفه من ظهور فتنة جديدة ، ولعله كان يتحين الفرصة لتحقيق رغبته هذه ، وفي عام ٨٢٣هـ/١٤١٩م ، كان بمكة ونواحيها مجاعة شديدة لقلة الإنتاج الزراعي وذلك لقلة سقوط مياه الأمطار على المناطق الزراعية التي كانت تموّن مكة بحاجتها الغذائية ، وعدم رسو السفن التجارية التي تحمل المواد الغذائية القادمة من الخارج وخصوصاً من اليمن في ميناء جدة لكثرة المكوس التجارية التي كان يأخذها حسن بن عجلان [1] ، ومع هذا كان حسن في حاجة ماسة للمال حتى أنه استدان من التجار وأصحاب الأموال للقيام بما يحتاجه أمراء الحج [2]عندما قدموا في موسم سنة ٨٢٣هـ/١٤١٩م[3]

ولهذه العوامل مجتمعة نستطيع القول أن الظروف كانت مهيئة لقيام تمرد من قِبل الأشراف والقادة لقلة ما حصلوه من حسن بن عجلان ، فكان أن انضم عدد من الأشراف والقادة لرميثة سنة ٨٢٤هـ/١٤٢٠م ، واستولوا على مدينة جدة ، ثم انتشروا في الطرقات للنهب والسلب مما دفع التجار إلى عدم الرسو في ميناء جدة ، فما كان من حسن بن عجلان إلا أن استخدم أسلوبه الأول وهو تفريق أتباع رميثة وإفراده لوحده مما يؤدي إلى إنهاء الثورة بأقل الخسائر ، وهذا ما حدث فعلاً حيث استمال حسن بن عجلان أتباع رميثة حتى انصرفوا عنه ، فلما لم يعد معه أحد يعتمد عليه فكر في العودة إلى طاعة عمه حسن بن عجلان ، فتوسل إليه بابنه بركات [4] بن حسن بن عجلان ، فتم الصلح وعاد

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٣٨٣. المقريزي : السلوك ، ج٧، ص٥. ابن فهد : إتحاف الورى : ج٣، ص ٥٧١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٣٢٥ .

(٢) كان أمير الحاج المصري ، الأمير جلبان أمير آخور ، وأمير الركب الأول ، الأميرمغلباي الساقي . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٥٧٤.

(٣) ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ص٣٣٢.

(٤) هو بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي ، أمير مكة ، ولد سنة ٨٠١هـ ، ولي إمرة مكة شريكاً لوالده سنة ٨٠٩هـ ، تولى بعد وفاة والده سنة ٨٢٩هـ ، عُزل سنة ٨٤٥هـ ثم أعيد سنة ٨٥٠هـ ، واستمر إلى أن مات سنة ٨٥٩هـ . له مآثر بمكة ، كان شهماً صاحب حياء ومروءة وشجاعة مفرطة ، حسن السياسة . ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١، ص١٨٨.ابن فهد : الدر الكمين ، ج ١، ص ٦٤٧. السخاوي : الضوء اللامع ،ج ٣، ص ١٣.

رميثة إلى مصافاة عمه وذلك في بداية سنة ٨٢٥هـ/١٤٢١م [1]، ولكن هذا الصلح لم يستمر طويلاً حيث عاد رميثة إلى تمرده في نفس العام وانضم إليه عدد من الأتباع ، وقد كان الدافع لهذا التمرد هو الخلاف بين حسن بن عجلان والقادة العمرية حتى أنه تتبعهم إلى الجهة الجنوبية لمكة لإضعاف شوكتهم ، وأيضاً نفور عدد من الأشراف من أبناء الأسرة الحاكمة من حسن بن عجلان فشجع هذا النفور رميثة في معاودة الثورة وانضم إلى القواد العمرية ومن معهم من الأشراف ، وفي هذه الظروف قدم إلى مكة الأمير مقبل بن مخبار أمير ينبع نجدة حسن بن عجلان لقتال الثائرين عليه ، ولكن حدث أن اختلف حسن بن عجلان مع الأمير مقبل بن مخبار ، عندما علم حسن بن عجلان أن مقبل كان المحرض لرميثة على التمرد الأخير وذلك أن تمرد رميثة كان بعد خروج حسن بن عجلان و مقبل بن مخبار لتتبع القادة العمرية [2]، ويبدو أن أسباب الخلاف بين حسن بن عجلان و مقبل بن مخبار هو الاختلاف في معالجة تمرد الأشراف والقادة العمرية، ففي الوقت الذي يريد مقبل بن مخبار أن يقاتل حسن الأشراف والقادة العمرية ، كان حسن بن عجلان يميل إلى استمالة المناوئين وتفكيك التحالفات بالحيلة والدهاء وبأقل الخسائر والبعد عن الحل العسكري قدر الإمكان ، ويتضح أمر آخر هو أن مقبل بن مخبار كان يسعى إلى مساعدة حسن بن عجلان لكي يعينه حسن بن عجلان ضد أخيه وبير [3] بن مخبار الذي كان في حالة نزاع معه ويحتمل أنه كان يسعى لكي يحصل على موارد مالية من خلال القتال مع القادة إذا تحقق لهما النصر عليهما ، وعندما لم يوافق حسن بن عجلان على استخدام الحل العسكري مال مقبل بن مخبار إلى إغراء رميثة بالتمرد لكي يتحقق له ما كان يصبو إليه من قتال المتمردين على حسن بن عجلان ،وإذا لم يحصل ذلك يكون قد كسب حليف جديد وهو رميثة وأتباعه .

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص ٣٨٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٥٧٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص ٣٣٦. ابن فهد : الدر الكمين ، ج ٢، ص ٧٣٤.

(٢)الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص ٣٨٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٥٧٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص ٣٣٦. ابن فهد : الدر الكمين ، ج ٢، ص ٧٣٤.

(٣) هو وبير بن نخبار بن محمد بن عقيل بن راجح بن حسن بن قتادة الحسني الينبعي. أقام في إمارة ينبع أكثر من ٢٠سنة ، قتل غيلة . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١٠، ص ٢١٠.

لم يحدث مواجهة بين رميثة وأتباعه من الأشراف والقادة العمرية وبين حسن بن عجلان ، ويبدو أن عدم المواجهة كان بإرادة حسن بن عجلان الذي كان يسوس الأمور بالدهاء مع المخالفين ، فقام رميثة وأتباعه بالغارة على مدينة جدة ونهبها والاستيلاء عليها ، فما كان من حسن بن عجلان إلا أن استمال عدداً من أتباع رميثة بالحيلة والدهاء، حتى مال إليه عدد من أتباع رميثة من الأشراف والقادة العمرية مما اضطر رميثة أن يتخلى عن جدة ويلتجئ إلى وادي مر ثم يخرج بمن بقي معه من أنصاره إلى ينبع لمساندة مقبل بن مخبار على مناوئه،(1) وهنا يتبين ما ذكرناه سلفاً من موقف مقبل المتأرجح بين حسن ورميثة ، وأن هدفه من المجيء ليس نصرة أحد الطرفين وإنما السعي لتحقيق مصالحه الخاصة

عندما رأى حسن بن عجلان اتفاق رميثة و مقبل أمير ينبع وخروج رميثة لمساعدة مقبل،خشي أن يزداد رميثة قوة بهذا التحالف إن حققا انتصاراً عسكرياً على مناوئي مقبل، فيكون هذا لغير صالح حسن بن عجلان ، حيث إنه من البديهي أن يقدم رميثة بقوات عسكرية كثيفة من ينبع لتحقيق كسب عسكري في مكة بمساعدة من مقبل بن مخبار، لذا قرر حسن بن عجلان أن يدخل في الصراع الدائر في ينبع وقام بإمداد أبناء الأمير وبير بن مخبار بما يحتاجونه من الجند والخيل والسلاح ، كما عزم على القدوم بنفسه إلى ينبع حتى يتحقق النصر لأبناء الأمير وبير بن مخبار ، وهو بهذا يريد القضاء على قوة رميثة وقوة مساعده مقبل ، أمام هذا الموقف من حسن بن عجلان قرر و مقبل بن مخبار أن يبعد الشريف حسن بن عجلان عن دائرة الصراع بينه وبين أبناء أخيه وبير و لم يجد طريقاً لتحقيق هذا إلا أن يأتي إلى حسن بن عجلان خاضعاً مسترضياً له ، فما كان من حسن بن عجلان إلا أن قبل عذر مقبل بن مخبار مقابل أن يخرج رميثة ومن معه من الأتباع من ينبع ، وفعلاً تخلى مقبل بن مخبار عن رميثة الذي ضاقت به الحيل من جديد ، فلم يجد أمامه إلا العودة إلى طاعة عمه حسن بن عجلان ، وقرر أن يطلب من أمير المدينة المنورة ، عجلان (2) بن

---

(1) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص٣٨٨. ابن فهد: إتحاف الورى ، ج٣، ص ٥٨٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٣٣٦.ابن فهد: الدر الكمين ، ج٢، ص٧٣٤.

(2) هو الأمير عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن منصور بن شيحة بن هاشم الحسيني أمير المدينة النبوية ، تولى إمارة المدينة عدة مرات ، وسجن في القاهرة في عهد المؤيد شيخ ، قتل في ذي الحجة سنة ٨٣٢هـ . ابن تغري بردي : الدليل الشافي ،ج١، ض ٤٤١.السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٥، ص ١٤٥.

نعير بن منصور التشفع له لدى عمه حسن بن عجلان في عودته إلى الطاعة وعدم الخروج عليه ، فما كان من حسن بن عجلان إلا قبول شفاعة الأمير عجلان بن نعير ، وعاد رميثة إلى طاعة عمه حسن بن عجلان أما أتباعه فقد أمره عمه حسن بالتخلي عنهم ، فخرجوا إلى ينبع وأقاموا بها وكان هذا الصلح في ربيع الأول سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٢م [١].

وبهذا انتهت ثورة رميثة بن محمد بن عجلان ضد عمه حسن بن عجلان برزت فيها حكمة حسن بن عجلان في معالجة الظروف الحرجة بأفضل الطرق مما جعله يجني أفضل النتائج بأقل الخسائر، وهذا يدل على حنكته وسياسته الحكيمة .

ثورة الشريفين إبراهيم [٢] ، وأبي القاسم [١] أبني الشريف حسن بن عجلان ٨٣١هـ/١٤٢٧م

(١)الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣، ص٣٨٩. ابن فهد: إتحاف الورى ، ج٣، ص ٥٨٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٣٤١.ابن فهد: الدر الكمين ، ج٢، ص٧٣٤.

(٢) هو إبراهيم بن حسن بن عجلان بن رميثة الحسني ، كان سفير والده إلى ملك اليمن سنة ٨٢١هـ لحل الخلاف بينهما فنجح في سفارته ، أراد والده إشراكه في نيابة الإمارة مع أخيه بركات فلم توافق السلطة في مصر ، ، كانت نفسه تطمع إلى إمارة مكة ، وجاهد في نيلها كثيراً ، توفي سنة٨٤٩هـ ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ص٤٧١. ابن فهد : الدر الكمين ، ج١، ص٥٩١. السخاوي : الضوء اللامع ، ج١، ص ٤١.

توفي حسن بن عجلان في القاهرة في السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م عندما كان في زيارة لمصر [٢] وتم تعيين ابنه بركات أميراً على مكة بعد أن حضر هو وأخوه إبراهيم إلى القاهرة بطلب من السلطة السياسية بمصر ، وقد أخذت السلطة على إبراهيم العهود والمواثيق بطاعة أخيه بركات وعدم التمرد عليه[٣].

وقد توقعت السلطة السياسية في مصر من إبراهيم بن حسن بن عجلان التمرد على قرارها بتعيين أخيه بركات بمفرده لما له من سابقة في عدم الرضى بتنصيب أخيه بركات شريكاً لوالده حيث قاد تمرداً في حياة أبيه عندما رفضت السلطة السياسية في مصر موافقة حسن بن عجلان على تعيين ابنيه بركات و إبراهيم بدلاً عنه عام ٨٢٣هـ/١٤١٩م فلم توافق إلا على تعيين بركات نائباً لوالده فقط فناضل إبراهيم حتى تم ذكر اسمه في خطبة الجمعة في المسجد الحرام مع ذكر اسم أخيه بركات [٤]، لهذا طلبت حضوره مع أخيه إلى مصر ، وأخذت العهود والمواثيق عليه ، ولكن السلطة بقرارها هذا كانت تهدف إلى حماية مصالحها حيث إن تعيين أمير واحد يعني تحديد الشخص الذي يمكن أن تطالبه بما تعهد به حسن بن عجلان من قبل من مبالغ مالية مقابل توليه الإمارة وقد تعهد بركات بذلك [٥] ،

---

(١) هو أبو القاسم بن حسن بن عجلان الحسني ، أمير مكة ، تولى الإمارة سنة٨٤٦هـ ، وعزل سنة ٨٥٠هـ، كان شهماً مقداماً ، حفظ مكة عند سفر أخويه بركات وإبراهيم إلى القاهرة ، توفي بالقاهرة سنة٨٥٣هـ . ابن فهد : الدر الكمين ، ج٣، ص ١٣٢٩. السخاوي : الضوء اللامع ، ج١١، ص ١٣٤.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ص ٣٩٣. ابن تغري بردي :الدليل الشافي ، ج١، ص ٢٦٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٦٢٧.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٦٢٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٤٧١. ابن فهد : الدر الكمين ، ج١، ص٥٩٢.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٣٨٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٥٧٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص ٣٣٥، ٤٧١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٤٢٦.

(٥) كان حسن بن عجلان قد تعهد بدفع ثلاثين ألف مثقال للسلطان المؤيد شيخ مقابل إعادته لحكم مكة وذلك عام ٨١٩هـ . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٣٠، ٦٢٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٣٠٤. الجزيري : الدرر، ج ١، ص ٧٠٠.

هذا وقد استمر إبراهيم على عهده الذي قطعه على نفسه في مصر حتى عام ٨٣١هـ/١٤٢٧م حيث تمرد على أخيه بركات يساعده في هذا التمرد أخوه أبو القاسم.(١)

ويبدو أن الأخوين إبراهيم وأبا القاسم كانا من القوة بحيث لم يستطع بركات مقاومتهما ، وأنهما أيضاً كانا يرغبان في مبالغ مالية من واردات البلاد التجارية تثقل كاهل بركات الذي تعهد للسلطة السياسية بمصر بدفع ما تعهد به والده حسن ، لذا فضل الاستعانة بالسلطة السياسية في مصر، فأرسل يطلب مساعدته بقوة عسكرية لمواجهة أخويه وأتباعهما فما كان من السلطة السياسية في مصر إلا أن أرسلت إليه قوة عسكرية ، في شوال سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م ، فما كان من إبراهيم وأخيه أبي القاسم إلا أن ابتعدا عن مكة وقررا عدم مواجهة القوة العسكرية المصرية وقوات أخيهم بركات مجتمعة.(٢)

بعد هذا اتفق بركات وأخوه إبراهيم في الوقت الذي بقي أبوالقاسم على عدائه لأخيه بركات ، فهاجم أبو القاسم مدينة جدة بعد سفر الحجاج سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م للتزود بالمؤن (٣)وفي نفس الوقت لم يقدم أبو القاسم في مدينة جدة على عمل يغضب السلطة السياسية في مصر حيث إنه قصد السفر إلى القاهرة بحاشيته بعد أن جهز هدية للسلطة السياسية بمصر ولحق بركب الحجاج (٤).

لما علم بركات بن حسن وأخوه إبراهيم بنية أخيهما أبي القاسم في السفر إلى القاهرة يبدو أنهما خشيا أن يحصل على تعيين بولاية مكة ، فخرج إبراهيم إلى ينبع لكي يثني أخاه أبا القاسم عن قصده ، وفعلاً نجح في تغيير قصد أبي القاسم وأقنعه بالاكتفاء بمراسلة

---

(١) ابن فهد: إتحاف الورى ، ج٤، ص ١٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص ٤٧١. ابن فهد : الدر الكمين ، ج١، ص ٥٩٢.

(٢) المقريزي : السلوك ، ج٧، ص ١٧٨. العيني ، بدر الدين : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق عبد الرزاق الطنطاوي ، ط١، الزهراء للإعلام العربي ،١٤٠٩هـ، ص ٣٣٦. ابن فهد: إتحاف الورى ، ج٤، ص ١٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص ٤٠١، ٤٧١. ابن فهد : الدر الكمين ، ج١، ص ٥٩٢.

(٣) كان أبو القاسم قد استولى على ما يساوي عشرة أحمال من الدقيق من أملاك الأمير مقبل القديدي ، والتاجر السملوطي ، وكان قصده التزود حيث أنه لم يتعرض للمال النقد بجدة .

ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص ١٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ٤٠١.

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ١٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢ ، ٤٠١. ابن فهد : الدر الكمين ، ج ٢، ص ١٣٣٠.

السلطان المملوكي برسباي[1] من ينبع بالشكوى من تصرفات أخيهما بركات ضدهما وما يحتاجان إليه [2].

لم تستجب السلطة السياسية في مصر لشكوى إبراهيم وأبي القاسم ابني حسن بن عجلان من أخيهما بركات فقرر إبراهيم وأخوه أبو القاسم التحرك إلى مكة بعد أن انضم إليهم عدد من الأشراف المغاضبين بركات ممن ينتسب إلى أبي نمي ، فزحفا بأتباعهما وعسكرا في عسفان [3] فعلم بوصولهم بركات وكان خارج مكة تجاه الجنوب ، فزحف في أتباعه ، ومن معه من الجند المماليك إلى وادي مر ، أما إبراهيم وأبوالقاسم فقد أرسلا من يتجسس[4] لهم أخبار بركات وقواته ، وعندما قدموا إلى مكة فطن لهم أصحاب بركات فأخبروا أمير جند المماليك بمكة الأمير أرنبغا [5] بخبرهما وأنهما من أتباع إبراهيم وأبي القاسم فقام بالقبض عليهما ، وسجنهما بعد أن قيدهما في أيديهما وأرجلهما حتى يقطع عليهما التحرك إذا ما حاولا الهرب ، ثم خرج لنصرة بركات في وادي مر.[6]

أما إبراهيم وأخوه أبو القاسم فقد قاما بعمل ذكي عندما علما بزحف بركات وأنصاره ، والأمير أرنبغا ومن معه من الجند إليهم ، حيث أدركا أن المواجهة ليست من صالحهما فقاما بتقسيم قواتهما إلى قوتين: إحداهما بقيادة إبراهيم والأخرى بقيادة أبي القاسم

---

(١) هو السلطان الأشرف برسباي الدقماقي الظاهري أبو النصر ، جركسي الأصل ، تولى الحكم في ربيع الآخر سنة ٨٢٥هـ بعد عزل الصالح محمد بن السلطان ططر ، فتحت في أيامه جزيرة قبرص وأسر ملكها ، كانت أيام ملكه من أسعد الأيام لعدم الخروج عليه ، وتجنب البلاد ويلات الفتن ، كان ملكاً جليلاً ، يحب العلم وأهله توفي سنة ٨٤١هـ . السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣، ص ٨. الزركلي : الأعلام ، ج٢، ص ٤٨.

(٢)ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ٤٧١. ابن فهد : الدر الكمين ،ج١، ص٥٩٣، ج ٢، ص ١٣٣٠.

(٣) عسفان بلدة تاريخية عامرة تقع شمال مكة على بعد ٨٠كم على طريق المدينة المنورة بين الجحفة ومكة ، بها آبار عذبة ، ويتبع مركز عسفان الإداري اليوم مركز الجموم ، ويسكنه اليوم بنو بشر من حرب وغيرهم . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٦، ص٣٢٧. عاتق بن غيث : معالم مكة التاريخية والأثرية ، ص١٨٨.

(٤) كان الجواسيس هما : الشريف قاسم بن جسار النموي ، وعبد الحميد بن محمد الموغاني المدني . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ص ٣٤.

(٥) هو الأمير أرنبغا اليونسي الناصري ، عمل أمير عشرة ورأس نوبة النوب أيام الأشرف برسباي ، وجاور بمكة مقدماً على المماليك السلطانية سنيين ثم جعله الظاهر من جملة الطبلخانات ثم مات في عهد السلطان إينال سنة ٨٥٧هـ . السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٢، ص ٢٦٩.

(٦) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ص ٣٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٠٧.

وكانت مهمة فرقة إبراهيم البقاء في عسفان لمناوشة قوات بركات وتظليلها ، وقام أبو القاسم بفرقته بالانحراف إلى مكة في محاولة لتخليص أتباعه الذين أرسلهم يتجسسون الأخبار ، وثني بركات عن متابعة القوات التي مع أخيه إبراهيم ، ونجح أبو القاسم في الدخول إلى مكة ، ولكنه لم يستطع تخليص أتباعه من السجن لاستماتة الحراس في الدفاع عن السجن الذي تم اعتقالهم فيه ، فخرج من مكة خوفاً من مجيء الشريف بركات ومحاصرته واتجه إلى الجهة الجنوبية لمكة واستطاع أن يستولي على كميات كبيرة من الإبل لبعض أنصار بركات،[1] وبهذا يكون الهدف من تحرك أبي القاسم جمع كمية كبيرة من المال وتغيير مسار حملة أخيه بركات.

أما إبراهيم ومن معه من الأتباع فقد بقوا في منطقة عسفان ، وعند قدوم بركات وأنصاره تركوا مواقعهم ، واتجهوا إلى ساية [2]،ثم إلى حوزة [3]، ومكثوا بها أياماً ثم اتجهوا إلى المضيق [4]في محاولة لجمع أكبر عدد من الأتباع من قبائل المنطقة ، وفي تراجع القصد منه منه إرهاق قوات بركات في الوقت الذي يتمكن أبو القاسم من التحرك في جنوب مكة بحرية ، وعند هذا عاد بركات إلى مكة [5]، وبدأ في تغيير خطته في مواجهة أخويه ، ويبدو أنه أراد أن يأخذ بخطة والده حسن في معالجة الثائرين عليه ، حيث كان والده حسن بن عجلان يضع الحل العسكري آخر الخيارات في مواجهة خصومه .

---

(١) المصدر السابق ، ج ٤، ص ٣٤. المصدر السابق ، ج٢، ص ٤٠٧. ابن فهد : الدر الكمين ، ج ٢، ص ١٣٣٠.

(٢) ساية : واد من أودية الحجاز ، له روافد كثيرة وبه عيون كثيرة ومزارع ،وكان سكانه من الأشراف ، يندفع غرباً حتى يجتمع بوادي وبح ، فيطلق عليه وادي المرواني ، ثم ينحدر فيسمى وادي الخوار ، ثم خليص ، وقاعدة وادي ساية الكامل وبها اليوم إمارة تابعة لمكة. ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ١٥ . عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج ٤ ، ص ١٦٠ .

(٣) حوزة : وادي بالحجاز لقبيلة هذيل يصب في وادي الزبارة من الشمال ، طريقة إلى مكة إلى وادي ينبع الجعرانة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣، ص١٩٤.عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج ٣ ، ص ٧٩ .

(٤) المضيق : كان يسمى قبل ذلك البردان ، وهو علو وادي نخلة الشامية من نواحي مكة وسكانه الأشراف الحرث وبعض هذيل . عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٨ ، ص ١٨٠ .

(٥) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ص ٣٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٠٧. ابن فهد : الدر الكمين ، ج ٢، ص ١٣٣٠.

لذا خرج بركات بعد عودته إلى منطقة البرود [1] وأخذ يراسل أخاه إبراهيم في محاولة ذكية لفك الاتفاق بين إبراهيم وأبي القاسم ، وكان رسول بركات إلى أخيه الشريف رميثة بن محمد بن عجلان ، وأثمرت المراسلات عن عقد اجتماع صلح بين الأخوين بركات وإبراهيم ، حاول فيه بركات إقناع أخيه إبراهيم بالذهاب معه إلى مكة لإبرام الصلح بها ، في الوقت الذي حاول إبراهيم الحصول على مبالغ مالية من أخيه بركات ، لهذا كان كل من الأخوين حذراً من الآخر إبراهيم يخشى القبض عليه ، و بركات لايريد أن يحمل نفسه تعهداً مالياً قد لايفي به فيما بعد ، لذا افترق الأخوان على غير وفاق ، فخرج إبراهيم بمن معه من الأتباع إلى الطائف؛ لكي يبتعد عن مواقع أخيه بركات، ثم رحل إلى وادي نخلة لكي يسلك الطريق الموصل إلى الجهة الجنوبية لمكة ،حيث يقيم أخوه أبو القاسم ، فتبعه بركات وهاجم وادي نخلة بعد أن غادره إبراهيم وأوقع بأهله واقعة شديدة ، ثم هاجم القبائل التي بدر منها موالاة لأخيه إبراهيم وأوقع بها [2] ، في الوقت الذي استطاع إبراهيم أن يصل إلى المنطقة الجنوبية واجتمع بأخيه أبي القاسم ، ولكن بركات أخذ في مراسلة أخيه إبراهيم حتى استطاع أن يصل معه إلى حل ينهي به معارضته حيث تعهد بركات لإبراهيم على أن يدفع له مبلغاً من المال سنوياً يصرفه على نفسه [3]، وعاد إبراهيم ودخل في طاعة أخيه بركات، وكان هذا في عام ٨٣٢هـ/١٤٢٨م، وبهذا يكون بركات قد نجح في فك التحالف بين أخويه أبي القاسم وإبراهيم ، وضم إبراهيم إلى صفه ، و لم يبق أمامه إلا أبا القاسم المتمركز في جنوب مكة على طريق القوافل اليمنية .

أخذ بركات يراسل أخاه أبا القاسم في محاولة لتقليل خطره على الإمارة ومواردها ، واستطاع بركات الوصول مع أخيه أبي القاسم إلى عقد هدنة في شوال عام

---

(١) البرود : هي بئر عظيمة مطوية بالحجارة المنحوتة تقع في المرحلة الأولى لقاصد المدينة المنورة من مكة المكرمة في الجهة الشرقية ، وهي تقع بين مكة ، ووادي فاطمة . الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص ٢٢٦. عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج١، ص ٢١٣ .

(٢) من القبائل التي ظهر منها موالاة للشريف إبراهيم وأوقع بهم الشريف بركات ، نباتة ، وعاترة . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ص ٣٤.

(٣) المصدر السابق ، ج ٤، ص ٣٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٠٧،٤٧١. ابن فهد : الدر الكمين ، ج ١، ص ٥٩٣.

٨٣٢هـ/١٤٢٨م يكون لأبي القاسم مبلغ (٢١٠٠) دينار على أن يتوقف أبو القاسم عن مهاجمة القوافل القادمة إلى مكة والصادرة منها إلى العاشر من المحرم من عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م [١] ما يقارب مائة يوم ، ثم استطاع بركات أن يصل مع أخيه أبي القاسم إلى هدنة أخرى مدتها ثلاث سنوات من ٨٣٣هـ/١٤٢٩م إلى ٨٣٦هـ/١٤٣٢م مقابل(٢٥٠٠) دينار سنوياً على شروط الهدنة السابقة [٢].

وبعد انتهاء الهدنة في بداية عام ٨٣٧هـ/١٤٣٣م قدم أبو القاسم لملاقاة أخيه بركات إلى منطقة حادثة[٣] وأسفر اللقاء عن عقد صلح بين الأخوين ، ويبدو أن بركات استطاع أن يقنع أخاه أبا القاسم بالدخول في طاعته [٤]، وهذا نتيجة الأسلوب الحكيم الذي اتبعه بركات ،حيث إن مدة الهدنة الثانية كانت كفيلة بأن تضعف مقاومة أبي القاسم ،ويقل أتباعه ، فلم يكن أمامه إلا العودة إلى الطاعة وقبول عرض أخيه بركات والصلح معه .

في عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م تمرد إبراهيم على أخيه بركات ، بعد أن صدر منه تعسف على الرعية بمكة ، وقد كان بركات غائباً في زيارة للمسجد النبوي بالمدينة المنورة ، فلما عاد وأخبر بما فعل أخوه إبراهيم ، فتوجه نحو بركات ومعه أخواه علي [٥]و أبو القاسم ، فخرج إبراهيم إلى الجهة الجنوبية لمكة ومعه عدد من أتباعه ، فقام بركات باستمالة أتباع

---

(١)ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ص ٣٤.

(٢) المصدر السابق ، ج ٤، ص ٤٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٥٠٠. ابن فهد : الدر الكمين، ج ٢،ص ١٣٣١.

(٣) حادثة : تسمى الجديدة ، وقديماً كانت تسمى المباركة ، منطقة زراعية في وادي الزبارة قرب اجتماع نخلة اليمانية والشامية . عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج ٢، ١٣٥.

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ص ٧٠. ابن فهد : الدر الكمين ، ج٢، ص ١٣٣١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٥٠٠.

(٥) هو علي بن حسن بن عجلان الحسني المكي ، ولد في سنة ٨٠٧هـ تقريباً تلقى بعض العلوم الدينية والعربية بمكة ، وأجاز له بعض العلماء ، سافر إلى العراق في حياة أبيه مع أخيه أحمد وبقي به مدة كان معاضداً = =لأخيه الشريف بركات ، تولى إمرة مكة سنة٨٤٥هـ ، عزل سنة ٨٤٦هـ وقبض عليه وسجن بمصر ، وبقي بمصر حتى توفي بدمياط سنة ٨٥٣هـ. ابن فهد : الدر الكمين ، ج٢، ص ١٠١٦. السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٥، ص ٢١١.

أخيه إبراهيم حتى بقي منفرداً لوحده ، ثم تم الصلح بينه وبين أخيه في نهاية عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م وعاد إلى الطاعة [١].

الملاحظ أن بركات عند عزمه على السفر إلى المدينة المنورة للزيارة جعل أخاه إبراهيم نائباً عنه بمكة ، يدلنا على هذا أنه ذُكر أنه جعل أخاه علياً نائباً على مدينة جدة ، وجعل أخاه أبا القاسم نائباً عنه بوادي الآبار ويكون إبراهيم بمكة وفي النص أيضاً ذُكر أنه حصل من إبراهيم تعسف على الرعية ، وهذا لا يكون إلا إذا كان له سلطة عليهم ، لذا نستطيع القول إن إبراهيم أثناء نيابته على مكة في فترة غياب أخيه بركات في المدينة المنورة ، أخذ من السكان أموالاً كثيرة يريد بها تقويته لجمع الأنصار من جديد لمساعدته على نيل الإمارة ،وفعلاً استطاع أن يجمع عدداً من الأنصار ، لذا عندما علم بركات عند عودته ، خرج إبراهيم إلى الجهة الجنوبية لمكة مع أتباعه ، فلو كان تعسفه مع السكان ليس له قصد في جمع المال للثورة من جديد لما خرج من مكة بأتباعه .

ثورة الشريف بركات بن حسن بن عجلان ٨٤٦هـ/١٤٤٢م :

استمر بركات بن حسن بن عجلان أميراً لمكة حتى عام ٨٤٥هـ/١٤٤١م حيث عُزل بأخيه علي بن حسن بن عجلان ، وكان سبب عزله أن السلطان المملوكي الظاهر جقمق[٢] طلب من بركات الحضور إلى مصر عام ٨٤٣هـ/١٤٣٩م [٣] ، ولكن بركات لم يلبّ طلب السلطان ، وذلك أن أهل مكة ، والتجار والمجاورين [٤] طلبوا من بركات عدم

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ص ١٢٦. ابن فهد : الدر الكمين ، ج١، ص ٥٩١. غاية المرام ، ج٢، ص ٤١٤، ٤٧١.

(٢) هو الملك الظاهر أبو سعيد جقمق الجركسي العلائي ، تدرج في المناصب في الدولة المملوكية حتى أصبح أتابك الدولة في عهد السلطان برسباي ، ووصي على ابنه العزيز ، تولى السلطنة بعد خلعه للعزيز سنة٨٤٢هـ ، كان ملكاً عادلاً كثير العبادة ، عفيفاً ، متواضعاً يحترم العلم وأهله ، حكم مدة خمسة عشر عاماً ،توفي سنة ٨٥٧هـ. السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٣، ص ٧١. ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٧، ص ٢٩٠. الزركلي : الأعلام ، ج٢، ص ١٣٢.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص١٤٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ٤١٥.

(٤) المجاورون : هو فئة من الناس كانت تقيم بمكة من جميع أقطار العالم الإسلامي ، وجاور أي بقي بجوار المسجد الحرام ، أو المسجد النبوي ، فكان بعضهم يقيم بقصد العبادة لمدد غير محددة بعد قضاء عشائر الحج ، وبعضهم

مغادرة البلد، لأنهم لا يأمنون على أنفسهم وأموالهم إذا غادر بركات البلاد ، وترجّوه في البقاء وأن يرسل إلى السلطان المملوكي بالأمر ، وفعلاً أرسل بركات إلى السلطان المملوكي بما حدث وطلب إعفائه من الحضور ،كما أرسل الأمير سودون المحمدي [1] طلباً آخر بين فيه أن المصلحة في عدم سفر بركات ومغادرة مكة ، لخوف الفتن لقلة الأمن [2]. فوافق السلطان بعد أن تعهد بركات بن حسن بن عجلان بمبلغ (١٠) آلاف دينار للدولة[3].

وفي عام٨٤٤هـــ/١٤٤٠م تخوف بركات من ركب الحج المصري و لم يجتمع بأمراء الحاج بمفرده خوفاً من القبض عليه حيث أُشيع أن السلطان جقمق قد أمر الأمراء المصاحبين لركب الحاج بالقبض عليه ، وقام بركات بحشد عدد كبير من أتباعه حيث كانوا مرافقين له بما يشكل حرساً كثيفاً أثناء تواجد ركب الحاج بمكة و لم يشارك الحجاج في الوقوف بعرفة بل اعتزل الموقف.[4]

بهذا العمل أثار بركات حفيظة السلطان المملوكي جقمق ، فقام في بداية عام ٨٤٥هـــ/١٤٤١م بعزله وتعيين أخيه علي الذي كان متواجداً في مصر أميراً بدلاً منه ،

من العلماء ، وبعضهم يمتهن التجارة ، وبعضهم من عامة الناس يتخذ من مكة المكرمة سكناً له ويعيش على الصدقات والبر بمكة. العبيكان ، طرفة عبد العزيز : الحياة العلمية والاجتماعية في مكة المكرمة في القرنين السابع والثامن للهجرة ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ،١٤١٦هـــ ، ص٢٤٣. منى حسن محمد مقرن مشاري : المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير بجامعة الملك سعود غير منشورة ، الرياض ، ١٤٠٩هـــ ، ص٢٢.

(١) هو الأمير سودون المحمدي أرسله السلطان المملوكي شاداً للعمائر بمكة المكرمة وناظراً للحرم الشريف ،أقام بمكة المكرمة أكثر من سنتين ، ثم عاد إلى القاهرة وعين نائباً بقلعة دمشق و توفي بها سنة٨٤٨هـــ. السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٣، ص ٢٨٥.

(٢) كان بركات يخشى من أخويه إبراهيم وأبي القاسم أن يهاجما مكة في غيابه ، وقد كان في صراع مستمر معهم لذا كان أهل مكة والتجار والمجاورون على حق في بقاء بركات بمكة .

(٣) . المقريزي : السلوك ، ج٧، ص ٤٦٤ .ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ص ١٦١، ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤١٨

(٤) ابن فهد: إتحاف الورى ، ج ٤، ص ١٦٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ص ٤٢١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٧٢٩.

ودخل الشريف علي مكة في بداية شهر شعبان من عام ٨٤٥هـ/١٤٤١م بصحبة عدد من الجند المماليك ، بعد أن خرج أخوه بركات بأتباعه إلى جهة جنوب مكة [١].

كان خروج بركات وعدم مواجهته لأخيه علي بن حسن بن عجلان حكيماً ، حيث غادر إلى الجهة الجنوبية لكي يستقر فترة يستطيع خلالها أن يقيم الوضع في البلاد، ويعطي فرصة لقوات أخيه علي أن تستقر وتضعف رغبتها في الحرب ، وبعد انتهاء موسم الحج يغادر مكة الكثير ممن يمكن أن يشاركوا قوات علي بن حسن فيما لو حدثت مواجهة مع أتباع أخيه بركات ، كما يعطي لأتباعه المخلصين أن يتجمعوا حوله.

في الخامس والعشرين من محرم سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م قرر بركات الدخول في صراع عسكري مع أخيه علي، فزحف بقواته ونزل العد جنوب غربي مكة ، وكان علي في مدينة جدة ، فخرج من مدينة جدة متجنباً المواجهة مع قوات أخيه بركات لمعرفته بتفوقها تاركاً المجال لها لدخول مدينة جدة ، وعسكر بقواته في منطقة حدا وأخذ يستعد للمواجهة بعد أن استدعى جميع القوات التابعة له والقوات المملوكية المتواجدة في مدينة مكة [٢] ، وبعد أن أكمل علي استعداده ، وتكاملت تجمع قواته زحف بها قاصداً مدينة جدة ، وفي نفس الوقت خرج بركات بقواته من مدينة جدة ،وتقابل الفريقان في يوم الثلاثاء العشرين من شهر صفر سنة٨٤٦هـ/١٤٤٢م، ودارت بين الطرفين حرب شديدة انتهت بانتصار ساحق لقوات علي بعد حدوث خيانة في صفوف أتباع أخيه بركات ، وذلك أن القادة الحميضات والأشراف ذوو أبي نمي[٣] انسحبوا من ميدان المعركة ، مما جعل كفة قوات علي ترجح في ميدان الحرب وتنتهي المعركة بانتصار ساحق لها، وذلك لكثرة القتلى من صفوف بركات

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٥، ص ٣٤٩. ابن فهد: إتحاف الورى ، ج ٤، ص ١٧٠. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ص ٤٢٢، ٤٨٨. ابن فهد : الدر الكمين ، ج ٢، ص ١٠١٧. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج ١، ص ٢٣٥.

(٢) كان بمكة مجموعة من القوات العسكرية ، مهمتها حفظ الأمن بمكة ، وكان عددها تتراوح بين ٥٠جندياً إلى ٢٠٠جند في بعض الأوقات ، وكانت القوات في هذه الوقت بقيادة ، الأمير يشبك الصوفي وعددها ١٥٠جندياً قدموا مع علي لمساعدته عندما تم توليته إمارة مكة سنة٨٤٥هـ .

ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ص٤٨٨.

(٣) ذوو أبي نمي : إحدى قبائل الأشراف التي تنتسب إلى أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة الحسني . ابن عنبة : عمدة الطالب ، ص ١١١. عاتق بن غيث : معجم قبائل الحجاز ، ص ٢٠.

التي كانت متفوقة في عددها على قوات علي ، وقد استمات بركات في الحرب وثبت في قليل من أتباعه حتى نهاية المعركة ثم انسحب إلى العد ولحق بمن فر من قواته إلى جنوب مكة وقام إبراهيم بن حسن بن عجلان بالتدخل لإيقاف الحرب بين الطرفين بقية شهر صفر وشهر ربيع الأول ، أما علي وأتباعه والجند المماليك فقد عادوا إلى مكة في غاية السرور مما حققوه من نصر على قوات بركات (1) .

أخذ علي بن حسن بن عجلان يتوقع الهجوم من أخيه بركات بعد انقضاء فترة الهدنة التي عقدها الأخوان ، ولكن لم يحدث من بركات أي هجوم وذلك يعود لأثر الهزيمة التي حلت بقواته ، مما جعله يؤخر التحرك في الهجوم على أخيه علي حتى يصبح قادراً على تحقيق كسب عسكري يمحو به أثر الهزيمة السابقة .

لم يستمر الوفاق بين علي بن حسن بن عجلان والسلطة السياسية في مصر فقد تغير خاطر السلطان المملوكي الظاهر جقمق عليه فقرر عزله عن الإمارة وتعيين أخيه أبي القاسم بن حسن بن عجلان بدلاً منه ، وقد كان سبب العزل أنه نُقل إلى السلطان الظاهر جقمق عن علي بن حسن أمير مكة أموراً أغضبت السلطان المملوكي الظاهر جقمق (2)، فأوعز إلى مباشري (3) مدينة جدة بالقبض على علي بن حسن بن عجلان وعلى أخيه إبراهيم

---

(1) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ص ١٧٨، ١٧٩. ابن فهد : الدر الكمين ، ج ٢، ص ١٠١٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٢٢، ٤٩٥.

(2) يبدو أن السلطان جقمق قدغضب من موقف علي بن حسن بن عجلان عندما رفض أن ينفذ أمر الأمير تنم بهدم الدكة التي عمرها الأمير سودون المحمدي الذي كان يشغل منصب ناظر الحرمين الشريفين في الباب الأيمن من بابي البغلة بالمسجد الحرام والتي عمرها لكي يجلس عليها القاضي أبو اليمن النويري للحكم بين الناس وذلك سنة ٨٤٥هـ ، وكان الأمير تنم قد عقد مجلساً ضم عدداً من القضاة والأئمة وأعيان مكة لمناقشة أمر الدكة التي بناها الأمير سودون المحمدي ، ونتج عن هذا المجلس أن أمر الأمير تنم بهدم الدكة ، فرفض علي هدمها ، وهنا يبدو أن الأمير تنم أرسل للسلطان المملوكي عن موقف علي بن حسن بن عجلان في هذا ، فغضب السلطان وأمر بعزله ثم تم هدم الدكة بعد عقد اجتماع آخر حضره القضاة وأعيان أهل مكة والعلماء ، وأقروا هدمها وأنها استحدثت وذلك في فترة حكم أبي القاسم بن حسن بن عجلان في ٢١ذي الحجة سنة ٨٤٦هـ ، ويبدو أن هذه الدكة داخل المسجد الحرام إذ لو كانت خارجه لما أخذت هذا الوضع من= =الاستنكار . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ١٢٩، ص١٧٤، ١٨٤ ، ١٩٨.

(3) المباشر : هو المباشر للديوان أي المكلف بإدارة العمل ، والإشراف على تنفيذه ، وإجراء المبيعات و المشتريات واستخدام عماله ، وهم الموظفون من كتبه وموقعين ونحوهم في دواوين الدولة ، وتختلف أعمال المباشرة

وإرسالهم إلى القاهرة ،وفعلاً قام مباشرو جدة بما أوكل إليهم بمساعدة الجند المماليك المقيمين بمكة ، وتم القبض على علي وأخيه الشريف إبراهيم عندما قدما للسلام على مباشري جدة وتم إرسالهم إلى القاهرة مقيدين بالحديد تحت الحراسة المشددة وكان هذا في الثامن من شوال سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م[١].

تم تعيين أبي القاسم بن حسن بن عجلان في منصب الإمارة فقام بالنيابة عنه ابنه زاهر[٢] حتى قدم والده أبو القاسم إلى مكة في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م فتم تقليده منصبه في المسجد الحرام [٣].

كان بركات بن حسن يقيم في الجهة الجنوبية لمكة ،يراقب الأحداث السياسية دون التدخل فيها وينتظر عما تسفر عنه الأحداث ، حتى تم القبض على أخيه علي وتولية أبي القاسم الإمارة ، فكان هذا يعنى انتقال الصراع إلى الأمير الجديد أخيه أبي القاسم.

لم تحدث أي مواجهة بين الأخوين بركات وأبي القاسم مما يدل أن كلاً منهما كان يعامل الآخر بحذر شديد ، وقد استعان أبو القاسم بأخيه الشريف بركات وأتباعه في مقاومة تمرد ولده زاهر بن أبي القاسم سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م[٤] مما يدل أن بركات كان يمتلك قوة عسكرية فاعلة ،كما يتضح أن بركات كان يرغب في البعد عن الصراع العسكري مع أخوته ، فلو أراد قتال أخيه أبي القاسم لاستغل صراع أخيه أبي القاسم مع ابنه زاهر وهاجم مكة أو انضم إلى ابن أخيه حتى يتم النصر على أبي القاسم ويتولى الحكم من جديد، لأن الناس والسلطة السياسية في مصر لن تقبل بتولي زاهر الإمارة فيكون بركات هو

باختلاف الدواوين ، .حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٧م ، ص ٩٨٢.كان المباشرون الذين قاموا بهذه المهمة هم : الأمير تمراز المؤيدي ، وأحمد بن تاج الدين بن حتى . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص ١٨٤.

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص ١٨٤-١٨٦. ابن فهد : الدر الكمين ، ج٢، ص ١٠١٧. ابن فهد: غاية المرام ، ج٢، ص ٤٧١ ، ٤٩٥.الطبري : الأرج المسكي ، ص ١٢٢.

(٢) هو : زاهر بن أبي القاسم بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني ، ذكر أيام أبيه ، كان له سطوة ، وتجبر ، اختلف مع والده وعارضه ، فقيده والده ثم رضي عنه . السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣، ص ٢٣٢.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص ١٩٣. ابن فهد : الدر الكمين ، ج ٢، ص ١٣٣١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ٣٨. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٢٣٥.

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٤، ص ٢٠٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٢٤.

الأولى . ومما يدلنا أن بركات كان يمتلك قوة عسكرية فاعلة دخوله مكة في المحرم سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م والخروج منها دون أن يحدث حدثاً في عرض للقوة، فلم يستطع أحد أن يقف في طريق مروره ،كما أنه كان يتنقل بحرية تامة في جميع مناطق الحجاز فتارة يكون في جنوب مكة ، وتارة يقيم في المناطق الشمالية الغربية لها مع أتباعه ومؤيديه، وقد كان يقوم بالهجوم على بعض القبائل البدوية إذا نقص لديه التموين فيأخذ من أنعامها ما أراد [١]، وقد كان أبو القاسم يحاول استرضاء أخيه بركات بدفع مبالغ مالية له ولعله في هذا يريد أن يوقف الشريف بركات هجومه على القبائل التي تحيط بمكة المكرمة والتي يعني تعرضها لهجوم من بركات ضعف سلطة أبي القاسم إذا لم يتم إنجادها ، ومن ذلك أن أبا القاسم أعطى أخاه بركات في عام ٨٤٧هـ/١٤٤٣م ما يتحصله من مبالغ مالية من منطقة الحجاز[٢] (١٧٠٠)أفلوري[٣] وزاده من ماله(٣٠٠) أفلوري أيضاً ، ومع هذا فقد هاجم بركات في عام ٨٤٨هـ/١٤٤٤م قبائل بني سعد [٤] وأخذ منهم عدداً من الأغنام و(٥٠) بعيراً ، ثم هاجم قبيلة مطير[٥] وأخذ منهم ما يقارب (٧٠٠) بعير و(٤) أفراس وشردها من مواقعها ، مما أغضب أبا القاسم كثيراً وكادت أن تقع الحرب بين الأخوين لولا لطف الله

---

(١) المصدر السابق ،ج ٤، ص ٢٠٧، ٢١٦. المصدر السابق ، ج٢، ص ٤٢٤.

(٢) يقصد بمنطقة الحجاز هنا ما فرضه الأشراف حكام مكة على المناطق الزراعية بمدينة الطائف وضواحيها من مقررات مالية وذلك من عهد حسن بن عجلان .

(٣) الأفلوري : دينار من ضرب بلاد أوروبا (الفرنجة) قديماً زنته تسعة عشر قيراطاً مصرياً ، ويقال لها المسخصة لأن على أحد وجهيه صورة الملك الأوروبي الذي ضربت في عهده ، وعلى الوجه الآخر صورة القسيسان بطرس وبولس . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٣، ص ٤٣٧. فهمي، عبد الرحمن : النقود العربية ماضيهاوحاضرها ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ،١٤٠٧هـ ، ص ٩٥.

(٤) بنو سعد : قبيلة من العدنانية من هوازن وهم بنو سعد بن بكر ، منهم مرضعة رسول الله ﷺ حليمة السعدية ، وتسكن في ديارها الأصلية في قرن المنازل ، وجنوب الطائف ، ولهم سراة تعرف بهم ، وتنقسم اليوم إلى : ١- الثبتة ولهم بطون ، اللصة والصريرات . ٢- البطنين ، ولهم بطون عديدة منهم النفعة ، وطفيح ولكل منهم بطون أخرى . عاتق بن غيث : معجم قبائل الحجاز، ج٢، ص ٢٠٤. عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ، ج٢، ص ٥١٣

(٥) مطير من أكبر قبائل شبه الجزيرة العربية اليوم ، ولها فروع عديدة ، كانت ديارها سفوح حرة الحجاز= =الشرقية بين المدينة المنورة ، وعقيق عشيرة ، هاجر جزء كبير منها شرقاً ، وبقي جزء في دياره الأصلية . عاتق بن غيث : معجم قبائل العرب ، ج٣، ص ٤٦٧. عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ، ج٣، ص١١١٢.

وتدخل بعض الرجال الذين اشتهروا بالصلاح في الصلح مثل الشيخ عبد الكبير الحضرمي[(١)] فتم الصلح حيث أعاد بركات ثلثي ما أخذ من إبل قبيلة مطير [(٢)]

هذا و لم يدخل بركات في طاعة أخيه أبي القاسم بل بقي محتفظاً بأتباعه وفي نفس الوقت حدد له أبو القاسم كل سنة مبلغ (١٠)آلاف دينار[(٣)]، ويبدو هنا أن أبا القاسم أراد أن يمنع أخاه بركات من مهاجمة القبائل المحيطة بمكة والتي تعتبر في حماية أبي القاسم بإعطائه هذا المبلغ من المال سنويا ، لأنه لم يُذكر أن بركات هاجم أحداً منذ عام ٨٤٨هـ/١٤٤٤م أي بعد الصلح الذي تم بينهما على يد الشيخ عبد الكبير الحضرمي .

في عام ٨٥٠هـ/١٤٤٦م تم عزل أبي القاسم عن الإمارة وإعادة تولية بركات ، وكان ذلك أن السلطة السياسية أرسلت في بداية عام ٨٥٠هـ/١٤٤٦م بطلب لبركات بأن يحضر إلى القاهرة ، فاعتذر بركات عن الحضور وأرسل ولده محمد [(٤)]بن بركات إلى مصر ومعه الهدايا القيمة للسلطان المملوكي الملك الظاهر أبي سعيد جقمق ، فاستطاع محمد بن بركات أن يقنع السلطة السياسية في مصر بإعادة تولية والده بركات أميراً لمكة ، فتم تنصيب بركات أميراً بتاريخ الثاني عشر من ربيع الآخر سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م [(٥)]

---

(١) هو الشيخ عبد الكبير بن عبد الله بن محمد الأنصاري الحضرمي ، ولد تقريباً في سنة٧٩٤هـ بحضرموت ، ونشأ بها ، وتلقى العلم على جماعة من المشايخ ، وكان من الزهاد ، حج مراراً ، وقدم مكة سنة٨٤٩هـ ، ثم عاد إلى بلاده في سنة ٨٥٠هـ ، ثم قدم مكة سنة ٨٥٢هـ ،وانقطع بها إلى أن مات سنة ٨٦٩هـ . ابن فهد : الدر الكمين ، ج٢، ص ٨٧٦. السخاوي : الضوء ، ج٤، ص ٣٠٤.

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ص٢٢٧،٢١٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٢٨،٤٣٢.

(٣) ابن فهد : الدر الكمين ، ج ٢، ص ١٣٣٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٥٠١.

(٤) هو : محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي ، ولد بمكة سنة٨٤٠هـ ، أرسله والده ضمن وفد الحجاز إلى السلطان الظاهر جقمق سنة ٨٥٠هـ ، تولى إمارة مكة سنة ٨٥٩هـ ، بطلب من والده لما ضعف فأقرت السلطة في مصر تعيينه أميراً على مكة ، تلقى بعض العلوم على عدد من العلماء وأجازوه ، ساد الأمن في أيامه كثيراً ، توفي سنة٩٠٣هـ . ابن فهد : الدر الكمين ، ج ١، ص ١٠٣. ابن فهد : غاية المرام ج ٢، ص ٥٠٦. السخاوي : الضوء اللامع ،ج ٧، ص ١٥٠.

(٥) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٥، ص ٣٧١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ص ٢٥٢. ابن فهد= =: غاية المرام ، ج٢، ص ٤٣٤، ٤٣٨. ابن فهد : الدر الكمين ، ج ٢، ص ١٣٣٢. السنجاري : منائح الكرم ، ج ٣،ص ٤٥.

يبدو أن سبب عزل أبي القاسم هو علم السلطة السياسية بمصر بقوة بركات وعدم مقدرة أبي القاسم على الحد منها ، وفي نفس الوقت ذُكر أن أبا القاسم أحدث مكوساً أغضبت السلطة في مصر وأرسلت له بإلغائها [١] وذلك في نفس العام الذي تم عزله فيه فكانت مشجعاً على تنحيته وإعادة بركات.

عندما وصل الخبر بولاية بركات بن حسن للإمارة،خرج أخوه أبو القاسم بن حسن بن عجلان بأتباعه إلى الجهة الجنوبية لمكة مفسحاً الطريق لأخيه بركات بدخول مكة وذلك بعد أن تم عقد هدنة بين الأخوين لعدة أشهر[٢]

بقي أبو القاسم في منطقة الليث [٣] ، وقد قام أخوه بركات بالزحف تجاهه بمساعدة الجند المماليك المقيمين بمكة في شهر رمضان سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م.[٤]

ويبدو أن بركات بن حسن قد حقق نصراً ساحقاً على أخيه أبي القاسم مما جعله لا يستطيع مقاومة أخيه بركات ولا يقوم بأي عمل عسكري ضده سواءً أثناء وجود بركات في مكة أو في فترة غيابه عندما زار مصر في سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م[٥]، بل وقد امتنع بركات أن يجعل لأخيه أبي القاسم من المال ما جعله أبو القاسم له أثناء توليه الإمارة وهو مبلغ (١٠) آلاف دينار سنوياً [٦]، مما جعل أبا القاسم يقرر السفر إلى القاهرة في شهر ذي

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ص ٢٥٢. ابن فهد : الدر الكمين ، ج ٢، ص ١٣٣٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٥٠١.

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ص٢٥٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٣٨. ابن فهد : الدر الكمين ، ج ٢، ص ١٣٣٢.

(٣) الليث : تقع الليث على الساحل الشرقي للبحر الأحمر في جنوب غرب مكة على بعد١٨٥كم، ويطلق اسم الليث على الوادي قديماً وعلى البلدة حديثاً التي قامت بجوار ه ، وقد كان وادي الليث يشتهر بكثرة عيونه مزارعه وآباره .الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ،١٣٩٧هـ ، ص ٢٥٩. عاتق بن غيث ، بين مكة واليمن ، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ،١٤٠٤هـ ، ص ٣٠.

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ص٢٥٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٣٩.

(٥) ابن تغري بردي : حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق محمد كمال الدين ، عالم الكتب ، ط١، ١٤١٠هـ ، ج ١، ص ١٥٥. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٥، ص٣٧١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ص٢٧٢. ابن فهد : الدر الكمين ، ج١، ص٦٥٠. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٧٧٥.

(٦) ابن فهد :الدر الكمين ، ج ٢، ص ١٣٣٢.

الحجة سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م في محاولة لإقناع السلطة السياسية بإعادة توليته الإمارة وكاد أن يحقق هدفه ، لما أبدته القيادة في مصر من حسن استقبال ورعاية ، وتم وعده بالعودة إلى منصبه ، ولكن حال الموت دون تحقيق ذلك ، حيث توفي في القاهرة في شهر صفر من سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م(١).

ثورة الشريف هزاع(٢) بن محمد بن بركات ٩٠٣هـ/١٤٩٧:

استمر محمد بن بركات بن حسن بن عجلان منذ توليه إمارة مكة بعد وفاة والده بركات سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٤م(٣) حتى وفاته عام ٩٠٣هـ/١٤٩٧م(٤) وهو في أحسن حال وأسعد عيش ،حيث لم تحدث في مدة حكمه التي استمرت ٤٤سنة أي ثورة من أبناء البيت الحاكم ضده ؛ مما كان له أفضل الأثر على أحوال الناس بمكة.ويبدو أن محمد بن بركات كان يتصف بالعدل والحكمة ،وكان لتفرده بالحكم أثر في عدم قيام ثورة من البيت الحاكم ضده ، كما يبدو أنه كان سياسياً حكيماً استطاع أن يرضي جميع الأطراف ويقدم لهم ما يحتاجونه من هبات وعطايا ، وبعد وفاته تولى الإمارة ابنه بركات (٥)، وقد اعترفت

---

(١) ابن تغري بردي ، حوادث الدهور ، ج١، ص ٢٣٦. ابن فهد :الدر الكمين ، ج٢، ص ١٣٣٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ص٢٨٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٥٠١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ٤٥.

(٢) هو هزاع بن محمد بن بركات ، أمير مكة ، انتزع إمارة مكة من أخيه بركات بن محمد بن بركاتسنة ٩٠٧هـ بعد حروب شديدة ، واستقر بها أشهراً ثم توفي في رجب سنة٩٠٧هـ بالقرب من وادي الآبار ودفن بمكة . السخاوي : الضوء اللامع ، ج ١٠، ص ٢٠٨. الزركلي : الأعلام ، ج ٨، ص ٨٣.

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٦، ص ١٧٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤، ص ٣٤٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٥١. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص٢٤٤.

(٤) ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص ٥٩٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج ٣، ص ٩٨. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٢٨٩.

(٥) هو بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي ، أمير مكة ، ولد بمكة سنة٨٦١هـ ،= =تلقى العلم على يد عدد من العلماء وأجازوه و تولى الإمارة بعد وفاة والده سنة٩٠٣هـ ، ونازعه أخواه هزاع ، ثم أحمد الجازاني ،كان فاضلاً شجاعاً حسن التدبير توفي سنة ٩٣١هـ بمكة. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ٣٥. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٤٠٥. الزركلي : الأعلام ، ج٢، ص ٤٩.

السلطة السياسية في مصر بولاية بركات بن محمد ، ولم يظهر منها أي اعتراض على توليه ، لأنه كان معروفاً لديها في حياة والده ، فكان له دور كبير في الحياة السياسية في عهد والده فقد كان شريكاً ونائباً لوالده منذ عام ٨٧٨هـ/١٤٧٣م عندما زار مصر بأمر السلطة السياسية في مصر واستمر على ذلك حتى وفاة والده سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م[(١)] ، وبعد وفاة والده بايعه جميع أفراد الأسرة الحاكمة، وبالأخص أخوته [(٢)] ، ويبدو من خلال المراسيم التي قدمت من مصر أثر تولي بركات بن محمد مقاليد الإمارة أن أخاه هزاع تم تعيينه نائباً عن أخيه بركات ، وكان يلبس مع أخيه خلعة كلما يأتي مندوب من مصر [(٣)] وقد استمر الوفاق بين بركات وإخوته حتى شهر جمادى الأولى من العام الأول لتولي بركات مقاليد الإمارة ، أي بعد أربعة أشهر من حكم بركات فقد حدث خلاف بين بركات وأخيه هزاع [(٤)]مع تواجدهما معاً في مكة ، وقد انتبهت السلطة السياسية في مصر لهذا الخلاف منذ بدايته ، فأرادت أن تقضي عليه في مهده فأرسلت في شهر ذي القعدة سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م مرسوماً ، يتضمن : حث الأخوين على عدم الفرقة والتعاون فيما بينهما والتأكيد على أن أخاه هزاع نائب عن أخيه بركات في الإمارة ، كما كان بركات مع والده قبل وفاته[(٥)]

ويبدو أن الخلاف بين الأخوين كان بسبب نيابة الإمارة ، يدلنا على هذا مضمون المرسوم المصري ، حيث أكد لبركات أن أخاه هزاع نائب عنه في الإمارة مثل ما كان الشريف بركات نائباً لوالده محمد بن بركات .

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤نص ٥٦٨. ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص ٥٢٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ٧٩.

(٢) كان لمحمد بن بركات عدد كبير من الأبناء فالذكور منهم هم : بركات ، وهزاع ، وشرف الدين وجازان ،وحميضة ، وناهض ، وقايتباي . ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٦٠٥.

(٣) المصدر السابق ، ج٣، ص ٧٣، ٨١.

(٤) ابن إياس ، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ ، ج٣، ص ٣٨٦.

(٥) ابن فهد ، عبد العزيز بن فهد المكي : بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق : صلاح الدين بن خليل إبراهيم ، عبد الرحمن أبو الخيور ، عليان المحلبدي ، دار القاهرة ، القاهرة ، ج٢، ص ١٠٦٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٣، ص ٨١.

يبدو أن أطماع هزاع بن محمد أكبر من منصب نيابة أخيه بل تتعداها إلى الإمارة نفسها ، ويبدو أنه كان يحاول الحصول على حليف قوي يساعده في نضاله لنيل إمارة مكة ، وقد ظهر له تعاطف من أمير ينبع يحيى [1] بن سبيع في خلافه السابق مع أخيه بركات لذا قام هزاع بالتوجه إلى ينبع في بداية سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م[2] بعد أن أوهم أخاه بركات بأنه سوف يسافر إلى المدينة المنورة بقصد الزيارة [3].

بعد وصول هزاع إلى ينبع وانتشار خبر خروجه على طاعة أخيه بركات ، حاولت السلطة السياسية في مصر تدارك الأمر قبل أن يستفحل وذلك بالإصلاح بين الأخوين ، فقامت بإرسال القاضي كاتب السر [4] في دولة المماليك ، فقدم إلى ينبع واجتمع بهزاع ثم سافر إلى مكة ، وفي نفس الوقت زحف هزاع بأتباعه من ينبع بعد سفر كاتب السر، في محاولة للضغط على أخيه بركات بعرض القوة ، وفي نفس الوقت جمع بركات قواته وجميع أتباعه وخرج إلى وادي مر ، وقام كاتب السر بجمع عدد من وجهاء مكة منهم القاضي الشافعي [5]والمالكي[6] والحنفي[7] ، لمساعدته في الإصلاح بين الأخوين ، واجتمعوا جميعاً جميعاً ببركات بوادي مر ثم أرسلوا إلى هزاع بأن يأمر الجموع التي قدمت معه وأمير ينبع

---

(١) هو يحيى بن سبع بن هجان بن محمد بن مسعود الحسني الينبعي ، أمير ينبع تولى إمارتها سنة٩٠٣هـ، بدل دراج بن معزي بن هجار بن وبير الحسني .السيد ، صالح بن عبد اللطيف عليان: ملامح من تاريخ ينبع ، ط١، مطبعة الهيئة الملكية بينبع ، ١٤٢٥هـ ، ج١، ص ١٠٢.

(٢) كان الأمير يحيى بن سبع على خلاف سابق مع الشريف بركات ، واستطاع أن يتولى إمارة ينبع من قبل السلطة في مصر في شعبان سنة ٩٠٣هـ ، وقدم من مصر الأمير شاهين الجمالي مع يحيى بن سبع لكي يصلح بينه وبين بركات ، ولكن الأمير يحيى بن سبع لم يقدم إلى مكة ، مما يدل أنه كان يحمل حقداً كبيراً على بركات . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٠٥٦.

(٣) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٠٦٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٣، ص ٨٣.

(٤) كاتب السر هو : الذي يقرأ الكتب الواردة على السلطان ، ويكتب أجوبتها ، وأخذ خط السلطان عليها ، وتسفيرها ، وتصريف المراسيم وروداً وصدوراً ، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل ، والتوقيع عليها .وكاتب السر المقصود هنا هو : البدري بن مزهر . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤، ص ٣٠. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٠٥٩.

(٥) القاضي الشافعي هو الجمالي أبو السعود بن ظهيرة . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٠٢١.

(٦) القاضي المالكي : هو النجمي ، بن يعقوب . المصدر السابق ، ج٢، ص ١٠٢٤.

(٧) القاضي الحنفي : هو النوري ، علي بن أبي الليث بن الضياء الحنفي . المصدر السابق ، ج٢، ص١٠٢٨.

يحيى بن سبع بالانصراف ويأتي بمن معه فقط من أهل مكة حتى يتم الصلح بينه وبين أخيه، وتم اللقاء بهزاع ووافق في البداية على ما طلبه القاضي كاتب السر ، وعند عودته إلى أتباعه تغير الموقف حيث أجبره أتباعه [(١)] على عدم الموافقة ورفضها وضرورة إنهاء الوضع عسكرياً بين الأخوين . [(٢)] وأمام هذا الموقف من قبل هزاع لم يكن أمام القاضي كاتب السر إلا أن يحرص على سلامة الحجاج في هذا الموسم ، فقام بمفاوضة هزاع وأخيه بركات على عقد هدنة بعدم الاعتداء حتى انتهاء موسم الحج لهذا العام ٩٠٤هـ/١٤٩٨م، وعودة الحجاج إلى أوطانهم ،فوافق الأخوان على هذه الهدنة وأخذ القاضي كاتب السر أيمانهم على حفظها وعدم الاعتداء [(٣)] .

بعد الاتفاق على الهدنة السابقة رجحت كفة هزاع في زيادة أنصاره ، حيث انضم إليه أخوه جازان [(٤)]، وانضم إليه الشيخ مالك [(٥)] بن رومي أمير قبيلة زبيد وبهذا يكون قد كثر أتباعه ، فترل بأتباعه في منطقة خليص عند قبيلة زبيد[(٦)] .

---

(١) كان أتباع هزاع من قبائل ينبع وأكثر أتباعه من قبيلتي بني إبراهيم من الأشراف ، وجهينة ،وقبيلةزبيد في وادي خليص ، وهاتان القبيلتان كان محمد والد بركات قد أوقع بهم وقتل زعمائهم و عدداً كبيراً منهم ، وكان ولده بركات هو اليد اليمنى لوالده محمد في الأعمال العسكرية ، لذا كان لهاتين القبيلتين ثارات مع بركات بن محمد ، لذا أجبرتا هزاع على عدم الموافقة والصلح مع أخيه بركات . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص ٤٩٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٥١٣، ٥٥٠. ابن فهد : بلوغ القرى ،ج ١، ص ٤٣٣، ج٢، ص ٩٦٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٧٥٠.

(٢) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ٨٣. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج ٢، ص ١٠٨٦.

(٣) المصدر السابق ، ج ٢، ص٨٦. المصدر السابق ، ج ٣، ص ١٠٨٩ .

(٤) هو أحمد بن بمحمد بن بركات الحسني المكي ، اشتهر باسم جازان ، أمه بنت رومي شيخ قبيلة زبيد المشهورة ، عارض أخاه بركات ونازعه حكم مكة ساعده القاضي أبو السعود بن ظهيرة وأخواله من زبيد وكبار الأشراف على تولي إمارة مكة ، قتله الأتراك في الطواف في المسجد الحرام سنة٩٠٩هـ . ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٥٩٩، ج٣، ص١١٧. أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ص ٤٧.

(٥) هو خال أحمد الجازاني ، حيث أن والدة أحمد الجازاني ، هي زينة بنت رومي الزبيدي شيخ قبيلة زبيد أخت مالك . ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٥٩٩

(٦) المصدر السابق ، ج ٣ن ص ٨٨. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج ٢، ١٠٨٩.

يظهر هنا أن القبائل البدوية من منطقة ينبع كان هدفها الأول والأخير هو الانتقام لقتلاها من الأسرة الحاكمة في مكة سواء قبيلة بني إبراهيم أو قبيلة زبيد ، واغتنموا فرصة الخلاف بين أبناء محمد بن بركات ، فقاموا مع الجانب المعارض لبركات لأن بركات كان مشاركاً لوالده محمد في الإيقاع بهم ، و استغلوا علاقة النسب مع أخيه جازان ، بحجة تأييده لأن أخواله قبيلة زبيد .

ثم إن هزاع تحرك إلى ينبع ومعه يحيى بن سبع أمير ينبع وقام بمساعدة بني إبراهيم [1] في قتال الحامية العسكرية التابعة لبركات والتي كانت من قوات القادة وةوتقيم في منطقة الجديدة [2]في حصون عسكرية لها ، فاستطاع هزاع وجموعه من هزيمة الحامية العسكرية ، وتهديم حصونهم التي كانوا يقيمون فيها ، وقد فر عدد منهم واستسلم الباقون لقوات هزاع فأطلقوهم بعد أن أخذوا ما معهم من أموال [3].

بقي هزاع بجموعه في وادي خليص و بركات بأتباعه في مكة حتى قدم ركب الحاج المصري فأجتمع بركات بأمير الحاج المصري [4] وغيره من الأعيان ، وتم النقاش حول تمرد هزاع على أخيه بركات ، فاتفق الجميع على الاجتماع بهزاع ومحاولة الصلح بينه وبين أخيه

---

(١) بنو إبراهيم هم بطن من بني مالك من جهينة،كان لهم خطر فيما قبل القرن العاشر الهجري في التحالفات السياسية في الحجاز ، وكانوا عامل تهديد لقوافل التجارة والحج نظراً لكثرتهم وقوتهم ،حاربهم أشراف مكة بسبب خطرهم وتحالفاتهم مع بعض أشراف مكة ، ديارهم ينبع النخل وما حولها ، من فروعهم قبيلة الصراصرة والصيادلة ، والمنادقة وغيرهم . عاتق بن غيث : معجم قبائل الحجاز ، ص١١.

(٢) الجديدة : منطقة تقع بين المدينة المنورة ، و ينبع بوادي الصفراء بها عين ماء وهي خلاف الجديد ة الواقعة بوادي مر وهي إحدى محطات طريق الحاج ، و يبدو من النص أن القادة أتباع الشريف محمد بن بركات اتخذوها مقراً لهم ويحتمل أن بها مزارع ومياه . حمد محمد القحطاني : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إقليم الحجاز ١٢٩٧-١٣٢٣هـــ ، رسالة ماجستير بجامعة الكويت ، ط١، ١٤٢٢هـــ ، ص ١٣٥. عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٢، ص ١٣٥.

(٣) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٠٩٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٣ن ص ٨٨.

(٤) كان أمير الحاج المصري ، يدعى الأمير قرقماس ، رأس نوبة النوب بمصر . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٠١. ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٣، ص٤١٦.

بركات ، وأرسلوا لهزاع للحضور إلى مكة بعد الضمان له بعدم التعرض له بسوء [1] وتم الاجتماع بهزاع وأخيه بركات وعدد من الأعيان بحضور أمير الركب ، والقاضي كاتب السر وأسفرت المحاولات عن عقد صلح بين الأخوين ، يكون لهزاع نصيبه من المال غير ما لأتباعه ممن يقوم بخدمته ، ويكون مطيعاً ومرافقاً لأخيه بركات في حله وترحاله ومشاركاً له في غزواته إلا غزوه لمنطقة حلي [2] فإن هزاع لا يشارك فيها ، وتم عقد الصلح ،ثم ألبس الأمير الأخوين الخلع في الرابع من ذي الحجة سنة٩٠٤هـ/١٤٩٨م [3].

يبدو أن هزاع بن محمدكان لا يريد أن يخلق له أعداء في منطقة جنوب مكة ، قد يحتاج إليهم في يوم من الأيام ، كما أنه يهدف إلى ألاّ يخسر أحداً من أتباعه في حرب أخيه بركات لأهل حلي ، لذا اشترط عدم الاشتراك في الحملة التي كان بركات ينوي القيام بها على منطقة حلي في الجنوب ، كما يبدو أن هزاع أراد أن تبقى حلي مستقلة لأن سيطرة بركات عليها يمكنه من مكاسب سياسية واقتصادية واستراتيجية ، وبصلح هزاع مع أخيه بركات لم يبق إلا أخاه جازان مقيماً عند أخواله قبيلة زبيد ، فحاول بركات الهجوم على قبيلة زبيد في ذي القعدة سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م ولكن كانوا على حذر حيث غادروا مواقعهم قبل أن يأتي بركات بجنده ، وكانت هذه المحاولة من جانب بركات دافعاً لأخيه جازان وزعيم قبيلة زبيد مالك بن رومي على طلب الصلح مع بركات فطلبوا من أمير ركب الحج المصري[4] في نفس العام أن يتوسط في الصلح لهم مع بركات[5]

ويظهر هنا أن بركات لم يوافق على مطالب أخيه جازان لذا قام جازان بإرسال شكوى إلى السلطة السياسية في مصر يدعمها أمير الحاج المصري الذي حاول عقد صلح بين الأخوين جازان و بركات ، حيث بيّن للسلطة السياسية في مصر خطورة وضع جازان

---

(١) بقي أبو القاسم بن بركات بن محمد عند أصحاب هزاع إلى أن يعود هزاع من اجتماعه مع أمير الحاج و بركات كضمان لعودة هزاع . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٠٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ٩٠.

(٢) كان بركات يعد العدة في تلك الأيام لغزو منطقة حلي لأن العسكر من المولدين من أهل حلي قتلوا بعض عسكر بركات ونهبوا بعض التجار ، وعينوا أميراً على حلي بدون رضا بركات بن محمد. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٠٨٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص٨٣.

(٣) المصدر السابق ، ج٢، ص ١١٠٢. المصدر السابق ، ج٣، ص ٩٠.

(٤) كان أمير الحاج سنة ٩٠٥هـ الأمير قانصوه البرجي . ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٣، ص ٤٣٣.

(٥) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج ٢، ص ١٢٢٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٣، ص ٩٧.

وأنصاره على الحجاج ، يدلنا على هذا أنه في العام التالي أي في عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م أمر السلطان المملوكي الأشرف جان بلاط [١]بركات بن محمد أمير مكة في جمادى الثاني سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م بأن يعطي أخاه جازان نفقة تقدر بـ(٣٠٠)دينار ، وأن يعطي أمير الحاج المصري جازان (٧٠٠) دينار[٢].

استمر هزاع على وفاق مع أخيه بركات منذ أن تم الصلح بين الأخوين في الرابع من ذي الحجة سنة٩٠٤هـ/١٤٩٨م حتى الرابع من شوال سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م حيث بدأ هزاع في إعلان تمرده من جديد حيث خرج من مكة ومعه أخوه حميضة [٣] و بعض أنصاره واتجه إلى ينبع[٤] .

كان لتمرد هزاع من جديد سببين :أولهما هو: وصول مرسوم من السلطان المملوكي طومان باي الأشرفي [٥] في مصر إلى بركات في رمضان سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م بتعيينه نائباً عن السلطة على الحجاز بكامله ، وأن له حق التصرف في أخيه هزاع كما يشاء [٦].

---

(١) هو السلطان الملك الأشرف أبو النصر جان بلاط الأشرفي ، الرابع والثلاثون من ملوك دولة المماليك بمصرأصله جركسي الجنس ، كان من مماليك الأشرف قايتباي ، ترقى في الوظائف العسكرية في الدولة حتى وصل إلى وظيفة أتابك الدولة ، وبعد ثورة القادة على الظاهر قانصوه ، تم اختياره سلطاناً في الثاني من ذي الحجة سنة ٩٠٥هـ ، وتم خلعه في الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة ٩٠٦هـ. ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٣،ص٤٣٨،٤٦١.الزركلي : الأعلام ، ج٢، ص ١٠٧.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٤٣.

(٣) هو حميضة بن محمد بن بركات الحسني المكي ، أمه حبشية تسمى سعاد انضم إلى أخيه هزاع في معارضته للشريف بركات . تولى إمارة مكة في عام ٩٠٩هـ ، ومات في المحرم سنة ٩١٠هـ. أحمد دحلان ، خلاصة الكلام ، ص ٤٨. زامباور ، إدور دفون : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، ١٩٥١م ، ص ٣٢.

(٤) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٠١. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٥٤.

(٥) هو السلطان طومان باي الأشرفي قايتباي ، الخامس والأربعون من ملوك دولة المماليك بمصر ، أصله جركسي الجنس كان من مماليك الأشرف قايتباي ، ترقى في الرتب العسكرية وشارك في خلع السلطان الظاهر قانصوه ، وأصبح مدبر أمر السلطان جانبلاط ، ثم عين سلطاناً في جماد الأولى سنة٩٠٦هـ بعد ثورة القادة على السلطان جان بلاط . ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٣، ص ٤٥٣. الزركلي : الأعلام ، ج٣، ص ٢٣٣.

(٦) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٠١. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج ٢، ص ١١٥١.

والثاني : أن السلطان طومان باي الأشرفي عندما تولى السلطة في مصر أرسل إلى مكة الأمير قانصوه البرج[1] ،ليقيم بها إقامة جبرية وأوصى بركات بأن يكون الأمير قانصوه البرج تحت مراقبته[2] ، وكان الأمير قانصوه البرج عارفاً بأوضاع إمارة مكة والخلاف الناشب بين أبناء محمد بن بركات لأنه قدم في عام ٩٠٥هـ ١٤٩٩م أميراً لركب الحجاج ،وقابله جازان ،فكان المدبر لأمر إعطاء جازان مبلغاً من المال من أخيه بركات وأمير الحاج المصري في كل عام . ونفيه في مكة زاده معرفة بأوضاعها والخلاف السياسي بين أمراء البيت الحاكم

ويبدو أن الأمير قانصوه البرج لم يكن راضياً عن إدارة بركات لأمور الإمارة ، لتعدي بعض الجند المماليك على أموال التجار والسكان دون تدخل من بركات [3]

كما ذُكر أن بركات لم يحتفل بالأمير قانصوه البرج عندما أرسل إلى مكة ، وذلك خوفاً من غضب السلطان المملوكي طومان باي الأشرفي [4]، فكان هذا سبباً في ميل الأمير الأمير قانصوه البرج إلى أخيه هزاع ، ورغبته في مساعدته في تولي الإمارة إذا تم إعادته إلى منصب رفيع في الدولة في مصر .

تطورت الأحداث السياسية في مصر فتم عزل السلطان طومان باي وتولية السلطان قانصوه الغوري ليلة عيد الفطر المبارك في سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م [5] فأمر في شهر شوال

---

(١) هو الأمير قانصوه البرجي المحمدي ،كان من مماليك الأشرف قايتباي ، تولى عدة وظائف في دولة في عهد الأشرف قايتباي ومن خلفه من السلاطين تولى إمارة الحاج عام٩٠٥هـ ولما تولى السلطان طومان باي فنفاه إلى مكة المكرمة ثم عاد للمناصب في الدولة و شغل منصب نائب الشام ، حتى وفاته سنة٩١٠هـ .
ابن فهد : غاية المرام ، ج٣،ص ٩٨. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٣،ص ٤٦٩.

(٢) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٠٠. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٥١. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣،ص ٤٦٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٠٦.

(٣) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٥٥،١١٥٣.

(٤) السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٠٦.الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٢٩٠.

(٥) هو الملك الأشرف أبو النصر قانصوه بن بيبردي الغوري ، السلطان السادس والأربعون من سلاطين المماليك بمصر ، أصله جركسي الجنس ، كان من مماليك الأشرف قايتباي ، وأعتقه ، وترقى في المناصب العسكرية حتى وصل إلى منصب الدويدار الكبير في الدولة واستمر حتى ثورة العسكر على السلطان طومان باي في رمضان سنة ٩٠٦هـ ، فتم تعيين قانصوه الغوري في ليلة العيد سنة٩٠٦هـ سلطاناً للدولة ، واستمر إلى مقتله في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ مع السلطان سليم الأول العثماني . ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص٢.سليم، محمود رزق : موسوعة عصر سلاطين المماليك ،ط٢ ،مكتبة الأدب ،القاهرة ،١٤١٧هـ، ج١، ص ٥٨.

من نفس العام بعودة الأمير قانصوه البرج إلى مصر فوصل الأمر بعودته في أول شهر ذي القعدة من نفس العام[1] .

هنا يظهر لنا أن الأمير قانصوة البرج عندما سمع بالأحداث السياسية في مصر ، بعث إليها يشرح أحوال مكة السياسية والأمنية ، ويطلب تعيين هزاع أميراً بدلاً من أخيه بركات وبحكم أن الأمير قانصوه من أعيان الدولة المملوكية في عهد السلطان قانصوه الغوري ، أمرت السلطة السياسية في مصر بتعيين هزاع أميراً لمكة ويكون لبركات ما كان مقرراً لأخيه هزاع من المال ، وأرسل بهذا مرسوماً وخلعة لهزاع المقيم بينبع فلبسها ، ووصل الأمر بهذا إلى مكة في يوم الاثنين السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م.[2]

أمام هذا الخبر، قرر بركات بن محمد مقاومة أخيه هزاع وعدم تسليم الإمارة له،واستعد بجمع عدد كبير من أتباعه وخرج إلى خارج البلد ووفدت عليه بعض القبائل المحالفة له مثل عدوان [3] وبني سعد ، وعسكر بجموعه في منطقة الجموم [4] في التاسع والعشرين من ذي القعدة ، أما هزاع فقد استعد لتولي الإمارة وقدم بجموعه التي كان أغلب جندها من قبيلة بني إبراهيم وزبيد مصاحباً لركب الحجاج وبصحبته الأمير يحيى بن سبع أمير ينبع ، وأخواه جازان ، وحميضة ، ولما وصلت جموع هزاع إلى منطقة الجموم اشتبكت مع بركات وأتباعه في حرب ضروس ، وكاد هزاع وأتباعه أن ينهزموا لولا تدخل الجند

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤، ص٦. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج ٢، ص ١١٥٨. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٢٩٠.

(٢) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٠٢. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٦٣. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٠٥.الطبر : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٢٩٠.

(٣) عدوان قبيلة من العدنانية من قيس عيلان ، من هوازن كانت منازلهم الطائف فغلبتهم عليها ثقيف ، وهاجر كثير منهم إلى تهامة وأفريقية ومن بقي منهم في الحجاز تسكن اليوم أسفل وادي لية والعرج شرق الطائف . عاتق بن غيث : معجم قبائل العرب ، ج ٤ ، ص ٦٥ . عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ج٢، ص ٧٦٢.

(٤) الجموم اسم أطلق على عين ماء بوادي مر على طريق الحاج تبعد عن مكة المكرمة٢٢كم ، كانت محطة رئيسية للحجاج ، فقام بها سوق كبير ومساكن ، اليوم بها مركز إداري يتبع إمارة منطقة مكة المكرمة ، ومرافق حكومية ، و معظم سكانها الأشراف ذوو حسين من ذوي بركات . عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٢، ص١٧٦.

المصاحبين لركب الحجاج بأسلحتهم وذلك أن أمراء [1] الحاج خافوا من انتصار بركات فيتعرض أتباعه للحاج وينهبوهم ، وكان قد سبق أن أرسل إليهم الأمير قانصوه البرج بأن يساعدوا هزاع عندما كانوا في ينبع [2]، لذا أمروا القوات المصاحبة لركب الحجاج بدخول المعركة ، فغيروا وجه المعركة لصالح هزاع وذلك لمهارتهم الحربية وتسليحهم الجيد فلما رأى الفرسان من أتباع بركات تدخل الجنود المماليك ولّوا منهزمين إلى أبي عروة [3] ، وتبعهم المشاة وثبت بركات في خاصة أصحابه وسقط ابنه أبو القاسم قتيلاً ، فلما رأى أن البقاء ليس في صالحه تبع الفارين من جنده إلى منطقة أبي عروة وقام أتباع أخيه هزاع بنهب جميع أمتعة بركات كما نهبوا القرى المجاورة لميدان المعركة ، ثم قام هزاع وأتباعه وركب الحاج بالرحيل إلى مكة ولبس الخلعة السلطانية بالإمارة في المسجد الحرام ، ثم إن بركات أرسل إلى أخيه هزاع في طلب هدنة بين الفريقين لمدة ثلاثة أشهر فلم يوافق هزاع ، إلا أن يخرج بركات إلى جهة جنوب مكة أو إلى جهة الشرق [4] فلم يوافق بركات [5] ، وكان قصد هزاع هو إبعاد أخيه بركات عن الطريق التجاري بين مكة وجدة وأيضاً إبعاده عن طريق الحاج ، حتى لا يتزود بركات من هذين المصدرين ، ولايتم من خلالهما مقابلة موظفي الدولة الذين يمكن أن يؤثر عليهم فيغيروا من قرارات السلطة السياسية في مصر بما يرفعونه من آراء .

أمام رفض هزاع قرر بركات أن يهاجم مدينة جدة وذلك لتعويض خسارته في معركة الجموم حيث ذهبت جميع أمتعته كسباً لأتباع أخيه هزاع ،وقام بنهب قافلة تجارية قادمة إلى

---

(١) كان أمير الحاج في هذه السنة الأمير سودون العجمي ، وأمير الركب الأول : الأمير دولات باي قرموط . ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤، ص ٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٠٥.

(٢) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٠٢. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٦٣. السنجاري : منائح الكرم ج٣، ص١٠٧.

(٣) أبو عروة : قرية بوادي مر قرب الروضة والبرقة ، عندها جبل يقال له الظاهر ، يصعد منه إلى هدة بني جابر ، فيها نخيل ومزارع ، وتسقى من عين عذبة ، على طريق الحاج الشامي ، والآن جفت وهي من أكبر العيون بوادي مر . ابن فهد : حسن القرى ، ص ٢٥. عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٦، ص ٨٥.

(٤) يقصد بالشرق هنا منطقة نجد .

(٥) ابن فهد : غاية المرام ،ج ٣، ص ١٠٢. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٦٣. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٦٢٦. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١،ص ٢٩٠.

ميناء جدة في بداية شهر ذي الحجة سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م ونهب عسكره أغلب بيوت مدينة جدة ، وطلب بركات من نائب مدينة جدة [١] مالاً عن طريق القرض فامتنع ،وهذا يدل على مدى الخسارة التي لحقت ببركات في قتاله مع أخيه هزاع ، ثم خرج بركات بجنده ونزل العد بين مكة وجدة يترقب الأحداث[٢]

أما هزاع فعندما علم بما فعله أخوه بركات من نهب جدة ، خرج بأتباعه لملاقاته في الخامس من ذي الحجة سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م ووصل بقواته إلى حدا وترددت الرسل بينه وبين أخيه بركات وبعد مفاوضات اتفق الأخوان على أن يعطي هزاع أخاه بركات مبلغ (٢٠٠٠) دينار ويتم عقد هدنة بين الطرفين إلى العاشرمن محرم من نفس العام ،و أن يترك بركات مقر إقامته وينتقل إلى أبيار أطوى [٣] . وهنا يبدو أن هزاع أراد أن يبعد الشريف بركات عن طريق ركب الحج المصري إلى جنوب مكة ، وكانت موافقة بركات رغبة في أن يفتح الطريق للقوات الخارجية حتى يتفرغ هو لأخيه هزاع وأتباعه من الداخل ، مما يدل أن بركات كان سبب هزيمته تدخل قوات الدولة التي كانت تحمي ركب الحاج .

بقي هزاع بجموعه يراقب تحركات بركات ، حتى غادر من مقر إقامته ، فعاد هزاع إلى مكة ليشرف على شعائر الحج .[٤]

لم يحصل هزاع على مبالغ مالية من التجار تكفي ما يحتاجه لتموين قواته التي قدمت له يد العون في قتاله مع أخيه بركات ، وكذلك مكافآت لأمراء الحاج، وللأمير قانصوه ، وأصبح في وضع حرج للغاية ، حتى أن أمراء الحاج المصري سافروا وهم ساخطون عليه، كما أدى هذا لتناقص عدد أتباعه حتى أنه بعد سفر الحاج لم يعد يستطيع البقاء في مكة ، وذلك لخروج عدد من أتباعه مع ركب الحاج [٥]

---

(١) كان نائب مدينة جدة يدعى الأمير قايتباي : ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ١٠٩٥.

(٢) المصدر السابق ، ج٢، ص ١١٦٣-١١٦٨. ابن فهد : غاية المرام ،ج٣، ص ١٠٢-١٠٧. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨٠. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف، ص ٢٨٢.

(٣) الأطوى : منطقة بها آبار في واد يسيل من جبل سطاع في ديار الجحادلة من بني شعبة من كنانة على بعد ٨٠كيلاً جنوب غربي مكة. عاتق بن غيث : معالم مكة التاريخية والأثرية ، ص٢٧.

(٤) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٦٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٠٧. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٦٢٦.

(٥) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٧١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٠٨.

لم تخف أخبار هزاع عن أخيه بركات الذي كان يعسكر جنوب مكة ، وبدأ أتباعه يزيدون بسبب انضمام قوات من منطقة حلي إلى قواته بتدبير من عنقاء بن وبير [1] ، وبدأ بركات في الزحف إلى مهاجمة مدينة جدة وكان متعذراً بتأخر تسليم المال المتفق عليه مع أخيه هزاع عن موعده، حيث كان موعده قبل يوم النحر من نفس العام، فلما علم هزاع بأمر زحف أخيه بركات ، ضاقت به السبل وطلب من أمير الجنود المماليك [2] بمكة المساعدة بجنوده في صد أخيه بركات فرفض ، ثم طلب من أمير الحاج الشامي [3] فلم يوافق على الدخول في الصراع الدائر بين الأخوين [4].

عند هذا قرر هزاع أن يرسل إلى أخيه بركات المبلغ المتفق عليه بينهما، ولكن بركات امتنع عن قبولها ،وذلك لتأخر تسليمها عن الموعد المحدد ، وكان يهدف فيما يبدو إلى مواجهة أخيه هزاع لما علم بوضعه المالي والعسكري .

أمام هذا لم يبق أمام هزاع إلا أن يراوغ أخاه بركات ويخرج من مكة حتى لا يحكم بركات عليه الحصار ، ويوقع به وبمن معه من أتباع ، فقام بالتجهز والخروج ، والإعلان أنه خارج بعسكره لمقاتلة أخيه بركات ، وفي نفس الوقت أرسل إلى أخيه بركات عمه إبراهيم [5] بن بركات في محاولة لإشغال بركات عن اعتراض هزاع وجموعه في خروجهم إلى ينبع ، ولم يكن يعلم إبراهيم بن بركات بقصد هزاع ، وخرج لمحاولة إقناع بركات بقبول المال الذي تم الاتفاق عليه ودرء الحرب ، وكان هزاع قد خرج بخروج عمه إبراهيم إلى منطقة أبي عروة ،ونهبها بأتباعه ، وواصل المسير حتى فات بركات إذا قصد ملاقاته أو

---

(١) هو الشريف عنقاء بن وبير بن محمد بن عاطف بن أبي دعيج بن أبي نمي الحسني ، كان صهر الشريف محمد بن بركات ، ومبعوثه إلى الحكام والزعماء ، قدم خدمات جليلة لأسرة الحاكمة في مكة المكرمة ،كان يحفظ القرآن الكريم ، ويتلوه كثيراً توفي في يوم الثلاثاء الثالث عشر من صفر سنة ٩١٤هـ في مدينة الطائف ، ودفن بها . السخاوي : الضوء اللامع ، ج٦، ص ١٤٩.

(٢) كان يدعى : الأمير قانصوه الجوشن . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٢٩.

(٣) كان أمير الحاج الشامي يدعى : قانصوه أبو قورة . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٧١.

(٤) المصدر السابق ، ج ٢، ص ١١٧١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٠٧.

(٥) هو إبراهيم بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي ، أخو محمد بن بركات ، وهو أكبر سناً منه ، أراد مخالفة أخيه في آخر أيام أخيه محمد ، وذهب إلى جازان ولم يوفق في تمرده ، ثم أُصلح بينهما وعاد إلى الطاعة . السخاوي : الضوء اللامع ، ج١، ص٣٣.

اللحاق به ، وكان خروجه في ليلة الثلاثاء العشرين من ذي الحجة سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م وقت وصول عمه إبراهيم إلى أخيه بركات ، ولما علم بركات بخبر هروب هزاع وجموعه ندم على فواتهم ، وغضب من عمه إبراهيم وصدر منه ما يدل على غضبه منه ، وأمر بعض جنده باللحاق بهم، ولكن فات الأمر ونجا هزاع وجموعه من مطاردة أخيه بركات وأتباعه ولحق بركب الحاج الشامي حتى وصل ينبع [١].

بخروج هزاع أصبحت مكة في انتظار أخيه بركات ، الذي قدم إليها ودخلها واستقبله الأمراء والأعيان بكل فرح وسرور [٢]، وكان ذلك في الثاني والعشرين من ذي الحجة من نفس العام ، بعد أن أرسل من يحفظ مدينة جدة من أي هجوم محتمل [٣]

لم تخف أخبار إمارة مكة عن السلطة السياسية في مصر ، وقد صل ركب الحجاج إلى القاهرة وأخبروا المسؤولين بها عن الأوضاع ، فقامت السلطة السياسية في مصر بإرسال مرسوم إلى بركات ، تعتذر فيه عن تصرف أمراء الحاج وأن تعيينهم لهزاع هو من تلقاء أنفسهم وليس بأمر من السلطة السياسية في مصر [٤]، كما أرسلوا لبركات بخلعة الإمارة ،

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٧١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٠٩. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨٠. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٨٢.

(٢) كان فرح أهل مكة وأعيانها بعودة بركات أن غالب جند بركات كانوا من أهل مكة والمناطق المحيطة بها ، أما جند أخيه هزاع فكانوا في غالبتهم من منطقة ينبع ، فكان هدفهم في الغالب جمع أكبر قدر من الكسب لذا كان جند هزاع يعتبرون غرباء بالنسبة لمكة وأهلها وقد عانى الأهالي من جند هزاع كثيراً عند دخوله البلد بعد انتصاره على أخيه بركات ولم يحدث لهم أي أذى في دخول قوات بركات ، فكان طبيعياً أن يفرح ويبتهج الناس بمقدمه.

(٣) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٠٩. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٧١. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨٠. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٨٢.

(٤) هذا الأمر يعتبر صحيحاً لعدة أسباب منها : أن أمراء الحاج سنة٩٠٦هـ وصلهم رسول الأمير قانصوه البرج في ينبع في بداية شهر ذي القعدة ، يأمرهم بأن يساعدوا الشريف هزاع ، ويعطوه المراسيم ، ويعلنوا ولايته ، وذلك لغضبه من الشريف بركات لعدم الاحتفاء به عندما أرسل منفياً إلى مكة المكرمة ، والثاني : لو أن الشريف هزاع حصل على مرسوم حقيقي من مصر لما تأخر الأمراء في الاشتباك في الحرب التي قامت بين الشريف هزاع وأخيه ، فهم لم يدخلوا الحرب حتى بان الظفر للشريف بركات فخافوا على الحاج .وأيضاً= =عدم دعمهم للشريف هزاع عندما طلب منهم بعد موسم الحج عندما هدد الشريف بركات مكة المكرمة فرحلوا تاركين الشريف هزاع يواجه خصمه لوحده فلو كان الشريف هزاع أميراً رسمياً من قبل السلطة في مصر لتوجب عليهم مساعدته خوفاً أن يشتكيهم للسلطة السياسية في مصر . كما أن السلطة في مصر كانت في

وعشرة مماليك وخمسين قواساً[1] وأنه نائباً عن السلطان في جميع الحجاز له حق التصرف في تولية من يريد على مناطقة[2].

لم يركن هزاع في ينبع إلى الراحة والدعة بل أخذ في الاستعداد لاستعادة إمارة مكة من أخيه بركات ، وبعد أن أكمل استعداداته خلال ما يقارب أربعة أشهر بعد خروجه من مكة زحف باتجاهها في أواخر شهر ربيع الثاني من سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م ، ووصل خبر تحرك هزاع إلى أخيه بركات ، وكان مقيماً في بحرة [3] ، فأخذ بركات في الاستعداد لملاقاة أخيه وجموعه ، فطلب من رئس العسكر المملوكي المقيم بمكة الأمير قانصوه الجوشن،والمحتسب الأمير أصباي بمساعدته بقواتهم، فرفض الجند مساعدة بركات إلا بمرسوم من السلطة السياسية بمصر ، ويبدو أن بركات كان قد استعد بمرسوم من السلطة السياسية بمصر فأراهم إياه فوافقوا على الانضمام لقواته[4] كما قام بركات عند قدوم الجند إليه بإعطائهم بعضاً من المال ووعدهم بمال جزيل بعد الانتهاء من الحرب ثم قام بتسليحهم بكامل عدة الحرب [5] وبعد أن اكتملت قوات بركات زحف بهم من بحرة قاصداً لقاء أخيه هزاع وعندما عدوا

شغل شاغل من الفتن الداخلية بعد خلع السلطان طومان باي وتولية السلطان قانصوه الغوري في وقت قدوم ركب الحاج في شهر شوال وذي القعدة من سنة ٩٠٦هـ مما يجعلها يؤخر مسألة البت في ولاية مكة المكرمة وتقبل بتصرفات الأمراء في مكة المكرمة ، وقد كان انتصار الشريف بركات ، وعدم كسب الشريف هزاع للأمراء بالمال ، دافعاً لعدم دعم الأمراء للشريف هزاع في مصر وترك السلطة تعيد الإمارة للشريف بركات .

(١) القواسة مأخوذة من القوس وهي التي يرمى بها النبال وهم فرقة من الجيش يكون مهمتها الرمي بالسهام . ابن منظور : لسان العرب ،ج ١١، ص٣٤٥.

(٢) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١١١. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٧٨.

(٣) بحرة : منطقة بين مكة وجدة في وسط المسافة وهي الآن بلدة عامرة بالسكان ، ولعلها سميت بحرة من السعة والعرب تسمي كل فضاء بين الجبال بحرة ، شريطة ألا يكون واسعاً جداً فإذا كان واسعاً سمي خبتاً . حمد الجاسر : المعجم الجغرافي ، ج١، ص ٢٥٨. عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج١، ص ١٨٣.

(٤) كان بركات قد وصله مرسوم بأنه نائب السلطان على الحجاز وهذا كان يكفي لكي يقوم الأتراك بمكة بمساعدته كما ذكر سلفاً، ولكن يظهر أن بركات قد استصدر مرسوما آخر من السلطة السياسية بمصر أقنع به الجند المماليك بالاشتراك في الحرب ، كما كان للمبالغ المالية التي أعطاها لهم والتي وعدهم بها أكبر دافع للمشاركة .

(٥) هذا ليس مستبعداً فعادة القادة في كل زمان ومكان وعد المقاتلين بأموال بعد الانتصار وذلك لكي يستميت= =الجند في إحراز النصر .

منطقة الشعبة[١] نزل بين الشعبة ودغيم [٢] وذلك أنهم رأوا قوات أخيه هزاع مقابلة لهم، وبات الفريقان يرقب بعضهم بعضا حتى أسفر الصبح والتحم الجيشان في معركة حامية الوطيس بطرف البرقا[٣]في يوم الأحد الثامن من جمادى الأولى سنة ٩٠٧هـــ/١٥٠١م وقتل عدد كبير من الجند وحلت الهزيمة ببركات وجنده حيث كان أكبر عدد من القتلى من قواته مما اضطره إلى الفرار بمن بقي من جنده إلى جنوب مكة ،ثم توجه إلى الليث وأقام به ، وغنم أصحاب أخيه هزاع غنائم لا تحصى من معسكر بركات في موضع المعركة ومن مقر إقامته الخلفي ببحرة[٤].

وصل خبر انتصار هزاع إلى مكة ، وخاف الناس على أنفسهم وأموالهم ، حتى وصل من قبل هزاع من طمأن الناس ونادى بالأمان في مكة ، ودخل هزاع مكة في يوم الاثنين السابع عشر من جمادى الأولى من نفس العام وبصحبته أخوه حميضة و يحيى بن سبع أمير ينبع ،ومالك بن رومي أمير قبيلة زبيد ، وعدد أنصاره وبقي جنده في معسكره ببحرة فقابله أعيان السكان ، وكان هزاع مريضاً ، فلم يستطع الخروج من مترله إلى المسجد الحرام لحضور قراءة تنصيبه أميراً ، ولبس الخلعة السلطانية [١][٥].

---

(١) الشعبة : عين صغيرة لبني جابر من بني عمرو على بعد ٢٨كيلاً من أم العيال ، وهي إحدى محطات طريق وادي الفرع بين بئر مبيريك والمدينة ، وبها نخل ، وماؤها قليل ، وكان بعض الجمالة يتجاوزوها ليحطوا في الفقير أو غيره من العيون . عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٥، ص ٦٦.

(٢) دغيم تصغير دغم ، وهو خليج في البحر الأحمر ، عليه نخل وزرع وسكن ، جنوب مصب وادي الحمض بينه وبين أملج ، يسكنه قبيلة جهينة . عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٣، ص ٢٢٤.

(٣) طرف البرقا : منطقة بين الشعبة ، ودغيم والمقصود بالبرقا الحرة التي بجانب دغيم أي طرف الحرة .وهي غير البرقة التي بين خيف بني شديد وأبي عروة ، وهي منطقة بها عين أندثرت اليوم وهي بطرف وادي مر من الجنوب يمر طريق مكة المكرمة غربها . عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج١، ص ٢٠٦.

(٤) ابن فهد : غاية المرام ، ج ٣، ص ١١٢-١١٥ ابن فهد : بلوغ القرى ، ج ٢، ص ١١٨٥-١١٨٧. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٠٥. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٨٢. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٢٩١.

(٥) يتبين هنا أن السلطة السياسية في مصر كانت تميل مع المنتصر من أفراد الأسرة الحاكمة ، ونستطيع أن نقول أن نواب السلطة السياسية في مدينة جدة ومكة ، كانوا هم الذين يصدرون المراسيم باسم السلطة في القاهرة ،ثم= =يرسلون إلى السلطة بما فعلوه ليأتيهم التأييد ، يدلنا على هذا أن هزاع انتصر على أخيه بركات في اليوم الثامن من جمادى الأولى ، ودخل مكة في يوم السابع عشر من جمادى الأولى ، فتكون المدة تسعة أيام ، وهذه المدة

لم يلبث هزاع أن خرج من مكة ليقيم خارجها بعد أن أخذ من التجار ومن الموسرين من أهل البلد مبالغ مالية لكي يرضي جنده من بني إبراهيم وزبيد الذين شاركوا في حربه ضد أخيه بركات ،وذلك بعد أن اجتمع بالتجار وكبار الأهالي وأخبرهم عن قصده وحاجته من المال ، وأنه قد وعد جنده قبل الحرب بالسماح لهم بنهب البلد وأن إعطاءه المال عن رضا من الناس خير لهم من ترك الجند تنهب المنازل والمتاجر فوافق التجار وكبار الأهالي على طلبه (٢).

لم يلبث هزاع طويلاً بعد دخوله مكة حيث توفي يوم الثلاثاء الخامس عشر من شهر رجب سنة ٩٠٧هـ/١٥٠٠م في منطقة السمرات (٣) ونقل إلى مكة حيث دفن بالمعلاة (٤) فكانت مدة إمارته منذ انتصاره على أخيه بركات حتى وفاته شهرين وستة أيام.

الصراع بين الشريف أحمد بن محمد (جازان) وأخيه بركات ٩٠٧هـ/١٥٠١م :

بعد وفاة هزاع تم اختيار أخيه أحمد بن محمد بن بركات "جازان" أميراً لمكة ، وكان هذا الاختيار بدعم من القوات العسكرية التي ساعدت أخاه هزاع في قتاله لأخيه بركات ، وخصوصاً أفراد قبيلة زبيد وزعيمها مالك بن رومي خال أحمد هذا ،وأيضاً بدعم من

ليس بالإمكان وصول الخبر إلى مصر بانتصار هزاع وقدوم مرسوم له بالإمارة ، مما يعطينا الجزم بأن أمير الجند المماليك قانصوه الجوشن هو الذي أصدر مرسوماً لهزاع ، وفي المرسوم الذي تمت قراءته "أنا نحن أنعمنا عليك بإمرة مكة ودخلت مع الأمراء ، وعجبنا من خروجك ودخول الزيني بركات مكة " ، وهذا القول يختلف تماماً مع ما في المرسوم الذي أرسل لأخيه بركات عندما دخل مكة بعدخروج أخيه هزاع منها بعد سفر الحاج من العام السابق ٩٠٦هـ مما يدل أن السلطة السياسية قد أعطت الأمراء الذين يفدون إلى مكة بالتعاون مع باش الجند المماليك في مكة بتنصيب من يرونه أقوى من أفراد الأسر الحاكمة ثم يرسلون إلى السلطة في مصر بالوضع وهي تقرهم على ما فعلوه ، والله أعلم .

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٩٠.

(٢) المصدر السابق ، ج٢، ص ١١٩٣.

(٣) السمرات تقع بين وادي الآبار والعد في جنوب جدة . الجزيري : الدرر ، ج١، ص٣٥٠.

(٤) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٢٠٢. الجزيري : الدرر ، ج٢،ص ٧٨١. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٨٢. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٠٦. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٢٩٢.

القاضي أبي السعود بن ظهيرة [1]، حيث عُقد اجتماع في المسجد الحرام بعد دفن هزاع مباشرة حضره أعيان أهل مكة وكبار الأشراف وقادة جيش هزاع الذين كانوا أنصاراً لأخيه جازان أيضاً ، وتفاوضوا في أمر الإمارة فكان للقاضي أبي السعود بن ظهيرة دور واضح في تنصيب جازان عندما طلب من الحاضرين وغالبيتهم من أنصار جازان أن يتكفلوا بحماية مكة ومن يرغب في الإمارة يتكفل بحماية سكانها فأشار المجتمعون وزعيمهم مالك بن رومي زعيم قبيلة زبيد وقائد رجالها المصاحبين لحملة هزاع بتولية ابن أختهم جازان ، وأشاروا أن مساندتهم السابقة لهزاع هي لكون جازان معه ضد أخيه بركات ، وكان الأولى أن يرسل المجتمعون إلى بركات ليعود إلى إمارته ، وبعد الاجتماع نودي باختيار جازان أميراً لمكة ، وكان الإجراء المتبع في مثل هذا الموقف أن يُكتب محضراً باختيار جازان يوقع عليه القضاة والأعيان ومن بها من أمراء الجند المماليك ،ويرسل إلى القيادة السياسية في مصر لطب التعيين الرسمي منها[2].

لم يكن جازان بن محمد ، يحسن التصرف في بداية توليه مهام الإمارة ،حيث قام بجمع التجار وطلب منهم أموالاً وذلك لكي يقوم بطلبات نفقات توليه الإمارة ، مما كان سبباً في استياء الناس منه منذ بداية توليه ، كما أنه لم يحسن التعامل مع القوات العسكرية في توزيع المكافآت عليهم ، فكان للتمييز بينهم في العطاء أثر في تفرق العسكر عنه وكان ذلك أنه اتفق مع العسكر على أن يعطي الفارس عشرين أشرفيا والراجل عشرة أشرفية، وأراد أن يعطي القواسة كل واحد أشرفي ونصف ، فحصل الخلاف لامتناع القواسة إلا بمساواتهم

(١) هو قاضي القضاة محمد بن إبراهيم بن علي ، أبو السعود بن ظهيرة قاضي قضاة مكة المكرمة ، تولى قضاء مكة المكرمة بعد أبيه ، قبض عليه الشريف بركات بن محمد الحسني لموقفه من تولي أخيه الشريف جازان إمارة مكة المكرمة ، فصادر أمواله وقتله غرقاً في البحر مقابل ساحل مدينة القنفذة بعد تعذيبه أمام أهل بيته في شهر ذي الحجة سنة ٩٠٧هـ ـ ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٨، ص ٣٦. السخاوي : الضوء اللامع ، ج٦، ص ٢٦٤. المعلمي ، عبد الله بن عبد الرحمن : إعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري ، ط١، مؤسسة الفرقان ، ١٤٢١، ج١، ص ١٠٤.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٢٠٢. الجزيري : الدرر ، ج٢،ص ٧٨١. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٦٢٨. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٠٦. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٢٩٢.

بالراجلة أي يعطوا عشرة أشرفية ، أمام موقفهم هذا طلب منهم جازان أن يخرجوا من بلاده وكان هذا سبباً في ضعف مقدرته العسكرية في مواجهة أخيه بركات فيما بعد [١].

أمام هذا الوضع انتشر بين الناس خبر، بأن بركات قادم بقواته إلى مكة وهنا قرر جازان وأتباعه الخروج منها والسفر إلى ينبع [٢]، مما يدل أن جازان كان على علم بولاء السكان لأخيه بركات أكثر من رغبتهم له ، فخرج بأتباعه ، ومروا في طريقهم على مدينة جدة وقاموا بنهب ما يستطيعون نهبه من أموال الناس بها من تجار وسكان [٣].

أما بركات فعندما سمع بموت أخيه هزاع ، قرر الذهاب إلى مكة ،وبدأ في الاستعداد لهذا الهدف،وأخذ يرسل بعض أنصاره لكي يشيعوا نباء عودته، وما أن سمع الناس بخروج جازان و قدوم أخيه بركات حتى عمهم السرور والفرح وصار كثير من أنصار بركات يحتفلون بعودته قبل قدومه وذلك باللعب عند بيت بركات في الصباح والمساء ،وفي يوم الخميس التاسع من شهر شعبان سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م قدم بركات فخرج إلى لقائه القضاة والأعيان وأمراء الجند المماليك، وفرح الناس بقدومه حتى أن غالبية أهل مكة رجالاً ونساءً خرجوا لاستقباله ، ثم دخل بركات المسجد الحرام وقرئ مرسوم [٤] توليته الإمارة وبعد القراءة توجه بركات إلى داره والناس في غاية الفرح والسرور .[١]

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٠٤.

(٢) كان معظم عسكر الشريف جازان هم من قبائل ينبع فكان طبيعياً أن يخرجوا من مكة ويعودوا إلى أهلهم وأرضهم بعد أن حققوا أهدافهم من المكاسب المالية .

(٣) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٠٥.

(٤) المرسوم الذي تمت قراءته عند عودة بركات هذه كان قد أُرسل إلى بركات بعد خروج أخيه هزاع من مكة وعودة بركات إليها في ذي الحجة سنة ٩٠٦هـ وتاريخه الثامن من ربيع الآخر سنة٩٠٧هـ، والدليل على هذا أن ذكر في المرسوم أن السلطة ساءها مقتل ولد الشريف ، و لم يقتل لبركات ولد إلا في أول لقاء مع أخيه هزاع فقد قتل أبوالقاسم بن بركات ، وهذا يدل أن الأمراء كانوا يحتفظون بالمراسيم إذا تم تغيير في السلطة في مكة ، فالأمير الماس الذي حمل هذا المرسوم وقدم به في الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٩٠٧هـ وكان انتصار لشريف هزاع على أخيه بركات في التاسع من جمادى الأولى ، فاحتفظ به وأخرجه بعد عودة بركات في هذه المرة .وأخرج لهزاع مرسوم آخر فيه الاعتراف بتنصيب هزاع أميراً لمكة بدل أخيه بركات وأن التشريف باسمه ، والوصية بحفظ أموال الدولة ، ونشر الأمن وتاريخه الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة ٩٠٧هـ، وهذا يدل على أن الأمير الماس كان يحمل مرسومين لكل شريف مرسوم باسمه ، وأن الاتصال بين أمير الجند المماليك بمكة والسلطة السياسية بمصر كان يتم بشكل سريع حيث يتم كتابة المراسيم وإرسالها بشكل سريع جداً بحسب

أخذ بركات يتحسس الأخبار عن أخيه جازان وأتباعه في ينبع،وأيضاً أخبار ركب الحاج المصري ، وكان في نفس الوقت يتعقب أتباع أخيه جازان فمن وجده قبض عليه وكان مع بركات عامر بن شقمق [2]، وهو من أقارب أمير ينبع يحيى بن سبع ، أرسله بركات لكي يأتيه بأخبار ركب الحج المصري ، وموقف أخيه جازان من ركب الحاج ، وعندما كان ببدر [3] قبض عليه أتباع جازان ، وقدموا به إلى أمير ركب الحاج المصري فقيده و سجنه [4].

قام جازان مع أمير ينبع يحيى بن سبع بملاقاة ركب الحاج المصري وحاول جازان أن يقنع أمير ركب الحاج الأمير أصطمر بأن يلبسه خلعة إمارة مكة ، وإلا تم نهب الحاج وقد حاول الأمير أصطمر أن يتخلص من جازان بأنه إذا كان يرغب في الإمارة عليه أن يتكفل للسلطان بمبلغ (٥٠)ألف دينار ، فقبل جازان هذا العرض من الأمير أصطمر ، عند هذا لم يكن أمام الأمير أصطمر إلا أن يلبس جازان خلعة الإمارة ، وذلك خوفاً على الحجاج من أتباعه وأتباع صديقه يحيى بن سبع الذين كانوا مصاحبين لهما ، وفي الخفاء أرسل إلى بركات بأن يجمع قواته ويلاقيه لكي يتم القضاء على أخيه جازان [5]

المنتصر من الأشراف فتميل الدولة معه . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٠٧. ابن فهد : غاية المرام= =، ج٣، ص ١١٧. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٠٥. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٢٩٠.

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٠٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١١٧. السنجاري : منائح الكرم ، ج ٣، ص ١٠٥. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٢٩٠.

(٢) عامر بن شقمق : هو ابن عم أمير ينبع يحيى بن سبع ، ويبدو أنه كان على خلاف معه لذا انضم إلى الشريف بركات . ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٢١.

(٣) بدر : ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينه وبين البحر ليلة ، وهو الموقع الذي وقعت فيه غزوة بدر الكبرى ، التي أظهر الله بها الحق وأهله وهزم الشرك وأهله وهو الآن إمارة تتبعها قرى كثيرة بمنطقة إمارة المدينة المنورة ، وسكانها بنو سالم من حرب . الحموي : معجم البلدان ، ج ١، ص ٢٨٤. حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، ج١، ص ٢٦٤.

(٤)ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢١٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٢١.

(٥) المصدر السابق ، ج ٤، ص ٣٧. الجزيري: الدرر ، ج٢، ص٧٨١.

كما وصلت أخبار ركب الحاج وما فعله جازان وأمير الركب إلى بركات من رسوله الذي أرسله يتحسس الأخبار عامر بن شقمق ، المعتقل مع ركب الحاج [1] ، هنا يتضح أن الأمير أصطمر كان يهدف إلى أن يواجه الأخوان بعضهم البعض ويسلم ركب الحاج من خطرهما .

أمام موقف أمير الركب تخوف كل من الأخوين أن يكون هو المقصود بالقضاء عليه ، فجازان لما علم بأن أمير الركب أرسل إلى أخيه بركات ، وأطلق عينه الذي سبق أن سجنه أمير الركب ، تخوف وعرف أن هناك تخطيطاً من أمير الركب عليه ومن معه وطلب من أمير الركب توضيح موقفه من الصراع بين الأخوين فأجابه أمير الركب بأنه لا يتدخل في الصراع بين الأخوين وأن المنتصر منهما سوف يوليه الإمارة ، هنا خاف جازان أن يميل أمير الركب في القتال لصالح أخيه بركات فعاد أدراجه، وعسكر في خليص، أما أخوه بركات بن محمد فتخوف هو الآخر وعاد إلى مكة وأقام بها ينتظر قدوم ركب الحج[2]

وصل ركب الحاج إلى مكة في يوم الاثنين آخريوم من ذي القعدة سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م فقابلهم بركات بن محمد وألبسه أمير الركب الخلعة السلطانية [3] أما جازان بعد أن فاته ركب الحاج المصري وكان يأمل أن يستخدمه لنيل غرضه في الإمارة فلم يأخذ منهم مالاً ينفقه على أتباعه ، و لم يتبين خدعة أمير الركب له إلا بعد أن قرب الركب من مكة ، قام هو وأتباعه باعتراض الحاج الشامي في رابغ [4] ،وطلبوا من الحجاج الشاميين مبلغاً كثيراً من المال ، فرفض الحجاج إعطاءهم ، فقاتلهم جازان وأتباعه ، ونهبوا الحجاج بعد أن قتلوا منهم مقتلة عظيمة لم يتورع أتباع جازان عن أبشع الجرائم بقتل الأطفال

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج ٢، ص ١٢١٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ص ١٢١.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج ٢، ص ١٢١٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ص ١٢١. الجزيري: الدرر ، ج٢، ص٧٨١.

(٣) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج ٢، ص ١٢٢٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ص ١٢٢.

(٤) رابغ : واد يقطعه الحجاج بين البزواء والجحفة دون عزور ، وهو بين الجحفة وودان ، وسيل واديه في وادي النقيع من الغرب ، وكانت محطة رابغ محطة تجارية بين خليص ومستورة على طريق الحاج يتزود منه الحجاج بالمؤن . الحموي : معجم البلدان ، ج ٤، ص ٣٧٨. عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٤، ص ٦. حمد القحطاني ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز ، ص١٣٦.

والنساء و لم يسلم من حج الشام سوى عدد بسيط قدموا مكة في أسوأ حال ومات بعضهم بالجوع والعطش في الطريق [1].

كان موقف جازان من حاج الشام دافعاً لأمير الحج المصري على أن يطلب من بركات مصاحبة ركب الحاج في طريق العودة لملاقاة أخيه جازان ، فوافق بركات على طلب أمير الركب المصري في أمل أن ينتصر على أخيه جازان بمساعدة رجال الركب المصري بالإضافة لقواته التي تم جمعها ، وبعد أن أنهى الحجاج نسكهم خرجوا بصحبة بركات ، ولما وصلوا الدهناء [2] كانت أخبارهم قد وصلت إلى جازان وأنصاره فخرجوا لملاقاتهم بعد أن أكملوا التعبئة العسكرية وذلك في السادس عشر من ذي الحجة سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م ، وقد طلب جازان من أمير الحاج المصري الأمير أصطمر أن يعتزل القتال [3]، ولكن أمير الحاج المصري الأمير أصطمر رفض طلبه [4]وعبأ أصحابه وشارك في الحرب بجانب قوات بركات[5] ، وقد كان الوضع في غير صالح بركات وأتباعه لأن قوات بركات لم تكتمل فقد تعجل أمراء الحاج المسير من مكة ، ونزل بركات عند رغبتهم فتحرك قبل أن يأتيه عدد من الأتباع الذين أرسل يطلبهم ، بالإضافة إلى أن قوات بركات وقوات أمير الحاج كانت متعبة لطول المسافة التي قطعوها من مكة إلى قرب ينبع في الوقت الذي كانت قوات جازان مستعدة ومستريحة ، وتقاتل في أرضها في مكان يسمح لها بالتزود بالمؤن والرجال ،و هذا لم يكن ميسراً لقوات بركات وأمراء الحاج ، وقد كان بركات مريضاً بحيث لم يستطع الإشراف الجيد على الحرب وإدارتها مما كان له كبير الأثر على نتيجة المعركة ، وما أن

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج ٢، ص ١٢٢٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ص ١٢٣. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨٢. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤، ص ٣٦.

(٢) الدهناء : قرية بالقرب من ينبع شرقي جبل عرعر ، كاانت محطة للحاج ، كانت عامرة كثيرة النزل وزراعتها جيدة ، كان يسكنها بنو إبراهيم من الأشراف ، غزارها سلاطين الأتراك لانعدام الأمن على طريق الحاج فهجرها السكان بعد تدميرها تعرف اليوم بالسانية. عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٣ ، ص ٢٤١.

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص ٣٧.

(٤) المصدر السابق ، ج٤، ص ٣٧.

(٥) كان هذا خطأً فادحاً من أمير الحاج المصري الأمير أصطمر ، فقد كانت له فرصة في النجاة بركب الحاج أثناء اشتباك الحرب بين الأخوين ، أو التدخل بصلح يسلم به الحاج من النهب عندما عرض عليه أحمد الخروج من الصراع ، ولهذا ما حصل للحاج من مشقات في الحرب وبعده كان سببها سوء تصرف أمير الحاج.

اشتبكت القوات في حرب طاحنة حتى تفوقت قوات جازان وحليفه يحيى بن سبع ودارت الدائرة على قوات بركات وقوات أمير الحاج وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وحلت الكارثة على الحاج المصري فقتل عدد كبير من الرجال ونهبت أموالهم عن بكرة أبيها ، وهرب أمير الركب والتجأ إلى دار القاضي أبي السعادات محمد بن زبالة [1] واستجار به[2] ورسم جازان على أمير الركب بأن يقدم مبلغاً كبيراً من المال في مقابل إطلاقه ، وعاد بركات ومن سلم من قواته[3] بأسوأ حال إلى مكة في ليلة السبت الرابع من محرم سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م بعد أن مات بعضهم في الطريق من العطش وبما بهم من جراح وإصابات و لم يستقر بركات بمكة فخرج إلى الجهة الجنوبية لها [4]، في الوقت الذي زحف جازان بقواته ودخلها في يوم الخميس الخامس عشر من صفر سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م لابساً خلعة الإمارة . [5]وأساء معاملة السكان والمقيمين لمواقفهم السابقة في مناصرة أخيه بركات[6]

أخذ بركات في الاستعداد للدخول في صراع عسكري جديد مع أخيه جازان لانتزاع الإمارة منه ، فبعد أن أكمل استعداده في جنوب مكة أراد أن يضم إليه عناصر من قبيلة هذيل فأرسل بعض أنصاره إليهم ، واستطاع أن يجمع له عدداً كبيراً من أفراد هذه القبيلة [7]، ومن غيرها فلما علم بركات باستجابة عدد من القبائل المحيطة بمكة قرر الزحف بقواته إلى عرفة [8] بهدف الاجتماع بأتباعه والزحف بها إلى مكة من أعلاها ، وفي نفس

---

(١) القاضي محمد بن زبالة ، كان قاضياً في مدينة ينبع . الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨٣.

(٢) الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨٣.

(٣) خسر بركات في هذه الحرب اثنين من أبنائه : إبراهيم جرح في الحرب وبقي مأسوراً في ينبع ثم مات بعد أيام قلائل من أسره ، ولما عاد إلى مكة مات ابنه عجلان من أثر جرح من الحرب السنجاري :منائح الكرم ، ج٣ ، ١٠٥.

(٤) ابن فهد : غاية المرام ،ج ٣، ص١٢٤. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨٣. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٨٢. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٠٥. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٢٩٠.

(٥) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٢٣٠.

(٦) ابن فهد : غاية المرام ،ج ٣، ص١٢٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٠٥. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٢٩٠.

(٧) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٢٤٣ .

(٨) عرفة المشعر المعروف ، متسع من الأرض يحيط به الجبال يحده من الشمال الشرقي جبل سعد ، ومن الشرق يحده يحده جبل ملحة ومن الجنوب تحده تلال صغيرة تسمى أم الرضوم ومن الشمال إلى الجنوب الشرقي يحده وادي

الوقت لم تكن أخبار بركات خافية عن أخيه جازان الذي كان يترقب هذا الزحف، فلما علم بتحرك أخيه بركات استعد بقواته وخرج لملاقاته سالكاً طريق مشعر منى [1] فالتقى الجمعان عند المنحنى [2] ودارت الحرب بينهما و لم يلبث أن تشتت قوات بركات ، وحلت به الهزيمة ، وذلك لخيانة بعض أتباعه ، حيث الهزمت فرقة من أتباعه [3]عندما اشتبكت الحرب فحدث الخلل في صفوف المقاتلين فحلت الهزيمة بالباقين ، لذا عاد بركات أدراجه إلى منى ثم واصل سيره إلى عرفة ، وقام أتباع جازان بنهب أمتعة أخيه بركات ، وكسب غنائم وفيرة من مخلفات الجيش ، وكان هذا في رجب سنة ٩٠٨هـــ/١٥٠٢م [4]

أراد جازان أن يقضي على مقاومة أخيه بركات نهائياً فقام بتعقبه،في طريق عودته ، حيث خرج من مكة في الثاني والعشرين من شعبان من نفس العام فعلم بركات بأن أخاه جازان على رأس قواته يحاول اللحاق به ، وكان بركات قاصداً مقره بالجهة الجنوبية لمكة سالكاً طريق الحسينية[5] فغير طريقه وعاد من طريق آخر ودخل مكة في التفاتة سريعة وكان ذلك في الحادي عشر من رمضان من نفس العام ، وفرح الناس بقدومه وأظهروا السرور

عرنة وبعد جبل ملحة تبدأ ديار قبيلة هذيل وقال ابن عباس حد عرفة من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى أجبال= =عرنة إلى الوصيق إلى ملتقى الوصيق ، إلى وادي عرفة .الأزرقي : أخبار مكة ،ج١، حاشية رقم ٢، ص ١٠٦، ج٢، ص ١٩٤. عاتق بن غيث : معالم مكة المكرمة التاريخية والأثرية ، ص١٨٢.

(١) منى أحد مشاعر الحج ، وأقربها إلى مكة المكرمة ، وهي ما بين العقبة ووادي محسر،وقيل سميت منى لما يراق فيه من الدم أي يمنى من الدم ، فيه من المعالم التاريخية والأثرية الشيء الكثير ، وهي من مكة المكرمة على فرسخ ، طولها ميلان ، تعمر أيام الموسم ، وتخلو بقية السنة . الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص ١٨٠،١٧٢.
الحموي : معجم البلدان ، ج ٨، ص ٣٢٠. عاتق بن غيث : معالم مكة التاريخية والأثرية ، ص٢٩٠.

(٢) المنحنى هو جبل في بجانب وادي إبراهيم في أعلى الأبطح ، وقيل هي دكة ناتئة في سفح الجبل في منتهى المعابدة ، وأول طريق منى . الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٢٧٨. الكردي ، التاريخ القويم ، ج١، ٥٢٤.

(٣) قيل أن الأشراف ذوي أبي نمي تركوا القتال وخرجوا إلى جهة جبل حراء وبقي الشريف بركات في عدد قليل من أتباعه ، وهذا يعتبر سياسة اتبعها أخوه أحمد في تفريق أتباع أخيه بركات ، غيرت وجه المعركة ، ويبدو أن قبائل الأشراف توقعوا هزيمة بركات من خلال الهزائم الكثيرة التي مني بها منذ أخيه هزاع ثم أخيه أحمد .
ابن فهد : غاية المرام ، ج٣ن ص ١٢٥. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٠٨.

(٤) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٢٤٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص١٢٥. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٠٨. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٢٩٠.

(٥) الحسينية : مزرعة معروفة بأسفل مكة ،وهي اليوم للأشراف ذوي زيد. الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص ٥١١.

بعودته إليهم واندفعوا يسلمون عليه ،مما يدل أن السكان كانوا يتمنون ولايته ، ثم أخذ هو والسكان يتقدمهم أمير الجند المماليك بمكة [1] والأمير المحتسب [2] بتحصين مكة ، فقاموا بحفر خنادق[3] يصعب اجتيازها ، فكانت خندقين في أسفلها في منطقة الشبيكة [4] وخندق في أعلاها عند مسجد الراية [5] بالقرب من سوق الليل[6][7] ،وأصلح سور وباب الشبيكة ، ، وحفر خندقاً بالمعلاة إلى الجبل وعمل في جهة شعب عامر [8]رضم بالحجارة ، وحفروا أمام الرضم حفراً حتى لا تجتازه الخيل [9]، وأخذ يستعد مع أنصاره ويترقب هجوم أخيه جازان.

---

(١) أمير الأتراك هو : الأمير دولات باي السيفي قنبك . ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٤، ص ٤٨.

(٢) المحتسب هو : أبو يزيد الغوري . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٢٣٢، ١٢٥٥.

(٣) الخندق : الحفرة ، ومنها خندق حوله أي حفر خندقاً حوله ، وهو الحفرة التي تمنع العدو من الاقتراب من الأهداف وتدفع خطره بمنع اقترابه من أسوار المدن عادة . ابن منظور : لسان العرب ، ج٤، ص ٢٢٨. المنجد في اللغة والأعلام : ج١، ص ١٩٧. الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، ص٧٩٣.

(٤) الشبيكة : كانت مقبرة لأهل مكة ، تعرف بمقبرة الأحلاف ، وهي اليوم حي من أحياء مكة المكرمة ، يمتد من المسجد الحرام غرباً إلى ربع الحفائر وتمتد شمالاً إلى حارة الباب ، وكان قديماً بها باب سور مكة المكرمة المعروف بباب الشبيكة .الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص ٢١٣. عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٥، ص ١٨.

(٥) مسجد الراية : يقع بأعلى مكة عند الردم عند بير جبير بن مطعم يقال أن النبيﷺ صلى فيه ، وقد بناه عبد الله بن عبيد الله بن العباس الهاشمي وبنى عنده جنبذاً يسقي فيه الماء ، يسمى مسجد الراية لأن النبيﷺ ركز الراية في موضعه يوم الفتح . الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص ٢٠٠، حاشية رقم ٤. الكردي : التاريخ القويم ، ج٥، ص ٧٧.

(٦) سوق الليل : أحد أسواق مكة ، كان يقع خلف المدعا بالقرب من الحرم ، وكان يباع فيه الأثاث وتجارة الجملة في الفواكه والخضروات ، وقد أزيل عند توسعة المسجد الحرام ، ويقع في جهة الساحة الشرقية اليوم .
الكردي : التاريخ القويم ، ج٢، ص ٨١. الزهراني ، ضيف الله ، وعادل غباشي : تاريخ مكة التجاري ، الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة ، ط١، ١٤١٨هـ ، ص ٨٦.

(٧) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٢٥٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٢٥. السنجاري : منائح الكرم ، ج ٣، ١٠٨. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٢٠٩.

(٨) شعب عامر :أحد أحياء مكة ا اليوم ، كان به منازل بني عامر بن لؤي القرشيين ، بجوار شعب علي من الشمال يصب في الخندمة في الغزة. الكردي : التاريخ القويم ، ج٢، ص ٢١٦. عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج ٥، ص ٦١.

(٩) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٢٥٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٣١.

علم جازان بعودة أخيه بركات إلى مكة ، فعاد بقواته وعسكر في العكيشية [1]، وأخذ يشن الغارات على البلد الحرام بعد أن علم بما عملوه من تحصينات ، وأهل مكة والشريف بركات متحصنين خلف الخنادق يدافعون عنها دفاع المستميت ، وكانوا يتناوبون ليلاً ونهاراً ويصدون المهاجمين من أصحاب جازان بالحجارة والنشاب [2] ، وأدت الخنادق دوراً كبيراً في صد خيل جازان وأنصاره عن الهجوم ودخول البلد طيلة شهر رمضان المبارك ، ولما رأى جازان صمود أهل مكة مع بركات أرسل إلى ينبع يطلب المدد ، فقدم عليه مدد كثير من المقاتلين ، وفي صبح يوم السبت الرابع والعشرين من شهر شوال من نفس العام ، قدمت قوات جازان من جهة المعلاة ، فطلعت خيله جبل عبد الله بن عمر [3] وكان هذا الجبل ضعيف التحصين لقلة من يحميه من رجال بركات ، ولم ينتبه رجال بركات إلا والخيل قد اعتلت الجبل وأخذت في النزول عليهم ، وحاول عدد من الرجال صدها فلم يسطيعوا لكثرة المهاجمين ، وأمام هذا الزحف السريع أخذ رجال بركات في التقهقر إلى داخل البلد ، ولم يلبثوا إلا وخيل جازان قد دخلت أيضاً من شعب عامر فاشتبكوا مع رجال بركات،أمام هذا التفوق العسكري لجازان انهارت قوى المقاومة المكية المتمثلة في أتباع بركات وأهل مكة فخرج بركات ومن لحق به من أتباعه من البلد متجهاً جنوباً حتى استقر عند عرب بني سليم[4] ودخل جازان وأتباعه مكة ، وأحدثوا بها من القتل والنهب الشيء الكثير وذلك حنقاً من جازان على السكان لموقفهم الصامد مع أخيه بركات وكان جازان قد اتفق مع

---

(١) العكيشية : بلاد بأسفل مكة المكرمة ، وهي على بعد سبعة أكيال من أول طريق مكة إلى اليمن المار بالخبت،وهي اليوم مزارع عثرية إلى الجنوب الغربي من مكة . عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز،= =ج٦،ص١٥٣.عاتق بن غيث : بين مكة واليمن ،ص١٣، ٣٦١.

(٢) النشاب : السهام ، النبال وهي مأخوذة من النشب شجر يستخدم في عمل السهام . المنجد في اللغة والأعلام ، ج١، ص٨٠٨. الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، ص١٢٦. ابن منظور : لسان العرب ، ج١٤، ص ١٣٦.

(٣) جبل عبد الله بن عمر : يقع في الحجون جهة المعلاة ، وعرف بذلك لأن فيه كما يقال قبر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص ٥٥٠. النهروالي ، محمد بن أحمد : الأعلام ، تحقيق هشام عطا ، مكتبة مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، ط١، ١٤١٦هـ ، ص٤٢.

(٤) بني سليم : المقصود هم قبيلة السلم اليوم ، وهم بطن من الجحادلة من بني شعبة من كنانة ، سكناهم الوصال ويفاعة بين إدام ويلملم وكان بني شعبة أنصار الشريف بركات ، وهم القبيلة التي تحمل هذا الاسم في جنوب مكة المكرمة . عاتق بن غيث : معجم قبائل الحجاز ، ج٢، ص٢١١.

أتباعه بالسماح لهم بنهب البلد ثلاثة أيام مما جعلهم يستميتون في الدخول إليها من كل منفذ ويحققون انتصاراً ساحقاً على قوات أخيه بركات والسكان في الرابع والعشرين من شوال سنة٩٠٨هـ/١٥٠٢م (١)

لم يلبث جازان أن قرر الخروج من مكة لما سمع بقوات عسكرية قادمة من مصر ، وذلك أن السلطان المملوكي الأشرف قانصوه الغوري وصلته أخبار الصراع بين جازان وأخيه بركات وما لحق الناس من أضرار ، فقرر إرسال قوات عسكرية ، هدفها فيما يبدو إنهاء النزاع على الإمارة وتولية من يراه الأمير أقوى الأخوين ، وذلك أن السلطة في مصر قد أرسلت في شهر شعبان من نفس العام بخلعة وتولية لجازان مما يدل على أن السلطة رأت في جازان قوة عسكرية يصعب التغلب عليها، في الوقت الذي لم يحقق أخوه بركات انتصاراً حاسماً عليه، وطلبت في المقابل دفع رسوم الولاية وديات من قتل في المواجهات من جنود الدولة الذين شاركوا مع بركات وقتلوا على يد جنود جازان (٢) ، فخرج جازان وجنده من مكة لسببين : الأول الخوف من هذه الحملة أن يكون هدفها القبض على جازان وتنصيب أخيه بركات أميراً ، فخروجه يعطيه إمكانية الهرب إذا أحس بشر من أمير الحملة .

والثاني : أن في خروج جازان إلى ينبع يسبق إلى ملاقاة أمير الحملة ويمكنه مفاوضته على منصب الإمارة ، وإذا أحس منه شراً يمكنه مهاجمة الحملة بين أتباعه ، فيسهل عليه المدد والتموين . لذا خرج جازان إلى ينبع واستطاع أن يقابل أمير الحملة الأمير قيت الرجبي ويتفق معه على أن يدفع له مبلغاً من المال على أن يقوم بالقبض على أخيه بركات ،ويوليه الإمارة وكان لابن القاصد جلال الدين (٣) دور في ميل الأمير قيت الرجبي لصالح جازان ، فقد أرسله والده الذي كان موالياً لجازان لكي يقابل الأمير قيت الرجبي ويبين له أن الأفضل

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٢٥٣-١٢٦٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٢٧-١٣٧. السنجاري :منائح الكرم ، ج٣، ص ١٠٩. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٣٠٩. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٦٧.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٢٥٠.

(٣) القاصد جلال الدين بن جوشن أمير أخور السلطان أرسله السلطان المملوكي في شعبان سنة٩٠٨هـ لكي ينصب أحمد بن محمد جازان أميراً على مكة . المصدر السابق ، ج٢، ص ١٢٥١.

للبلاد تولية جازان وليس بركات [١] وأظهر الأمير قيت الرجبي غضبه على جازان وأرسل إلى مكة أن الإمارة لبركات ، وكان هذا مكراً وخديعة حتى لا يحس بركات بشيء فيتجنب ملاقاة الأمير ، وكان بركات قد عاد إلى مكة عندما وصلته أخبار خروج أخيه جازان لما علم بقدوم الحملة المصرية على البلاد ، وتمت الحيلة على بركات حيث قام بمقابلة الأمير قيت الرجبي ومن معه من الأمراء، ودخل بهم مكة ،وعندما اطمأن بركات واستقر به الحال في مجلس الأمير قيت الرجبي ، أمر الأمير قيت الرجبي بالقبض عليه وعلى من كان بصحبته من الأشراف وغيرهم [٢]

وسجنهم تحت الحراسة المشددة ، وبعد انقضاء الموسم خرج بهم إلى مصر ، وتم تولية جازان الإمارة بعد أن تعهد للدولة بمبلغ من المال وكان ذلك في الخامس عشر من محرم سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م.[٣]

استمر جازان أميراً لمكة يصرف شؤونها ويدير أمورها حتى قتل على يد الجنود المماليك أثناء طوافه بالبيت الشريف في التاسع من رجب سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م[٤]، وكان سبب قتله فيما يبدو أنه لم يكن يحسن التصرف مع الجنود المماليك ولا مع أبناء الأسرة الحاكمة من أخوانه وأبناء عمومته ، كما أنه لم يكن يحتاط لما يحاك عادة ضد الزعماء من المعارضين لهم . فذُكر أن جازان اختلف مع أخيه حميضة بسبب أن حميضة ترك الفريق [٥] ، وقدم إلى

---

(١)المصدر السابق ، ج٢، ص ١٢٧٠.

(٢) الذين تم القبض عليهم مع بركات هم : أخوه قايتباي ، وأخوه رميثة ، و مشهون بن عجل النموي ، ، و عنقا بن وبير ، وعلي بن ريحان الحسني ، ومسعود فتى فارس بن شامان . ابن فهد :بلوغ القرى، ج٢، ص ١٢٧٦.

(٣) المصدر السابق ، ج٢، ص ١٢٧٠_١٢٨٠. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٣٨-١٤٨. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤، ص٤٧، ٤٨. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨٦. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٦٣٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١١٠.

(٤) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٣٠١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص١٦٦. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨٦. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٣٠١. السنجاري : منائح الكرم ، ج ٣، ص ١١٠. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٣٢٢.

(٥) الفريق : هو الجماعة والطائفة من الناس ، ابن منظور : لسان العرب ، ج ١، ص ٢٤٤. المنجد في اللغة والأعلام ، ج١، ص ٥٧٨. والمقصود هنا مقر إقامة الشريف خارج مكة ، فقد كان أمراء مكة يقيمون خارجها في بعض الأوقات ويقوم بإدارة الحكم في مكة والي من قبلهم .

مكة ليقيم بها فتره شهر رجب وفاءً لنذر قطعه على نفسه إذا عافاه الله من مرض ألم به ، وعندما قابله جازان خاطبه بجفاء وتوعده بالقتل إذا لم ينفذ كلامه بالعودة سريعاً إلى الفريق وهذا يدل على أن جازان بدأ يتخوف من تصرفات أخيه حميضة ، ويشك في نواياه ، فقد كان حميضة له علاقات حسنة مع بعض القادة والجنود المماليك ، عند هذا تخوف حميضة من غضب أخيه جازان وأخبر أصدقاءه من المماليك بما تم له مع أخيه جازان ، فأبدى له أصدقاؤه من الجنود المماليك استعدادهم لمساعدته في التخلص من أخيه جازان بقتله إذا أراد وهذا العرض لاقى استحسان الشريف حميضة ، وتم الاتفاق على هذا الأمر ونفذه الجنود المماليك عندما دخل جازان الطواف وهو في قلة من أنصاره في فجر يوم الجمعة التاسع من شهر رجب عام ٩٠٩هـ/١٥٠٣م (١) ، ودليلنا على أن قتل جازان كان بمواطأة من أخيه حميضة ، أن حميضة لم يغضب لمقتل أخيه جازان ويأخذ بثأره من قتلته بل لم يسارع بدفنه والاعتناء بجسده فقد بقي طريحاً في أرض المسجد الحرام حتى قام بدفنه المسؤول عن دفن الموتى الذين ليس لهم أحد يتولى دفنهم (٢) وهذا يدل على شدة بغض الناس لجازان وكذلك سيطرة جند المماليك على الوضع في مكة حتى أن أنصار جازان لم يتدخلوا لتشييع جنازته ، ويبدو أن أخاه حميضة كان يخشى على نفسه فلم يتحرك للقيام بجنازة أخيه خوفاً على نفسه وفي نفس الوقت ذهب مع الجند المماليك لكي يتولى منصب الإمارة مؤقتاً حتى يأتي أمر السلطان من مصر (٣).

عودة الشريف بركات بن محمد إلى إمارة مكة المكرمة ٩١٠هـ/١٥٠٤م:

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٣٠١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص١٦٥. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٣٢٢.

(٢) كانت الدولة المملوكية قد أحدثت وظيفة يتكفل القائم بها بدفن من لا عائل لهم ،وذلك لكثرة الأمراض التي كانت تفتك بالناس في ذلك العصر ، ويكثر الموتى ،وقدبقي أحمد جازان طريحاً في أرض المسجد الحرام حتى أخذه المسؤول عن الموتى الذين ليس لهم من يقوم بتجهيزهم ويدعى عبد الله المصري ، فقام بدفنه ، بدون تجهيز ولاغسل ولا صلاة بعد أن استشار أخاه حميضة. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٣٠١.

(٣) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص١٦٥. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٣٠٢، ١٣٠٣.

عندما قدم بركات إلى مصر مقيداً مع أمير الحاج الأمير قيت الرجبي في المحرم سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م أحسن السلطان استقباله ومن معه وأمر بفك قيودهم ، والإحسان إليهم وأسكنهم في دار الأمير قيت الرجبي. (١) ويعتبر تصرف السلطان قانصوه الغوري في إسكان بركات في دار الأمير قيت الرجبي هو وضعه تحت المراقبة المباشرة حيث يكون على مرأى ومسمع من رجال الدولة ، ويتم رصد تحركاته والعلم بها بسهولة وفي نفس الوقت يكون الأمير قيت الرجبي مسؤولاً عنه لو تمكن من الهرب من مصر ، وفي الظاهر يكون تصرف السلطان أنه أكرمه في إسكانه هذا .

ومع تصرف السلطان هذا إلا أنه سهل ل بركات أن يتعرف على كبار رجال الدولة ويستطيع التواصل معهم وعقد صداقات قد تحقق له أهدافه المستقبلية في العودة إلى ولايته ، ومع ما حل ببركات من محن لم يهنأ بال أعدائه في الحجاز من بني إبراهيم ، فأخذوا يرسلون إلى السلطة في مصر في الوشاية عليه بأنه يمتلك أموالاً طائلة مما ورثه من آبائه ومن ولايته لمكة ، وسعوا أيضاً بتقديم الأموال لكبار رجال الدولة على نقل بركات من القاهرة لسجنه في مدينة الإسكندرية (٢) وقد أدى هذا إلى أن طلب السلطان قانصوه مالاً كثيراً من بركات ومن معه(٣)، وفي هذا الوقت وصلت الأخبار إلى مصر باغتيال جازان على يد الجند المماليك ، فتحركت في نفس بركات فكرة العودة إلى أرض الوطن ، فبدأ يعد العدة ويفكر في الوسيلة، وينتهز الفرصة حتى استطاع أن يستميل بعض أمراء الدولة ،فأشار عليه أحدهم بالهرب بعد أن جهزه ومن معه فيما يبدو بما يحتاجونه من حاجات السفر (٤) من المال والركائب فخرج من مصر مع عدد بسيط من أنصاره في السابع من شهر شوال سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م و لم تشعر السلطة بمصر بهروبه إلا بعد يومين من خروجه من مصر (٥)،

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص ٥٧. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣،ص ١١٠. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٣١٠.

(٢) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٦٥. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ١٣٢٧.

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص ٦٢.

(٤) قيل إن الأمير الذي أشار عليه بالهرب هو أمير سلاح قانصوه . ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٦٥.

(٥) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٦٥. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ١٣٢٧. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص ٦٢. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣،ص ١١٠. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٣١٠.

وهذا يدل أن بين رجال الدولة من كان راضياً عن هروبه ، والمؤكد أن الأمير قيت الرجبي الذي كان السبب في القبض على بركات هو الذي ساعده على الهرب وذلك أن كان مقيماً في مترله فيكون هو أول من يعلم بخروجه ودخوله إلى داره ، ويشاهد تجهزه واستعداده ، وطبيعي أن مترل الأمير قيت الرجبي يضم عدداً من المماليك الذين يرصدون كل صغيرة وكبيرة لبركات ويبلغونها لمولاهم الأمير قيت ، والثاني أن الأمير قيت الرجبي فقد بموت جازان ما تم الاتفاق عليه من مال له مقابل بقائه في الإمارة والآن بعد أن قتل جازان كان الأولى للأمير قيت الاتفاق مع بركات ، والثالث أن الأمير قيت هو الشخص الذي اتهم لدى السلطان الغوري في تسهيل فرار بركات ، وحدث اتهامه علناً في مجلس السلطان الغوري مما أدى إلى مخاصمة شديدة بين الأمراء في مجلس السلطان [1] .

استطاع بركات أن ينفذ من محاولة اللحاق به مما يدلنا على دقة التخطيط والتنفيذ للهرب، وشاء قدر الله أن يقابل في طريقه بطاح الإبراهيمي [2] عدوه اللدود بوادي القبيبات[3] متجهاً إلى مصر فقتله وأخذ ما كان يحمله من أموال وأمتعة وكان يحمل أيضاً أوراقاً مضمونها الحط من يحيى بن سبع أمير ينبع والوصية بتعيينه أميراً على ينبع ومؤكداً أنها من حميضة بن محمد ، وقد استغلها بركات فأرسلها إلى يحيى بن سبع يبين له مواقف حميضة منه [4] فكان لها دور في عدم تحمس يحيى بن سبع في القبض على بركات أو المساعدة على ذلك ، وكان ما حصل عليه من أموال من بطاح الإبراهيمي ساعدت بركات على مواصلة

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص ٦٢.

(٢) هو بطاح بن مجول الإبراهيمي الينبعي ، كان من أشد الناس عداوة للشريف بركات ، وكان من أكبر المحرضين عليه منذ قدوم الأمير قيت الرجبي إلى ينبع وفي مكة ، وكان يطمع في إمارة ينبع وسعى بالحيلة للوصول إليها ، قتله بركات في وادي القبيبات سنة ٩١٠هـ . ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٦٥. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج ٢، ص ١٣٢٧،١٢٧٧.

(٣) وادي القبيبات هو وادي القباب : وهو من منازل الحاج بين المنصرف وتيه بني إسرائيل ، وهو واد كثير الرمل . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج١٤،ص ٤٣١.

(٤) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٦٥. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ١٣٢٧. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٣٠١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣،ص ١١٠.

سيره تجاه مكة وأن ينفق على من ينضم إليه من العرب ، ونزل عند بني عقبة [1] حتى قدم ركب الحاج وسار موازياً له ، وهذه حكمة من بركات حيث انه خشي أن ينفرد في سفره لوحده فيكون صيداً سهلاً لأعدائه ، والآخر كان بركات يريد توجيه رسالة للسلطان المملوكي أنه لا يهدف إلى الحصول على غنائم بتركه لنهب الحاج ،وإنما قصده السير بجوارهم حماية لهم فبهذا يكسب عطف أمير الحاج الذي عادة يكون له كلمة لدى السلطان في مصر وأيضاً يكسب عطف السلطة الذي هو في أمس الحاجة إليه وفي نفس الوقت يحاول أن يقنع أمير الركب بأن يراسل السلطان في إعادة توليته الإمارة فيكون قدوم بركات بمرسوم ولاية يستخدم لتنفيذه أمير الركب ومن معه من الجند ، وهذا ما تم فعلاً حيث تخوف أمير الحاج أنص باي [2] من بركات ودارت الرسل مما طمأن ركب الحاج بأن بركات لاينوي الهجوم عليه و على أن يرسل أمير الحاج إلى السلطان بإعادة توليته ، وأرسلت رسائل من بركات يعتذر فيها للسلطان عن هروبه وأنه لا يريد شراً لركب الحاج أثمرت هذه الرسائل أن أمر السلطان بأن يلحق من بقي من أنصار بركات وأهله به [3] وكان بركات يعمل على تفكيك تجمع أعدائه ضده بالمراسلة لزعمائهم مثل يحيى بن سبيع يبين فيه مواقف الآخرين تجاهه وقد كادت أن تنجح خططه لولا تعنت بني إبراهيم ضده وصمودهم في تولية أخيه حميضة الذي قدم إلى ينبع لملاقاة ركب الحاج خوفاً من عزله ويحتمل أن حميضة قد وعد بني إبراهيم بمبالغ مالية في حالة توليته الإمارة [4].

أما بركات فقد استمر في طريقه قاصداً مكة ، ومر على المدينة المنورة للتزود بالمؤن و لم يدخلها خوفاً من القبض عليه لأن السلطان قانصوه الغوري قد سبق وأرسل إلى رجال دولته

---

(١) بني عقبة : هي إحدى قبائل جذام اليمنية الأصل وديارها تمتد من الأزلم في الحجاز إلى الكرك في الأردن ، وكان عليهم درك الطريق إلى حدود غزة والشام . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤، ص٢٤٨،ج٧، ٢٠٧. عاتق بن غيث : معجم قبائل الحجاز ، ص ٣٣٨.

(٢) الأمير أنص باي ولي الدين أحد الأمراء بدولة المماليك تولى إمارة الركب الأول سنة٩٠٨هـ ، وعين أميراً للمحمل سنة ٩٠٩هـ . إبن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤، ص ٤٩، ٦٢. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٣٢٧.

(٣) ابن فهد : غاية المرام ،ج٣، ص ١٦٨. ابن فهد : بلوغ ألقرى ، ج٢، ص١٣٢٨. الجزيري : الدرر، ج٢،ص٧٨٨. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١١١. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج ١، ص ٣٢١.

(٤) ابن فهد : غاية المرام ،ج٣، ص ١٦٨. ابن فهد : بلوغ ألقرى ، ج٢، ص١٣٢٨.

في الحجاز بالقبض على بركات [1] ، وأخذ كثير من رجال القبائل البدوية والعاطلين تنضم إلى بركات طمعاً في الغنائم التي يأملون أخذها في حالة المواجهة العسكرية ، وبهذا زاد عدد أتباع بركات حتى أصبح في عدد ضخم من الأتباع ، وتابع السير إلى مكة ، حتى وصل إلى قريب منها في الرابع من ذي الحجة سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م ووصلت أخباره إلى السكان فخاف الناس على أنفسهم وأموالهم ،وعندما اقترب من مكة أرسل بركات إلى أمراء الحاج المصري [2]، ثم سمح لبعض أتباعه بالتعرض للحجاج ، ومحاولة الدخول بصفة فردية إلى مكة المكرمة ونهب ما يستطيعون نهبه من أموال، وكانت هذه طريقة للضغط على أمراء الحاج ، وعلى حميضة يبين لهم أنه يمتلك قوات كافية للدخول في صراع معهم وأن بإمكانه منعهم من أداء النسك ، وأثمرت هذه التحركات أن أرسل أمراء الحاج لبركات بعدم التعرض للحاج في مقابل مبلغ ألفين دينار[3] يأخذونها له من أخيه حميضة ألفا مقدمة وألفاً بعد نزول الحاج إلى منى ، فوافق بركات على ذلك بصعوبة [4]، مما يدل أنه كان في موقف القوة ، ومع هذا الاتفاق فقد خرج الحاج إلى الموقف وهم في خوف شديد، وبعضهم تعرض للنهب و لم يحج غالب أهل مكة خوفاً من حدوث صدام عسكري في المشاعر ، وكان بركات مسايراً للحاج في محاولة لكبح جماح قواته ما أمكن عن نهب الحاج ، تبين ذلك في منى فقد كادت أن تصطدم قوات بركات مع قوات أخيه حميضة لولا لطف الله سبحانه ثم دخول بركات في منع قواته والتنحي بها جانباً عن الحاج [5]، وهذه طريقة حكيمة لكي لا يستغلها

---

(١) المصدر السابق ، ج٣، ص ١٦٩. المصدر السابق ، ج٢،ص ١٣٢٨.

(٢) لم تذكر المصادر سبب مراسلة بركات لأمراء الحاج المصري ، ولكن يبدو أن بركات كان يهدف إلى أن يستميل أمراء الحاج إلى صفه وإذا لم يتحقق ذلك يعتزلون الصراع بين الأخوين ، وهو بهذا يزرع الشك في قلب أخيه حميضة ، وهذا من الحنكة السياسية .

(٣) ذكرالسنجاري : في منائح الكرم ج٣، ص ١١١، والجزيري : في الدرر، ج٢، ص ٧٨٨. أن المبلغ المتفق عليه كان خمسة آلاف دينار ، فيما ذكر ابن فهد ، في غاية المرام ج٣، ص ١٧٠، وفي بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٣٣٤، أن المبلغ المتفق عليه كان ألفين ديناراً ، فأخذنا بهذا لأن ابن فهدكان حياً ومقيماً في مكة في ذلك الوقت فيكون هو الأقرب للصحة والله أعلم .

(٤) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٧٠. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢،ص ١٣٣٢، ١٣٣٤.

(٥) المصدر السابق ، ج٣، ص ١٧١. المصدر السابق ، ج٢،ص١٣٣٥.

حميضة في تأليب الناس عليه وأنه قام بمنع الحاج من إتمام النسك فيغضب لهذا الحدث السلطة السياسية في مصر، فينعكس ذلك على مواقف السلطة من عودة بركات إلى الإمارة.

في هذه الظروف كان بركات قد أرسل إلى السلطة السياسية في مصر يطلب توليته الإمارة ، وفي نفس الوقت حاول أمراء الحاج عقد صلح بين الأخوين بركات وحميضة على أن يكون لبركات ثلث دخل الإمارة من ميناء جدة على أن يوقف زحفه على مكة أو جدة ويكون هذا حتى يصل مرسوله من مصر فوافق بركات على أن يكون له نصف الدخل وليس الثلث فقط، وفي الثالث عشرمن محرم سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م وصل مرسول بركات عرار بن عجل بن رميح النموي[١] بصحبة يحيى بن سبع ومجموعة من زعماء بني إبراهيم [٢] ، ويلاحظ هنا دور يحيى بن سبع وبني إبراهيم ،وأن يحيى بدأ يغير ولاءه تجاه بركات[٣]، وفي نفس الوقت يخشى من تولي بركات خوفاً من الانتقام منه لما سبق له من مواقف مع أخوته ضده ، وكان عرار بن رميح النموي يحمل مرسوماً بتولية بركات أو من يختاره بركات لولاية مكة وعزل حميضة ، وبعد مفاوضات مع أمير ركب الحاج الأمير أنص باي وأمير الجند المماليك بمكة بكباي ، والأمير شاهين الجمالي نائب مدينة جدة ، وحضور يحيى بن سبع و بركات ، وأخيه قايتباي [٤] تم اختيار قايتباي أميراً لمكة [٥]في يوم الثلاثاء الثالث من شهر صفر سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م[١][٢].

---

(١) عرار بن عجل بن رميح النموي الحسني ، من أحفاد أبي نمي ، وصهر بركات بن محمد ، كان بركات يثق به ، وجعله مرسوله للسلاطين والحكام ، توفي في اسطنبول سنة ٩٤٦هـ . السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص٢٦٨. النهروالي ، محمد بن أحمد : البرق اليماني في الفتح العثماني ، ط٢، دار اليمامة للنشر ، الرياض،١٣٧٨، ص ٨٦-٩٢.

(٢) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٧٢. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢،ص١٣٣٧.

(٣) بناءً على مواقف بركات مع يحيى بن سبع بعد حصوله على الأوراق التي تحط من قدره مع بطاح الإبراهيمي الذي قتله بركات في طريق عودته من مصر كما تم ذكره سابقاً .

(٤) قايتباي بن محمد بن بركات الحسني المكي ، كان حليفاً لأخيه بركات ضد أخوته المتبقين ، وبينهما صداقة حميمة ، جعلت بركات يقبل بتعيينه بدلاً عنه أميراً لمكة توفي في ربيع الأول سنة٩١٨هـ . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٨٣٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ٢٤٧.

(٥) ذكر السنجاري ، في منائح الكرم ، ج٣، ص ١٥٤، والعصامي في كتابه سمط النجوم العوالي ج٤، ص ٣٠٢، والطبري في كتابه إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٣٢٢. أن بركات تنازل عن إمارة مكة لأخيه قايتباي ، وأشرك معه ابنه علي بن بركات ، وهذا القول لم يذكره ابن فهد في كتابيه غاية المرام ، وبلوغ القرى ولهذا لم

بقي قايتباي بن محمد أميراً لمكة حتى وفاته في الحادي والعشرين من شهر ربيع أول سنة ٩١٨ هـ/١٥١٢م[٣] ،فأقرت السلطة السياسية بمصر بركات أميراً لمكة يشاركه فيها ابنه محمد أبو نمي.[٤]

ثورة الأشراف ضد الشريف بركات بن محمد ٩٢٠هـ/١٥١٤م :

أولاً:الثورة الشمالية :

ما كاد بركات بن محمد بن بركات يستقر في إمارته بمكة بمفرده حتى خرج عدد من أبناء الأسرة الحاكمة وخصوصاً من أخوته وأبنائهم في معارضة له ، وهم إخوته

نأخذ به لأن ابن فهد لم يذكر تعيين إبراهيم شريكاً لقايتباي وهذا هو الأصح حيث أنه كان حياً ومتواجداً في مكة أثناء الحدث ولهذا يكون ما ذكره هو الأقرب للصحة ، ومع أن بركات تنازل لأخيه قايتباي فهذا صحيح يدل على حنكة بركات فقد كان أخوه قايتباي صديقاً حميماً له بخلاف جميع أخوته فكان قايتباي لا يبرم أمراً دون مشورة بركات لما يحمله من رصيد سياسي وعسكري في معالجة الأمور لما مر عليه من أحداث جسام .

(١) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٧٣. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣،ص١٣٤٧. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٨٢. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٥٤. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٣٢٢.

(٢) تعهد قايتباي بدفع مبلغ خمسين ألف دينار للسلطان قانصوه الغوري ، وعشرة آلاف دينار لأمير الكبير ، واثني عشر ألفاً لأمير الحاج المصري ، وألف ومائتين لمحرم بن هزاع ، وألف دينار لعياف بن محمد بن علي وثلاثة آلاف ليحيى بن سبع في كل سنة لهؤلاء الثلاثة وثلاثة آلاف لباش الجند المماليك بمكة . ابن فهد : بلوغ= =القرى ، ج٣، ص ١٣٤٧.

(٣) ذكر هذا التاريخ ابن فهد في كتابه : غاية المرام ، ج٣، ص ٢٤٧.وفي كتابه بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٨٣٥. والجزيري في الدرر ، ج٢، ص ٧٩٤. وذكرالعصامي في كتابه سمط النجوم العوالي ج٤، ص ٣٠٢.ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ، ص ٢٨٢. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٣٣٠. أن وفاة الشريف قايتباي في الحادي عشر من صفر سنة ٩١٨هـ ونحن أخذنا بما ذكره ابن فهد لأنه كان حياً ومتواجداً في مكة لأن وفاة العز بن فهد صاحب كتابي غاية المرام ، وبلوغ القرى كانت سنة ٩٢٢هـ أي بعد وفاة قايتباي بأربع سنوات ، فيكون والله أعلم ما ذكره في تاريخ وفاة قايتباي هو الأصح والله أعلم .

(٤) هو أبونمي محمد بن بركات بن محمد بن بركات الحسني المكي ، ولد تاسع ذي الحجة سنة ٩١١هـ شارك أباه في حكم مكة ، كان والده يحبه كثيراً لأن بعد ولادته صفت الأمور لبركات ، وكان يبدو عليه النجابة فأشركه منذ صغره معه في الإمارة ثم عهد إليه بولية العهد من بعده فتولى إمارة مكة سنة ٩٣١هـ بعد وفاة والده واستمر حتى وفاته سنة ٩٩٢هـ . الدحلان : خلاصة الكلام ، ص ٤٩. الزركلي : الأعلام ، ج٦، ص ٥٢.

راجح بن محمد بن بركات [1]، و أبو الغيث بن محمد [2]، و قاسم بن محمد [3] ، وابنا أخيه هزاع بن محمد بن بركات ، محرم [4]، و زائر [5]، و أبو سعد [6] بن رميثة بن بركات بن عجلان صهر أبي الغيث ، وقام هؤلاء بالخروج من طاعة بركات ، والذهاب إلى منطقة ينبع ، ونزلوا على قبيلة الصيادلة [7] فرحبوا بهم وأبدوا استعدادهم لمناصرتهم ضد بركات ، وسبب هذا أن بركات كان قد هاجم الصيادلة عام ٩١٧هـ/١٥١١م وأخذ خيلهم ودروعهم[8] وكان دافعه لهذا استعادة مال السلطان الذي أخذته قبيلة الصيادلة ، وأيضاً خوفه أن يحصل منهم تمرد في المستقبل لأنه قد قضى على قوة قبيلة زبيد فخشي أن تظهر قوة قبيلة الصيادلة في المنطقة فيستغلها أحد المنشقين عن السلطة . ويبدو أن الأشراف قد

---

(١) هو راجح بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي ، أمه شقراء بنت كاسب الزبيدي اليمني تمرد على أخيه بركات بن محمد مع عدد من أخوته وأبناء عمومته سنة ٩٢٠هـ في شمال الحجاز . ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٥٩٩. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٧٨٧.

(٢) هو أبو الغيث بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي ، أمه حبشية تدعى دام السرور ، تمرد على أخيه بركات بن محمد مع عدد من أخوته وأبناء عمومته سنة ٩٢٠هـ في شمال الحجاز .
المصدر السابق ، ج٢، ص٥٩٩. المصدر السابق ، ج٣، ص ١٧٨٧.

(٣) هو قاسم بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي ، أمه حبشية تدعى دام السرور ، تمرد على أخيه بركات بن محمد مع عدد من أخوته وأبناء عمومته سنة ٩٢٠هـ في شمال الحجاز . ابن فهد: غاية المرام= =، ج٢، ص ٥٩٩. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٧٨٧.

(٤) هو محرم بن هزاع بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي كان من أنصار عمه جازان ضد عمه بركات ، وضع رهينة لدى أمير الحاج المصري سنة ٩٠٧هـ لكي يأمن الحجاج الهجوم عليهم من أنصار جازان . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٢٢٢.

(٥) هو زائر بن هزاع بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي ، ممن شارك في الثورة ضد عمه بركات مع أخيه محرم وبعض أعمامه سنة ٩٢٠هـ . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٧٨٧.ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص٢٣٠.

(٦) أبو سعد بن رميثة بن بركات بن عجلان الحسني المكي ، ابن عم بركات بن محمد بن بركات ، شارك الأشراف في ثورتهم ضد بركات سنة ٩٢٠هـ . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٧٨٧.ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص٢٣٠.

(٧) قبيلة الصيادلة : بطن من قبيلة بني إبراهيم من قبيلة جهينة ، تقع مساكنها على طريق المدينة المنورة ، من العميقة إلى السويق ، .عاتق بن غيث : معجم قبائل الحجاز ، ص٢٧٠. عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ، ج٢، ص ٦٥٧.

(٨) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٧٨٧.ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص٢٣٠.

استمالهم في الخروج راجح بن محمد حيث أن راجح كان دائم السخط على أخيه بركات ويبدو أنه كان يطمع في الإمارة [1] ويعمل على نيلها بكل الوسائل ومن ذلك خروجه إلى مصر في عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م لكي يشتكي أخاه بركات [2] وعاد في عام ٩١٧هـ/١٥١١م صحبة عرار بن عجل وتم الإصلاح بينه وبين أخويه قايتباي و بركات بطلب من السلطان المملوكي لإرضاء راجح بزيادة عوائده[3] و لم يلبث أن وصل خبرهم إلى بركات ، وكان لبركات قوة في ينبع عبارة عن فريق من القادة وأيضاً يوجد في ينبع رسول بركات الدائم للسلطة المصرية عرار بن عجل النموي ، فقررت فرقة القادة و عرار بعد تردد مهاجمة المنشقين وأتباعهم من الصيادلة خوفاً أن يتمادى خطرهم فيصعب القضاء عليهم ، فيلحق البلاد ضررهم ، وفعلاً تمت مهاجمتهم واستطاعت فرقة القادة وأنصار بركات بينبع إلحاق هزيمة نكراء بالأشراف وأتباعهم من الصيادلة وتم قتل ما يقارب (١٥٠)رجلاً وتشريد الصيادلة عن أراضيهم التي يقطنوها ، وكسب عدد وافر من خيلهم وأموالهم ، وعندما حلت الهزيمة بهم قرر الأشراف الخروج إلى مصر ما عدا أبا الغيث حيث عاد إلى مكة فيما يبدو أنه ندم على خروجه على أخيه، أما بقية الأشراف فقد سافروا في محاولة للكيد لبركات عند السلطة السياسية في مصر ولكن خاب مسعاهم لنفوذ كلمة بركات عند السلطان قانصوه الغوري فقد استقبلهم السلطان قانصوه الغوري وأبقاهم في مصر دون أن يمدهم بأي عون ، لكي يعودوا إلى الحجاز ، وفرق أماكن سكنهم ، وأرسل السلطان قانصوه الغوري إلى بركات يطمئنه وأنه متحفظ على من قدم إليه بمصر [4] مما يدل على أن بركات كان يتمتع بمكانة مرموقة لدى السلطة في مصر .

---

(١) يدل على هذا أن راجح استطاع أن يقنع الأمير خاير بك المعمار باش الجند المماليك بمكة حتى أرسل إلى السلطة في مصر يطلب تعيين راجح أميراً لمكة بدل بركات ، ولكن السلطة في مصر رفضت طلبه وأرسلت بخطاب تعاتبه على فكرته هذه . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص١٨٥٩.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٦٥٩.ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص٢١٢. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٩٢. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٧٣.

(٣) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص١٨١٧. العصامي: سمط النجوم العوالي ج٤، ص ٣٣٠. السنجاري: منائح الكرم ، ج٣، ص ١٧٣.

(٤) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٩٤٦. ابن فهد : غاية المرام ج٣،ص٢٨١. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص ٣٨٣.

ثانياً : الثورة الجنوبية :

في الوقت الذي اندلعت ثورة الأشراف في شمال الحجاز في ربيع الثاني عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م كان هناك ثورة في جنوب الحجاز موقدها سيسد (١) بن محمد ابن بركات .ويبدو أن الأشراف كانوا مخططين لإضعاف قوة بركات بن محمد حيث تقوم ثورة في شمال الحجاز وفي نفس الوقت تقوم ثورة في جنوبه مما يؤدي إلى تشتيت قوة بركات ويعمل على إضعافها. وذلك أن سيسد بن محمد خرج خفية عن أخيه بركات ،واتجه إلى جنوب مكة تجاه اليمن حتى وصل إلى منطقة جازان (٢)، وتقابل مع حاكمها المهدي بن أبي الغوائر(أحمد بن دريب) (٣) ، واستطاع أن يحصل منه على ما يحتاجه من مال وخيل ، ثم استطاع أن يضم إليه رميثة(٤) بن أحمد بن رميثة بن أبي القاسم ، وأخويه أبي القاسم بن أحمد بن رميثة(٥) والشريف علي أحمد بن رميثة (١) في محاولة فيما يبدو لجمع عدد من الأشراف

---

(١) هو سيسد بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي ، خرج على أخيه بركات في جنوب الحجاز سنة ٩٢٠هـ، وقبض عليه وأرسل إلى مكة . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص١٩٤٨.ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ٢٩٠.

(٢) جازان : اسم يطلق على البلاد التي مدينة جازان قاعدتها الإدارية ، وكانت تعرف سابقاً بالمخلاف السليماني ، نسبة إلى أحد أمرائها وهو سليمان بن طرف الحكمي في القرن الرابع الهجري ، وتمتد حدود جازان من شاطئ البحر الأحمر غرباً حتى حافة جبال عسير شرقاً ، ومن خط حدود المملكة مع اليمن جنوباً حتى وادي حلي شمالاً عبد الرحمن صادق الشريف : جغرافية المملكة العربية السعودية ،ط١، دار المريخ ، الرياض ، ١٤٠٤هـ ، ج٢، ص ١٣٧.

(٣) المهدي بن أبي الغوائر هو الأميرأحمد بن دريب الحسني حاكم جازان في بداية القرن العاشر ويدعى المهدي بن أبي الغوائر ، ساند الشريف سيسد وأتباعه في تمردهم على حاكم مكة بركات ، وأمدهم بما يحتاجونه من الخيل وبعض المال . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٩٤٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ٢٩٠. السخاوي : الضوء اللامع ، ج١، ص٢٩٩.

(٤) رميثة بن أحمد بن رميثة بن أبي القاسم الحسني المكي ، ابن عم بركات ، ساند سيسد في تمرده في المنطقة الجنوبية لمكة وقبض عليه وأرسل إلى مكة . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣،ص ١٩٤٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ٢٩٠.

(٥) أبو القاسم بن أحمد بن رميثة بن أبي القاسم الحسني المكي ، ابن عم بركات، وأخو رميثة كان ممن ساند سيسد في تمرده في المنطقة الجنوبية لمكة سنة٩٢٠هـ وقبض عليه مع الأشراف ،وحمل إلى مكة . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٩٤٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ٢٩٠.

معه لتقوية الثورة ، كما ضم إليهم موسى ابن زويكي [2] شيخ سوادة [3] للحصول على عدد كبير من الأنصار،ثم قام الجميع بالعمل على إثارة الفتنة في المنطقة الجنوبية ، وكان فيما يظهر أن إبراهيم [4] بن بركات بن حسن بن عجلان يحكم هذه المنطقة نيابةً عن أمير مكة بركات بن محمد بن بركات ، فما أن علم إبراهيم بتحركات الأشراف في محيط نفوذه حتى قام بحملة عسكرية مكونة من عربان المنطقة ، وعدد من الفرسان الذين قد أرسلهم بركات مسبقاً لمساعدته في حفظ النظام في منطقته ،و الهجوم على الأشراف ومن انضم إليهم ، وانتصر عليهم وقتل عدد من الرجال، منهم شيخ سوادة موسى بن زويكي ، واستطاع القبض على الأشراف وقيدهم وأرسلهم إلى مكة في شقادف [5] ،و سجنوا في متزل إبراهيم بن بركات ، وما أن وصل خبر سجنهم إلى بركات بن محمد حتى أمر بالصفح عنهم وإكرامهم[6] .

---

(١) علي بن أحمد بن رميثة بن أبي القاسم الحسني المكي ، ابن عم بركات، وأخو رميثة كان ممن ساند سيسد في تمرده في المنطقة الجنوبية لمكة سنة٩٢٠هـــوقبض عليه مع : الأشراف ،وحمل إلى مكة .ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٩٤٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ٢٩٠.

(٢) موسى بن زويكي : هو زعيم قبيلة سوادة ، ساند الأشراف المنشقين على بركات بن محمد سنة ٩٢٠هـــ ، مع أمير جازان أحمد بن دريب ، قتل في معركة مع نائب بركات إبراهيم بن بركات بن حسن بن عجلان ، سنة ٩٢٠هـــ . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٩٤٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ٢٩٠.

(٣) سوادة : هي عزلة من ناحية وصاب السافل ، و المقصود هنا بسوادة قرية من قرى الجعافرة قرب الساحل = =في منطقة جازان .العقيلي : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، مقاطعة جازان ، ص٢٢٠. الحجري، محمد بن أحمد : مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، ط٢،دار الحكمة ،١٤١٦هـــ،ج٣، ص٤٣٤. عمر رضا كحالة :معجم قبائل العرب ، ج ٢، ص ٥٦٣.

(٤) هو إبراهيم بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي ، أخو محمد بن بركات ، أراد مخالفة أخيه محمد بن بركات، وانضم إليه جماعة ، وتوجه بهم إلى جازان لم يوافقه حاكمها وأصلح بينه وبين أخيه الشريف محمد ، وعاد إلى الطاعة . السخاوي : الضوء اللامع ، ج١، ص ٣٣.

(٥) الشقدف : عبارة عن سريرين من الخشب وقاعدتهما من الحبال وعلى حافة كل سرير من الجنب الخارجي والداخلي شبكة من العيدان ويكون أحدهما شقاً وإذا ضم السريران على ظهر الجمل بحبال متينة يكونان شقدفا يوضع عليه قبة من القماش تقي الراكب الشمس والمطر . البتوني ، محمد لبيب : الرحلة الحجازية،ط٢ ،مكتبة المعارف ، الطائف ، ١٤١٥هـــ ، ص ٢١٣.

(٦) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٩٤٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ٢٩٠.

الفصل الثاني : أثر الثورات الداخلية على الأوضاع العامة .

المبحث الأول : أثر الثورات الداخلية على الوضع الديني .

المبحث الثاني : أثر الثورات الداخلية على الوضع السياسي .

المبحث الثالث : أثر الثورات الداخلية على الوضع الاقتصادي .

المبحث الرابع : أثر الثورات الداخلية على الوضع الأمني .

المبحث الخامس : أثر الثورات الداخلية على الوضع الاجتماعي .

المبحث الأول : أثر الثورات الداخلية على الوضع الديني .

كان للثورات الداخلية التي قامت بين أبناء الأسرة الحاكمة في مكة أثر كبير على الوضع الديني ، فمكة قبلة العالم الإسلامي يفد إليها على مدار العام العديد من المسلمين بقصد العبادة في أقدس بقعة على وجه الأرض ، فقيام ثورة بها تشتبك فيها القوات المسلحة في صدام عسكري لا شك أنه يحدث أثراً على وضع الناس الديني في هذا البلد المقدس.

وكان أكبر ضرر للثورات الداخلية على الجانب الديني ما يحدث في مواسم الحج ، فعندما تتزامن الثورة الداخلية مع قدوم الحجاج وتواجدهم في البقاع الطاهرة ، يمتد أثر الثورة إلى حجاج بيت الله الحرام فيحدث لهم ما يعيق أداء بعض جوانب النسك أو يعطل أداء النسك بالكامل ، ومما يساهم في ذلك انشغال السلطة بالتصدي للثورة يجعلها في حاجة

إلى وقت طويل حتى تتمكن من بسط سيطرتها وتوفر للمسلمين المناخ الملائم لأداء العبادات ومن ذلك ما حدث أثناء ثورة الأمير مكثر بعد وفاة والده الأمير عيسى بن فليته سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م حيث لم يستطع الحجاج المبيت بمزدلفة [(١)] وباتوا بعرفة ، وقضوا أيام التشريق[(٢)] بمنى وهم في خوف ورعب ، وعندما دخل الحجاج لطواف الوداع همّ ضعاف الإيمان ممن كان في مكة أن يفتكوا بهم وسبب ذلك ما حصل من منازعات بين المؤيدين للأمير داود بن عيسى وبين المعارضين له وهم أنصار أخيه مكثر ، مما يدل أن الحجاج كانوا يدافعون عن أنفسهم ضد من يحاول الاعتداء عليهم من الخارجين عن السلطة،واستطاع أمير الحاج طاشتكين أن يخرج سالماً من البلد بحنكته العسكرية وعندما خرج الحجاج إلى خارج مكة حصل قتال بين بعض أهل مكة وبين الحجاج سقط فيه عدد من الحجاج قتلى [(٣)] كل هذا والسلطة السياسية غائبة عن الحدث ،مما يدل أنها كانت مشغولة بثورة الأمير مكثر التي اندلعت بعد أن اشتد أمرها في شهر رجب من عام ٥٧١هـ/١١٧٥م، بمعنى أن الأمير داود بن عيسى كان مشغولاً بحماية نفسه ، والمؤكد أن ما حصل من اعتداء على الحجاج لم يكن بعيداً عن تخطيط الأمير مكثر الذي كان يطمع في الإمارة بدل أخيه داود حيث إن الاعتداء على حاج العراق وأميرهم يعني أن صاحب السلطة في مكة لا يستطيع حماية الحاج في

---

(١) مزدلفة : هي مكان بين بطن محسر والمأزمين ، وهي ثاني منازل الحاج بعد الوقوف بعرفة يبيت بها الحاج ليلة العيد الأكبر وهي المشعر الحرام المذكور في القرآن ، وهي تقع في الحرم سميت مزدلفة لمزدلف الناس عنها ، وأنهم لا يقيمون بها يوماً كاملاً . الفاكهي ، محمد بن إسحاق : أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق د عبد الملك بن دهيش ، ط٣، دار خضر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٩هـ، ج٤، ٣١٢. الحموي : معجم البلدان ، ج ٧، ص٢٦٠. الكردي : التاريخ القويم ، ج٥، ص ٣١٥.

(٢) أيام التشريق :هي أيام بقاء الحاج بمنى لأداء ما تبقى من مناسك الحج وهي ثلاثة أيام ، وسميت أيام التشريق لأن الناس كانوا يشرقون القديد .ابن القيم ، محمد بن أبي بكر : زاد المعاد في هدي خير العباد ،تحقيق :محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، ج١، ص ٤٩٦. الفاكهي : أخبار مكة ، ج٤، ٢٦٠.

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٩١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص ٥٣٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٥٦.

الأماكن المقدسة حتى يقضوا مناسك حجهم في يسر وسهولة وأمن ، لذا يحتمل أن تفكر السلطة السياسية في بغداد[1] في تغيير هذا الأمير بمن هو أفضل منه فيتم تعيين الأمير مكثر.

وقد كان الحجاج في فترة الصراع بين الأخوين داود و مكثر في حالة من الخوف من المتربصين بهم من الأعراب الذين كانوا يقطعون عليهم الطريق بين المشاعر المقدسة وخصوصاً بين مزدلفة وعرفات ، مما يدل أن الأمير لم يستطع أن يفرض سلطته على منطقة مكة والقرى المحيطة بها لوجود الخلاف بينه وبين أخيه ، فكل منهما يتربص بالآخر مما جعل لقطاع الطريق واللصوص والمفسدين من القبائل البدوية وغيرهم فرصة في عدم تمكين الحجاج من أداء النسك كاملة ، ومن ذلك أنه في عام ٥٧٩هـ/١١٨٣م لم يتمكن حجاج بيت الله الحرام من المبيت بمنى ، وصعدوا إلى مشعر عرفات خوفاً من غارات الأعراب عليهم [2]، مما يدلنا على غياب الأمير مكثر على رجال البادية القاطنين حول مكة ، وأن هؤلاء الأعراب استغلوا فترة ثورة الأمير مكثر في تحصيل الكسب الحرام من الهجوم على حجاج بيت الله الحرام ، ولولا أن الله سهل للحجاج قدوم الأمير عثمان الزنجيلي [3] من اليمن وقيامه بحماية الحجاج حيث وقف هو و أصحابه لابسين السلاح على طريق الحاج إلى عرفات حتى تم صعودهم لحلت بالحجاج الكارثة من الأعراب المفسدين [4]،ولم يستطع الحجاج الوقوف بعرفة وبهذا يكون الحج قد تعطل نهائياً في ذلك العام ، وعندما نزل الحجاج إلى مكة تعرضوا للأذى من العبيد المتواجدين بها حيث اشتبك العبيد مع حامية الحج

---

(١) بغداد : عاصمة الدولة الإسلامية ، بناها الخليفة أبو جعفر المنصور على الضفة الشرقية لنهر دجلة في العراق لتكون حاضرة الدولة العباسية ، وقد استقدم لبنائها أمهر البنائين من شتى الأقطار ، وهي اليوم عاصمة جمهورية العراق . حسن الباشا : المدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص٧٣.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ١٧٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٤٨. الجزيري : الدرر، ج١،ص ٥٧٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٦٠.

(٣) هو الأمير عثمان بن علي الزنجيلي ، كان نائباً بمدينة عدن للسلطان صلاح الدين الأيوبي ، خرج هارباً من اليمن إلى مكة خوفاً من الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب لما سمع بخروجه إلى اليمن ، بنى بمكة مدرسة ورباطاً عند باب العمرة ، توفي سنة ٥٨٣هـ بدمشق . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢، ص ٣٠٩. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص١٧٣.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ١٧٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٤٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٦٠.

العراقي ، ونتج عنها نهب أمتعة الحجاج ، وتعرضهم لإصابات وجروح من جراء استخدام السلاح للدفاع عن أنفسهم وأمتعتهم [(١)]، كل هذا وسلطة الأمير غائبة عن تسهيل أداء المناسك لحجاج بيت الله الحرام ، وتعدي العبيد على الناس يوحي بأن سادتهم من رجال أهل مكة راضون عن فعلهم ، مما يوحي بأن السلطة كانت لا تستطيع أن تُغضب علية القوم خوفاً من ميلهم إلى الجانب المعارض لها فتغاضت عن تعديهم على حجاج بيت الله الكريم ، وتعطيل نسك فريضة الحج ، ونهب الأمتعة .

استمر الصراع بين الأخوين الأمير داود وأخيه مكثر على الإمارة طيلة حياة الأمير داود ، ووصل أثر صراعهما السيئ على الإمارة إلى الكعبة المعظمة قبلة المسلمين ، حيث قام الأمير داود في عام ٥٨٧هـ/١١٩٠م باقتحام الكعبة المعظمة ونهب ما بها من أموال ، والطوق الفضة الذي كان يحيط بالحجر الأسود [(٢)] وغادر مكة إلى وادي نخلة حيث بقي به حتى وفاته في عام ٥٨٩هـ/١١٩٢م [(٣)] ، وهذا يدلنا على أثر الصراع السياسي على السلطة على الناحية الدينية لدى الحكام أيضاً ،حيث لم يتورع عن اقتحام الكعبة المشرفة ونهب ما بها من أموال قد وضعها المحسنون من المسلمين يبتغون بها وجه الله فحب الإمارة أنساه قدسية الكعبة المعظمة بيت الله الشريف الذي يقصده جميع المسلمين من شتى أرجاء الأرض ويبذلون في سبيل الوصول إليه الغالي والنفيس ، وكثير من قاصديه يكلفه قصده حياته في ذلك الوقت من المشقة وخطر الطريق ، فنجد الأمير الذي ينتسب إلى بيت رسول الله ﷺ والذي هو أولى من يحافظ على مخصصات البيت الحرام يقتحم الكعبة المشرفة ويأخذ ما لها من أموال ، ويغادر إلى وادي نخلة حيث بقي به حتى وفاته عام ٥٨٩هـ/١١٩٢م .

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٤٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧٤.

(٢) كان يحيط بالحجر الأسود طوق من الفضة عمل لمنع تساقط أجزاء الحجر الأسود ، وذلك لأن أحد الباطنية الذين قدموا سنة ٤١٣هـ على الرأي الأرجح ، مع الحاج ، ضرب الحجر الأسود بدبوس ، وكان وزن الفضة ثلاثة آلاف وسبعة وتسعون درهما . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٧، ص٣١٤.ابن كثير :البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٤. باسلامة ، حسين عبدالله ، تاريخ الكعبة المعظمة ، ط٢، تهامة للنشر، ١٤٠٢هـ ، ص ١٥٨.

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٧٧. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢، ٣٤٦. الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٦٧، ج٦، ص ١٢١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص ٥٥٧. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٦٥.

ويدلنا تصرف الأمير داود هذا أن الأمير مكثر قد ضيق على أخيه داود بعد نجاحه في ثورته ضده ، فلم يسمح له بشيء من المال يصرفه في معيشته ، ومن المؤكد أنه صادر جميع أملاك الأمير داود التي كان من الممكن أن تكفيه عن المال الحرام و لم يخصص له ما يكفيه من واردات الإمارة مما دفع الأمير داود إلى هذا التصرف المشين وهو الذي اشتهر بعدله عندما تولى الإمارة بعد وفاة والده سنة٥٧٠هـ/١١٧٤م[١].

وكان من الثائرين على السلطة السياسية في مكة من يستخدم موسم الحج والحجاج ورقة ضغط على الخصم ، ويحاول الحصول على مكاسب سياسية باستغلال قدوم الحجاج ، وبهذا يكون تصرفه وبالاً على الجانب الديني ،حيث يصبح موسم الحج موسم صراع عسكري يفقد الحجاج فيه الفرصة لأداء شعائر حجهم ، هذا إذا لم يتعرضوا للقتل والنهب ومن ذلك مثلاً عندما قام راجح بن قتادة بثورته على أخيه حسن بن قتادة في عام٦١٧هـ/١٢٢٠م قام بقطع الطريق بين مكة وعرفة في أيام موسم الحج [٢] وهو بهذا يقصد الضغط على أخيه حسن بن قتادة ، ويرسل بتصرفه هذا رسالة لأمراء الحاج من شتى الأقطار أن أمير مكة لا يستطيع حماية الحجاج مما يدفعهم لمفاوضة الثائر فيحصل على أمرين : أحدهما الظهور الإعلامي بطلبه لدى السلطات السياسية في العالم الإسلامي ، والثاني إمكانية الحصول على مبالغ مالية لكي يكف أتباعه عن التعرض للحجاج بسوء وإعطاء الحجاج الحرية في أداء النسك ، كما أن تمركزه على طريق الحاج يمكنه من الاتصال بأمراء الحاج الذي يمكن أن يستميل منهم من يتبنى رأيه ويساعده في تحقيق هدفه من ثورته ، وهذا ما تم فعلاً في ثورة راجح بن قتادة حيث استطاع أن يستميل أمير الحاج العراقي الأمير آقباش الناصري إلى صفه ويهاجم بقواته أخاه حسن بن قتادة في مكة ، وطبيعي أن تتأثر تأدية الحجاج للنسك في وضع القتال العسكري ، وقد كادت أن تحصل الكارثة بنهب وقتل الحجاج بعد هزيمة راجح والأمير آقباش ومن معهم ، لولا لطف الله ثم ما قام به حسن بن

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص٦٧،ج٦،ص١٢١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص ٥٣٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٣٩.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص ٣٤٥.اليافعي ، عبد الله بن أسعد : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ط٢،دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ،١٤١٣هـ ، ج٤، ص ٣٦. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٠٢.= =ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٨. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج ٤، ص ٢٣٠.

قتادة من موقف مشرّف بمنع أصحابه من التعرض للحجاج بأذى ، وذلك عندما أرسل بعمامته كدليل على تأمينه للحجاج وردع أتباعه عن النهب والقتل ، ولم يتعرض أتباع حسن إلا لمن كان يحمل السلاح من أعضاء القوة المصاحبة للحجاج [1] ، وبمقتل أمير الحاج وتفرق القوة التي كانت مصاحبة له يجعل الحجاج في وضع سيئ أثناء عودهم إلى ديارهم حيث يصبحون غنيمة سهلة لقطاع الطرق .

ومن ذلك أيضاً عندما تخوف رميثة بن أبي نمي من ثورة قد يقوم بها قومه الأشراف بني الحسن،وحاول أن يستخدم القوات العسكرية المصاحبة لركب الحجاج في عام ٧٤٣هـ/١٣٤٢م في القضاء على قوهم ، فحرض أمير ركب الحجاج المصري على الفتك بالأشراف في يوم الوقوف بعرفة ، فحدث القتال من قبل الظهر إلى غروب الشمس ، وكانت الدائرة على أمير ركب الحجاج وحليفه رميثة حيث كان عدد القتلى في صفوفهم أكثر ، وهذا خزي من الله عز وجل حيث إنهم هم البادئون في القتال بمعنى أنهم هم الذين أضاعوا على الحجاج الشعيرة الكبرى في مناسكهم ، وكان هذا تصرف غير موفق حيث إن القيام بقتال في يوم الوقوف بعرفة يعطل ركن من أركان الحج ،بل أضاع على الحجاج حجهم الذي تكبدوا إليه المشاق وعانوا الصعاب حتى وصلوا إلى المشاعر المقدسة ، فما كان من الحجاج إلا أن تركوا الحضور إلى منى ، ولم يدخلوا مكة لتكملة الشعائر ،وعاد من سلم منهم خائباً خائفاً خاسراً[2] بسبب تصرف سيئ من أمير الحاج و رميثة ، وكان الأولى أن لا يتدخل أمير الركب في صراع عسكري في موقف كهذا في مكان له قدسيته وكان مع رميثة متسع من الوقت لكي يصفي حساباته الشخصية مع قومه دون أن يضيّع على الحجاج حجهم ، ويتحمل إثمهم .

ويبدو هنا أن رميثة قد غرر بأمير ركب الحاج المصري فمن المؤكد أن رميثة خوف أمير الركب من الأشراف وأنهم يخططون لمهاجمة الحجاج ، ولكن كان على أمير الركب أن

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص ٣٤٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٠٢،ج٤، ص ٧٩. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٩٧. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٨٦.

(٢) الفاسي : الشفاء ، ج٢، ص ٤١٧. المقريزي : السلوك ، ج٣، ص ٣٨٩. ابن فهد: إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٢٤. الجزيري : الدرر، ج١، ص٦٤٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٥٠.

يفاوض الأشراف إذا كان لهم نية في مهاجمة الحجاج في محاولة لضمان أداء النسك لحجاج الركب دون أن يدخل في صراع عسكري معهم .

ومن ذلك أيضاً ما حدث للحجاج أثناء الصراع على الإمارة بين أبناء محمد بن بركات سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م ، عندما لم يستطع الحجاج الصعود إلى عرفات خوفاً على أنفسهم من القتل والنهب بسبب الصراع السياسي بين بركات بن محمد بن بركات وأخيه حميضة بن محمد بن بركات وكان أصحاب بركات وبعض اللصوص وقطاع الطرق اعترضوا لأوائل الحجاج الخارجين إلى مشعر عرفات فقتل بعضهم ونهب البعض الآخر ، ولم يستطع بقية الحجاج الصعود إلى عرفات بأمان حتى أقدم أمراء الحاج على التفاوض مع بركات بالسماح للحجاج بأداء النسك برد الأعراب وأتباعه عن التعرض للحجاج ، ولم يوافق حتى تم الاتفاق على أن يحصل بركات على مبلغ ألفي دينار من أخيه حميضة ، ومع هذا أدى الحجاج نسكهم في خوف ووجل لكثرة الأعراب المتربصين بهم ، وكثرة أتباع بركات الذين كانوا يريدون منه إشارة بالانقضاض على الحجاج ، ولكن بركات قام بمنع أتباعه عن التعرض للحجاج ، ومع هذا حصل بعض التجاوزات من عدد من الخارجين عن سلطة بركات في إيذاء بعض الحجاج ونهب أمتعتهم [1].

كان المسجد الحرام بمكة ملجأً للمنهزمين من المتحاربين المحصورين في مكة أثناء الثورات الداخلية ولم يكن يراع المتحاربون للمسجد الحرام قدسيته بعدم سفك الدماء به ، فقد كان الطرفان حريصين على قتل بعضهم ولو في المسجد الحرام بل ولو في جوف الكعبة المعظمة ، فمن ذلك مثلاً في ثورة أبي نمي بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة ، و إدريس بن قتادة عام ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م ضد الأمير اليمني مبارز الدين بن برطاس ، هاجمت قوات الشريفين مكة من جميع الجهات ، وهزموا القوات اليمنية ، وأمام زحف القوات المهاجمة دخل عدد من أنصار الأمير مبارز الدين المسجد الحرام للاحتماء به بعد أن حلت بهم الهزيمة واختلطوا بالناس المتعبدين من طائفين وغيرهم فتبعهم أنصار أبي نمي وإدريس

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج ٢، ص ١٣٣٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٦٥. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨٨. السنجاري :منائح الكرم ، ج٣، ص ١٠٥.

وقتلوهم قتلاً ذريعاً في المسجد الحرام حتى أن الدماء سفكت بالحجر [1] الشريف ، ونتج عن هذا الهجوم بطبيعة الحال تعطل الصلوات المكتوبة [2] وخلو المسجد الحرام من الطائفين والعاكفين والركع السجود وذلك خوفاً من القتل [3] مما يدل أن القوات الثائرة لم تكن تميز بين المقاومين من قوات الأمير مبارز الدين وبين من يقصد المسجد الحرام للعبادة بمختلف أنواعها ، ودخول المسجد الحرام من قبل بعض العسكريين يدلنا على رغبتهم في المحافظة على حياتهم ويعتقد أن المهاجمين سوف يحترمون قدسية المكان فلا يقدمون على قتلهم ، ولكن نستدل من هذا الحدث أن الجند الذين استخدمهم أبو نمي وإدريس كانوا في غالبيتهم من القبائل البدوية المحيطة بمكة والتي تجهل قدسية الحرم الشريف ومكانة المسجد الحرام بالذات من الحرم وقد أعطي لهم الضوء الأخضر في تتبع عناصر القوات اليمنية فلم يكونوا يميزون بين الناس حتى في المسجد الحرام ، والدليل على ذلك غياب الناس عن الصلوات المكتوبة خوفاً من القتل ، هذا ونحن لانستبعد حنق أبي نمي وإدريس من القوات اليمنية فهي التي أخرجتهم في العام السابق ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م بعد هزيمة نكراء قتل فيها عدد من الأشراف [4]، فكان انتقام أبي نمي وإدريس من القوات اليمنية قاسياً جداً حيث تتبعوهم بالقتل حتى في المسجد الحرام وجوار الكعبة المعظمة ، وسقط في هذا التتبع عدد ليس باليسير من السكان وزوار المسجد الحرام من المتعبدين بدليل أن المسجد الحرام خلا من المتعبدين

---

(١) الحجر : هو حجر إسماعيل عليه السلام ، وهو الحائط الواقع في شمال الكعبة المعظمة وهو على شكل نصف دائرة وهو جزء من الكعبة المعظمة ، وذلك لما بنت قريش الكعبة المعظمة نقصت من جانبها الشمالي ستة أذرع وشبرا .الأزرقي : أخبار مكة ، ج١ن ص٣١١. باسلامة ، حسين عبد الله : تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها ، ط٢، تهامة للنشر والتوزيع ،جدة ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٦٢.

(٢) قيل إنه في هذه الثورة لم يصل في مقام إبراهيم عليه السلام بمن كان متواجداً بالمسجد الحرام إلا الشيخ أبو مروان إمام مسجد ميقات قرن المنازل . الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢٤٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٧٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج ٢، ص ٤٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩٩.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ١٥٠، ج٣، ص ١٧٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٧٧. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٧. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٩.

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ١١٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ١٤٩، ج٥، ص ٢٤٨. المقريزي : السلوك ، ج ١، ص ٤٨٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٧٦. يحي بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤٤٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٧.

خوف القتل ، ومع أن الشريفين كانا في موقف الأخذ بالثأر من القوات اليمنية ولكن يجب التفريق بين المحاربين وسكان مكة من أهلها وزوارها و أن يحترم قدسية المسجد الحرام والكعبة المعظمة ، وبهذا كانت الثورة مؤثرة بشكل كبير على أداء العبادات في البلد الحرام عموماً وفي المسجد الحرام خاصة.

ومن ذلك أيضاً أنه في فترة الصراع بين أبناء أبي نمي : حميضة ورميثة ، وعطيفة على الحكم كانت القوات العسكرية التي تقتحم البلد لا تفرق كما أسلفنا بين الناس من محاربين وغيرهم ، فتتعرض للفقهاء والقضاة بالقتل والنهب مثل غيرهم ففي عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م عندما كان حميضة بن أبي نمي يهم بالهجوم على مكة ، خاف القاضي نجم الدين الطبري [١] على نفسه وأهله وأراد الهرب من مكة خوفاً من القتل لأن الهجوم السابق لحميضة في نفس العام قُتل فيه عدد من الفقهاء والمجاورين ،والقاضي نجم الدين الطبري لم يستطع الهرب خوفاً على بناته اللاتي ليس لهن من يدافع عنهن ، وهو لا يستطيع الهرب بهن .[٢]

ووصل أثر الثورات الداخلية إلى كسوة الكعبة المعظمة ، وذلك أن كسوة البيت الحرام كانت تأتي سنوياً من مصر [٣] أو اليمن[٤] وعندما يكون في مكة اضطراب سياسي كان موضوع الكسوة يلحقه الضرر فإما أن تنقطع في العام الذي يشهد الاضطراب أو أنها تتأخر عن موعدها حتى تهدأ الأوضاع ، ومن ذلك أنه في عام ٦٦٩هـ/١٢٧٠م تأخرت كسوة الكعبة عن موعدها فلم تأت إلا بعد الحج وقد كان في هذا العام الصراع بين أبي نمي

(١) هو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطبري ، نجم الدين المكي الشافعي قاضي مكة ومفتيها ، ولد سنة ٦٥٨هـ بمكة ، وتلقى العلم بها على يد والده وعدد من كبار العلماء ، وحصل على إجازات كثيرة من عدد من العلماء ، أفتى مدة وتولى قضاء مكة بعد أبيه مدة تزيد على ٣٥عاماً ، سمع منه عدد من طلبة العلم وحدث بالمسجد الحرام ، توفي سنة ٧٣٠هـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ٣٤٧.

(٢) اليافعي ، عبد الله بن أسعد : مرآة الجنان ، ج ٤، ص ٢٥٩.

(٣) أول من كسى الكعبة المعظمة من سلاطين المماليك السلطان الظاهر بيبرس البندق داري سنة٦٦١هـ . الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ١٣٠.الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص ٢٣٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج١، ص ٢٢٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٨٧.

(٤) حكام اليمن من بني رسول كانوا أول حكام يكسون الكعبة بعد انقطاعها من بغداد نتيجة للغزو المغولي للبلاد ، فقام حكام اليمن بكسوة الكعبة وذلك سنة ٦٥٩هـ ، على يد السلطان المظفر يوسف بن عمر بن رسول . الفاسي : شفاء الغرام ، ج١، ص ٦٣٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٨٣.

وعم أبيه إدريس بن قتادة على أشده [1] و في ٦٧٠هـ/١٢٧١م لم تأت للكعبة كسوتها المعتادة وذلك لأن مكة كانت في حالة اضطراب سياسي للصراع العسكري القائم بها بين أفراد الأسرة الحاكمة [2] ، فقد كان أبو نمي يصارع في سبيل تثبيت نفسه في الإمارة ونتيجة لهذا الوضع السيئ لم ترسل السلطة السياسية في مصر ولا السلطة السياسية في اليمن كسوة للبيت الشريف و لم تقدم كسوة الكعبة إلا في عام ٦٧١هـ/١٢٧٢م بعد هدوء الأمور نسبياً في البلد الحرام وكانت من اليمن[3] بعث بها الملك المظفر[4]، وهنا يتبين غضب السلطة السياسية في مصر من الصراع الدائر في مكة حول إمارتها فلم ترسل كسوة الكعبة المعظمة خوفاً من تعرض موكبها للقتل والنهب ، وكان موضوع الكسوة مهم جداً للسلطة السياسية في مصر فقد كان سلاطين المماليك يحرصون على أن تكون الكسوة التي تعلق على الكعبة المعظمة من قبلهم ، ودليلنا على ذلك أن السلطان قلاوون الصالحي [5] طلب من أبي نمي في تحليفه للقسم على طاعة سلاطين مصرسنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م أنه ينفذ ما اشترط به من أمر الكسوة وذلك بعدم تعليق كسوة على البيت غير كسوة سلطان مصر المملوكي [6]

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ١٥١، ج٣، ص ١٧٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٠٠. الجزيري: الدرر ، ج١، ص ٦٠٣.

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ١٠١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٠٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٢١.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص١٨٤.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ١٠١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٠٤ .

(٤) هو الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول صاحب اليمن ، تولى السلطنة بعد أبيه سنة٦٤٧هـ ، استولى على سائر بلاد اليمن وضم مكة المكرمة بعد أن أرسل لها قائده ابن برطاس سنة٦٥٢هـ ثم أخرج منها بعد ثلاثة أشهر ، حج سنة ٦٥٩هـ ، وتصدق على أهل مكة والحجاج والمجاورين بأموال كثيرة ، اهتم بكسوة الكعبة= =المعظمة ، له أعمال معمارية عديد ة بمكة المكرمة ، كان له إلمام بالعلم ، كان يحب العلماء ويكرمهم ، توفي سنة ٦٩٤هـ . الفاسي العقد الثمين ، ج٦، ص ٢٥٣. الزركلي : الأعلام ، ج٨، ص ٢٤٣.

(٥) هو السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي ، كان من جنس القبجاق ، جُلب إلى مصر وهو صغير وتدرج في مناصب الدولة حتى صار أتابك العسكر في سلطنة الملك العادل سلامش بن الظاهر ، ثم خلع الملك العادل واستولى على الحكم سنة ٦٧٨هـ،كان من خيرة سلاطين المماليك ، توفي سنة ٦٨٩هـ المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ١٢٢، ١٢٧. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٧، ص ٢٩٢.

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج١٣، ص ٣١٨. الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٥٣. حمادة ، محمود ماهر: الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ص ٢٤٤.

وكان من أثر الثورات الداخلية أن بعض حكام مكة يمنعون الناس من الدخول إلى الكعبة المعظمة[1] ولا يسمحون لأحد بالدخول إليها إلا بمبلغ من المال ، وقد حاول سلاطين المماليك أن يمنعوا هذا الأمر المشين ، وأخذوا عليهم العهود والمواثيق بأن يجعلوا دخول المسلمين للبيت الحرام سبيلاً في أيام موسم الحج بدون مقابل ، كما خصصوا المبالغ المالية لهم لكيلا يطمعوا في أخذ أموال الناس من هذا الوجه منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس عندما حج عام ٦٦٧هـ [2] ثم جدد العهد والميثاق على أبي نمي بن أبي سعد في سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م في عهد السلطان قلاوون الصالحي [3]

وقد وصل أثر الثورات الداخلية إلى ظهور المذهبية الدينية في مكة ، فقد كان حكامها من الأشراف على المذهب الزيدي [4] ومنذ أن دخلت البلاد تحت سيادة حكام مصر منذ عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م فقد حرصت السلطة السياسية في مصر على عدم ظهور شعائر المذهب الزيدي ،منذ عام ٥٨١هـ/ ١١٨٥م عندما قدم الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين [5] بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين إلى

(١) كان الناس يرغبون في الدخول إلى داخل الكعبة المعظمة والصلاة فيها إقتداءً برسول الله ﷺ عندما دخل الكعبة المعظمة وصلى فيها في عام الفتح .

(٢) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٣٥٤. ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص ٤٤٧. النويري : نهاية الأربج٣٠، ص١٦٦. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٤٠٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٩٦.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ١٥٤. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ١٥٧. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٣، ص ١١٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٨.

(٤) المذهب الزيدي : هو أحد مذاهب الشيعة وأتباعه يقولون بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان قد خرج زيد بن علي في خلافة هشام بن عبد الملك ، وهم ينقسمون إلى ثلاث فرق : الجارودية ، والسليمانية ، والنبوية ، وأتباع المذهب الزيدي هم أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة ، حيث تتصف بالاعتدال والقصد والابتعاد عن التطرف والغلو . البغدادي ، عبد القاهر : الفرق بين الفرق ، ص١٦.ابن الأكوع، إسماعيل : الزيدية نشأتها ومعتقداتها ، ص ١١. الندوة العالمية للشباب الإسلامي : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص ٢٥٧.

(٥) هو الأمير سيف الإسلام طغتكين بن أيوب بن شاذي ، دخل اليمن سنة٥٧٩هـ فملكه جميعاً ، وحارب الزيدية ، ملك أربع عشر سنة ، ودخل مكة المكرمة سنة ٥٨١هـ ، فاستولى عليها ، ومنع الأذان بحي على خير العمل ، وضرب الدراهم باسم السلطان صلاح الدين ، ثم عاد إلى اليمن ، ومات في شوال سنة٥٩٣هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢١، ص ٣٣٣. الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٢٩٤.

مكة ، ومنع شعار المذهب الزيدي من الأذان في المسجد الحرام وهو قول حي على خير العمل [١] في محاولة لطمس تعاليم الشيعة من جميع البلاد التي تسيطر عليها الدولة الأيوبية [٢]، وتلت دولة المماليك سابقتها الدولة الأيوبية في منع شعار المذهب الزيدي من مكة وذلك بإرسال الخطابات إلى أمرائها بمنع ذكر شعار المذهب الزيدي في الأذان ومن ذلك في عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢م أرسل السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى أبي الغيث وأخيه عطيفة ابني أبي نمي بأن يمنعوا ذكر شعار المذهب الزيدي من الأذان بالمسجد الحرام وأن يمنعوا إمام الزيدية من الصلاة بأتباعه [٣] في المسجد الحرام [٤] وفي نفس الوقت لم يحاول حكام مكة فرض المذهب الزيدي على الناس ، وكانوا متسامحين كثيراً في مسألة المذهبية ، ولكنهم لم يتركوا اعتناقهم لهذا المذهب بدليل أن رميثة بن أبي نمي أظهر شعار مذهب الزيدية في عام ٧٢١هـ/١٣٢٠م [٥] مما يدل على بقاء أتباع المذهب من أبناء البيت الحاكم وعشيرته .

وقد أستغل أخوه عطيفة هذا التصرف فكتب إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بما صنع رميثة في محاولة لكسب السلطة السياسية في مصر لصفه ، فغضب السلطان الملك

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٢٩٤. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٥٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٤٧.

(٢) السلطان صلاح الدين أخذ على عاتقه القضاء على المذهب الشيعي في المناطق التي كانت تسيطر عليها الدولة الفاطمية بعد قضائه على سلطتها السياسية والدينية في مصر ، وقد كانت الدولة الفاطمية في عصر قوتها تسيطر على الشام ومصر والحجاز وجزء من شمال أفريقيا . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج٤، ص١٩٦.

(٣) كان لطائفة الزيدية بمكة إمام يصلي بأتباعه بين الركن اليماني والحجر الأسود في فترات متقطعة ، وكان إذا صلى صلاة الصبح و المغرب دعا بدعاء مبتدع وجهر به صوته وهو ((اللهم صل على محمد وعلى آل بيته المصطفين الأطهار ، المنتخبين الأخيار ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ،اللهم انصر الحق= =والمحقين واخذل الباطل والمبطلين ، ببقاء ظل أمير المؤمنين ، ترجمان البيان ، وكاشف علوم القرآن ، الإمام محمد بن المطهر يحيى بن رسول الله ﷺ الذي بالدين أحيا ، إمام المتقين وحجاب الضالين ، اللهم انصره وشعشع أنواره ، واقتل حساده ، واكبت أضداده)). الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢١٤. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص ١٨٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٨٠. ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٢، ص ٦٦. التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص٢٩٧.

(٤) المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٣٦٢. العيني : عقد الجمان ،ج ٤، ص ٢٦٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٣٦. الجزيري : الدرر ، ج١،ص ٦١٦.

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ١٠٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٧٣.

الناصر غضباً شديداً على رميثة [1] ويبدو أن سبب قيام رميثة بإظهار مذهب الزيدية هو رغبته في استمالة الأشراف بني حسن إلى جانبه ، فقد سبق إظهار رميثة لمذهب الزيدية أن حلف له بنو حسن [2] ، فالمؤكد أن إظهاره لمذهب الزيدية كان بناءً على اتفاق مع الأشراف بني حسن الذين يعتنقون هذا المذهب[3] بأن يناصروه في مقابل عدم التعرض لإمام الزيدية في المسجد الحرام ، وهو بهذا الاتفاق يريد أن يقوي نفوذه و يجمع أنصاراً أقوياء يكونون موالين له ، حتى يتمكن من فرض نفسه على السلطة السياسية في مصر التي كانت في جانب أخيه عطيفة أمير مكة ، فالقوة العسكرية المصرية في مكة [4]كانت مساندة لعطيفة ، فأراد رميثة أن يوازن أخاه عطيفة في القوة باستمالة بني حسن إلى جانبه ، في رسالة للسلطة السياسية في مصر بأن له من القوة والمناصرين ما يتطلب منها أن تعيد حساباتها في مسألة الولاء له ، فأثمر هذا إشراك رميثة بن أبي نمي مع أخيه عطيفة في الإمارة في سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٣م[5] .

وكذلك أيضاً ما قام به ثقبة بن أبي نمي عندما حاول أن يكسب الطرفين السلطة السياسية في مصر والأشراف بني الحسن في الحجاز فيظهر أنه تعهد للسلطة السياسية في مصر بعدم دعم الزيدية،وذلك عندما سافر إلى مصر في عام ٧٥٢هـ/١٣٥١م وذلك بعد أن انحاز الأشراف إلى صف أخيه عجلان مما جعل السلطة السياسية في مصر تعينه أميراً

---

(١) الفاسي :العقد الثمين ، ج ٤،ص ١٠٥،ج٥، ص ٢١٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٧٣ .ابن فهد: غاية المرام ، ج٢، ص ٨٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٧.

(٢) الفاسي :العقد الثمين ، ج ٤،ص ١٠٥،ج٥، ص ٢١٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٧٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٧.

(٣) كان بنو حسن الذين ينتسب إليهم الأشراف بمكة ا على المذهب الزيدي ، فالشريف أبي نمي كان زيدي المذهب ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٧٨. التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص٢٩٧.

(٤) عندما حج السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٠هـ سأله المجاورون بمكة ومن بها من التجار أن يخلف عسكراً يمنع حميضة من غزو مكة ، فجرد ممن كان معه الأمير شمس الدين آق سنقر وترك معه ١٠٠فارس ،= = =فكانت قوة عسكرية موالية لأمير مكة من قبل السلطة المصرية . الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٥١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٦٧. ابن فهد : غايةالمرام ، ج ٢، ص ٦٦.

(٥) الفاسي :العقد الثمين ، ج ٤،ص ١٠٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣،ص ١٧٨. ابن فهد : غايةالمرام ، ج ٢، ص ٩٠.

بمفرده[١]، وعندما عاد إلى الإمارة لم ينفذ رغبات السلطة السياسية في مصر في موضوع المذهب الزيدي ، فكان إمام الزيدية يؤدي الصلاة بأتباعه في المسجد الحرام [٢]،ويظهر أن هذا الموقف من ثقبة أغضب السلطة السياسية في مصر مما جعلها تفكر في إعادة تولية أخيه عجلان في سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣م[٣] ، وقد تتبع عجلان مشايخ المذهب الزيدي في مكة في مسعى لإرضاء السلطة السياسية في مصر ، مما دفع بعضهم لإعلان توبتهم وترك المذهب ، ومن ذلك كبير الزيدية بمكة في ذلك الوقت أبو القاسم بن الشقيف اليمني[٤].

ويظهر أن عودة بعض كبار الزيدية عن اعتناق المذهب الزيدي كانت خوفاً من عجلان في ذلك الوقت ، ورغبة في تهدئة الأوضاع عنهم فترة من الزمن يدلنا على هذا بقاء أتباع المذهب الزيدي حتى القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي وذلك أن ابن كبير الزيدية أبا القاسم بن الشقيف اليمني ويدعى علياً [٥]، كان على المذهب الزيدي ويقوم بشعائر الزيدية في مكة في أوائل القرن التاسع [٦].مما يدل أن المذهب الزيدي بقي له من يقوم بشعائره لأتباعه وأن عودة كبارهم كانت مجرد كسب الوقت وتهدية الأوضاع .

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٢٥٧. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص١٤٦. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٠، ص ٢٦٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٣٢.ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٥٣.

(٢) المقريزي : السلوك ، ج٤، ص ١٨٦.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٦١. الجزيري : الدرر، ج١،ص ٦٥٥. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢،ص ٣٦٣.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ١٩٢. ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٣، ص ٢٦٠ . ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٣٣.

(٤) هو أبو القاسم بن محمد بن حسين بن محمد المعروف بابن الشقيف ، كان كبير الزيدية في مكة ، عقدله مجلساً بحضرة القاضي عز الدين بن جماعة بمكة واستتيب فيه وأشهد على نفسه ، أنه تبرأ إلى الله من اعتقاد أهل البدع الزيدية والإمامية وغيرهم ، وذلك خوفاً من العقاب ، توفي بمكة سنة ٧٦٠هـ . الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص ٣١٣. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص ٢١٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٦٥.

(٥) هو علي بن أبي القاسم بن محمد بن حسين اليمني المعروف بابن الشقيف الزيدي ، كان من أعيان الزيدية بمكة ممن يفتيهم ، ويعقد لهم الأنكحة ، توفي في السادس عشر من ذي القعدة سنة ٨١٦هـ ودفن بالمعلاة . الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢٩١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٥١٣.

(٦) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢٩١.

كان من الأشراف من يستغل موسم الحج والحجاج لتحقيق أهدافه السياسية ، حيث أن حملة الحجاج يصاحبها في الغالب قوة عسكرية مهمتها حفظ الحاج من قطاع الطرق ، فعندما تقترب الحملة من مكة يقابلها من الأشراف من يريد استخدامها لتحقيق أهدافه ، وإذا لم يوافق أمير الحملة على مطالبه يهدده بالهجوم على الحجاج وقتلهم ونهب ما معهم من أموال ، ومن ذلك مثلاً ما حدث في عام ٧٥٣هـ/١٣٥٢م عندما اعترض ثقبة بن رميثة حملة الحاج المصري التي كانت بقيادة الأمير طيبغا المجدي[1] وطلب منه أن يحارب معه أخاه عجلان بن رميثة وذلك لرفض عجلان التنحي عن الإمارة لأخيه ثقبة الذي يحمل مرسوماً سلطانياً بتعيينه بمفرده كان قد استصدره في العام السابق ٧٥٢هـ/١٣٥١م[2] وعندما رفض أمير الحاج المصري أن يحارب مع ثقبة هدده ثقبة بأنه سوف يمنع الحجاج من دخول مكة ، بمعنى أنه سوف يحاربه وينهب الحاج ، ويمنعه من أداء النسك ، وقام فعلاً بإلباس أتباعه السلاح والتهديد بالحرب ، فما كان من أمير الركب الأمير طيبغا المجدي إلا أن عرض على ثقبة التوسط بينه وبين أخيه عجلان في أمر الإمارة ، وكان يصاحب ركب الحاج القاضي عز الدين بن جماعة فكان له دور في التوصل إلى حل يرضي الطرفين حيث تم الصلح آخر الأمر على أن يشترك الأخوان عجلان و ثقبة في الإمارة [3]، وبهذا سلم الحاج من القتل والنهب .

ومن ذلك مثلاً ما حدث عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م عندما اعترض هزاع بن محمد بن بركات ركب الحاج المصري ، واستطاع أن يستميلهم لصالحه حتى تمكن من الاستفادة بهم في قتاله مع أخيه بركات في معركة دامية وقعت بينهما في وادي مر، وتحقق له النصر بفضل الله ثم بمساعدة القوة العسكرية المصاحبة لركب الحاج المصري ، وعلى أثر انتصاره استطاع

---

(١) الأمير طيبغا المجدي علاء الدين ، من الأمراء القدم في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، حج في آخر أيام السلطان ، وتولى نيابة حماة مرتين ، ثم طلب إلى مصر وأقام بها أميراً كبيراً ، قدم مع السلطان الملك الصالح صالح الشام في واقعة بيبغا آروس . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٦، ص٢٩٣. ابن العماد : الدرر الكامنة ، ج ٢، ص ٢٣٠.

(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٠، ص ٢٦٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٥٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٣٢. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٥٧.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٢٥٧.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٥٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٣٢. الجزيري : الدرر ، ج٣، ص ٦٥٢.

أن ينتزع الإمارة من أخيه بركات بن محمد [(1)]، وهنا يتبين لنا أن ركب الحاج كان بين نارين: إما أن يرفض مساعدة هزاع وبهذا يعرض ركب الحاج لعدم أداء النسك وللقتل والنهب والسلب طوال المسافة بين ينبع ومكة وهي مسافة ينعدم فيها الأمن في الأوقات العادية فكيف في وقت حدوث الثورات والتمرد على السلطة السياسية في البلد الحرام ، أو أن يوافق على المساعدة ، فيفقد مساعدة أمير مكة في المناطق التي تكون تحت سيطرته ، وبهذا يقوم قائد الركب بتقدير الموقف بما يعود عليه وعلى الحاج بالسلامة ، وبأخف الضررين .

من ذلك أيضاً عندما اعترض جازان بن محمد ، ويحيى بن سبع ركب الحاج المصري سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م الذي كان بقيادة الأمير أصطمر ، وحاولا كسب ولاء قائد الركب إلى صفهم في حرب بركات بن محمد ، فلم يفلحا في ذلك ، وكان أمير الركب يحاول طوال الطريق أن يتجنب الاصطدام معهما حتى وصل إلى مكة ، وتبين بعد ذلك رغبته في مساندة بركات بن محمد ، فكان هذا الأمر دافعاً لجازان وأتباعه بمهاجمة ركب الحاج الشامي ، فحلت الكارثة الكبيرة به حيث قتل رجال الركب و لم يسلم منهم إلا عدد قليل جداً وأسروا النساء ، ومن سلم منهم مات جوعاً وعطشاً في الطريق إلى مكة [(2)]

وقد كان موقف الأمير أصطمر هذا وبالاً عليه حيث ترتب عليه أن يواجه المخاطر في طريق عودته إلى مصر حيث سوف يمر بأراضي القبائل الثائرة على أمير مكة والتي تناصر جازان وحليفه يحيى بن سبع أمير ينبع ، وقد قام الأمير أصطمر بمحاولة لتفادي هذا الأمر بأن اصطحب معه بركات بن محمد في طريق عودته مما جعله ملزماً بدخول صراع عسكري إلى جانبه مع قوات جازان وأتباعهم انتهى مع الأسف بهزيمة ساحقة لبركات والأمير أصطمر

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢،ص ١١٦٣.ابن فهد : غاية المرام ، ج ٣، ص ١٠٢. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٦٢٦. العصامي : سمط النجوم العوالي : ج٤، ص ٢٩٦.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٢١٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٢١. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص٣٦.الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨١. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٩٨.

وقواهما وقتل من ركب الحاج العدد الكبير جداً من الرجال ونهبت أمتعته عن بكرة أبيها وبيعت بأبخس الأثمان (1)

وكان هذا نتيجة مواقف الأمير أصطمر التي لم تأخذ مبدأ الحياد في الصراع بين الطرفين منذ قدومه وحتى عوته وقد طلب منه جازان أن يتجنب الصراع ويأخذ الحاج ويمضي في طريقه ولكنه لم يوافق وذلك ربما خوفاً من عدم صدق جازان ، وأن ما عرضه خدعة القصد منها تفريق القوات حتى يستطيع القضاء عليها منفصله ، ومع مواقفه التي كانت لصالح بركات لم يطلب الأمير أصطمر نجدة من مصر لتأمين طريق العودة للحجاج بل اعتمد على قواته وقوات حليفه بركات ، ومنيت بالهزيمة

ومن آثار الثورات الداخلية ظهور بعض الأمور المحرمة حيث يستغل بعض الناس من ضعاف الإيمان الوضع المضطرب بين المتنازعين في التقرب لبعضهم بتقديم بعض الخدمات المحرمة عن طريق السحر (2) والشعوذة (3) للحصول على المال ، وهذا يدلنا أن بعض المتنازعين كان يلجأ إلى بعض هؤلاء للوصول لتحقيق أهدافه عن طريق ما يقدمونه من خدمات قد تضر بخصمه ، وتبين لنا هذا أن هزاع بن محمد بن بركات عندما دخل مكة بعد انتصاره على أخيه بركات بن محمد سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م أمر بشنق ابن الأحمر اليمني(4) على طريق المعلاة متهماً إياه بأنه قد عمل له سحراً ، وقد كان يعرف عن ابن الأحمر اليمني أنه يتعاطى بعض أعمال الشعوذة ، وكان مقيماً عند بركات بن محمد(5).

---

(١) ابن فهد :بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٢٢٤. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص٣٧. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٢٧.

(٢) السحر : عمل تقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه ، وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره ، ويجري مجرى التمويه والخداع . ابن منظور : لسان العرب ، ج٦، ص ١٨٩. المقري : المصباح المنير ، ج١، ص٢٦٨.

(٣) الشعوذة : هي خفة اليد ،أخذ كالسحر يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين . ابن منظور : لسان العرب ، ج٧، ص ١٣١.

(٤) ابن الأحمر اليمني : كان يقال عنه أنه يضرب بالرمل ، وهو من أعمال الشعوذة ، وقد كان يقيم عند بركات بن محمد أثناء الخلاف بين الأخوين هزاع وبركات ، أمر بشنقه هزاع في يوم الجمعة الواحد والعشرين من جماد الأولى ، متهماً إياه بأنه قد سحره . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٩٢.

(٥) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٩٢.

كما حدث في نفس الظروف أن تم حبس امرأة تركمانية [1] يوم الاثنين تاسع شهر جماد الثاني في مكة ، وذلك لأنها أدعت أنها تستطيع عمل سحر لهزاع بن محمد يموت بأثره بعد ثلاثة أيام ، فأمر بها إلى السجن [2]

وبهذا يتبين لنا أن ظروف الثورات كانت مجالاً خصباً لخروج مثل هذه الأمور المحرمة من ضعاف الإيمان الذين يكون هدفهم جمع المال ، مستغلين الظروف التي يعيشها بعض الأفراد من علية القوم وعامتهم ، في إيهامهم بأنهم يستطيعون أن يجلبوا لهم الخير ويسيئوا لأعدائهم في أعمال متقربة إلى الشيطان الرجيم متناسين غضب الله سبحانه وتعالى وعقابه.

---

(١) قدمت هذه المرأة إلى زوجة عياف بن محمد بن علي بن حسن بن عجلان ، هيف بنت محمد بن بركات ، وقامت بإخراج مشاق وغيره من أدوات ، و أحضر لها قارورة بها ماء فقامت بعمل سحر حتى صار الماء دماً ، فلما تحقق منها ذلك ضربها عياف بن محمد على خشمها حتى سال الدم ، وأرادوا شنقها ، ثم أمر بها إلى الحبس فحبست ، ثم عزرت مقلوبة على حمار في شوارع مكة . المصدر السابق ، ج٢، ص ١١٩٧.

(٢) المصدر السابق ، ج٢، ص ١١٩٧.

المبحث الثاني : أثر الثورات الداخلية على الوضع السياسي :

عندما قامت الدولة الأيوبية عام ٥٧٠هـــ/١١٧٢م كانت إمارة مكة في يد الأمير عيسى بن فليته وقد توفي في الثاني من شعبان من نفس السنة فتولى الحكم بعده ابنه الأمير داود بن عيسى وكان هذا بعهد من والده الأمير عيسى [١]، وهذا يدل أن إمارة مكة كانت شبه مستقلة استقلالاً ذاتياً حيث إن الأمير يختار من يخلفه في منصب الإمارة دون إذن من الخلافة العباسية في بغداد أو السلطان صلاح الدين في مصر مما يدل أن أمراء مكة حاولوا أن يكونوا بمنأى عن التدخل الخارجي المباشر للقوى السياسية الكبرى سواءً في بغداد أو في مصر ، وقد تجنبوا التدخل المباشر بالدعاء على منبر المسجد الحرام للسلطان صلاح الدين وللخليفة العباسي وخصوصاً بعد حملة الملك المعظم توران الشاه التي قدمت إلى مكة في

---

(١) الفاسي : العقد ، ج٥، ص ٤٣٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص ٥٣٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٢٧. ابن ظهيرة الجامع اللطيف ، ص٢٦٩.العصامي : سمط النجوم العوالي ،ج٤، ص ٢٢٠. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص٣١. عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص ٤٢.

طريقها إلى اليمن في عام ٥٦٩هـ/١١٧١م[1]، ومع هذا لم يحاول الأيوبيون التدخل المباشر في شؤون الإمارة حيث اكتفوا بإعلان أمراء مكة بالتبعية لهم وللخلافة العباسية فالملك المعظم توران شاه في حملته التي كان هدفها الأول ضم اليمن لم يغير في وضع مكة السياسي وعند عودته من اليمن إلى مصر في عام ٥٧١هـ/١١٧٥م وجد ابني الأمير عيسى بن فليته مختلفين حول منصب الإمارة فاكتفى الملك المعظم توران شاه بأن جمع الأخوين الأمير داود والأمير مكثر وأصلح بينهما دون أن يتدخل في شؤون الإمارة [2] وهذا يدل أن صلاحيات الملك المعظم لم تكن تشمل العزل والتعيين في الإمارات التابعة للدولة الأيوبية ، ويدل أيضاً أن أمراء مكة كانوا يحظون بتقدير كبير من رجال الدولة الأيوبية ، وذلك لقدسية المكان الذي يحكمونه .

وفي الوقت الذي لم يتدخل بنو أيوب في شؤون مكة بشكل مباشر ، نجد أن الخلافة العباسية تحاول التدخل في شؤونها بشكل أكثر فقد كانت تصدر التعيين لأمير مكة ، ويقوم بتنفيذه أمير الحاج العراقي ، فقد أمر الخليفة العباسي بعزل الأمير مكثر بن عيسى بن فليته في عام ٥٧١هـ/١١٧٥م وتعيين الأمير قاسم بن مهنا الحسيني ، ولكن الأمير قاسم بن مهنا عرف أنه لن يستطيع البقاء في محيط لا يُكَنّ له بالولاء فيه، وليس له به أنصار فترك الإمارة بعد ثلاثة أيام مما جعل أمير الحاج العراقي يعين الأمير داود بن عيسى بعد أخذ العهود والمواثيق عليه [3] .

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٨، ص٣٠١. القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤، ص٢٧٦. الفاسي : العقد ، ج١، ص ٣٤٢. فاروق فوزي : المدخل إلى تاريخ آل البيت ، ص٢٩٢. جميل حرب : الحجاز و اليمن في العصر الأيوبي ،ص٢٩. فريال قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص١٧٥.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص٦٧، ج٦، ص١٢١. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٣٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧٠. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص٣١. فريال قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص١٧٧.

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٠، ص٥٣١.ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص١٣٧. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٧. ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ج٢، ص١٢٣. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٣٩.ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٣٥.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٣٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧١. ابن ظهيرة الجامع اللطيف ، ص٢٦٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٥٦. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٠٦.

لقد كانت ثورة الأمير مكثر بن عيسى بن فليته ضد أخيه الأمير داود بن عيسى عام٥٧١هـ/١١٧٥م[١] السبب المباشر لتدخل الخلافة العباسية بهذا الشكل في الجانب السياسي من تولية وعزل ويبين لنا هذا أن الخلافة العباسية لم تعترض على تعيين الأمير داود في بداية ولايته بعد وفاة والده في شعبان سنة ٥٧٠هـ/١١٧٢م فعندما قدم ركب الحجاج العراقيين في نفس العام لم يتدخل في أمورها السياسية ، ولكن ما حدث من اختلال أمني في موسم حج عام ٥٧٠هـ/١١٧٢م بسبب التنازع على الحكم أدى إلى إلحاق الضربالحجاج[٢] ، ثم ما تلاه من ثورة من قبل الأمير مكثر بن عيسى في العام التالي دفع الخلافة العباسية إلى التدخل بشكل مباشر في أمر تولية أمير مكة من قبلها .

ويبدو أن الخلافة العباسية قبلت بتولية الأمير مكثر بعد أن تغلب على أخيه الأمير داود للمرة الثانية لأنها تيقنت أن الأمير مكثر أقوى في إدارة البلاد من الأمير داود يدل على هذا أن الخلافة العباسية لم تعد تتدخل في شأن إمارة مكة بعد عام ٥٧١هـ/١١٧٥م ، فقد قدم ركب الحاج العراقي في عامي ٥٧٢هـ/١١٧٦م و٥٧٣هـ/١١٧٧م وأمير مكة الأمير مكثر[٣] الذي سبق أن عزلته الخلافة العباسية و لم يحدث صدام بين الطرفين مما يدل أن الخلافة العباسية كان يهمها في المقام الأول سلامة حجاج العراق والدعاء للخليفة على منبر المسجد الحرام ، فعندما يتحقق هذا لا تفكر في تغيير الأمير ، ويبدو أن الأمير مكثر قد تعهد بهذا فقد استقبل الخليفة العباسي المستضيء (٥٦٦-٥٧٥هـ)في بغداد ابن أمير مكة في شهر

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٦٧، ج٦، ص ١٢١. الفاسي :شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٣٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ٥٣٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٣٩.الجزيري ،الدرر ، ج١، ص ٥٧٠. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٠٦.

(٢) حدث في موسم حج عام ٥٧٠هـ أن هوجم مخيم الحاج العراقي عندما كانوا يستعدون للعودة إلى العراق بعد انتهاء شعائر الحج ، وقتل بعض الحجاج وجرح بعضهم ، ويبدو أن المهاجمين كانوا من اللصوص الذين كانوا= =يريدون نهب أموال الحجاج وأمتعتهم ، ويدل هذا على ضعف الناحية الأمنيةً بسبب خلافات الأسرة الحاكمة مما جعل الأمير داود ينشغل بها عن توفير الحماية الكافية للحجاج ، وأدى هذا إلى غضب الخلافة العباسية . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٣٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٠.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٤١،٥٤٠.

رجب عام ٥٧٣هـ/١١٧٧م ، وخلع عليه [١] وأكرمه[٢] ومن المؤكد أنه ابن الأمير مكثر لأن والده الأمير مكثر بن عيسى كان أميراً لمكة في ذلك العام ، حيث إنه أرسل ابنه إلى الخليفة العباسي لتوثيق العلاقات وتحسينها بين الطرفين ، مما يدل أن الأمير مكثر قد أخذ درساً قوياً من تصرف الخلافة العباسية في عام ٥٧١هـ/١١٧٥م وأن العلاقة بدأت تتحسن بين الطرفين .

لم يقم قتادة بن إدريس بن مطاعن الذي استولى على إمارة مكة من الأمير مكثر في عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م[٣] بتغيير ولاء الإمارة عن السيادة العباسية فقد أعلن تبعيته الاسمية للخلافة العباسية عندما خطب باسم الخليفة الناصر العباسي [٤](٥٧٥-٦٢٢هـ) ويعتبر تصرف حسن من قتادة حتى لا يثير ضده الخلافة العباسية فيكسب عداءها مما قد يفقده إمارة مكة ، كما أن الخلافة العباسية لم تنظر إلى قتادة على أنه خارج على الدولة ومعتد على أمراء مكة عندما علمت بموقفه منها مما يدل أن الخلافة العباسية كانت تقبل بالسلطة الاسمية على الحرمين الشريفين للمحافظة على مكانتها في نظر العالم الإسلامي ثم على سلامة حجاج العراق .

وقد أحدثت ثورة قتادة اتساع نطاق إمارة مكة حيث شملت جميع المناطق الممتدة من مكة حتى منطقة ينبع موطن قتادة التي قدم منها عندما قرر ضم مكة إلى منطقة نفوذه ،

---

(١) خلع عليه : بمعنى ألبسه خلعة وهي صفة للرضا والتكريم وهي كسوة من الخليفة أو السلطان أو الأمير تعطى للشخص دليل الرضا عنه وكانت تعطى عادة لأصحاب المناصب في الدولة ، وكانت بداية تسميتها بهذا الاسم أن الخليفة أو السلطان يخلع رداءه ويعطيه الشخص الذي يريد تكريمه دليلاً على رضاه عنه ومكافأة له ، ثم أصبحت عادة تعمل لكل الأمراء وأصحاب الوظائف الحكومية . ماير : الملابس المملوكية ، ص١٠١.ابن منظور : لسان العرب ، ج٤، ص ١٧٩. أنيس منصور : المعجم الوسيط ، ص٢٧٣.

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٠، ص ٥٣١.

(٣)ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص١٣٥. ابن عنبة : عمدة الطالب ، ص ١٠٩. الفاسي : شفاء الغرام= =، ج٢، ص٣٤٠. الفاسي : العقد ،ج١، ص٣٢٩، ج٥، ص٤٦٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٦٦.ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٥١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٧. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٠٨.عبد الكريم الخطيب ، تاريخ ينبع ، ص٢٢٣.

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص١٣٥. القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤،ص ٢٧٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٤٧١. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٢٣. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٣٧.

وكان أهل ينبع جميعاً قد قدموا له الولاء والطاعة قبل أن يقوم بثورته [1] وبعد أن استقر حكمه قام بتحصين ينبع حيث بنى قلعة لحمايتها من أي غزو خارجي [2] ، ويبدو أنه أراد بتصرفه هذا أن يجعل من ينبع حصناً منيعاً يلتجئ إليه عندما يتعرض لخطر كبير في مكة .

وكان قتادة واسع الطموح فقد حاول أن يوسع نطاق إمارته فقام بمحاولات عسكرية لضم المدينة المنورة وذلك لأن المدينة المنورة أصبحت بين أملاك قتادة في ينبع ومكة وجدة ، فقام بمهاجمتها والدخول مع أمرائها في مصادمات عسكرية دامية ، وكاد أن يستولي عليها ويضمها إلى أملاكه وقد استمات أمير المدينة المنورة الأمير سالم بن قاسم الحسيني وخلفاؤه في الدفاع عن المدينة المنورة [3] مما جعل محاولات قتادة تبوء بالفشل ، ومع هذا لم يتوان قتادة عن محاولاته حتى كان آخرها قبيل وفاته بأيام بسيطة [4]

كما أنه قام بمهاجمة مدينة الطائف عام ٦١٣هـ/١٢١٦م واستطاع أن يضمها إلى أملاكه بعد أن فتك بأهلها من رجال قبيلة ثقيف في معركة دامية ، ووضع عليها نواباً له يقومون بحفظها [5].

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص١٣٥. ابن عنبة : عمدة الطالب ، ص ١٠٩. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٠. الفاسي : العقد ، ج٥، ص٤٦٣. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٧٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٢٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٦٦. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٠٨. عبد الكريم الخطيب ، تاريخ ينبع ، ص٢٢٣.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص٣٤٥. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٨٤. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١١٦.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص٢٦٩.ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٤١. الفاسي : العقد ، ج٥، ص٤٦٤.ابن فهد:إتحاف الورى ، ج٣، ص٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٥١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٦٩.

(٤) هاجم قتادة المدينة المنورة في عام ٦٠١هـ وفي عام٦١٢هـ ، ثم عاود الهجوم عليها حتى كانت آخرها التي توفي بعد أن خرجت الحملة لمهاجمة المدينة المنورة ولم يعيقه عن مرافقتها إلا المرض الذي بعده كانت نهايته . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٦٩.الفاسي : العقد ، ج٥، ص ٤٦٥.ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٥٥. ابن فهد:إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٦،٢٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٢٨. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٨٥. سليمان مالكي : بلاد الحجاز من بداية عهد الأشراف حتى سقوط الدولة العباسية ، ص ٥٧. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص٤٠.

(٥) الفاسي : العقد ، ج٥، ص ٤٦٧.ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٥٨. ابن فهد:إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٢. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٧٥.

كما أنه استطاع أن يمد نفوذ إمارته إلى منطقة حلي في جنوب مكة [1]، وبهذا نستطيع القول أن قتادة كان لا يفتر عن توسيع دائرة ملكه الذي كان يمتد من ينبع إلى منطقة حلي ومن الطائف إلى المدينة المنورة .

مع ما كان يتمتع به قتادة من طموح زائد ورغبة جامحة للاستقلال الكامل بإمارة مكة وتوسيع دائرة نفوذه [2] إلا أنه كان يخشى غضب الخلافة العباسية من تصرفاته في توسيع دائرة ملكه فتتخذ ضده إجراءً عسكريا يحد من تصرفاته ويفقده ما حققه من كسب سياسي في منطقة الحجاز يدلنا على هذا موقف قتادة من الخلافة العباسية بعد الأحداث المأساوية التي تعرض لها حجاج العراق في عام ٦٠٨هـ/١٢١١م وذلك أنه في عام ٦٠٨هـ/١٢١١م حدث أن اعتدى أحد رجال ركب الحاج العراقي على أحد الأشراف بمنى وكان الشريف شبيهاً بقتادة فقتله ، وقام أهل مكة وجند قتادة بمهاجمة الحجاج العراقيين وقتل عدد كبير منهم وقتل القاتل ثم نهبوا أموال الحجاج ، فكانت كارثة كبيرة على الحجاج العراقيين [3] ، فمع أن قتادة قد أحل لنفسه مهاجمة الحجاج العراقيين وقتل عدد كبير منهم ونهب أموالهم بعد المحاولة الفاشلة لقتله ، إلا أنه بعد ذلك تخوف من تصرف الخلافة العباسية ضده بإرسال حملة عسكرية تفقده مكاسبه السياسية فوافق في العام التالي على استعطاف الخلافة العباسية بإرسال أحد أبنائه وعدد من وجهاء قومه إلى بغداد لكي يطلبوا من الخليفة العباسي العفو عن حكومة مكة عما ارتكبوه بحق الحجاج العراقيين من أضرار و مآسٍ في

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص٣٤٥. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص١٣٥. الفاسي : العقد ،ج١، ص٣٢٩،ج٥، ص٤٧١. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٠. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١١٦.

(٢) كان قتادة معتزاً بنفسه كثيراً لم يسافر لمقابلة أحد من الخلفاء أو السلاطين وكان يقول أنا أحق بالخلافة من الناصر العباسي ، مما يدل على أنفته واعتزازه بنسبه . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٩٢. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٤٧١. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦، ص٢٤٩.العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٢٩.

(٣) ابن الأثير الكامل ، ج٩، ص٣٠٥. ابن كثير: البداية والنهاية ، ج١٣، ص٦٢. الفاسي : العقد ، ج٥، ص٤٧١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١١. ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٥، ص٣٢.الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٧. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٢٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٧٠.

عام٦٠٨هـ/١٢١١م [1] ، إلا أن الخلافة العباسية قابلت إجراء قتادة بالتجاهل فقامت بالعفو الكامل عن جميع ما حدث من تصرفات ضد حجاج العراق وأن ما حدث سوى نهب بسيط في أطراف الركب ،كما أنها أرسلت لقتادة بالخلع والهدايا مما يدل أن الخلافة العباسية كانت تسعى دائماً لعدم الدخول في صراعات عسكرية كبيرة [2]في مكة حفاظاً على السيطرة الاسمية على الحجاز لحفظ مكانتها إسلاميا ولكي تضمن قبول تعليق كسوة البيت الشريف التي كانت ترسلها كل عام [3] فقد كان إرسال قتادة أحد أبنائه وعدداً من وجهاء الحجاز إعلاناً واعترافاً من قبل قتادة بسلطة الخلافة العباسية على إمارة مكة ، فكان هذا كافياً من وجهة نظر الخلافة ، فطوت صفحة الخلاف مع قتادة .

كان من أثر الثورات الداخلية أن يلتجئ أحد المتنازعين على السلطة إلى قوة سياسية خارجية تساعده على نيل مراده هذا إذا لم يستطع أن يحقق ما يصبو إليه عن طريق جمع الأعوان المؤيدين له من أهل الحجاز ، وكان في الغالب أن يلتجئ أكثر الثائرين إلى أمراء ركب الحجاج سواء القادمين من العراق أو اليمن أو مصر أو الشام ويقومون بمحاولات لإقناعهم في مساعدتهم في تحقيق أطماعهم السياسية ، وكان هؤلاء الأمراء يمثلون وحدات سياسية خارجية ، فاشتراكهم في الصراع الدائر في الحجاز على السلطة يقحم وحداتهم السياسية التي يمثلونها في هذا الصراع ، فمن ذلك أن راجح بن قتادة عندما قام بثورته ضد أخيه حسن بن قتادة في عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م التجأ إلى أمير ركب حاج العراق الأمير

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص ٣٠٥. الفاسي : العقد ، ج٥، ص٤٦٩. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٩٤. المقريزي : السلوك ،ج ١، ص٢٩٤.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٤. ابن فهد :غاية المرام ،ج١، ص ٥٦٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٨٣. العصمي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٢٦ . السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٧٠. السباعي : تاريخ مكة، ج١، ص ٢٢٥. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص٣٩.

(٢) من المؤكد أن الخلافة العباسية عفت عن تصرف الشريف قتادة لأنها كانت وراء التخطيط لقتله في حج عام ٦٠٨هـ لذا لم تحرك ساكناً مع أن المصاب كان كبيراً على حجاج العراق ، وعلى الخلافة العباسية وسمعتها العالمية .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص ٣٠٥.الفاسي : العقد ، ج٥، ص٤٦٩ ،٤٧١ . الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٩٤. المقريزي : السلوك ،ج ١، ص٢٩٤. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦، ص٢٤٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٤. ابن فهد :غاية المرام ،ج١، ص ٥٦٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٨٣.

آقباش الناصري مما جعل الأمير يدخل في الصراع وينتهي بقتله وقتل عدد من رجال الركب فكان هذا الحدث مؤلماً للخليفة العباسي الناصر حتى أنه لم يخرج لملاقاة الركب في عودته ولولا أن حسن بن قتادة أتبع الركب برسل من قبله يقدمون اعتذارا للخليفة الناصر (1) لكان للخلافة موقف آخر من حسن بن قتادة ، ولكن قبلت الخلافة العباسية اعتذار حسن بن قتادة وعفت عنه ، ومن المؤكد أنها رأت أن تتريث حتى ترى ما يسفر عنه الصراع السياسي في مكة بين الأخوين ، فيتبين لها موقف المنتصر من الخلافة وسلطتها الاسمية على مكة.

أما راجح بن قتادة فقد ولى وجهه تجاه القوة الأيوبية في اليمن مستنجداً بها لمساعدة في حقه السليب في حكم مكة وهو بهذا يسمح بتدخل أول قوة سياسية خارجية في شؤون مكة السياسية بشكل مباشر في عهد أسرة قتادة ، فما كان من سلطة اليمن السياسية إلا أن زحفت على مكة وقامت بدخولها بعد معركة حامية الوطيس مع قوات حسن بن قتادة ، وخرجت منتصرة وأعلنت دخول مكة تحت سيادة الدولة الأيوبية بإشراف مباشر من الملك المسعود الأيوبي حاكم اليمن سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م وبهذا لم يتحقق لراجح ما كان يصبو إليه من الإمارة حيث أصبح أحد قادة الملك المسعود فولاه منطقة حلي ونصف المخلاف في جنوب مكة (2) وبهذا كانت نتيجة ثورة راجح بن قتادة أن قضى على استقلال أمراء مكة الذاتي وسمح بدخولها تحت حكم خارجي .

في الوقت الذي غادر حسن بن قتادة مكة محاولاً البحث عن قوة سياسية خارجية تسانده في رد إمارته عليه حتى انتهى به المطاف في أحضان الخلافة العباسية في العراق ،

---

(1) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص ٣٤٥. اليافعي : مرآة الجنان ، ج٤، ص٣٦.ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٩٢. الفاسي : العقد الثمين ،٣، ص٤٠٢. المقريزي : السلوك ، ج١،ص٣٢٥.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٨٧. سليمان مالكي : بلاد الحجاز من بداية عهد الأشراف حتى سقوط الدولة العباسية، ص٥٨.ناصر البركاتي : بنورسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي ، ص١٤٦.

(2) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص٣٥٠. النويري : نهاية الأرب ،ج٢٩، ص١٢٥.الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٤٠٣. المقريزي : السوك ، ج١، ص٣٣٣. ابن فهد : غاية المرام ،ج١، ص ٥٨٣،٦١٧. ابن ظهيرة الجامع اللطيف ، ص٢٧٠. .يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٤١٠. العاصمي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٠

فحاول العراقيون من العامة قتله بالأمير آقباش الناصر الذي قتل على يديه ولكن عاجلته المنية قبل أن يقتله العراقيون في سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٥م(١).

بقيت مكة تحت حكم الملك المسعود ملك اليمن حتى وفاته فيها وهو في طريقه إلى بلاد الشام في الثالث عشر من جمادى الأولى عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م(٢) ثم أصبحت مسرحاً عسكرياً للتراع بين السلطة الرسولية في اليمن ، والسلطة الأيوبية في مصر فقد حرصت كل من السلطتين على فرض الهيمنة على عليها ، فعانت من جراء هذا الصراع الكثير من المشكلات على مختلف الأصعدة حتى عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م عندما قام أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة بانتزاع إمارة مكة من يد الأمير ابن المسيب الوالي اليمني (٣) فكانت ثورته هذه إعلاناً بعودة الإمارة إلى يد أبناء الأشراف من أسرة آل قتادة الحسني بعد ٢٨عاماً من البعد عنها .

كان أبو سعد الحسن بن قتادة من الذكاء بمكان حيث إنه منذ أن استلم الحكم في مكة دعا على منبرها للسلطتين الرسولية في اليمن والأيوبية في مصر (٤) وبهذا استطاع أن يرضي الطرفين ويتجنب زحف إحدى القوتين عليه ، كما يبدو أن ثورة أبي سعد كانت من القوة والتنظيم ،ماحدا بالقوى السياسية في اليمن ومصر تجنب الصدام معها والقبول بما قام به أبوسعد من الخطبة والدعاء لهما على منبر الحرم المكي الشريف .

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ،٣، ص٤٠٢.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٦،٤٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣١. جميل حرب الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ٥٥. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص٤٥.

(٢)النويري : نهاية الأرب ، ج٢٩، ص١٥٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص٢٥٦. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٤٥. ابن العماد : شذرات الذهب ج٥، ص١٢٠.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٧٧. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٤. الفاسي : العقد الثمين= =، ج٣، ص٣٩٧. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٤٣٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٦٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٦.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج١، ص١٢٣.

كان مقتل أبي سعد الحسن بن قتادة في مكة عام ٦٥١هـ/١٢٥٣م على يد جماز بن حسن بن قتادة بدعم خارجي(١) وقيام الاضطراب في مكة إيذاناً بعودة التدخل الخارجي من قبل حكومة اليمن الرسولية فقد حاول السلطان المظفر يوسف بن عمر بن رسول إعادة مكة تحت السيادة المباشرة اليمنية ونجح في ذلك بعد أن أرسل حملة عسكرية في عام٦٥٢هـ/١٢٥٤م (٢) إلا أن الأشراف استطاعوا أن يستعيدوا السيطرة على مكة وإبعاد السيطرة اليمنية آخر العام السابق وبداية العام التالي ٦٥٣هـ/١٢٥٥م (٣) وبهذا حافظ الأشراف مع اختلاف كلمتهم على الانفراد بحكم مكة حتى قام السلطان الظاهر بيبرس بحملته في حج عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م فدخلت تحت السيادة المملوكية التي تمثلت في تعيين أمير مكة من الأشراف بمرسوم من السلطة في مصر. (٤)

ومع أن السلطة السياسية في مصركانت تصدر مرسوماً بتعيين الأمير فقد كان ركب الحجاج يقوم بدور في تقليد الأمير منصب الإمارة في المسجد الحرام ،حيث كان يحمل أمير الركب معه مراسيم الولاية وكانوا عادة يقدمون بقوة عسكرية تساعد على تنفيذ مرسوم السلطان ، وكان من يُعين في إمارة مكة ويجد معارضة من أحد الخصوم ينتظر قدوم ركب الحجاج فينضم إليه حتى يساعده في تقليد منصبه ، ومن أمثلة ذلك أنه عندما نشبت

---

(١) كان جماز بن حسن بن قتادة قد طلب من الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد الأيوبي حاكم دمشق المساندة على الاستيلاء على حكم مكة مقابل الدعاء له على منبرها ، فقام بمساعدته حيث جهز معه جيشاً قدم به مكة ثم تقدم عن الجيش واغتال أبا سعد الحسن بن قتادة . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٧٤. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٥٩٨. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣١٥.

(٢)ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص ٨٤. الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص١١٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ١٤٩،ج٥ص٢٤٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٧٦.ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٤٥. الجزيري : الدرر ، ج٣، ص٥٩٨. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣١٧.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ١٥٠،ج٣، ص١٧٦،ج٥،ص ٢٤٨. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٤٨٧.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣،ص ٧٧، ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٤٥،١١. الجزيري : الدرر ، ج٣، ص٥٩٩. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣١٦.

(٤) ابن عبدالظاهر : الروض الزاهر ، ص٣٥٤. النويري : نهاية الأرب ، ج٣٠، ص١٦٦. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص٤٤٧. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢، ص٣٤٦. الفاسي : العقد الثمين ، ج١، ص١٢٥،ج ٢، ص١٥٦،ج٦،ص٥٧. المقريزي : السلوك ،ج٢، ص٥٩. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص٨٥.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٩٩،٩٦. ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص٤٦.

الخلافات الداخلية بين أبناء أبي نمي بعد وفاته كان حميضة وأخيه رميثة ضد أخويهما عطيفة وأبي الغيث في عام ٧٠١هـ/١٣٠١م كان لأمراء الحاج المصري دور كبير في العزل والتعيين (١)، ونستطيع القول أن نفوذ أمراء الحاج المصري أخذ قوة كبيرة منذ حدوث هذا الخلاف بين أبناء أبي نمي في الدخول بعمق في الأوضاع السياسية لإمارة مكة ، مما يدل أن السلطة السياسية في مصر تمنح بعض أمراء الحاج صلاحيات واسعة في شؤون مكة السياسية وفي نفس الوقت كان بعض أمراء الحاج المصري يحاول الوصول إلى حلول توفيقية بين المتنازعين على السلطة إذا لم يكن لديه تفويض من السلطة السياسية في مصر ، وإذا خاف على ركب الحجاج من عاقبة التدخل في الشأن السياسي فقد يصبح الركب عرضة للنهب والقتل والسلب .

ومن ذلك في عام ٧٥٢هـ/١٣٥١م عندما تم تعيين ثقبة بن رميثة أميراً لمكة رفض أخوه عجلان بن رميثة أن يترك له الإمارة فانتظر ثقبة حتى قدم ركب الحاج المصري فطلب منهم مساعدته على تولي منصبه فحاول أمير الركب الأمير طيبغا المجدي (٢) أن يتنصل من الدخول في الخلاف على منصب الإمارة فهدده ثقبة بمنعه من الحج وهدد بمهاجمة ركب الحاج فما كان من أمير الركب إلا أن قام بمحاولة الصلح بين الأخوين فتم الاتفاق بينهما على الاشتراك في منصب الإمارة (٣)، وبهذا استطاع أمير الركب أن يجنب نفسه والحجاج الدخول في صراع عسكري في الأماكن المقدسة .

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص١٠٠. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٣٤٩. العيني : عقد الجمان ، ج٤، ص ١٩٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٣٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٩١٤. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٤٢. السنجاري :منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٢٦.

(٢) هو الأمير طيبغا الجمدار علاء الدين المجدي ، من أقدم الامراء في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، تولى نيابة حماة مرتين ، ثم طلب إلى مصر وأقام بها أميراً كبيراً ، ثم انتقل إلى دمشق وأقام بها إلى أن استدعي إلى مصر= =سنة ٧٥٤هـ فأقام بها . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٦، ص٢٩٣.ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٢، ٢٣١.

(٣) المقريزي : السلوك ، ج٤، ص١٥٣.ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٠، ص ٢٦٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٥٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٣٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٥٢. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن ،ج١، ص١٥٧. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص٩٨.

لقد ظهر في مكة من خلال الثورات الداخلية مبدأ الشراكة في الحكم حيث إن مبدأ الشراكة كان حلاً وسطاً لإرضاء بعض الخصوم المنافسين للأمير ، وقد كان مبدأ الشراكة في الحكم في بداية ظهوره مكافأة قدمها أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة لولده أبي نمي عندما حقق انتصاراً على حملة راجح بن قتادة عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م التي قدم بها من المدينة المنورة (١) ثم كان اتفاق بين أبي نمي بن حسن بن قتادة وعم أبيه إدريس بن قتادة لكي ينتزعا إمارة مكة من غانم بن راجح بن قتادة وقد نجحا في ذلك عام ٦٥٢هـ١٢٥٤م.(٢)

وقد كانت تقوم بين الشريكين في منصب الإمارة خلافات مستمرة حيث إن كلاً من الشريكين يحاول إقصاء الآخر عن الإمارة فكانت تحدث بينهما معارك طاحنة تسفر في النهاية عن انتصار أحد الشريكين فينفرد بالإمرة لوحده ومن ذلك ما حدث بين أبي نمي بن الحسن بن قتادة وعم أبيه إدريس فقد كانا في صراع مستمر طيلة توليهما إمارة مكة وفي النهاية انتهى الوضع بمقتل إدريس على يد شريكه في الحكم أبي نمي في معركة خليص في عام ٦٦٩هـ/١٢٧٠م(٣)

وقد كان مبدأ الشراكة الذي ظهر في منصب الإمارة السبب المباشر في زعزعة النظام السياسي بها حيث إن الأمير المتوفى يكون له عدد من الأبناء فيقوم التنافس بين الأبناء في حياة والدهم مما يدل على ما سيحدث من نزاع بعد وفاة الأمير فقد يقوم الأمير بتعيين أحد أبنائه أو اثنين منهما لتجنب حدوث الصدام وللمحافظة على سلامة وضع الإمارة ، ولكن يحدث أن يتفاقم الأمر بتطلع الأبناء الآخرين للسلطة فيحدث الانقسام الذي يثمر عن تصدع في النظام السياسي للإمارة ، ومن ذلك ما حدث بعد وفاة أبي نمي في عام

---

(١) ابن عنبة : عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، ص ١١١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٠. ، السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣١٣.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ١١٥.الفاسي : العقد الثمين ،ج٢،ص ١٤٩، ج٥، ص٤٤٣. المقريزي: السلوك ، ج١، ص ٤٨٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٦٤٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٧٦. الجزيري : الدرر ، ج٣، ص ٥٩٨. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٩.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ،ج٢،ص١٥١، ج٣، ص ١٧٥. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٥. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٦٦. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٩٩. ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص ٦٤١. الجزيري : الدرر ، ج٣، ص ٦٠٣. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٧٤. الطبري : الأرج المسكي ، ج١، ص١٢٤.

٧٠١هـ/١٣٠١م فقد أراد أبو نمي أن يحسم مبدأ الخلاف على السلطة بعد وفاته،فقام بتنصيب اثنين من أبنائه وهما حميضة ورميثة للحكم بعد وفاته وأعلن هذا التنصيب قبيل وفاته بأيام يسيرة ، فما أن توفي أبو نمي حتى بدأت من الأخوة الآخرين أطماعهم الدفينة للتطلع للسلطة وخصوصاً من أخويهما أبي الغيث و عطيفة فحدث الانقسام في صفوف البيت الحاكم وصفوف القوى السياسية الداخلية [١]المؤثرة في مكة جراء الانحياز لأحدى الطائفتين ، كما أن التنازع بين الأخوة سهل بتدخل خارجي كبير حيث بدأت بشكل واضح بعد وفاة أبي نمي تدخل القوة المصرية في شأن الإمارة وذلك أن مسألة التنافس بين أبناء أبي نمي حميضة وأخيه رميثة من جهة و عطيفة وأخيه أبي الغيث من جهة أخرى لم يُحل إلا على يد القوة المصرية المصاحبة للحجاج بعد أن التجأ أبو الغيث وأخوه عطيفة إلى أمراء الحاج المصري في عام ٧٠١هـ/١٣٠١م [٢]

وقد أخذت السلطة السياسية المملوكية في مصر بمبدأ الشراكة في إمارة مكة في بعض الأوقات دون بقية الولايات المملوكية فكانت تعين أميراً ثم لا تلبث أن تعين شريكاً له أو يكون تعيينها لاثنين من الأشراف في وقت واحد ، وقد يدل هذا على أن السلطة السياسية في مصر كانت تهدف إلى تهدئة الأوضاع السياسية فتحاول أن ترضي جميع الأطراف ، وعندما يحصل الخلاف بين أمراء مكة والسلطة السياسية في مصر تقدم السلطة السياسية في مصر على عزل أمير أو أميري مكة وتعين بدلاً منهما من تراه سوف ينفذ مطالبها ويكسب ولاءها، ولهذا الهدف نجد أن الدولة المملوكية كانت تستخدم الثائرين من أمراء البيت الحاكم كورقة ضغط على أمرائها تستخدمها عندما تسوء العلاقة بين الأمير والسلطة السياسية في القاهرة فتقوم في العادة بالقبض على الثائرين سواءً في مصر أو الحجاز وإيداعه م في السجون أو تجعلهم تحت الإقامة الجبرية في القاهرة ، وعندما يحدث خلاف بين السلطة السياسية في مصر وبين أمير مكة جراء عدم التزام الأمير بتعهداته عند توليه منصبه للسلطة

---

(١) القوى السياسية الداخلية في مكة هي طائفة الأشراف وطائفة القواد فقد كان لكل منهما قوة عسكرية لا يستهان بها فانحياز إحداها إلى طرف يعني قيام التنازع السياسي العسكري في مكة .

(٢)الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٣٣٥.الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٤٥، ج٤، ص١٠٠.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٣٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٩١٤،٩١٥. . رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص٦٦.

السياسية في مصر أو أي تصرف يحدث في مكة من أميرها ، أو إخلال بالأمن بما يؤثر على الحجاج ، ويغضب السلطة السياسية تقوم السلطة السياسية بإخراج من تراه ملائماً لتولي منصب لحكم من سجنه ، فتقلده الإمارة وترسله إلى الحجاز بصحبة أحد أمراء المماليك لكي يتم تنصيبه في المسجد الحرام ومن ذلك مثلاً إقدام أمراء الحاج سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م على تعيين أبي الغيث بن أبي نمي وأخيه عطيفة بن أبي نمي شريكين في الإمارة [(١)] ثم بعد ثلاث سنوات وذلك في عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م تقوم السلطة السياسية في مصر بعزلهما وتعين أخويهما حميضة و رميثة [(٢)] اللذين كانا متواجدين في مصر آنذاك تحت الإقامة الجبرية واستمر الوضع على هذا النحو طيلة العهد المملوكي في تعيين شركاء في الإمارة ما عدا بعض الفترات التي يعين فيها أحد الأشراف بمفرده ويعود هذا في الغالب لقوة شخصية الأمير بين قومه أفراد البيت الحاكم وحسن وإدارة بعض الأشراف للأمور في الإمارة [(٣)].

كان من أثر الثورات الداخلية على الوضع السياسي لإمارة مكة أن أصبح لبعض القبائل في الحجاز دور مؤثر في دعم بعض الثائرين للحصول على ما يهدف إليه من أطماع في منصب الإمارة ، وأحياناً كان هذا الدعم يشكل دافعاً قوياً لاستمرار الصراع بين أبناء البيت الحاكم ،وأحياناً يكون الدعم مجرد تقديم المأوى لمن تربطهم به علاقة من الثائرين حتى يستطيع أن يستعيد نشاطه من بعد ، وكان هذا الدعم يتوقف قوته وضعفه على مدى قوة

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٣٣٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٤٥، ج٤، ص١٠٠.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٦. المقريزي : السوك ، ج٢، ص٣٤٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٣٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٥٤. الجزيري : الدرر ،ج١، ص٩١٤،٩١٥. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٢. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص٦٦.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٤٧. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٦. المقريزي : السوك ، ج٢، ص٣٨٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٥٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٤٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٢. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٢٨. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص٦٩.

(٣) مثل حسن بن عجلان ، و بركات بن حسن بن عجلان ، و محمد بن بركات بن حسن بن عجلان ،فقد كان هؤلاء الأشراف من الحنكة والدهاء أنهم استطاعوا أن يسيروا أمور الإمارة في مكة ويتجنبوا الصدام مع الأشراف والقادة بشكل ملحوظ سوى بعد التجاوزات البسيطة ، وقد كانت فترات حكمهم من أفضل الفترات في الاستقرار السياسي لإمارة مكة.

القبيلة التي يلتجئ إليها بعض الثائرين ، وكان سبب دخول القبائل في المعترك السياسي لإمارة مكة أن الأشراف كانوا حريصين على مصاهرة بعض القبائل في الحجاز وذلك فيما يبدو لكسب ولائها لهم في حالة تعرضهم لهزات سياسية بمحاولة إقصاء من قبل خصومهم أو من قبل القوى السياسية في ذلك الوقت التي تفرض نفسها بين الحين والآخر على الوضع السياسي لإمارة مكة ، وكان قتادة قد أخذ بهذا المبدأ عندما تزوج من قبيلة عنزة [(1)] فكانوا خير أنصار لابنه حسن بن قتادة في حربه ضد الملك المسعود ملك اليمن عندما هاجمه في عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م فقد تخلى عن حسن جميع أنصاره و لم يصمد معه سوى أخواله أفراد قبيلة عنزة [(2)] وهذا يدل على مدى الشعور لدى أفراد القبائل بولائهم لمن تربطهم به صلة رحم ، وخصوصاً إذا كان ولاؤهم له سوف يكسبه منصباً رفيعاً تعود منفعته عليهم فيما بعد بالهبات والعطايا .

أما القبائل التي كانت توفر المأوى الآمن لمن تربطهم به صلة نسب ،فنذكر منهم قبيلة هذيل فقد تزوج فيهم أبو نمي بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة فكانوا مساندين لابنه أبي الغيث حيث وفروا له المأوى الآمن بعد أن هزمه أخوه حميضة في عام ٧١٤هـ/١٣١٤م[(3)] فلم يقدم حميضة لتتبع أخيه أبي الغيث وذلك فيما يبدو خوفاً من قبيلة هذيل التي التجأ إليها لمعرفته السابقة بأنهم لن يسلموه له مهما كان الأمر حيث تربطهم به صلة نسب فكف عن تعقبه ، كما يبدو أن قبيلة هذيل في ذلك الوقت لم تكن لديها القوة لكي تقوم بدعم أبي الغيث في تجهيز قوات عسكرية تسانده في استرداد إمارة مكة ، ولكن

---

(١) قبيلة عنزة من أكبر القبائل العربية وهي تنتسب إلى عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد وتمتد منازلها من نجد وشمال الحجاز فوادي السرحان ، فبادية الشام حتى حمص وحماة وحلب ، ويمكن تقسيم هذه القبيلة إلى ثلاثة بطون كبيرة هي بطون : مسلم ، وائل ، وعبيد . عاتق بن غيث : معجم قبائل الحجاز ، ص٢٥٨. كحالة عمر رضا : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ج٢، ص٨٤٦. الشريفي ، إبراهيم جار الله : الموسوعة الذهبية في أنساب قبائل وأسر شبه الجزيرة العربية ،ط بدون ، ج٦، ص٢٣٦٣.

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٩،ص ٣٥٠. الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٤٠٣. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٤.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٤٨،ج ٤، ص ١٠٢، ج٦، ص٣٠٧. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٤٩٧. ابن فهد : إتحاف الورى،ج٣، ص١٥١. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص٥٦. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٣. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص٧٣.

كان لديها القوة في حماية من يلتجئ إليها في أراضيها حيث تعرف طرقها ومجاهلها فيصعب على من يهاجمهم الانتصار عليهم .

وفي عام ٧٣٧هـ/١٣٣٦م كان لقبيلة بني عمير [(١)] التي تسكن في المنطقة المعروفة بخيف بني عمير دور في دعم صهرهم مبارك بن عطيفة في حربه ضد ابن عمه مغامس بن رميثة فحقق مبارك بدعم أصهاره النصر على ابن عمه مغامس أثناء التنافس بين رميثة وأخيه عطيفة على منصب الإمارة[(٢)]

وفي عام ٧٥٣هـ/١٣٣٤م كان لبني شعبة [(٣)] دور في حماية عجلان بن رميثة من أخيه ثقبة بن رميثة فقد التجأ إليهم عجلان ، بعد أن هاجمه أخوه ثقبة في جنوب مكة ، بسبب أموال استولى عليها عجلان من جلبة قدمت من اليمن ، فأوهمه ثقبة بأنه سوف يتفاوض معه في أمر المال الذي أخذه ومقدار نصيب ثقبة منه فقام بالقبض عليه واعتقاله ، واستطاع عجلان أن يهرب من الاعتقال ويلتجئ إلى بني شعبة وبقي لديهم حتى قدم ركب الحجاج من مصر في نفس العام [(٤)]ولم يهاجم ثقبة قبيلة بني شعبة لتيقنه بأنهم لن يتركوا من التجأ إليهم وسوف يدافعون عنه مما جعل ثقبة يعدل عن متابعة عجلان .

وفي عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م كان لقبيلتي بني إبراهيم وزبيد دور كبير في انتصار هزاع بن محمد بن بركات على أخيه بركات بن محمد بن بركات وانتزاع إمارة مكة بعد معارك

---

(١) بنو عمير بطن من قبيلة هذيل يسكنون وادي الزبارة ولهم به قرى كثيرة .عاتق بن غيث : معجم قبائل الحجاز ، ص ٢٥٦. كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ج٢،ص٨٤١.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٦، ص٢٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٠٧. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص٨٩.

(٣) بنو شعبة بطن من كنانة تقع ديارها جنوب مكة على بعد ٥٠ كيلاً ثم تمتد جنوباً إلى الليث ، ومن أشهر أوديتهم : إدام ، السعدية ، أسفل يلملم ، سعيا ، الخضراء ، وتنقسم إلى الجحادلة وعضل ورحمان والزنابجة ، والجبرة ، وبني شهاب .عاتق بن غيث : معجم قبائل الحجاز ، ص٢٤٧. الشريفي ، إبراهيم بن جار الله : الموسوعة الذهبية في أنساب قبائل وأسر شبه الجزيرة العربية ، ج٥، ص١٧٣٨.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص١٩٢. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص١٧٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٤٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٥٧. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٥٣.

طاحنة أبلى فيها رجال هاتين القبيلتين بلاءً عظيماً [(١)] ، واستمر الدعم من هاتين القبيلتين لأخيه جازان بعد وفاة هزاع حتى استطاع أن يحقق النصر أيضاً وينتزع إمارة مكة من أخيه بركات ومع ما قام به رجال هاتين القبيلتين من أفعال منكرة [(٢)] تدل على ضعف التعاليم الإسلامية إلا أن دعمهم كان له دور إيجابي في تغيير الوضع السياسي لفترة من الزمن.

لقد كان من نتائج الثورات الداخلية والخلافات بين أبناء البيت الحاكم في مكة على الجانب السياسي أن جعلت للقوة السياسية بمصر في عهد المماليك فرصة لكي يكون لها قوات عسكرية في مكة ، وقد كان تواجد هذه القوات في البداية برضى من حكام مكة بهدف أن يكون دور هذه القوات لصالحها في فك أي اشتباك يحدث بين الشركاء في الحكم أو في صد الغارات التي يقوم بها أحد الثائرين على الأمير ، فكان أول تواجد لقوات عسكرية خارجية مساندة لأمراء مكة في عهد السلطان الظاهر بيبرس عندما قدم لأداء فريضة الحج في عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م فقد طلب منه أبو نمي وعم أبيه إدريس بن قتادة أن يجعل بمكة أميراً من قبله يكون مرجعهما إليه في أي إشكال يقع بينهما في شؤون الحكم ،وذلك لكثرة الخلافات بينهما على منصب الإمارة فعين الأمير شمس الدين مروان ومع أن أبانمي وإدريس أخرجا الأمير شمس الدين في العام التالي [(٣)]، إلا أن هذه الفكرة عادت إلى الظهور عندما حدثت الثورات بين أبناء أبي نمي ففي عام ٧١٩هـ/١٣١٩م طلب المجاورون

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١١٨٥،١١٦٧،١١٦٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص٥ ، ١٠٢،١١٢. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٠. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٨٢. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٦٢٦،٦٢٨. السنجاري :منائح الكرم ، ج٣، ص١٠٥. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص٢٩٠.عبد الكريم الخطيب : تاريخ ينبع ، ص٢٣٦.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٦٤،١٢٠٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص١٢٥،١١٢،١٠٢،٦. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص٣٥ ،٤٧. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨٦،٧٨١. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٨٢. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ،ص ٦٣٠،٦٢٨. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١٠٥.الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص٢٩٠. عبد الكريم الخطيب : تاريخ ينبع ، ص٢٣٩.

(٣) النويري : نهاية الأرب ، ج٣٠، ص١٦٦. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص٤٤٧. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢، ص٣٤٦. الفاسي : العقد الثمين ، ج١، ص١٢٥،ج ٢، ص١٥٦،ج٦،ص٥٧. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص٨٥.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٩٩،٩٦. ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص٤٦. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص٥٦.

من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أن يعين في مكة قوة عسكرية تحفظها من هجوم حميضة الذي كان يقيم خارجها، ويعد العدة للغارة عليها إذا رحل السلطان بعد أداء فريضة الحج وهذا يدل على تخوف المجاورين على مكة وسكانها فاستجاب السلطان لطلب المجاورين فعين الأمير آق سنقر ومعه (١٠٠) فارس لكي يقوموا بحماية مكة [١]، وهو بهذا الإجراء يحد من نشاط أي أمير من الأمراء فيما بعد ويجعل البلد تحت الإشراف المباشر لحكومة المماليك حيث تتدخل في كل التحركات السياسية في الإمارة.

ومع هذا لم نلحظ لهذه الحاميات دوراً في منع الثورات الداخلية والتعدي على الناس الآمنين أثناء الثورات بل استمرت الثورات في ثوراتها طيلة العهد المملوكي مما يدل أن هذه الحاميات التي كانت ترسل كانت محدودة النشاط في مشاركة حاكم مكة في حفظ الأمن أثناء انعدام الثورات وأنها أصبحت مجرد قوة شرطة بسيطة وليست قوات مسلحة تستطيع أن تكبح جماح الثائرين من أبناء البيت الحاكم أو حتى من غير أبناء البيت الحاكم .

لقد كان من أثر الثورات الداخلية على الوضع السياسي ظهور قوى عسكرية غير نظامية كان لها تأثير كبير على الميدان السياسي في مكة تمثلت في قوة الأشراف والقادة ، وكانت قوة الأشراف تتكون من أبناء قبائل الأشراف من بني حسن وهم عبارة عن زعماء من الأشراف معهم عدد كبير من أبنائهم وعبيدهم تمرسوا على القتال واستخدام السلاح فأصبحوا قوة كبيرة مؤثرة في ترجيح كفة من يميلون لصالحه من المتنافسين على منصب الإمارة [٢] ، أما القادة فكانوا مجموعات من طوائف المجتمع المكي غالبهم من العبيد العتقاء وأبنائهم تمرسوا على القتال واستخدام السلاح فكانوا مهرة فيه حتى أصبحوا يشكلون فرقة عسكرية هامة تنافس الأشراف فكانوا مثل الأشراف في قوة التأثير على الميدان السياسي

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣،ص٤٥١ ج٥، ص٢١٣. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٩، ص٦٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٦٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٦٦. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٦.

(٢) بلغ من قوتهم أن أمير مكة رميثة بن أبي نمي اشتكى إلى أمير الحاج المصري في عام٧٤٣هـ من سيطرتهم على الأوضاع في مكة حتى أنه لم يكن له كلمة معهم ، وأراد من أمير الحاج أن يكسر شوكتهم ولكن حلت النكبة على أمير الحاج فهزمه الأشراف بنوحسن عندما هاجمهم في يوم عرفة من نفس العام . ابن فهد : إتحاف الورى ج٣، ص٢٢٤. الجزيري : الدرر ، ج١،ص ٦٤٤. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ،ج١، ص ١٢١.

للإمارة ، وكان لكلا الفريقين مزارع وأموال خارج مكة حصلوا عليها عن طريق الهبات من حكام مكة وكانوا يتزودون منها بما يحتاجونه من طعام في بعض الأحيان ،وتعتبر هذه إقطاعات عسكرية أُعطيت للمناصرين للسلطة، وكانت هذه المزارع والأموال غنيمة لبعضهم البعض عندما يحدث بينهما قتال أثناء تأييد بعض الزعماء ضد الآخر (١) ، وقد كان أول ظهور لهاتين القوتين في الميدان السياسي بعد وفاة أبي نمي في عام ٧٠١هـ ١٣٠١م حيث مالت إحدى القوتين لتأييد حميضة وأخيه رميثة في الوقت الذي مالت القوة الأخرى لتأييد عطيفة وأبي الغيث (٢) وبعد هذا الموقف أخذت كلتا القوتين في النمو والتأثير في مجريات الأحداث فمن ذلك في عام ٧٢١هـ/١٣٢٠م كان لمساندة الأشراف لرميثة دور في ترجيح كفته على أخيه عطيفة ،وإظهاره لمذهب الزيدية ، مما أغضب عليه السلطة في مصر(٣) ،وكان إظهار رميثة لمذهب الزيدية فيما يبدو لإرضاء بني حسن عندما انضموا إليه مما جعل كفته ترجح على أخيه عطيفة الذي كان يعتمد على قوة الدولة في مصر .

وفي عام ٧٣٧هـ/١٣٣٦م كان التنافس على أشده بين الشريف عطيفة وأخيه الشريف رميثة على حكم مكة ، فانحاز الأشراف إلى عطيفة وانحاز القوا د مع رميثة مما كان له أثر في توازن القوى بين الفريقين فلم يستطع أحدهما أن يتغلب على الآخر حتى أنهما خرجا إلى مصر لكي تنصب أحدهما أميراً على مكة استجابة لطلب السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (٤)

وكان كلا الفريقين: القواد والأشراف يستغلون الخلافات السياسية ويعملون على امتداد فترتها فيتجنبون الصدام مع بعضهم البعض حيث يقوم كلاهما بمنع الزعماء من الأشراف من التقاتل وترغيبهم في الصلح لكي يأمنوا تدفق الأموال عليهم ، ومن ذلك أنه في عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م اختلف ثقبة بن رميثة وأخوه عجلان ، وعندما أراد عجلان قتال

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج٦، ص٢٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٠٧.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٣٣٥.الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٤٥، ج٤، ص١٠٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٣٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٥٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٩١٥،٩١٤. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٢. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٢٦.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ١٠٥ ،ج٥، ص٢١٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٧.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص٢٦. ابن فهد : إتحاف ا لورى ، ج٣، ص٢٠٧.

أخيه ثقبة منعه القواد والأشراف من قتال أخيه وسعوا في الصلح بينهما مما جعل ثقبة في متسع من الوقت حتى تزداد قوته واستطاع أن ينتزع مكة ويجبر أخاه عجلان على السفر إلى مصر لكسب التأييد السياسي من جديد [١] ، وعندما عاد عجلان إلى الحكم بمناصرة القوة السياسية في مصر كان حانقاً على الأشراف والقواد جميعاً فعمل على كسب ودهم في البداية بإغداق الأموال عليهم حتى استطاع أن يجمعهم معه ثم أخذ في مصادرة أملاكهم التي أعطاها لهم سلفاً ومنعهم من حمل السلاح في شوارع مكة ، ولم يكن أمامهم جميعاً إلا الاستجابة لطلب عجلان [٢]، لأن الخصم المنافس لعجلان وهو أخوه ثقبة كان مقبوضاً عليه في مصر فلم يكن أمام الأشراف والقواد منافساً لعجلان ينضمون إليه لكي يأمنوا تغير عجلان عليهم ، ويبقى وضعهم سليماً ، وعندما قدم ثقبة بن رميثة إلى مكة في السابع عشر من رمضان عام ٧٥٦هـ/١٣٥٤م فاراً من سجنه بمصر انضم إليه بعض القواد مما جعله في قوة استطاع أن ينازل بها أخاه عجلان ويهدد مكة ويحاصره بها في الثالث عشر من ذي القعدة من العام نفسه [٣]. وهذا يدل على أن معظم القواد والأشراف انضموا إلى ثقبة، يدل على هذا تمكن ثقبة من مهاجمة أخيه عجلان بعد وصوله من مصر بشهرين فقط ، وبعد أن تم الصلح بين الأخوين في بداية عام ٧٥٧هـ/١٣٥٥م انقسم الأشراف والقواد بين الأخوين فانضم لثقبة عدد من الأشراف والقواد ، وانضم لعجلان مجموعة أخرى منهما [٤] مما يدل أن الوضع تحسن بالنسبة للأشراف والقواد فأصبح كلا الأخوين في حاجة ماسة لهما حيث أن كلا منهما يتربص بصاحبه فحرص كل منهما أن يكون معه جماعة من الأشراف والقواد يستطيع منازلة أخيه إذا طلب الأمر .

---

(١) المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٥٧،ج٥،ص١٩١.المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٤١ . ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٣١. العاصمي : سمط النجوم العوالي ، ج ٤ ، ص٢٥٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٥٥.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص١٩٣. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٣، ص٢٦٢.ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص١٤٥. المقريزي : السلوك ،ج٤، ص٢١٢.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٢٥٨، ج٥، ص١٩٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٦٧. ابن فهد= =: غاية المرام ، ج٢، ص١٣٤.الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٥٦.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٢٥٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٦٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٣٤.

وفي عام ٧٥٨هـ/١٣٥٦م تغير ولاء الأشراف والقواد فانضم الأشراف جميعهم إلى ثقبة بن رميثة وانضم القواد جميعهم إلى عجلان ، وحرص كل من القواد والأشراف على عدم الاشتباك بين الأخوين[1] لكي يكون لهم من كلا الأخوين الحظوة حيث يحرص كل من الأخوين على إرضاء أنصاره بالمال والهبات .

ومما يدل على مقدرة فرقة الأشراف بني حسن في التأثير على الجانب السياسي للإمارة أنه عندما عزلت السلطة السياسية في مصر عجلان بن رميثة وأخاه ثقبة بن رميثة في سنة٧٦٠هـ/١٣٥٨م كان رأي عجلان أن يعطي هو وأخوه ثقبة إلى الأشراف (٨٠٠) بعير حتى يحصلا على تأييدهم في بقائهما في منصبهما [2].بمعنى أن يحاربوا معهم قوات الدولة التي سوف تقدم لتنصيب الأمير الجديد ، وهذا يدل على مدى قوة الأشراف العسكرية ، كما يدل على أن الأشراف والقواد كانوا يستغلون الأزمات السياسية في الحصول على مكاسب مالية من أمراء مكة مقابل ما يقدمونه من خدمات لهم.

ومما يدل على قوة القواد ومدى تأثيرهم على الجانب السياسي في مناصرة من يقدمون له الدعم أن عجلان بن رميثة في عام ٧٦٢هـ/١٣٦٠م طلب من ابنه أحمد بن عجلان أن يقدم على أخواله القواد ذوي عمر لكي يقدموا له الدعم لأن عجلان قرر إشراك ابنه أحمد معه في منصب الإمارة ولكنه كان يخشى معارضة الأشراف ، ولكي يجرد أخاه سند بن رميثة من قوته التي كانت متمثلة في دعم القواد له ، لذا أراد عجلان أن يقدم القواد ذوي عمر الدعم لابنه أحمد بحكم علاقة النسب فيكونوا عوناً له إذا رفض الأشراف تولية ابنه وقاموا بمواجهة عسكرية ، وفي نفس الوقت يتخلوا عن تأييد أخيه سند ، وفعلاً قام القواد ذوو عمر بالقدوم على عجلان وطلب تعيين ابنه أحمد شريكاً معه في الإمارة، وعندما رأى سند بن رميثة تصرف القواد مع أحمد وتقديمهم الدعم له خاف من القتل فخرج إلى ينبع

---

(١) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٩٤. المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٧١ . المصدر السابق ، ج ٢، ص ١٣٥.

(٢) المصدر السابق ، ج٢، ص٢٦٣. المصدر السابق ، ج٣، ص٢٧٦. المصدر السابق ، ج٢، ص١٧٥. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص١٠٢.

وأقام بها[1] وعندما انتصر عجلان على أمير حلي في عام ٧٦٣هـ/١٣٦١م حصل على غنائم وفيرة و لم يكافئ الأشراف بما كانوا يؤملونه فتغيروا عليه وراسلوا سند في ينبع يأمرونه بالقدوم لكي يساعدوه في تولي منصب إمارة مكة[2] وبهذا يدلنا هذان الحدثان أيضاً أن أمراء مكة كانوا يقدرون قوة القواد لذا حرصوا على الزواج منهم لكسب تأييدهم لهم ، وأن قوة الفرقتين كان لها قدرة على التأثير على الحدث السياسي ، وأن الدفع المادي الذي كانت تحصل عليه من الأمراء كان صمام الأمان في بقاء الولاء للأمير من عدمه .

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ٢٤٦،ج٥، ص١٩٥.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٨٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٧٠.

(٢) المصدر السابق ، ج٣، ص١٩٥، ج٤، ص٢٤٦. المصدر السابق ، ج٣، ص٢٩٤. المصدر السابق ، ج٢، ص ١٥٠،١٧٠.

المبحث الثالث : أثر الثورات الداخلية على الوضع الاقتصادي .

كان اقتصاد إمارة مكة يقوم في الجانب الأول على التجارة فموقعها الجغرافي بالقرب من ساحل البحر الأحمر سهل لأهلها هذا النوع من النشاط البشري ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عمل سكان مكة التجاري قبل البعثة النبوية ، في قوله عز وجل: (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ)[1] فقد كان أهل مكة يعملون بالتجارة في الغالب بين الشام واليمن وذلك لتوسط بلادهم بين المنطقتين التجاريتين في الشمال والجنوب فهي تتوسط ساحل البحر الأحمر الشرقي وبهذا يكون ميناؤها الرئيسي مدينة جدة نقطة تموين لكل السفن القادمة من جنوب البحر الأحمر والمتجهة إلى شماله وبهذا تشكل النقطة الوسطى في الطريق التجاري البحري ، ونقطة متوسطة على الطريق التجاري البري أيضاً والمتجه إلى جنوب وشرق وشمال شبه الجزيرة العربية ، كما أن وجود الأماكن المقدسة فيها وما يفد إليها من حجاج ومعتمرين ومجاورين من شتى أرجاء المعمورة جعل منها سوقاً تجارية مزدهرة طوال أيام العام سواءً بما يحمله القادمون للعبادة من أمتعة و تجارة أو ما يعمله التجار للكسب بالبيع على هذه الوفود التي تأتي للمنطقة على مدى الدهور والأعوام .

كما أن لمكة موارد اقتصادية أخرى تتمثل في ما تنتجه المزارع الموجودة في الأودية القريبة منها ، وأيضاً ما يحصل من مورد الرعي حيث تنتشر المراعي في جميع المناطق المحيطة بها فجميع ما يخرج من هذين الموردين سوقه التجارية بمكة .

ومع أن مكة يحيط بها مناطق زراعية إلا أن منتجاتها كانت لا تكفي لسد حاجة السكان من أبناء الحجاز والواردين عليه من الحجاج والمعتمرين ،وذلك يعود لاعتماد الزراعة في هذه الأودية على مياه الأمطار التي تتذبذب بين عام وآخر ، وبهذا كان محصول هذه المزارع

---

(١) سورة قريش : آية ١،٢.

شحيحاً حتى أنه كان مصدراً اقتصاديا ضعيفاً في مورده العائد على السلطة السياسية الحاكمة ، لذا كانت التجارة هي المورد الأول والأهم لأهل المنطقة .

ومن الموارد الاقتصادية ما يحمل إلى مكة من الصدقات التي تأتي من جميع أرجاء المعمورة وكانت متنوعة فيها النقد والمواد الغذائية والملابس والأقمشة وغيرها ، فيتم توزيعها على جميع طوائف المجتمع كبيرهم وصغيرهم كل على حسب مكانته الاجتماعية [(1)] فتزدهر الأوضاع الاقتصادية نتيجة لهذه الصدقات التي من جرائها تزدهر عملية البيع والشراء حيث يكثر النقد والسلع في أيدي الناس فينعكس ذلك على التبادل التجاري في الأسواق .

هذا وقد كانت هذه الموارد الاقتصادية يصيبها الضرر الكبير أثناء الثورات الداخلية وخصوصاً الجانب التجاري فكانت القوافل التجارية هدف الثائرين الأول حيث يخرج في العادة الثائرون على أمير مكة إلى خارجها فيقيمون على طرق القوافل التجارية القادمة إليها ويقومون بنهبها ، وهذا يعني فرض حصار اقتصادي عليها فيتعذر وصول المواد الغذائية الضرورية إلى الأسواق فتحدث الأزمات الاقتصادية ، ومن ذلك ما حدث من راجح بن قتادة عندما قام بثورته على أخيه الحسن عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م كان أول تصرف قام به قطع الطريق بين مكة وعرفات بحيث منع القوافل القادمة من الطائف ومن المناطق الزراعية

---

(١) ومن أشهر من تصدق بمكة في العصر المملوكي الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول ملك اليمن الذي قدم إلى مكة حاجاً في عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م فقد نثر الذهب والفضة على الكعبة المعظمة فأخذه الناس ، وغمر أهل مكة جميعاً بالبر والإحسان ، وبالغ في ذلك حتى أنه زار الناس في منازلهم وقدم لهم العطايا من المال والكسوة فلم يبق مترل بمكة إلا وقد ناله بر الملك المظفر في ذلك العام ، وفي عام٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م بعث الأمير سلار عندما قدم للحج عشرة آلاف أردب من القمح ، وبعث الأمراء المرافقين له بكميات وفيرة أيضاً من القمح ، وقام بتوزيع صدقات في مكة كانت من الكثرة حتى أنها عمت جميع السكان ، وقام بتسديد ديون المديونين من المجاورين ، وأعطى كل فرد بعد سداد دينه مؤنة سنة كاملة ، وكتب أسماء الفقراء ، ولم يبق بمكة رجل ولا امرأة ولا صغير ولا كبير ولا غني ولا فقير عبد أو حر شريف أو غير شريف إلا عمه البر والإحسان، حتى رفع الناس أيديهم بالدعاء له وقالوا : " يا سلار كفاك الله هم النار" . الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص١٣٣.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٤٠٥. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص٨٤. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٣٦٩،٣٧٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٨١،١٣٧، ١٣٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٠٠،٦١٦ . يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٤٤٠ السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣١٨. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٣٠.

القريبة من مكة ومنع قافلة الحاج العراقي أن تصل إلى مكة وكان هذا التصرف قد أجبر أمير الحاج العراقي آقباش الناصري للدخول في النزاع بين الأخوين [1]،مما يعني اضطراب الوضع الاقتصادي في موسم الحج حيث انتشر الخوف من القتل والنهب؛ وفي موسم حج عام ٦٥١هـ/١٢٥٣م كان الصراع بين أمير مكة أبوسعد الحسن بن علي بن قتادة و جماز بن حسن بن قتادة ، وبعد مقتل أبي سعد استمر الصراع بقيادة راجح بن قتادة ضد جماز بن حسن بن قتادة وانتهى بخروج جماز بن حسن عن مكة في نفس العام ، وجراء هذا النزاع واختلال الأمن قلت الموارد الغذائية في مكة من جميع الأقطار فعم الغلاء حتى بلغت شربة الماء درهماً ، والشاة بـ(٤٠) درهماً[2] ، ويعني غلاء شربة الماء أن الناس كانوا لا يأمنون على أنفسهم لكي يعملون في نقل الماء وبيعه على أهل مكة وزوارها ، أما غلاء المواد الغذائية فهذا بديهياً حيث إن كل صاحب سلعة لا يمكن أن يعرض نفسه للقتل وماله للنهب ولذا بلغت الشاة (٤٠)درهماً فكانت الكارثة على سكان مكة وزوارها من حجاج ومعتمرين ؛ وفي عام ٧٤٤هـ/١٣٤٣م أثناء الخلاف بين رميثة بن أبي نمي وابنيه عجلان وثقبة خرج عجلان إلى جنوب مكة في ذي القعدة وفرض حصاراً اقتصادياً حيث قام بمنع جميع التجار من الوصول إلى مكة ، فكان لهذا المنع أثره على المواد الغذائية ، وتوقفت التجارة فحصل الغلاء الفاحش فيها وخصوصاً في أيام الحج حيث بيعت الويبة [3]الشعير

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٧، ص٣٤٥. الفاسي:العقد الثمين ، ج٣، ص٤٠٢. المقريزي : السلوك ،= =ج١، ص٣٢٥.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٨.ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص٦١٧. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٨٦.

(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٧، ص٣٠.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٧٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٨. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢،ص ٣١٥. الكردي : التاريخ القويم ، ج٤، ص٣٧٢.

(٣) الويبة :مكيال مصري لكيل الحبوب استخدم في العصر المملوكي يعادل عشرة أمنان ويعادل اليوم١٢،١٦٨ كلغ من القمح ، وتقدر الويبة بالمكيال المغربي بقدحين ونصف من الكيل المغربي . الزهراني ، ضيف الله بن يحيى : أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة خلال الفترة (٦٤٨هـ- ٩٢٣هـ ، ١٢٥٠م- ١٥١٧م) مركز البحث العلمي ،جامعة أم القرى ، ١٤١١هـ، ص ١٠٧. الزهراني ، غباشي: تاريخ مكة المكرمة التجاري ، ص١١٣. فالتر هنتس : المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة الدكتور كامل العسيلي ، ص٨٠.

بـــ(٤٠)درهماً والويبة الدقيق بـــ(٥٠)درهماًوالرطل[١] البقسماط [٢] بـــ(٣) دراهم ، والإردب[٣] القمح بـــ(٨٠) درهماً ، والحمل[٤] من القمح بـــ(٤٥٠)درهماً ، وهذا يبين أن المنطقة الجنوبية لمكة كانت تشكل المورد الرئيسي في تموينها بالحبوب التي هي عماد المعيشة ولذا ركز عجلان بن رميثة تواجده في هذه المنطقة بالذات [٥]، وبعد انتهاء موسم الحج زحف عجلان ونزل الزاهر ودارت بينه وبين أبيه مفاوضات انتهت بعقد صلح بينهما فأخذا من التجار بمكة مبلغاً كبيراً من المال [٦] ويبدو أن التجار كانوا راضين بدفع مبلغٍ من أموالهم بهدف إنهاء النزاع بين الشريفين حتى يتسنى لهم رواج التجارة من جديد فقد لحقهم الضرر بسبب الحصار الذي فرضه عجلان على التجارة قبل موسم الحج .

وفي عام٧٥٣هـــ/١٣٥٢م استطاع ثقبة أن ينتزع الإمارة من أخيه عجلان فما كان من عجلان إلا أن خرج إلى جنوب مكة وقام باعتراض تجارة لتجار من مكة قادمة في سفن تجارية من اليمن فقام بأخذها جميعاً وكانت مبالغ كثيرة جداً ، فما كان من أخيه ثقبة إلا أن أرسل إلى أخيه عجلان يطلب نصيبه من المال المنهوب فرفض عجلان إعطاءه شيئاً منه [٧]

---

(١) الرطل وحدة وزن للسوائل شاع استخدامه في أغلب بلدان العالم الإسلامي قيل إن أصله يونانيLitra ،وقد اختلف تقديره بحسب كل بلد وقدر في مكة المكرمة بـــ١٢أوقية كل أوقية ٤٠درهماً . الزهراني ، غباشي: تاريخ مكة المكرمة التجاري ، ص ١١٤. فالتر هنتس : المكاييل ، ص ٣٢.

(٢) البقسماط : اسم لنوع من الحبوب يجفف بعد خبزه ،ويطلق عليه في المغرب بقشماط وفي مصر بقسماط ، كان يتزود به المسافرون ، وهو يشابه الشابورة في العصر الحديث . إبراهيم أنيس ورفاقه : المعجم الوسيط ، ج١= =ص٦٥. محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ص٣٦.

(٣) الأردب من المكاييل التي استخدمها المسلمون قديماً قدره بست وبيات كل وبية أربعة أرباع ، والربع أكثر من الصاع وهو يساوي ٦٩،٦كغم ويعادل ٩٠ لتراً . الزهراني ضيف الله بن يحيى: أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة ، ص ١٠٥. فالترهنتس : المكاييل والأوزان ، ص ٥٨.

(٤) الحمل هو ما يحمل على ظهر الدابة وجمعه أحمال ويختلف بحسب نوع البضاعة ويطلق عادة على أحمال الإبل من السلع التجارية .ابن منظور : لسان العرب ،٣،ص ٣٣٤. فالترهنتس : المكاييل والأوزان ، ص٢٦.

(٥) الفاسي : العقد ، ج٤، ص ١٠٧. المقريزي : السلوك ، ج٣، ص٤١١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٢٦. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص٩٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٤٥. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٥٠.

(٦) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص١٠٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٢٦. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص٩٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٤٥. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص ١٧٧.

منه[1] وكان عجلان يهدف إلى تحسين أوضاعه بما نهبه من أموال التجار حتى يستطيع مواجهة أخيه ثقبة فكان لهذا العمل أثره على تجار مكة ، فأميرهم في العام الماضي يأخذ أموالهم في هذا العام ، وأميرهم الحالي يطلب نصيباً من المال المنهوب بدل أن يطالب برد الأموال إلى أصحابها الذين هم رعيته ، وقد كان لهذا التصرف أثره على الاقتصاد حيث تزامن هذا الفعل مع قلة الأمطار ونقص المؤن ونقص الوارد من تجار اليمن لمنع الملك المجاهد الرسولي ملك اليمن تجار اليمن من القدوم إلى مكة لغضبه من عجلان بعض القبض عليه في عام ٧٥١هـ/١٣٥٠م في موسم الحج بتدبير عجلان وكان هذا مما أثر على سكان مكة وزوارها فقد غلت الأسعار كثيراً حتى بلغ سعر الأردب القمح(٣٠٠)درهم والشعير (٢٠٠)درهم.[2]

وكان مما يؤثر بشكل كبير على الجانب الاقتصادي مهاجمة بعض الثائرين مدينة جدة الميناء الرئيسي للحجاز وبوابة مكة على العالم الخارجي ، وشريان الاقتصاد لإمارة مكة وذلك لأمرين : الأول التزود بما فيها من أموال وأقوات والثاني : تشديد الحصار على أمير مكة لكي يضعف في مواجهة الثائرين وتقل شعبيته لدى السكان بسبب ضيق الحال عليهم وبهذا يقل أتباعه لنقص أعطياتهم ومن ذلك أنه في عام ٧٥٢هـ/١٣٥١م كان الخلاف على أشده بين عجلان وأخوته ثقبة وسند ومغامس ، فقام ثقبة وأخوته سند ومغامس بالتعرض للسفن التجارية القادمة إلى مدينة جدة من اليمن وقاموا بجباء التجارة التي تحملها السفن وأخذوا أموالاً كثيرة للتجار شملت الحرير والرقيق وغيرها من الأمتعة ، وقاموا بعد ذلك بمنع

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ١٩٢. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص١٧٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٥٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٤٤.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤، ص٢٣٧.الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢، ص٨٣. الفاسي : العقد ، ج٥، ص ١٩١،٢٥٨. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص ١٣٠ ، ١٥٥،١٧٦. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٠، ص٢٢٦.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٤٥، ٢٥٧. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص١٤١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٥٣. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٥١٦.

التجار من القدوم بتجارتهم إلى مكة وأجبروهم على البقاء معهم في وادي الجديد [1] بقصد فرض حصار شديد على مكة.

وفي عام ٧٦٣هـ/١٣٦١م تمرد سند بن رميثة على أخيه عجلان وخرج بمن معه من الأتباع إلى مدينة جدة في محاولة لتحسين وضعه المالي حتى يتسنى له جمع أكبر عدد من الأتباع لمواجهة أخيه عجلان فصادف قدوم سفينة تجارية بها مال كثير لأحد تجار مكة يدعى ابن عرفة فقام بأخذه ونقله إلى وادي الجديد وقام بتفريقه على أتباعه من الأشراف بني حسن لكي يضمن ولاءهم له ضد أخيه عجلان [2] وبتصرفه هذا أحدث أزمة اقتصادية في مكة لأن ما تحمله السفينة كان مقرراً أن يصل إلى أسواق مكة .

وفي عام ٧٨٩هـ/١٣٨٦م وقع الخلاف بين عنان بن مغامس والأشراف آل عجلان فقام آل عجلان بنهب أموال التجار بمدينة جدة والمراكب الراسية في الميناء ، وكان منها ثلاثة مراكب لتجار الكارم قدمت من اليمن قاصدة مصر فأخذوها كاملة وكان بها أموال طائلة قدرت بـ(٦٠٠) مثقال من الذهب ، ثم قاموا بنهب مخازن المواد الغذائية بجدة وكانت معظمها للأمير جاركس الخليلي والأمير أيتمش وقاموا بتوزيع ما نهبوه من أموال ومواد غذائية على من انضم إليهم من الأتباع بهدف كسب الأعوان للإطاحة بعنان ، ثم فرضوا حصاراً اقتصادياً على مكة ،حيث قام أتباع الأشراف آل عجلان من العبيد وغيرهم بالانتشار في الطرقات المؤدية إلى مكة ينهبون كل ما تصل إليه أيديهم فعم الخوف والقلق جميع السكان بالإضافة إلى ما حل بمكة من نقص المؤن وقلة الأقوات ، وقد تضرر عنان من فعل الأشراف كثيراً ومن فرضهم الحصار وأصبح في ضائقة مالية كبيرة فأقدم على أخذ ما في بيت شمس الدين ابن جن البير وكيل الأمير جاركس الخليلي من الغلال والقماش والسكر وغير ذلك وقام بتوزيعه على أتباعه في محاولة للحفاظ على ولائهم له ، وقد أدى فعل الأشراف من آل عجلان بمدينة جدة، وما أقدم عليه عنان بمكة من النهب إلى غضب السلطة

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٥٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٥٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٣٢. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص١٧٧.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص ٢٤٦، ج٥، ص١٩٥.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢،ص ٣٥١. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٩٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٥٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٧٣. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص١٧٨.

السياسية في مصر فعزلت عنان بن مغامس عن الإمارة [١] لأنها رأت فيه عدم القدرة على حماية التجارة مما يدل أن الدولة في مصر كان يهمها أمر التجارة في ميناء جدة مما يدر عليها أرباحاً طائلة ، فضعف السلطة في مدينة جدة يمنع التجار من الرسو فيها مستقبلاً وبهذا تقل موارد الحجاز من التجارة .

وعندما قدم أمير مكة علي بن عجلان بدلاً من عنان تحت حماية القوات المصرية خرج عنان إلى خارج مكة تجاه وادي نخلة فوجد قافلة قادمة من منطقة بجيلة[٢] تحمل موادّ غذائية قادمة من جهة الطائف وكان ذلك في الخامس من ذي الحجة عام ٧٨٩هـ/١٣٨٦م فقرر منعها من دخول مكة فأدرك أتباع علي عنان وأصحابه واستطاعوا أن يخلصوا القافلة فقدمت وانتفع بها الناس [٣] وبهذا تخلص الناس من ضائقة اقتصادية كبيرة في موسم الحج .

وبعد موسم الحج لعام٧٨٩هـ/١٣٨٦م نزل عنان بن مغامس إلى وادي مر واستولى عليه ثم استولى على مدينة جدة ونهب مع أتباعه بعض تجار اليمن القادمين إلى جدة كما أنهم انتشروا في الطرقات ينهبون كل تجارة قادمة إلى مكة ، وهذا التصرف من عنان لكي يتزود بالمال والغلال لنفقته ونفقة أتباعه ولكي يفرض حصاراً اقتصادياً على علي بن عجلان ، وفعلاً أصبح علي بن عجلان في ضائقة مالية فأخذ من تجار اليمن الموجودين بمكة ما يكفيه من المال[٤] مما يدل على شدة الحصار الذي فرضه عنان وأتباعه عليه بمكة.

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٤١٩. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢، ص٣٥١. المقريزي : السلوك ، ج٥، ص١٩٨. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٦١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٢٠٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٧٥. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٦٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٨٨.

(٢) بجيلة :منطقة مرتفعة في سراة بني مالك قرب جبل بثرة فيها قرى عديدة ، تقع على الطريق السياحي المؤدي إلى الباحة ، وهي منطقة ذات مياه وأشجار كثيفة ، يسكنها بنو مالك . عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج١، ص١٧٨.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٤٢٠. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٦٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٢٠٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٧٥. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٦٤.

(٤) المصدر السابق ، ج٥، ص٤٢٠. المصدر السابق ، ج٣، ص٣٦٧. المصدر السابق ، ج٢، ص٢٠٨. المصدر السابق، ج١، ص٦٧٥. المصدر السابق ، ج٤، ص٢٦٤. السنجاري: منائح الكرم ، ج٢، ص٣٩١. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص١١٤.

وفي عام ٧٩٨هـ/١٣٩٥م أثناء الصراع بين حسن بن عجلان والأشراف بعد مقتل علي بن عجلان أمير مكة تخوف التجار من سوء الأحوال السياسية في مدينة جدة فتحولوا إلى ميناء ينبع مما كان له أثر كبير على الأحوال الاقتصادية في مدينة جدة ومكة وقد أغضب تصرف التجار هذا حسن بن عجلان ، لمعرفته بأهمية التجارة في اقتصاد البلاد ، وبعد انتهاء الحرب بين حسن بن عجلان والأشراف واستقرار الأمن في الحجاز عاد التجار إلى ميناء جدة فقام حسن بإسقاط ثلث الجباية عنهم ، وقام بحفظ قوافل التجار بين مكة و جدة ، وحفظ مدينة جدة من كل هجوم متوقع من قبل الأشراف والقواد ، ومنع تنزيل ما تحمله السفن التجارية من البضائع إلا بأمره وفي الوقت الذي يحدده هو ،وهذا إمعاناً في المحافظة عليها من النهب في محاولة منه لترغيبهم في القدوم إلى جدة ، وفعلاً قدم عدد كبير من التجار عندما سمعوا بمواقف حسن بن عجلان واستقرار الأمن وحصل لحسن بن عجلان من التجار أموالاً طائلة (١)

وفي عام ٨١٨هـ ـ١٤١٥م أقدمت السلطة السياسية في مصر على تعيين رميثة ابن محمد بن عجلان أميراً على مكة بدلاً من حسن بن عجلان ، فما كان من حسن بن عجلان إلا أن أعلن تمرده وقام بحصار مكة اقتصادياً وذلك أنه رحل إلى الشقان واعترض التجارة القادمة إلى الحجاز وأخذ منها الضريبة المعتادة أيام ولايته ، وأمر السفن بالعودة إلى اليمن أو المضي إلى ينبع وعدم الرسو في ميناء جدة (٢) في مسعىً للتضييق على رميثة فيضعف في مواجهته حتى يتسنى له انتزاع الإمارة منه .

وفي عام ٨٢٠هـ/١٤١٧م ثار الخلاف بين حسن بن عجلان والأشراف والقادة بمكة فما كان من الأشراف والقادة إلا أن هاجموا مدينة جدة واستولوا عليها في التاسع من رجب ،

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٩٨ ،٤٠٤،٤٠٧. ابن فهد :غاية المرام ،ج٢، ص ٢٥٣ ،٢٥٤،٢٥٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٨٢،٦٨٤. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٦٧.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٣٧٣. ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص٣٠٣ ،٣٠٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣،ص ٥٢٥ ،٥٣٠. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٩٩،٧٠٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٧١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٤٢٢.

واستولوا على ماها من مواد غذائية وكانت في الغالب (٥٠٠)غرارة[١] من حب الذرة ، وقاموا بأخذ الجباية من السفن التجارية القادمة إلى الميناء [٢] ، وذلك لكي يتزودوا بما فيها من أموال وغلال حتى يستطيعوا مواجهة حسن بن عجلان الذي بدأ يعمل على إضعاف القادة والأشراف لكي يتسنى له السيطرة التامة على مكة بدون منازع وبدون تكلفة مالية لأحد من الأشراف أو القادة ، وقد كان هذا الفعل من الثائرين مؤثراً على حسن بن عجلان فعندما تكون السيطرة على جدة في يد الثائرين على السلطة يعني هذا أن مكة سوف تصبح تحت رحمتهم في تسيير المؤن الضرورية لحياة الناس وقد قام حسن بن عجلان بإعادة سيطرته على جدة بعد أن أخلاها الثائرون من الأشراف والقادة ، وذلك تخوفاً من حصار قد يفرضه حسن عليهم .

في عام ٨٣٢هـ/١٤٢٨م كان أبو القاسم على خلاف مع أخيه بركات من حسن بن عجلان أمير مكة ، فقام أبو القاسم بالخروج إلى الجهة الجنوبية لمكة وأخذ في فرض حصار على مكة وذلك بالتصدي لكل القوافل التجارية القادمة إلى مكة في البر والبحر ، وقد أثر هذا الفعل على موارد مكة الاقتصادية مما اضطر معه بركات بن حسن بن عجلان إلى أن يفاوض أخاه أبا القاسم وتم الصلح بين الأخوين في شوال من نفس العام على أن يدفع بركات بن حسن بن عجلان لأخيه أبي القاسم ألفين ومائة دينار في مقابل أن يتوقف أبو القاسم عن التعرض لكل من يقصد مكة أو يخرج منها بأذى أو نهب ويستمر هذا الصلح إلى العاشر من محرم من عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م[٣].

يتبين هنا مدى أثر الحصار الذي فرضه أبو القاسم على مكة وكيف أنه قد جعل القادمين إلى مكة والصادرين منها في خوف من النهب ، لذا شعر بركات بأثر هذا الحصار مما دفعه للصلح مع أخيه ، وهذا يدل أيضاً على أن أتباع أبي القاسم كانوا من الكثرة بمكان أن

---

(١) الغرارة :مكيال لأهل الشام ، يتألف من١٢كيلاً أو ٧٢مداً وقدرها المقريزي لأهل الحجاز بسبع وبيات مصرية ، وقدرها الفاسي لأهل مكة بـــ٢,٥غرارة مكية ، وهي تعادل ٢٠٤,٥كيلو جرام أو حوالي ٢٦٥لتراً .
الزهراني ، غباشي : تاريخ مكة المكرمة التجاري ، ص١١٢. فالتر هنتس : المكاييل والأوزان ، ص ٦٤.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٣٧٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٤١. ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص٣١٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٤٢٤.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص٤٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٤٠٧.

بركات أمير مكة لم يقم ضدهم بحملة عسكرية تجبرهم على ترك مواقعهم الهامة على طرق التجارة القادمة والصادرة لمكة .

كما نستدل من الصلح أن موارد أبناء البيت الحاكم وأتباعهم كانت لا تكفي نفقاتهم فكانت من أسباب تمردهم وعندما حصلوا على مبلغ قد يفي باحتياجاتهم قبلوا بكف الأذى عن الناس بمكة ، ويؤيد هذا القول أن أبا القاسم قبل بالتوقف عن تحركاته العسكرية على مكة عندما تم الاتفاق بينه وبين أخيه بعد انتهاء الاتفاق السابق على دفع مبلغ (٢٥٠٠)دينار كل عام إلى عام ٨٣٦هـ/١٤٣٢م[1]

في عام ٨٤٦هـ/١٤٤٢م عندما كان بركات بن حسن بن عجلان معارضاً لتولي أخيه علي بن حسن بن عجلان إمارة مكة بدلاً منه هاجم بأتباعه في شهر صفر مدينة جدة وذلك لكي يفرض حصاراً اقتصادياً على مكة مما يضعف أخاه علي بن حسن بن عجلان ، وأيضاً يؤثر على دخل الدولة في مصر عندما تفقد وارداتها من التجارة ، وطلب بركات من التجار والنواخيذ[2] الهنود القادمين إلى مدينة جدة على كل مركب(٤٠٠٠)دينار ، فأجابوه : أن المراكب غير متساوية وبعضها لا يساوي حمولته (٥٠٠)دينار ، ودارت مفاوضات بين بركات والتجار انتهت بأن يعطوه مبلغ نصف العشر ما يساوي(٤٠) ألف دينار ، وكان أخوه علي قد أخذ مثل هذا المبلغ منهم ، ولكن بركات رفض هذا العرض وطلب مبلغ (١٠٠)ألف دينار ، وبينما كان بركات حريصاً على جمع المال من التجار كان أخوه علي بن حسن بن عجلان حريصاً هو الآخر على تخليص التجار من حصار أخيه بركات فقدم إلى مدينة جدة ودارت الحرب بين الطرفين خارج مدينة جدة كان من نتيجتها انهزام بركات وابتعاده عن تهديد مدينة جدة ، ومع هذا حل الخوف بالتجار ورحل تجار الهنود عن مدينة جدة بعد أن انتظروا مدة شهر حتى تهدأ الأوضاع ثم سافروا إلى بلادهم[3].

---

(١) المصدر السابق ، ج٤، ص٤٩. المصدر السابق ، ج٢، ص٤٩٩. ابن فهد : الدر الكمين ،ج٢، ١٣٣١.

(٢) النواخيذ : جمع ناخوذة وهو لفظ مركب من :ناؤ الهندي ، ومعناه السفينة وخذا ، الفارسي ، معناه مالك معرب ، معناه مالك السفينة أو ربانها .الخطيب ، مصطفى عبد الكريم : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٦هـ، ص٤١٩.

(٣) ابن فهد: إتحاف الورى ، ج٤، ص١٧٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٢٢. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٨١. السنجاري :منائح الكرم ، ج٣،ص ٤٠.

يتبين هنا دور ميناء جدة في اقتصاد إمارة مكة فكلا الشريفين كان يدرك أهمية هذا الدور في قوة الإمارة وذلك لكسب الأعوان وهذا ما تم فعلاً حيث رجحت كفة علي بن حسن ، كما أن حجم المبلغ الذي طلبه بركات من التجار يبين مدى الثروة التي كانت توفرها التجارة القادمة إلى ميناء جدة وما يحصله أمير مكة من هذه التجارة كفيل بأن يكسب به الأعوان وهذا ما جعل علي بن حسن ينتصر على أخيه بركات .

كما أن اضطراب الأوضاع الأمنية ساهم في رحيل التجار عن ميناء جدة بعد أن انتظروا مدة شهر في مراكبهم في البحر وهذا بدوره يؤثر على اقتصاد مكة حيث إن رحيل التجار يعني رحيل التجارة وفقدها من الأسواق مما سوف ينعكس على عامة الناس بنقص المؤن وقلة حركة البيع والشراء .

وكان مما يؤدي ضعف الجانب الاقتصادي ما يحدث في الأسواق من نهب وسلب لأموال التجار وبضائعهم من قبل جنود الأمراء المنتصرين في الثورات الداخلية وخصوصاً في أسواق مكة وجدة حيث إن الجند يدخلون البلد فيكون همهم الأول جمع أكبر قدر من الأموال والأمتعة الثمينة ، لذا كانت منازل التجار والأسواق الهدف الأول لهؤلاء الجند وسادهم ثم يتعدى النهب لمنازل عامة الناس فيصبح السكان بين عشية وضحاها فقراء معدمين ، ومن ذلك في عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م عندما حدث الخلاف بين هزاع ابن محمد بن بركات وأخيه أمير مكة بركات بن محمد حول الإمارة واستطاع هزاع الانتصار على أخيه بركات ،فقد دخلت قواته مكة وقاموا بأعمال شنيعة من نهب أموال الناس وتدمير ممتلكاهم حتى أن الناس اشتكوا على هزاع من تصرفات جنده فلم يستطع منعهم [1] لأنه فيما يبدو قد اتفق معهم مسبقاً على السماح لهم بنهب ما تصل إليه أيدهم فكانت تصرفاهم هذه كارثة على الاقتصاد حيث قلت التجارة الواردة لانعدام الأمن في البلد الأمين ، وعندما استقر هزاع بن محمد في مكة قام بأخذ أموال كثيرة من التجار وذلك فيما يبدو لتسديد التزاماته لمن عاونه

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١١٩٣،١١٦٧. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٦٢٦.السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١٠٨. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص٢٩٣.

في انتزاع الإمارة [1] ومما زاد من تفاقم الوضع المتردي أن بركات بن محمد زحف بعد هزيمته من قبل أخيه هزاع على مدينة جدة بقصد فرض حصار على أخيه ، وقام في طريقه بنهب قافلة تجارية قادمة إلى مكة من جدة، ثم دخل مدينة جدة ونهب عسكره غالب بيوتها حتى صار أكثر أهلها الأغنياء فقراء مما يدل على كثرة العسكر وعنفهم في النهب. [2]، وفي أثناء الصراع بين الأخوين على الإمارة كانت القرى في أطراف مكة خاصة والحجاز عامة هدفاً للنهب والسلب من جند الفريقين ومن اللصوص الذين استغلوا الوضع المضطرب فقاموا بالسطو عليها ونهبها مما جعل أهل هذه القرى لا يغادرونها خوفاً على أموالهم وبهذا قل جلب الأقوات إلى الأسواق فزادت الأسعار وانعدمت السلع الغذائية الأساسية [3] وهذه القرى هي التي كانت تمون مكة ببعض احتياجاتها الأساسية من المواد الغذائية مثل الحبوب .

وفي عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م عندما انتصر هزاع بن محمد على أخيه بركات للمرة الثانية دخل بقواته في جمادى الأولى مكة جمع التجار وطلب منهم مبلغاً كبيراً من المال لكي يفرقه على أتباعه من العسكر ، وهددهم إذا لم يفعلوا له ما طلبه بأن يترك الجيش ينهب ما يشاء ، وطبيعياً أن النهب سوف يتركز في الدرجة الأولى على منازل علية القوم وخصوصاً التجار فما كان من التجار إلا أن أذعنوا لطلب هزاع ودفعوا المبلغ بعد أن تم الاتفاق على نسبة معينة يدفعها كل تاجر على حسب تجارته ، ثم أمر هزاع أحد رجاله بأن يجمع له (٥٠٠) دينار في يوم واحد فطاف على التجار والمارة وأصحاب المحلات وأخذ منهم ما وجده معهم من أموال ، ولم يقتصر الحال على هذا فقد قام بعض العسكر بأعمال منافية للأخلاق حيث اقتحموا المنازل بمكة وصاروا يأخذون أموال الناس ويأخذون الجواري من بيوت سادتهم [4].

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١١٧٠. ابن فهد :غاية المرام ، ج٣، ص١٠٦. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٩٧،٢٩٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١٠٨. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص٢٩٠.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١١٦٧. ابن فهد :غاية المرام ، ج٣، ص١٠٦.الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٠.

(٣) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ١١٧٠، ١١٧١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص١٠٢.

(٤) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١١٩٢.

وعندما تولى جازان بن محمد الحكم بمكة بعد وفاة أخيه هزاع بن محمد في الخامس عشر من شهر رجب سنة ٩٠٧هـــ/١٥٠١م فعل مثل ما فعل أخوه هزاع مع التجار حيث جمعهم والذي لم يمتثل بالقدوم أخذ بالقوة من داره ووضع على كل واحد منهم مبلغاً من المال يقوم بدفعه لجازان ثم وصل بهم الأمر أن أخذوا تركة الغرباء بمكة وهي عبارة عن مجموعة من الأقمشة حيث طرحت على التجار وأجبروا على شرائها ، كما قام جازان وأتباعه بنهب مدينة جدة ، بعد أن جمع مالك بن رومي حليف جازان تجار مدينة جدة وأخذ منهم أموالاً طائلة [(١)] وقد كانت مبالغة جازان في جمع الأموال لكي يدفعها لأتباعه الذين كانوا مع أخيه هزاع لكي يكسب ولاءهم له حيث إن الوضع ما زال غير مستقر بسبب تواجد أخيهم بركات بن محمد على قيد الحياة في الجهة الجنوبية لمكة يتحين الفرص للزحف واستعادة إمارته ، وبعد خروج جازان من مكة وجدة قدم بركات بن محمد فحلت الكارثة من جديد على التجار فقد قام بركات بجمع التجار وطلب منهم مالاً لكي يصرفه على أتباعه وشؤون إمارته فوافق بعضهم ورفض البعض الآخر وذلك لكثرة ما أخذ منهم فكل أمير يدخل مكة ظافراً يقوم بجمع التجار ويأخذ ما يكفيه من أموال ، فعندما رفض بعض التجار قام بركات بحبس بعضهم حتى يدفعوا ما طلب منهم مما اضطر بعضهم من قلة المال أن يقوموا ببيع منازلهم لكي يسددوا ما فرض عليهم [(٢)] ، وعندما انتصر جازان على أخيه بركات بن محمد عام ٩٠٨هـــ/١٥٠٢م قام بجمع التجار وفرض عليهم مبالغ طائلة من المال حتى أنهم باعوا منازلهم بمكة وجدة ومزارعهم التي خارج مكة لكي يسددوا ما طلب منهم ، حتى أن بعضهم هرب واختفى وترك أهله [(٣)]. وبهذا تكون ثورة أبناء محمد بن بركات هزاع و جازان من أشد الثورات على اقتصاد مكة فقد عانى منها الناس عامة والتجار خاصة لفقدهم الكثير من أموالهم ،التي نهبت وما أخذه الأشراف بقصد القرض ولكن في الغالب أن ما يأخذه أمير مكة لا يعود إلى التجار[(٤)] .

---

(١) المصدر السابق ، ج٢، ص١٢٠٢.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٠٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص١١٢.

(٣) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٣٨. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص٤٧.

(٤) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١١٧٠.

وبهذا تعرضت مكة وأهلها لأزمة اقتصادية كبيرة حيث إن الوضع السيئ الذي عاشته تحتم عليها أن تعاني من نقص المؤن الشيء الكثير ، فمن المستبعد أن يقدم أحد إلى مكة بأي تجارة أو متاع لكي يستفيد منه مالاً أو طعاماً حيث إن القوات الغازية كانت بالمرصاد لتجارته ومتاعه .

وكان من أثر الثورات الداخلية أن أنصار كل طرف من الثائرين يكون لهم حرية التصرف في مكة من نهب وسلب من أموال التجار بعد انتهاء الثورة دون رادع حيث إن كل طرف يحاول كسب أكبر عدد من الأعوان فلا يقدم على منعهم من التصرفات السيئة ، وذلك لكي يبقوا مناصرين له وفي نفس الوقت يسلم من جزء من المال الذي يمكن أن يدفعه لهم وبهذا كان لهذه التصرفات أثر كبير على اقتصاد مكة حيث إن التجار كانوا في حالة من الخوف من هؤلاء اللصوص المحميين بولائهم للسلطة الحاكمة ، وكان من أشد هؤلاء العبيد الذين كان لهم سمعة سيئة في التعرض لأموال الناس والتجار في الأسواق وفي مواسم الحج على الحجاج ، ومن ذلك نذكر أنه في عام ٧٠٧هـ ـ١٣٠٧م عندما كان الصراع على أشده بين أبناء أبي نمي كثر شر هؤلاء العبيد في نهب أموال الناس وقد قام في موسم الحج أحدهم بالوقوف على تاجر في السوق وقام بأخذ أمواله من القماش عياناً بياناً جهاراً نهاراً دون حياء أو خجل من الناس الموجودين في السوق فعندما أراد التاجر منعه من أخذ قماشه قام بضربه ضرباً مبرحاً مما يدل على أن هذا اللص لم يكن يخشى السلطة الحاكمة في البلد المتمثلة في حميضة بن أبي نمي ، وعندما استغاث التاجر لم يسعفه إلا جنود أمير ركب الحاج المصري في ذلك العام الأمير سيف الدين نوغاي القبجاقي (١) فقاموا بالقبض على عدد من العبيد في السوق وفر الباقون ، وعندما علم حميضة بن أبي نمي بالقبض على العبيد استعد للحرب مع أنصاره والعبيد لقتال أمير الركب وجنده . وموقف حميضة هذا يدل على أن العبيد كانوا تحت حمايته فيتصرفون كما يشاؤون في أموال الناس مما جعل مكة في ذلك العام شديدة الغلاء فقد بيعت غرارة الحنطة بـ(١٥٠٠)درهم والذرة بأكثر من(٧٠٠)درهم ، وهذا ليس مستغرباً فكيف يستطيع التجار المتاجرة في أسواق تكتظ باللصوص والمتنفذين في

---

(١) هو الأمير سيف الدين نوغاي بن عبد الله القبجاقي :كان من أمراء العشرينات في عهد السلطان الظاهر برقوق ، توفي سنة ٧٩١هـ . ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج٢، ص٧٦٣. المقريزي : السلوك ، ج٥، ص٢٧٢.

إمارة مكة [1] الذين كانوا تحت حماية أميري مكة حميضة وأخيه رميثة ، وقد ساءت العلاقة بينهما وبين السلطة السياسية في مصر في ذلك الوقت لكثرة ما كانا يأخذانه بغير وجه حق من أموال التجار ، مما جعل السلطة السياسية في مصر تفكر جدياً في عزلهما عن الإمارة [2] وفي عام ٧١٧هـ/١٣١٧م عندما قام حميضة بن أبي نمي بثورته على أخيه رميثة قام بعد نجاح ثورته بنهب أموال التجار بمكة [3] ، وهذا يدل أن حميضة كان يسعى لجمع أكبر قدر من المال لكي يكسب به الأعوان الذين ساعدوه في ثورته وخصوصاً العبيد بمكة ويعطيهم ما يكفيهم من أُعطيات مكافأة على ما قدموه له من تضحيات .

وفي عام ٧٣٧هـ/١٣٣٦م عندما كان الصراع على أشده بين عطيفة بن أبي نمي وأخيه رميثة وانتهى بالقبض على عطيفة في القاهرة وجعله تحت الإقامة الجبرية في الوقت الذي عين رميثة أميراً لمكة بمفرده لذا قام مبارك بن عطيفة بنهب أموال التجار بمكة وأخذ أموال المجاورين بها [4] لكي يضيق الخناق على عمه رميثة الذي سيكون في حاجة للمال لدعم ولايته وهذا يدل أيضاً أن مبارك كان يحاول جمع المال بشتى الصور لكي يستطيع تغطية نفقات الصراع بينه وبين عمه رميثة ، وكان نتيجة هذا أن حلت الأزمات الاقتصادية بمكة ، ومما يؤيد أن ما ينهبه الأشراف من أموال التجارة القادمة والصادرة من مكة وصرفها على الحملات العسكرية قيام مبارك بن عطيفة في عام ٧٣٨هـ/١٣٣٧م بأخذ جميع أموال التجارة الصادرة من مكة وتوزيعها على أبناء قبيلتي زبيد وكنانة لكي يساعدوه في حربه

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٤١١. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٤٢١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٤٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦١٨. الكردي : التاريخ القويم ، ج٤، ص٣٧٢.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١،ص ٣٨٤. الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٤٤٦، ٤٤٨ ،ج٤، ص ١٠١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٤٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٥٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦١٩ ،٦٢٠. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص١٧٦.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٥٠، ج٤، ص١٠٣. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٥٢٦،٥٠٥.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٥٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٣.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص١٠٧،ج٥، ص ٢١٥. المقريزي : السلوك ، ج٣، ص٢١٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٠٦.ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص٩٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٤١.

ضد الأمير أحمد بن سالم أمير حلي [1] وذلك لأن أمير حلي كان موالياً لرميثة وهجوم الشريف مبارك على حلي يجعل المنطقة غير آمنة ويستطيع أن يجعل أمير حلي في ضائقة مالية لا يستطيع بها مساعدة صديقه رميثة .

وهذا التصرف من مبارك يدل على أن التجار القادمين إلى مكة والموجودين بها كانوا في خطر دائم من تصرفات الأشراف الذين كانوا يسعون لكسب المناصب السياسية بمعونة القبائل البدوية التي لا يهمها إلا ما تأخذه من أموال مقابل مساندة الثائرين والمعارضين من أبناء البيت الحاكم.

وفي عام ٧٩٣هـ/١٣٩٠م كان التنافس على أشده بين الشريفين عنان بن مغامس ، وعلي بن عجلان فكثر في ذلك العام قلة الأمن ، وخطف أموال الناس ، ونهب حجاج اليمن ومصر في داخل مكة ، وطريق منى بشكل فاحش ، مما يدل أن سلطة الشريفين كانت ضعيفة لدرجة أن أتباع كل منهما يتصرفون وفق أهوائهم في نهب الناس من أهل مكة والحجاج ،والدليل على ذلك أن حجاج مصر لم يسلموا في سفرهم من النهب إلا بعد أن أخذوا عهداً من بعض زعماء الأشراف بني حسن بعدم التعرض إليهم ، وكان هذا الوضع الذي وصلت إليه الأمور بمكة قد أغضب السلطة السياسية في مصر فقررت استدعاء الشريفين إلى القاهرة لوضع حد لهذه التصرفات ، فكان نتيجة ذلك عزل عنان وانفراد علي بن عجلان بالإمارة [2] ، ومع تولية السلطة السياسية لعلي بن عجلان بمفرده إلا أنه لم يستطع أن يكبح جماح القوى السياسية والعسكرية بمكة من الأشراف والقادة لأنه كان في غاية الضعف أمامهم لتمكنهم من أبناء البيت الحاكم وقوتهم العسكرية التي يهددون بها كل أمير من الأشراف ، وقد حاول علي بن عجلان كبح جماحهم بمصادرة بعض أسلحتهم وسجن(٧٠)رجلاً من زعمائهم ، وأخذ بعض مصادر تموينهم من المناطق الزراعية التي كان

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص٢٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢١١. الزيلعي ، أحمد بن عمر : بنو حرام حكام حلي ، وعلاقاتهم الخارجية (ق٤-٩هـ) ،ص١١٢، مجلة كلية الآداب ،جامعة الملك سعود ، المجلد الخامس عشر ، العدد الأول ، ١٤٠٨هـ.

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص٥٤٥. الفاسي : العقد الثمين ،ج ٥، ص٢٨٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٧٩،٣٨٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢١٢،٢٣٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٧٨.

قد وهبها لهم ، ثم أطلق من كان في سجنه منهم محاولة لكسب ودهم ، فما كان منهم إلا أن تحزبوا عليه من جديد وصاروا يعيثون في الأرض فساداً مما كان له أكبر الأثر على اقتصاد مكة فقد أعرض التجار عن الرسو في ميناء مدينة جدة وصاروا يرسون في ميناء ينبع(١) فكان هذا الإجراء قاصمة الظهر لاقتصاد الحجاز عامة ومكة خاصة، فأصاب علي فاقة شديدة حتى أنه أقدم على أخذ أموال المجاورين (٢) لشدة حاجته للمال ، وهذا دليل على كثرة ما كان يدفعه للأشراف والقادة في محاولته لكسب ولائهم له ورغبته في أن يتركوا نهب الناس والتعرض إليهم ولكن دون جدوى .

و في عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م عندما كان الصراع على أشده بين أبناء محمد بن بركات هزاع وأخيه جازان وأخيهم أمير مكة بركات كان العسكر لكل منهم إذا دخلوا البلد يقومون بنهب الأسواق والمحلات التجارية ، ويكسرون أبواب دكاكين الحب والسمن وغيرها من المتاجر ، ويأخذون جميع ما فيها (٣)، دون رادع من الأشراف الذين كان كل واحد منهم في حاجة لعدد كبير من الأنصار لمواجهة أخيه وفي نفس الوقت كان ما يملكه من المال لا يكفي نفقات العسكر لذا كان يغض الطرف عن تصرفات جنده ، وهذا كان له الأثر الأكبر على اقتصاد مكة حيث إن تجار الحبوب هم الذين يعتمد عليهم السكان بعد الله في شراء ما يحتاجونه من طعام ؛ وصاحب قِلة ورود المواد الغذائية وارتفاع في الأسعار بشكل كبير أضر بالناس ، وكان تصرفات الجند السبب الرئيس في ذلك ، ومن ذلك مثلاً أن أنصار جازان بعد انتصاره على أخيه بركات في عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م كانوا يعترضون

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص٥٤٥. الفاسي : العقد الثمين ،ج ٥، ص٢٨٥. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢، ص٣٥١. المقريزي : السلوك ، ج٥، ص٣٣٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٨٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٣٥.الجزيري الدرر ، ج١، ص٦٨٠. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص٢٧٨. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٦٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٩٤. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص١١٧.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج ٥، ص٢٨٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٩٣. ابن فهد :غاية المرام ،ج٢، ص٢٣٦. ابن حجر : إنباء الغمر ، ج١، ص٥٠١. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص ١١٧.

(٣) ابن فهد :بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٦٣، ،١١٦٩، ١١٩٨، ١٢٢٨. ابن فهد :غاية المرام ،ج٣، ص١٠٨. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٦٢٦.

القوافل التجارية القادمة إلى مكة ويشترونها بالسعر الذي يحددونه هم ويبيعونها على التجار بالسعر الذي يحددونه [1] وهذا منتهى التعسف من جند جازان وقد كان فعلهم هذا بعد انتهاء الصراع بين الأخوين أما أثناء الصراع فكانوا ينهبون كل ما يجدونه في طريقهم من متاع وأموال .

وقد بلغ الوضع الاقتصادي سوءاً بمكة أثناء ثورات أبناء محمد بن بركات عام ٩١٠هـ/١٥٠٤م عندما دخل حميضة بن محمد مكة مع أتباعه من قبيلة زبيد وبني إبراهيم فقد خاف التجار وعلية القوم من النهب والسلب، فقام عدد كبير منهم بالخروج من البلد والالتجاء إلى أصدقائهم من رجال البادية ، وفي نفس الوقت غلت الأسعار بشكل كبير حتى قلت الأقوات وأصبح الناس في فاقة شديدة بسبب قلة الوارد [2] وقد كان فزع الناس هذا مبرراً حيث أن السكان من جميع شرائح المجتمع قد عانت من الأزمات الاقتصادية منذ بداية الخلاف بين أبناء محمد بن بركات في عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م حتى نهاية عام ٩١١هـ/١٥٠٥م.

وبهذا كانت التجارة المجال المتنافس عليه بين الثائرين من أبناء البيت الحاكم لأهميته في استمرار أمر الولاية لكل أمير .

وكان من أثر الثورات الداخلية على الأوضاع الاقتصادية أن بعض المتنازعين على السلطة يعمد إلى إضعاف خصمه بقطع موارده الاقتصادية المحلية وذلك بالهجوم على المناطق الزراعية التابعة للخصم أو لأعوانه ويقوم بتدميرها ، وغالباً كان هذا التدمير يكون بقطع أشجار النخيل التي كانت تمون أصحابها وتدر عليهم ربحاً ببيع محصولها في الأسواق ، وكان هذا بلا شك مؤثر على الاقتصاد حيث إن زوال إنتاج المزارع يؤثر على موارد السوق التجارية من المحاصيل الضرورية فتزيد أسعار السلع ويبقى الاعتماد على التجارة الواردة من خارج البلاد، ومن ذلك في عام ٧٣٧هـ/١٣٣٦م قام مبارك بن عطيفة بإرسال أخيه مسعود بن عطيفة إلى وادي مُرالظهران لقطع نخيل للقواد ذوي عمر الذين انضموا إلى صف

---

(١) ابن فهد :بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٢٣٧.

(٢) المصدر السابق ، ج٣، ص ١٣٧٥.

عمه رميثة ضد والده عطيفة ، فقام مسعود بقطع كثير من النخل في الوادي ، وعندما تولى عمه رميثة في نفس العام إمارة مكة بمفرده قام بالرد على ابن أخيه فقطع نخلاً كثيراً لأخوته الذين كانوا موالين لأخيه عطيفة ، مما يملكونه من مزارع النخيل. [1]

وفي عام ٧٩٨هـ/١٣٩٥م قام حسن بن عجلان بقطع أشجار النخيل بخيف بني شديد التي كان يملكها الأشراف والقواد الذين كانوا معارضين له ومتهمين بقتل أخيه علي بن عجلان [2]. وطبيعياً أن يكون لهذا الفعل الأثر الكبير على موارد مكة من التمور .

وفي عام ٨٨٧هـ/١٤٨٢م اختلف أمير مكة محمد بن بركات مع أهل الفرع [3] فقام بهجوم عسكري عليهم وقام بقطع الكثير من أشجار النخيل قيل أنه يزيد على (٤)آلاف نخلة من نخيلهم [4]. وهذا يعتبر تصرفاً غير موفق من محمد بن بركات فهذا العدد الكبير من أشجار النخيل الذي تم تدميره سوف ينعكس أثر قطعه على جميع سكان المنطقة والقادمين إليها حيث إن مكة بمواسمها الدينية هي السوق الأول لمنتجات هذه الأشجار الكريمة، فتصرف الأمير بهذا الشكل يدل على عدم التعقل وبعد النظر .

أما التعرض للتجار المشهورين في مكة وأخذهم رهينة حتى يتم أخذ مبلغ من المال منهم أو فداؤهم من قبل ذويهم فقد ظهر هذا الفعل أثناء الثورات الداخلية بين أبناء البيت الحاكم بمكة ، وكان أول تاجر مكي يتم اختطافه التاجر ابن راشد [5] ، وابنه حسب الله فقد تم اختطافهما في عام ٧٧٧هـ/١٣٧٥م من قبل أبناء ثقبة بن رميثة عندما تمردوا على أحمد بن عجلان وعند خروجهم إلى وادي نخلة لقوا في طريقهم التاجر ابن راشد وابنه حسب الله

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص٢٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٠٧.

(٢) المصدر السابق ، ج٣، ص٣٥٠. المصدر السابق ، ج٣، ص٣٩٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٢٥٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٨٢.

(٣) الفرع :من أشهر أودية الحجاز وأكبرها غني بعون الماء يقع بين جبلي قدس ، وآراة حتى ينتهي بالقرب من رابغ ويسمى وادي الفرع بوادي النخل لكثرة نخيله ، يسكنه بني عمرو من حرب ، من قراه أبو ضباع ، وأم العيال ، والمضيق ، والفقير . عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج ٧ ، ص٤١.

(٤) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج١، ص٢٢٧. ابن فهد : غاية المرام ن ج٢، ص٥٤٠.

(٥) ابن راشد : هو أحمد بن راشد بن سليمان بن راشد السالمي ، أحد تجار مكة المكرمة . الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص٣٤٢.

فقاموا باعتقالهما واصطحبوهم معهم إلى وادي نخلة ، وقد أراد الله لهما النجاة حيث تمكنت قوات أحمد بن عجلان من اللحاق بهم وتخليص التاجر وابنه من الاعتقال [1] وهنا يظهر أن الأشراف أبناء ثقبة كان قصدهم أخذ مبلغ من المال من التاجر ابن راشد لكي يتزودوا به ويجمعوا حولهم الأعوان للاستمرار في تمردهم ، ولكن كانت يقظة أحمد بن عجلان ، وتفاني جنده قد أحبطت محاولة أبناء ثقبة وقضت على تمردهم ، كما أن حرص أحمد بن عجلان على تخليص التاجر ابن راشد دليل على دور التجار في دعم أمراء مكة بأموالهم متى احتاجوا إليها سواءً برضاهم أو بغير رضاهم .

وفي عام ٨٤٧هـ/١٤٦٩م كان زاهر بن أبي القاسم بن حسن بن عجلان على خلاف مع أبيه فقام بالقبض على التاجر ابن مشط وتوجه به إلى منطقة ساية وطلب منه (٥) آلاف أفلوري مقابل إطلاقه ، ولم يستطع التاجر ابن مشط أن يدفع هذا المبلغ وتم الاتفاق في النهاية على أن دفع التاجر مبلغ (٦٠٠)أفلوري فتم إطلاقه[2] وقد قام زاهر بهذا التصرف بقصد جمع المال لكي يستطيع أن يجمع له أعواناً يساعدونه في عدائه لوالده أمير مكة ويبدو أن ماحصل عليه من أموال لم تكن لتكفيه في تغطية النفقات التي يحتاجها لأعوانه فقام بمجموعة منهم بالزحف خفية على مكة ليلة الثلاثاء العاشر من شهر شعبان من نفس العام أثناء تواجد والده أبي القاسم في مدينة جدة واستطاع بهم أن يختطف التاجر أحمد البوني [3] من منزله ويخرج به إلى مقر إقامته مع أتباعه في وادي مُر الظهران بمنطقة أم الدمن[4] وقاموا بتعذيبه بأنواع العذاب حتى وعدهم بإعطائهم (٤٠٠٠)أفلوري ، وكتب إلى أهله بأن يحصلوا المبلغ ببيع ما يفي به من أملاكه ، وقام أبو القاسم بمنع أهل التاجر من دفع المبلغ وانتهى الأمر بإطلاق التاجر بعد أن تخوف زاهر وأتباعه من عاقبة الأمر

---

(١) المصدر السابق ، ج٣، ص٥٧. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٢٣. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص١٨٧.

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص٢٠٧.

(٣) هو التاجر محمد بن أحمد البوني أحد تجار مكة المكرمة ، البوني نسبة لبونة منطقة في تونس ، كان من أكثر التجار ثراء ، له صدقات كثيرة . السخاوي : الضوء اللامع ، ج١،ص١٩٣.

(٤) أم الدمن موضع قرية بالقرب من مكة المكرمة وهي أقرب إلى خليص ، كان ينزل بها أمراء الحاج المصري ، وهي غير معروفة اليوم .عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج١، ص٩٥.

بعد أن تبين لهم أن أبا القاسم قام بتجهيز الرجال للزحف عليهم وقتالهم[1] و يتبين هنا وضع التجار الذين يشتهر عنهم الثراء حيث يصبحون هدفاً لكثير من الثائرين لكي يحصلوا منهم على مبالغ مالية كبيرة وهذا بلا شك يؤثر على الاقتصاد حيث إن التجار يصبحون في خوف من العمل بحرية في مجال التجارة ويقل نشاطهم التجاري حتى لا يُنقل عنهم حجم ثرواتهم فيصبحون الهدف الأول للثائرين وينعكس هذا على توفر المواد التجارية في الأسواق وغلاء الأسعار .

و كان يقوم الثائرون باعتراض قوافل الحجاج التي كانت أيضاً تضم عدداً من التجار القادمين بصحبتها [2]، وكان بعض الحجاج يجمع بين الحج والتجارة فتكون قوافل الحجيج غنيمة للثائرين إذا لم يتوصلوا معهم إلى اتفاق بإعطائهم بعض المال ومثال ذلك ما حصل لحجاج بلاد المغرب العربي في عام ٦٧١هـ/١٢٧٢م أثناء الخلاف بين أبي نمي وإدريس وأتباعه فقد نهب رجال البادية ركب الحجاج بكامله [3] مستغلين الخلاف السياسي بين الأشراف ؛ كما حدث في عام ٧٩٣هـ/١٣٩٠م أن نُهب حجاج اليمن ومصر وأخذت الأموال وذلك بسبب الخلاف بين عنان بن مغامس و علي بن عجلان [4] فقد انعدم الأمن فأصبح الحجاج عرضة للنهب ؛ وأيضاً ما حدث لركب حاج الشام من أتباع جازان بن محمد عام ٩٠٧هـ/١٣٠٩م حيث نُهب الركب بكامله وقتل من فيه من رجال ونساء وأطفال[5]. وبهذا يكون قد حدث أزمة اقتصادية بسبب قلة التبادل التجاري لفقد المال الذي كان يحمله الحجاج وأيضاً حرمان الأسواق من السلع التجارية التي نُهبت .

المكوس التجارية :

---

(١)ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص٢١٠. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص٤٢٤.

(٢) في عام ٧٠٩هـ لم يقدم إلى مكة المكرمة حجاج من بلاد الشام ، مما اضطر التجار الشاميين إلى الخروج إلى جنوب فلسطين لمصاحبة الحجاج المصريين .ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٣، ص١٤٦.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٠٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٠٤.

(٤) المصدر السابق ، ج٣، ص٣٧٩. المصدر السابق ، ج١، ص٦٧٨.

(٥) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢١٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣،ص١١٢.ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص٣٥. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٢.

مما أثر على الجانب الاقتصادي أثناء الثورات الداخلية ارتفاع المكوس التي كان يتقاضاها أمراء مكة على ما يصل إليها من سلع تجارية وعلى الحجاج [1]فعندما تقوم الثورة وينتصر أحد الثائرين يعمد إلى زيادة المكوس على الناس وذلك في مسعىً منه لجمع أكبر قدر من المال الذي يستخدمه في نفقات جنده وتثبيت إمارته و هذا بلا شك يؤثر على اقتصاد مكة حيث إن التجار يقل ترددهم على البلد فتحل أزمات اقتصادية كبيرة ، وكانت السلطة السياسية في مصر تسعى جاهدة في منع أشراف مكة من فرض المكوس كلما سمعوا بعودتها

---

(١) فرض حكام مكة في أغلب الأوقات مكوساً على حجاج بيت الله الحرام وهي ضريبة يؤدونها عند قدومهم إلى الأماكن المقدسة ، وكان يؤخذ من كل حاج مبلغ سبعة دنانير ونصف ، حيث يقابل الحجاج موظفو الشريف في مدينة عيذاب أو في مدينة جدة ويأخذون هذه الضريبة ، ومن لم يؤد ما طلب منه يسجن حتى يفوته الحج ، بعد أن يعذب بالعذاب الأليم حتى يجبر على الدفع إذا كان لديه مال ، وقد ذكر ابن جبير أن هذا المكس كان منذ دولة العبيديين ، حيث سمحوا لأمير مكة المكرمة أن يأخذ ضريبة على الحجاج ،وهذا يحتمل أن الدولة العبيدية قد غضت الطرف عنه عندما ضعفت وقل المال لديها وذلك لتخف عليها النفقات ، فبدل أن تحمل الأموال إلى إمارة مكة كان هذا الإجراء تخفيفاً من العبء المالي عليها ، والذي يؤكد ذلك أن هذا المكس كان يؤخذ في عيذاب على الحجاج القادمين من جهة مصر وعلى طريقها ، والآخرين يؤخذ منهم في مدينة جدة وهم الذين فاتهم المكس في عيذاب من حجاج السودان وجنوب مصر وفلسطين ، والقادمين من اليمن عن طريق البحر ، فلوكانت الدولة الفاطمية العبيدية بمنأى عن هذا المكس لم يرد أخذه في عيذاب لأن عيذاب ضمن الأراضي المصرية ، وقد ألغى السلطان صلاح الدين الأيوبي هذا المكس في عام ٥٧٢هـ وذلك عندما حج الشيخ أبو عبد الله علوان الأسدي الحلبي عن طريق البحر ، وكان له مكانة لدى السلطان صلاح الدين مثل غيره من العلماء وعندما وصل إلى جده مع عدد من الحجاج طلب منه موظفو الشريف دفع مكس الحاج الذي كان مفروضاً على الحجاج وقدره سبعة دنانير ونصف ، فرفض أن يدفع شيئاً وهم بالرجوع إلى بلاده = =وعندما أراد الرجوع خاف موظفو الشريف من عودة الشيخ علوان دون أداء الحاج وطلبوا منه أن يتريث حتى يكلموا الشريف مكثر في أمره ، فأعفاه الشريف مكثر من أداء المكس ، وذلك فيما يبدو خوفاً من عاقبة الأمر لمعرفته المسبقة بقوة السلطان صلاح الدين ، لذا حرص على مقابلة الشيخ علوان وعند مقابلته له اعتذر إليه وبين له أن دخل البلاد لا يكفي مصروفات الإمارة ، وأن أخذهم لهذا المكس بدافع الحاجه ، فما كان من الشيخ علوان عند عوته من الحج إلا أن كتب للسلطان صلاح الدين وبين له وضع إمارة مكة المكرمة وحاجتها للنفقة وأن إقدام أميرها على أخذ المكس من الحاج كان لضيق ذات اليد ، فاتفق رأي السلطان على أن يرسل مواد تموينية لمكة المكرمة كل عام لكي يستفيد منهاالأمير وأهلها تقدر بثمانية آلاف إردب من القمح . ابن جبير: رحلة ابن جبير ، ص٥٥، ٣٠ . سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٨، ص٣٣٨. أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ج٣، ص٩. النويري : نهاية الأرب ، ج٢٨، ص٣٦٥. الفاسي : العقد الثمين : ج١، ص٣٤١. المقريزي : السلوك ، ج١، ص١٧٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٣٨.

ومن ذلك أنه عندما حدث النزاع بين أبناء أبي نمي على السلطة وتولى أبي الغيث بن أبي نمي وأخيه عطيفة عام ٧٠١هـ/١٣٠١م أعادا المكوس على الناس وذلك رغبة في كسب الأعوان مما افقدهما ثقة الناس والدولة فكان لأتباعهم تعدٍ على أموال الناس بالنهب والسلب وقد تسبب ذلك في عزلهما وتولية أخويهما حميضة ورميثة اللذين عندما عادا إلى السلطة في مكة في عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م فأزالا شيئاً من المكوس التي كانت مفروضة في محاولة لكي يساعدا على رخص الأسعار التي ازدادت ارتفاعا في ذلك العام ، فقد وصل سعر الويبة الشعير بأربعين درهماً ، والويبة الدقيق بستين درهماً [١]، وهذا يدل على عدم ورود التجار ببضائعهم خوفاً من المكوس التي كانت مفروضة على التجارة الواردة إلى مكة ، وكانت هذه المكوس على الواردات من الأقوات مرهقة للتجار مما جعل الأقوات قليلة في وقت فرض هذه المكوس ، ومما يزيد الوضع سوءاً إذا قلت الأمطار في الحجاز وقل محصول المزارع المحيطة بمكة ، فتحدث كوارث في قلة الأقوات لأن التجار يحجمون عن شراء الأقوات من خارج الحجاز لاضطراب الأمن وزيادة المكوس مما يجعل الدولة في مصر تتدخل بمنع أمراء مكة من فرض المكوس ، وجلب الأقوات إلى مكة على وجه الصدقة لكي تنخفض أسعار الأقوات فتكون في متناول العامة من الناس ، ومثال ذلك عندما طلبت السلطة السياسية في مصر من عطيفة وأخيه رميثة في عام ٧٢١هـ/١٣٢٠م إسقاط المكوس عن التجار الواردين بالمواد الغذائية ، وأمرها بنقل كميات من القمح إلى مكة ، كما جعل لأميرها حصة من القمح تحمل إليه من مصر كل عام [٢] لكي ينصرف عن فرض المكوس وأخذ الأقوات من التجار ، وهذا يدل على أن الأشراف كانوا لا يتورعون عن فرض المكوس على كل واردات مكة وزوارها لأنهم في ذلك الوقت بالذات كانوا في صراع دائم على السلطة وكل

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٤٧،ج٤، ص ١٠١.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٤٠. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٥٥. الجزيري : الدرر ، ج٣، ص١٤٠. العاصمي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٢. السنجاري :منائح الكرم ، ج٢،ص ٣٢٨.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ،ج ١٤ ، ص١٠٣. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٢١٤. المقريزي : السلوك ، ج٣، ص٥٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٧٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٧. العاصمي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٨. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٤١.

منهم يحاول أن يجمع أكبر عدد من الأتباع وهذا لا يكون إلا إذا استطاع أن يسد حاجتهم وخصوصاً من الأقوات الضرورية .

وفي عام ٧٦٦هـ/١٣٦٤م حدثت مجاعة كبيرة حيث انعدمت الأقوات من الأسواق وأكل الناس لحوم الميتة من الجوع ، وهلك عدد كبير من الناس من شدة الجوع ، ونزح عدد كبير من سكان مكة إلى خارجها بسبب الفاقة ومع هذه الشدة استمر عجلان يأخذ مكوساً كثيرة على المواد الغذائية فكان يأخذ مداً مكياً وربع المد على كل حمل يصل من جهة الطائف ونخلة ، ومداً جدياً على كل حمل يصل من جدة ، و(٨) دنانير مسعودية على كل حمل من التمر اللبان [١] ، و(٣) دنانير مسعودية على كل حمل تمر محش [٢] و(٦) دنانير مسعودية على كل شاة [٣] ، وسدس قيمة ما يباع في أسواق مكة من السمن والعسل والخضراوات وغير ذلك [٤]، ويبدو أن عجلان كان قد أفقرته الصراعات العسكرية بينه وبين أخويه ثقبة و سند فقام بفرض هذه المكوس التي أرهقت الناس وزادت من حجم الغلاء ووصلت أخبارها إلى السلطة السياسية في مصر المتمثلة في السلطان الأشرف شعبان ،فسارع بإرسال الأقوات لتفريقها على الناس وطلب من عجلان إسقاط المكوس التي كان يأخذها على المواد الغذائية ، مما يجلب من الحبوب والخضروات والثمار والأغنام ، وكل ما يباع من السمن والعسل ، وكل ما يلبس مثل الثياب وغير ذلك ما عدا جباء مدينة جدة ، وجباء تجار الكارم[٥] والمكوس التي كان يأخذها من حجاج العراق ، ومكوس الخيل ، وقررت

---

(١) التمر اللبان :هو التمر الجاف الأبيض . حاشية إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٠٣.

(٢) التمر المحش : لم يعثر لها على تعريف ، وربما يكون نوع من أنواع التمور التي تغير اسمها مع مرور الزمن ، أوالتمر الذي يحشى بالجوز أو اللوز أو غيره .

(٣) الشاه الواحدة من الغنم للذكر والأنثى أو يكون من الضأن والمعز والظباء والبقر والنعام ، وحمر الوحش . الفيروزأبادي : القاموس المحيط ، ص ١١٢٤. ابن منظور : لسان العرب ، ج ٧،ص ٢٤٤.

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٤٢١. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص٢٧٨. ابن تغري بردي : النجوم= =الزاهرة ، ج١١، ص٢٤. ابن فهد :إتحاف الورى ،ج٣، ص٣٠٢. الجزيري : الدرر ، ج١،ص٦٦٤. الزهراني ضيف الله : أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة ، ص٧٦. رتشارد مورتيل : مصادر التموين الغذائي لإمارة مكة المكرمة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، المجلد الثاني عشر ، العدد الأول ،١٩٨٥م ، ص ١٩٩.

(٥) تجارة الكارم :تنسب تجارة الكارم إلى الكارمية وهم فئة من كبار التجار اشتغلوا باحتكار تجارة الهند والشرق الأقصى في ا لتوابل وما يليها من السلع الأخرى ، وكان مركز نشاطهم الأول في المحيط الهندي ،ثم اتخذوا قواعد

لعجلان مقابل تنازله هذا (١٧٠)ألف درهم نقرة من بيت المال ،و(١٠٠٠) أردب قمح له خاصة [1] وبهذا يتبين ما كان يعانيه الناس من تجار وعامة في مكة من صنوف الضرائب التي أرهقتهم بسبب التنافس بين الأشراف على عرش إمارة مكة، وإنفاقهم الأموال على التسليح وشراء الأعوان لكسب الصراعات العسكرية التي كان يدور رحاها بينهم ، وجهود الدولة المملوكية في منع الضرائب والتخفيف عن الناس ومحاولة إقناع أشراف مكة بتخصيص قدر من الغلال لكفايتهم عن العودة لفرض الضرائب .

وفي عام ٧٩٣هـ/١٣٩٠م كان بمكة غلاء كبير من أسبابه ما كان يأخذه نواب أميري مكة عنان بن مغامس ، وعلى بن عجلان من مكوس أرهقت الناس وألحقت بهم الضرر الفادح [2]. لأن الشريفين كانا يتنافسان في جمع أكبر عدد من الأعوان لكي يكسب كل منهما التفوق على الآخر بسبب سوء العلاقة التي كانت بينهما فكان نوابهما يبالغون في جمع المكوس من الناس .

وفي عام ٨٢٤هـ/١٤٢٠م أمرت السلطة السياسية في مصر حسن بن عجلان بإسقاط المكوس التي أعادها في مكة المأخوذة على الخضر وغيرها من المأكولات ، وأن يكتب الأمر برفع المكوس على أساطين المسجد الحرام ، لكي يراها الناس فيما يبدو ويمتنعوا عن دفعها ، وقد امتثل حسن بن عجلان وقام بتنفيذ ما طلبت منه السلطة السياسية فرفع المكوس التي

لهم في موانئ ساحل الهند الغربي وفي الخليج العربي وعند مدخل البحر الأحمر الجنوبي ، وكان بداية ظهورهم في العهد الفاطمي ثم بدأ نشاطهم يزداد ووصلوا درجة عالية من الثراء في العصر المملوكي . عطية القوصي : أضواء على تجارة الكارم ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ، الثاني والعشرون ، ١٩٧٥م ، ص ١٩،١٧.

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٤٢١. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص٢٧٨.ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١١، ص٢٤. ابن فهد :إتحاف الورى ،ج٣، ص٣٠٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٦٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٧٥. الكردي : التاريخ القويم ، ج٤، ص٣٧٢.رتشارد مورتيل : مصادر التمين الغذائي لإمارة مكة المكرمة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، المجلد الثاني عشر ، العدد الأول ، ١٩٨٥م ، ص ١٩٩.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٢٨٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٧٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٧٨.

فرضها على الناس وكتب أمر الدولة بإزالتها في ناحية باب بني شيبة ، وناحية الصفا [1]
ويبدو أن الدافع لحسن بن عجلان في إعادة المكوس على المأكولات في مكة انقطاع ما كانت الدولة المملوكية قد قررته لأمير مكة من المال والغلال ، وأيضاً الصراعات التي شهدها عهد حسن بن عجلان بينه وبين ابن أخيه رميثة والصراعات التي قام بها الأشراف والقادة ضده أيضاً فكانت هذه الأمور تستدعي نفقات كثيرة دعت حسن بن عجلان إلى إعادة فرض المكوس من جديد.

وفي عام ٨٥٥هـ/١٤٥١م أمرت الدولة المملوكية بإسقاط مكس بجيلة [2]، وأن يكتب الأمر بأبطاله على رخامة وتلصق بباب المعلاة [3]. يتبين هنا أن الدولة كانت مصممة على إزالة جميع المكوس التي فرضها حكام مكة على الواردات التجارية ، كما أن الأمر بأن يكتب الأمر على باب المعلاة بما يشير أن التجارة القادمة من جهة الطائف وبجيلة كانت تدخل مكة من هذا الباب وأن الكتابة عليه إعلام للقادمين برفع المكس من قبل الدولة فيمتنعون عن دفعه .

ولكن يبدو أن أمراء مكة أعادوا مكس بجيلة، يدل على هذا أن بركات بن محمد أمر في الثالث والعشرين من شهر محرم عام ٩٠٣هـ/١٤٩٧م برفع مكس بجيلة ونادى مناديه في مكة بهذا الأمر [4]. وقد كان رفع هذا المكس من قبل بركات بعد وفاة والده بيومين ويبدو أن الدافع لرفع هذا المكس رغبة منه في تأليف قلوب رعيته عليه في بداية حكمه ، وكسب ولائهم له ، وكذلك أيضاً لضمان تأييد السلطة السياسية له في مصر .

وفي السابع عشر من شهر شوال عام ٨٧٢هـ/١٤٦٧م وصل إلى مكة مرسوم السلطان قايتباي إلى محمد بن بركات بأن يسقط جميع المكوس بمكة ، وأن يكتب أمره هذا على اسطوانة من أساطين المسجد الحرام تجاه باب السلام ، وقد امتثل محمد بن بركات أمر

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٣٨٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٧٨. ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص٣٣٦،٣٣٤.

(٢) كان مقدار هذا المكس على كل حمل نصف أشرفي ، وكان يجبى باستمرار . ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص٦٧.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٤، ص٣٠٤.

(٤) ابن فهد : بلوغ القرى ،ج ٢، ص١٠٢٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص٦٧.

السلطان الأشرف قايتباي فقام بإسقاط جميع المكوس التي كان يأخذها [1]. وهنا يتبين أن الدولة كانت في ذلك الوقت قد أحكمت قبضتها على الأمور بمكة لذا نرى محمد بن بركات يستجيب لطلب السلطان دون مراجعة ، كما أن تحسن أوضاع التجارة وهدوء الوضع السياسي في مكة كان يشجع على ترك المكوس ، فمحمد بن بركات لم تقم ضده ثورة عسكرية سياسية من أفراد الأسرة تهدد إمارته وتجبره على جمع الأموال الطائلة للتصدي لها فنراه لا يمانع في إلغاء المكوس ، وهذا يدل على أن العائد لمحمد بن بركات من رسوم التجارة كافياً لنفقات إمارته ، وذلك لازدهار الوضع التجاري في ذلك الوقت .

وفي عام ٨٨٧هـ/١٤٨٢م عاد محمد بن بركات إلى أخذ شيء من المكوس على الحجاج فأسرعت الدولة المملوكية المتمثلة في شخص السلطان قايتباي إلى البحث عن سبب أخذ المكوس فما كان من محمد بن بركات إلا أن أعتذر عن أخذها وأنه لا علم له بما تم أخذه من المكوس وأن القائم بهذا العمل هم بعض العسكر [2] بغير علم منه وأقسم على هذا فما كان من السلطة المملوكية إلا أن أمرته مجدداً برفع المكوس [3] وسواء كان محمد بن بركات على علم أم بدونه، فهذا لا يعفيه من المسؤولية لأن الحجاج سوف يفدون إلى مكة ويقابل زعماؤهم الشريف أو نوابه ويبينون لهم ما تم أخذه منهم من مكوس ولكن يظهر أن عيون الدولة كانت شديدة الرقابة على ولاية مكة فأبلغت السلطة في مصر بما حدث، الأمر الذي جعل السلطة في مصر تصر على رفع المكوس وعدم بقائها ، كما يبين موقف الشريف بحلفه لليمين بأنه على غير علم بهذه المكوس، قوة الدولة وسيطرتها، مما جعل محمد بن بركات في خوف من تغير وضعه في الإمارة.

الصدقات :

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص٤٨٣ السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص٦٨.الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ،ج١، ص٢٧١..

(٢) كان عسكر الشريف محمد بن بركات عنيفين في تعاملهم مع الناس لجمع ماهو مخصص للشريف من الصدقات والرسوم حتى أنه في عام ٨٨٧هـ شكوا في أحد أمناء الصدقات الواردة إلى مكة المكرمة بأنه اختلس منها لنفسه ، فضربوه ضرباً مبرحاً حتى مات . ابن فهد : بلوغ القرى ،ج١، ص٢٢٠

(٣) ابن فهد :بلوغ القرى ، ج١، ص٢٠٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٥٣٨.

أما ما يصيب الصدقات التي ترسل إلى مكة فقد كان يصيبها الضرر من جراء الثورات الداخلية حيث كانت غالبية هذه الثورات تأتي في موسم الحج وكانت غالبية الثورات تحدث فيه فكان يذهب غالبها غنيمة لأحد الطرفين وما يوزع على الناس إلا النزر اليسير فكان المتنازعون على السلطة في حاجة ماسة إلى المال للنفقات في محاولاتهم كسب الرهان ، فكان في بعض الأوقات تمتد أيدي بعضهم إلى الصدقات التي أرسلت إلى مكة فيقومون بأخذها وطبيعياً أن يشكل هذا خللاً كبيراً على الاقتصاد حيث يصبح عدد كبير من السكان في حالة بائسة من قلة ذات اليد ، ومن ذلك مثلاً أخذ حميضة بن محمد من أموال الصدقات التي وفدت إلى مكة في عام ٩٠٩هـ/١٥٠٣م من قبل الدولة العثمانية [(١)] (١٠٠٠) دينار عندما احتاج لدفع مبلغ من المال تم الاتفاق عليه مع أخيه بركات [(٢)] الذي كان في صراع معه على استعادة إمارته على مكة .

---

(١) كان سلاطين الدولة العثمانية وكبار رجال الدولة يرسلون بصدقات إلى مكة المكرمة وكانت تسمى صدقات الروم . النهروالي : الإعلام ، ص ٢٦٩. السباعي : تاريخ مكة المكرمة ، ج٢، ص٣٤٣.

(٢) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص١٧١. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج ٢، ص١٣٣٢. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١٥٣.

المبحث الرابع : أثر الثورات الداخلية على الوضع الأمني .

عندما تحدث الثورات الداخلية في مكة من البديهي أن يضطرب الأمن ويختل الاستقرار ويصبح الناس في حالة من الخوف والهلع حيث تصبح المدينة المقدسة عرضة لقدوم ضعاف الإيمان من المفسدين واللصوص من أبناء البادية المحيطين بمكة ،وأيضاً ممن يقيم بمكة من أبنائها المفسدين من الذين ضعف الإيمان في قلوبهم وتمكن منهم الشيطان فلم يعطوا للمكان قدسيته وللبيت حرمته واحترام زائريه ، فيستغلون اضطراب الأمن فيقومون بأعمال تنافي مبادئ الدين الإسلامي الحنيف ، فيهاجمون الآمنين ويسرقون الأموال والأمتعة ،
ويستخدمون مع من يقاومهم من أصحاب الأملاك كل أنواع القسوة من قتل وتعذيب لا تردعهم مبادئ دينية ولا خلق كريم .

وكان غالب من يتعرض للقتل والتعذيب والسرقة والنهب الكامل هم زوار البيت الحرام من حجاج ومعتمرين من سائر أرجاء المعمورة ، فهم قدموا لكي يتشرفوا بلقاء سكان الحرم وجيران البيت العتيق ويؤدوا مناسك الحج وفرائض العمرة فتحل بهم الكوارث وتحيط بهم المصائب .

أما الصنف الآخر الذين تحل بهم الكوارث فهم عامة الناس من التجار والمجاورين والسكان فما أن تقوم الثورة حتى تصبح حوانيت الباعة ومخازن التجار ،ومنازل الناس عامة ومنازل علية القوم خاصة من القضاة والعلماء عرضة للسرقة والنهب ، ومن يقاوم من هؤلاء يكون القتل والتنكيل مصيره .

ومما هو ملاحظ أن أمراء مكة قد تركوا أمن الحاج في المشاعر المقدسة لأمراء الحاج القادمين مع حجاجهم حيث أن كل حملة حجاج قادمة من العراق أو من اليمن أو من مصر أو من الشام كان يصاحبها فرقة من الجند كاملة التسليح مهمتها حفظ الحاج من المفسدين وقطاع الطرق واللصوص طوال طريق الرحلة المباركة ، ويبدو أن أمراء مكة قد تركوا أمن الحاج لهذه الفرق العسكرية المصاحبة للحجاج ، لذا عندما تقوم الثورة بين أبناء البيت الحاكم ويتعذر خروج الأمير إلى المشاعر المقدسة في مصاحبة الحجاج المكيين ، يتعرض المفسدون وقطاع الطرق واللصوص للحجاج ، وكان ممن يتعرض للنهب هم الحجاج المكيون الذين

يخرجون دون حماية عسكرية ، أما الحجاج القادمون من سائر البلاد الإسلامية فيهاجمهم اللصوص والمفسدون من أهل مكة ومن بعض رجال القبائل البدوية في الطرق بين مكة والمشاعر المقدسة ، وقد يشتبكون مع القوة العسكرية الحامية للحجاج (١) .

ومما حدث من أثر الثورات الداخلية على الجانب الأمني خلال العصرين الأيوبي والمملوكي نورد ما يلي :

بعد وفاة الأمير عيسى بن فليتة في الثاني من شعبان سنة ٥٧٠هـ/١١٧٢م ، وقيام أخيه مكثر بمناوأته ، اضطرب الأمن في مكة ، وحيث إن كلاً من الأخوين منشغل بترصد الآخر ويحاول القضاء عليه كان في مقدور كل فاسد وسارق أن يهاجم الآمنين بمكة سواءً أكان من أهلها أم من الحجاج والمعتمرين وقد حدث أن هاجم عدد من المفسدين بمكة حجاج العراق في حي الزاهر بعد أن استعدوا للخروج إلى بلادهم بعد إكمال نسكهم في تلك السنة ، وقد كانت حصيلة هذا الهجوم عدد من القتلى والجرحى من الطرفين (٢) . وهذا يدل أن المفسدين كانوا في مأمن من تعقب السلطة الحاكمة ، وقد قرروا مهاجمة حجاج العراق بعد أن تزود الحجاج بما يحتاجونه في سفرهم من طعام ومتاع من الأسواق ، فقرروا نهبهم وأخذ ما معهم من أموال وأمتعة .

ومع أن الأمير مكثر كان له نصيب الأسد في حكم مكة إذا قورن بأخيه الأمير داود إلا أنه لم يكن يستطيع أن يفرض الأمن على منطقة المشاعر المقدسة فقد كان الحجاج في خوف مستمر من قطاع الطرق واللصوص الذين يتربصون بهم أثناء تنقلهم بين المشاعر المقدسة والمسجد الحرام يدلنا على هذا أنه في حج عام ٥٧٩هـ/١١٨٣م قام الأمير عثمان الزنجيلي(٣) الذي قدم من اليمن في تلك السنة بحماية الحجاج في صعودهم من منى إلى

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٤٣٢. ابن فهد: إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٩٥، ٦٢٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٩٥،٧١٢.

(٢) المصدر السابق ، ج٢، ص ٣٩١. المصدر السابق ، ج ٢، ص ٥٣٥. المصدر السابق ، ج١، ص ٥٧٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٥٦.

(٣)كان الأمير عثمان الزنجيلي على درجة كبيرة من الثراء حيث قدم إلى مكة وهو في طريقه إلى الشام خوفاً من الملك المسعود طغتكين عندما قدم اليمن وكان معه مبالغ طائلة تمكنه من شراء العبيد وتجنيد المرتزقة في حماية الحجاج ، وقد كان بصحبته عدد من الأتباع الذين قدم بهم من اليمن . أبو شامة : الروضتين ، ج٢، ص ٩٦ . =

=ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٢، ص١٠٦.

عرفات حيث خرج بحاشيته وقام بمراقبة المنطقة التي يهاجم فيها قطاع الطرق الحجاج وهي تقع بين مزدلفة وعرفات فعسكر بها حتى أكمل الحجاج صعودهم (1) ، وهذا يدلنا أن الصراع بين الأخوين مكثر و داود جعل سلطة أمير مكة محدودة جداً ، فالأمير لا يستطيع أن يحمي الحجاج القادمين إلى المشاعر المقدسة من اللصوص وقطاع الطرق يدل على نقص و ضعف كبيرين في صفوف الجند التابعين لأمير مكة وهذا سببه في الغالب وجود منافس للأمير هو أخوه داود .

في عام ٦١٧هــ/١٢٢٠م حدثت ثورة راجح بن قتادة ضد أخيه الحسن بن قتادة وحيث إن حسن قد استطاع أن يصفي أغلب معارضيه من الأسرة الحاكمة إلا أن أخاه راجح قد استطاع الإفلات من قبضته ، وبما أن راجح لم يتمكن من جمع عدد كافٍ من الأتباع لكي يواجه بهم أخاه الحسن في معركة حاسمة أخذ يتنقل في المنطقة المحيطة بمكة مع عدد من أتباعه مما شكل تهديداً مستمراً للسكان والقادمين إليها من حجاج ومعتمرين ، وتجار ، ففي نفس العام قام راجح بقطع الطريق على الحجاج بين منى ومكة ، مما جعل أمير الحاج العراقي يوافق على مساعدته في قتال أخيه الحسن بن قتادة (2)

كان بمكة طائفة كبيرة من الرجال سود البشرة ،وسماهم المؤرخون العبيد وذلك لسواد بشرتهم وأيضاً ،كان بعضهم من الذين مازالوا أرقاء للأمراء مكة وللأشراف عموماً من البيت الحاكم وغالبهم من العتقاء كثر عددهم بمرور الزمن وكانوا يشكلون قوة من الجند غير النظاميين ، وعبئاً على حكام مكة حيث كان عددهم كبير ويحملون الأسلحة ولهم مهارة عالية في استخدامها ، فإذا ما حدثت ثورة داخلية نجد أن هؤلاء القوم يكون لهم دور في ترجيح إحدى القوى المتصارعة (3) مما يجعل كلاً من المتصارعين على السلطة يسعى

---

(1) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٤٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٦٠.

(2) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص ٣٤٥. الفاسي : العقد الثمين، ج٣، ص٤٠٢. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٣٢٥. ابن فهد: إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٦١٧. الجزيري : الدرر، ج١، ص ٥٨٦، ٥٨٧. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٣٠.

(3) الفاسي: العقد الثمين ، ج٣، ص٤٥٠،٤٤٨،ج٤،ص١٠٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٥٨،٤٨٣.= =ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٦٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٣.

لكسب ودهم لصالحه مما يجعله يغض الطرف عن تصرفاتهم غير النزيهة ، وفي نفس الوقت كانوا يشكلون فرقاً من اللصوص المتربصين بكل آمن من أهل مكة من التجار ومن زوارها من حجاج ومعتمرين (١) ، ومن تصرفاتهم في مهاجمة حجاج بيت الله الحرام أنه في اليوم الثالث عشر من ذي الحجة عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م قام هؤلاء العبيد بمهاجمة حجاج العراق وذلك بقصد الكسب والنهب فقد كان حجاج العراق في ذلك الموسم على قدر كبير من الكثرة والثراء ، ونتج عن هذا الهجوم نهب أمتعة الحجاج والتجار (٢) وهذا بمرأى ومسمع من الأمير مكثر الذي لم يحرك ساكناً مما يدل أنه لم يكن يستطيع أن يغضب هؤلاء الطبقة من المجتمع المكي خوفاً أن ينضموا إلى أخيه الأمير داود الذي كان معارضاً له .

في سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م شكل العبيد خطراً على سكان مكة والقادمين إليها من حجاج ومعتمرين مستغلين الخلاف بين أبناء أبي نمي عطيفة وأبي الغيث ، و حميضة و رميثة فكان هذا الوضع الأمني المضطرب مناخاً ملائماً لهؤلاء العبيد في التصرف بحرية في أذية الناس بالقتل والنهب(٣).

في عام ٧٠٧هـ/١٣٠٧م اشتبك أمير ركب الحاج المصري سيف الدين نوغاي القبجاقي(٤) مع العبيد بمكة في قتال مرير وسبب ذلك أن العبيد كثر تعديهم على الأهالي وخصوصاً على التجار ، وصاروا ينهبون الناس عياناً بياناً دون رادع فقد أقدم أحد العبيد على نهب تجارة لبعض تجار القماش في السوق وعندما قاومه التاجر قام بضربه ضرباً مبرحاً فغضب أهل السوق وصاحوا على السارق ومن معه من العبيد ووصل العلم لأمير الحاج

---

(١) المقريزي : السلوك ، ج٢،ص٤٢١،٣٦٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص ٥٤٩، ج٣، ص ١٣٨، ١٤٥،١٥٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٤،٦١٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٦١.

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص ٥٤٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٦١.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٣٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦١٦. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٣٦٩.

(٤) هو الأمير نوغاي بن عبد الله القبجاقي ولاه السلطان الملك الناصر دمشق في عام٧٠٩هـ ، وكان من أمراء الشام تولى إمارة الحاج سنة ٧٠٧هـ غضب عليه الناصر واعتقله في سجن القلعة حتى توفي سنة ٧١٠هـ.المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٤٥١. ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج٢، ص٧٦٣. ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٤،ص ٣٩٨.

المصري فأرسل جنده لردع العبيد والقبض عليهم ، فقبض على بعضهم بعد قتال مع جند الركب المصري وفر غالبهم واحتموا بحميضة الذي ناصرهم ووقف إلى جانبهم حيث ركب لابساً آلة الحرب، مما اضطر أمير الحاج إلى التوقف عن ملاحقة العبيد [(١)].وذلك خوفاً من أن تقع فتنة أكبر من هذه وهذا من حكمة أمير الركب المصري .

وفي عام ٧٥٢هـ/١٣٥١م استغل العبيد الخلاف بين عجلان بن رميثة وأخيه ثقبة على إمارة مكة ، فازداد تعديهم على السكان والحجاج القادمين إليها بالنهب والسلب [(٢)].

لقد كان الناس بمكة عند قيام الثورات يتوارون في منازلهم خوفاً من القتل لأن القوات القادمة لا تميز بين الناس فيقتلون كل من لاقاهم في الطرقات حتى وصل الأمر إلى قتل الناس في المسجد الحرام ، فكان الناس من أجل هذا الأمر لا يؤدون الصلاة في المسجد الحرام عندما تقوم الثورات وتدخل القوات المسلحة مكة خوفاً من القتل ومما يدل على هذا أنه في ثورة إدريس بن قتادة وأبي نمي ضد الأمير مبارز الدين بن برطاس في عام ٦٥٣هـ/١٢٥٥م دخلت قواتهم مكة من رؤوس الجبال وفتكوا بمن لاقاهم حتى امتلأ الناس رعباً ، ولم يخرجوا للصلاة في المسجد الحرام لأن القتال امتد إليه فقد قتل به عدد كبير من الناس وكان القتلى في الحجر الشريف ، مما يدل أن الثائرين كانوا لا يتورعون عن قتل كل من وجدوه حتى في المسجد الحرام ،ولم يصل في المسجد الحرام إلا الشيخ أبو مروان [(٣)]بعدد بسيط من الناس ، مما يدل أن أئمة المسجد الحرام تواروا عن الصلاة خوف القتل في منازلهم ولم يؤدوا الصلاة في المسجد الحرام [(٤)]

لم يكن بعض أمراء مكة على درجة كبيرة من النزاهة فقد كان البعض منهم يستغلون الخلافات السياسية في العاصمة المملوكية فيقومون بتصرفات مشينة في ترويع الآمنين من

---

(١) المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٤٢١.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٤٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦١٨.

(٢) المصدر السابق ، ج٤، ص١٥٣. المصدر السابق ، ج٣، ص ٢٥٧. المصدر السابق ، ج١، ص٦٥٢.

(٣) لم يكن الشيخ أبو مروان من أئمة المسجد الحرام وإنما كان معلماً في مسجد ميقات أهل نجد المعروف بقرن المنازل (السيل حديثاً) .الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٢٤٨.

(٤) المصدر السابق ، ج٣، ١٧٦،ج٥،ص ٢٤٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١١. ابن فهد: إتحاف الورى ، ج٣، ص ٧٧. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩٩. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣١٦.

حجاج ومعتمرين ، وقتلهم ونهب أموالهم وأمتعتهم ، ومن ذلك مثلاً أنه في عام ٦٩٨هـ/١٢٨٩م حدثت خلافات سياسية في القاهرة أثمرت عن مقتل السلطان حسام الدين لاجين[١] واضطراب الأمور في القاهرة [٢] فكان لهذا الحدث أثره على مجريات الأمور في الجانب الأمني في مكة حيث يبدو أن أبا نمي استغل هذا الوضع فترك لمجموعة من المفسدين التعرض للحجاج بالقتل والنهب في المشاعر المقدسة ، فحصل أن تعرض الحجاج لهجوم شرس من هؤلاء المفسدين كانت نتيجته عدداً كبيراً من القتلى والجرحى ونهب المفسدون أموال الحجاج ، ومما يدل أن لأبي نمي يد فيما حدث أن نصيبه كان من الغنيمة (٥٠٠)جمل[٣] مما يؤكد أن المفسدين كانوا تحت حمايته الذي كان عليه أن يتكفل بحماية الحاج تقرباً إلى الله عز وجل ، ولكن عندما شعر بضعف الرقابة عليه من جانب السلطة السياسية في مصر ترك للمفسدين الحرية في التصدي لوفد الرحمن بالقتل والنهب ، ثم راح لجني الأرباح من هذا التصرف المشين .

وفي فترة حكم علي بن عجلان التي امتدت من سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٦م إلى سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م كان الوضع الأمني مضطرباً بمكة حيث إن علي لم يستطع أن يوازن بين أنصاره ومعاديه فكان يحاول التقرب من طائفة الأشراف بعد تغير القواد عليه مما جعل الأشراف يستغلون ضعفه ويقومون بأعمال قاسية من النهب والسلب وقد وصل به الأمر أن أخذ أموال المجاورين بمكة لكي يستطيع أن يوقف جشع الأشراف بالإنفاق عليهم وكان ذلك لنقص موارد مكة من الرسوم التجارية لضعف الأمن بمكة ، مما أغضب السلطة السياسية في مصر فأرسلت تطلب منه إقامة العدل بين الناس في إمارته [٤].

---

(١) هو السلطان حسام الدين لاجين المنصوري ، الملك المنصور تولى الملك بعد العادل كتبغا وهو الحادي عشر من ملوك الترك بمصر ، كان توليته لمملوكه منكوتمر نيابة السلطنة وبالاً عليه حيث ظلم الناس فثار عليه القادة المماليك وقتلوا السلطان لاجين في ربيع الآخرسنة ٦٩٨هـ. ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج٢، ص٥٦٦.الزركلي : الأعلام ، ج٥، ص٢٣٨.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤،ص٣. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٣٠٠. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٨، ص١٠٤.

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٤١٠. الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ١٥٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٣١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٩١٤.

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٨٩،٣٩٣.

لم يكن جند الأمراء الثائرين على السلطة يميزون أثناء دخولهم لمكة بين الناس فيعم القتل كل من صادفه هؤلاء المحاربون من عامة الناس ومن ذلك أنه في عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م عندما كانت الخلافات بين أبناء أبي نمي على أشدها قام حميضة بن أبي نمي بمهاجمة مكة بقصد الاستيلاء عليها وطرد أميرها أخيه عطيفة ، واستطاع دخولها وقتل عدد من أهلها ومن المجاورين[١] بها ، وهذا يعني أن قوات حميضة لم تكن تميز بين الناس سواءً محاربين أم لا بل تقتل من تجده ، وكان غالبية أهل مكة عزلاً من السلاح وخصوصاً المجاورين حيث إنهم قدموا بقصد العبادة ، فحلت عليهم النكبات بالقتل والسلب .

وقد كانت قوات حميضة بن أبي نمي أيضاً لا تفرق بين قتل الرجال والنساء إذا دخلت مكة ، ويدل على هذا أن الشيخ الجليل القاضي نجم الدين الطبري [٢] كان خائفاً من دخول حميضة بن أبي نمي وقواته إلى مكة في هذا الهجوم وخرج خائفاً لا يعرف أين يذهب وكيف يترك بناته عرضة للنهب والقتل [٣] وهذا يدل أن القوات الغازية يقتحم أفرادها المنازل عامة، إذ أن القاضي كان خائفاً على بناته اللاتي يتواجدن في بيته فلو كان يستطيع أن يحتمي ببيته مع أسرته لم يفكر في الخروج وتركهن، ولولا أن نصر الله عطيفة على أخيه حميضة لزاد عدد القتلى من أهل مكة المكرمة والمجاورين بها[٤]

(١) كان المجاورون قد طلبوا من السلطان الملك الناصر في عام ٧١٩هـ أن يبقي في مكة المكرمة قوة عسكرية تحمي سكان مكة و المجاورين بها من هجوم حميضة الذي كان يقيم خارج مكة ويتحين الفرصة للهجوم عليها ، وهذا يدل أن أهل مكة والمجاورين بها كانوا عرضة لكل أذى من القوات الغازية الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢١٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٦٣.ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٦٦.

(٢) هو محمد بن محمد بن أحمد الطبري المكي الشافعي نجم الدين ، قاضي مكة المكرمة ومفتيها ، ولد سنة٦٥٨هـ ، وتلقى العلم على يد عدد من العلماء بمكة المكرمة وحصل على إجازات كثيرة بالفتيا والتدريس ، وكان إماماً في المذهب الشافعي توفي عام ٧٣٠هـ بمكة المكرمة . السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٩، ص٢٦٧. ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب ، ج٥، ص٩٤.

(٣) اليافعي : مرآة الجنان ، ج٤، ص ٢٦٠.

(٤)المصدر السابق ، ج٤، ص ٢٥٩. الفاسي : العقد ، ج٣، ص٤٥١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص= =١٦٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٦٦.

في عام ٧٣٦هـ/١٣٣٥م كانت الثورات مستمرة بين الأخوين رميثة بن أبي نمي وأخيه عطيفة بن أبي نمي ، فاستغل مبارك [(١)] بن عطيفة الفرصة وقام بنهب أموال المجاورين و التجار[(٢)]، ويبدو أن مبارك بن عطيفة كان يهدف من أخذ هذه الأموال التزود بها لجمع الأعوان لمقاتلة عمه رميثة ، لأن هذا الحدث كان بمرأى ومسمع من أبيه عطيفة بن أبي نمي الذي كان مقيماً في مكة بحكم أنه أمير بالشراكة مع أخيه رميثة ، لذا نستطيع القول إن عطيفة بن أبي نمي هو الذي أمر ولده مبارك بن عطيفة بأخذ أموال المجاورين والتجار .

عندما تحدث الثورات بين أبناء البيت الحاكم ، كان الطرف المعارض يخرج إلى خارج مكة ويقيم بأحد الأودية القريبة منها للتزود بالمؤن وفي نفس الوقت يضرب حصاراً على البلد ، مما يجعل المنطقة الواقعة بين مكان إقامته ومكة أكثر خطراً من غيرها وذلك لانتشار أتباع الطرف المعارض فيصبح الناس في خوف ووجل من القتل والسلب ومن ذلك عندما حدث الخلاف بين عنان بن مغامس والأشراف آل عجلان بزعامة كبيش بن أحمد بن عجلان على الإمارة في عام ٧٨٩هـ ـ١٣٨٦م ،كان عنان بمكة ، والأشراف ومن ناصرهم مقيمون في البرابر [(٣)] من وادي مر الظهران يتربصون بأهل مكة والقادمين إليها ويتحينون الفرصة للغارة عليها ، وأصبحت المنطقة من وادي مر إلى مكة غير آمنة حيث انتشر فيها

---

(١) هو مبارك بن عطيفة بن أبي نمي الحسني المكي ، كان موصوفاً بالشجاعة والمهارة في رمي السهام ، كان ينوب عن والده عندما كان أميراً على مكة اشترك في كثير من الوقائع بين أبيه وعمه رميثة ، بعد سجن والده في مصر وتعيين عمه رميثة أميراً لمكة خرج مبارك إلى سواكن في بلاد السودان ليقيم بها إمارة له واستطاع الاستيلاء عليها ، قتله أحد العبيد في سواكن بحربة رماه بها سنة ٧٥١هـ . الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص ٢٥.

(٢) المقريزي : السلوك ، ج٣، ص ٢١٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٠٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٩٣. الجزيري : الدرر ، ج١،ص ٦٤١.

(٣) البرابر : قرية زراعية تقع في وادي مر الظهران مقابلة القصر الذي كان يقيم به أشراف مكة المكرمة فيها نخيل ومزارع وعين ماء .ابن فهد: حسن القرى في أودية أم القرى ، ص٦٣. عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج١، ص١٩٦.

الأشراف وعبيدهم وكانوا يتخطفون الناس فلا يستطيع أن يمر أحد دون أن يعترضوه بالنهب والقتل ، مما جعل الناس على خوف شديد منهم (١)

وعندما اختلف حسن بن عجلان وأخوه محمد بن عجلان مع أخيهما علي بن عجلان أمير مكة عام ٧٩٢هـ/١٣٨٩م خرجا إلى وادي مرالظهران وأخذا يتحينان الفرصة لمهاجمة مكة وفعلاً حدث وأن أغار حسن بن عجلان عليها مع مجموعة من الأتباع وخرج منها بشكل سريع ، مما يدل أن القصد كان النهب والسلب للتزود بالمؤن ،بدليل قلة المهاجمين ، وأسفرت هذه الهجمة عن قتل رجل يسمى بحر العدواني (٢) ، مما يدل أن المهاجمين كانوا لا يتورعون عن قتل كل من يواجههم أو يقاومهم من من أنصار الأمير أو من عامة الناس .

وفي عام ٧٩٢هـ/١٣٨٩م توصل عنان بن مغامس و علي بن عجلان إلى اتفاق بحيث يشترك الشريفان سوياً في الحكم ، ويقيمان خارجها بينما يكون لكل منهما موظفون ينوبون عنهما في قبض المال المتحصل من المكوس ، وموظفون يقومون بأمر الحكم في مكة أي إقامة الأمن وتنفيذ الأحكام ، ويبدو أن كلاً من هؤلاء الموظفين كان يترك عمله في الحكم لكي يقوم الفريق الآخر به عنه ، مما جعل الأمن بمكة يضطرب بشكل أكبر مما هو عليه ، ويهدد المفسدون أهلها والحجاج حتى أنه في العام التالي ٧٩٣هـ/١٣٩٠م كثر خطف أموال الناس ، ونهب حجاج اليمن في المعابدة بطريق منى نهباً كبيراً ، ولم يستطع حجاج مصر الخروج من مكة حتى أخذ أمير الحاج المصري الأمير أبو بكر بن سنقر (٣) أماناً من بعض زعماء الأشراف بعدم التعرض للحجاج بأذى (٤) مما يدل أن الشريفين كانا لا

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٤١٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٦٢.ابن فهد : غاية المرام،= =ج٢، ص ٢٠٦. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٦٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٨٩. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص١١٢.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٣٤٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٧٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٣٠.

(٣) الأمير أبو بكر بن سنقر كان من جملة أمراء الألوف بمصر وشغل ثاني حاجب في الدولة المملوكية في عهد الظاهر برقوق تولى إمارة الحاج مراراً ، كان كثير البر متواضعاً محباً للعلماء ، توفي يوم الخميس الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة ٨٠٣هـ.ابن تغري بردي:الدليل الشافي ، ج٢، ص٨١٦.السخاوي:الضوء اللامع،ج١١، ص٣٦.

(٤)الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٢٨٥، ٤٢١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٨٠. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢١٢،٢٣١.

يهمهما أمن الحجاج ولا أمن مكة وإنما ما يتم جمعه من أموال لذا تركا لا تباعهما التعدي على الحجاج والسكان بالنهب والسلب والقتل.

وفي عام ٧٩٧هـ/١٣٩٤م قتل أمير مكة المكرمة علي بن عجلان على يد الأشراف وتأخر وصول خلفه حسن بن عجلان من مصر، مما زاد من اضطراب الأمن مع قدوم موسم الحج ، وكان نتيجة لهذا الخلل الأمني ما حدث من مصادمة عسكرية داخل مكة بين بعض العناصر المسلحة ، والحامية العسكرية التي كانت مصاحبة لحجاج بلاد الشام فاستغلها المفسدون وقاموا بنهب أموال الحجاج وقتل بعضهم [(١)]

و في عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م قام هزاع بن محمد بن بركات بثورة على أخيه بركات بن محمد ، ووقع بين الأخوين عدة معارك كان الحرب فيها سجالاً بينهما وفي هذا الوضع اضطرب الأمن في مكة والطرق المؤدية إليها بشكل كبير فاضطربت أحوال الناس ، وكثر النهب والسلب والخوف ، وذلك أن القبائل البدوية انقسمت في تحالفاتها بين الأخوين فكان انتصار أحدهما يعني السماح لقواته بالقتل والنهب والسلب فعانى الناس من هذا الخلاف كثيراً ، فبعد انتصار هزاع على أخيه بركات في ذي القعدة عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م دخلت قواته مكة فأكثروا القتل والنهب والسلب في شوارعها ونُهبت الأسواق وعدد كبير من المنازل ، وكانت القوات في طريقها إلى مكة تقوم بنهب القرى المحيطة بها التي كان لأخيه بركات وأتباعه منازل بها ، حتى أن الناس خرجوا للقاء هزاع بعد انتصاره وهم يصيحون ويشتكون مما وقع لهم من جنده من نهب وسلب وكان الضرر الأكبر حل بالتجار، فقد أخذ منهم هزاع أموالاً طائلة لكي يفي بما التزم به لأتباعه ومن ناصره [(٢)]، وقد وصل الأمر

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٤٢٣.الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٢٨٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٩٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٤٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٨٠.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٦٣- ١١٦٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٠٢-١٠٨. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٦٢٦. العصامي: سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٩٦.السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٠٨. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص١٦٣.

باضطراب الأمن في مكة والطرق المؤدية إليها أن الحجاج القادمين عن طريق البحر لما سمعوا بالحرب عادوا أدراجهم خوفاً من النهب والقتل .[1]

وبعد دخول هزاع مكة للمرة الثانية في عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م حلت الكارثة بالسكان من جديد وخصوصاً بالتجار حيث جمعهم هزاع وطلب منهم مالاً لكي يعطيه جنده الذين تعهد لهم بأن يسمح لهم بنهب مكة وجدة عند انتصاره ، وبين لهم أنه لا يستطيع أن يمنع جنده من التعدي على أموال الناس وقتلهم ما لم يرضيهم بالمال ، ثم أمر أحد أتباعه بجمع الأموال فكان يسير في الطرقات فيأخذ من كل من واجهه من التجار وغيرهم من عامة الناس أموالهم ، فكان الناس في خوف مستمر من النهب والقتل ، وقد زاد عبث جند هزاع حتى كانوا يدخلون المنازل ويأخذون الأموال والأمتعة والجواري [2]

ومع ما عاناه الناس من جند هزاع انتشر بصحبتهم عدد كبير من اللصوص الذين استغلوا هذا الوضع فقاموا بأعمال السطو على المنازل والمتاجر يسرقون الأموال والأمتعة ومن عارضهم أو دافع عن حقه يُضرب ضرباً شديداً وفي الغالب يقتل [3]

وبعد وفاة هزاع بن محمد في السابع من رجب سنة٩٠٧هـ/١٥٠١م استمر النزاع بين أخيه جازان وأخيه بركات على الإمارة ، وحدث أن حاول جازان أن يستميل أمير الحاج المصري الأمير أصطمر [4] لكي يقاتل معه أخاه بركات فرفض أمير الحاج القتال مع أحد الأخوين فما كان من جازان وأتباعه إلا أن عادوا إلى مقر إقامتهم بخليص فمر بهم ركب حجاج الشام فقام جازان باعتراضه وطلبوا من الحجاج أموالاً طائلة فوق طاقتهم فعندما امتنعوا من دفعها قاموا بقتالهم فقتل من الحجاج عدد كبير جداً من الرجال والنساء والأطفال ونهبت الأموال بكاملها و لم يسلم من الحجاج إلا القليل وقد سلبت جميع أمتعتهم

---

(١) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص٥. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٦٢٦. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٩٦.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١١٩٣_١١٩٧.

(٣) المصدر السابق ، ج٢، ص١١٩٨.

(٤) هو الأمير أصطمر بن ولي الدين أحد أمراء السلطان قانصوه الغوري ، كان برتبة أمير مجلس في دولة المماليك الشراكسة ، عين أميراً لركب الحاج المصري عام ٩٠٨هـ ، اشترك في النزاع الدائر بين الأشراف على إمارة مكة المكرمة وتعرض الحاج بهذا لمخاطر كبيرة كانت سبباً في غضب السلطان على الأمير أصطمر وسجنه بدمياط . ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص ٢٨، ٣٦.

فكان من سلم منهم يأتي إلى مكة على قدميه [1] وكانت هذه من أشنع ما حدث للحجاج في فترة الصراع بين أبناء محمد بن بركات ، حيث يدل هذا على مدى ما وصل إليه الناس في ذلك الوقت من جهل بأمور الدين الحنيف وتساهل في قتل وفود الرحمن من أجل الكسب ، كما يدل على إهمال أمراء مكة وسلاطين المماليك لرعيتهم وخصوصاً القبائل البدوية لم يعتنوا بتثقيفهم بأمور دينهم حتى يكونوا سنداً للدولة لا خطراً عليها .

لقد استمر الصراع بين جازان بن محمد وأخيه بركات وعانت مكة من جراء هذا الصراع الكثير من الخوف والقتل والنهب وكان أكثر ما وقع على الناس من ضيق وقتل وشدة بعد دخول قوات جازان مكة بعد انتصاره على أخيه بركات في شوال عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م ، فقد قامت قوات جازان بأعمال منكرة وكان هذا الفعل برضا من جازان الذي كان حاقداً على أهلها لموقفهم في مساندة أخيه في بناء التحصينات حول مكة ثم قتالهم معه فسمح لقواته بنهب المنازل مدة ثلاثة أيام وقتل كل من يعارضهم ، فأقبلوا على قتل الرجال و النساء والأطفال ونهب العبيد والجواري والأموال ، وكانوا ما يحصلون عليه من متاع أو عبد أو جارية يبيعونه بأبخس الأثمان ، وكان الجندي من جيش جازان يغرز رمحه أمام المنزل من منازل مكة أو المتجر فيكون كل ما في المنزل أو المتجر ملكاً له بجميع ما فيه، ويخرج صاحب المنزل بمفرده بدون أن يحمل من متاعه أو ماله شيء هذا إذا سلم من القتل، وقتل من أهل مكة خلق لا يحصون [2] فكانت هذه من أعظم الكوارث التي حلت بمكة خلال الثورات الداخلية بين أبناء البيت الحاكم .

وبعد مقتل جازان في شهر رجب سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م[3] استمر الوضع الأمني مضطرباً وذلك لحدوث الخلاف بين حميضة بن محمد وأخيه بركات وكان أصعب فترات

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٢٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٢٣. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص ٣٦. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٣. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٩٨.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٢٥٣-١٢٦٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص١٣٥. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص ٤٧. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١٣٣. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٨٢. العصامي : سمط النجوم العوالي ،ج ٤، ص ٢٩٩. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ٣٠٩.

(٣) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص١٦٥. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٣٠١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٤٩.

الاضطراب الأمني عندما قدم حميضة بن محمد بن بركات مع عدد من أنصاره في رجب سنة٩١٠هـ/١٥٠٤م فقد طلب من رئيس الجند المماليك [1]الدخول إلى مكة بأمان،وأقسم هو ومن معه من الأتباع على المصحف الشريف بحضور القضاة بعدم التعرض لأحد من الناس بشر مما يدل أنهم يريدون بدخولهم التزود بالمؤن فقط ، فما أن سمع أهل مكة بخبر قدوم حميضة وأتباعه ،حتى قاموا بتوزيع أغراضهم حتى لا تكون عرضة للنهب ، وخرج كثير منهم وخصوصاً من التجار وأهل الثراء إلى خارجها والتجأوا إلى أصدقائهم من أهل البادية لكي يقوموا بحمايتهم ، ويكونوا في مكان يجهله المهاجمون ، وعندما دخل حميضة بأنصاره تنكر لوعوده السابقة وطلب من رئيس الجند المماليك مبلغاً من المال يتزود به، ويوزعه على أتباعه أو يتركه ينهب مكة ، فرفض رئيس جند المماليك عرض حميضة وقام بالاستعداد بجنده لملاقاتهم ودارت الحرب بين الطرفين بالقرب من المسجد الحرام وبداخله ، وقد استطاع الجند المماليك وعامة الناس من أهل مكة إنزال الهزيمة بحميضة وأتباعه بعد أن قتل منهم ما يقارب (٣٠) رجلاً وجرح عدداً كبيراً أيضاً ،وخرج حميضة وأتباعه من مكة بعد أن نهبوا بعض المنازل في منطقة أجياد، وقتلوا من وجدوه في طريقهم [2] وهذا يدل على أن الأشراف من البيت الحاكم لا يهمهم تردي الأوضاع ، وتهون عليهم أرواح الناس في مقابل حصولهم على ما يريدونه من سيادة وما يجمعونه من أموال لكي يستميلوا بها الأتباع الذين لا تضعف لديهم التعاليم الإسلامية السمحة.

كانت مكة محاطة بعدد من القبائل البدوية التي كانت تقل فيها المعرفة الكاملة بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف من حقوق وواجبات ، فكانت تشكل في بعض الأحيان خطراً على الأمن وذلك عندما تقل لديهم المؤن من جراء قلة سقوط الأمطار فتقل المراعي التي يرعون أنعامهم عليها فينتشر أفراد هذه القبائل في الطرقات المؤدية إلى مكة فتصبح الطرق غير آمنة حيث يقدم أفراد هذه القبائل على نهب وقتل كل من يقصد مكة من حجاج و معتمرين وتجار وبهذا تشكل هذه القبائل خطراً على الأمن ومن ذلك في عام ٨٢٨هـ هاجم عدد

---

(١) هو الأمير بكباي . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٣٧٠.

(٢)ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٣٧١- ١٣٧٩. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٩.

من أفراد قبيلة هذيل ، وعدوان، والندويين [(١)] الحجاج في طريقهم إلى منى ليلة التاسع من ذي الحجة ونهبوهم وقتلوا عددا منهم وكان ممن نهب القاضي بهاء الدين بن أبي البقاء [(٢)] وسلبوا عياله ، وأخذوا جمالهم بأحمالها ، وخلوهم على الأرض ، ولم يحرك أمير مكة حسن بن عجلان ساكناً لأنه كان متخوفاً من وضعه السياسي حيث عُزل علي بن عنان وتم توليته في ذلك العام [(٣)]

وعندما يكون الوضع السياسي لأمراء مكة مستقراً نجد أنهم يتعقبون هذه القبائل وينكلون بها حفاظاً على أمن مكة والقادمين إليها أما إذا كان الوضع السياسي مضطرباً فهذه القبائل يزداد تمردها فتصبح الطرق التي تمر بالقرب من ديارها أكثر خطورة،وكانت بعض هذه القبائل من الكثرة بمكان حيث يكون تأثيرهم كبيراً ومواجهتهم عسيرة على كل قوة تقصدهم ،ومن ذلك كان أحد بطون قبيلة حرب [(٤)] يقيمون حول عسفان وقد كثر اعتراضهم للمسافرين إلى مكة ،وبالأخص كانوا ينهبون كل المواد الغذائية التي كان أصحابها يقصدون بها البلد الحرام ، فأمر بركات بن حسن بن عجلان بإرسال قوة عسكرية لتأديب هؤلاء وكف خطرهم عن الناس ، وجعل أخاه علياً قائداً لهذه القوة العسكرية مع عدد من

---

(١) الندويين : فرع من آل جميل فرع من قبيلة هذيل يسكنون وادي ضيم من فروعهم فرع الجملة ، والقيسة . عاتق بن غيث : معجم قبائل الحجاز ، ص٥٢٧.

(٢) هو القاضي بهاء الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن محمد العمري الصغاني المكي الحنفي يعرف بابن الضياءولد سنة ٧٨٩هـ ، بمكة المكرمة وتلقى العلم على يد علمائها ورحل في طلب العلم إلى القاهرة ، وحصل على= =إجازات كثيرة من عدد من العلماء في عدد من العلوم مات في ذي القعدة سنة ٨٥٤هـ . ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج٢، ص ٥٨٥. السخاوي : الضوء اللامع ، ج٧، ص٨٤.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٦٢٤. الجزيري : الدرر، ج١، ص ٧١٢.

(٤) قبيلة حرب من أشهر القبائل العربية وقد اختلف المؤرخون في نسبها فمنهم من نسبها إلى قبائل اليمن ومنهم من ذكر أنها من القبائل العدنانية ، ومنهم من ذكر أن بها قبائل كثيرة بعضها عدناني وبعضها يمني ،وهذا حدث لكثرة أفرادها وتعدد بطونها وما حدث لها من أحداث تاريخية في شبه الجزيرة العربية وقد دخلت في صراعات مع عدد من القبائل حتى انتزعت منطقة كبيرة منها ثم امتدت فروعها في نجد حتى وصلت إلى العراق وتمتد ديارها اليوم من القنفذة جنوباً إلى حدود العراق شمالاً ، وتنقسم اليوم إلى فرعين رئيسيين هما مسروح وبني سالم . عاتق بن غيث : معجم قبائل الحجاز ، ص١٠٧.الشريفي : الموسوعة الذهبية ، ج٣،ص ١٠٥٧.كحالة : معجم قبائل العرب ، ج١،ص٢٥٩.

وجهاء أهل مكة وبني حسن ، في قوة عسكرية كبيرة ، وخرج معهم الأمير أرنبغا [1] أمير القوة المصرية بمكة ومعه (٢٠) جندياً من قوته العسكرية ، وسارت الحملة إلى هدفها في الثالث عشر من شهر رجب عام ٨٣٩هـ/١٤٣٥م وكان رجال قبيلة حرب قد علموا بتحرك القوة العسكرية من مكة ، فقاموا بعمل خطة محكمة للإيقاع برجال الحملة في كمين نصبوه لهم ، فقبل قدوم القوة العسكرية إلى مقر إقامتهم تنحوا عن مقرهم وتركوا فيه إبلاً مع خمسة رجال وامرأة كانت حاملاً ويبدو أن الرجال كانوا من عبيدهم والمرأة كانت حاملاً يصعب عليها الخروج فتركوها معهم ، لأنه من غير المعقول أن يتركوا من رجالهم هذا العدد البسيط طعماً للعدو فعندما قدمت الحملة ألقوا القبض على الرجال الخمسة وقتلوهم وقتلوا أيضاً المرأة التي كانت معهم.[2]

لم يفرح أفراد الحملة بما حققوه من قتل الرجال الخمسة والمرأة الحامل وكسب الإبل ، فما أن عادوا أدراجهم حتى أحاط بهم رجال قبيلة حرب من كل جانب في منطقة جبلية لم يتوقع رجال الحملة الهجوم فيها ، وأخذوا يرمونهم بالحجارة والحراب فاضطرب أمر الحملة وانهزم الأمير أرنبغا بعد أن قتل من رجاله ثمانية وقتل من أهل مكة أكثر من أربعين رجلاً وفر من بقي من رجال الحملة وقد جرح غالبهم وتركوا متاعهم وأسلحتهم ، فغنم القوم (٣٢)فرساً و(٢٠)درعاً ومن السيوف الرماح ومن الأمتعة والأسلاب الشيء الكثير فيما تقدر قيمته بأكثر من (٥٠٠٠)دينار ، وعادت الحملة إلى مكة في النصف من رجب تجر أذيال الهزيمة ومات عدد من الواصلين متأثراً بجراحه[3]

---

(١) هو الأمير أرنبغا بن عبد الله اليونسي الناصري سيف الدين ، كان من مماليك الناصر فرج ثم أصبح من جملة الأمراء الطبلخانات بمصر ، عمل بمكة المكرمة أميراً على الجند المماليك ، توفي سنة٨٥٧هـ. ابن تغري بردي الدليل الشافي ، ج١، ص١١١. ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج٢، ص٣٣٦.

(٢) وهذا عمل غير موفق يدل على عدم التعامل مع الأحداث بحكمة وروية فكان من الأولى القبض عليهم لمعرفة مدى اشتراكهم في الأعمال السيئة التي يقوم بها أفراد قبيلتهم ثم يتم الحكم عليهم بالقتل أو بغيره مع أن الإسلام ينهى عن قتل المسلمين ، وأيضاً قتل المرأة الحامل كان منافياً للمبادئ والتعاليم الإسلامية التي تنهى عن التعدي على النساء .

(٣) المقريزي: السلوك ،ج٧، ص ٣٠٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص ٩٠. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ٤١٠. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٧٢٤. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٨٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ٢٢.

وفي ربيع الثاني من عام ٨٨٨هـ/١٤٨٣م هاجم أفراد من قبيلة هذيل قافلة بجيلة بالقرب من جبل كرا[١] وهي في طريقها إلى ديارها وقاموا بنهب القافلة جميعها وقتلوا عدداً من الرجال المصاحبين لها وجرح بعضهم ، وقدر ما أخذوه من أموال القافلة غير الإبل بـ(٤٠٠٠)دينار ، وبحكم أن الوضع السياسي لإمارة مكة كان مستقراً نسبياً في عهد محمد بن بركات فما أن علم الأميرمحمد بما حدث لقافلة بجيلة حتى أمر بالاستعداد للخروج لحرب قبيلة هذيل ،فوصل الخبر إليهم فخاف زعماؤها من قوات محمد بن بركات فقرروا إعادة ما أخذوه من أموال القافلة ، وأرسلوا إلى محمد بن بركات يسألونه الصلح والعفو عما بدر منهم ، ولكن محمد بن بركات لم يقبل بعرضهم وأمر بخروج القوات العسكرية ، وزاد أن أرسل مبعوثين للقبائل الأخرى بالخروج إلى القتال وفي نفس الوقت أرسل فرقة من الفرسان ترابط بالقرب من جبل كرا حتى يأتيها المدد منه ومن القبائل الأخرى ، كما أمر القبائل الأخرى بعدم السماح لأحد من هذه القبيلة بالمرور من أراضيها وذلك بمراقبة الطرق حتى لا يتمكنوا من الهرب وجعل لرجال القبائل والعسكر يوم الخامس من شهر جمادى الأولى من نفس العام موعداً للاجتماع والزحف عليهم .[٢] وهنا تظهر قوة محمد بن بركات وكيف أن قبيلة هذيل خافت من زحف القوة عليها فخضعت للصلح ويبدو أن محمد بن بركات قد قبل الصلح بعد أن أعاد أفراد القبيلة ما أخذوه من القافلة لأن المصادر المعاصرة لم تذكر أنه قاتلهم في الموعد الذي حدده ، ولا في وقت آخر مما يدل أن الصلح قد تم بما يرضي محمد بن بركات .

ويدلنا موقف محمد بن بركات هذا على رغبته في تأمين طرق القوافل القادمة إلى مكة ، فقدومها ينتفع به حاكم مكة بما يحصله من المكوس التي يحصلها من البضائع التي تحملها، ويعم الرخاء المدينة المقدسة .

وكانت بعض القبائل القريبة من مكة تستغل الاضطراب الأمني من جراء الثورات الداخلية فيقدم عدد كبير من أفرادها إلى مكة بقصد النهب والسطو ويترلون في جبالها

---

(١)كرا ثنية بالطائف ، و هو جبل ضخم بين الطائف ومكة تسيل منه صدور وادي نعمان ، كان به طريق صعب يصعد معه المسافرون إلى الطائف ذلل في العهد السعودي وأصبح من أيسر الطرق وتسمى قمة الجبل تسمى بالهدا .الحموي : معجم البلدان ، ج٧،ص ١٢٣.عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٧، ص٢٠٧.

(٢) ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٥٤٢. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج١، ٢٧٣.

ويغيرون على المنازل والأسواق في بعض الأوقات وخصوصاً في الليل فينهبون ما يجدونه من أموال وأمتعة ومواشٍ وعبيد وجوارٍ ، ومن ذلك مثلاً ما حدث أثناء الخلاف بين جازان وأخيه بركات في عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م حيث قدم عدد كبير من رجال البادية إلى مكة وكانوا يهددون باستمرار منازل السكان بالسطو والنهب وكان ما ينهبونه يضعونه في الجبال ويعودون لنهب غيره حتى اضطر جازان إلى التفاوض معهم في عدم الهجوم مقابل تقديم كميات من الطعام إليهم ، وكان من يقع منهم في يد رجال الشريف ينكل به وعادة كان مصيره القتل ، ويكون هذا بعد أن تستقر الأمور السياسية للشريف [(١)] وقد تكرر هذا الوضع أيضاً في فترة الخلاف بين حميضة بن محمد وأخيه بركات في عام ٩٠٩هـ/١٥٠٣م وكان من الشدة أن عدداً من وجهاء أهل مكة خرجوا يشتكون هذا الوضع الأمني السيئ على بركات وهو مقيم خارج مكة فما كان من بركات إلا أن حاول أن يستغل الموقف لصالحه فرد عليهم بأن هذا شيء طبيعي من أفراد القبائل البدوية إذا لم يكن في البلاد حاكم قوي يستطيع أن يردعهم[(٢)]وهو بهذا يريد من وجهاء أهل مكة أن يقوموا بمساندته والوقوف معه في إعادة الإمارة إليه بمعنى أن يوحدوا صفوفهم في ولائهم له في مواجهة قد تحدث له مع أخيه حميضة بن محمد مما يدل أن أهل مكة كانوا منقسمين في ولائهم بين أبناء محمد بن بركات وخير دليل على هذا موقف القاضي الشافعي إبراهيم بن ظهيرة الذي كان ولاؤه لجازان بن محمد .

وكان يجب على حكام المماليك عموماً وأمراء مكة وعلمائها خصوصاً أن يتم إرسال مبعوثين لهذه القبائل من العلماء يعلمونهم أمور الدين والحلال والحرام ، ويبينون لهم مدى الجرم الذي يرتكبونه في اعتراض السابلة من حجاج ومعتمرين ، ومسافرين ، وحرمة دماء المسلمين ، حيث يستدل من الحدث أن هذه القبائل البدوية ضعف لديها الإيمان وقلة معرفتها بتعاليم الإسلام فكانوا في حاجة ماسة لتعليمهم أمور دينهم من حقوق وواجبات .

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٣٥٣،١٢٤٦،١٢٤٢،١٢٤٠

(٢) المصدر السابق ، ج٢، ص١٣٣٨.

المبحث الخامس : أثر الثورات الداخلية على الوضع الاجتماعي:

يتكون المجتمع المكي خلال العصرين الأيوبي والمملوكي من عدة طوائف ، فمنهم أهل مكة الذين هم سلالة أهلها الأوائل [1]، ومنهم جاليات قدمت من مناطق مختلفة كونت شرائح لوحدها مثل جالية الزيلع [2]،وجالية الجبرتية [3]، وجاليتين من الحبشة تسمى جزل وسحرت[4] وكانت هذه الطوائف تعيش في مكة جنباً إلى جنب مع أهلها والقادمين عليها[5] و لم يتبين لهم حرفة معينة مما يدل أنهم مهاجرون قدموا إلى مكة للعيش بها، وكانوا

---

(١) تفرقت قبيلة قريش التي كانت تسكن مكة في أرجاء العالم الإسلامي مع الفتوحات الإسلامية منذ العهد الراشدي ومن بقي منهم بمكة اشتهروا بأسماء الأسر التي ينتسبون إليها مثل آل ظهيرة وآل الطبري و آل الشيبي الذين هم سدنة الكعبة المعظمة . ابن جبير : الرحلة ، ص١٤٣.الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ١١٢،ج٥،ص٢٢٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٤٨.

(٢) الزيلع : نسبة إلى زيلع وهي شبه جزيرة في البحر الأحمر ما بين أرض اليمن والحبشة عبارة عن نتوء من القرن الإفريقي في البحر غالبية سكانها من المسلمين ، وفي العصور الوسطى كانت من أهم المستوطنات العربية على الساحل الأفريقي،وقد كان السكان متفرقين بين الممالك الإسلامية في القرن الأفريقي وكانت تتحكم في التجارة فقد كانت مركزاً تجارياً ومنها تصدر منتجات الحبشة والصومال إليها ينتسب عدد من العلماء والفقهاء ،. الحميري ، محمد بن عبد المنعم : الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط بدون ، مكتبة لبنان ، ص ٢٨٢. المقحفي، إبراهيم بن أحمد :معجم البلدان والقبائل اليمنية،ط١،دار الكلمة للطباعة والنشر ، صنعاء ، ص٧٥٥. أبو بكر ، محمد عثمان : المثلث العفري في القرن الأفريقي عبر العصور التاريخية ، ط١، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص ٧٢.

(٣) الجبرتية : نسبة إلى جبرت وهو اسم يطلق على مسلمي الحبشة وهو في الأصل إقليم جبره أو جبرت في أراضي الحبشة ، وأطلق فيما بعد على جميع الإمارات الإسلامية في جنوبي بلاد الحبشة ثم أطلق على جميع المسلمين الذين يعيشون في بلاد الحبشة ، ويعيش الجبرتية في أسر وجماعات صغيرة متناثرة في الأقاليم المسيحية . دائرة المعارف الإسلامية ، (ط بدون) ، دار الشعب ، القاهرة ، ج١١، ص٦٣.

(٤) سحرت : يطلق عليها سحرته وهي جزء من أرض الحبشة يطلق على سكانها سحرته السحرتي . أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عمر : تقويم البلدان ، ص١٥٣. البروسي ، محمد بن علي : أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك ، ص ٣٧٧.

(٥)المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٣٧٨. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج١، ص٦٤٢.

أحياناً يشاركون في الصراعات العسكرية التي تحدث بين الأشراف ، وكان لهم زعماء ، يطلق عليهم مسمى شيخ فيقال شيخ سحرت ، وشيخ جزل [1].

ومنهم المجاورون الذين كانوا يفدون إلى مكة على شكل أفراد في الغالب من جميع أرجاء العالم الإسلامي بدافع ديني وغالبيتهم من الفقهاء فيستقرون فترة من الزمن ، وقد كان استقرارهم يتفاوت بين الإقامة المحدودة لسنة أو لعدة سنوات ثم يغادرون عائدين إلى بلدانهم وكان معظمهم يعيشون على الصدقات التي تفد إلى مكة من جميع أرجاء العالم الإسلامي [2] وقد اختلط بعضهم بالسكان عن طريق المصاهرة ، فتشكل المجتمع المكي من مزيج من المجتمعات البشرية الإسلامية [3].

ومنهم من يفد إلى مكة للسكن بها من المناطق القريبة منها من أبناء القبائل البدوية بدافع الحاجة حيث أن مكة كانت مورداً كبيراً للصدقات وكانوا يشكلون في بعض الأوقات عبئاً على المجتمع المكي حيث يزيد بهم عدد المتسولين والفقراء بالبلد الحرام ويشكلون خطراً على أبناء المجتمع المكي أثناء الاضطرابات الأمنية مما يضطر السلطة إلى إخراجهم بالقوة [4].

ومنهم طائفة العبيد والمولدين وكان العبيد يشكلون خلال العصرين الأيوبي والمملوكي طائفة كبيرة من السكان وكان لهم تأثير على أحوالها و كان بعض هؤلاء العبيد من عتقاء الأشراف وكبار أهل مكة وهم يشكلون بطالة كبيرة في المجتمع المكي وأطلق على أبنائهم لفظ المولدين ، ويغلب على بشرتهم السواد حتى أن بعض المصادر تنعتهم بسودان أهل مكة ويمتازون بالقوة والكثرة حتى أن أمراء مكة لم يكونوا يستطيعون في أغلب الأوقات كبح جماحهم وردهم عن الإفساد والتعرض للناس بالنهب والسلب، وكانوا في نفس الوقت

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١١٨٨.

(٢) ابن كثير : البدايةوالنهاية ، ج١٢، ص٢٩٩. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٩٢.المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٣٧٨.

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج١،ص ١٥٩. طرفة العبيكان : الحياة العلمية والاجتماعية في مكة المكرمة في القرن السابع والثامن للهجرة ، ص ١٣٤،٢٤٣. فريال قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص٣١٤.

(٤) ابن فهد :بلوغ القرى ،ج١،ص ٥٤٤،٥٣٧، ج٢، ص١٢٤٦، ١٢٤٠،ج٣،ص١٣٥٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٥٥٦،٥٧٦.

يعتمدون عليهم في تحقيق بعض الأهداف العسكرية [1] ، و أول ما يلحقون الضرر به أثناء الثورات الداخلية سكان مكة من المجاورين ومن غيرهم حيث أن غالبيتهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم ، فهم قدموا للعبادة ، ويعيشون على ما يحصلونه من صدقات فكان العبيد يطمعون فيما لديهم من أموال الصدقات فيصبحون صيداً سهلاً لهم ، ومن أمثلة ذلك : أنه في عام ٧٠١هـ/١٣٠٣م عندما حدث الخلاف بين أبناء أبي نمي على السلطة وتولي عطيفة و أبي الغيث لم يستطيعا كبح جماح العبيد بمكة فكثر تضرر المجاورين منهم فعندما علمت السلطة السياسية في مصر أمرت بعزل عطيفة وأبي الغيث وإعادة أخويهما حميضة ورميثة [2] في محاولة منها لتهدئة الأوضاع الأمنية بمكة ، و لقوة حميضة ورميثة في كبح جماح العبيد مما يدل أن غالبية هؤلاء العبيد كانوا يميلون بالولاء لحميضة ورميثة لأنهم يحصلون منهما على ما يرضيهم من أعطيات مالية ، وبهذا يمكن القول إن عدد من الأشراف كان يعتمد على هذه الطائفة في تحقيق أغراضه السياسية مما جعلها طائفة مهمة في المجتمع ومؤثرة في جميع أحداثه ، وأن الثورات المستمرة بين أفراد البيت الحاكم جعلت كفة هذه الفئة من المجتمع تبرز جلياً بين الطوائف الأخرى .

ومنهم طائفة الأشراف وهم في الغالب أفراد عشيرة أمير مكة من بني الحسن وقد زاد عدد أفرادهم حتى كانوا يشكلون قبائل صغيرة تنطوي تحت مسمى الأشراف وتشكل كل فرقة منهم كتيبة عسكرية ، منهم آل أبي نمي ، و آل عبد ا لكريم بن أبي سعد ، وبنو إدريس بن قتادة وغيرهم [3]، وكان يتبع كل شريف طائفة من العبيد الذين مازالوا تحت الرق ، وكان للأشراف نصيباً معلوماً سنوياً من دخل الإمارة ولهم إقطاعاتهم الواسعة في المناطق الزراعية

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٠، ص٥٣١. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٦٢. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٥٠، ج٤، ص ١٠٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢،ص ٢،٥٤٩،٥٥٣،ج٣،ص٢٥٣،١٥٨،١٤٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٤٧.الجزيري : الدرر ، ج١ ، ص٦٥٢،٥٧٤. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٦.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ١٠١،ج٦،ص٣٠٧. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٣٦٩.ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣ ، ص ١٣٧، ١٣٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦١٦.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٧٤، ٣٨٦، ٥٣١.

المحيطة بمكة ، وقد بلغوا من القوة أنهم كانوا يؤثرون في مجريات الأحداث السياسية [1] لأنهم يشكلون قوة عسكرية كبيرة لها كلمتها في مناصرة أي فرد من أفراد البيت الحاكم يستميلهم إلى صفه [2].

ومنهم طائفة القواد وهم في الغالب من العتقاء الذين كان عملهم عسكرياً بحتاً وكان كل قائد يضم معه طائفة كبيرة من العسكر والعبيد فكانوا يشكلون فرقاً كثيرة [3] حتى أنهم كانوا القوة المنافسة للأشراف في التأثير على مجريات الأحداث السياسية وكانت لهم الإقطاعات الواسعة في المناطق الزراعية التابعة لمكة ولهم رسوم مالية محدودة تدفع لهم سنوياً من أمير مكة [4] وكان بعض الأمراء من الأشراف يتزوج منهم مما يدل على الرغبة لدى الأمراء في كسب قوتهم لصالحه[5].

ومنهم أصحاب الحرف والمهن الذين لكل طائفة منهم زعيم [6] وهم عادة ينتسبون إلى أحيائهم التي يقيمون فيها مثل أهل المسفلة ، وأهل سوق الليل وأهل المعلاة ، ومن يقدم للسكن بمكة من أي جهة كانت ومن أي قوم يصبح أحد أفراد الحي الذي يسكن فيه ،

---

(١) كان بعض أمراء مكة يحاول كبح جماح الأشراف بالاستعانة بالقوات المصاحبة لحملات الحجاج مثل ما فعله الشريف رميثة بن أبي نمي سنة ٧٤٣هـ ، حيث طلب الاستعانة بالقوة المصرية المصاحبة لركب الحجاج لكسر شوكة الأشراف وإضعاف تهديدهم المستمر للإمارة فحدث الصدام في صعيد عرفات ، وكانت الكسرة على القوات المصرية مما يدل على قوة الأشراف وتفوقها . الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص٢٦٧. المقريزي : السلوك ، ج٣، ص٣٨٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٢٤.

(٢) طرفة العبيكان : الحياة العلمية والاجتماعية في مكة المكرمة في القرن السابع والثامن للهجرة ، ص٢٣٩. فريال قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص٣١٢.

(٣) من فرقهم القادة العصاميين ، والقادة العمرية ، و الحميضات ، والزبابعة ، وغيرهم . الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٣٣٥، ج٤،ص ٤١.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٥٠.

(٤) طرفة العبيكان : الحياة العلمية والاجتماعية في مكة المكرمة في القرن السابع والثامن للهجرة ، ص٢٣٩. فريال قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص٣١٢.

(٥) من أمراء مكة المكرمة الذين تزوجوا من بنات القادة الشريف عجلان بن رميثة فقد كان القائد جماز بن صبيحة العمري خال ابنه أحمد . الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٢٨٨.

(٦) كان من أعيان أهل مكة و زعيم أهل المسفلة في أوئل القرن الثامن محمد بن سلامة المكي . الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٧٩.

وكانت تحدث بينهم أحياناً مصادمات دموية لأسباب تافهة يسقط فيها بعض الرجال قتلى بسبب التنافس بينهم [1]

من الطبيعي أن يكون للثورات الداخلية بين أبناء البيت الحاكم أثر على الناحية الاجتماعية فقيام قتادة بن مطاعن بثورته على أبناء عمومته الأشراف الهواشم سنه ٥٩٧هـ/١٢٠٠م أدخل في المجتمع المكي أسرة جديدة من الأشراف لم يكن لهم بمكة موطن وهم قومه بني الحسن ، وذلك أنه قدم بقومه من منطقة ينبع واستطاع انتزاع إمارة مكة [2]وبهذا جعل الطريق سهلاً لدخول أتباعه من آل الحسن إلى مكة حيث أصبحوا سادتها

وبهذا نستطيع القول أن كل ثائر من أبناء البيت الحاكم كان يمهد لأتباعه في الدخول إلى المجتمع المكي ، وقد كان الأتباع معظمهم من القبائل التي تربطها صلة بأحد المتنازعين وهم في الغالب من القبائل المحيطة بمكة.ومن أمثلة ذلك أن أنصار حسن ابن قتادة في صراعه مع أخيه راجح بن قتادة كانوا أخواله قبيلة عنزة وقد مدوا له يد المساعدة العسكرية بحكم علاقة النسب التي تربطهم به وكان ميل حسن بن قتادة تجاه أخواله قد أغضب قومه الأشراف وعبيد أبيه مما جعلهم ينفرون منه [3] ويبدو أنهم أظهروا ميلاً لأخيه راجح من قبل بسبب قلة ما كانوا يرجونه من منافع مما جعله يميل إلى ناحية أخواله أبناء قبيلة عنزة لأنه من المستبعد أن يفرط في مناصرة قومه الأشراف الذين هم أفراد البيت الحاكم إلا إذا كان قد ظهر منهم ميل تجاه منافسه راجح .

وفي عام ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م خسر عطيفة بن أبي نمي فريق القادة وذلك لقتل ابنه مبارك بن عطيفة للقائد محمد بن عبد الله العمري [4] فغضب فريق القادة وانضموا إلى صف رميثة بن أبي نمي ، وكان انضمامهم هذا قد جعل الأشراف ينضمون إلى صف عطيفة مما يدل أن

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٣٢١. ابن فهد : بلوغ القرى ، ج١، ص٥٥٦،٥٤٤،٤٩٤،ج٢،ص٧٩٥.

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص١٣٥.ابن عنبة : عمدة الطالب ، ص ١٠٩.الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥، ص ٤٦٤ . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٦٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج ١، ص ٥٥١.
الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١٠٨. عبد الكريم الخطيب : تاريخ ينبع ، ص٢٢٣.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣،ص ٤٠٣.

(٤) هو القائد محمد بن عبد الله بن عمر بن مسعود العمري المكي ، كان من أعيان القواد العمرية ، توفي مقتولاً من سهم رماه به الشريف مبارك بن عطيفة بن أبي نمي سنة٧٣٧هـ ، بسبب أن القائد محمد بن عبد الله خرج مع من خرج لتخليص محمد بن الزين القسطلاني من يد الشريف مبارك . المصدر السابق ،ج٢، ص٢١٧.

الفريقين كانا متنافرين ، وقد كان هذا الموقف من القادة قد أجبر مبارك إلى تقريب أخواله بني عمير واستخدامهم في مهامه العسكرية ضد عمه رميثة وأتباعه من الأشراف والقادة [١] وعندما يحدث نزاع بين أبناء البيت الحاكم بمكة و يصل إلى قيام ثورة مسلحة كان من البديهي أن ينقسم الناس في مكة إلى تأييد أحد المتنازعين على السلطة فيما يميل الطرف الآخر لتأييد الطرف الثاني ، وفي نفس الوقت يكون من أهل مكة من لا يهمه أمر التنازع على السلطة مثل المجاورين و أصحاب المهن وبعض التجار ولكنهم يتأثرون باختلال الأمن الذي يصاحب التنازع على السلطة ، فتصيبهم الكوارث وتحل بهم الأزمات ومن أمثلة انقسام المجتمع المكي بين المتنازعين ما كان يحدث من انقسام بين الأشراف والقادة في تأييد المتنازعين على السلطة ففي عام ٧٠١هـ/ ١٣٠٣م عندما توفي أبو نمي بن الحسن بن علي بن قتادة اختلف أبناؤه فانقسمت القوى العسكرية في مكة إلى قسمين:طائفة أيدت عطيفة وأخاه أبا الغيث ، وطائفة أيدت حميضة وأخاه رميثة [٢] ومن البديهي أن يحصل بين الطائفتين تنافس وصراع حيث إن كلاً منهما يريد أن يلي إمارة مكة حليفه من أبناء أبي نمي وبهذا نستطيع القول إن بداية الصراع بين شريحتين من أقوى شرائح المجتمع المكي كان في عام ٧٠١هـ/١٣٠٣م وقد امتد سنوات طويلة بسبب التنافس على منصب الإمارة وقد امتد هذا التنافس بين هاتين الشريحتين ، وكان سبباً في تولي وتنحية عدد كبير من أمراء مكة وقد خسر المجتمع المكي بسبب هذا الصراع العديد من الرجال الذين كانوا على درجة كبيرة من المكانة الاجتماعية والفروسية من كلا الجانبين .

وقد كان لميل السكان لتأييد أحد المتنازعين على السلطة أثر فيما لو انتصر الطرف الآخر فتحل على السكان من عامة الناس والمجاورين الكارثة فيتعرضون للقتل ومن أمثلة ذلك أن أهل مكة من عامة الناس والمجاورين كانوا يرغبون في ولاية عطيفة بن أبي نمي ويفضلونه على إخوته لما كان يتمتع به عطيفة من حبه للعدل والتسامح ، وقد لمس هذه الصفات فيه السكان عند ولايته ، وقد ظهر ميلهم هذا عندما طلبوا من السلطان الملك الناصر جنداً

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص ٢٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٠٧.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٣٥٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٤٤٥، ج٤ ، ص ١٠٠. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣ ، ص ١٣٤. ابن فهد : غاية المرام ،ج٢ ، ص ٥٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٩١٤.

لدعم إمارة عطيفة من هجوم قد يشنه أخوه حميضة مما أغضب حميضة بن أبي نمي فعندما انتصر على أخيه عطيفة عام ٧١٩هـ/١٣١٩م قام بقتل جماعة من أهل مكة والمجاورين بها [(١)]

وعندما انتصر عنان بن مغامس في صراعه على السلطة على الأشراف آل عجلان وتوليه الإمارة سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م هاجم أتباعه من كانت له علاقة بأحمد بن عجلان فنهبوا منازلهم ومنهم محمد بن أحمد بن علي الأنصاري المشهور بابن جن البير [(٢)] فقد استولى أصحاب عنان بن مغامس على داره ونهبوها مما اضطره إلى مغادرة مكة إلى وادي نخلة خوفاً على حياته من القتل [(٣)] ومنهم محمد بن فرج المكي المشهور بابن بعلجد [(٤)] فقد خرج خوفاً على نفسه وماله إلى وادي مر الظهران [(٥)].

وعندما انتصر آل عجلان واستعادوا السلطة من عنان بن مغامس عام ٧٨٩هـ/١٣٨٦م حلت الكارثة بأنصار عنان من السكان فغادر بعضهم إلى خارج البلد خوفاً على أنفسهم

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٩، ٤٥١،ج٥،ص ٢١٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٦٣،١٦٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص ٦٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٢٥.

(٢) هو محمد بن أحمد بن علي بن عمر الأنصاري المصري شمس الدين المعروف بابن جن البير ، كان أحد المجاورين مكة المكرمة ، وكان يعمل بالتجارة ، وتولى توزيع الصدقات لبعض أمراء مصر ، كان له علاقة بالأمير أحمد بن عجلان ، شارك في موقعة أذاخر مع كبيش وآل عجلان ، ضد عنان بن مغامس ووقع في الأسر ، توفي سنة ٧٩٥هـ . الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص٤٣.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص.٣٩٠.

(٣) الفاسي ، العقد الثمين ، ج٢، ص٤٤.

(٤) هو محمد بن فرج المكي يلقب بالجمال ويعرف بابن بعلجد ، كان يسافر إلى اليمن لقبض ما يبذله ملك اليمن من صدقات توزع في مكة المكرمة ، أوقف رباطاً بالقرب من المسعى ، أنفق كثيراً من أمواله لتأييد إمارة علي بن عجلان ، كان علي يستعمله على كثير من المهام بمكة وجدة ، توفي سنة ٧٩٠هـ. المصدر السابق ، ج٢، ص ٣٣٧.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٧١.

(٥) الفاسي ، العقد الثمين ، ج٢، ص٣٣٦.

من القتل ومنهم إبراهيم بن عطية بنل المكي [1] فقد خرج إلى وادي نخلة وبقي به حتى شعر بالأمان فعاد إلى مكة [2].

وعندما انتصر جازان بن محمد بن بركات على أخيه بركات بن محمد عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م دخلت قواته مكة وانتقمت من أهلها شر انتقام بالقتل والسلب والإهانة وذلك لموقفهم السابق في مساندة بركات والوقوف معه في صد قوات جازان وقد وصل الانتقام إلى علية القوم وخصوصاً العلماء الذين سبق أن أفتوا بجواز محاربة قوات جازان [3] وقد كان بعض أهل مكة يخرجون منها عندما يتوقعون حدوث الخطر في أثناء الثورات بين أبناء البيت الحاكم ، وقد يخرجون ويتركون منازلهم وأموالهم يدلنا على هذا أن القاضي نجم الدين الطبري كان في حيرة من أمره عندما أراد أن يهرب إلى خارج مكة خوفاً من القتل أثناء الفتن بين أبناء أبي نمي في عام ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م وكان خوفه على بناته كبيراً أن يصيبهم مكروه وهو لا يستطيع مغادرة مكة خوفاً عليهن . [4] مما يدل على ما كان يحل بالسكان من اعتداءات من قبل الجنود الغازية المنتصرة من قتل وسلب ونهب للناس دون تمييز بينهم.

ومن أمثلة ذلك أيضاً أنه في أثناء ثورة جازان بن محمد بن بركات على أخيه بركات بن محمد بن بركات ودخول قوات جازان مكة في عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م أصاب الناس الخوف والرعب على أنفسهم وخشوا من تعدي رجال جازان بن محمد عليهم بالقتل والسلب فحاول بعض أهل مكة الهرب إلى المدينة المنورة وبعضهم أراد السفر إلى جدة ثم مغادرة الحجاز بحراً وشاع خبر الهلع والاضطرابات مما جعل جازان يأمر بنهب من يسافر و يغادر مكة ،وأعلن أعوانه بهذا الخبر للناس مما جعل من فكر بالخروج يعدل عنه ويستسلم لقضاء

---

(١) هو إبراهيم بن عطية بنل المكي المعروف بالحمامي ،كان وزيراً للشريف أحمد بن عجلان ثم عمل للشريف عنان بن مغامس ، وبعد قتاله معه ضد آل عجلان خرج من مكة خوفاً على نفسه ، وكان من أغنيائها أوقف رباطاً بالمسفلة ، توفي سنة ٧٩١هـ . المصدر السابق ، ج٣، ص ١٤٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٧٥.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص١٤٧.

(٣) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٦٤،١٢٣٨. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢،ص١٣٥. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص٤٧. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٩٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١٣٣.

(٤) اليافعي : مرآة الجنان ، ج٤،ص ٢٥٩.

الله وقدره وقد خرج بعض المجاورين الذين ليس لهم منازل يخافون عليها إلى المدينة المنورة والظاهر أنهم خرجوا خفية دون أن يشعر أحد بهم.(١)

وفي عام ٩١٠هـ/١٥٠٤م عندما زحف حميضة بن محمد بن بركات على مكة أثناء ثورته ضد أخيه بركات بن محمد خرج غالب أهل مكة وخصوصاً الأغنياء منهم والتجأوا إلى من تربطهم به علاقة من سكان البادية القريبين من مكة خوفاً على أموالهم وأنفسهم من النهب والقتل(٢) وقد كان الناس معذورين في محاولتهم الخروج لكثرة ما أصابهم من جراء الهزائم والانتصارات المتكررة التي كانت تحل بمن يلي الإمارة من أبناء محمد بن بركات ، فإذا حقق شريف انتصاراً ينتقم من أهل مكة الذين وقفوا لجانب عدوه ، وفي نفس الوقت يترك لجنده نهب الدور والأسواق فيكثر القتل والنهب ، ويتكرر هذا المشهد مع كل شريف يحقق انتصاراً عسكرياً

ومن البديهي أن يقل عدد السكان من المجتمع المكي سواءً جراء القتل أو الهجرة ، حيث إن تصرفات بعض جند الثورات تكون من العنف بمكان في قتل كل من يواجههم من السكان إذا كان محارباً أو مدافعاً عن ماله وعرضه ومع أنه لم يتوفر ذكر لعدد من يفقدهم المجتمع المكي من السكان في كل ثورة تحدث إلا أننا نستدل على هذا بكثرة الثورات الداخلية فقد كان من أكثر الثورات الداخلية التي خسر المجتمع المكي كثيراً من أفراده من جميع الطوائف ثورات أبناء محمد بن بركات التي كانت من العنف على درجة كبيرة فقد أقبل جند جازان في إحدى انتصاراته على أخيه بركات بن محمد بن بركات التي كانت في شوال عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م على قتل الرجال والنساء والصبيان وسبي العبيد والإماء ، وكانوا عدداً كبيراً لا يحصى من كثرته ، وهرب غالب أهل مكة منها (٣) ، وكانت المبالغة في هذا القتل والتعدي على السكان بسبب مواقف غالب أهل مكة مع بركات في محاولتهم

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٣٨.ابن فهد :غاية المرام ، ج٣، ص١٣٥. ابن إياس : بدائع الزهور= =، ج٤، ص ٤٧. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٦.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٧١.

(٣) المصدر السابق ، ج٢، ص١٢٦٤. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص ٤٧. الجزيري : الدرر ،ج٢،ص٧٨٦. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص٢٨٢. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٩٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١٣٣. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص٢٩٠.

لصد قوات جازان ، ومن البديهي الإسراف في القتل سوف يؤدي إلى نقص شديد في المجتمع المكي عموماً حيث إن جميع معطيات الحياة الكريمة فقدت في هذه الظروف التي تتشابه في كل ثورة تحدث .

كان من أثر الثورات الداخلية على الناحية الاجتماعية دخول عنصر الأتراك في المجتمع المكي ، فقد كان يوجد مجموعة كبيرة منهم وكانوا يعملون في خدمة الأشراف من أبناء البيت الحاكم كجنود مرتزقة تذكرهم المصادر بالترك وبالمماليك عند ذكر القوات العسكرية للإمارة ، ويتبين من النصوص التاريخية أنهم كانوا يشاركون في الأحداث العسكرية السياسية في مكة ، والغالب أن هؤلاء الأتراك من الأرقاء وكانوا من الذين يرسلهم السلاطين كهدايا للأمراء ومن الذين يشترونهم الأشراف من مصر عندما ينوون القدوم إلى مكة بالولاية ، وبعضهم من الجنود الذين يقدمون مع الأشراف من مصر عندما يتم توليتهم الإمارة لتقديم خدمات عسكرية بمردود مادي .

ومن أمثلة ذلك أنه في عام ٧٣٤هـ/١٣٣٣م عندما قدم عطيفة بن أبي نمي من مصر متولياً للإمارة قدم معه بـ(٥٠) مملوكاً بعضهم مستخدمون(١)وبعضهم اشتراهم (٢)

في عام ٧٤٦هـ/١٣٤٥م عندما قدم عجلان بن رميثة بالولاية قدم معه بـ(٥٠) مملوكاً بعضهم أرقاء وبعضهم مرتزقة(٣).

وفي عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م زار عجلان القاهرة وقدم بـ(٤٠) مملوكاً و(٢٠) جندياً من الذين تم تسريحهم من الخدمة العسكرية (٤) ، وعندما قدم ثقبة بن رميثة بالولاية عام٧٥٢هـ/١٣٥١م ، اشترى من مصر عدداً من المماليك قيل إن عددهم(٥٠) مملوكاً ،

---

(١) المستخدمون المقصود بهم الجنود المرتزقة الذين تسمح الدولة لأمير مكة أن يستخدمهم في مهمة توليه منصب الإمارة إذا كانت لا ترغب أن تجهز قوات نظامية ترسلها مع الشريف وكانوا عادة من الجنود الذين فصلوا عن الخدمة العسكرية لدى الدولة وأصبحوا عاطلين ويطلق عليهم بطالين .

الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٢٥٧،١٩١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٤١.

(٢) المصدر السابق ، ج٤، ص ١٠٧. المصدر السابق ، ج٣، ص ٢٠٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢،ص٩٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٤١.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ١٨٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢،ص١٤٠،١٣٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٠٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٥٣. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٤٨.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٢٥٧، ج٥، ص ١٩١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٤١.

واستخدم عدة أجناد [1]. وهذا يدل أن ثقبة قدم بعدد كبير من الأتراك قسم منهم عبيد وقسم منهم مرتزقة .

وفي عام ٧٩٠هـ/١٣٨٧م قدم حسن بن عجلان ومعه ٥٠ جندياً من المرتزقة بهدف حماية إمارة أخيه علي بن عجلان من المنافسين له من الأشراف بني الحسن[2]

وعندما زار علي بن عجلان القاهرة عام ٧٩٤هـ/١٣٩١م أهداه السلطان(١٠) مماليك ، وأهداه الأمراء غلماناً من الترك قيل أنهم (١٠٠)مملوك [3] وبهذ نستطيع القول إن عدد أبناء الجنس التركي زاد في المجتمع المكي بسبب الثورات الداخلية .

وفي عام ٧٩٨هـ/١٣٩٥م قدم حسن بن عجلان ومعه (١٣٠) من المماليك الأتراك قد اشتراهم من مصر بعد تعيينه أميراً لمكة بعد مقتل أميرها أخيه علي بن عجلان [4]

وفي عام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م أرسل حسن بن عجلان القائد جبروه [5] إلى القاهرة بهدية للسلطان ولشراء مماليك أتراك ، فقام بما أسند إليه حيث عاد في الموسم ومعه عدد من المماليك الذين اشتراهم لسيده[6]

وقد كان لهؤلاء الأتراك من المماليك والمرتزقة دور كبير في تغيير موازين القوى في الصراعات العسكرية في مكة ، فقد استطاع علي بن عجلان أن يقوي مركزه السياسي

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣،ص ٢٥٧. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص١٤٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٥٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٥٢.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣،ص٣٤٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٧٠. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٧٦.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٢٨٤. المقريزي : السلوك ، ج٥،ص ٣٢٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ٣٨٢،٣٨٥. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص٢٣٣. الجزيري : الدرر ، ج١،ص٦٧٨.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣،ص ٣٤٩. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٩٨. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص٢٥٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٨٢. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٦٧. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٧٠.

(٥) جبروه . هو القائد سعيد جبروه العجلاني ناب في إمارة مكة عن حسن بن عجلان وكان رسوله إلى السلطة السياسية في مصر في عدة مرات ، كان من أهل الثراء و البر والإحسان بنى سبيلاً بمكة ، توفي عام٨٣٩هـ. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٤٦٢. السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣، ص٢٥٦.

(٦) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣،ص ٣٥٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٤٢٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٦٠.

والعسكري عندما كان تحت تصرفه ما يزيد على(١٠٠) مملوك وذلك عندما اتخذ من القواد والأشراف في مكة موقفاً أكثر استقلالاً وصموداً بعد أن كان في موقف ضعف من تحزبهم عليه وذلك في عام ٧٩٤هـ/١٣٩١م[1] .

فقد استطاع حسن بن عجلان بفضل الله ثم بما قدم معه من المماليك الأتراك أن يحرز النصر على الأشراف بني الحسن الذين قتلوا أخاه علي بن عجلان ويحرز نصراً مؤزراً عليهم في موقعة الزبارة[2] في عام ٧٩٩هـ/١٣٩٦م[3] مما يدل أن هؤلاء المماليك كانوا على درجة عالية من الكفاءة الحربية جعلت أمراء مكة من الأشراف يحرصون على اقتناء عدد كبير منهم لما ظهر منهم من مهارات قتالية .

وقد كان من أثر الثورات الداخلية بين أبناء البيت الحاكم سقوط هيبة العلماء من قضاة وفقهاء وغيرهم فيتم التعدي عليهم من ضمن شرائح المجتمع يدلنا على هذا أنه في عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م أثناء الخلاف بين أبناء أبي نمي على السلطة تم قتل عدد من الفقهاء والمجاورين على يد قوات حميضة [4].

وقد كان ترصد الثائرين للفقهاء والقضاء بسبب أن تأييدهم لبعض الأمراء من الأشراف يعتبر مناصرة لهم مما يعطيهم صفة شرعية على تصرفاتهم ، ولهذا يعتبر الطرف الآخر من المعارضين هذه المواقف مناصرة لأعدائهم عليهم فتحل الكارثة بالقضاة إذا انتصر الطرف المعارض مثل ما حدث للقاضي أبو السعود بن ظهيرة أثناء الخلاف بين أبناء محمد بن بركات فقد كان لتصرفاته ومواقفه من الخلاف بين الأخوة وانحيازه لبعضهم أثر عند بركات ، فعندما استعاد بركات إمارته قبض على القاضي أبي السعود وصادر أمواله ونفاه

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٤١٩. المقريزي : السلوك ، ج٥،ص ٣٢٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٨٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٢٣٣. الجزيري : الدرر ، ج١،ص٦٧٨.

(٢) الزبارة موضع في وادي مر الظهران به قرية زراعية تعرف بقرية الزبارة وسكانها اليوم بنو عمير من هذيل . عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٤،ص١٢٨.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٣٥٠. المقريزي : السلوك ، ج٥، ص ٣٨٥. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٩٨. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص٢٥٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٨٢. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٦٧. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٧٠.

(٤) اليافعي : المرآة ، ج٤، ص٢٥٩.

إلى إحدى الجزر في البحر الأحمر ثم تم قتله بإغراقه في البحر [1]. وبهذا يتبين إن القضاة والفقهاء كانوا في موقف لا يحسدون عليه فكلما انتصر أمير طلب من القضاة تأييده والفتوى بعدم أحقية المعارض له فإذا انتصر المعارض حلت الكارثة بمن شارك من القضاة في الفتوى السابقة ، ومن ذلك أيضاً موقف جازان عام ٩٠٨/١٥٠٢م من القضاة والفقهاء الذين ذكر أنهم أفتوى بخروجه وتكفيره وأنه ممن يحارب الله ورسوله ﷺ وجمعهم ووبخهم على فعلهم ثم سجنهم حتى دفعوا مبالغ مالية في مقابل إطلاقهم [2] وبهذا نستدل إن الفقهاء والقضاة كانوا يُقحمون في الثورات الداخلية بين أبناء البيت الحاكم لأن تأييدهم ورضاهم عن أحد الأمراء يعني انحياز الناس في البلد الحرام لهذا الأمير مما يفقد الخصم عدداً كبيراً من المؤيدين حيث إنهم أعيان أهل البلد ،والسلطة السياسية في مصر تعطي اعتباراً لرأيهم فيما لو كتبوا محضراً بتأييد أحد الأمراء وأرسلوه إليها .

---

(١) الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٥. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١٢٦. السباعي : تاريخ مكة ، ج١،ص٣١٠.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٣٨.

الفصل الثالث : الحملات العسكرية الخارجية على مكة المكرمة

المبحث الأول : الحملات العسكرية المصرية والشامية .

المبحث الثاني : الحملات العسكرية العراقية .

المبحث الثالث : الحملات العسكرية اليمنية .

المبحث الرابع : الحملات العسكرية المدنية .

المبحث الأول : الحملات العسكرية المصرية والشامية .

تنافست كل من القيادتين السياسيتين في مصر واليمن على فرض السيطرة الكاملة على المدينة المقدسة مكة لما لهذه المدينة من مكانة عالمية لدى الشعوب الإسلامية ، ومن يسيطر عليها يكتسب شهرة عالمية بصفته خادم الحرمين الشريفين ، وراعي الحجاج في المشاعر المقدسة ، كما أن لها دوراً كبيراً في التجارة العالمية ، فسيطرة القوة السياسية الرسولية على مكة يعني سلامة التجارة اليمنية من المكوس والضرائب لأنها تصبح تتنقل في أراضي تتبع السلطة اليمنية ، وسيطرة القوة السياسية المصرية تعني حرية التجارة بين الحجاز ومصر و بلاد الشام وتصريفها في موسم الحج ، كما تعني سلامة الحجاج من مصر والشام من أي رسوم جمركية عليهم وتأمين سلامة وصولهم ومغادرتهم .

لذا حرصت كل من القيادتين السياسيتين في مصر واليمن على أن تكون مكة من ضمن أراضيهم فكان بينهما تنافس عسكري محموم منذ استقلال بني رسول بحكم اليمن عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م أرهق كلا الجانبين وكبده خسائر فادحة ، وبعد ضعف التنافس لتفوق القوة السياسية المصرية على القوة الرسولية اليمنية بعد ظهور دولة المماليك وانتصارها على المغول في معركة عين جالوت الشهيرة وإحياء الخلافة العباسية من جديد في مصر ساعد هذا جميعه على اكتسابها احترام وتقدير جميع الدول الإسلامية في ذلك الوقت فرضت سيطرتها بدون منافس على الأماكن المقدسة في الحجاز و أخذت الحملات المصرية والشامية جانب تأديب الخارجين عن سلطتها من أمراء مكة وفي نفس الوقت حرصت على أن تبقى الإمارة في أصحابها الشرعيين من أبناء البيت الهاشمي دون التدخل في تغييره إلى أي جماعة أخرى ، وفيما يلي عرض لهذه الحملات .

حملة الأمير طغتكين بن عبد الله الكاملي عام ٦٢٩هـ/١٢٣١م :

بعد وفاة الملك المسعود ملك اليمن عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م بدأت بوادر التنافس بين القيادة الجديدة في اليمن والقيادة الأيوبية في مصر حول بسط النفوذ على مكة فالأيوبيون هم سادة بني رسول ويعتبرون أنفسهم السادة الشرعيين على مكة أي هم ورثة الملك المسعود الأيوبي واليهم على اليمن ،والملك المسعود هو أحد أبناء الملك الكامل ملك مصر وبهذا يكون ملكه جزءاً لا يتجزأ من أملاك والده ، والأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول قد ولاه الملك المسعود على اليمن ويرى أنه أحق بأملاك الملك المسعود بالإضافة أن الأمير نور الدين كان نائباً للملك المسعود على مكة وعرف عن قرب ما تقدمه مكة لمن يتولى أمرها من مكانة روحية في نفوس المسلمين على مستوى العالم الإسلامي ، فأخذت كل من القيادتين في العمل على تنحية نفوذ بعضها عن مكة ، وقد استطاعت القيادة في مصر أن تفرض سيطرتها عليها عندما أرسلت والياً من قبلها لكي ينوب عنها في الإمارة وهو الأمير طغتكين وقد استطاع أن يحسن إلى السكان ويقدم لهم الأعطيات في محاولة لكسب تأييدهم له فيما لو حدث زحف عسكري من خراجها وخصوصاً من اليمن .

أمام هذا الإجراء من قبل السلطة الأيوبية في مصر قرر الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول أن يستقل بحكم اليمن ويعلن نفسه سلطاناً على اليمن ثم أخذ يفكر في أن يضم إليه أملاك سيده الملك المسعود في الحجاز فأرسل حملة عسكرية بقيادة ابن عبدان [(١)] و راجح بن قتادة في ربيع الأول عام ٦٢٩هـ/١٢٣١م استطاعت أن تجبر الحامية المصرية بقيادة الأمير طغتكين بن عبد الله الكاملي على الخروج من مكة وضمها إلى أملاك السلطان عمر بن علي بن رسول[(٢)]

---

(١) ابن عبدان هو أحد قادة جيش الملك المنصور عمر بن علي بن رسول قدم مع الشريف راجح إلى مكة المكرمة ، واستطاع انتزاعها من أميرها الكاملي ، ثم قتل على يد الجيش الذي أنفذه الملك الكامل الأيوبي .
الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص ٣٦٣.

(٢)الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٩. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤١. الفاسي : العقد الثمين ،ج٤، ص٢٩٥،ج٥، ص ٣٦٢. المقريزي : السلوك ، ج١،ص ٣٦٦.ابن فهد : غاية المرام ،ج١، ص٦٢٠،٦٠١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩١.السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٩٤. يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ص ٤٢٠. ناصر البركاتي : بنو رسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي ، ص١٥٤.

لذا خرج الأمير طغتكين بن عبد الله الكاملي إلى ينبع وأرسل إلى الملك الكامل الأيوبي في مصر يخبره بما حدث في مكة من دخول قوات السلطان عمر بن علي بن رسول بقيادة ابن عبدان و راجح ويستشيره فيما يفعله ، فما كان من الملك الكامل إلا أن جهز حملة عسكرية كثيفة العدد وكاملة التسليح بقيادة الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ(١)وأمر الأمير طغتكين بالانضمام إليها من ينبع ، وأرسل إلى أمير المدينة المنورة الأمير شيحة بن هاشم الحسيني(٢) وإلى أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة زعيم الأشراف بينبع بالانضمام إلى الجيش ، وهذا يدل على مدى حرص الملك الكامل الأيوبي على أن تبقى مكة من ضمن أملاكه ، وزحفت القوات المصرية ، واستطاعت أن تصل إلى مكة في رمضان سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م وتتقابل مع القوات اليمنية المتواجدة بها في معركة غير متكافئة وذلك لقلة القوات اليمنية بالنسبة للقوات الغازية وسقط في أرض المعركة القائد اليمني ابن عبدان قتيلاً ولاذ راجح بالفرار وحلت الهزيمة بالقوات اليمنية ، وقُتل من السكان عدد كبير جداً بسبب غضب الأمير طغتكين منهم لموالاتهم للقوات اليمنية في قدومها السابق على مكة المكرمة ، وتم نهب البلد لمدة ثلاثة أيام (٣).

أراد الملك الكامل الأيوبي بانضمام أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة زعيم الأشراف بينبع أن يكون ضداً لعمه راجح بن قتادة حليف السلطان عمر بن علي بن رسول ، وهذه خطوة

---

(١) هو الأمير يوسف بن محمد بن عمر فخر الدين بن شيخ الشيوخ الجويني ، أمير مكة المكرمة تولى قيادة الجيش الزاحف على مكة المكرمة سنة٦٢٩هـ ، استطاع أن يخرج منها القوات اليمنية التي كانت بها ، عمل وزيراً للملك الصالح نجم الدين أيوب ثم لولده توران شاه ، قتل على يد المماليك سنة٦٤٧هـ. الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص ٢٥٧.

(٢) هو الأمير شيحة بن هاشم قاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة المنورة ، تولى إمارتها بعد مقتل الأمير قاسم بن جماز شارك في الحملات التي زحفت على مكة المكرمة بأمر الملك الكامل ، والملك الصالح ضد الحملات اليمنية التي كان يرسلها السلطان عمر بن علي بن رسول وكان له دور كبير فيها ، قتل سنة٦٤٩هـ . الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٢٦٧.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٩. الفاسي : العقد الثمين ،ج٤، ص٢٩٥،ج٥، ص ٣٦٢. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤١. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٦٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٦٢٠،٦٠١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩١. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٧١. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٨. يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ص ٤٢٠. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٢٠. الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص٢١٢.

ذكية من الملك الكامل لتفتيت التحالف بين الأشراف وحكام اليمن لأنه عرف من الأحداث السابقة أن الحملة اليمنية لم تحقق النجاح إلا بمساعدة راجح بن قتادة ولذا كان دور أشراف مكة واضحاً في تغيير ميزان القوى في المنطقة ، لذا قرر الاستعانة بأبي سعد الحسن بن قتادة.

حملة الأمير آق سنقر الزاهدي[1] سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م

بعد خروج القوات المصرية من مكة في صفر سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م ، والتجائها إلى ينبع ، ودخول الشريف راجح بن قتادة على رأس القوات اليمنية [2] أمر الملك الكامل بتجهيز حملة عسكرية كبيرة تتكون من القوات النظامية المصرية وقوات القبائل البدوية تقدر بـ(٧٠٠) فارس وأوكل قيادتها إلى الأمير آق سنقرالزاهدي فقدم بالحملة العسكرية في موسم حج عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م ، وما أن علم راجح بن قتادة بوصول القوات المصرية حتى خرج من مكة فاسحاً المجال للقوات المصرية أن تدخل بكل يسر وسهولة ، وتجنب الاصطدام معها ، فما كان من الأمير آق سنقر الزاهدي إلا أن حج بالناس ، والإحسان إلى أهل مكة ، وتأمينهم على أموالهم وأنفسهم ، وأقام العدل فيهم، بعكس ما فعله الأمير طغتكين في الحملة السابقة ، وهذا يدل على أن القيادة في مصر استوعبت خطأ الأمير طغتكين عندما أساء إلى السكان مما جعلهم ينفرون من السلطة المصرية عليهم ، ثم ترك بمكة أميراً عليها من قبل

---

(١) هو الأمير آق سنقر الزاهدي ، أحد أمراء الملك الكامل الأيوبي أرسله على رأس حملة عسكرية وإمارة ركب الحاج سنة ٦٣٠هـ ، فلما قرب من مكة خرجت القوات اليمنية خوفاً منه ، كان عادلاً كريماً أحسن إلى أهل مكة في حجته هذه . الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٨٠. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩١.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ج٤،ص ٨٠، ج٦، ص ٢٥٧. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٦٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٦١٧، ٦١٩. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٣٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٩٧. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٢٠.

الملك الكامل يدعى ابن مجلي (1) ،وجعل معه قوة عسكرية تقدر بخمسين فارساً ثم عاد إلى مصر (2)

لم تكن القوة التي تم وضعها في مكة كافية في رد أي اعتداء عليها من قبل الدولة الرسولية ، ولكن يبدو أن هذه القوة قصد منها أن تكون حامية لفترة بسيطة إذا ما تم اعتداء على مكة في الوقت الذي يأتي المدد من ينبع أو المدينة المنورة .

حملة الأمراء عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م:

بعد خروج الحامية المصرية التي كانت بقيادة ابن مجلي بسبب زحف القوات اليمنية التي يقودها راجح بن قتادة سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م، أعد الملك الكامل الأيوبي حملة عسكرية كبيرة تقدر بـ(٥٠٠) فارس (3)بقيادة خمسة من أمراء الدولة الأيوبية وهم : وجه السبع ، والبندقي ، وابن أبي زكريا ، وابن برطاس (4) وجعل القيادة العليا للقوة للأمير جفريل (5) ، وكان خبر هذه الحملة المصرية قد وصل إلى أسماع السلطان نور الدين عمر بن علي بن

---

(١) ابن مجلي : هو أحد قادة الملك الكامل الأيوبي أرسله الملك الكامل ليكون أميراً على مكة بدلاً من الأمير طغتكين فقدم إليها صحبة الحملة التي قادها الأمير آق سنقر الزاهدي سنة ٦٣٠هـ. الفاسي العقد الثمين ،ج٤، ص ٨٠ ج٦،ص ٣٦٣.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص٨٠. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٦٧. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩١. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٧١. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٣٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٩٨. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٥٩. ناصر البركاتي : بنو رسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي ، ص١٥٥.

(٣) اختلف في تقدير هذه القوات فقيل بأنها كانت (١٠٠٠) فارس ، وقيل أنها (٧٠٠)فارس ، وقيل أنها (٥٠٠)فارس ، وكان أغلب المصادر ذكرت أنها تقدر بـ(٥٠٠)فارس . الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٥٥ الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص٨٠. ج ٥، ص ٣٦٣.. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٣٧٠. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩٢.

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٥٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٢٨٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٢. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤٢١.

(٥) هو الأمير جفريل بن عبد الله الكاملي ، أسد الدين ، عينه الملك الكامل أميراً على القوة العسكرية الزاحفة على مكة المكرمة سنة٦٣٢هـ ، وبقي بها حتى قدمت القوة الرسولية بقيادة السلطان عمر بن رسول فخرج من مكة إلى مصر ، كان من أشجع أمراء مصر . الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٢٨٣.

رسول فأرسل إلى نائبه راجح بن قتادة بخزانة عظيمة من الأموال على يد أحد أتباعه ويدعى ابن النصيري[1] ، وأمره أن يستخدم المال في بناء قوات مسلحة كثيفة العدد كاملة التسليح يستطيع بها أن يوقف زحف القوة المصرية القادمة ويمنعها من دخول مكة ، كما أرسل هدية للكعبة المعظمة وهي عبارة عن قناديل من الذهب والفضة لكي تعلق بها ، ولم تترك القوة المصرية لراجح بن قتادة فرصة بناء القوات المسلحة من جديد حيث فاجأته بزحف سريع ، فلم يجد راجح ومن معه سوى الإسراع بالخروج من مكة بعد تعليق هدايا الكعبة المعظمة للمحافظة على أرواحهم فاسحاً الطريق لدخول القوات المصرية ومعلنة عودة السلطة الأيوبية إليها وكان ذلك في رمضان سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م .[2]

يتبين لنا أن السلطة السياسية في مصر غيرت من نهجها العسكري السابق فقد أرسلت في هذه المرة خمسة أمراء لقيادة الحملة وأوكلت القيادة العليا لأحدهم مما يدل على تصميم القيادة السياسية في مصر على إنهاء مسألة الأخذ والرد بينها وبين السلطة اليمنية ، فهي بهذه الحملة تريد أن تقطع جميع آمال السلطة اليمنية في استعادة مكة ، وتولية القيادة لهذا العدد من الأمراء يجعلهم لا يتفقون على الانسحاب في مواجهة أي قوة زاحفة من اليمن .

كما يتبين هنا أن السلطان عمر بن علي بن رسول ما زال يعمل على كسب عطف الناس بمكة وولائهم له بما يقدمه من أعمال تأخذ صبغة دينية ، ففي سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م قام بتقديم الهدايا الثمينة للكعبة المعظمة وهي عبارة عن قناديل من الذهب والفضة ، وهو بهذا ينافس زعماء العالم الإسلامي في تقديم الخدمات الدينية للمسجد الحرام والكعبة المعظمة

حملة الشريف شيحة بن هاشم الحسيني ٦٣٧هـ/١٢٣٩م

---

(١) ابن النصيري : هو أحد أمراء الدولة الرسولية أرسله السلطان عمر بن علي بن رسول ومعه مبلغ كبير من المال لتسليح القوات الرسولية بمكة المكرمة،ومعه أيضاً هدايا بعثها السلطان من الذهب والفضة للكعبة المعظمة في= =عام ٦٣٢هـ . الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص٨٠. ج ٥، ص ٣٦٣.

(٢)الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٥٥.الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص٨٠. ج ٥، ص ٣٦٣. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٣٧٠. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٦٠١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٢. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤٢١. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٣٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٩٨.

بعد خروج القوات المصرية من مكة ودخول السلطان عمر بن علي بن رسول إليها في رجب سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م علم الأمير جفريل قائد الحملة المصرية بوفاة سيده الملك الكامل[1] ، فما كان منه إلا أن ترك انتظار المدد وقدم إلى مصر بمن بقي معه من قواته العسكرية ، وفي هذه الظروف انشغلت السلطة السياسية في مصر عن أمر مكة بأمور الحكم حتى تم تولية الملك الصالح نجم الدين أيوب [2] مقاليد السلطة في مصر في شوال سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م فأمر بإرسال حملة عسكرية تقدر بـ(١٠٠٠)فارس تحت قيادة شيحة بن هاشم الحسيني[3] ، ويبدو أن اختيار شيحة الحسيني لسببين الأول : احتمال قدومه إلى مصر للتهنئة بتولي الملك الصالح نجم الدين أيوب مقاليد الحكم فاستغل الملك الصالح قدومه وجهز معه الحملة العسكرية ، والثاني : أراد الملك الصالح أن تكون القيادة في أمير المدينة المنورة حتى يستطيع تموين جنده باستمرار من المدينة القريبة من مكة ، وإضافة جند إلى جنده من أبناء المنطقة التي يسيطر عليها شيحة يقوي من عزيمة الجند هناك ، وضم مكة إلى أمير المدينة المنورة كان رغبة شيحة بن قاسم الحسيني منذ عهد الملك الكامل لذا بذل كل جهده في المحافظة عليها .

زحف شيحة بن هاشم الحسيني بحملته من مصر ،وطبيعياً انضم إليه من جنده في المدينة المنورة عدد من الفرسان فقدم بالجميع إلى مكة فما أن سمعت الحامية اليمنية بقدوم الحملة

---

(١) كانت وفاته في رجب سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦، ص ٣٠٢.

(٢) هو السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب . ولد بالقاهرة سنة ٦٠٣هـ ، وتولى الملك في يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة٦٣٧هـ ، من أشهر ملوك بني أيوب وهو الذي استخدم الأتراك في جيشه كان ملكاً وقوراً مهيباً ، توفي ليلة النصف من شعبان سنة ٦٤٧هـ. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،ج٦، ص ٣٢٠. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢٣، ص ١٨٧.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦٤. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢، ص ٣٤٣. الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٨١. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٤١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٥٦.ابن فهد : غايةالمرام ، ج١، ص ٦٠٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩٤. العاصمي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٣٤. يحيى بن ا لحسين ، غاية الأماني ، ص٤٢٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٠١ .

المصرية حتى خرجت من البلد فاسحة المجال للقوات المصرية بدخولها بدون عناء [1] ، وهذا أمر طبيعي حيث إن قوة الحامية اليمنية تقدر بـــ(١٥٠)جندياً والحملة المصرية تقدر بـــ(١٠٠٠)جندي فمن المستحيل مواجهة مثل هذا العدد ، ودخلت الحملة المصرية مكة وأعلنت بالدعاء لحاكم البلاد الجديد الملك الصالح نجم الدين أيوب الأيوبي .

حملة الشريف شيحة بن هاشم الحسني سنة ٦٣٨هـــ ١٢٤٠م:

وصل شيحة بن هاشم الحسيني إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب وأخبره بما حدث في مكة من قدوم الحملة اليمنية وكثافتها مما اضطرهم إلى الخروج منها ، وكان هذا الخبر غير سار للسلطان الملك الصالح لأنه يعني خروج مكة من سلطة الدولة الأيوبية ، عند هذا أمر الملك الصالح بتجهيز قوات عسكرية جديدة بقيادة شيحة يسانده بعض القادة المصريين كان من أشهرهم الأمير علم الدين الكبير ، والأمير علم الدين الصغير [2] فزحف شيحة بالقوة المصرية وانضمت إليه القوة التي كانت معه في السابق ، فزحف بالجميع ، فما أن سمعت بهم القوة اليمنية حتى خرجت من مكة فدخلتها القوة المصرية ، وأعلنت تبعيتها من جديد للسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكان وصول الحملة بقرب موسم الحج فحج شيحة ومن معه من القادة بالناس [3]

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦٤. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢، ص ٣٤٣. الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٨١. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٤١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٥٦.ابن فهد : غايةالمرام ، ج١، ص ٦٠٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩٤. يحيى بن ا لحسين ، غاية الأماني ، ص٤٢٣. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٣٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٠١

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٥٦. الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٦٤.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦٤. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢، ص ٣٤٣. الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٨١. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٤١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٥٦.ابن فهد : غايةالمرام ، ج١، ص ٦٠٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩٤. عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص ٧٥. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصرالأيوبي ، ص ٦١. ناصر البركاتي : بنورسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي ، ص ١٦١. عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص٢١٦.

علم السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول بخروج قواته من مكة على أثر قدوم حملة شيحة الثانية سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م فقام بتجهيز حملة جديدة قادها بنفسه ، فلما سمع شيحة بن هاشم الحسيني نائب السطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ومن معه من القادة بقدوم السلطان وبكثافة ما معه من القوات تيقنوا أن لا طاقة لهم بملاقاته فخرجوا هاربين وقاموا بإحراق دار الإمارة وما تحتويه مخازنها من متاع وسلاح حتى لا تصبح غنيمة للقوات اليمنية فدخل السلطان عمر بن علي بن رسول مكة في رمضان سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م ، معلناً عودة السيادة اليمنية على المدينة المقدسة [١].

لم تغب أخبار حملة السلطان نور الدين عن أسماع القيادة السياسية في مصر ولكن لم يستطع الملك الصالح نجم الدين أيوب أن يرسل قوات جديدة من مصر تعيد مكة إلى السلطة الأيوبية ، وذلك لتفاقم الخلافات بين أبناء البيت الأيوبي ، والتهديدات الصليبية المستمرة [٢] جراء الحملة الصليبية السادسة ، وبقيت مكة في يد نواب الملك المنصور حتى استطاع أبوسعد الحسن بن علي بن قتادة انتزاعها من واليها اليمني ابن المسيب في ذي القعدة سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م [٣].

حملة السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري ٦٦٧هـ/١٢٦٨م:

عندما تولى السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري الحكم في الديار المصرية والشامية في عام ٦٥٨هـ/١٢٥٩م[٤] كان يحكم مكة أبو نمي محمد بن الحسن بن علي بن قتادة

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦٨. الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص ١٢٣، ج٤، ص ٨٢،ج٥، ص٣٦٤.المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٤١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٥٧.ابن فهد : غايةالمرام ، ج١، ص ٦٢٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩٤. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٣٤. يحيى بن ا لحسين ، غاية الأماني ، ص ٤٢٥.

(٢) المقريزي : السلوك ، ج ١ ، ص ٤١٥-٤٤١. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦، ص ٣٢١-٣٣٤.

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢، ص ٣٤٤ . الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٣٩٧. المقريزي : السلوك ، ج ١ ، ص٤٣٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٦٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٦٣٣. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣١١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٦.

(٤) المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٥٢٠ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٧، ص ٩٤.

الحسني وعم أبيه إدريس بن قتادة الحسني [١]، وكانت الأوضاع السياسية غير مستقرة وذلك للنزاع بين أبناء البيت الحاكم منذ مقتل قتادة عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م[٢]،وفي عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م تفاقم النزاع من جديد بين أبي نمي محمد بن الحسن بن علي بن قتادة ، وعم أبيه إدريس بن قتادة ووصلت الكتب تترا إلى القاهرة مرة بانفراد أحدهما ومرة بالاتفاق على الحكم شراكة بينهما[٣] لذا أراد السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري أن يطلع على أوضاع مكة من قرب وينظم وضعها ،و يثبت لأشرافها الذين فيما يبدو أنهم لم يحسنوا التعامل معه منذ توليه أمر الملك أنهم أمام سلطان لا يمكن الخروج عليه أو تجاهله ويجب عليهم احترامه ، كما أراد أن يرسل رسالة إلى الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول سلطان اليمن بأن يقطع التفكير في محاولة الزحف على الأماكن المقدسة ، وضمها إليه وأنه بإمكانه القدوم إلى اليمن وتهديد مملكته ، كما أن السلطان الملك الظاهر بيبرس قد سمع بأن التتار قد جهزوا ركباً إلى مكة قصدهم منه كشف الطرقات إلى الحرمين الشريفين ، ومهاجمة حجاج بيت الله الحرام ، فأراد السلطان مفاجأتهم في الحرم الشريف ، وحمايته من دنسهم ورجسهم ، وقد سمعوا بحركة السلطان في جنوب فلسطين عندما أعلن للناس أنه يريد مهاجمة العراق ، فخافوا أن يهاجم العراق ويقطع عليهم طريق العودة فعادوا عن قصدهم [٤].

كل هذه الأهداف أراد السلطان أن يحققها في سرية تامة ،وذلك خوفاً على سلامة الدولة من أي تحرك معاد لها داخلي أو خارجي فقرر استغلال موسم الحج لعام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م أولاً : لأداء مناسك الحج وثانياً لتحقيق ما سبق ذكره ، لذا قام السلطان الظاهر بيبرس البندقداري بالتحرك إلى ناحية بلاد الشام [٥] وأشاع أنه يريد الغزو وجهز فرقاً من القوات

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ١٤٨،ج٣،ص١٧٥.

(٢) المصدر السابق ، ج٥، ص ٤٧٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٨٥. الجزيري : الدرر، ج١، ص٥٨٦. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦، ص ٢٤٩.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ١٥١. ج٣، ص ١٧٥. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٨٥. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٥٩. ، ص ٣٥١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٩٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٣.

(٤) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، ،ص٣٥٦.

(٥) المصدر السابق ، ص ٣٥٤. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص٤٤٧. الفاسي : العقد ، ج١، ص١٢٥.

المسلحة تحت قيادة عدد من الأمراء وطلب من كل أمير التوجه حسب ما اختاره له من إقليم ،وكان في نفس الوقت يعد التجهيزات والتموين في الخفاء إلى المناطق التي سوف يسلكها في طريقه بحيث يواصل سيره بدون توقف متخذاً محطات البريد منازل له بحيث يستخدم ما قد أعد له من مراكب حتى لا تنقطع به الدواب فكان في كل محطة دواب معدة لهذا الغرض فيمتطيها ويترك الذي قدم بها لاستخدامها في العودة ، وبعد أن اطمأن للتجهيزات ، والتحقق بسرية الحركة أخذ عدداً من خاصة أمرائه و(٣٠٠) مملوك وأجناد الحلقة(١) وسار بالجميع حتى وصل إلى المدينة المنورة ، ولما علم أمير المدينة المنورة جماز بن شيحة هرب من وجه السلطان و لم يلاقه خوفاً على نفسه (٢) ، ويبدو ذلك لما للسلطان من شهرة قوية وصلت إلى مسامع الأمراء في كل مكان ، فدخل المدينة المنورة ، وزار مسجدها المبارك وأحسن إلى أهلها ثم غادرها إلى مكة فوصلها في يوم الثامن من ذي الحجة ،وكانت خالية من الحجاج حيث صعد الحجيج إلى منى و لم يبق بها إلا أمير مكة آنذاك أبي نمي بن حسن بن على بن قتادة ، وكان أبو نمي فيما يبدو قد أساء في مخاطبة السلطان من قبل في كتاب أرسله له يبين فيه أنه لا يخافه وإذا أراد أن يأتي إليه في مكة يأتيه على الخيل البلق (٣) وقد أراد السلطان أن يبين للشريف أنه يستطيع أن يأتيه كما زعم استحالته فأمر أصحابه أن يركبوا خيلاً بلقاً فلما وصلوا إلى مكة وشاهدهم أبو نمي استغرب مجيء ركب إلى مكة في هذا الوقت وسألهم عن أصلهم ووجهتهم فأمر السلطان أن يجيبوه أنهم الذين طلب أن يأتوه على الخيل البلق ، وخاطبه السلطان على سبيل الاستهزاء بأنهم بين يديه إذا أراد قتلهم فليقتلهم مما يدل على سابقة سيئة كانت من أبي نمي مع السطان في مكاتباته له قبل هذا

---

(١) أجناد الحلقة : هو عدد كبير من العسكر من غير المماليك ، وبما دخل فيهم من ليس من الجند كالمتعممين ، ولكل أربعين منهم مقدم يحكم عليهم وقت خروج العسكر فقط ، ولمقدمهم إقطاع يبلغ ١٥٠٠دينار ، وإقطاع الجندي يبلغ ٢٥٠ديناراً . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤، ص ١٦. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٤، ص ٦٨.

(٢) الفاسي :شفاء الغرام ، ج٢، ص ٤٠٦.المقريزي : الذهب المسبوك ، ص٨٥. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٧، ص ١٤٦.

(٣) البلق : يقصد به الدابة التي بها بياض وسواد فيقال دابة بلقاء ، ويقصد أيضاً ارتفاع التحجيل إلى الفخذين في الدابة أي البياض في أرجلها . ابن منظور : لسان العرب ، ج ١، ص ٤٨٧. الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، ص ٧٨٢.

اللقاء ، عند هذا سقط في يد أبي نمي وعرف أنه أمام السلطان الذي لا يستطيع مواجهته وتحديه ، فأخذ في الاعتذار عما بدر منه في السابق وأنه مجرد خادم مطيع للسلطان وأمرائه ، فطمأنه السلطان ، وقام أبو نمي بخدمة السلطان ومن معه فيما يحتاجونه في إتمام شعائر حجهم(١)، وقام السلطان ومن معه من الأمراء بالتصدق بمكة بمال كثير على الفقراء والمجاورين بها ،وفرقوا عليهم الكساوي ، وصار السلطان يقوم بأداء الشعائر لوحده في المسجد الحرام لا يحرسه أحد ، وهذا يدل على شجاعته المفرطة ، وقام بفتح باب الكعبة لكي يتمكن الناس للدخول إليها بدون مقابل،وأعطى أميري مكة مالاً وزادهم في ما يردهم من الغلال مقابل تسبيل الكعبة المعظمة (٢) لمن يريد الدخول إليها في أي وقت ، وعلق كسوة الكعبة المعظمة بيده ، ، وكتب من مكة كتاباً للملك المظفر السلطان يوسف بن عمر بن علي بن رسول سلطان اليمن(٣) يتبين من فحواه تهديد مملكة اليمن وأنه يستطيع إذا أراد أن يغزو اليمن في وقت سريع يشابه سرعته في قطع طريق الحج من مصر إلى مكة في سبع عشرة محطة بدون توقف ، ويطلب منه أن يشارك في قتال التتار إذا كان يعتقد أنه ملك مثل الملوك (٤)، وفي هذا يبدو أن الملك الظاهر يقصد إلى أن يهاجم الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي العراق عن طريق البحر بحيث يهاجم جنوب العراق و يهدد التجارة القادمة إلى العراق عن طريق الخليج العربي(٥) فيعمل على إضعاف دولة المغول في بلاد فارس(١) والعراق

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ،ج٣، ص٩٤.

(٢) ذكر أن السلطان الملك المظاهر بيبرس البندقداري ، قد خصص لأمير مكة المكرمة الشريف أبانمي مبلغ ٢٠ألف درهم في كل سنة مقابل تسبيل البيت بحيث لا يمنع عنه أحد من الدخول إليه في ليل ولا نهار.ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٣٥١.

(٣) كان الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول قد أرسل إلى الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، في العام السابق سنة ٦٦٦هـ هدية ثمينة تضمنت أصناف متعددة من الخيل المسومة والأقمشة الفاخرة والمسك والعود والعنبر ، فقبلت الهدية وأرسلت له الخلعة بالولاية ، وذلك لأن دولة المماليك كانت قد أعادت الخلافة العباسية في مصر فكان السلطان يوسف حريصاً على إقامة علاقة جيدة معها لكي يصله التشريف بتعيينه نائباً عن الخليفة العباسي في حكم اليمن . النويري : نهاية الأرب ، ج٣٠، ص ١٥٠.

(٤) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٣٥٤. الفاسي : العقد ، ج١، ص١٢٥. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٨٥. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٣، ص٩٦.

(٥) الخليج العربي : عبارة عن بحر شبه قاري يبلغ طوله (١٠٠٠)كم ويتراوح عرضه بين (٢٠٠)و(٣٠٠)كم ، ويتميز بالضحولة حيث يبلغ متوسط عمقه ٣٥م ، وهو زائد الملوحة لضحولة المياه وكثرة البخر ، وتتميز

أما بالنسبة لوضع مكة السياسي فقد قام السلطان الظاهر بيبرس بكتابة مرسوم لأميري مكة أبي نمي و إدريس يبين فيه توليهما للإمارة، ويبدو أن أبا نمي كان على خلاف مع عم أبيه إدريس بن قتادة حيث لم يشارك معه في مقابلة السلطان ، فعاد إلى مكة عندما سمع بقدوم السلطان ومقابلة أبي نمي له ، وطلب أبو نمي وإدريس من السلطان أن يعين من قبله أميراً بمكة يكون بمثابة مرجعية لأي خلاف بين الأميرين فيكون الحل والعقد على يديه ، فولى الأمير شمس الدين مروان [2][3] ويبدو أن أبا نمي وإدريس أرادا بطلبهما وضع أمير من قبل السلطان بمكة هو الإثبات للسلطان بأنهما مواليان له وليس في نيتهما التمرد عليه في المستقبل فكان المقصود من طلبهما طمأنة السلطان باستمرار الشريفين على ولائهم للسلطة المصرية بحيث لا يفكر في تغييرهما عن إمارة مكة ونقلها إلى غيرهم والدليل على هذا أنهما قاما في العام التالي ٦٦٨هـ/١٢٦٩م بإخراج الأمير شمس الدين مروان من مكة[4] وفي نفس الوقت بقوا على الدعاء للسلطان المملوكي بيبرس على منبر مكة ، فيما يظهر أنهما يحاولان أن تكون الإمارة لها شيء من الاستقلال وليست تابعة تبعية مطلقة للسلطة المملوكية في مصر ،

سواحله بالتعرج وانخفاض المياه ، كما يتميز بكثرة الخلجان والرؤوس . عبد الحفيظ سقا : الجغرافيا الطبيعية ، للمملكة العربية السعودية ، ص ١٥٥.

(١) بلاد فارس:إقليم فسيح ، أول حدوده من جهة العراق أرجان ، ومن جهة كرمان السيرجان ، ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ، ومن جهة السند مكران ، فتحت بلاد فارس في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهي اليوم الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، يحدها غرباً العراق وتركيا ، وجنوباً الخليج العربي وخليج عمان وشرقاً باكستان وأفغانستان ، وشمالاً تركمانستان ، وبحر قزوين ، و أذربيجان وأريمينيا ، ويبلغ عدد سكانها ٦٢مليون نسمة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٦،ص ٤٠٧. مكتب الآفاق المتحدة : المعلومات = =ط١، مكتب الآفاق المتحدة ، الرياض ، ص١٠٧.

(٢) الأمير شمس الدين مروان الظاهري : كان نائباً للأمير عز الدين أمير جندار الظاهري ، أبقاه السطان الظاهر بيبرس الصالحي بمكة المكرمة لكي يرجع إليه شريفي مكة المكرمة فيما يشكل بينهما من أمور ، و لم يلبث أن أخرجاه شريفي مكة المكرمة أبو نمي والشريف إدريس سنة ٦٦٨هـ. الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص ٥٧. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٦.

(٣) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص٣٥٤. النويري : نهاية الأرب ، ج٣٠، ص١٦٦. الفاسي : القعد الثمين ، ج١، ص١٢٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٩٦.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٥٦، ج٦، ص ٥٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٩٩. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص ٤٦.

ويظهر هنا أن السلطان كان مقتنعاً بسيادة اسمية على مكة تضمن له الدعاء على منبرها وتخلص الحجاج مما يؤخذ منهم بغير وجه حق ، وتبعد الدولة الرسولية عن الإشراف على الحرم المكي فلو كان قصده الإشراف التام على الإمارة كان بإمكانه أن يأمر بإقامة قوة عسكرية تساند الأمير شمس الدين مروان في إحكام السيطرة على الإمارة ، كما قام أبو نمي و إدريس بالتعهد للسلطان بأنهما لا يأخذان من حجاج مصر والشام ما كانا يأخذانه من جبايات ومكوس مقابل حجهم ولا يعودا ن لهذا أبدا(1) وكان موضوع الجبايات والمكوس على الحجاج قد أغضبت السلطان الظاهر بيبرس من قبل فكان من أكثر ما أفرح الناس رفعه لهذه العادة القبيحة ،وهذا يبدو أيضاً أن رفعه مرهون باستمرار مايرد لمكة من مصر والشام من أموال وغلال في كل عام تشبع جشع أمرائها عن التفكير فيما بأيدي الناس القادمين إلى مكة من زوار وتجار ، ويبدو هنا أن قوة الحملة التي كانت مع السلطان من الأمراء والقادة وأجناد الحلقة ومباغتتها لهم قد أفزعت أميري مكة ، وعرفوا أن قوة مصر الفتية المتمثلة في دولة المماليك أقوى بكثير من دولة بني رسول في اليمن فرضخوا لجميع مطالب السلطان بدون استعلاء (2)

حملة الأمير علم الدين سنجر الباشقردي(3) عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م:

---

(١) كان أمراء مكة يأخذون الجباء والمكس من التجار من كل ما يكون مع التاجر من متاع ، ومن الحاج الذي ليس يتجر يؤخذ منه جباء على كل جمل ، فكان عمال المكس يوقفون الركب المصري والشامي عند قبر أبي لهب الواقع في حي جرول حالياً ، وما يتعدى منه جمل إلا بعد أن يأخذ منه الجباء الذي مقرر عليه .

ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٩٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٠٢. السباعي : تاريخ مكة ، ج٢،ص٤٣٣. عاتق بن غيث: معالم مكة التاريخية والأثرية، ص١٦٨.

(٢) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٣٥٤. النويري : نهاية الأرب ، ج٣٠، ص ١٥٠، ١٦٦. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص ٤٤٧. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٤٠٦. الفاسي : العقد الثمين ، ج١، ص ١٢٥. ص ٢٥٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٩٤.

المنصوري ، الأمير ركين الدين بيبرس : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، تحقيق : دونالد س ، ريتشاردز ، ط١، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت ١٤١٩، ص ١٢١.

(٣) هو الأمير علم الدين سنجر الباشقردي ، الكبير الصالحي من أعيان الأمراء المصريين ، شغل نيابة حلب ، توفي بالقاهرة سنة ٦٨٦هـ . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٥، ص ٢٨٧. ابن تغري بردي : الدليل الشافي على المنهل الصافي ، ج١، ص٣٢٤.

في عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م أمر السلطان المملوكي قلاوون الصالحي [1] بتجهيز حملة عسكرية تصاحب الحجاج إلى مكة بقصد تأديب أميرها أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة الحسني على نقضه للعهد الذي اتخذه على نفسه في عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م بترك المكوس والجبايات التي كان يأخذها من الحجاج [2]،بما يعني أنه متمرد على السلطة السياسية في مصر التي قدم لها فروض الولاء والطاعة منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقداري فأمر السلطان قلاوون بتجهيز (٣٠٠) فارس من مصر وأعطى لكل فارس (٣٠٠) درهم تحت قيادة الأمير علم الدين سنجر الباشقردي ، وأمر بتجهيز (٢٠٠) فارس من الشام لكي تنضم إلى القوة المصرية ، فتصبح الحملة(٥٠٠) فارس ، فقدم ركب الحجاج إلى مكة ،فبلغ أبا نمي خروج القوات العسكرية بصحبة الحجاج فخاف على نفسه ، ولم يستجب لطلب الأمير سنجر الباشقردي للحضور لملاقاة الركب ، وأرسل بعض قواده فلم يرض الأمير سنجر إلا بحضور أبي نمي شخصياً في محاولة للقبض عليه فعرف أبونمي ما يراد به فلم يخرج لملاقاة ركب الحجاج واستعد للحرب ، وقام بإغلاق أبواب مكة في وجه الحجاج ، فقام الأمير

---

(١) هو السلطان قلاوون الألفي العلائي الصالحي النجمي ، سيف الدين ، السابع من ملوك الترك بمصر والشام ، كان من مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب ، تولى السلطنة بعد خلع العادل سلامش بن الظاهر بيبرس ، سنة ٦٧٨هـ،كان من أكثر ملوك المماليك شجاعة وآثاراً حكم إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر توفي سنة ٦٨٩هـ. الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج٢٤، ص ١٩٩. الزركلي : الأعلام ، ج ٥، ٢٠٢.

(٢) كان السلطان قلاوون الصالحي قد أمر في عام ٦٨١هـ أن يحلف الشريف أبي نمي يميناً علي تنفيذ عدد من المطالب في مقابل بقائه في إمارة مكة المكرمة ، وصفة اليمين ما يلي : أخلصت نفسي وأصفيت طويتي وساويت بين باطني وظاهري في طاعة مولانا السلطان المنصور وولدة السلطان الملك الصالح وطاعة ألادهما ، وإني لا أضمر لهم سوءاً ولا غدراً في نفس أو مال ولا سلطنة ، وإنني عدو لمن عاداهم ، وصديق لمن صادقهم حرب على من حاربهم سلم لمن سالمهم وإنني لا يخرجني عن طاعتهم طاعة أحد غيرهما ولا ألتفت في ذلك إلى جهة غير جهتهما ، ولا أفعل أمراً مخالفاً لما استقر من هذا الأمر ، ولا أشرك في تحكيمهما عليّ ولا على مكة المشرفة وحرمها وموقف حلها زيداً ولا عمراً ، وإنني أسبل زيارة البيت الحرام أيام موسم الحج وغيرها للزائرين والطائفين والبادين والعاكفين اللائذين بحرمه ، والحاجين والواقفين ، وإنني أجتهد في حراستهم من كل عاد بفعله وقوله ((ويتخطف الناس من حولهم)) وإنني أُمنهم ، وأُعذب لهم مناهل شربهم ، وإنني والله استمر مفرد الخطبة والسكة بالاسم الشريف المنصوري ، وأفعل في الخدمة فعل المخلص الولي ، وإنني والله أمتثل مراسيمه ، امتثال التائب للمستتيب ، وأكون لداعي أمره أول سامع مجيب ، وإنني ألتزم بشروط هذه اليمين من أولها إلى آخرها لا أنقضها . الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ١٥٤. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ١٥٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١١٣. ابن فهد غاية المرام ، ج٢، ص ١٨.

سنجر ومن معه من العسكر والحجاج بالهجوم على مكة ونقبوا سورها وأحرقوا باب المعلاة ، ودخلوا البلد بعد أن تراشقوا مع قوات أبي نمي بالنبال والحجارة ، فلما رأى أبو نمي الغلبة ودخول القوات والحجاج ، خرج بأنصاره فاراً من أمامهم وكان ذلك في اليوم الثامن من ذي الحجة سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م وبعد ذلك دارت مفاوضات للصلح على يد الصاحب بدر الدين السنجاري[1] انتهت بعقد صلح بين الطرفين على أن يسلم لأبي نمي خلعة الولاية مقابل أن يترك أبونمي الحجاج يتمون حجهم دون التعرض إليهم بأذى ، فأتم الحجاج مناسك حجهم بأمن وطمأنينة [2]

ويبدو أن أبا نمي استطاع أن يخرج بقواته دون أن يفقد عدد كبير منها لأنه لم يدخل في مواجهة غير متكافئة مع القوات المصرية فقد حافظ على سلامة العدد الكبير من قواته وخرج بها سالماً من حصار محتمل أن يؤدي به إلى الخسارة الفادحة لو استمر في مقاومة القوات الغازية وكان خروجه بقواته سالم دافعاً للأمير سنجر الباشقردي أن يقبل بعقد الصلح وذلك أن أبا نمي بخروجه سالماً بقواته من مكة أصبح يشكل خطراً شديداً على الحجاج حيث أصبح لديه فسحة في مهاجمة القوات المصرية والحجاج بشكل مباغت من عدة جهات ، لذا كان من الأسلم للقوات المصرية الحجاج أن يفاوضوا أبا نمي ويرضخوا لمطالبه حتى يستطيعوا أن يؤدوا مناسك حجهم بيسر وأمان وهذا ما تم فعلاً مما يدل على حكمة الأمير برهان الدين السنجاري في عقد صلح بين الطرفين مما أدى إلى المحافظة على سلامة القوات المصرية والحجاج المصريين .

---

(١) هو الصاحب بدر الدين السنجاري أحد أمراء المماليك في عهد السلطان الظاهر بيبرس ، تولى الوزارة في عام ٦٧٧هـ ، بدل قاضي القضاة بن حنا ، واستمر في الوزارة حتى عهد السلطان قلاوون الصالحي حتى عزل في عام ٦٧٨هـ . المقريزي : السلوك ، ج٢، ص١١٣، ١٢٣.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ١٥٧. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٤٠٧. المقريزي : السلوك ، ج٢،ص ١٨٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١١٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٢٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٠٨. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١٢٠. السليمان علي بن حسين : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ص ٣٢. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ،ص٦٠.

حملة الأمير بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م:

كانت الأحوال السياسية في مكة في عام ٧٠١هـ/١٣٠١م في غاية الاضطراب للخلاف الذي حدث بين أبناء أبي نمي بعد وفاته التي كانت في الرابع من شهر صفر من نفس العام [١] حيث تخوف حميضة وأخوه رميثة من أخويهما أبي الغيث وأخيه عطيفة من أن يقوما بالثورة عليهما ، فأقدم حميضة وأخوه رميثة على القبض على أخويهما عطيفة ، وأخيه أبي الغيث واعتقالهما ، ولكنهما استطاعا أن يهربا من السجن ويلتجئان إلى أبناء عمومته م في مدينة ينبع لكي يكونوا في مأمن من ملاحقة أخويهما رميثة و حميضة ، [٢] وفي هذه الظروف قدم الأمير بيبرس الجاشنكير قاصداً أداء مناسك الحج في أول ذي القعدة عام ٧٠١هـ/١٣٠١م ومعه عدد كبير من أمراء المماليك بلغ الثلاثين أميراً مع ركب الحجاج وكانوا يشكلون بعددهم ركباً بمفردهم تقدم على ركب الحجاج ، وكان معهم من القوة العسكرية ما جعل عطيفة بن أبي نمي وأخاه أبا الغيث يفكران في الاستعانة بهم في إنصافهم من أخويهما أميري مكة حميضة و رميثة فقاما بالعودة إلى مكة واستطاعا مقابلة الأمير بيبرس الجاشنكير ومن معه من الأمراء في المسجد الحرام وشكوا إليه من أخويهما بدعوى أنهما قد اعتقلاهما بغير وجه حق وأخذا حقوقهما [٣] فما كان من الأمير بيبرس الجاشنكير إلا أن قام باستدعاء حميضة ورميثة وتم سؤالهما عن سوء التصرف مع أخوتهم ، فلم يحسن الشريفان الجواب للأمير بيبرس فأساء حميضة في رده على الأمير بيبرس الجاشنكير [٤] مما أغضب الأمير

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ١٦٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣،ص ١٣٤. الجزيري : الدرر ، ج١= =ص ٩١٤. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٧٥. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٢٤.ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٦،ص ٢.

(٢)الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج١،ص ٣٣٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٥،ج٤،ص ١٠٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٣٤. الجزيري : الدرر ، ج١،ص ٩١٤.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص١٠٠. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٣٤٩. العيني : عقد الجمان ، ج٤، ص ١٩٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٣٤. السنجاري :منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٢٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٩١٤. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٤٢. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ،ص٦٦.

(٤) كان من رد الشريف حميضة للأمير بيبرس أن قال له : ((يا أمير نحن نفتصل مع اخوتنا ، وأنتم قد قضيتم حجكم ، وجزيتم خيراً ، فلا تدخلوا بيننا)). العيني : عقد الجمان ، ج٤، ص ١٩٧.

بيبرس جداً فأمر أحد الأمراء بجانبه بضرب حميضة مما أدى إلى وقوعه على الأرض ثم تم اعتقالهما وتقييدهما ، وطلب الأمير عطيفة وأخاه أبا الغيث وولاهما إمارة مكة بعد أن أديا القسم على الولاء والطاعة للسلطان المملوكي بمصر ثم رحل بحميضة وأخيه رميثة مقيدين إلى مصرحيث تم سجنهما [1]

ولا يستبعد أن قدوم الأمير بيبرس الجاشنكير في هذا العدد من الأمراء وبهذه القوة كان مخططاً له من قبل حيث لم تخف على السلطة السياسية في مصر أوضاع مكة ، فمن المحتمل أن الأمير بيبرس قدم لكي يختار من أبناء أبي نمي من يكون أقرب للسلطة السياسية في مصر ، كما لا يستبعد أن شكوى عطيفة وأخيه أبي الغيث قد وصلت إلى السلطة في مصر فكان مجيء الأمير بيبرس بهذا العدد من الأمراء وهذه القوة ، مخططاً له ، وكان يتحين الفرصة في تنفيذ ما قدم به حتى هيأها له حميضة بن أبي نمي برده الجاف على الأمير بيبرس عندما سأله عن سبب تعاملهما مع أخوتهم بهذه القسوة ،كما أن الأميربيبرس كان يتمتع بمركز مرموق في الدولة المملوكية في عهد السلطان محمد بن قلاوون حيث كان يشغل منصب أستدار[2] السلطان [3]، لذا كان الأمير بيبرس على ثقة بأن السلطان سوف ينفذ أمره في حميضة وأخيه رميثة بسجنهما في مصر ، والقبول بتولية أخويهما عطيفة وأبي الغيث أميرين لمكة ، وهذا ما تم فعلاً فما أن وصل الشريفان بصحبة الأمير بيبرس إلى القاهرة حتى أودعا السجن .

---

(١) الفاسي : العقد ، ج٣، ص ٤٤٥، ج ٤، ص ١٠٠. الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢، ص٣٤٦. المقريزي = =السلوك ، ج٢، ص٣٤٩. القلقشندي : صبح الأعشى،ج٤، ص ٢٧٨. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٨، ص ٢٠٠. ابن فهد : إتحاف الورى،ج٣،ص ١٣٤.ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٢٩. الجزيري : الدرر، ج١، ص ٩١٤، ٩١٥. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٢٦.

(٢) الإستدار : كلمة مركبة من لفظين فارسيين : إستذ ومعناها الأخذ ، ودار بمعنى الممسك ، وتعني جمعها المتولي للأخذ ، وهي من الوظائف الهامة في الدولة المملوكية ويتولاها الأمراء الكبار ، فيكون صاحبها المتولي لأمر بيوت السلطان جميعها بمن فيها من حراس وخدم وغيرهم وما تحتاجه من تموين وأموال ونفقات ، وله التصرف التام ، ويكون بصحبة السلطان معظم وقته، وله كلمة نافذة على الكثير من موظفين الدولة.المقريزي : الخطط ، ج٢، ص ٢٢٢. القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤، ص ٢٠. ، ج٥، ص ٤٥٧.

(٣) المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٣١١.

حملة الأمير بيبرس الجاشنكير الثانية سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م:

لم يوفق الأمير بيبرس الجاشنكير في تولية أبي الغيث وأخيه عطيفة ابني أبي نمي حيث أن الشريفين لم يكونا على المستوى الذي يرضي السلطة السياسية في مصر حيث أن الأخبار التي وصلت إلى القاهرة عن المستوى الأمني والإداري للأميرين كانت غير سارة ، فعندما قدم الأمير برغلي الأشرفي [١]أمير ركب الحاج المصري في عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢م أخبر بأن سلطة أبي الغيث وأخيه عطيفة أميري مكة ضعيفة ، وأن هيبتهم ضعيفة حيث إن الناس بها على خوف ووجل على أموالهم وأعراضهم فما كان من السلطة السياسية في مصر بعد أن سمعت بهذه الأخبار إلا أن أفرجت عن أخويهما حميضة و رميثة وأُلبسا ملابس الأمراء ، وأمرا بحضور مجلس السلطان والاجتماع مع الأمراء في مسعىً فيما يبدو لتهيئتهما للعودة إلى إمارتهما وكان هذا في شهر محرم سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م[٢]، ومع ما ذكر يبدو أن سبب تغير السلطة السياسية في مصر على أبي الغيث وأخيه عطيفة أن أبا الغيث قام بمراسلة ملك اليمن الملك المؤيد داود بن يوسف الرسولي بالولاء والطاعة في عام ٧٠١هـ/١٣٠١م [٣]، وهذا ما لا ترضاه أبداً السلطة السياسية في مصر ، وهذا يعتبر هو السبب الأساسي في تغير السلطة السياسية في مصر على أبي الغيث وأخيه عطيفة .

عند هذا قامت السلطة السياسية في مصر في موسم عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م بأمر الأمير بيبرس الجاشنكير بالسفر صحبة ركب الحجاج مع مجموعة من الأمراء والقيام بتنصيب حميضة وأخيه رميثة أميرين على مكة وعزل أخويهما أبي الغيث وعطيفة ، فقدم الأمير بيبرس

---

(١) الأمير برغلي الأشرفي : التتري أسره مهنا أمير العرب ، في بعض غاراته على التتار ، وبعث به إلى المنصورفأعطاه لولده الأشرف خليل فترقى في الخدم إلى أن غلب بيبرس وسلار على الأمر فزاحمهما برلغي في الأمر والنهي وقويت شوكته بكثرة أتباعه من المماليك ، واستقر في وظيفة بيبرس بعد سلطنته ، أمّره على الحج سنة٧٠٢هـ حبس ومات في الحبس عام ٧١١هـ . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٠، ص ١٨٠. ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١، ص ٤٧٦.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٦، ج٤، ص ١٠١. العيني : عقد الجمان ، ج٤، ص ٣٠٠. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٣٦٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٣٧. الجزيري : الدرر، ج١، ص ٦١٦. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٧٥. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٤٢. علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ص ٣٤.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٣٣٦.

الجاشنكير إلى مكة واجتمع بعطيفة وأبي الغيث بعد انقضاء شعائر الحج ، وأخبرهما بأن السلطان أمر بعزلهما عن الإمارة وإعادة أخويهما السابقين ، فعندما سمعا ماذكر لهما أظهرا عدم الرضا بما قدم به الأمير بيبرس مما أدى بالأمير بيبرس أن يقبض عليهما ويحملهما معه إلى مصر حيث فرضت عليهما إقامة جبرية في مصر وتم وضعهما تحت المراقبة بحيث لا يستطيعان مغادرة مصر وصرف لهما ما يحتاجانه مثل سائر أمراء الدولة المملوكية [1]. ويبدو هنا أن السلطة السياسية في مصر أرادت بتكليف الأمير بيبرس الجاشنكير القيام بهذه المهمة لتطمين أميري مكة عطيفة وأخيه أبي الغيث حتى يقابلا ركب الحجاج ولا ينفرا عن مقابلة الأمير بيبرس لأنه هو الأمير الذي قام بتنصيبهما أميرين على مكة ، كما يبدو أن سفر حميضة ورميثة مع الركب كان محاطاً بغطاء من السرية بحيث لم يسمع الشريف عطيفة وأخيه أبو الغيث بخبر قدوم أخويهما مما جعلهما يلاقيان ركب الحجاج يجتمعان مع الأمير بيبرس الجاشنكير بكل طمأنينة بعد الحج مما جعل القبض عليهم سهلاً .

حملة الأمراء [2] عام ٧١٠هـ/١٣١٠م:

منذ أن عاد حميضة بن أبي نمي وأخيه رميثة إلى حكم مكة سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م والأمور لم تستقر فلا يمر موسم من المواسم حتى يكون هناك شكوى مما يحدث بمكة سواء من اختلال الأمن أو سوء معاملة الأميرين للتجار والحجاج ، وهذا يدل على أن الأميرين لم يكونا يداً واحدة في تسيير الأمور مما جعل لكل منهما أنصاره وأعوانه الذين يعملون ما يشاؤون دون أن يردعهم رادع حيث إن ردعهم من أحد الأميرين يتطلب الصرف عليهم من مال الأمير وهذا لم يفعله الأميران فتركوا لأتباعهم الحرية في الاعتداء على التجار والحجاج فكان أمراء الحج يتحملون حماية الحجاج لوحدهم في مكة وفي المشاعر في الوقت

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٣٦٢. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٦، ج٤، ص ١٠١. العيني : عقد الجمان ، ج٤، ص ٣٠٠. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٣٨٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٥٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٤٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٤٢.عبد العزيز السنيدي : الشريف حميضة بن أبي نمي في بلاط المغول الإيلخانيين ، ص٣٢٢.

(٢) لم تذكر المصادر أسماء قادة هذه الحملة من أمراء المماليك وإنما اكتفت بذكر أنها كانت تحت قيادة عدد من الأمراء . الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٤٧.

الذي يغض الطرف أمراء مكة من الأشراف عن تصرفات أتباعهم ويميلون في بعض المواقف إلى صفوف أتباعهم في مواجهات عسكرية ضد حاميات الحجاج التي كانت تصاحب الركب [1] ويبدو أن الذي شجعهم على هذه المواقف والتجاوزات علمهم بانشغال القيادة السياسية في مصر بالتنافس الحاد بين أمراء المماليك في القاهرة مما أدى إلى التضييق على السطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وخلعه من الحكم ثم عودته بعد صراعات شديدة شهدها الساحة السياسية في القاهرة [2] فقام شريفا مكة حميضة وأخيه رميثة باستغلال هذه الظروف في القيام بالتجاوزات السابقة التي كانت غير مقبولة من جميع شرائح المجتمع في مكة ، من أهلها ومن الحجاج القادمين إليها .

وعندما استقرت الأمور للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، تفرغ لأمر مكة فأرسل في عام ٧١٠هــ/١٣١٠م حملة عسكرية كبيرة فيها عدد من الأمراء مهمتها القبض على حميضة ورميثة ، فزحفت الحملة مع ركب الحجاج فلما علم الشريفان بقدوم الحملة وهدفها ، خرجا من مكة ، وتركا للحملة الدخول بسلام دون أن يعملا على مقاومتها مما يدل أن الحملة كانت من القوة بحيث لا يستطيع أميرا مكة التصدي لها والدخول معها في صراع عسكري ، كما يدل هروب الشريفين أنهما على علم بأن ما قاما به من تجاوزات ضد الحجاج والتجار والأهالي قد أغضبت السلطان المملوكي ، فقامت الحملة بحماية الحجيج وبعد أن قضوا نسكهم عادت الحملة مع ركب الحجاج دون أن تستطيع تحقيق غرضها في

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٤١١. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٤٢١. ابن فهد : إتحاف الورى= =ج٣، ص ١٤٤،١٤٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦١٨. علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك،ص٣٤.رتشاردمرتيل:الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ،ص٦٩. عبد العزيز السنيدي : الشريف حميضة بن أبي نمي في بلاط المغول الإيلخانيين ، ص٣٢٢.

(٢) في هذه الفترة كان المغول يهاجمون باستمرار بلاد الشام ، فكانت الدولة في شغل بصد هجماتهم والترقب لتحركاتهم ، كما كان في القاهرة صراع خفي بين كبار أمراء المماليك حول السيطرة على مقاليد الأمور في قصر السلطان فكان كل أمير يتخوف من الآخر ويعمل على إزاحته عن القرب من القصر السلطان وبلغ التنافس ذروته عندما ظهر بين الأميرين بيبرس الجاشنكير والأمير سلار السلحدار وانتهت بالصراع العسكري ، وتنازل السلطان وتركه الحكم . كل هذه الأحداث أعطت المناطق الأخرى التابعة لحكومة المماليك فسحة في العمل بدون رقابة. ابن تغري بردي : النجوم الزاهر ، ج٨ ، ص٢٢١-٢٤٥. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ، ٤٠٩-٤٥٣.

القبض على حميضة وأخيه رميثة وما أن غادرت الحملة حتى عاد حميضة ورميثة إلى مكة وتوليا أمور السلطة بها (١) .

تعتبر هذه الحملة من قبل الملك الناصر محمد بن قلاوون رسالة تهديد للشريفين حميضة ورميثة أميري مكة المكرمة بالعودة إلى الطاعة والسير في الرعية بالعدل ، وترك ما قاما به من تجاوزات والعمل على ما تم الاتفاق عليه بين السلطة السياسية في مصر وبينهما عندما تمت إعادتهما إلى مكة المكرمة في موسم سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م ، والدليل على هذا أن السلطان الناصر لم يكلف قادة الحملة تعيين أحد من أبناء الشريف أبي نمي في الإمارة ، ويبدو أن هروب الشريفين من وجه الحملة منع قادة الحملة من التصرف في إمارة مكة المكرمة تحاشياً لما يحدث من صراع نتيجة لتولي غير الشريفين حميضة ورميثة ، فتعم البلوى سكان مكة المكرمة والوافدين إليها .

حملة السلطان محمد بن قلاوون سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م:

لم يطمئن السلطان محمد بن قلاوون للأوضاع غير المستقرة في مكة المكرمة نتيجة سوء تصرف أميريها حميضة و رميثة ابني أبي نمي كما ذكر سلفاً عند الحديث عن حملة عام ٧١٠هـ/١٣١٠م ، ويبدو أن تلك الحملة قد زادتهما غروراً لأنها لم تفلح في القبض عليهما وتعقبهما ، كما أن حلم السلطة السياسية في مصر على أميري مكة المكرمة بعدم تعيين أمير على مكة المكرمة جعلهما يستمران في ممارسة الأفعال غير السارة ضد أهلها والتجار والوافدين عليها ، ويبدو أن السلطان محمد بن قلاوون تريث في إرسال قوة عسكرية لمكة المكرمة نتيجة للتهديدات التي كانت يطلقها حاكم العراق السلطان خربندا باجتياح بلاد الشام ، فحدث أن وصلت الأخبار إلى السلطان محمد بن قلاوون بتحركات السلطان خربندا بقصد بلاد الشام في شهر رمضان عام ٧١٢هـ/١٣١٢م فاستعد السلطان الناصر

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣،ص ٤٤٦،ج٤، ص ١٠٢. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص٥٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٤٦.الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦١٩. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٤٢. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٢٨. علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين= =المماليك ، ص ٣٤. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ،ص٧٠. عبد العزيز السنيدي : الشريف حميضة بن أبي نمي في بلاط المغول الإيلخانيين ، ص٣٢٢.

محمد بن قلاوون بقواته المسلحة وخرج من مصر قاصداً لقاء العدو فعندما وصل إلى بلاد الشام علم برجوع السلطان خربندا إلى بلاده ، وكان ذلك في بداية شهر شوال من نفس العام[1] عند هذا قرر السلطان محمد بن قلاوون السفر بجزء من قواته إلى مكة المكرمة بقصد الحج وفي نفس الوقت كان السلطان يهدف للوقوف على أوضاع مكة بنفسه ويوجه رسالة أخيرة لحميضة ورميثة بالإقلاع عما يقومان به من تصرفات في مكة ، فاختار من أمرائه (٤٠) أميراً لمرافقته ومن فرسانة (١٠٠) فارس ، ومن مماليكه (٦٠٠٠) مملوك وزحف بهم قاصداً مكة وكان ذلك في ذي القعدة سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م ، وعندما علم حميضة و رميثة بقدوم السلطان إلى مكة قررا الهرب من وجهه وعدم ملاقاته ، وما أن وصل إلى مكة حتى خرج الشريفان منها يطلبان النجاة لنفسيهما ، واستقبله علماء مكة يتقدمهم قاضيها الشيخ نجم الدين الطبري [2] وقام بأداء مناسك الحج ثم قرر العودة إلى مصر ورحل تاركاً المجال لحميضة ورميثة في العودة إلى مكة ، وفعلاً ما إن غادر السلطان محمد بن قلاوون حتى عادا إليها .[3]

وهنا يبدو أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون قد أعطى شريفي مكة فرصة ثانية في الرجوع عن الأعمال السيئة التي يعاملان بها الناس ، فلم يعين أميراً جديداً لمكة ، وكان باستطاعته أن يعين أميراً جديداً ويجعل معه حامية عسكرية من القوة التي قدم بها ولكنه أراد فيما يبدو أن يتريث و يجعل مما شاهده أشراف مكة من أتباع حميضة ورميثة من قوة عسكرية ومقدرة سلطانية رادعاً وتهديداً خفياً قد يجنب المنطقة صراع عسكري قد يطال أناس أبرياء في البلد الآمن .

---

(١) المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٩٥. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٤٨٢. ابن تغري بردي : النجوم= =الزاهرة ،ج ٩، ص ٣٥.

(٢) هو الشيخ محمد بن محمد بن أحمد الطبري المكي الشافعي نجم الدين أبو حامد ، ولد في شوال سنة٦٥٨هـ ، أتقن عدداً من العلوم وسافر في طلب العلم وأجازه عدد كبير من العلماء ، ولي قضاء مكة المكرمة بعد وفاة والده مدة تزيد على ٣٥عاماً حتى مات في سنة ٧٣٠هـ . الفاسي : العقد الثمين ،ج ٢، ص ٣٤٥.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٤٠٢. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٤١٢. الفاسي : العقد ، ج٣، ص ٤٤٦. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٩٥. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٤٨٢. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،ج ٩، ص ٣٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٤٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٥٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٢٠.

حملة الأمير سيف الدين طقصبا الناصري[1] عام ٧١٣هـ/١٣١٣م:

ما إن عاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون من حملته على مكة في موسم عام ٧١٢هـ/١٣١٢م حتى أخذ يفكر في شأنها، فأميراها لم ينتهيا عما يعملانه من أعمال ضايقت السكان والتجار والقادمين عليها من حجاج ومعتمرين وقد وصلته شكوى من أهل مكة والمجاورين بها بعد وصوله إلى القاهرة مما يؤكد أن الشريفين عادا بنفس الأعمال السيئة السابقة ،و لم يقدما للسلطان اعتذاراً عما صدر منهما ويقلعا عنه واتبعا نهج التحدي للسلطة السياسية في مصر بالهروب من وجه أي قوة تقدم إلى مكة من مصر ،ثم يعودان إليها بعد مغادرتها ويقومان بما كانا يقومان به من تعسف وجور على الرعية ، ويبدو أن السلطان قد اطلع من قرب على شكوى أهل مكة والمجاورين بها من تصرفات أميريها حميضة وأخيه رميثة ، وكان السلطان طيلة الفترة منذ العام الذي قلدهما فيه الإمارة في ٧٠٤هـ/١٣٠٤م حتى هذا العام ٧١٣هـ/١٣١٣م يرقب الأحداث ، متبعاً معهما سبيل الصفح والحلم بسبب ما كانت تشهده البلاد من تهديدات خارجية وصراعات داخلية ، جعلت شريفي مكة حميضة و رميثة يستبعدان إقدام الدولة على إقالتهما من الإمارة ، لذا قرر السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، عزلهما واستبدالهما بأخيهما أبي الغيث الذي يقيم في مصر إقامة جبرية منذ عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م [2] فأمر السلطان في جمادى عام ٧١٣هـ/١٣١٣م بتجهيز حملة عسكرية كبيرة فيها من القوات المصرية (٣٢٠)جندياً و(٥٠٠)جندي من

---

(١) هو الأمير سيف الدين طقصبا الظاهري ، تنقل في الخدمة وصاهر كرباي الذي كان نائب الغيبة عن كتبغا ، فلما تسلطن لاجين وفر كتبغا أرسله إلى كرباي فدخل في طاعة لاجين ، ثم ولي نيابة قوص ، وغزا النوبة مرتين ، توفي سنة ٧٤٥هـ . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٢، ص ٢٢٥.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٦، ج٤، ص ١٠١. العيني : عقد الجمان ، ج٤، ص ٣٠٠. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٣٨٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٤٠. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦١٧. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٤٢. عبد العزيز السنيدي : الشريف حميضة بن أبي نمي في بلاط المغول الإيلخانيين ، ص ٣٢٢.

قوات المدينة المنورة و عدد من الجنود من بلاد الشام وبصحبتهم أبي الغيث بن أبي نمي بحيث يتم تنصيبه أميراً على مكة بعد إزاحة حميضة وأخيه رميثة عن الإمارة ، فتحركت القوات في شهر شوال صحبة ركب الحجاج ، تحت قيادة عدد من الأمراء وكانت القيادة العامة للأمير سيف الدين طقصبا الناصري والي قوص(1) فزحفت القوات على مكة ، وعندما سمع حميضة وأخوه رميثة بخبر الحملة فرّا باتجاه الجهة الجنوبية لمكة ، واستقرا في مدينة حلي ، فدخلت القوات المسلحة وركب الحجاج مكة بدون أن يعترضهم أحد وقام قائد الحملة بتنصيب أبي الغيث أميراً على مكة ، وبعد أن قضى الحجاج نسكهم في أمن ويسر غادروا عائدين إلى مصر في الوقت الذي بقيت القوات بقيادة الأمير طقصبا الناصري لحماية أبي الغيث من عدوان أخويه(2) اللذين كانا يتربصان مغادرة الحملة كما تعودا في السابق .

وفي شهر محرم سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م زحفت القوات المسلحة المصرية بقيادة الأمير طقصبا الناصري بمرافقة أبي الغيث وأنصاره إلى المنطقة الجنوبية لمكة في محاولة لتعقب حميضة وأخيه رميثة والقبض عليهما ، فلما سمع حميضة ورميثة بخبر قدوم القوات إلى مدينة حلي غادرا إلى منطقة السراة الجبلية ، وعند هذا أيقن الأمير طقصبا أنه من الصعوبة بمكان القبض عليهما في هذه المنطقة حيث يصعب على الجيش الصعود فيها ، واحتمال هزيمته ممكنة في منطقة بهذه الوعورة ، كما أن هذه المنطقة قريبة من مناطق الدولة الرسولية اليمنية ، فقرر العودة إلى مكة(3)

لم يكن توجه حميضة وأخيه رميثة إلى الجهة الجنوبية لمكة لمجرد الفرار من وجه القوات المسلحة المصرية ولكن كان بهدف حصار مكة اقتصادياً فقد حدث أن قلت الأمطار في

---

(1) مدينة قوص : إحدى مدن مصر على ضفة النيل الشرقية تتبع محافظة قنا ، أصبحت في القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي أولى مدن الصعيد وثانية المدن المصرية ازدهرت في عهد المماليك ، وضربت فيها النقود ، كانت مركزاً علمياً . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٧، ص١٠١.المنجد في الأعلام واللغة،ج٢، ص ٥٨.

(2) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج٢، ص ٧٣. الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٤٠٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٧، ج٤، ص ١٠٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٥٠.ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٥٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٢٠. العاصمي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٤٣. عبد العزيز السنيدي : الشريف حميضة بن أبي نمي في بلاط المغول الإيلخانيين ، ص٣٢٣.

(3) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٨، ج٤، ص ١٠٢، ج٦،ص ٣٠٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٥١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٢٩.

منطقة الحجاز في تلك السنة ، وقلت بهذا مواد التموين الغذائية المحلية ، وبحكم أن حميضة ورميثة مستقران في جنوب مكة فطبيعي أن يحجم التجار عن القدوم إلى مكة من اليمن وذلك خوفاً منهما لما سبق من تعاملهما السيئ مع التجار وهذا كله أدى بخلق أزمة اقتصادية في مكة ، وقد كانت القوات المصرية في حاجة إلى التموين للقيام بمهامها فكانت تشكل عبئاً على أمير مكة الجديد أبي الغيث ، ويبدو أن موسم الحج قد قضى على ما يوجد في مكة من مواد تموينية فأضمر قائد الحملة في هذه الظروف العودة إلى مصر بعد أن أنجز مهمته في تنصيب أبي الغيث أميراً على مكة تاركاً له مهمة حفظ إمارته من أخويه حميضة و رميثة ، ويبدو أن الأمير طقصبا بعد أن بقي في مكة يحفظ أميرها الجديد مدة شهرين كاملين قد رأى أن باستطاعة أبي الغيث أن يقاوم أي هجوم يقوم به عليه أخواه ، كما أن الوضع الاقتصادي لمكة في ظل وجود القوات العسكرية المصرية قد أصبح متأزماً ، فتشاور مع أبي الغيث في عودة القوات إلى مصر ، فوافق أبو الغيث وهذا يدل على أن أبا الغيث قد أحس بأن أنصاره من أهل مكة والقبائل الموالية له يستطيع أن يواجه بها هجوم أخويه [(١)]، فكتب للأمير طقصبا كتاباً برغبته في عودة القوات العسكرية إلى مصر لكي يتم عرضه على السلطان الملك الناصر ويبدو أنه كتاب يبرئ ساحة الأمير طقصبا الناصري في قرار العودة إلى مصر قبل أن يتم القضاء نهائياً على حميضة وأخيه رميثة ، فعادت القوات العسكرية المصرية في ربيع الأول عام ٧١٤هـ/١٣١٤م إلى مصر فما أن علم حميضة بعودة القوات العسكرية المصرية حتى هاجم مكة بقواته واستطاع أن يتزل بأخيه أبي الغيث هزيمة كبيرة وينتزع منه إمارة مكة من جديد [(٢)].

---

(١) كان للشريف أبي الغيث عدد كبير من الأنصار ومن جملتهم قبائل هذيل التي تمت إليه بصلة حيث أنهم أخواله فأمه من هذه القبيلة ، ويدل على أن أنصاره كانوا كثيراً ما ذكر في اللقاء الذي حدث بينه وبين أخيه حميضة في ذي الحجة سنة ٧١٤هـ فقد كان جيش أبي الغيث أكبر بكثير من جيش حميضة. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٨، ج٤، ص ١٠٢، ج٦،ص ٣٠٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٥١.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٤١٠. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٨، ج٤، ص ١٠٢، ج٦،ص ٣٠٧. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٤٩٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٥١. الطبري : الأرج المسكي ، ص١٢١. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٤٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٢٩.

وبهذا يكون أبو الغيث قد أخطأ عندما اعتمد على القوات المحلية المناصرة له ، و لم يقدر حقيقة قوة أخيه حميضة ، فكان الأجدر به أن يبقي على القوات المصرية أو جزء منها لتحقيق فترة أطول من المقاومة لقوات أخيه حميضة .

ويبدو هنا أيضاً غياب رميثة عن الأحداث فلم تعد المصادر تذكر مشاركة رميثة في الهجوم الأخير الذي شنه حميضة على أخيه أبي الغيث مما يدل أن خلافاً نشب بين الشريكين في إمارة مكة رميثة وأخيه حميضة مما جعل حميضة يتصدى لأخيه أبي الغيث لوحده ويحقق انتصاراً عليه ، كما يظهر أن رميثة بدأ يعي حقيقة القوة السياسية لدولة الملك الناصر ، وأنه من الخطأ مواجهتها والخروج عن سلطانها ، بهذا نستطيع القول بأن خلافاً وقع بين الأخوين حول طريقة التعامل مع السلطة السياسية في مصر ، وأن حميضة كان من القوة بمكان حيث أصبح دور رميثة هامشياً وذلك يعود لقوة الشخصية وكثرة الأنصار وهذا ما دلت عليه الأحداث المستقبلية بين الأطراف المتصارعة .

حملة الأميرين دمر خان بن قرمان[1] وطيدمر الجمدار[2] عام ٧١٥هـ/١٣١٤م:

انتهى الصراع على الإمارة بين حميضة وأخيه أبي الغيث بمقتل أبي الغيث على يد أخيه حميضة في ذي الحجة عام ٧١٤هـ/١٣١٤م بعد مواجهة حدثت بين الطرفين انهزم فيها أبو الغيث ثم قتل [3] وبهذا تحتم على السلطة السياسية في مصر البحث عن بديل من أبناء أبي نمي تعينه أميراً على مكة ، وقد أراد حميضة أن يتقرب من السلطة السياسية في مصر بعد انتصاره على أخيه أبي الغيث فقرر التقرب منها بحيث ترضى عنه وتعينه أميراً فقام بإرسال

(١) هو الأمير نجم الدين دمر خان بن موسى بن قرمان ، كان أحد أمراء الدولة المملوكية في عهد الناصر محمد بن قلاوون ، عين أمير طبلخاناة بعد وفاة والده حيث تقلد منصبه في سنة ٧٨٥هـ. المقريزي : السلوك ، ج٥، ص ١٥٠.

(٢) هو الأمير طيدمر الإسماعيلى سيف الدين أحد الأمراء بحلب ، قدم إلى السلطان بتوجيه من قبل سيف الدين أرغون ، رتب أمر حاجب ، ثم عين نائباً بحلب سنة ٧٥٢هـ ثم عاد إلى دمشق وأقام بها من جملة الأمراء ثم عين في الحجوبية سنة ٧٥٤هـ . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٦، ص ٢٩٤.

(٣) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج٢، ص ٧٤. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٥١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٥٦ ، ٥٩. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١٢١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٢١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٢٩.

هدايا من الخيل إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون واعتذار عما بدر منه في السابق فرفض السلطان هديته وأمر بسجن رسوله الذي أرسله، وزاد من غضبه مقتل أبي الغيث .[1]

أراد رميثة أن يستغل الموقف لصالحه بعد مقتل أخيه أبي الغيث فسافر إلى مصر وقدم الاعتذار للسلطة السياسية في مصر بما بدر منه في السابق وأخبرها بأن أخاه حميضة قد أعلن تبعيته لحكومة اليمن الرسولية[2] ، وطلب من السلطة السياسية في مصر أن تعينه على أخيه حميضة[3] ، وهذا يدل على أن الأخوين حميضة ورميثة قد حدث بينهما خلاف كبير ، وأن غالبية أنصارهما في الحجاز كانوا مع حميضة، مما اضطر رميثة للاستعانة بالسلطة السياسية في مصر ، ولتيقن رميثة بمقدرة قوات الدولة على كسب الصراع مع من يناصبهم العداء في مكة .

رحبت السلطة السياسية في مصر بقدوم رميثة والتجائه إليها ، ولعلها رأت فيه الخصم المكافئ لأخيه حميضة فعفت عنه وأكرمت نزله وعينته أميراً على مكة ، وقامت بتجهيز حملة عسكرية بصحبته[4] بلغت (٣٠٠)فارس لإخراج أخيه حميضة منها وتسليمها إليه وأوكلت قيادة القوات العسكرية إلى الأمير دمر خان بن قرمان والأمير طيدمر الجمدار ، وتوجهت

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٨. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٤٩٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢= =ص٥٦ ، ٥٩.

(٢) مسألة إعلان تبعية الشريف حميضة للسلطة الرسولية في اليمن ليس له أساس من الصحة بدليل أن المصادر لم تذكر أن السلطة اليمنية قدمت أي دعم للشريف حميضة منذ بداية الخلاف بينه وبين السلطة السياسية في مصر وقد كانت العلاقة حسنة بين السلطة اليمنية والسلطة المصرية فقد كانت تتبادلان الرسائل والهدايا .

المقريزي : السلوك ، ج ٢، ص ٥٠٣. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٨، ص ٢١٧.

(٣) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج٤، ص ٧٦. الفاسي : العقد الثمين ، ج٤،ص١٠٢. المقريزي : السلوك ، ج ٢، ص ٥٠٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٥٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٢١. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٤٣. علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ص ٣٤. عبد العزيز السنيدي : الشريف حميضة بن أبي نمي في بلاط المغول الإيلخانيين ، ص٣٢٦.

(٤) ذكرت بعض المصادر أن الذي قدم مع هذه الحملة هو عطيفة بن أبي نمي أخو رميثة ، مثل الخزرجي في كتابه العقود اللؤلؤية ج١، ص ٤١٥.ويحيى بن الحسين في كتابه غاية الأماني ، ص ٤٩٢. وهذا خطأ حيث أن المؤرخ أبا الفدا إسماعيل ذكر في كتابه المختصر في أخبار البشر ج٤، ص ٧٦. ذكر أنه رميثة ، وأبو الفدا معاصر للحدث وكان مصاحباً للأمراء بمصر ، فيكون هو الأصح من المصادر ، وقد وافقه عدد من مؤرخي مكة مثل الفاسي في كتابه العقد الثمين ج٤،ص١٠٢. وابن فهد في كتابه إتحاف الورى ج٢،ص ٣٣٤.

الحملة إلى مكة في شهر شعبان سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م [١]، وما أن علم حميضة بقدوم الحملة بصحبة أخيه رميثة خرج من مكة قبل وصولها بستة أيام وقام بتفريغها من المؤن الغذائية فقد أخذ مائة حمل من القمح ،وأحرق ما بقي منه في مخازن حصن وادي مر وقام بقطع كثير من أشجار النخيل من وادي مر ، كما قام بأخذ جميع الأموال النقدية في مسعىً للتضييق على الحملة القادمة حيث لا يجد رميثة ما ينفقه على الحملة ولا ما تقتات به من طعام فتضعف عن متابعته ثم اتجه إلى المنطقة الجنوبية لمكة حيث التجأ إلى حصن بمنطقة الخلف والخليف [٢] وصاهر صاحب الحصن رغبة فيما يبدو لضمان ولاء صاحب الحصن له فيما لو أقدمت الحملة العسكرية على مطاردته . أما بالنسبة للحملة العسكرية المصرية فقد قدمت إلى مكة في يوم السبت منتصف شهر رمضان المبارك عام ٧١٥هـ/١٣١٥م ومكثت بها ثلاثة عشر يوماً حيث استراح الجند من عناء السفر وتم تنصيب رميثة بن أبي نمي أميراً على مكة ، ثم واصلت مسيرها في تعقب حميضة ، في الوقت الذي جمع حميضة أنصاره حيث بلغ عددهم ما يقارب (١٢) الف مقاتل واستعد للقاء القوات المصرية ، والتقى الطرفان في أيام عيد الفطر المبارك سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م واستطاعت القوات المصرية بمن أنضم إليها من أنصار رميثة أن تنزل بحميضة وقواته هزيمة نكراء وهذا يدل على أن أنصار حميضة غالبيتهم من غير الجنود المدربين على القتال ومعظمهم من رجال البادية الذين هدفهم المصالح الشخصية ، حيث إنهم ما إن شاهدوا تفوق القوات المصرية بأسلحتها حتى ولوا الأدبار ، فزحفت القوات المصرية واستطاعت الوصول إلى حصن الخلف والخليف وحصاره وقد استطاع حميضة أن ينجو من طوق الحصار الذي ضربته القوات المصرية حول الحصن في الوقت الذي اقتحمت القوات المصرية الحصن واستولت على جميع ما فيه من

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤،ص١٠٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٥٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٣٤. المقريزي : السلوك ، ج ٢، ص ٥٠٣. العاصمي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٤٣.= =أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج٤، ص ٧٦. علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ص ٣٤. عبد العزيز السنيدي : الشريف حميضة بن أبي نمي في بلاط المغول الإيلخانيين ، ص٣٢٦. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ،ص٧٤.

(٢) الخلف والخليف : الخلف أرض ذات غابات تتخللها الهضاب الحمر المناصيب تنتشر فيها قرى لبني مالك من بجيلة على نصف يوم للماشي من مكة المكرمة في وسطها هضبة حمراء عالية ، تسمى اليوم الدار الحمراء ، والخليف في شمال الخلف سكانها من بني مالك . عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٣، ص ١٤٦.

أموال حميضة وخزائنه ،و قامت بإحراق الحصن ، ثم عادت القوات المصرية إلى مكة حيث بقيت بها حتى انتهى موسم الحج لعام ٧١٥هـ/١٣١٥م ثم عادت إلى مصر [١]. وتعتبر هذه الحملة قد نجحت في مهمتها حيث إن حميضة فقد في هذه المرة أنصاره ، وأمواله ، و لم يقم بأي هجوم على مكة بعد رحيل القوات المصرية مما يؤكد أن الحملة المصرية قد قضت على قوة حميضة المحلية العسكرية والمالية مما جعله يفكر في اللجوء إلى قوة خارجية تسانده في صراعه مع السلطة المصرية التي ناصبها العداء .

حملة الأميرين أيتمش المحمدي[٢] ، وبهادر السعدي[٣] عام ٧١٧هـ/١٣١٧م:

سافر حميضة إلى العراق بعد هزيمته في عام ٧١٥هـ/١٣١٥م من قبل القوات المصرية فالتجأ إلى حكومة العراق المغولية طالباً المساعدة لاسترداد إمارته ،و مع أن الحكومة العراقية استجابت لطلب حميضة وجهزت له حملة عسكرية إلا أن دولة المماليك استطاعت أن تقضي على الحملة العراقية ويتفرق جندها قبل وصولهم إلى الأراضي المقدسة و لم يستطع الوصول مع حميضة إلا عدد يسير لم يكن في استطاعتهم القيام بأي عمل عسكري مؤثر [٤] فأقام في وادي نخلة ومعه قائدان من قادة المغول هما الأمير دلقندي ، والأمير ملكشاه وعدد

(١) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج٤، ص ٧٦.الفاسي : العقد الثمين ،ج٣،ص٤٨٨، ج٤،ص١٠٢. المقريزي : السلوك ، ج ٢، ص ٥٠٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٥٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٦٠. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٢١. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١٢١. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٤٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٣٤.

(٢) هو الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي الناصري : شغل نيابة صفد ، كان أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون بدمشق ، توفي سنة ٧٣٦هـ . ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١، ص ١٦٤. ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١، ص ٤٢٤.

(٣) الأمير سيف الدين بهادر السعدي هو أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون ، تولى منصب شاد الدواوين بحمص ثم صفد ، كان قاسي القلب ، ولما كان طشتمر نائب صفد كان يكرهه و هو لا يخضع له وطشتمر يصبر عليه ، مات بطرابلس في جمادى الآخرة سنة ٧٤٩هـ . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١، ص ٤٩٩.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٤٩. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٥٠٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٥٣. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٣٥.

بسيط من الأتباع لا يتجاوزون خمسين رجلاً من الجند الذين قدم بهم من العراق [1]، فأرسل يطلب من أخيه رميثة بن أبي نمي أمير مكة السماح له بدخولها فرفض رميثة طلب أخيه حميضة إلا بعد موافقة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وفي نفس الوقت أرسل حميضة إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون يخبره بقدوم أخيه وطلبه دخول مكة ، ويبدو أنه أراد أن يعرف موقف السلطان من أخيه حميضة فجاء رد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بعدم السماح لحميضة بن أبي نمي بدخول مكة وطلب من حميضة ومن معه من أمراء المغول بالقدوم إلى مصر ولهم الأمان بعدم التعرض لهم بسوء. [2]

يبدو هنا أن الأمير رميثة بن أبي نمي خشي من سطوة السلطان الناصر محمد بن قلاوون في السماح لأخيه في دخول مكة وحيث إن بصحبته أميرين من أمراء المغول فأراد أن يتصرف وفق تعاليم السلطة السياسية في مصر رغبة منه في عدم إغضابها في الانفراد باتخاذ قرارات قد لا تجد قبولاً لدى السلطة السياسية ، قد يترتب عليها آثار سيئة على مستقبل منصبه في إمارة مكة .

كان الملك الناصر محمد بن قلاوون على يقين بعدم حضور حميضة بن أبي نمي إلى مصر يدل على هذا أنه لم ينتظر رداً من حميضة بن أبي نمي بل قام بإرسال حملة عسكرية خفيفة في تسليحها وقليلة في عددها ، ولكنها حملة منظمة ، حيث جعل قيادتها لأميرين من أمراء المماليك هما : الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي والأمير سيف الدين بهادر السعدي أمير علم [3]كقائدين للحملة وبصحبة كل منهما عشرة من جنوده الخاصين ، و طلب من كل

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٩. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٥٢٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٥٥. غاية المرام ، ج٢، ص ٦٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٢. العصامي : سمط= =النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٣٧.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٩. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٥٢٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٥٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٢. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٣٧. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١٣٦.

(٣) أمير علم : هو منصب في دولة المماليك يتقلده أحد الأمراء وتكون مهمته تولي شؤون أعلام السلطان من الرايات وسناجق وعصابات وغيرها ، التي تدل على شعار الدولة ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤، ص ٨، ج٥، ص٤٥٦.

أمير مائة[1] في الدولة أن يجهز جنديين ينضمون إلى الحملة ، ومن كل أمير طبلخانة [2]جندياً واحداً بهدف القبض على حميضة ومن معه من أمراء المغول ، فخرجت الحملة في يوم السبت السادس عشر من ربيع الأول سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م وأخذ أميراها في مراسلة حميضة والتفاوض معه في العودة إلى طاعة السلطان الملك الناصر ، و يطلبا أن يتوجه معهما إلى مصر لملاقاة السلطان ، ويبدو أن الملك الناصر قد أعطى لقائدي الحملة أن يحاولا استدراج حميضة وعدم الدخول معه في صراع عسكري ، وأن يستخدما معه الدهاء والخدعة ، وهذا ما يفسر عدم إقدام الحملة على عدم منازلة حميضة بالقوة ، وقد استطاع حميضة أن يمكر بالقائدين وحملتهما حيث بين لهما استعداده للذهاب معهما إلى مصر ولكن ينقصه المال الذي يصرفه في استعداده للسفر له ولمن معه من الرفاق ، فقام الأميران بإعطاء حميضة ما يحتاجه من المال رغبة منهما في القبض عليه حياً والذهاب به إلى مصر ، ولكن كان الشريف حميضة من الذكاء بمكان ، حيث إنه ما إن قبض المال من الأميرين حتى غير مكان إقامته فتغيب عن الأنظار مما اضطر الأميران أن يعودا إلى مصر في السادس والعشرين من جمادى الآخرة دون تحقيق ما كانا يصبوان إليه [3].

---

(١) أمير مائة : يكون الأمير من الطبقة الأولى من الأمراء حيث يكون أميراً على مائة من الفرسان ومقدم ألف وهذه الطبقة هم أعلى مراتب الأمراء . المصدر السابق ، ج٤، ص ١٤.

(٢) أمير طبلخاناة : منصب من مناصب الأمراء في دولة المماليك ، يختص بأمر ضرب آلات الطبول فيقف= =على ضرب هذه الآلات كل ليلة ويتولى أمر الضرب بالآلات في السفر والحرب وهو من أمراء العشرات . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤، ص ١٣.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٥٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٥٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٦٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٢. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٣٧. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١٣٦.رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص٧٧. عبد العزيز السنيدي : الشريف حميضة بن أبي نمي في بلاط المغول الإيلخانيين ، ص ٣٤١.

حملة الأميرين أزبك الجرمكي [1] ، وبهادر الإبراهيمي [2] عام ٧١٨هـ/١٣١٨م :

أخذ حميضة بن أبي نمي يتربص بأخيه رميثة بن أبي نمي أمير مكة ، ويستميل الأعوان والأنصار ضده ، ويتحين الفرصة في الانقضاض عليه ، ويبدو أنه استغل ما بقي لديه من الأموال التي أخذها من ملك العراق خدابندا ، وما حصل عليه من الأموال التي أخذها من قائدي الحملة العسكرية المصرية في عام ٧١٧هـ/١٣١٧م وبعد أن شعر أن الفرصة قد حانت لتحقيق غرضها قام بمباغتة أخيه رميثة بن أبي نمي وذلك بعد سفر الحجاج عام ٧١٧هـ/١٣١٧م [3] وقد استطاع أن يجبر أخاه رميثة بن أبي نمي على الخروج من مكة إلى وادي نخلة ، واستولى حميضة على مقاليد الأمور ، وأخذ أموال التجار ، وقام بقطع الخطبة للسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون من على منبر المسجد الحرام والدعاء لإيلخان

---

(١) هوالأمير صارم الدين أزبك بن عبد الله الحموي الجرمكي أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون ، وأعيان دولته كان مقداماً شجاعاً جواداً خرج مقدماً على العسكر الذي ندب لمحاربة الأرمن مات في غزوة سيس سنة ٧٣٧هـ . ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١، ص ١١٢. ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١، ص٣٥٤.

(٢) هو الأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمي كان أحد الأمراء تنقل حتى صار نقيب المماليك ثم صرفه الناصر سنة ٧١٦هـ وأمره على الحاج وجهزه سنة ٧١٧هـ لقتال حميضة فجبن عن ملاقاته فلما رجع تنكر عليه الناصر وسجنه في سنة ٧١٨هـ ،وقد هرب فقبض عليه سنة ٧٢٠هـ وعذب فذهب بصره . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١، ص ٤٩٨.

(٣) لم يستطع حميضة بن أبي نمي أن يقوم بهجوم على أخيه رميثة في أشهر الحج وذلك لقدوم الأمير مهنا بن عيسى بن مهنا وأخوه الأمير محمد بن عيسى في جمع كبير من أفراد قبيلته بلغ عددهم حوالي ١٢ألف رجل ، وقد كانا السبب في هزيمة حميضة وتفرق حملته التي كان مقرراً أن يصل بها إلى مكة من العراق ، لذا نستطيع أن نجزم بأن وقت ثورة حميضة هذه كانت بعد سفر الحاج لعام٧١٧هـ . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣،ص١٥٨.

فارس والعراق السلطان بو سعيد [1] بن خدابندا المغولي في تحد واضح للسلطة المملوكية في مصر ، وهذا يدل على مدى ما وصلت إليه العلاقات بين حميضة والسلطان الناصر محمد بن قلاوون من جفوة وعدم تقارب بينهما .

غضب السلطان الناصر محمد بن قلاوون من تصرف حميضة بن أبي نمي ، وخصوصاً من إعلان اسم السلطان بوسعيد بن خدابندا على منبر مكة ، وهذا يعني زوال سلطة السلطان الملك الناصر من على الأماكن المقدسة في ، ودخولها تحت إشراف السلطة المغولية فأمر بتجريد حملة عسكرية إلى مكة بلغ عددها (٣٠٠) فارس وأوكل قيادتها إلى الأمير صارم الدين أزبك الجرمكي والأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمي فتحركت من مصر في العشر الأخير من شهر ربيع الأول سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م [2]، وطلب السلطان من قائدي الحملة الحرص على القبض على حميضة وعدم العودة إلى مصر إلا بعد القبض عليه [3]، مما يدل على مدى غضب السلطان من حميضة الذي خطب على منبر مكة لملك العراق بوسعيد بن خدابندا .

قدمت الحملة العسكرية المصرية إلى مكة ومن المؤكد أنها وصلت في نهاية شهر ربيع الثاني من سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م واستطاعت أن تجبر حميضة على الخروج من مكة ، وأعادت رميثة إلى إمارته ، وقامت بنشر الأمن وذلك بمنع حمل السلاح في مكة حفاظاً

---

(١) هوالسلطان بوسعيد بن خدابندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو المغولي ،ملك العراق والجزيرة وخراسان والروم ، تولى الحكم بعد وفاة والده سنة ٧١٦هـ ، و حكم عشرين سنة ، كان مسلماً قليل الشر ، يكره الظلم ويؤثر العدل ، وينقاد للشرع ، كان على علم بالموسيقى ويجيد الضرب بالعود ، أسقط في حكمه مكوساً كثيرة كانت أيام والده ، توفي بأذربيجان في ربيع الآخر سنة ٧٣٦هـ فكان آخر رجل من بيت هولاكو . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ١٠، ص ٢٠٢. ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١، ص ٥٠١.

(٢) ذكر ابن فهد في كتابه إتحاف الورى ، ج٣، ص١٥٩، أن قادة هذه الحملة كانوا ثلاثة أمراء ،فأضاف معهم الأمير بدر الدين عيسى بن التركماني ، و لم نأخذ بهذا القول لأن ابن فهد لم يكن معاصراً للحدث ولأنه عورض من قبل أبي الفدا الذي ذكر في كتابه المختصر في أخبار البشر ج٤، ص ٨٤، أن الأمير ابن التركماني قدم مع ركب الحجاج بعد تغير السلطان على رميثة ، وسبب أخذنا بهذا الرأي أن أبا الفدا كان حياً في ذلك الوقت وشاهد عيان لما حدث .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٥٠. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٥٢٦ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٥٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٦٤. . العاصمي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٤٥.

على حياة الناس واستقرار سلطة رميثة ، ولكنها لم تستطع القبض على حميضة ، ولم تدخل معه في مواجهة عسكرية مما يدل أن حميضة قد غادر بأتباعه دون أن يشتبك مع الحملة في مواجهة عسكرية ، وكان في منعة من أتباعه بحيث لم تستطع الحملة القبض عليه ، وهذا الأمر أغضب السلطة السياسية في مصر ، وشكت في نوايا قادة الحملة وفي أخيه رميثة ، ويبدو أن قائدي الحملة حصل بينهما خلاف يدلنا على هذا أن الحملة بقيت إلى قرب موسم الحج من نفس العام ما يقارب ٦شهور وهي لم تدخل مع حميضة في مواجهة عسكرية ، كما أن السلطة السياسية في مصر وصلتها شكاوي عن الأمير بهادر الإبراهيمي وسوء سلوكه في مكة [(١)] في الوقت الذي لم تصل شكاوي في رفيقه في القيادة الأمير صارم الدين أزبك الجرمكي وهذا يؤكد عمق الخلاف بين القائدين كما يبدو أن رميثة والأمير بهادر الإبراهيمي قد اتفقت وجهات نظرهما حول قضية حميضة ومحاربته مما جعل السلطة السياسية في مصر تشك في نواياهما ، فقررت القبض عليهما وقامت بإرسال الأمير بدر الدين بن عيسى بن التركماني [(٢)] مع قوة من الجنود صحبة ركب الحجاج سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م بحيث يتسلم القيادة ، وكان ركب الحجاج بقيادة الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي[(٣)]، ويبدو أن السلطة السياسية في مصر قد أوكلت إليهما القبض على رميثة والأمير بهادر الإبراهيمي وفعلاً قام الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي والأمير بدر الدين بن عيسى بن التركماني بما كلفا به فتم القبض على رميثة وعلى الأمير بهادر الإبراهيمي في الرابع عشر من ذي الحجة سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م وحملا إلى مصر حيث سجنا بمصر بأمر

---

(١) المقريزي : السلوك ، ج٣، ص٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٦٢.

(٢) هو الأمير بدر الدين محمد بن عيسى بن التركماني : أحد الأمراء في الدولة المملوكية أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ترقى في مناصب الدولة ، وتولى إمارة دمشق ، ثم انتقل إلى وظيفة شاد الدواوين بطرابلس سنة ٧٢٦هـ . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٤، ص ١٣٢.

(٣) هو الأمير علاء الدين مغلطاي بن عبد الله الجمالي يعرف بخرز ، كان من أعيان مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأحد مقدمي الألوف بديار مصر ، تولى الوزارة والاستدارية ، وتقدمة المماليك السلطانية ، توفي بطريق الحجاز عائداً سنة ٧٣٢هـ . ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج٢، ص ٧٣٨. ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٤، ص٣٥٤.

السلطان الملك الناصر وبقي الأمير بدر الدين عيسى بن التركماني في مكة لحفظها من زحف محتمل من قبل حميضة (1) .

ومع بداية عام ٧١٩هـ/١٣١٩م أرسل السلطان محمد بن قلاوون عطيفة بن أبي نمي إلى مكة لكي يتولى إمارتها بدلاً من أخيه رميثة ، وكان بصحبته قوة عسكرية هدفها البقاء في مكة بدل القوة العسكرية السابقة لكي تقوم بحفظ إمارة مكة من هجوم قد يقوم به حميضة (2) ، هنا يظهر أن السلطان محمد ابن قلاوون تخوف أن يستغل حميضة وضع بقاء الأمير بدر الدين بن عيسى بن التركماني لوحده في مكة لتأليب الأشراف والسكان ضد السلطة السياسية بمصر وأنها قد ولت الإمارة لرجل من غير الأشراف الذين لهم صفة شرعية في حكم مكة ، لذا أقدم على تولية عطيفة بن أبي نمي الذي كان يقيم في القاهرة إقامة جبرية منذ عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م(3) وذلك لقطع الطريق على حميضة في تأليب الرأي العام في الحجاز ضد الدولة .

قدم عطيفة بن أبي نمي وقام بمساعدة القوة العسكرية المصاحبة له بترسيخ الأمن في البلد الكريم ، وكان من نتائج قدومه أنه استطاع أن يصرف عدداً من القبائل البدوية و القواد (4)

---

(١) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج٤، ص ٨٤. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٥٠. المقريزي : السلوك ، ج٣، ص١٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٥٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٦٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٤. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٤٥. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٣٩. عبد العزيز السنيدي : الشريف حميضة بن أبي نمي في بلاط المغول الإيلخانيين ، ص ٣٤٥.

(٢) أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، ج٤، ص٨٤. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٢١٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٦٣. المقريزي : السلوك ، ج٣، ص ١٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٣٩. العاصمي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٤٦. عبد العزيز السنيدي : الشريف حميضة بن أبي نمي في بلاط المغول الإيلخانيين ، ص ٣٤٦.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٣٦٢. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٦، ج٤، ص ١٠١. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٣٨٣. العيني : عقد الجمان ، ج٤، ص ٣٠٠. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٥٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٤٠. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦١٧. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٧٥. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٤٢ .

(٤) هنا يتبين سبب تولية الشريف عطيفة من قبل الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وهو أن الجنود في مكة المكرمة من أهلها (القادة) ومن القبائل البدوية قد حالفت الشريف حميضة عندما خلا منصب مكة من أمير من الأشراف

عن مناصرة أخيه حميضة ويضمهم إليه مما اضطر حميضة إلى الاتجاه إلى الجهة الجنوبية لمكة ، مما قلل من خطره العسكري ، ثم أرسل عطيفة بن أبي نمي بما تحقق له من انجاز عسكري وسياسي إلى السلطان محمد بن قلاوون(1) .

بقي حميضة يحاول اغتنام الفرصة للانقضاض على أخيه عطيفة ، وكان يمنعه تخوفه من الحامية العسكرية المصرية التي كانت تقيم لحمايته ، حيث إن السلطة السياسية المصرية المتمثلة في سلطان المماليك الملك الناصر قد وضعت فرقة عسكرية من الجند في مكة لحماية أميرها من أي هجوم يقوم به حميضة منذ عام ٧١٨هـ/١٣١٨م ، وكانت تبدلها باستمرار بفرقة أخرى كلما انتهت الفرقة السابقة من قضاء المدة المقررة لها في البقاء في مكة وكان ذلك عادة في موسم الحج .(2)

وبهذا نستطيع القول أن حملة الأميرين الأمير صارم الدين أزبك الجرمكي والأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمي قد نجحت في إضعاف قوة حميضة وجعله غير قادر على التحرك العسكري ، وذلك أن السلطة السياسية في مصر قد اتبعت مع هذه الحملة خطة جديدة تتمثل في بقاء جزء من جنود الحملة للمحافظة على المكاسب العسكرية والسياسية التي حققتها وهذا أعطى عطيفة قوة في الصمود والعمل على إضعاف قوة أخيه حميضة في الوقت الذي يكون بمأمن من أي هجوم من قبل أخيه حميضة .

نجح عطيفة بن أبي نمي في تقليل أنصار أخيه حميضة من أهل مكة والقبائل المحيطة بها ، وذلك لحسن السيرة التي اتبعها في حكمه لرعاياه من الحضر والبادية (3)، فأصبح حميضة في قلة قليلة من أتباعه ، وقد حاول في عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م انتزاع مكة من أخيه عطيفة

لأنها تأنف أن تعمل مع قائد من خارج مكة وتكون تحت إمرته ، وعندما ولت السلطة السياسية في مصر الشريف عطيفة عادت إلى طاعة الأمير الجديد .

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣،ص ٤٥١ ، ج٥، ص٢١٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٦٧،١٦٣.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٢١٣. المقريزي : السلوك ، ج٣، ص ٢٥.ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٩، ص ٦٢. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٦٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٦٦.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢١٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٦٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٥.

ولكنه لم يوفق[1] فبقي مشرداً في ضواحي مكة حتى قتل على يد أحد الجنود المماليك الذين قدموا عليه وهو مقيم خارج مكة في شهرجمادى الآخرة عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م [2] ، وقد اختلفت المصادر في مقتل حميضة فبعضهم يعتقد أن مقتله كان مدبراً من قبل السلطان محمد ابن قلاوون حيث أرسل له بعض المماليك في صفة أنهم هاربون من السلطان عندما حج في عام ٧١٩هـ/١٣١٩م ، وملتجئون إليه فأخذوا يتربصون به حتى تمكنوا من اغتياله وهو نائم في جمادى الآخرة عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م [3] ، وبعضهم ينفي أن للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون يداً فيها بل كان تصرفاً من قبل بعض المماليك الذين هربوا فعلاً من السلطان والتجأوا إلى حميضة لكي يأمنوا على أرواحهم ، وعندما دارت مفاوضات في الصلح بين حميضة وممثل السلطان في مكة الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب [4] خشي المماليك الذين فروا من السلطان أن يتفق حميضة مع السلطان ويعود إلى الطاعة فيقوم بتسليمهم إلى السلطان فيقتلهم فقاموا باغتياله[5]

من خلال الأحداث التاريخية والصراع المرير بين حميضة بن أبي نمي والسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون نستطيع أن نؤكد بأن مقتل حميضة بن أبي نمي كان مدبراً من قبل السلطان الملك الناصر ، وذلك أنه من غير المعقول أن يهرب المماليك خوفاً من الملك الناصر ثم يقومون بقتل حميضة بن أبي نمي ويعودون يضعون أيديهم في يد من يخافون على

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٥١،ج٤، ص ١٠٥.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٦٧.ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٦٥،٨٩.

(٢) اليافعي : مرآة الجنان ، ج٤، ص ٢٥٩. الفاسي : العقد ، ج٣، ص ٤٥١. المقريزي : السلوك ، ج٣، ص٢٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٦٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٦٦، ٧٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٢٥. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٤٠.

(٣) اليافعي : مرآة الجنان ، ج٤، ص ٢٥٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٧٦.

(٤) هو الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب كان أمير آخور ، ثم ولي الحجوبية إلى أن أرسله السلطان إلي اليمن ، ثم نقم عليه السلطان واعتقله ، ثم أفرج عنه وأرسل إلى دمشق وشغل نيابة الغيبة بها ، توفي في رجب سنة٧٤٣هـ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ١٠، ص ٢١٩.ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١، ص ٥٠٨.

(٥) أبو الفداء . المختصر في أخبار البشر ، ج٤، ص ٨٩.الفاسي : العقد ، ج٣، ص ٤٥١. المقريزي : السلوك، ج٣،ص ٢٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٦٧. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٤٧. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٤٠.

أنفسهم منه ، فإذا كان المماليك خائفين من القتل على يد الملك الناصر ويحاولون الفرار منه يقدمون على قتل حميضة لخوفهم أن يسلمهم إلى الملك الناصر فيسلمون أنفسهم إليه .من غير المعقول أن يهرب المماليك من الملك الناصر ويلتجئون إلى حميضة وهو من الضعف بمكان قد حلت به هزيمة على يد أمير مكة والحملة العسكرية المتواجدة بها قبل بضعة أشهر ، فلوا كان المماليك يريدون الهرب لهربوا لمن هو ند للسلطان الناصر من الزعماء في ذلك العصر وليس لرجل مشرد في ضواحي مكة . و لم يكن المماليك يستطيعون التعرف على مجاهل الطرق في مكة لكي يستدلوا على مقر تواجد حميضة بهذه السهولة إلا إذا كان هناك دليل لهم من طرف السلطان الملك الناصر . كما أن قدوم المملوك الذي نفذ عملية الاغتيال بفرس حميضة والتي كان السلطان الناصر حريصاً على الحصول عليها والتي رفض حميضة في عزة وكبرياء أن يعطيها للسلطان الملك الناصر[(١)] ، يدل على أن القدوم بهذه الفرس كان من توصيات مرسل هذه الفرقة للقدوم بها بعد مقتل صاحبها . كما أن تمكن المماليك الثلاثة من التخلص من حميضة بهذه السهولة دون الدخول في قتال مع أتباع حميضة ومماليكه الذين كانوا معه مما يدل أن هؤلاء المماليك الثلاثة كان لهم سنداً قريباً من موقع الحدث وهو القوة العسكرية بمكة ، فقد قدم المملوك القاتل فيما بقي الاثنان للمحافظة على أملاك حميضة حتى يتسنى من يأتي لجمعها وأخذها.كما أنه من الصعوبة أن يفكر المماليك في الخروج من الحجاز إلى العراق ، ويطلبون من حميضة مناصرتهم في الوصول إلى العراق [(٢)] مع أنهم ليس لديهم ما يقدمونه له في حالة موافقته لهم ، وكان الأولى أن يتم هروبهم عندما وصلوا إلى بلاد الشام ، وهي الأقرب والأكثر أمناً في طرقها وتموينها ، أو يهربوا إلى اليمن ، هذا وقد ورد عن الملك الناصر أنه كان في حجته هذه قد فرق من الصدقات والهبات ما يفوق الوصف على مماليكه وعلى الناس جميعاً [(٣)]، وهذا لا يمكن أن يلحق المماليك أي ضرر من هذا السلطان وخصوصاً في هذا الموسم . كما أن حميضة بن أبي نمي قد استعصى أمره على الملك الناصر ،و لم تفلح كل الحملات العسكرية التي بعثها في القضاء عليه ، فطبيعياً أن يلجأ

---

(١) الفاسي:العقد، ج٣،ص٤٥١.ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٣، ص١٦٧.ابن فهد:غاية المرام ، ج٢،ص ٦٦، ٧٦.

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢، ص ٨٠.

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٩، ص١٠٥. المقريزي : السلوك ، ج٣، ص ١٩. أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج٤، ص٨٦.

الملك الناصر لاغتياله وهذا الأمر قد اشتهر به الملك الناصر في القضاء على من يصعب عليه من أعدائه(١)

أما ماورد بأن السلطان الملك الناصر قد قتل قاتل حميضة فهذا ليس بمستبعد حيث إن هذا المملوك قد أنهى ما طلب منه ، وبمقتله ينهي الحديث حول إمكانية كشف تدبير السلطان لعملية الاغتيال ، وقد لا يكون قد قتل المملوك لأن المملوك قد أُرسل إلى مصر فلو نقل من قطاع إلى آخر لخفي على الناس قاتل حميضة .

حملة الأمير سيف الدين جركتمر المارديني(٢) عام ٧٦٠هـ/١٣٥٨م:

لم تكن الأوضاع في مكة حسنة في فترة حكم عجلان بن رميثة وأخيه ثقبة بن رميثة ، فقد أدى التنافس بينهما إلى تردي الأوضاع الأمنية فكثر اللصوص وحاملي السلاح الذين يأخذون ما يريدونه من العامة دون رادع من السلطة وكانوا في غالبهم من أتباع أميري مكة وزيادة الضرائب حتى شملت المأكولات التي يتناولها الناس فقل جلب الأقوات إلى الأسواق مما أدى إلى تردي الأوضاع الاقتصادية(٣) ، وهذا جميعه يدل على أن كلاً من الأميرين يعمل لنفسه دون الاهتمام بأوضاع البلد ، فكل منهم يحاول قدر الإمكان جمع أكثر عدد من المال الذي يستطيع به أن يضم عدداً أكبر من الأتباع لكي يتفوق على منافسه في أمل أن ما يقوم به يجعله قوياً فيؤدي إلى بقائه في السلطة .

---

(١) ذكر عن السلطان الملك الناصر أنه كان يستخدم الفداوية في قتل أعدائه وهم طائفة من أشداء الجند المرتزقة الذين كان ينتمي غالبهم إلى طائفة الإسماعيلية الشيعية ، وكانت لهم تدريبات خاصة على الاغتيالات . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٩، ص ١٧٦. المقريزي : السلوك ، ج٣،ص ٢٧،٢٨.

(٢) هو الأمير جركتمر المارديني كان من مماليك الناصر محمد بن قلاوون ، تدرج في المناصب حتى شغل الحجوبية الكبرى للسلطان الناصر محمد ، أرسله إلى مكة المكرمة في سنة ٧٦٠هـ على رأس عدد من الجند ، ثم أرسل إلى دمشق ثم سجن وأطلق بعد وفاة الناصر حسن وولي أمرة طبلخاناة توفي قبل السبعين . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١، ص٥٣٥.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ،ج٢، ص ٢٦٣. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢،ص ٤١٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ٢٧٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٦٥. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ،ج١، ص ١٥٨.

كما أن عجلان قد أساء التعامل مع الأوامر السلطانية فقد أمرت السلطة السياسية في مصر بتعيين الشيخ محمد بن عبد الله الحموي[1] خطيباً للمسجد الحرام ، وعزل الشيخ محمد بن أحمد بن الرضى الطبري، وذلك في موسم عام ٧٥٩هـ/١٣٥٧م ، وعندما خرج الشيخ محمد بن عبد الله الحموي لأداء الخطبة في موسم الحج رده عجلان عن القيام بعمل الخطبة في المسجد الحرام في موقف مخزٍ أمام وفود الحجيج من جميع أقطار العالم الإسلامي ، وأمر الشيخ محمد بن أحمد بن الرضى الطبري [2] بالقيام بالخطبة [3]، وهذا يعتبر إعلام للسلطة السياسية في مصر بعدم التدخل في شؤون مكة ، وأن الأمر يعود لحكامها من الأشراف فكان هذا الحدث مغضباً جداً للسلطان حسن بن محمد بن قلاوون .

لم يكن ما يحدث في مكة بعيداً عن نظر السلطة السياسية في مصر فأرسلت في جمادى الأولى سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م إلى شريفي مكة عجلان وأخيه ثقبة تطلب منهما القدوم إلى القاهرة لمقابلة السلطان حسن بن محمد بن قلاوون [4]، ويبدو أن السلطة السياسية في مصر أرادت أن تقيل الشريفين عن منصبهما بدون أن يحدث صدام عسكري ، وذلك بالقبض عليهما إذا قدما إلى القاهرة وفي نفس الوقت تولي من تراه من أشراف مكة ، ولكن مثل هذا العرض من السلطة السياسية في مصر لم يكن مقبولاً لدى عجلان وأخيه ثقبة فهم يعلمون علم اليقين ما سوف ينتظرهم في القاهرة لتيقنهم أن سوء الأوضاع الأمنية

---

(١) هو الشيخ محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي المكارم الحموي خطيب المسجد الحرام ، سمع من عدد من العلماء ، وأجازه عدد من العلماء في عدد من العلوم ، كان يعمل في شبابه بالتجارة ويسافر لها ، تولى خطابة المسجد الحرام سنة ٧٥٩هـ فصده الشريف عجلان عنها ، ثم باشرها في العام التالي ، وتولى مع الخطابة المشاركة في نظر الحرم الشريف ومشيخته ، ثم عزل في عام ٧٦١هـ ، كان عالي الهمة توفي سنة ٧٧٠هـ . الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢، ص ٢٢٦.

(٢) هو الشيخ محمد بن أحمد بن الرضى بن إبراهيم الطبري يلقب بالرضى الطبري المكي الشافعي ، إمام مقام الخليل عليه السلام بالمسجد الحرام ، ولد سنة ٧٢٠هـ ، سمع من عدد من العلماء وأجازه عدد من الشيوخ ، وتولى إمامة المسجد الحرام بعد وفاة والده سنة ٧٤٧هـ ، تولى الخطابة بالمسجد الحرام بأمر الشريف عجلان سنة ٧٥٩هـ ، وعزل عنها سنة ٧٦٠هـ . الفاسي : العقد الثمين ،ج٢، ص٣.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ٣ ، ٢٢٧. ابن فهد إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٧٤.

(٤) ابن فهد إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٧٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٤٨. السنجاري : منائح الكرم ج٢، ص٣٦٥.

والاقتصادية السائدة في مكة نابعة من تصرفاتهم ، وأن هذا الوضع غير سار للسلطة السياسية في مصر فلن يقابلوا بالترحاب بل سوف يتم اعتقالهم ، لذا امتنع عجلان و ثقبة عن السفر إلى القاهرة ، فلم تجد السلطة السياسية سوى أن أعلنت بعزل الشريفين عجلان و ثقبة عن الإمارة وعينت سند بن رميثة و محمد بن عطيفة الذي كان متواجداً في القاهرة، وقامت بتجهيز حملة عسكرية للقدوم إلى الحجاز لحماية الأميرين الجديدين ، والعمل على مساعدتهما على تسوية الأوضاع الأمنية والاقتصادية في مكة وكان ذلك في شهر جمادى الآخرة سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م ، وقد بلغ عدد الحملة العسكرية (٢٠٠)جندي بقيادة الأمير سيف الدين جركتمر الماردييني مع عدد من الأمراء وبصحبتهم محمد بن عطيفة [1].

حاول عجلان أن يتفق مع أخيه ثقبة حتى يكونا جبهة واحدة وذلك بالاستعانة بالقوى الفاعلة من الأشراف وذلك بأن يعطيا للأشراف (٨٠٠) من الإبل حتى يجعلا أمر تغييرهما من أمارة مكة مستحيلاً على السلطة السياسية في مصر وهم بهذا العرض يجعلا سند و محمد بن عطيفة بدون مناصر لهما فيسهل عليهما بعد خروج الحملة انتزاع إمارة مكة منهما ، ولكن ثقبة لم يوافق على عرض عجلان مما يدل أن ثقبة كان يرغب في ولاية أخيه سند وذلك ربما لتقدمه في السن فرغب أن يجعل لعجلان منافساً في الإمارة في المستقبل،بالإضافة إلى ما كان بين سند وأخيه ثقبة من علاقات حسنة [2]، وعندما وصلت الحملة إلى مكة قدم إليهم سند بن رميثة فقاموا بتنصيبه مع محمد بن عطيفة أميراً على مكة وأُلبس الشريفان الخلع السلطانية ، وفي نفس الوقت لم يواجه عجلان وأخوه ثقبة الحملة العسكرية بأي مقاومة تذكر ، وهذا يدل على قوة الحملة وتفرق كلمة عجلان وثقبة في مواجهتها ، وقام قائد الحملة بترسيخ الأمن في مكة وذلك بمنع حمل السلاح ، وأقام العدل ورفع المكوس التي فرضها عجلان وثقبة على المأكولات ، كما عزل خطيب المسجد الحرام الشيخ محمد بن أحمد بن الرضى الطبري وعيّن بدلاً منه الشيخ محمد بن عبد الله الحموي ، وذلك تنفيذاً لأمر

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج٢، ص ٢٦٣. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢،ص ٤١٩. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص ٢٤٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ٢٧٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٧٥. الجزيري : الدرر= =، ج١، ص ٦٥٧. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٦٥. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ،ج١، ص ١٥٨. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٠٢.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ٢٦٣. ابن فهد إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٧٦.

السلطان الذي رفض تنفيذه عجلان في العام السابق ، [1] وبهذا تكون الحملة العسكرية قد نجحت في تنفيذ ما أمرت به فحققت جميع أهدافها .

وبعد أن حققت الحملة أهدافها أقامت في مكة وذلك بناءً على رغبة السلطان المملوكي الناصر حسن حتى تأتي حملة أخرى تقيم بدلاً عنها [2]، وهذا يدل على مدى حرص السلطان الناصر حسن على استتباب الأمن.

حملة الأمير قندس عام ٧٦١هـ/١٣٥٩م:

كان السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون حريصاً على استتباب الأمن في مكة فقرر أن تخرج حملة عسكرية من مصر لتقيم بالحجاز بدلاً من الحملة السابقة التي قدمت مع محمد بن عطيفة في عام ٧٦٠هـ/١٣٥٨م ، ويبدو أن القصد من هذا القرار كي لا يمل العسكر البقاء في مكة ، ولا ينفر العسكر من الذهاب إليها من جديد ، وقرر الأمير قندس قائداً لهذه الحملة ، كما قرر أن تأتي من الشام قوة عسكرية لكي تنظم إلى الحملة العسكرية المصرية في مكة وتشاركها نفس المهام ، فقدمت قوة عسكرية بقيادة الأمير ناصر الدين بن قراسنقر مع ركب الحاج الشامي [3].

ويبدو هنا أن الأشراف بمكة لم يقبلوا بوجود قوة عسكرية من قبل الدولة بمصر ترابط بها على مدار العام ، حيث إن هذا الإجراء يحرم أمراء مكة ، وكبار رجال الأشراف والقواد من التصرف بحرية في فرض الضرائب وجمع المال كما كانوا يعملون في السابق ، ومع

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج٢، ص٣، ٢٢٦، ٢٦٣. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢،ص ٤١٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ٢٧٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٧٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٦٥. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ،ج١، ص ١٥٨. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٠٢.

(٢) الفاسي:شفاء الغرام ،ج٢،ص٤١٩.المقريزي : السلوك ، ج٤، ص ٢٤٢. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ،ج١، ص ١٥٨.

(٣) الفاسي : العقد ، ج ٢، ص ٢٦٤. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص ٢٤٧. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٠، ص ٣١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٨١. ابن فهد ، غاية المرام ، ج٢، ص١٧٦. الجزيري : الدرر، ج١، ص٦٥٨. العصامي : سمط النجوم العوالي،ج٤، ص ٢٥٦. السنجاري:منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٦٨. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٠٣.

صعوبة الدخول في مواجهة عسكرية مع القوة المصرية يبدو أنهم قرروا أن يقوموا بإثارة فتنة بعد سفر الحجاج حيث لا يبقى بمكة سوى رجال الحامية المصرية ، ويكون إثارة الفتنة بالقرب من المسجد الحرام بحيث يستطيعون أن يفتكوا برجال الحامية المصرية في منطقة يصعب على رجال الحامية المصرية القتال فيها بحرية وسهولة،وذلك لضيق شوارعها بالمنازل فيصعب التحرك فيها للخيل بسهولة ، كما أنه يمكن أن يتم حصارها بشكل سريع ، فيصعب على المحاصرين الخروج منها ووصول المدد إليهم .

وحدثت الفتنة كما خطط لها بعد سفر الحجاج وذلك أنه حدث خلاف بين أحد عسكر الدولة ورجل من الأشراف من الذين كانوا يمتلكون المنازل حول المسجد الحرام حول مبلغ إيجار الدار ، فقام الجندي المملوكي بضرب الشريف فغضب الشريف وقام بقتل الجندي المملوكي، وحصلت الفتنة حيث تعصب لكل رجل قومه ، فقدم عدد من الأشراف وتقاتلوا مع الجنود ، وكان الجند المماليك على غير استعداد وبعضهم في المسجد الحرام مما سهل على الأشراف الفتك بهم في جماعات متفرقة ، وكان الأمير ابن قراسنقر من الذين كانوا متواجدين داخل المسجد الحرام لأداء العمرة ، وتحصن في المسجد الحرام هو وعدد من الجنود وأغلقوا أبوابه ، وتعقب الأشراف رجال الحامية المصرية في كل مكان واستطاعو ا أن يقبضوا على الأمير قندس بعد قتل عدد من الجنود المتواجدين معه ، و لم يسلم من القتل إلا أنه استجار ببعض نساء الأشراف ، وقام الأشراف بأسره مع عدد كبير من الجنود وبالغ الأشراف في إهانة الجنود المماليك حيث نودي عليهم بالبيع في سوق الرقيق ومن جملتهم الأمير قندس حيث قبض عليه وعذب عذاباً شديداً حتى كاد أن يموت تحت التعذيب ثم نودي عليه للبيع بدرهمين إمعاناً في إهانته و لم يتركه الأشراف حتى شفع فيه قاضي مكة الشيخ تقي الدين الحرازي (١) ، ثم دارت المفاوضات بين الأشراف والجند الذين كانوا متحصنين في المسجد الحرام مع الأمير ابن قراسنقر على أن يغادر جنود الحامية مكة ، فقام الأمير قندس والأمير ابن قراسنقر ومن معهما من الجند بالخروج من مكة في حالة بائسة بعد

---

(١) هو الشيخ محمد بن أحمد بن قاسم العمري تقي الدين الحرازي قاضي مكة ، ولد سنة ٧٠٦هـ بمكة ، سمع على عدد من علماء مكة المكرمة وتفقه على عدد منهم وأجيز في عدد من العلوم ، ورحل في طلب العلم حتى كان من أئمة العصر علماً وفقهاً حدث ودرس بالمسجد الحرام ، وتولى القضاء بمكة المكرمة مع خطابة المسجد الحرام سنة ٧٦١هـ ، كان نزيهاً عفيفاً ، توفي سنة ٧٦٥هـ . الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢، ص ٧٣.

أن استجاروا بالشريف ثقبة من الاعتداء عليهم ، في يوم الجمعة السابع عشر من ذي الحجة سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م وكان ثقبة بن رميثة هو الذي أنهى الصراع بين الأشراف ورجال الحامية المصرية[١]

ومما يدلنا على أن هذه الفتنة كان مخططاً لها من قبل الأشراف ،أن سند بن رميثة لم يكن على وئام مع شريكه محمد بن عطيفة، وكان على تخوف من رجال الحامية المصرية عندما أشيع بأن رجال الحامية سوف يقبضون عليه ويرسلونه إلى مصر ، وكان هذا في بداية موسم الحج مما جعل الأشراف والقواد ينضمون إلى سند بأجمعهم فيما بقي محمد بن عطيفة لوحده مع رجال الحامية المصرية [٢]. وهنا يبدو جلياً أن هذا الحادث لا يخلو من وجود تدخل خفي لثقبة بن رميثة ، فقد كان على وئام مع أخيه سند ، ثم في اليوم الثاني للحادث تدخل ثقبة بن رميثة وتم على يديه الصلح بعد أن كسب الأشراف جميع ما يملكه جنود الحامية من مال ومتاع ، وفي نفس الوقت خلع محمد بن عطيفة من الشراكة في إمارة مكة والمناداة بثقبة شريكاً لسند في إمارة مكة [٣] مما يجعلنا نجزم بأن هذا الحادث كان مخططاً له بين سند وثقبة بحيث يتم تنحية محمد بن عطيفة عن الشراكة في الإمارة ويحل بدلاً منه الشريف ثقبة.

وصلت أخبار هزيمة الحامية المصرية إلى السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فغضب غضباً شديداً لما حدث للقوات المصرية ، من تصرفات كانت غاية في سوء التعامل فقرر تنحية الأشراف عن الإمارة وإخراجهم من مكة والمناطق المحيطة بها وأمر بتجهيز حملة

---

(١) المصدر السابق ، ج ٢، ص ٢٦٤. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٤٢٠. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص١٤٧. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٠، ص ٣١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٨١. ابن فهد ، غاية المرام ، ج٢، ص١٧٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٥٨. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٥٦. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١٥٨.

(٢) الفاسي : العقد ، ج ٢، ص ٢٦٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٨١. ابن فهد ، غاية المرام ، ج٢، ص١٧٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٥٨. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٥٦.

(٣) الفاسي : العقد ، ج ٢، ص ٢٥٩، ٢٦٤. المقريزي : السلوك ،ج٤، ص٢٤٧. ابن فهد : إتحاف الورى، ج٣، ص ٢٨١. ابن فهد ، غاية المرام ، ج٢، ص ١٧٦،١٣٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٥٨.. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٥٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٦٨. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١٦٠ .

عسكرية كبيرة جداً لهذا الغرض ، وفيما كانت الحملة تستعد للخروج إلى الحجاز حدثت ثورة سياسية في مصر، قادها كبار أمراء الدولة انتهت بمقتل السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في التاسع من جمادى الأولى سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م[١]

حملة الأمير آقبغا المارديني[٢] عام ٧٨٨هـ/١٣٨٦م:

ساءت العلاقة بين أمير مكة أحمد بن عجلان والسلطان المملوكي الظاهر برقوق وذلك لرفض أحمد بن عجلان طلب السلطان بإطلاق الأشراف المسجونين لديه منذ عام ٧٨٧هـ/١٣٨٥[٣] و لم يلبث أن توفي أحمد بن عجلان في شهر شعبان سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م فتم تعيين ابنه محمد أميراً لمكة ، و لم يقم محمد بإطلاق الأشراف خوفاً منهم على إمارته و قام بتعذيبهم حتى فقدوا أبصارهم ماعدا عنان بن مغامس الذي استطاع أن يهرب من السجن قبل وفاة أحمد بن عجلان بشهرين ، ويلتجئ إلى السلطان المملوكي

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٠، ص ٣١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٨٧. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٦٢. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٥٨. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٦٨. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١٦٠.

(٢) هو الأمير آقبغا الماردييي علاء الدين نائب الوجه القبلي كان من جملة الأمراء العشرات ثم ناب بالوجه القبلي مدة إلى أن قبض الظاهر برقوق ، وحبس بالكرك ثم قبض منطاش على الناصري ، وأنعم على آقبغا هذا بأمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، وبعد هزيمة منطاش قبض على آقبغا وقتل سنة٧٩٣هـ. ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج٢، ص٤٨٥. ابن تغري بردي: الدليل الشافي ، ج١، ص١٣٨.

(٣) كان الأشراف المسجونين لدى الشريف أحمد هم : عنان بن مغامس ، وحسن بن ثقبة ، ومحمد بن عجلان ، وأحمد بن ثقبة ، وعلي بن أحمد بن ثقبة ، وكان سبب سجنهم تخوف الشريف أحمد منهم على إمارته ، وقد اتصل بعضهم بالسلطان الظاهر برقوق بمصر واشتكوا من سوء معاملة الشريف أحمد بن عجلان لهم مما جعل السلطان يأمر بإعطائهم هبات سنوية ومناطق زراعية بالحجاز ، فلم ينفذ الشريف أحمد أمر السلطان وقام بسجنهم جميعاً . الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤١٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٤٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٨٩. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٦٢. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٨٣.

في مصر، وكان تعذيب الأشراف حتى فقدوا أبصارهم بتدبير من كبيش بن عجلان فقد كان هو العقل المدبر لهذه الخطوة السيئة [1] .

كان غضب السلطان المملوكي الظاهر برقوق من تصرف محمد بن أحمد بن عجلان مع أبناء عمومته الأشراف المسجونين لديه في مكة شديداً ، يدلنا على هذا أن السلطان المملوكي لم يفكر بعزل محمد بن أحمد بن عجلان عن إمارة مكة فقط بل قرر من شدة غضبه الفتك به ، وتولية الإمارة لعنان بن مغامس أحد خصوم محمد بن أحمد بن عجلان ، فأمر بتجهيز حملة سرية تأخذ صفة الحملات المرافقة لركب الحجاج ، وبها مجموعة من الرجال المعدين خصيصاً للفتك بمحمد بن أحمد بن عجلان ، وكانت هذه الحملة تحت قيادة أمير ركب الحجاج الأمير آقبغا المارديني وبصحبته الأمير جاركس الخليلي[2] وكان قد أعلمه السلطان بما قرره بحق محمد بن أحمد بن عجلان وذلك فيما يبدو حتى يكون سنداً لقائد الركب في أي مواجهة تحدث في الحجاز ، وكان السلطان من الدهاء بمكان حيث إنه لم يعلن غضبه من محمد بن أحمد بن عجلان ، وقام بتعيينه أميراً لمكة وكان في نفس الوقت يضمر عزله من الإمارة وتعيين عنان بن مغامس المتواجد لديه بمصر ، و طلب من أمير الركب والأمير جاركس الخليلي بعدم مراعاة عنان بن مغامس أثناء سفر الحملة وركب الحجاج حتى لا تنقل الأخبار لمحمد بن أحمد فتخفق الحملة في تحقيق هدفها ، وسارت الحملة حتى إذا قدمت إلى مكة خرج محمد بن أحمد بن عجلان لملاقاة الركب كالعادة [3] بعد

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،ج٥، ص٥٤٥.الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤١٨. المقريزي : السلوك ، ج٥، ص ١٨٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٥١. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص ١٩٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٦٢. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٨٣.

(٢) الأمير جاركس الخليلي الأمير سيف الدين أمير آخور تركماني الأصل من مماليك يلبغا تقدم عند الملك الظاهر برقوق حتى كان مدبر مملكته ، كان مهيباً ذو رأي رصين ، وصدقات كثيرة من مآثره خان الخليلي بالقاهرة قتل بمعركة بالبرزةخارج دمشق في ثورة يلبغا الناصري ومنطاش . ابن حجر : إنباء الغمر ، ج١، ص٣٦٦. ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج٤، ص٢٠٥

(٣) كانت عادة أمراء مكة الخروج إلى خارج مكة لملاقاة ركب الحجاج الذي يقدم معه المحمل الذي يحمل كسوة الكعبة العظمة ، ويقوم شريف مكة بتقبيل خف جمل المحمل ، وخدمة الركب بما يحتاجونه ، وهذا يعتبر إعلان الطاعة والولاء والتبعية للسلطة السياسية في مصر .

تردد[1] فعندما أخذ يقبل خف جمل المحمل وثب عليه رجلان من الركب بأسلحتهما فأردياه قتيلاً وذلك في يوم الاثنين الثاني من ذي الحجة سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م ، وهم ينادون عليه بأنه غريم السلطان مما يدل أنهم كانوا مخططين لقتله بأمر السلطان الظاهر برقوق ، وتفرق أتباعه بعد مقتله بشكل سريع ، مما يدل أن الأمير محمد قدم لملاقاة الركب بعدد قليل من الأتباع فلم يستطيعوا أن يقاوموا القوات المصاحبة لركب الحجاج أو الاقتصا ص من قتلة محمد ، ثم لبس رجال الحملة العسكرية أسلحتهم وكشفوا عن قصدهم ودخلوا مكة بصحبة ركب الحجاج واستطاعوا أن يخرجوا جند محمد بن أحمد بن عجلان من مكة ، وتم تنصيب عنان بن مغامس أميراً لمكة في مستهل شهر ذي الحجة سنة ٧٨٨/١٣٨٦م[2]. وبهذا تعتبر الحملة قد نجحت في تحقيق أهدافها كما رسم لها.

حملة الأمير بيسق الشيخي[3] عام ٨١٢هـ/١٤٠٩م:

كانت العلاقة بين حسن بن عجلان والسلطة السياسية في مصر حسنة ، حتى كان عام ٨١٢هـ/١٤٠٩م حيث ساءت العلاقة بين حسن والسلطة السياسية المتمثلة في

---

(١) كان محمد بن أحمد بن عجلان متخوفاً من ركب الحجاج وذلك لتحذير عمه كبيش بن عجلان له ، ولكن كان لتأكيد الأمير جاركس الخليلي لوالدة محمد الشريفة فاطمة بنت ثقبة بأنه لن يصيبه مكروه عندما سألته عن حال ولدها لدى السلطة السياسية في مصر ، سبب في قدوم محمد بن أحمد لملاقاة ركب الحجاج،كما أن محمد بن أحمد لم يحتاط لملاقاة مثل هذا الخطر فلم يحشد عدد كبير من الأتباع لتخويف أمراء الركب من أي تصرف ضده فكان هذا التقصير سبباً في هلاكه بعد مشيئة الله سبحانه وتعالى .الفاسي:العقد ،ج٢، ص٣٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٥٤. الجزيري : الدرر، ج١، ص ٦٧٢.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢، ص١٨٩. الفاسي : العقد ،ج٢، ص٣٣،ج٥، ص ٤١٨. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٤٢٣. المقريزي : السلوك ، ج٥، ص١٨٩. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١١، ص ٢٤٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٥٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٩٦. الجزيري : الدرر، ج١، ص ٦٧١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٨٣. الطبري : الأرج المسكي ، ص١٢٢.

(٣) هو الأمير بيسق أمير أخور الظاهري برقوق ، له آثار بمكة منها عمارة الرواق الغربي للمسجد الحرام ، كان شرس الأخلاق جماعاً للمال مع البر والصدقة ، تولى إمارة الحاج ، مات بالقدس سنة٨٢١هـ. السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣، ص ٢٣.

السلطان الناصر فرج [1]بن برقوق وكان سبب ذلك أن أحد موظفي حسن بن عجلان ويدعى جابر الحراشي [2] اختلف معه فسافر إلى مصر واستطاع أن يغير رأي السلطان في حسن بن عجلان [3]، فأمر السلطان بتجهيز حملة عسكرية برفقة ركب الحاج الذي كان بقيادة الأمير بيسق الشيخي.

يظهر لنا من تعيين الأمير بيسق أن هناك شخصاً آخر ساهم في تأليب السلطان على الشريف حسن بن عجلان وذلك لسوء العلاقة بين الشريف حسن بن عجلان والأمير بيسق الشيخي منذ عام ٨٠٣هـ ، فيبدو أن الأمير بيسق قد ساعد في تأليب السلطان على الشريف حسن بن عجلان ، واستطاع أن يتولى قيادة الركب لينتقم من الشريف حسن لمواقفه السابقة منه [4]، وقام السلطان الناصر فرج بتجهيز الحملة وزودها بما تحتاجه من

---

(١) هو الملك الناصر فرج بن برقوق بن أنس أبو السعادات الجركسي المصري ، ولد سنة٧٩١هـ ، تولى الملك بعدوفاة والده في شوال سنة ٨٠١هـ ، وسنه دون العشرين سنة ، قتله مماليك أبيه بقيادة المؤيد شيخ المحمودي في دمشق بعد هزيمته سنة ٨١٥هـ ، كان مهيباً كريماً فاتكاً . السخاوي : الضوء اللامع ، ج٦، ص ١٦٨. الزركلي : الأعلام ، ج٥، ص ١٤٠.

(٢) هو جابر بن عبد الله الحراشي ولد سنة ٧٥٦هـ وعمل بالتجارة بمكة كثيراً ورزق فيها حظاً ، خدم الشريف حسن بن عجلان ، واشتهر بالأمانة وحسن أداء العمل والإخلاص فيه ،و اشتهر بالبناء فبنى بجدة فرضة ، ثم تغير على الشريف حسن بن عجلان ، لكونه قبض عليه في رمضان سنة ٨٠٩هـ ،ثم اتهم بموالاة الشريف رميثة بن محمد بن عجلان ، فقبض عليه حسن وشنقه بمكة في ذي الحجة سنة٨١٦هـ. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٢٦٠ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣، ص ٥١.

(٣) يبدو أن جابر الخراشي قد أطلع السلطان على مدى الدخل المادي لإمارة مكة عن طريق التجارة الدولية التي تأتي إلى ميناء جدة ، ومقدار ما يحصله حسن بن عجلان ، لأن جابر الحراشي قد فوض إليه حسن تنظيم جميع= =ما يرد إليه من تجارة الشام واليمن ، وكان المتصرف في ميناء جدة ، وهو الذي بنى الرصيف الساحلي للميناء وجميع العمارة في المناطق الساحلية التجارية مثل ميناء حلي أيضاً وكان على علاقة وثيقة مع حسن بن عجلان وهو الذي نظم ما يأخذه بني حسن من دخل ،حتى حدث وأن تغيرت العلاقة مع سيده حسن في رمضان سنة ٨٠٩هـ حيث قبض عليه حسن بن عجلان ثم أطلقه فغضب فرحل إلى اليمن ثم إلى مصر . ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص٤٣٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٢٦٨.

(٤) كان الأمير بيسق الشيخي قد أمره السلطان بعمارة ما احترق من المسجد الحرام عام عام٨٠٢هـ فقدم في عام ٨٠٣هـ مع ركب الحاج وقام بعمارة الأجزاء التي أصابها الحريق عام ٨٠٢هـ ، وأثناء وجوده في مكة حصل بينه وبين حسن خلاف بسبب تجاوزات قام بها الأمير بيسق في شؤون مكة منها أنه أمر بنقل السوق من المسعى إلى منطقة سوق الليل ، وأخذه لقفل ومفتاح الكعبة بعد أن ركب عليها قفلاً ومفتاحاً جديداً فأخذ الشريف

أسلحة ومعدات حربية، وأمر الأمير بيسق بأن يحاول القبض على الشريف حسن بن عجلان وولديه الشريف بركات والشريف أحمد[1] ، وهذا يعني أن يكون تحرك الأمير بيسق الشيخي تحت غطاء من السرية التامة حتى يتم تحقيق هدف الحملة ، وكان السلطان الناصر فرج بن برقوق قد قصد تعيين الشريف علي بن مبارك بن رميثة الذي كان متواجداً بمصر في ذلك الوقت أميراً لمكة [2].

عندما وصل الأمير بيسق بقواته وركب الحجاج إلى ينبع أعلن عزل حسن بن عجلان وابنيه من إمارة مكة ، وبين لمن معه من الحجاج والجنود بأنه سوف يحارب حسن بن عجلان إذا لم يتنازل عن الإمارة ، وكان هذا الإجراء خطأً من الأمير بيسق حيث إن ما أعلنه لأتباعه بعزل حسن بن عجلان نقل فوراً إلى مكة حيث وصل إلى مسامع حسن بن عجلان فكان في الوقت متسع لحسن بن عجلان أن يأخذ استعداده لتغيير أهداف السلطة السياسية في مصر ويجبرها على قبول الأمر الواقع ، فقام بجمع عدد كبير من أنصاره والقبائل المحيطة بمكة حتى بلغ عدد أتباعه ما يزيد عن (٦٠٠٠) آلاف مقاتل ، و(٦٠٠) فارس فكانت هذه القوة كفيلة برد أي هجوم من قبل الحملة المصرية ، كما يبدو أن هذه الاستعدادات قد وصل خبرها إلى السلطة السياسية في مصر ، مما يؤيد أن الأمير بيسق

حسن منه القفل والمفتاح القديم وأعاده إلى الكعبة المعظمة ، ومنها أنه أمر بعدم الدعاء لسلطان اليمن ، فأمر الشريف حسن بالدعاء لسلطان اليمن ، وقد بلغت تجاوزاته الحد حتى أن بعض أهل مكة المكرمة كاد أن يقتله ، ووصلت شكوى حسن بن عجلان من الأمير بيسق إلى السلطة في مصر ، فأصدرت مرسوماً للشريف حسن يحد من تصرفات الأمير بيسق الشيخي في مكة المكرمة وأن الأمر والنهي للشريف حسن بن عجلان . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٤٢٧ـــ٤٢٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٢٦٣.

(١) هو أحمد بن حسن بن عجلان بن رميثة الحسني المكي ، ولي أمرة مكة شريكاً مع أخيه بركات سنة٨١١هـــ ، عزل مع أخيه سنة ٨١٨هـــ برميثة بن محمد بن عجلان ، وعندما أعيد والده إلى الإمارة أشرك معه أخاه بركات مما أغضب أحمد فعارض والده وخرج عنه ، لم يستقر له أمر حتى توفي في اليمن سنة٨٤٢هـــ ودفن بزبيد . ابن فهد : الدر الكمين ، ج١، ص٤٤٣.

(٢) الفاسي : العقد ، ج٣، ص٣٦٢. الفاسي : الشفا ، ج٢، ص٤٢٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٤٦٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٩٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٦٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٤١٠. علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ص٤٦. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٢٦. عائشة العبدلي : إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية ، ص ٢٢١.

الشيخي لم يحافظ على سرية الحملة ، فقرر السلطان المملوكي التراجع عن قصده في عزل حسن وابنيه عن إمارة مكة وذلك فيما يبدو حفاظاً على الحجاج وسلامة عسكره ، فقام بإرسال مبعوث من القاهرة هو خادمه فيروز الساقي [1] ، إلى أمير الركب بعدم محاربة حسن بن عجلان ويحمل مرسوماً ببقاء حسن بن عجلان وابنيه في منصبهما في الإمارة ، وعندما وصل فيروز الساقي إلى مكة ، أعلن بقاء حسن بن عجلان وابنيه في منصبهما ، وألبسه خلعة الولاية ، وطلب من حسن بن عجلان عدم التعرض لركب الحجاج ، فوافق حسن بن عجلان بشرط أن يسلم أمير الحاج الأمير بيسق ما معه من الأسلحة التي كانت معدة للقتال حتى ينتهي موسم الحج ، فيأخذها في عودته إلى مصر [2] وهذا يدل على أن حسن بن عجلان كان متخوفاً من مجيء فيروز الساقي وظن أنها خدعة لكي يصرف أتباعه ثم يمارس أمير الحاج ما وكل به من القبض على حسن بن عجلان وابنيه فكان هذا الطلب من حسن تصرفاً جيداً يدل على حذره وبعد نظره.

ومع أن حسن بن عجلان أمر أتباعه بعدم التعرض للحجاج بأذى إلا أنه لم يسلم الحجاج من التعرض لهم من بعض رجال البادية الذين قدموا للمشاركة في المواجهة التي كانت متوقعة مع ركب الحجاج المصري بناءً على نداء حسن بن عجلان لهم قبل أن يتم الصلح مع خادم السلطان فيروز الساقي ، وكان هذا التعرض للحجاج عند صعودهم إلى عرفة ،وذلك لأن حسن بن عجلان لم يحج في عسكره لحفظ الحاج وذلك خوفاً من أن يقع بين أنصاره وركب الحجاج مالا تحمد عقباه ، كما أن هؤلاء الغوغاء استغلوا عدم اصطحاب الحجاج للسلاح فسهل عليهم التعرض للحجاج بالنهب والسلب ، وكان غالبية هؤلاء ليس لحسن بن عجلان عليهم سلطة وهم من المرتزقة الذين يستغلون الفتن في نهب

---

(١) هو فيروز الخازندار الرومي الساقي : تربى مع الناصر فرج من صغره فاختص به وولاه الخازندارية ونظر الخانقاه بسرياقوس وعمر أماكن كثيرة في البر والخير وشرع في بناء مدرسة عند سام داخل باب زويلة ، توفي في رجب سنة ٨١٤هـ . ابن حجر : إنباء الغمر ، ج٢، ص ٥٠١. السخاوي : الضوء اللامع ، ج٦، ص ١٧٥.

(٢) الفاسي : العقد ، ج٣، ص٣٦٢. الفاسي : الشفا ، ج٢، ص٤٢٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣،= =ص٤٦٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٩٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٦٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٤١٠. علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ص٤٦. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٢٦. عائشة العبدلي : إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية ، ص ٢٢١.

الناس والحجاج ، وهم من ضعاف الإيمان ، وعديمي الضمير ، أما الذين كانوا تحت إمرة حسن بن عجلان وأتباع أنصاره فلم يترك لهم حسن مجالاً للتعرض للحجاج بأذى [1]

ويبدو أن الأمير فيروز كان يحمل معه مفاوضات للصلح بين السلطة السياسية في مصر المتمثلة في السلطان الناصر فرج و حسن بن عجلان ، تحتوي على بقاء حسن بن عجلان في منصبه مقابل مبلغ كبير من المال ، وإذا لم يوافق حسن على ما قدم به فيروز يتم تنفيذ ما أمر به أمير الركب من القتال وعزل حسن بن عجلان يدلنا على هذا تأخر فيروز في مكة بعد الحج حتى أخذ معه إلى مصر ألف زكيبة[2] للسلطان وسافر بها عن طريق البحر.[3]

وهنا يظهر أن السبب الخفي وراء هذه الحملة هو رغبة السلطة السياسية في أخذ نصيب كبير من المال من حسن بن عجلان الذي ازدهرت التجارة في عهده وكثر دخل الإمارة من المال ، فأرادت أن يكون لها نصيب وافر بحكم أن إمارة مكة تتبع السلطة السياسية في مصر.

حملة الأمير قرقماس [4] الأولى عام ٨٢٦هـ/١٤٢٢م:

استمرت العلاقة الحسنة بين السلطة السياسية في مصر و حسن بن عجلان أمير مكة المكرمة طيلة أربعة عشر عاماً حيث استطاع حسن بن عجلان أن يكسب ود السلطة

---

(١) الفاسي : العقد ، ج٣، ص ٣٦٣. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢، ص٤٢٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٤٦٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٩٠. العاصمي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٦٩.السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٤١٠. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٨٦. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٢٦.

(٢) الزكيبة لم نعثر لها على تعريف ومن النص تبدو أنها وعاء يحفظ فيه المال أثناء السفر .

(٣) الفاسي : العقد ، ج٣، ص ٣٦٣. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢، ص٤٢٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٤٦٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٩٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٦٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٤١٠. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٨٦. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٢٧.

(٤) هو الأمير قرقماس الشعباني الظاهري ، ترقى في المناصب العسكرية حتى تولى إمرة طبلخاناة ، قدم إلى مكة مع علي بن عنان بن مغامس ، وكان شريكاً له في الإمارة ، وأقام بها نحو سنة ثم قدم القاهرة ، وشغل منصب الحجوبية الكبرى في الدولة ، ثم عين في نيابة مدينة حلب ، ثم عزل عنها وكان أحد الأمراء البارزين في الأحداث السياسية في قصر الحكم في القاهرة في عهد الظاهر جقمق ، ثم سجن وقتل سنة ٨٤٢هـ . ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج٢، ص٥٤٢. السخاوي : الضوء اللامع ، ج٦، ص٢١٩.

السياسية في مصر ، وبعد أن تولى عرش السلطة السلطان الأشرف برسباي ، ساءت العلاقة بين السلطة السياسية في مصر و حسن بن عجلان ، وكان السبب في سوء العلاقة سوء معاملة حسن بن عجلان لتجار قدموا من الهند إلى جدة في العام السابق ،حيث قام بالاستيلاء على بضائعهم وباعها على تجار مكة بمبلغ كبير من المال، ويبدو أن خبر التجار الهنود قد وصل إلى السلطان الأشرف برسباي وهذا يدل على الاهتمام بالتجارة الدولية وتنميتها[1] ، وكان تصرف حسن معاكساً لرغبة الدولة ، فأرسل السلطان الأشرف برسباي إلى حسن بن عجلان كتاباً شديد اللهجة يعتب عليه في أخذ التجارة الهندية ويأمره برد ما أخذه على التجار. [2] ويبدو أن حسن بن عجلان ماطل في تنفيذ ما أمره به السلطان برسباي حيث لم تذكر المصادر أن حسن بن عجلان قام برد المال إلى أهله أو تسليمه للسلطة السياسية في مصر ، فقرر السلطان تنحيته عن الإمارة ، وأراد أن يتم القبض على حسن بن عجلان في موسم الحج ، فتخوف حسن بن عجلان من ملاقاة ركب الحجاج لكثرة من به من الأمراء [3] الذين قدموا لأداء فريضة الحج وهم يشكلون قوة كبيرة مع حامية الحجاج بقيادة الأمير قرقماس لذا تخوف حسن وغادر إلى الجهة الجنوبية لمكة [4] ،

---

(١) كان مما زاد رغبة السلطان برسباي بأمر الحجاز هو ما أخبره به الأمير يشبك الساقي الأعرج الذي كان منفياً بمكة منذ عهد السلطان المؤيد شيخ وبقي في مكة مدة طويلة مكنته من معرفة تامه بأمورها ، فعندما عاد إلى القاهرة في عهد السلطان برسباي أخبره بموارد الحجاز من التجارة مما رغب السلطان في السيطرة المباشرة على الحجاز لأخذ العوائد المالية من التجارة .ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٤، ص٢٦٠.

(٢) كان التجار الهنود قد عدلوا عن ميناء عدن ونزلوا في ميناء جدة ، فكان هذا الإجراء لصالح الدولة المملوكية حيث قدمت التجارة الهندية إلى موانئها في الحجاز دون المرور باليمن ، فكان تصرف الشريف حسن مع التجار بهذه الطريقة سيء جداً مما أغضب السلطة السياسية في مصر . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٨٨، ٥٩٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٣٤٠.

(٣) حج في هذه السنة عدد من الأمراء هم : الأمير ياقوت مقدم المماليك كان أمير الركب ، والأمير إينال الششماني أمير الركب الأول ، وأمير الركب الشامي الأمير برسباي حاجب الحجاب ،ومعهم الأمير قجمق أمير سلاح والأمير أركماس الظاهري ، والأمير قرقماس ، والأمير شيخ ، والأمير قنصوه النوروزي ، وحج معهم القاضي زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش المملوكية . العيني : عقد الجمان ، ج٤، ص ٢٠٩.

(٤) كان الشريف حسن قد أرسل إلى السلطان برسباي يطلب الصفح عنه ويطلب أن يرسل السلطان له منديل الأمان دليلاً على رضاه عنه ، فأرسل السلطان خطاب تطمين وأنه راض عنه ، ويطلب منه ملاقاة ركب الحجاج ، وكان الركب بعد عدد من الأمراء ، و معهم عدد كبير من الحجاج ، فيما يبدو أن بعضهم كانوا

فعندما وصل ركب الحجاج إلى مكة استدعوا حسن بن عجلان للحضور فرفض المجيء وذلك خوفاً على نفسه من القبض عليه ، فأرسل ابنه بركات ، ولكن أمراء الحجاج لم يقتنعوا إلا بحضور حسن بن عجلان ، فلما أيسوا من حضوره ، أرادوا أن يعينوا رميثة بن محمد بن عجلان الخصم السابق لحسن بن عجلان ، فأرسلوا يستدعونه ، وقد كان مرافقاً لعمه حسن بن عجلان في جنوب مكة فلم يستطع المجيء إليهم ، ويبدو أن أمراء الحاج أرادوا أن يعيدوا الصراع بين ا رميثة بن محمد بن عجلان وعمه حسن ، وذلك نكاية في حسن لعدم الرضوخ لمطالبهم بالحضور إليهم ، وعندما علم حسن بن عجلان بنوايا الأمراء في تولية ابن أخيه رميثة بن محمد بن عجلان ، أرسل ابنه بركات لملاقاة الأمراء ومحاولة إقناعهم بعدم التغيير في إمارة مكة ، فاجتمع بركات بأمراء الحاج في يوم النحر واستطاع أن يقدم لهم ما يحتاجونه من مؤن وهبات كلفته ما يساوي (٥٠٠٠) آلاف أفلوري [(١)] ذهباً وقيل (٦٠٠٠)آلاف ، وكان هذا العمل له دوره في تثبيط الأمراء عن تغيير الوضع السياسي في مكة فرحلوا دون تعيين أمير لمكة [(٢)] فعاد حسن بن عجلان بعد رحيل الحجاج إلى ولايته.

حملة الأمير قرقماس الثانية عام ٨٢٧هـ/١٤٢٣م:

عندما عاد الأمراء إلى مصر بعد الحج في العام السابق ، أقام الأمير قرقماس في ينبع ينتظر ما يأمر به السلطان الأشرف برسباي بعد أن أرسل إليه بخبر حسن بن عجلان وعدم حضوره لخدمة المحمل[(٣)]، وهذا يدل على أن الأمير قرقماس هو قائد الحملة العسكرية السرية التي كان هدفها القبض على حسن بن عجلان ولكنه لم يتمكن من ذلك لتيقظه .

جنوداً في صفة حجاج ، لذا تخوف الشريف حسن و لم يلاق ركب الحاج . الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٣٨٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٩٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٣٤١.

(١) الدينار الفلوري : نسبة إلى مدينة فلورنسا الإيطالية ، وقد تعامل به الناس بمكة المكرمة منذ بداية القرن التاسع الهجري . الزهراني ، وغباشي : تاريخ مكة المكرمة التجاري ، ص١٠٠.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٣٨٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٩٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٣٤٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٧٠٦.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٣٩٠. المقريزي : السلوك ، ج٧، ص٨٧. العيني : عقد الجمان ،ج٤،ص ٢٠٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٩٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٧٠٦.

أمر السلطان الأشرف برسباي بتجهيز حملة عسكرية من الجنود المماليك فجهز (١١٤)فارساً وأنفق لكل فارس (٤٠) ديناراً وأمرها بأن تنظم إلى القوات المتواجدة مع الأمير قرقماس وتكون تحت قيادته وانضم إليهم عدد من أهل ينبع ووادي الصفراء ، وكان بصحبة الحملة علي(١) بن عنان بن مغامس ، وقدمت الحملة إلى ينبع فانضمت إلى القوات المتواجدة بها وسارت جميعاً بقيادة الأمير قرقماس الشعباني إلى مكة فدخلتها في يوم الخميس السادس من جمادى الأولى سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م بعد أن خرج منها حسن بن عجلان وأنصاره إلى الجهة الجنوبية لمكة ، عندما سمعوا بقدوم الحملة المصرية، وتم تنصيب علي بن عنان بن مغامس أميراً على مكة (٢)

لم تستطع الحملة العسكرية القبض على حسن بن عجلان ، ولكنها استطاعت أن تبعده عن مكة وتغير وضعها السياسي عندما نصبت علي بن عنان بن مغامس أميراً عليها ، وبهذا تكون قد حققت بعض أهدافها ، أما خروج حسن بن عجلان دون الاشتباك مع جنود الحملة المصرية كان يدل على حكمنه وحنكته ، فقد حافظ على قواته من هزيمة محتملة لو تصدى لتلك القوات ، والأمر الآخر أنه احتفظ لدى السلطة المملوكية بحسن التعامل حيث ترك طريق الرجعة إلى ولاية مكة ممكناً حيث إنه لم يعمل على إغضاب السلطة المملوكية فيما لو هاجم حملتها وفتك بجنودها ، لأنه لو تصرف هذا التصرف يعني إعلانه للاستقلال عن السلطة السياسية في مصر ، وهذا أمر لا تقبله السلطة السياسية في مصر لمكانة الحجاز في قلوب العالم الإسلامي ، ونماء التجارة في الحجاز الذي أصبح يهم الدولة المملوكية بشكل كبير .

---

(١) هو الشريف علي بن عنان بن مغامس بن رميثة الحسني ، عين أميراً لمكة سنة٨٢٧هـ ، وعزل في سنة ٨٢٨هـ بحسن بن عجلان ، ورحل إلى القاهرة فاعتقل بها إلى أن مات سنة٨٣٣هـ . ابن فهد : الدر الكمين ، ج٢، ص ١٠٤٥. السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٥، ص ٢٧٢.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٣٩٠. المقريزي : السلوك ، ج٧، ص٨٧. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة= =ج١٤، ص ٢٦٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٦٠٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٣٤٣. ابن فهد : الدر الكمين ، ج٢، ص ١٠٤٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٧٠٩. السنجاري : منائح الكرم، ج ٢، ص ٤٣٢. ٨٧. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٣٨.

أقام الأمير قرقماس في مكة مع جنوده الذين قدم بهم ، ويبدو أن السلطة المملوكية أمرته بالبقاء لحفظ إمارة مكة من عودة حسن بن عجلان ، وأيضاً لضمان رواج التجارة في ميناء جدة [1]، لذا نرى الأمير قرقماس و علي بن عنان يتعقبان حسن بن عجلان للتخلص منه بعد أن فشلت محاولة في استدراجه والقبض عليه ، وكانت هذه المحاولة بعد عودة الحجاج من موسم عام ٨٢٧هـ ، ولكن حسن بن عجلان أعرض عن محاربة الحملة المصرية وغيرّ مقر إقامته تفادياً لأي صدام عسكري مع القوة المصرية مما يدل على رغبته في تفادي الحرب حتى لا يُغضب السلطة المملوكية فيما لو انتصرت قواته على قواتها وفي نفس الوقت خوفاً من الهزيمة [2] .

وبهذا تكون الحملة المصرية قد نجحت في تحقيق بعض أهدافها ، وهي تعيين أمير لمكة هو علي بن عنان بن مغامس ، والعمل على توفير الاستقرار الأمني في مكة وجدة مما أدى إلى رواج التجارة ، وقدوم السفن التجارية العالمية .

حملة الأمير أرنبغا الناصري[3] عام ٨٣١هـ/١٤٢٧م:

كان لاهتمام الدولة المملوكية بأمر الموارد المالية لإمارة مكة من التجارة العالمية منذ عهد السلطان برسباي أثره على أمير مكة ، حيث قل نصيبه من المتحصل من المكوس

---

(١) ذكرت بعض المصادر مثل ابن تغري بردي في كتابه ، النجوم الزاهرة ، ج١٥، ص٤٦٧.والمقريزي ، في كتابه السلوك ، ج٧، ص٨٧. أن الأمير قرقماس أُشرك في إمارة مكة مع علي بن عنان بن مغامس ، وهذا مستبعد حيث أن المؤرخين المعاصرين مثل الفاسي ، وابن فهد لم يذكرا أن الأمير قرقماس دعي له على منبر مكة المكرمة شريكاً في إمرتها ، كما أنه بعد عزل الشريف علي بن عنان لم يبق الأمير قرقماس في مكة المكرمة شريكاً للشريف حسن بن عجلان ، وأن دور الأمير قرقماس كان القيادة العسكرية للحملة المصرية والنظر إلى الأمور الأمنية والتجارية في منطقة الحجاز .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٣٩٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٦١٩،٦٠٤ . المقريزي : السلوك ، ج٧، ص ١١٦ ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٣٤٣. ابن فهد : الدر الكمين ، ج٢، ص ١٠٤٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٧٠٩..

(٣) هو الأمير أرنبغا اليونسي الناصري فرج عمل أمير عشرة ورأس نوبة في أيام الأشرف برسباي ، وجاور بمكة المكرمة مقدماً على المماليك السلطانية سنين ثم جعله الظاهر من جملة الطبلخانات ثم قدم الأشرف إينال فلم تطل أيامه ومات في ربيع سنة ٨٥٧هـ. ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج٢، ص٣٣٦. السخاوي : الضوء اللامع ، ج٢، ص٢٦٩.

لتدخل الدولة في أمر ميناء جدة والإشراف المباشر على تجارته [1]، فقل لهذا نصيب القوى الفاعلة في مكة من الأشراف والقواد الذين كانوا يتلقون مبالغ كبيرة من أمير مكة كعوائد سنوية مقابل عدم إثارتهم الشغب بالتعرض للحجاج والمعتمرين والتجار و السكان بسوء ، ووصل الأثر إلى نقص عوائد أفراد الأسرة الحاكمة من أبناء عجلان فكان هذا إيذاناً بظهور بوادر تمرد وعصيان على أمير مكة ، وعندما لم يكن للأمير بركات بن حسن بن عجلان مقدرة على تسليم ما يحتاجه أفراد الأسرة الحاكمة من أبناء حسن بن عجلان،تقدم عدد منهم إلى الأمير شاهين [2] بأن يعطيهم من المال ما كانوا يأخذونه منذ أيام أبيهم حسن بن عجلان،فرفض الأمير شاهين أن يعطيهم شيئاً وذلك خوفاً من السلطة السياسية في مصر، فما كان من الأشراف إلا أن هددوه بالقتل ، فأرسل إلى السلطة السياسية في مصر بأمر الأشراف ، كما أرسل الشريف بركات إلى السلطان برسباي يخبره بأن أخويه الشريف إبراهيم والشريف أبي القاسم قد أظهرا التمرد عليه ، فأرسل يطلب النصرة عليهم ، فما كان من السلطان برسباي إلا أن أمر بإرسال حملة من الجند تقدر بخمسين فارساً تحت قيادة الأمير أرنبغا ، فخرجت الحملة في شوال سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م ، واستطاعت أن تمنع التهديد الذي كان يحدث للموظف المسؤول عن حفظ أموال الدولة من التجارة العالمية وساعدته في حفظ الأموال من النهب ، كما أنها استطاعت أن تدفع الخطر عن إمارة مكة فما إن سمع الشريف أبو القاسم وإبراهيم بخبر قدوم الحملة حتى خرجا من مكة [3].

---

(١) قامت الدولة المملوكية منذ عام ٨٢٧هـ بالاهتمام بأمر التجارة في الحجاز ، وتدخلت تدخلاً مباشراً فيها ، بحيث أصبحت ترسل من قبلها من يتحصل لها الضرائب والمكوس ، وفرضت أنظمة جديدة للتجارة في الحجاز. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٤، ص ٢٦٠. المقريزي : السلوك ، ج٧، ص ١١٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٦٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٤٣٤.

(٢) هو الأمير شاهين الجمالي ، شغل منصب ناظر الخاص ، ترقى في المناصب حتى شغل شادية جدة سنين كثيرة= =كما تولى عمارة الحرم المكي ، وعمل في إجراء عين حنين في مكة ، وكان جيد المباشرة ، كان عاقلاً فاهماً ، ساكناً ، مقبلاً على العلم ، جم الأدب . السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣، ص ٢٩٣.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص ١٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٤٠١. ابن فهد : الدر الكمين ، ج٢، ص ١٣٣٠. المقريزي : السلوك ، ج٧، ص ١٧٨. العيني : عقد الجمان ، ج٤، ص٣٣٦. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٤٠.

حملة الأمير يشبك الصوفي[1] عام ٨٤٥هـ/١٤٤١م:

في عام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م طلب السلطان الظاهر جقمق من الشريف بركات بن حسن بن عجلان الحضور إلى القاهرة لمقابلته ، ويبدو أنه أراد بمجيء الشريف بركات إلى القاهرة أن يعيد معه تنظيم وضع الموارد المالية لإمارة مكة المكرمة ، ومخصصات الدولة من هذه الموارد ، وعندما أراد الشريف بركات السفر إلى القاهرة تعلق به التجار وأهل مكة المكرمة طالبين منه عدم المغادرة ، وذلك لتوقعهم اضطراب الأمن ، ونهب أموالهم ، عند هذا أرسل الشريف بركات إلى السلطان الظاهر جقمق بما حدث من التجار وأهل مكة المكرمة وأن المصلحة في بقائه لحفظ الإمارة من أي تجاوزات تحدث من قبل المتربصين بالناس من تجار ومواطنين ، وأسند طلبه هذا بشهادة من أمير الحامية المملوكية المرابطة في مكة الأمير سودون المحمدي على ما حدث وأن المصلحة في بقاء الشريف في مكة ، كما تعهد بركات بن حسن بن عجلان بأن يرسل (١٠)آلاف دينار من ماله الخاص ،و (٥) آلاف دينار من مال آل شكر [2] فتمت الموافقة على عدم ذهابه وبقائه في مكة فأرسل بركات من تجارة الفلفل مايساوي (١٥)ألف دينار إلى مصر[3] ، فأُرسل له تشريف الولاية وأعفي من تقديم شيء من المال لأمراء ركب الحجاج عندما يقدمون إلى مكة[4] .

ومع ما تم من موافقة على عدم ذهاب بركات بن حسن بن عجلان إلى القاهرة لمقابلة السلطان ، وما أبداه السلطان من رضى عن إلا أن بركات كان متخوفاً من السلطان المملوكي الظاهر جقمق ، لظهور إشاعة بين الناس أن أمراء الحاج سوف يقبضون على بركات بن حسن بن عجلان إذا حضر لملاقاة الركب ، وكان مما زاد من تخوفه أنه في هذا

---

(١) هو الأمير يشبك المؤيدي الصوفي ، ترقى في الوظائف المملوكية شغل منصب رئيس نوبة النوب وتوجه إلى الحجاز مقدماً على المماليك السلطانية ، ثم شغل نائب حلب ، ثم نيابة حماة ، ثم نيابة طرابلس ، ثم أتابكية دمشق ، مات في صفر سنة ٨٦٣هـ. ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج٢، ص٧٨٨. السخاوي : الضوء اللامع ، ج١٠، ص ٢٧٠.

(٢) آل شكر : هم وزراء الشريف بركات من أشهرهم زين الدين شكر وزير الشريف حسن بن عجلان ، وقد كان وزير والده الشريف حسن بن عجلان . السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣، ص٣٠٦.

(٣) يبدو أن السلطان قد وصلته أخبار عن أخذ الشريف بركات ووزيره شكر أموالاً زائدة عن ما خصص له يدلنا على هذا ادخال آل شكر في تسليم المال للدولة وهم ليسوا أمراء مكة المكرمة .

(٤) المقريزي:السلوك،ج٧،ص٤٦٤.ابن فهد:إتحاف الورى، ج٤، ص ١٦١. ابن فهد :غاية المرام ،ج٢، ص٤١٨.

العام٨٤٤ هـ/١٤٤٠م حج عدد كبير من الأمراء يصل إلى أربعة عشر أميرًا فقام بركات بحشد جنده والتحرز من أمراء الحاج ، حتى أنه لم يقف مع الأمراء في موقف عرفة خوفاً على نفسه من القبض عليه بل وقف خارج الموقف في جنده يراقب الحج [١] ويبدو أن موقف بركات بن حسن من ركب الحاج قد أغضب السلطان الظاهر جقمق ، فأرسل من جديد في ربيع الأول سنة ٧٤٥هـ/١٤٤١م طلباً إلى بركات بأن يقدم إلى القاهرة ، وكان السلطان في هذه المرة قد قرر أن يعزل بركات ويولي أخاه علي بن حسن بن عجلان المقيم في القاهرة منذ عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م[٢] حيث خلع عليه بأمارة مكة في شهر جمادى الأولى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م وزوده بمبلغ من المال ، وأمر بتجهيز حملة عسكرية تتكون من (١٥٠)فارساً تكون مهمتها مرافقة علي بن حسن بن عجلان إلى مقر إمارته بمكة والتصدي لقوات بركات بن حسن بن عجلان إذا قاومتها ، وكانت تحت قيادة الأمير يشبك الصوفي فقدمت إلى مكة ، وما أن سمع بها بركات بن حسن بن عجلان حتى غادر متجها إلى الجهة الجنوبية لمكة دون أن يدخل معها في صراع عسكري ، فدخل علي بن حسن بن عجلان مع جنود الحملة المصرية في بداية شهر شعبان سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م مكة [٣] ونودي له بالإمارة بدلاً من أخيه بركات بن حسن بن عجلان . وبهذا تكون هذه الحملة قد حققت هدفها في تنحية بركات عن إمارة مكة وتولية أخيه الشريف علي بن حسن بن عجلان أميراً جديداً لها .

لم يقبل بركات بن حسن بن عجلان بتنحيته عن إمارة مكة وأخذ يجمع الأتباع والأعوان ويتحين الفرصة لملاقاة أخيه علي والقوات المصرية المرابطة في مكة ، وبعد أن جمع حسن بن عجلان أتباعه هاجم مدينة جدة في مسعى لضرب اقتصاد مكة والتأثير على موارد الدولة

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤، ص١٦٣. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص٤٢١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٧٢٩.

(٢) ابن فهد:إتحاف الورى ، ج٤، ص ١٢٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٤١٤. السنجاري : منائح الكرم،ج٣، ص٢٨.

(٣) العيني : عقد الجمان ،ج٤، ص٥٧٠.ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٥، ص٣٤٩. ابن تغري بردي : حوادث الدهور ، ج١، ص٥٨. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٤، ص ١٧٠. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٢٢،٤٨٨. ابن فهد : الدر الكمين ، ج٢، ص١٠١٦. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٨٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤،ص٢٨١.

المملوكية ولكي يثبت للدولة أن باستطاعته أن يهدد مواردها المالية من ميناء جدة ، و عندما علم علي بن حسن بن عجلان بدخول أخيه بركات بأتباعه مدينة جدة خرج لملاقاته بعسكره وجنود الحملة المصرية والتقى الفريقان خارج مدينة جدة واستطاع علي وجند الحملة المصرية أن يوقع الهزيمة بأخيه بركات وجنده مما اضطره إلى الهرب من ساحة المعركة[١] وبهذا تكون الحملة قد حققت نجاحاً ثانياً بهزيمة بركات وتأمين إمارة علي بن حسن بن عجلان على مكة.

حملة الأمير قيت الرجبي[٢] عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م:

كان الصراع الذي دار بين أبناء محمد بن بركات بن حسن بن عجلان على إمارة مكة مريراً وقد أثر على أمن الحاج حيث أصبحت الطرق غير آمنة من ينبع إلى مكة ، وكان لتتابع الهزائم والانتصارات لكل من المتخاصمين من أبناء محمد بن بركات أن احتارت السلطة السياسية في مصر في تولية الإمارة لأحد أبناء محمد بن بركات فعندما تعين أميراً من قبلها لا يلبث أن يتمرد عليه أخوته ، فينزلون به هزيمة ساحقة تجعل السلطة السياسية في مصر مضطرة لتعيين المنتصر ،وذلك للمحافظة على سلامة الحاج ، وإقامة الشعائر الدينية بأمن وسلامة ، وهذا يدل على مدى الضعف الذي وصلت إليه .

وكان لانتصار جازان على أخيه بركات في عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م وما صاحب هذا الانتصار من تصرفات سيئة من قبل جند جازان تجاه أهل مكة من جميع شرائح المجتمع المكي ما أغضب السلطة السياسية في مصر المتمثلة في السلطان قانصوه الغوري فأرسل حملة عسكرية بقيادة الأمير الكبير قيت الرجبي وعينه أميراً لركب محمل الحجاج ، وعين معه

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،ج١٥، ص٣٥٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص١٧٨. ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص٤٩٥،٤٢٢. العصامي:سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٨١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص٣٨. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٤٤.

(٢) هو الأمير قيت الرجبي أتابكي الدولة المملوكية عين عام٩٠٨هـ كان يشغل أمير سلح في عهد السلطان العادل طومان باي عين أميراً لركب الحاج المصري وأميرلحملة عسكرية مصاحبة للركب بهدف تهدئة الأوضاع في مكة المكرمة ، قبض عليه السلطان قانصوه الغوري في رجب سنة ٩١٠هـ وصادر أملاكه . ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤ ، ص ٤٨،٧٣.

الأمير أنص باي وتحت قيادتهما (٦٠٠)جندي من المماليك السلطانية[1] وجعل لكل جندي في الحملة (١٠٠) دينار ذهباً نفقة له ، وزودهم بكل ما يحتاجونه من آلة الحرب ، وأمر السلطان بعدم حج النساء في هذا العام خوفاً عليهن من القتل والسبي إذا ما فشلت الحملة في لقاء العدو [2] ويبدو أن السلطان أراد بعدم حج النساء أن يكون الجيش أكثر حرية في حركته في القتال ، وأخف فيما إذا تقرر له الهرب لو حلت به هزيمة .

تحركت الحملة من القاهرة في الثاني والعشرين من شهر شوال لعام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م ويبدو أن أخبارها قد وصلت إلى مكة فقرر الشريف وأتباعه الخروج من مكة وعدم ملاقاة الحملة ، وفي نفس الوقت قرر الاتصال بأمير الحملة الأمير قيت الرجبي والعمل على إقناعه بتوليته الإمارة ، وكان بركات بن محمد ما إن سمع بخروج أخيه جازان وأتباعه من مكة حتى عاد إليها سريعاً في الثالث عشر من ذي القعدة سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م وأخذ يستعد لملاقاة ركب المحمل المصري [3] لم يكن الأمير قيت الرجبي يحمل مرسوماً صريحاً بتولية أحد أبناء محمد بن بركات ، لذا أراد الأمير قيت الرجبي أن يقبض على الإخوة المتنازعين.

استطاع جازان الخروج من مكة قبل وصول الحملة العسكرية ، وقام بتفريق قواته حتى لا تقضي عليها الحملة ولكي يجنبها الصدام العسكري ،وفي نفس الوقت أخذت رسله تصل إلى أمير الحملة الأمير قيت الرجبي تباعاً تعرض عليه مساندة جازان في توليته إمارة مكة مقابل مبلغ من المال ، وفي نفس الوقت تخوف الأمير قيت الرجبي من جازان وأتباعه من شن هجوم على قواته وركب الحجاج في المنطقة الممتدة من ينبع إلى مكة فقبل التفاوض مع

---

(١) المماليك السلطانية : هم طائفة من الجند وهم أعظم الجنود المماليك شأناً و أرفعهم ، وأقربهم إلى السلطان وأكثرهم إقطاعاً ، منهم يتم اختيار الأمراء ، وكانوا عدداً كبيراً . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤، ص١٥.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٦٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص٧. ابن إياس:بدائع الزهور ،ج٤، ص٤٨. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨٦. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص٢٨٣. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٦٣٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٩٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١٣٣. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٦٧.

(٣)ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٦٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص٧. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص٤٨. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨٦. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص٢٨٣. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٩٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١٣٤. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٦٧.

رسل جازان له لكي يحقق أمرين : الأول ، سلامة الحجاج وقواته المصاحبة له إذ لاطاقة لقواته بأن تحارب في صحراء لا تعرف مجاهلها ، وجميع سكان المنطقة من ينبع إلى مكة تحت زعامات تنتمي بولائها لجازان ، والثاني ، الحصول على مكسب مادي من هذه الحملة تعهد به جازان قيل إنه بلغ (٦٠)ألف دينار مخصصة للسلطان مقابل توليته الإمارة ، و(١٠)آلاف دينار للأمير قيت الرجبي خاصة [1].

بعد اتفاق الأمير قيت الرجبي مع مبعوثي جازان أمن الأمير قيت الجبي جانبه ، وفي نفس الوقت أراد أن يحقق له كسباً عسكرياً في الحجاز ويكسب به رضى السلطان قانصوه الغوري ، فأخذ يخطط على القبض على بركات بن محمد فبعث رسله لتطمين بركات وأن الحملة قصدها تعقب أنصار جازان ، ويمنيه بإمارة مكة ، فشاور بركات كبار مستشاريه من الأشراف والقادة فأشاروا عليه بملاقاة ركب المحمل حيث إنه هو الأمير الشرعي لمكة ، وإخوته هم الذين خرجوا ، فقام بملاقاة المحمل وتقديم ما يحتاجه رجال الحملة والحجاج من الزاد والمؤن، ودخل الركب مكة وقام الأمير قيت الرجبي بإلباس بركات خلعة الولاية، وبعد أن اطمأن بركات إلى أمير الركب ، وأخذ في التردد إليه في مقر سكنه قام الأمير قيت الرجبي بالتخطيط للقبض على بركات وعدد من أنصاره ، وفعلاً تم القبض عليه وعلى عدد من أنصاره ووضعت الأغلال في أعناقهم وأيديهم وكان هذا في بداية شهر ذي الحجة من سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م ، وقام الأمير قيت الرجبي بأداء شعائر الحج وبركات معه في الاعتقال تحت الحراسة المشددة ، ثم غادر الأمير قيت الرجبي مكة عائداً إلى مصر وفي صحبته بركات ومن اعتقل معه ، وعاد جازان إلى مكة حيث تم تنصيبه أميراً لها في يوم الخميس السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م[2]

---

(١)ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٨٠،١٢٧٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣،ص١٤٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١٣٤. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص٣١٠. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٦٨.

(٢)ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٧٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص١٤٤. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٨٣. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٩٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١٣٥. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص٣١٠. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٦٨.

وصل الأمير قيت الرجبي بالمعتقلين إلى القاهرة في غرة ربيع الأول سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م ، وعرض على السلطان ما قام به من أمور بمكة فلم يرض السلطان فعل الأمير قيت الرجبي من اعتقال بركات وترك جازان حراً طليقاً ، فأمر السلطان قانصوه بفك القيود عن بركات ومن معه من المعتقلين وأمر بإكرامه ولكن أمر بوضعهم تحت الإقامة الجبرية في القاهرة بحيث لا يغادروها إلا بعلم السلطان (١) وذلك خوفاً من عودهم إلى مكة فيعود القتال بين الأخوين من جديد .

حملة الأمير خايربك بن إينال (٢) عام ٩١٢هـ/١٥٠٦م:

لم تهدأ الأوضاع السياسية في مكة بعد تنصيب جازان أميراً لمكة ، حيث اختلف جازان مع أخيه حميضة وأدى هذا الخلاف إلى اغتيال جازان أثناء طوافه بالبيت الكريم في التاسع من رجب سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م ومن ثم تولى حميضة إمارة مكة (٣) وفي نفس الوقت استطاع بركات بن محمد الهرب من الإقامة الجبرية بمصر وخرج إلى الحجاز في السابع من شهر شوال سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م (٤) ، وبهذا يكون الصراع على الإمارة يوشك أن يعود من جديد بين حميضة وأخيه بركات ، ومع هذا فإن أنصار جازان من قبيلتي بني

---

(١)ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص٥٦. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨٧. العاصمي : سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٣٠١. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص٣١٠.

(٢) هو الأمير خاير بك بن إينال يلقب بالمعمار ويشغل منصب كاشف الغربية وهي المنطقة الوقعة غرب النيل في مصر ،وكان يتولى الإشراف على الكثير من العمائر السلطانية، ترقى في الخدمة العسكرية حتى وصل إلى أمير طبلخاناة في عهد السلطان قانصوه الغوري عين أميراً على العسكر المتوجه إلى مكة المكرمة في شهر رجب سنة ٩١٢هـ . ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص٢١٨. ابن إياس ، ج٤، ص١٠٥،١٠١.

(٣) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٣٠١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص١٦٥. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص٦٢. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨٧. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٣٠١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١٤٩. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص٣٢٢.

(٤) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص١٦٥. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص٦٢. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٨٧. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٣٠١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١٤٦. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص٣٢٠. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٦٩.

إبراهيم وزبيد قد غاضهم مقتل جازان فرفضوا طاعة حميضة ، كما أن حميضة لم يعمل على كسب هاتين القبيلتين لصالحه وأخذ في مهاجمتهم وتفريق جمعهم وتعقب زعمائهم مستعيناً في ذلك بالقوة العسكرية المصرية المقيمة في مكة والتي ساعدته في الوصول إلى الإمارة بعد التخلص من أخيه جازان ، وكان تصرفه هذا يعود لتخوفه أن يتم اغتياله على أيديهم انتقاماً لجازان ، فقد كانت تربطهم بجازان أواصر قربى [(١)] فعندما أخذ حميضة من هاتين القبيلتين موقفه السابق ، أخذوا يعيثون في الأرض فسادا،فقاموا باعتراض القوافل التجارية القادمة إلى مكة ونهبها [(٢)]

وزاد من اضطراب الوضع في إمارة مكة قدوم بركات بعد فراره من مصر إلى الحجاز حيث أخذ يجمع أعوانه ويهدد مكة والقادمين إليها من حجاج ومعتمرين وتجار ، وأخذوا في الغارة المستمرة على مكة كلما سنحت لهم الفرصة [(٣)]، وبهذا أصبحت مكة والمناطق المحيطة بها نهباً لكل فاسد وطامع حيث إن القوى المتصارعة على الإمارة كانت مشغولة ببعضها البعض ، فأصبحت المنطقة برمتها تسودها الفوضى ، فيتعذر مع هذه الحالة أداء الشعائر الدينية ، والقيام بالمصالح المادية للناس كافة .

لم يلبث أن عاد التحالف بين حميضة بن محمد بن بركات وقبيلة بني إبراهيم بقيادة زعيم ينبع يحيى بن سبيع ، وقبيلة زبيد بقيادة أميرها الشيخ مالك بن رومي ، وسبب هذا أن السلطة السياسية في مصر عينت قايتباي بن محمد أميراً لمكة بدلاً من الشريفين بركات بن محمد و حميضة بن محمد ، فقبل بركات هذا التعيين لأنه كان بإشارة منه ، وفي نفس الوقت

---

(١) كانت والدة الشريف جازان زينة بنت رومي زعيم قبيلة زبيد ، وأخوها الأمير مالك بن رومي أمير خليص . ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٣١٤.

(٢)ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٣٠٢، ١٣١٤، ١٣٣٢، ١٣٣٨.١٣١٥.عبد الكريم الخطيب : تاريخ ينبع= =، ص ٢٣٩. الجزيري : الدرر، ج٢، ص٧٨٨.

(٣) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٣٣٢،١٣٢٨، ١٣٣٨. ابن فهد :غاية المرام ، ج٣، ص ٨ ، ١٦٦. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص١٧٠،١٦٩.

غضب حميضة وأعلن تمرده ،وانضم إلى قبيلتي زبيد و بني إبراهيم وأخذ يستولي على كل ما تصل إليه يده من القوافل التجارية[1]

وفي شهر رجب سنة ٩١٠هـــ١٥٠٤م زحف حميضة بعدد من أتباعه من قبيلتي زبيد وبني إبراهيم إلى مكة ،وأعلن للناس أنه لم يأت إلا للتزود بالمؤن ، وكانت هذه حيلة منه لكي لا يحصل استعداد واستنفار لأنصار قايتباي وأخيه بركات لصده ، وكان قايتباي وأخوه بركات خارج مكة ، وعندما دخل حميضة بمن معه من الأتباع تبين قصده من أجبار السكان على دفع مبلغ من المال له ولأتباعه وإن لم يتم إرضاؤه بمبلغ من المال يترك أتباعه ينهبون البلد الأمين ،وإزاء هذا الموقف تصدت له الحامية المملوكية واستطاعت أن تلحق الهزيمة به وبمن معه ، حيث قتل عدد منهم وأجبرته على الخروج بأتباعه مهزوماً دون أن يحقق مراده وأخذ يهاجم القوافل التجارية القادمة من مدينة جدة [2]

وصلت أخبار زحف حميضة وأنصاره من قبيلتي بني إبراهيم وزبيد على مكة إلى أسماع السلطان قانصوه الغوري،فغضب وأمر بالقبض على من بمصر من رجال قبيلة بني إبراهيم وأودعهم السجن[3]، وأخذ يفكر بجد في مسألة تأديب هاتين القبيلتين اللتين عاثتا في أرض الحجاز فساداً بإرسال قوة عسكرية تعيد الأمور إلى نصابها ، وقرر السلطان أيضاً عزل أمير ينبع يحيى بن سبع حيث إنه كان يشكل القاعدة الخلفية المساندة لحميضة ، وأمر بتعيين الأمير هجار بن دراج [4] أميراً عليها ،وفي هذا الظرف انتشر في مصر مرض الطاعون [5]

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص ١٣٢٨،ج٣، ص١٣٤٨، ١٣٥٢، ١٣٥١. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٨٣. العاصمي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٣٠٢. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص ١٥٤. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص٣٢٣.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٣٧٠-١٣٨٢، ١٤٦١. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٩. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص ١٧٠.

(٣) الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٩.

(٤) الأمير هجار بن دراج ويقال هجان بن دراج ، تولى إمارة ينبع بدلاً من يحيى بن سبيع بعد تمرد الأمير يحيى وعصيانه للسلطان قانصوه الغوري . ابن فهد : غاية المرام ،ج٣، ص١٤٤، ١٨٧،

(٥) الطاعون : داء معروف وهو مرض يصيب الإنسان بسبب فساد الهواء ويسمى وباء حيث أنه يفتك بالبشر . ابن منظور : لسان العرب ، ج٨،ص١٦٩. الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، ص١٠٩٣. المنجد في الأعلام واللغة ، ج١، ص٤٦٦.

ففتك بعدد كبير من الناس في مصر مما جعل السلطان قانصوه الغوري يؤجل خروج الحملة العسكرية ويمنع خروج الحجاج إلى الأماكن المقدسة (١)

وفي شهر رجب سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م أمر السطان قانصوه بخروج الحملة العسكرية من مصر وقد أوكل قيادتها للأمير خايربك بن إينال ، وكان عددها (٦٠٠) جندي ، وطلب من بركات وأخيه قايتباي أن ينضما بمن معهما إلى الحملة المصرية بحيث يكونا في استقبالها في ينبع ،وهذا يدل على حرص السلطان على سلامة قواته حيث إن بركات وأخيه قايتباي يستطيعون مساعدة الحملة في تعقب الخارجين في مناطقهم التي يجهلها جنود الحملة.

زحفت الحملة إلى ينبع واجتمعت بقوات قايتباي وأخيه بركات ، وما أن سمع الأمير يحيى بن سبع ومن معه من قبيلتي بني إبراهيم وزبيد حتى أخذوا في الاستعداد لملاقاتها ، واشتبكوا معها بالقرب من ينبع ونجحت الحملة بمساعدة بركات وأخيه قايتباي وأتباعهما في أن يحققوا نصراً ساحقاً على يحيى وأنصاره، مما أضطرهم للفرار من أرض المعركة ثم أخذ جنود الحملة في تعقب الأمير يحيى ومن معه من الأتباع واستطاعت أن تنزل بهم هزيمة ساحقة في عدة مواقع وقتل عدد كبير من رجالهم ، مما أدى إلى تفرقهم وكسب جنود الحملة من الغنائم ما يفوق الحصر ، وأرسل برؤوس عدد من القتلى إلى مصر دليلاً على انتصار الحملة على قوات الأمير يحيى بن سبع وأتباعه من قبليتي بني إبراهيم وزبيد فسر السلطان قانصوه الغوري بما حققته الحملة من نجاح. (٢)

بعد أن حقق الأمير خاير بك انتصاره الساحق على الأمير يحيى بن سبع وأتباعه من قبيلتي زبيد وبين إبراهيم زحف متجهاً إلى مكة ، وقام بأداء مناسك الحج في صحبة بركات بن محمد وأخيه قايتباي ، ثم بعد انتهاء موسم الحج غادر الأمير وجنده الحجاز متجهاً إلى

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٤٠٦، ١٤٠٨، ١٤٨٠. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص٨٩. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٩٠ . عبد الكريم الخطيب ، تاريخ ينبع ، ص٢٣٩.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص١٥٤٢ــ١٥٥٠. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٨٧ــ٢٠٢. ابن إياس : بدائع الزهور،ج٤، ص٩٩. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٩٠. عبد الكريم الخطيب ، تاريخ ينبع ، ص٢٤٠.

القاهرة [1]، وبهذا تكون الحملة قد نجحت في تحقيق أهدافها وتأمين طرق الحج من ينبع إلى مكة ، وتحقق الأمن السياسي لإمارة مكة تحت زعامة قايتباي وأخيه بركات .

المبحث الثاني : الحملات العسكرية العراقية :

حرص خلفاء الدولة العباسية في العصر الأيوبي على أن يكون الحجاز تابعاً لهم وذلك لما يتمتع به الحجاز من مكانة روحية لدى جميع المسلمين في شتى أرجاء المعمورة ، فحرص خلفاء بني العباس على أن يدعى لهم على منبر المسجد الحرام بصفة أن الخليفة العباسي الرمز

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٥٥٦، ١٥٦٨،١٥٦٢. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص ١٠٩. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٩١. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص ١٧١.

الديني للعالم الإسلامي ، وقد كانت ترسل كسوة الكعبة المشرفة و تعين قاضي مكة وخطيبها من بغداد[1] لكي تضمن نفوذها الروحي على الأماكن المقدسة .

وكانت تحاول السلطة السياسية في بغداد أن يكون لها شيء من النفوذ في تسيير أمور الحجاز السياسية ، مع ما أصاب السلطة السياسية في بغداد من ضعف في فترات معينة من تاريخها الطويل ، وذلك عن طريق ما تقدمه لحكام الحجاز من هبات مالية [2] في محاولة لكسب قادته وتجنب الصدام معهم لما للمنطقة من مكانة روحية لدى العالم الإسلامي .

وعندما ترى الخلافة العباسية أن أحد أمراء مكة يحاول التمرد على سلطة الخليفة في بغداد ، ويمتد أثر تمرده على الحاج العراق كانت تبادر بإرسال حملاتها العسكرية التي تحاول من خلالها إعادة الأمور إلى نصابها لكي تضمن سلامة حاج العراق ، واستمرار التبعية الاسمية لها على الأماكن المقدسة ، ومن هذه الحملات العسكرية التي قدمت إلى مكة خلال فترة الدراسة ما يلي :

حملة الأمير طاشتكين عام ٥٧١هـ/ ١١٧٥م

حدث في عام ٥٧١هـ/١١٧٥م أن أرسلت الدولة العباسية حملة عسكرية إلى مكة كان الهدف منها القضاء على الوضع السياسي المضطرب ، منذ وفاة الأمير عيسى ابن فليته عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م فبعد وفاة الأمير عيسى بن فليته تولى ابنه الأمير داود [3]، فعارضه

---

(١) ورد أن الخليفة العباسي الناصر قد أرسل إلى مكة في عام ٥٧٩هـ ، من بغداد أبا جعفر محمد بن جعفر بن أحمد العباسي قاضياً وخطيباً لمكة ، فوصل مع ركب الحاج وعين في منصبه . الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٣١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢،ص ٥٤٩.

(٢) كانت السلطة السياسية في بغداد تحرص على أن يكون حاكم مكة المكرمة تابعاً لها ، فكانت تقدم له الهبات المالية والاقطاعات الزراعية ، فإذا ما غضبت عليه تصادر أملاكه ، كما فعلت باقطاعات الأمير مالك بن فليته بعد أن حدث الخلاف بينه وبين أخيه الأمير عيسى فقامت بمصادرة أملاكه في العراق سنة٥٦٧هـ، تضامناً مع أخيه الأمير عيسى . الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص٢٢. ابن فهد : غاية المرام ،ج ١، ص٥٣٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص ٥٣٣.

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، مجلد حوادث ٥٧١-٥٨٠، ص ٧.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٣٩. الفاسي : العقد ، ج٤، ص ٦٧،٤٣٧ . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص ٥٣٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج١،

أخوه الأمير مكثربن عيسى ، حيث قام الأمير مكثر بثورة على أخيه داود في النصف من رجب عام ٥٧١هـ/١١٧٥ فاستطاع أن ينتزع الإمارة منه [(١)] ويبدو أن الأمير مكثر قد حصل على مساندة الخلافة العباسية في بغداد ، لأن الخلافة العباسية المتمثلة في الخليفة العباسي المستضيء[(٢)] كانت غير راضية عن الأمير داود بن عيسى بسبب ما حدث لحجاجها في موسم حج عام ٥٧٠هـ/١١٧٤ من مضايقة وتعدٍ بالنهب والقتل[(٣)] فتم تنصيب الأمير مكثر بن عيسى أميراً ، ولكن يبدو أن الأمير مكثر قد قام بتصرفات أغضبت الخلافة العباسية في بغداد تمثلت في فرض المكوس الباهضة وبناء تحصينات عسكرية في مكة فقررت عزله وتعيين الأمير قاسم بن مهنا الحسيني [(٤)] أميراً لمكة بالإضافة لإمارة المدينة المنورة ، وقد أوكلت الخلافة العباسية إلى أمير الحاج العراقي طاشتكين القيام بهذه المهمة في موسم الحج ، فقدم الأمير طاشتكين بعد أن أكمل استعداداته الحربية من العتاد والجنود[(٥)] ، وذلك لمعرفته وتجربته السابقة في الصراع العسكري في مكة ،ورغبة في تحقيق ما رسمت به الخلافة العباسية

ص٥٣٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٥٦. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١٠٦.

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٣٩. الفاسي : العقد ، ج٤، ص ٦٧، ج٦، ص ١٢١. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٣٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٥٦. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص ١٠٦.

(٢) هو الخليفة أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفي محمد الهاشمي العباسي ، بويع بالخلافة بعد وفاة والده سنة٥٦٦هـ ، كان حليماً رحيماً شفيقاً ليناً ، كثير السخاء ، كان مناصراً لأهل السنة قامعاً لأهل البدع توفي في شوال سنة ٥٧٥هـ. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢١، ص٦٨.

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٩١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص ٥٣٥. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٥٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧٠.

(٤) هو الأمير قاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة المنورة ، تولى إمارة المدينة المنورة في زمن الخليفة العباسي المستضيء وأقام أميراً ٢٥سنة ، قدم إلى مكة المكرمة في موسم ٥٧١هـ مع الحاج ، وسلم له أمير الحاج إمارة مكة ثلاثة أيام ، ثم سلمت إلى الأمير داود بن عيسى بن فليته . الفاسي : العقد الثمين ، ج، ص ٤٥٩.

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ، مجلد حوادث ٥٧١-٥٨٠، ص ٧. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٣٩. الفاسي : العقد ، ج٤، ص ٦٧، ج٦، ص ١٢١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٣٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٣٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧١. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٦٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٥٦. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن،ج١، ص١٠٦.عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص٤٤.

ويبدو أنه أراد أن يأخذ بثأره من أهل مكة لمواقفهم السابقة من حملة الحجاج التي كان يقودها في عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م والتي نجح بصعوبة في خروجها سالمة بأقل الخسائر البشرية والمادية فزحف بركب الحاج وحملته العسكرية ، وقد سمع الأمير مكثر بن عيسى بخبر خروج الحملة وتسليحها ، وتنصيب أمير المدينة المنورة الأمير قاسم بن مهنا الحسيني أميراً على مكة فقرر المواجهة وأخذ في حشد الجنود من الأشراف وأهل مكة والقبائل المحيطة بها وتسليحها والاستعداد للقتال ، وقدم الأمير طاشتكين إلى مشعر عرفة وأقام الوقوف بعرفة للحاج وكان أغلب سكان البلد الحرام لم يخرجوا للحج خوفاً من القتل ، ثم زحف الأمير طاشتكين إلى منى ثم إلى مكة في يوم النحر الأول ، وحدثت المواجهة بين القوات العراقية والقوات المكية في الأبطح [(١)] واستمر القتال بقية يوم النحر واليوم الثاني والثالث ، فكانت حرباً شديدة انهزم على أثرها أهل مكة بعد أن صمدوا صموداً شديداً لمدة ثلاثة أيام ، ودخلت القوات العراقية مكة ، وعندما رأى الأمير مكثر الهزيمة حلت بقواته ، صعد إلى حصنه الذي أنشأه على جبل أبي قبيس[(٢)] فتبعته القوات العراقية ، وحاصرته به واستطاع الأمير مكثر أن يخلص من حصار القوات العراقية ، ويهرب من مكة ، فقامت القوات العراقية بهدم الحصن المذكور [(٣)] ، ثم قامت بنهب الناس ، واقتحام الدور عليهم وإحراق بعضها ، وأخذ كل ما يجدونه من أموال ومتاع ، وبعد نهاية المقاومة قام الأمير طاشتكين بتنصيب الأمير قاسم بن مهنا الحسيني أميراً على مكة ، فبقي أميراً ثلاثة أيام ثم عين الأمير

---

(١) الأبطح : أحد المواضع المشهورة بمكة ا منذ القدم ، وهو بين دار جعفر بن برمك التي كانت تقع بفوهة أجياد إلى سوق ساعة الذي يقع بفوهة شعب عام ، وقيل هو المحصب ،وهو مسيل الوادي وهو عند أهل مكة اليوم من المنحنى إلى الحجون ثم البطحاء من الحجون إلى المسجد الحرام . الفاكهي : أخبار مكة ، ج٣، ص ٧٥، حاشية ص٧٥، ٧٦. عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج١، ص٣١.

(٢) جبل أبي قبيس :هو أحد أخشبي مكة ، وهو الجبل المشرف على الصفا ويمتد إلى السويداء وإلى الخندمة ، وكان يسمى في الجاهلية الأمين لأن الركن الأسود كان مستودعاً فيه يوم الطوفان ، وقيل سمي بأبي قبيس لأن رجلاً أول من نهض بالبناء فيه كان يقال له أبي قبيس ، وقيل أن جبل أبي قبيس أول جبل وضعه الله في الأرض حين مادت . الفاكهي : أخبار مكة ،ج٤، ص ٤٥. الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٢٦٦.

(٣) قام الأمير مكثر بإعادة بناء الحصن من جديد حيث ذكر أن الأمير مكثر التجأ إليه في عام٥٨١هـ عندما هاجم الملك العزيز طغتكين بن أيوب مكة المكرمة . الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤٠. الفاسي : العقد ، ج٤، ص ٢٩٥. ابن فهد إتحاف الورى ،ج ٢، ص ٥٥٢. السنجاري : منائح الكرم ،ج٢، ص٢٦٢.

طاشتكين بدلاً منه الأمير داود بن عيسى بن فليته [1] وهنا يبدو لنا أن الأمير قاسم بن مهنا الحسيني عرف أنه لن يستمر في الحكم وذلك لما وقع على أهل مكة من النهب والقتل من هذه الحملة فلن يتركوه وشأنه بعد خروج القوات العراقية ، وأيضاً خروج الأمير مكثر بن عيسى سالماً من القتل ، فهذا الأمر لوحده كفيل بأن وضع ولاية الأمير قاسم بن مهنا لن يدوم طويلاً لأن الأمير مكثر سوف يقوم بحشد الجنود والهجوم المستمر على مكة فيكون الأمير قاسم بين نارين قوات مهاجمة من الخارج بقيادة الأمير مكثر ، وقوات متربصة في داخل مكة متمثلة في أهلها تترقب الفرصة في الوثوب على القيادة الجديدة ، لذا فقد دار بين الأمير قاسم بن مهنا الحسيني وأمير الركب العراقي حديث حول حمايته بعد سفر الحاج ، بمعنى أنه كان يرغب في بقاء قوة عسكرية من الحملة العراقية تسانده في الحكم فهو في بلد ليس له به أعوان،وهذا هو المقصود بقوله للأمير طاشتكين:(لا أتجاسر أن أقيم بعد الحج)[2] وبقاء قوة عسكرية في مكة أمر لم يكن يرغب فيه الأمير طاشتكين لأن أمراً مثل هذا يحتاج إلى موافقة الخليفة في بغداد ، عند هذا رأى الأمير طاشتكين أن من الحكمة أن يولي الإمارة أحد أبناء أسرة الأمير عيسى بن فليتة ، بعد أن يأخذ عليه العهود والمواثيق التي تجعل الخليفة في بغداد يرتاح لهذا الإجراء ، وكان الرجل المناسب لتولي الإمارة هو أميرها السابق الأمير داود بن عيسى بن فليته ، لأنه الخصم السابق لأخيه الأمير مكثر الذي انتزع منه الإمارة فسوف يقاوم عودة أخيه الأمير مكثر بكل السبل ، ونحن لا نستبعد أن الأمير داود ابن عيسى قد قدم مساعدة للأمير طاشتكين في حربه لأخيه الأمير مكثر ، مما جعل الأمير طاشتكين يحقق انتصاراً عسكرياً ، ويستطيع اقتحام حصن الأمير مكثر على جبل أبي قبيس، لذا رأى الأمير طاشتكين بعد تخوف الأمير قاسم بن مهنا من عواقب توليه إمارة مكة أن

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩، ص ١٣٧. الذهبي : تاريخ الإسلام ، مجلد حوادث ٥٧١-٥٨٠، ص ٧. الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص ٦٧، ج٦، ص ١٢٢. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٣٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٥٣٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٣٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧١. العاصمي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٢٠ .

(٢) ابن الجوزي ، جمال الدين عبد الرحمن بن علي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،تحقيق سهيل زكار، ط بدون دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٥،ج١٠، ص ٥٣١. الفاسي : العقد الثمين ،ج٤، ص ٦٧.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص ٥٣٦. ابن فهد : غاية المرام ،ج ١، ص ٥٣٥. الجزيري : الدرر ، ج١،ص ٥٧١.

يوليها الأمير داود ، فقام الأمير طاشتكين بتولية الأمير داود الإمارة وأخذ عليه العهود والمواثيق بإسقاط جميع المكوس التي فرضها والرفق بالرعية [1]،وهنا يتبين أن السبب الأول والرئيس لهذه الحملة كانت القضاء على المكوس التي كانت مفروضة على الناس وخصوصاً الحجاج[2] عند قدومهم إلى المشاعر المقدسة ، وقد عرف عن الخليفة المستضيء العباسي كرهه للمكوس التي تفرض على الناس في الدولة الإسلامية ، وكان وقد رفع المكوس التي كانت مفروضة على الناس في العراق عندما تولى الخلافة سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م ، ورد المظالم ، وأظهر العدل والإحسان إلى الناس[3] فمن باب أولى أن يرفع المكوس المفروضة على سكان حرم الله الآمن وحجاج بيته الطاهر . لذا نقول بأن الحملة العسكرية العراقية قد نجحت في تحقيق هدفها بنسبة كبيرة ،ولكن ما زال خطر الأمير مكثر بن عيسى قائماً ، لأن الحملة لم تفلح في القضاء عليه ، مما جعل الأمير مكثر يعاود الكرة وينتزع الإمارة من أخيه الأمير داود من جديد ومما يؤيد هذا أن السلطان صلاح الدين الأيوبي أمر الأمير مكثر عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م بأن يسقط المكوس[4] التي كانت تفرض على الحجاج [1]. وهنا يظهر

---

(١) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ج٢، ص١٢٣. الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص١٢٢. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٣٩. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣، ص٥٣٦. ابن فهد : غاية المرام ، ١، ص ٣٥. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٦٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧١. فريال قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص ١٨٠. جميل حرب محمود حسين : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ٣٠.

(٢) كانت المكوس التي يفرضها أمراء مكة على الحجاج مقلقة لزعماء العالم الإسلامي وخصوصاً زعماء مصر والعراق ، وقد أمر السلطان صلاح الدين عام ٥٦٩هـ أمير مكة بإلغاء المكوس وعوضه باقطاعات بالديار المصرية وكمية من القمح تصله سنوياً إلى مكة . أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق إبراهيم الزيبق ، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٨هـ ، ج٣، ص ٩، ١٠. النويري :نهاية الأرب ، ج٢٨، ص ٣٦٥. الكردي : التاريخ القويم ، ج٢، ص ٢٢٠. مالكي ، سليمان عبد الغني : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية ، ص ٩٨.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص ١٤٨.الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢١، ص ٦٨. ابن كثير: البداية والنهاية ، ج١٢، ص٣٠٤.

(٤) أمر السلطان صلاح الدين الأيوبي أمير مكة الأمير مكثر بأن يسقط المكوس التي كانت تؤخذ من الحجاج ومن لا يسلم ما رسم عليه يحبس ويعذب حتى يؤدي ما طلب منه أو يفوته الحج ، فألغاها السلطان صلاح الدين ، وعوض أمير مكة المكرمة ألفي دينار ، وألف إردب قمح وقيل ثمانية آلاف وإقطاعات بصعيد مصر واليمن ، وقيل إن إلغاء المكوس كان بمشورة من الشيخ علوان الأسدي الحلبي الذي حج سنة٥٧٢هـ وقد كانت هذه

أن تصرف السلطان صلاح الدين هذا كان بإيعاز من الخلافة العباسية [٢]،لأن الخلافة العباسية المتمثلة في شخص الخليفة المستضيء لم تعاود إرسال حملة عسكرية إلى مكة في عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م وهو العام التالي لحملتها السابقة مع أن قائد ركب الحاج العراقي كان قائد الحملة العسكرية السابقة [٣]، ولم يحدث بين الركب العراقي والأمير مكثر وأهل مكة صدام في موسم الحج مما يؤيد أن الخلافة العباسية أوكلت إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي تتبع موضوع إلغاء المكوس من مكة وعدم إرسال حملات عسكرية من بغداد لهذا الغرض.

حملة عام ٦٠٨هـ/١٢١١م

في عام ٦٠٨هـ/١٢١١م أرسلت الخلافة العباسية حملة سرية عمادها عدد بسيط من الأفراد الذين كانوا مرافقين لركب الحجاج بهدف قتل الشريف قتادة بن إدريس فإنه من المؤكد أن خلافاً بدأ في الظهور بين الخلافة العباسية وأمير مكة قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني منذ أن أقدم قتادة على قتل إمام الحنفية وإمام الشافعية بمكة ،ونهب الحاج اليمني في

المكوس منذ العصر الفاطمي حيث كانت تجبى من ميناء عيذاب في جنوب مصر أو من ميناء جدة . ابن جبير : الرحلة ، ص٣٠، ٧٤.أبو شامة ، الروضتين ، ح٣، ص٩. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٩٢. الفاسي : العقد الثمين ،ج ١، ص ٣٤١. المقريزي : السلوك ، ج١، ص١٧٤. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦، ص٧٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٣٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٤٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧٢. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٥٨.الزهراني ، غباشي :تاريخ مكة المكرمة التجاري ، ص ٢٩.ك سنوك : صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، ص١٦٦.

(١) الفاسي: العقد الثمين ، ج١، ص ٣٤١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٣٨. السنجاري : منائح الكرم، ج٢، ص ٢٥٨. الزهراني ، غباشي : تاريخ مكة المكرمة التجاري ، ص٢٩.

(٢) كانت الخلافة العباسية قد طلبت من السلطان صلاح الدين إرسال حملة عسكرية إلى اليمن للقضاء على الداعية عبد النبي بن علي الذي تزعم الدعوة للمذهب الشيعي في اليمن ، وقتل عدداً كبيراً من الناس ، وكان ذلك عام ٥٦٩هـ فأرسل السلطان صلاح الدين حملة بقيادة أخيه توران شاه ضمت اليمن وأعادت الخطبة لبني العباس به وقدكان السلطان صلاح الدين مظهراً لتعاليم السنة ، ومطيعاً للخليفة العباسي في محاولة لكسب رضاه وهذا ما تم فعلاً . يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج١، ص٣٢٢.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ١٤٣. الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص٢٩١. ابن فهد : إتحاف الورى، ج٢، ص٥٣٨.

عام ٦٠٦هـ/١٢١٩هـ[١] ، ويبدو أن هذا الخلاف كان يأخذ منحىً دينياً فقتادة كان على المذهب الزيدي[٢] ، وقتله لإمام الشافعية والحنفية يبدو أنه بسبب مذهبي ، و لم تذكر المصادر التي ذكرت هذه الحادثة سبب قتل الإمامين كما أنها لم تذكر اسميهما ، ولكن الذي تبين أن قتادة قد ساءت سيرته بعد أن استتب له الأمر فقام بتجديد المكوس على الناس ونهب الحاج[٣] ويحتمل أن الإمامين كان لهما موقف ناقد لتصرفات قتادة المخالفة لتعاليم الدين الإسلامي فقام بالتخلص منهما [٤] والظاهر أن قيام قتادة بتجديد المكوس هو عدم حصوله على ما كان مخصصاً لأمير مكة في عهد إمارة الأمير مكثر من مخصصات مالية ومواد غذائية التي أمر بها السلطان صلاح الدين الأيوبي كما ذكر سلفاً ، ويبدو أن خلفاء صلاح الدين لم يهتموا بأمر الحجاز لانشغالهم بصد الحملات الصليبية [٥] على بلاد الشام

---

(١) أبو شامة ، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي : تراجم الذيل على الروضتين)) ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، ط١، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ص٧٧.ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص ٩٢. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٦٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٦٠. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٨٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٢٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٧٠.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص ٩٢. الفاسي : القعد الثمين ،ج٥، ص٤٧١. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٢٩.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص ٣٤٥. الفاسي : القعد الثمين ،ج٥، ص ٤٧١. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٢٨.

(٤) كان الشريف قتادة معجباً بشخصه كثيراً فكان يرى أنه أحق بالخلافة من الخليفة الناصر لدين الله العباسي ، وبهذا ليس غريباً أن يقدم على قتل كل من يعارضه في الرأي . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص ٩٢. ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص١٣٥. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦، ص ٢٤٩. الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥، ص ٤٧٣.

(٥)الحملات الصليبية : هي حملات عسكرية أوروبية قدمت على بلاد المسلمين في الشام ومصر ، وآسيا الصغرى= =، وقد كلفت العالم الإسلامي الكثير من التضحيات ، وقد ناضل المسلمون في جهادها كثيراً من أشهرهم السلطان نور الدين زنكي والسلطان صلاح الدين الأيوبي وخلفائه من بعده ، وأكملت الدولة المملوكية تعقب الصليبيين حتى تم طرهم أخيراً من بلاد الشام في العصر المملوكي . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج٤، ص٢٤٣.

ومصر ،وخلافاتهم الداخلية [1] ، فقام قتادة بإعادة فرض المكوس لتغطية احتياجات الإمارة من النفقات ، كما أن موسم الحج أصبح لقتادة مورداً خصباً للكسب ، فيقوم أتباعه بنهب الحاج إذا قدموا إلى مكة ، كما أن الخلافة العباسية أغضبها ما حصل لحجاج العراق في العام السابق ٦٠٧هـ/١٢١٠م من مواجهة مع عسكر قتادة في مشعر منى ، فأرادت أن تنتقم من شخص قتادة فخططت لقتله بمفرده ، ولكن لم ينجح تخطيط الخلافة العباسية في القضاء على قتادة بن إدريس فكانت المحاولة وبالاً على حجاج العراق خاصة والمسلمين عامة في موسم الحج .

كان ذلك أنه اجتمع في عام ٦٠٨هـ/١٢١١م عدد كبير من الحجاج من شتى أرجاء المعمورة ومن العراق خاصة عدد كبير منهم ، وقد كان أمير الحاج العراقي الأمير علاء الدين محمد[2] بن ياقوت وهو صبي صغير ينوب في إمارة الحاج عن والده الأمير مجاهد الدين ياقوت[3] الذي ولاه الخليفة العباسي الناصر في ذلك العام ،وكان معه مسانداً ومعلماً ابن أبي فراس الحلي [4] وعندما كان الحاج بمنى في يوم النحر الأول هجم أحد رجال الحاج العراقي من طائفة الإسماعيلية [5] على أحد الأشراف يظنه قتادة لأنه كان شبيهاً [1] به فأرداه

---

(١) الغامدي ، علي محمد علي عودة : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ،ط١، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ،١٤٠٨هـ ، ص ٤٠، ٥١.

(٢) هو الأمير علاء الدين بن الأمير مجاهد الدين ياقوت استنابه والده على إمارة الحج سنتي٦٠٧، ٦٠٨هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص ٣٠٥.

(٣) هو الأمير مجاهد الدين ياقوت مولى الخليفة الناصر لدين الله ولاه الخليفة على خوزستان بعد عصيان سنجر على الخلافة العابسية ، كما ولاه إمارة الحج أيضاً في سنة ٦٠٧هـ . ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص ٣٠٣.

(٤) هو الأمير أبو فراس بن جعفر بن فراس الحلي ، أحد أمراء الدولة العباسية في خلافة الناصر لدين الله قدم مع الأمير علاء الدين بن ياقوت مساعداً له على إمارة الحج سنتي٦٠٧هـ ،٦٠٨هـ ثم ولي إمارة الحج في سنة ٦١٠هـ بأمر الخليفة الناصر لدين الله . ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص ٣٠٧.

(٥) الإسماعيلية وهي طائفة من طوائف الشيعة ينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، ومؤسسها الحسن الصباح ، وقد اشتهرت باغتيال المعارضين لها عن طريق رجالها الذين كانوا على درجة عالية من التضحية والفداء لما= =يوكل إليهم ، وكانوا يسمون بالحشاشين ، وكان في هذا الموسم قد حجت والدة الأمير جلال الدين ، زعيم الإسماعيلية بقلعة آلموت أشهر قلاعهم في بلاد فارس ، وكانوا في هذا العام قد عادوا عن معتقداتهم السابقة في عدائهم لأهل السنة وأقاموا شعائر الدين ، ومن المؤكد أنه كان بصحبتها عدد من الحراس و الأعوان من نفس الطائفة . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٦٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٩. الشهرستاني ،

فأرداه قتيلاً، فلما سمع قتادة بن إدريس بما حدث ، عرف أنه هو الذي كان مقصوداً بالقتل وأن هذا الأمر تم بعلم أمير الحج العراقي ، فاستغلها فرصة للنهب والقتل فخرج بقواته وجميع أنصاره لمهاجمة حاج العراق ، وصعدوا على جبال منى الواقعة بقرب الجمرة الكبرى ، وأخذوا يضربون الحاج بالحجارة والنبال ، وقتل عدد كبير من الحاج ، وقتل الرجل الذي قام بعملية القتل ونهب الحاج بمنى نهباً فاحشاً ، كما تم الاعتداء بالقتل والنهب على الحجاج الذين كانوا بمكة وفي داخل المسجد الحرام في الطواف ،الذين لا علم لهم بما حدث في منى والحجاج الذين وصلوا إلى مكة يوم العيد وليلته، وحلت الكارثة بوفد الرحمن في البلد الأمين وعندما رأى أمراء الحاج العراقي ما أصابهم قرروا الانتقال إلى محل إقامة الحاج الشامي ، فعندما تحركوا للانتقال تمكن منهم اللصوص ، وخصومهم من أصحاب قتادة فتم نهب الحاج العراقي عن آخره ، وقد كان الناهبون يأخذون الجمال بأحمالها كاملة بعد قتل أصحابها ، ولم يسلم من الحاج العراقي إلا قليل لجأوا إلى مخيم الحاج الشامي بعد المشقة الكبيرة ، وهم بأسوأ حال واستجاروا بخيمة الأميرة ربيعة (٢)خاتون فأرسلت الأميرة ربيعة خاتون إلى قتادة ، تطلبه بكف الاعتداء عن الناس وتهددته (٣) ، فكف قتادة أصحابه عن الحجاج بعد أن تم الاتفاق على أن يدفعوا له (١٠٠)ألف دينار فجمعوا له (٣٠) ألف دينار

محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، تحقيق عبد اللطيف محمد العبد ، القاهرة ،١٩٧٧م ، ص ١٩٨. الموسوعة الميسرة في الأديان المذاهب المعاصرة ، ص٤٣.

(١) كان هذا الرجل أحد الأشراف ويسمى هارون ، ويتوافق مع الشريف قتادة في الكنية حيث يكنى بأبي عزيز ، وقد كان كثير الشبه به ولهذا التبس على منفذ عملية الاغتيال فتم اغتيال هذا الرجل .ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢، ص ٢٧٢.

(٢) هي الأميرة ربيعة خاتون بنت أيوب ، أخت الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن نجم الدين أيوب ، أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي ، كانت فاضلة تقية من ربات البر والإحسان ، بنت المدرسة الحنبلية في جبل الصالحية بدمشق ، وجعلت لها أوقافاً ، وكان يحترمها الملوك من أولاد أخوتها وأولادهم توفيت بدمشق سنة ٦٤٣هـ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٤، ص٦٧. رضاكحالة : أعلام النساء ، ج١، ص ٤٤٣.

(٣) أرسلت الأميرة ربيعةخاتون إلى الشريف قتادة تقول له :(ما ذنب الناس ؟! قد قتلت القاتل وجعلت ذلك وسيلة إلى نهب المسلمين ، واستحللت الدماء والأموال في الشهر الحرام ، والبلد الحرام ، وقد عرفت من نحن والله= =لئن لم تنته لأفعلن ولأفعلن فجاء إليه ابن السلار فخوفه وهدده وقال له : أرجع عن هذا وإلا قصدك الخليفة من العراق ونحن من الشام . الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٦٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٨١.ابن فهد :غاية المرام ، ج ١، ص ٥٦٠.

من حجاج العراق ، فأقام الناس بعدها ثلاثة أيام حول مخيم الأميرة ربيعة خاتون وهم بأسوأ حال ، بعد أن نهبت جميع ممتلكاتهم ، وقيل إن ما نهبه قتادة في هذه الحادثة يعادل مليون دينار ذهبا ، ثم أذن قتادة لمن يريد دخول مكة من الحجاج ، فلم يستطع الدخول إلا عدد قليل جداً من الأصحاء الأقوياء من الركب العراقي ، فقضوا ما تبقى لهم من نسك وهم في خوف ووجل ، ثم عاد ركب الحجاج إلى ديارهم وهم في غاية الكسرة والنكال(١) .

كان تصرف قتادة غاية في السوء فهو بعد قتل القاتل استغل الفرصة في جمع أكبر قدر من الغنائم واعتبر ما يملكه الحجاج من مال ومتاع مكسب له ولأتباعه ، بل و لم يكتف بهذا فقد منع الحجاج من دخول مكة حتى يتم دفع مبلغ (١٠٠)ألف دينار، وهذا أكبر دليل على أن قتادة لم يكن يعطي للأماكن المقدسة حقها من التقدير والحماية بما يتطلبه الدين الإسلامي الحنيف بتأمين من يفد إليها من حجاج ومعتمرين ، وعمارتها بما يحتاجه بل كان همه الأول والوحيد جمع أكبر قدر من المال بأي وسيلة كانت ومن أي شخص كان .

يتبين هنا مستوى العداء بين الخلافة العباسية والشريف قتادة ، ومن المؤكد أن ما حدث من عملية اغتيال ليس بعيداً عن تخطيط الخلافة العباسية يدل على ذلك عدم رضى الخلافة العباسية عن قتادة ، فكان هذا تدبيراً للانتقام لما حل بالحجاج كما مر سلفاً، فيكون تدبير الخلافة العباسية هذا يهدف للتخلص من قتادة بأقل الخسائر حيث يتم اغتياله في مشعر منى ، كما يؤكد اغتيال الشخص المشابه له في الخلق والكنية أن هناك تدبيراً مسبقاً لاغتيا ل قتادة ،ومن المؤكد أيضاً أن أمير الركب العراقي لم يكن له علم بهذا التخطيط ، فقد كان صغيراً غير ممكن أن يقوم بمثل هذا العمل ، ويحتمل أن الخلافة العباسية قد أوكلت القيام بهذه المهمة إلى بعض العناصر الفدائية لتنفيذ هذه العملية دون علم أمير الركب ،ولا الأمير حسام الدين بن أبي فراس الذي كان يدبر أمير الركب ، فلوكانا على علم بما خططت له الخلافة العباسية كان قد أخذا حذرهما من قبل، وعملا كل الاستعدادات لتفادي ما يحل بالحجاج من قتل ونهب على أيدي أتباع أمير مكة .

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص ٣٠٥. اليافعي : مرآة الجنان ، ج٤، ص١٥. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص ٦٢. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٩٤. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٦٨. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٢٩٤.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١١.العصامي :سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٢٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٧٢. ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٥، ص ٣٢.

ومما يؤكد أن عملية الاغتيال كانت بتدبير الخلافة العباسية أن الخلافة لم تتخذ موقفاً قوياً في الرد على قتادة في العام التالي للحادثة بل أرسلت إليه الأموال والهدايا و لم تظهر أي تصرف يدل على غضبها من تصرف قتادة مع الحجاج العراقيين ، بل تجاهلت ما حدث وأعلنت أن ما حدث هو نهب لأطراف الحجاج العراقيين من قبل الأعراب الخارجين على سلطة أمير مكة(١) ، وهذا يدل أيضا على أنها شعرت بالألم لدورها في ما حدث للحجاج من تدبير مسبق انعكست نتيجته عليها ، فلو كانت الخلافة بعيدة عن تدبير الحدث لكان لها شأن آخر مع أمير مكة ، فقد كانت الخسارة كبيرة والأثر فاحش على حجاج العراق يصعب السكوت عليه من دولة مثل الخلافة العباسية .

كما قامت الدولة العباسية بتسيير ركب الحاج في العام التالي للحادثة عام ٦٠٩هـ/١٢١٢م تحت قيادة الأمير حسام الدين بن أبي فراس ، وهو الأمير الذي كان مدبر أمر الركب في إمارة ابن ياقوت في العام السابق ، وطلب منه أن يحاول إقناع الأمير قتادة بن إدريس بالقدوم على الخلافة العباسية والاعتذار عن ما حدث في حج عام ٦٠٨هـ/١٢١١م ، في محاولة من الخلافة للقبض على قتادة والانتقام منه بشكل فردي ، ولكن مثل هذه المحاولة ليست خافية على قتادة ومن الصعوبة أن يصدق هذه الحيلة ويبدو أن الخلافة العباسية كانت عارفة بموقفه مسبقاً ولكنها تريد أن يقوم بعمل يحفظ لها ماء الوجه أما العالم الإسلامي وخصوصاً أمام الرأي العام في العراق ، حيث إن أمير الركب أشار على قتادة بأن يرسل وفداً من علية القوم بمكة فيهم أحد أبنائه بحيث يقدمون اعتذارا عن السلطة في مكة للخلافة العباسية ، وأكد له بأنه لن يحصل لهم مكروه مما يدل أن الأمير حسام الدين كان ينفذ رغبة الخلافة ومتأكد من عدم المساس بوفد قتادة بسوء ، وكان هذا ما تم فعلاً حيث أرسل ابنه راجح مع وفد جهزه من وجهاء الأشراف ،فقدموا إلى بغداد مع

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٩٤. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٦٩. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٣، ص ١٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٦٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٨٣. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٢٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٧٩.

ركب الحجاج وقدموا الاعتذار للخليفة العباسي الناصر لدين الله ، فقوبلوا بالتكريم والعفو والصفح والمنح والهدايا الفاخرة ثم أرسلوا مكرمين إلى مكة [١]

حملة الأمير آقباش الناصري عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م

بعد وفاة قتادة في جمادى الآخرة عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م اختلف أبناؤه من بعده حول تولي الإمارة ، ويبدو أن موضوع وفاة قتادة وحدوث الاختلاف من بعده حول تولي الإمارة وما صاحبها من أحداث دامية لم يخفَ على الخلافة العباسية في بغداد فيكون بين وفاة قتادة وقدوم ركب الحاج مدة خمسة شهور كانت كافية لوصول الخبر بوفاة قتادة وما رافقها من أحداث سياسية في مكة ، فأرادت الخلافة العباسية أن يتم تعيين خلفاً لقتادة من قِبلها، فأرسلت حملة عسكرية مصاحبة لركب الحاج بقيادة أمير الركب أقباش الناصري[٢] ، ويبدو أن الخلافة العباسية قد أعطت الأمير أقباش الضوء الأخضر في مساعدة من يراه أحق بالإمارة من أبناء قتادة ، مع أن الظاهر للناس أن الأمير أقباش كان يحمل مرسوماً بتولية حسن بن قتادة خلفاً لوالده [٣]، وعندما اقترب ركب الحاج العراقي من مكة لاقاه راجح بن قتادة ، وهو الأخ المعارض لتولي أخيه حسن بن قتادة مقاليد الإمارة ، واستطاع راجح أن يقنع الأمير آقباش بأنه أولى بالإمارة من أخيه حسن وبهذا ضمن مساعدة القوة العسكرية التي تحت قيادة الأمير آقباش في توليته إمارة مكة ، وقد ذُكر أن راجح قد تعهد بتقديم مبلغاً من المال للأمير آقباش وللخليفة العباسي مقابل مساعدته في تولي مكة أكثر مما سوف يدفعه

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٩٤. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٦٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٦٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٨٣. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٢٦.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩، ص ٣٤٥. ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٤، ص ١٢٤. اليافعي : مرآة الجنان ، ج٤، ص٣٦. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٠٢. ابن فهد : أتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٨٦. ناصر البركاتي : بنو رسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي ، ص١٤٦.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٢٠٣. ابن فهد : أتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٧٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٨٦.

حسن بن قتادة في مقابل مساعدة الأمير آقباش له في تسليمه راجح [1] وهذا الرأي لايمكن قبوله لأنه لم تجر العادة بأن يدفع أمراء مكة المكرمة للخلافة العباسية أموالاً في مقابل توليهم إمارتها ، بل كان العكس فكان خلفاء الدولة العباسية يدفعون الأموال لأمراء مكة وخصوصاً قتادة بن إدريس [2]، والظاهر أن الأمير آقباش خشي على الحاج من راجح أن يعيقه عن أداء النسك فقد كان أنصاره يقطعون الطريق بين مكة وعرفات ، بالإضافة إلى أن راجح كان مقيماً في البادية و له أنصار من القبائل البدوية التي قد تهدد طريق الحاج أثناء عودته وفي الأعوام القادمة ، و مع أنه الابن الأكبر [3] لقتادة ، وساعده على ذلك أن أخاه حسن متهم بقتل والده ، وقام بقتل عمه الحسن وأخيه الذي تم استدعاؤه من ينبع بعد مقتل والده[4] فأراد الله سبحانه وتعالى ألا يستقر له أمر في حكم مكة ، وقد كان الأمير آقباش على معرفة بأبناء قتادة فهو قد تولى إمارة حج العراق منذ عام ٦١٥هـ/١٢١٨م [5]فكان قدومه في العامين السابقين فرصة لمعرفة صفات كل واحد من أبناء قتادة ، وقد كانت ولاية الأمير آقباش من قِبل الخليفة الناصر العباسي بمسمى أمير الحرمين والحاج [6]، وهذا قد يجعله يفكر في تولية إمارة مكة لمن يراه أهلاً لها من أبناء قتادة فحدث أن زحف الأمير آقباش على مكة ، لما سمع حسن بن قتادة بخبر انضمام أخيه راجح إلى الأمير آقباش قام بمنع الحاج

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص ٣٤٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٢٠٣. ابن فهد : أتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٧٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٨٦.

(٢) كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص ٩٢.ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص ١٣٥. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦، ص٢٤٩. ابن الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٤٧٣.

(٣) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص١٢٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٨. ابن فهد: غاية المرام ، ج١، ص ٥٨١. ناصر البركاتي : بنو رسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي ، ص١٤٦.

(٤) ابن الأثير : الكامل ،ج٩، ص ٣٤٥. ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج١، ص ٢٠٦. اليافعي : مرآة الجنان ، ج٤، ص٣٦. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٢٠٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٧٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٨٦. ناصر البركاتي : بنو رسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي ، ص ١٤٦. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج١، ص ٤١٣.

(٥) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦، ص ٢٢٣.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٥.

(٦) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦، ص ٢٤٩. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢٠٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٧٨.

العراقي من دخول مكة وقام بإغلاق أبوابها [١] فنزل الأمير آقباش مع قواته في الزاهر ، وفي نفس الوقت قام حسن بن قتادة بجمع قوات كثيرة من العرب المحيطين بمكة والاستعداد لصد هجوم الأمير آقباش وحدث أن هاجم الأمير آقباش بقواته مكة فخرج له حسن بقواته والتقى الطرفان، فكانت الكسرة على الأمير آقباش ومن معه من أنصار راجح بن قتادة ، وسقط الأمير آقباش قتيلاً بعد أن صعد إلى جبل حبشي [٢] وتفرق جيشه ، وقد أراد أتباع حسن بن قتادة نهب الحاج العراقي فنهاهم حسن وأرسل بعمامته إلى الحاج العراقي دليلاً على الأمان لهم بأن يدخلوا مكة ويقضوا ما تبقى من نسكهم ويتزودوا من مكة [٣]

هذا وتدل الأحداث على أن الأمير آقباش كان قاصداً حرب حسن بن قتادة، وتولية راجح وذلك أنه لم يظهر من الأمير آقباش ما يدل على غير هذا ،فلو كان قصده الإصلاح بين الأخوين كان بمقدوره أن يرسل إلى حسن بن قتادة عندما علم بما فعله حسن من إغلاق أبواب مكة وصد الركب العراقي عن الدخول إليها من يوضح له قصد الأمير آقباش ، كما أن الاستعداد للحرب غير خفي على الناس في ذلك الوقت ، فلبس السلاح الكامل يدل على قصد لابسه ، كما أنه لم يكن الحاج العراقي بمفرده في ذلك الموسم بل كان هناك ركب حجاج قدم من بلاد الشام[٤] فكان بإمكان الأمير آقباش أن يستعين بأمرائه في تفادي تفادي الصدام مع قوات حسن بن قتادة، كما يؤيد ما ذهبنا إليه أن الخلافة العباسية لم

---

(١) كان لمكة المكرمة قديماً ثلاثة أبواب وهي : باب المعلاة ، وباب المسفلة ، وباب الزاهر ويسمى باب العمرة . ابن جبير : الرحلة ، ص٨٧،٨٨.

(٢) هو الجبل المشرف على دار السري بن عبد الله ، واسم الجبل الحبشي ، وهو الجبل الذي يسمى اليوم ، جبل السليمانية ، وهو يمتد من فلق ابن الزبير إلى ثنية المدنيين ، قد فتح فيه اليوم نفقان ، يربطان بين الأبطح وحرول الأزرقي : أخبار مكة ، ج ٢، ص ٢٨٥. الفاكهي : أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، ج٤، ص ١٧٧، حاشية ص ١٧٧. الذهبي : العبر ، ج٣، ص ١٧١.

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص ٣٤٥. ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٤، ص ١٢٤.اليافعي : مرآة الجنان ، ج٤، ص٣٦. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٩٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٢٠٣، ٤٠٢. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٢٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٧٨. ناصر البركاتي : بنو رسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي ، ص١٤٦.

(٤) كان أمير الحاج الشامي المعتمد والي دمشق . اليافعي : مرآة الجنان ، ج٤، ص٣٦. كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص ٩٢. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٠٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٨٧.

تتصرف ضد حسن بن قتادة بعنف بعد سماعها بمقتل الأمير آقباش وتفرق جيشه وقبلت اعتذاره عما حدث ، مع ما كان يحتله الأمير آقباش من مكانة عالية لدى الخليفة الناصر لدين الله العباسي[1].

حملة الشريف حميضة بن أبي نمي عام ٧١٦هـ/١٣١٦م:

بعد هزيمة حميضة بن أبي نمي على يد أخيه رميثة بمساعدة القوات المصرية عام ٧١٥هـ/١٣١٥م قرر حميضة بن أبي نمي أن يستعين بقوة خارجية تكون مكافئة للقوة المصرية التي تساند أخاه رميثة ، وحيث إن الدولة الرسولية في اليمن كانت متخوفة من دولة المماليك في مصر وتعمل على كسب رضاها ، وجه حميضة وجهه تجاه السلطان خربندا إيلخان دولة مغول فارس والعراق [2]، وكانت علاقات خربندا مع السلطان الناصر محمد بن قلاوون غير حسنة وذلك لمحاولات خربندا انتزاع بلاد الشام من دولة المماليك [3] لذا أراد حميضة بالتجائه إلى الحكومة المغولية أن يحصل على دعم سياسي وعسكري يجعله يقف بقوة في وجه الحملات العسكرية المصرية عليه إذا ما استرد إمارة مكة ، ووجدت حكومة المغول في شخصية حميضة حليف قوي يمكن الاعتماد عليه في الضغط على حكومة المماليك في مصر ، وانتزاع الأماكن المقدسة من أيدي المماليك يعطي الحكومة المغولية في فارس والعراق صبغة شرعية وزعامة عالمية في العالم الإسلامي ، كما أن حكومة المغول شيعية [4]

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦، ص ٢٤٩.الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢٠٣. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٥٣.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٤٩. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٥٠٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٦٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٥٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٣٥. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٤.

(٣) كان المغول في العراق يهددون باستمرار بلاد الشام ومن أشهر تهديداتهم لها زحفهم في عام٧١٢هـ بقيادة الملك خربندا مما اضطر السلطان محمد بن قلاوون إلى الخروج من القاهرة لملاقاته والدفاع عن الشام . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤، ص ٦٦. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٤٨٢. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٩، ص ٣٤.

(٤) المذهب الشيعي : نسبة إلى الشيعة وهو اسم أطلق على الفرقة التي تدعي التشيع لآل البيت ، وقالوا بإمامة الأئمة من آل البيت واعتقدوا عدم خروج الإمامة من آل البيت ، وكانت بداية تكوين هذا المذهب بعد مقتل =

المذهب[1]، فرأت في مساندة حميضة انتصاراً على المذهب السني [2] إذا ما سيطرت على الأماكن المقدسة في مكة ، لذا قررت حكومة المغول بقيادة الايلخان خدبندا تجهيز حملة عسكرية إلى مكة مع الشريف حميضة تحقق له أهدافه في استعادة إمارته و تحقق من خلالها انتصاراً على دولة المماليك في ميدان الحجاز ، وهي بهذا تهدف إلى تشتيت قوات المماليك في ميدانين ميدان الشام وميدان الحجاز ، في مسعى لها لإضعاف دولة المماليك حتى يتسنى لها أن تحتل بلاد الشام التي كانت تحاول ضمها باستمرار .

جهز الايلخان خدابندا حملة عسكرية كبيرة فيها عدد من القوات النظامية المغولية وعدد من فرسان القبائل العربية الذين اشتركوا مع الحملة بعد طلب حميضة من زعماء العرب مساندته [3]، وزودها بمبلغ كبير من المال وجعل القيادة إلى أحد أمراء العراق ويدعى

=علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على يد عدد من الأتباع ، ثم انقسموا إلى عدة فرق ومذاهب من أشهرها : الكيسانية ، الزيدية ، والإمامية ، والإسماعيلية ، ومن أشهر دول المذهب الشيعي الدولة الفاطمية العبيدية التي ظهرت في شمال أفريقيا . الشهرستاني :الملل والنحل ، ج١، ص ١٦٩. الندوة العالمية للشباب الإسلامي : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص ٢٩٧.

(١) كان الملك خدابندا سني المذهب حيث إنه أحد ملوك المغول الذين اعتنقوا الدين الإسلامي ، وتسمى بمحمد ، واقتدى بالكتاب والسنة ، وصار يحب أهل الدين والصلاح ، وضرب على الدنانير والدراهم اسم الصحابة الأربعة الخلفاء ، حتى اجتمع بالسيد تاج الدين الآوي الرافضي ، وكان خبيث المذهب ، فما زال بخدابندا حتى جعله رافضياً ، وكتب إلى سائر ممالكه بأمرهم بالسب والرفض .ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص ٦١٩. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٥١٣. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٩،ص ٢٣٨.

(٢) ذكرت بعض المصادر مثل : الفاسي في كتابه : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٤٩. وابن فهد : في كتابه غاية المرام ، ج٢، ص٦٣. الجزيري في كتابه :الدرر، ج١، ص٦٢٢.أن الملك خدا بندا كان يهدف أيضاً على السيطرة على المدينة المنورة ، حتى يتمكن من نقل جثمان الصحابيين أبي بكر رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه من جوار قبر النبي ﷺ وهذا يعتبر مرحلة ثانية لا تعني الشريف حميضة فإن المدينة المنورة كانت تحت حكم الحسينيين ويتبعون دولة المماليك ، و لم يكن حميضة يفكر في ضم المدينة المنورة إلى إمارة مكة بل كان يهدف من طلب المساعدة من الملك خدابندا أن يعينه على استرداد إمارة مكة فقط .

(٣) اختلف المؤرخون في عدد جنود هذه الحملة فقد ذكر السنجاري في كتابه منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٣٥. والعصامي في كتابه سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٤.و ابن عنبة في عمدة الطالب ، ص ١١٢. أن عدد جنود هذه الحملة كان عشرة آلاف مقاتل ، فيما ذكر ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة ، ج٩،ص ٢٣٨، أن عدد الحملة التي أراد أن يرسلها الملك خدابندا كانت ثلاثة آلاف مقاتل ، وأشار إلى هذا الخبر أيضاً النويري في كتابه نهاية الأرب ، ج٣٢، ص ٢٤٣. وذكر المقريزي في كتابه السلوك ج٢، ص ٥٠٥. =

الدلقندي[١] وقدم بصحبته حميضة بن أبي نمي ، وكان هذا في بداية شهر رمضان عام ٧١٦هـ/١٣١٦م[٢].

وعندما خرجت الحملة من العراق توفي الملك خدابندا فاختلف أمر الحملة في القدوم على مكة من الرجوع إلى العراق[٣] وصادف أن الحملة كان بها عدد كبير من رجال البادية الذين

=أن الحملة كانت أربعة آلاف رجل. ومهما يكن من اختلاف يبدو أن المصادر التي ذكر أن العدد كان عشرة آلاف رجل قد ذكرت عدد الحملة النهائي عند مسيرها من مغول وعرب ، وأما المصادر التي ذكرت أنها كانت أربعة آلاف وثلاثة آلاف فهي المصادر التي ذكرت العسكر النظامي المغولي قبل أن يراسل الشريف حميضة القبائل البدوية ويطلب مساندتها .

(١) الدلقندي : اختلفت المصادر في ذكر اسم هذا القائد فقد ذكر السنجاري في منائح الكرم ج٢، ص٣٣٥، أن اسمه طالب الدلقندي الأفطس وذكر ابن فهد في اتحاف الورى ج٣، ص ١٥٥، والفاسي في العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٩، أن اسمه درقندي أو دقلندي وذكر الجزيري في الدرر ج١، ص٦٢٢أن اسمه دوقيدي ،وذكر ابن كثير في البداية والنهاية ج١٤، ص ٧٧ أن اسمه الدلقندي ومع الاختلاف في الاسم بين المصادر إلا أنها اتفقت على أنه أحد أمراء العراق وقادته العسكريين في عهد السلطان خدابندا ، كان رافضي المذهب .

(٢) ذكرت بعض المصادر أن هذه الحملة كانت في عام ٧١٥هـ ، مثل المقريزي في كتابه السلوك ، ج٢، ص ٥١٣. والنويري في كتابه نهاية الأرب ، ج٣٢، ص ٢٢٣. ولكن الصحيح أنها كانت في عام ٧١٦هـ ، وذلك أن الحملة المصرية التي هزمت الشريف حميضة وتعقبته كانت في شوال عام٧١٥هـ ، وبعد الهزيمة سافر حميضة إلى العراق ، وبقي كما ذكرت المصادر عدة أشهر ثم قدم مع الحملة العراقية ، وهذا يكون في عام ٧١٦هـ ،يدل على هذا أن المصادر ذكرت أن بعد مسير الحملة توفي الملك خدابندا ، وقد ذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ، ج ٩، ص ٢٣٨، أن وفاة الملك خدابندا كانت في السابع والعشرين من رمضان سنة ٧١٦هـ وكانت وفاته قريبة من خروج الحملة لأن الحملة علمت بوفاة الملك فتفرق جمعها قبل أن تصل إلى الحجاز ، وذكر هذا التاريخ أيضاً ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ، ج١٤، ص ٧٧. وذكر هذا التاريخ أبو الفدا في كتابه المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص ٨١، وكان أبو الفدا معاصراً له وبهذا يكون خروج الحملة في بداية شهر رمضان من عام ٧١٦هـ وبهذا يكون هو التاريخ الصحيح والله أعلم .

(٣) ذكر السنجاري في كتابه منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٣٥. أن الوزير رشيد الدين وزير الملك خدابندا كان على خلاف مع القائد دلقندي ، فأرسل إلى العسكر بخبر موت الملك فحصل فيهم الاختلاف ، وثارت عليهم العرب ويبدو أن هذا غير حقيقي حيث أنه إذا كان هناك خلاف بين الوزير والقائد دلقندي فخروج القائد من العراق مكسب للوزير حيث أنه يبتعد عنه ، مع إمكانية مقتله في الحملة ، أما عودته إلى بلاط الملك فليس من صالح الوزير إذا كان هناك عداء بين الطرفين ، كما أن هذا الخبر لم يرد في المصادرالتي كانت قريبة من الحدث بل ورد لدى السنجاري لوحده مما يحتمل ضعفه ، والراجح أن الملك الذي تولى بعد الملك خدابندا وهو ابنه أبو سعيد بن خدابندا قد أرسل إلى الحملة بمواصلة المسير وتحقيق ما رسم لها قبل أن تتفرق ويتشتت شملها والدليل

طلب حميضة منهم الانضمام إلى الحملة ، فعندما سمعوا بموت الملك واختلاف الكلمة بين عسكر الحملة ، تنكروا لرفقائهم في الحملة من القوات العراقية ، وقاموا بنهب الحملة ومقاتلة رجالها وذلك طمعاً في الأموال التي كانت مع الحملة (1)، كما هاجم الحملة الأمير محمد(2) بن عيسى بن مهنا ، وذلك فيما يبدو بطلب من أخيه الأمير مهنا (3) بن عيسى بن مهنا الذي كان مقيماً في بلاط الملك خدابندا فشاهد مسير الحملة التي أعدها الملك خدابندا لحميضة ، فلم يرض عن مسير الحملة إلى مكة فقرر تعقب الحملة والفتك برجالها في مسعى لكسب رضى السلطان محمد بن قلاوون (4)،ويبدو أيضاً في نفس الوقت غيرة الأمير المذهبية كانت دافعاً أيضاً لتعقب الحملة ، وكان هذا في ذي الحجة سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م ويبدو أنه أرسل إلى أخيه الأمير محمد بن عيسى بن مهنا لكي يهاجم القوات العراقية ، الزاحفة على مكة ، وفعلاً جمع الأمير محمد بن عيسى بن مهنا عدداً من أفراد قبيلته قيل إنهم أربعة آلاف فارس(5) وهاجم القوات العراقية ،وفتك بها و لم ينج إلا عدد يسير من أفرادها مع القائد الدلقندي وحميضة بن أبي نمي بعد أن قاتل قتالاً شديداً في الدفاع عن نفسه ، وغنم

على هذا أن قائد الحملة لم يعد إلى العراق بعد وفاة الملك خدابندا مما يؤكد أن الملك أبو سعيد قد طلب= =مواصلة المسير إلى مكة والله أعلم .

(١) ابن عنبة : عمدة الطالب ، ص ١١٢. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٣٥.

(٢) هو الأمير محمد بن عيسى بن مهنا ، أمير آل فضل كان حسن الشكل له معرفة ورأي ، وهو أخو الأمير مهنا ، مات في رجب سنة ٧٢٤هـ عن نيف وستين سنة . الذهبي : العبر ، ج٤، ص٧٠.ابن حجر : الدرر الكامنة، ج٤، ص ١٣١. ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٦، ص ٦٦.

(٣) هو الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى بن مهنا أمير عرب آل فضل في بلاد الشام سجنه الأشرف بعد فتح قلعة الروم ، كان صديقاً للأمير قراسنقر مما أغضب عليه السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وقد كان على علاقة وطيدة مع السلطان الناصر محمد ، كان وقوراً متواضعاً ديناً حليماً ، اختلف مع السلطان الناصر محمد فهرب إلى العراق والتجأ إلى الملك خدا بندا ، قدم على الناصر في عام٧٣٣هـ فرده على إمرته على عرب الشام حتى مات سنة ٧٣٥هـ بسلمية . المصدر السابق ، ج٤، ص ١١٢. المصدر السابق ، ج ٤، ص ٣٦٨.

(٤) كان الأمير مهنا بن عيسى بن مهنا على خلاف مع السلطان محمد بن قلاوون ،بسبب توزيع الإقطاع على الأمراء ، وبسبب مساندة الأمير قراسنقر في الخروج من بلاد الشام إلى العراق ، فخرج خوفاً من القبض عليه إلى بلاط الملك خدبندا واستجار به فبقي فترة مقيماً عنده حتى كان تحرك هذه الحملة على الحجاز . المقريزي: السلوك ، ج٢ ،٥٠٤،٤٩١. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٩، ص ٣٤.

(٥)الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٥٥.

الأمير محمد بن عيسى بن مهنا وأعوانه ما في الحملة من الأموال التي لاحصر لها حتى أن بعض الفرسان من العرب كان نصيب الواحد منهم من الغنيمة ألف دينار غير الدواب والسلاح[1] وهنا يتضح لنا أن الدافع للهجوم على الحملة ما كانت تحمله من أموال جمة قد غيرت من توجهات رجال البادية المشاركين في الحملة والمهاجمين لها فكان موت الملك خدابندا مفتاح للهجوم على الحملة من كل الاتجاهات ، وكان الأمير محمد بن عيسى بن مهنا في غارته يعلن بالتبعية للملك الناصر محمد بن قلاوون[2] بهدف أن يصل الخبر إلى الملك الناصر ، فيكون دليل إثبات بتبعيته للدولة المملوكية وعدم خروج آل مهنا عن طاعتها ، وقام بتعزيز هذا الاتجاه حيث أرسل بالأسرى المغول وعددهم حوالي (٤٠٠) أسير إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون [3] فكان هذا العمل ساراً جداً للملك الناصر ، لأنه بهذا العمل يكون قد أراح قوات الملك الناصر من مواجهة عسكرية مع القوات العراقية في مكة مع ما حصل للشريف حميضة والقائد المغولي من عقبات صعبة في هذه الحملة إلا أنهما واصلا المسير إلى مكة حتى قدما إلى وادي نخلة في أوائل سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م ومعهما أحد أعيان الحملة ويدعى ملكشاه ومعهما ثلاث وعشرون راحلة [4] ، وخمسون رجلاً من المغول [5]من بقية الحملة التي كان عددها (٤٠٠٠) رجل مما يدل حقيقة على أن الحملة قد قد تعرضت لصعوبات جمة من رجال البادية على طول الطريق من العراق إلى الحجاز وعندما وصل حميضة بن أبي نمي إلى وادي نخلة طلب من أخيه رميثة أن يسمح له بأن يدخل مكة ، فرفض رميثة السماح له بدخولها إلا بموافقة السلطان محمد بن قلاوون ، ثم أرسل رميثة يخبر السلطان الناصرمحمد بن قلاوون بطلب أخيه حميضة فجاء أمر السلطان إلى رميثة بعدم تمكين حميضة من دخول مكة ، كما أرسل السلطان إلى حميضة يرغبة في القدوم إلى

---

(١) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج٤، ص ٨١. ابن كثير : البداية النهاية ، ج١٤، ص ٧٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٩. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٥٠٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٥٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٦١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٢..

(٢) المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٥٠٥.

(٣) المصدر السابق ، ج٢، ص ٥٠٥. ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٤، ص ١٣١.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٥٥. غاية المرام ، ج٢، ص ٦٢. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٣٧.

(٥) المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٥٢٦.

مصر ويمنيه بالعفو عنه إذا قدم عليه مصر وترك التعرض لإمارة مكة ، كما أرسل لمن كان بصحبة حميضة من أمراء المغول وهم الأمير الدلقندي والأمير ملك شاه ، بالأمان وبطلب الحضور إلى مصر لمقابلة السلطان ولهم الأمان بعدم التعرض لهم بسوء .(1)

المبحث الثالث :الحملات العسكرية اليمنية

كانت اليمن قد انضمت إلى الدولة الأيوبية بعد الحملة التي أرسلها السلطان صلاح الدين الأيوبي عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م بقيادة أخيه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه ، فاستطاع أن يدخل منطقة اليمن تحت النفوذ الأيوبي (2) وبهذا يكون السلطان صلاح الدين الأيوبي قد سيطر على الشريط الساحلي بكامله من مصر إلى اليمن بما فيه الحجاز ، ولكنه مع نفوذه هذا على المنطقة بكاملها كان يحترم الخلافة العباسية وينفذ رغباتها ،ويقيم الخطبة باسمها في جميع المناطق التي دانت إليه ولا يتدخل في تصرفات الخلافة العباسية في الحرمين وكان قد بدأ هذا الأمر منذ أن سيطر على الأمور في مصر فقام بالخطبة للخليفة العباسي ، وعندما

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٩. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٥٢٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٥٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٢. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٣٧.

(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج٢، ص ٢٧١. النويري : نهاية الأرب ، ج٢٨، ص ٣٧٣. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج١، ص ٣٢٢. فوزي ،فاروق عمر : المدخل إلى تاريخ آل البيت منذ فجر الإسلام وحتى مطلع العصر الحديث ، منشورات جامعة آل البيت ، ١٤١٩هـ ، ص٢٩٢.

دخلت قواته المتجهة إلى اليمن في عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م مكة بقيادة أخيه توران شاه خطب على منبر المسجد الحرام للخليفة العباسي المستضيء [١]

وبهذا نستطيع القول إن السلطان صلاح الدين الأيوبي كان قد وضع جميع إمكانياته العسكرية والمادية في خدمة الدولة العباسية ، ويدلنا على هذا التشابه في الأوامر التي كانت تصدر من دار الخلافة العباسية ، ومن دار السلطنة الأيوبية في مصر ، وأكبر دليل على هذا ما صدر بخصوص المكوس التي كانت مفروضة في الحجاز وموقف الخلافة العباسية ، والموقف المشابه من السلطان صلاح الدين مما يدل أنه كان يعمل على تنفيذ أوامر الخلافة العباسية التي كانت تمثل الرمز الروحي للعالم الإسلامي .

حملة الملك العزيز طغتكين[٢] بن أيوب سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م

في شهر رمضان من عام ٥٨١هـ/١١٨٥م قدم إلى مكة الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ملك اليمن بحملة عسكرية كثيرة العدد قادماً من اليمن فدخل مكة ، وخطب لأخيه الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وضرب الدنانير باسم أخيه ، وقتل جماعة من العبيد الذين كانوا يؤذون الناس وخصوصاً حجاج بيت الله الحرام،ومنع الأذان بحي على خير العمل[٣] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص١٢٢. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢، ٢٧٣. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٧٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٢٠. فاروق عمر فوزي : المدخل إلى تاريخ آل البيت ، ص ٢٩٢. عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص٤١.

(٢) هو طغتكين بن أيوب بن شاذي الملك العزيز سيف الإسلام ، صاحب اليمن ، أرسله السلطان صلاح الدين إلى اليمن فملكها من نواب أخيه المعظم توران شاه سنة ٥٧٩هـ ، ثم قدم إلى مكة سنة ٥٨١هـ فدخلها، وضرب الدنانير باسم أخيه صلاح الدين ، توفي في اليمن سنة٥٩٣هـ . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢، ص ٤٢٩. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢١، ص ٣٣٣. الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص٢٩٤.

(٣) أبو شامة : الروضتين ، ج ٣، ص ٢٧١.الفاسي : العقد ، ج٤، ٢٩٤. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤٠. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦،ص ١٠٣. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٢، ص ٥٥٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٤٧. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧٤. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص

يتبين لنا من خلال ما ذكر عن الحملة أن الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين لم يقدم إلى مكة إلا بطلب من أخيه السلطان صلاح الدين لإرساء الجانب الأمني للبلد الحرام ويدل على هذا أن الملك العزيز لم يكن هدفه ضم مكة إلى ملكه رغبة في توسيع دائرة نفوذه ولو كان قصده هذا لكان استولى عليها عندما مر بها وهو في طريقه إلى اليمن عام ٥٧٩هـ/١١٨٣م، بل دار بين الملك العزيز طغتكين والأمير مكثر أحاديث الود وحسن الاستقبال والضيافة ، وتبادل الهدايا الأمر الذي يدل على أن الأمير مكثر بن عيسى كان تحت سلطة السلطان صلاح الدين الأيوبي الأمر الذي جعل الملك العزيز لم يغير السلطة السياسية في مكة .

وفي هذه الحملة عام ٥٨١هـ/١١٨٥م لم يقدم الملك العزيز طغتكين على تغيير السلطة السياسية في مكة ، ولكنه ضمن تبعيتها المطلقة لإدارة أخيه السلطان صلاح الدين الأيوبي بتعهد أمير مكة بذلك ، وخير دليل على ذلك ما قام به من ضربه للعملة[1] باسم أخيه الملك الناصر صلاح الدين في دار الضرب بمكة [2]. مما يؤكد أن الملك المسعود أراد أن يحقق الأمن بإنعاش الاقتصاد المكي حيث تتوفر العملة بسهولة مما يجعل التبادل التجاري ميسراً ، وتخف وطأت تعدي أصحاب النفوذ من المفسدين على الآمنين في البلد الحرام .

ومما يؤكد أن قدوم حملة الملك طغتكين كانت بطلب من أخيه الملك الناصر صلاح الدين ،تنفيذاً لطلب الخليفة الناصرالعباسي في بغداد من السلطان صلاح الدين لإرساء الأمن و تعقب العبيد الذين كانوا يؤذون الناس فقام بتعقبهم ، وقتل عدداً كبيراً منهم، ومن سلم منهم من القتل أخذ عليهم العهود بألا يؤذوا الحجاج ، وذلك لأن العبيد قاموا في اليوم الثالث عشر من ذي الحجة عام ٥٧٩هـ/١١٨٣م، بنهب الحاج العراقي ، وحدث من جراء النهب حدوث اشتباك مسلح بينهم وبين حاج العراق أسفر عن إصابات دامية في

---

٢٢١ السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٦٢..الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ١٠٧. ك .سنوك : صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، ص١٦٦.

(١) ضربت النقود في مكة المكرمة منذ العصر الأموي في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان . الزهراني ، غباشي : تاريخ مكة المكرمة التجاري ، ص ٩٤.

(٢) بهذا يكون أول ضرب للنقود في العصر الأيوبي في مكة هو عام ٥٨١هـ، ويكون من أهداف الملك المسعود في حملته هذه إنعاش الاقتصاد المكي بضرب النقود في مكة لحاجة الناس للعملة .

صفوف الحجاج العراقيين [1] . وبهذا لم تحدث مواجهة بين مكثر وجنده و جيش الملك العزيز طغتكين لأنهم لم يكونوا هم المقصودين ، فلوكانوا هم المقصودين لتعقبت قوات الملك العزيز طغتكين الأمير مكثر في حصنه على جبل أبي قبيس وحاصرته وقضت على أنصاره وجنده . ويبدو أن خبر حملة الملك العزيز طغتكين لم يخف على الأمير مكثر منذ قدومها وخصوصاً عندما اقتربت من مكة ، ولكن عندما تبين له أنه غير مقصود بهذه الحملة لم يخرج لملاقاتها وقتالها و لم يحشد لها الجيوش ، وذلك لمعرفته المسبقة بهدفها وهو تعقب العبيد والمفسدين ، ويبدو جلياً أن العبيد كانوا يشكلون قوة عسكرية كبيرة خارجة عن سيطرة الأمير مكثر ولكنها غير منظمة . ويحتمل أن مكثر كان راغباً في كسر شوكتهم ، فلم يمد لهم يد المساعدة .

كما قام الملك العزيز طغتكين بمنع المؤذنين في مكة من ذكر شعار الزيدية ، وهو ذكر (حي على خير العمل) في الأذان مما يدل أن الملك العزيز كان يرغب في إظهار شعائر السنة لوحدها في المسجد الحرام وقطع دابر التشيع من المناطق التي تتبع السلطة الأيوبية والدولة العباسية ، ومع تصرف الملك العزيز هذا إلا أن الأمير مكثر لم يعترض عليه مع أنه كان على المذهب الزيدي[2] مما يدل على أن حكام مكة كانوا متسامحين في موضوع المذهبية بشكل كبير ، وذلك لغلبة المذاهب السنية في منطقة الحجاز بكثرة أتباعها من عامة الناس ،و سياسة جيدة لكسب ولاء الدولة العباسية السنية في بغداد والأيوبية السنية في مصر ،ومع هذا بقي المذهب الزيدي في مكة له أتباعه ومعتنقيه حتى بعد زوال إمارة الأمير مكثر وتولي الأمير قتادة بن إدريس بن مطاعن فقد عاد ذكر شعار مذهب الزيدية في المسجد الحرام [3]

حملة الملك المسعود ٦١٩هـ/١٢٢٢م:

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص ٥٤٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٦١.

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص٧٨. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص١٦٣.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٩٢. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦، ص ٢٤٩. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٧١.

بعد هزيمة راجح بن قتادة وأمير الركب العراقي الأمير آقباش الناصري في عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م ، توجه راجح إلى اليمن [(١)] للاستعانة بالملك المسعود يوسف بن محمد الأيوبي سلطان اليمن في مساعدته على توليه إمارة مكة بدلاً من أخيه حسن بن قتادة ، فما كان من الملك المسعود إلا أن استجاب لدعوة راجح وزحف بقواته في ربيع الأول ٦١٩هـ/١٢٢٢م وبصحبته راجح بن قتادة الحسني ، ولما سمع حسن بن قتادة بزحف القوات اليمنية تجهز في أنصاره بمكة وخرج بهم فتقابل الطرفان في معركة شديدة قُتل فيها عدد كبير من أنصار حسن بن قتادة ثم تعقبت قوات الملك المسعود قوات حسن بن قتادة وتقاتل الطرفان بين الصفا والمروة فتمت هزيمة قوات حسن بن قتادة مما اضطره إلى الخروج من مكة فدخلت القوات اليمنية بقيادة الملك المسعود ظافرة منصورة ، وقاموا بنهب مكة من الصباح حتى العصر وسفكوا دماء الناس بين الصفا والمروة لا يفرقون بين جنود الدولة المحاربين والسكان المسالمين [(٢)]

كان سبب هزيمة حسن بن قتادة أن قوات الملك المسعود كثيرة العدد وكاملة التسليح في الوقت الذي كانت قوات حسن قليلة العدد وضعيفة التسليح، فقد ذكر أن معظم أنصار حسن من الأشراف ومماليك والده قتادة قد تخلوا عن نصرته [(٣)] ولم يبق معه إلا أفراد قبيلة عنزة[(٤)] وذلك بسبب اتهام حسن بقتل والده وقيامه بقتل عمه حسن وبعض أخوته كما أنه لم يقدم على عمل يكسب به الأشراف والمماليك إلى جانبه بعد توليه الإمارة ، وكان تمرد

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٠٣. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٢٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٨، ٣٤. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٦١٧. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٨٦،٥٨٧. ناصر البركاتي : بنورسول وعلاقاتهم بالبيت الأيوبي ، ص١٤٦.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩، ص ٣٥٠. النويري : نهاية الأرب ، ج٢٩، ص ١٢٥. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص ٩٩. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤١. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٨٣، ٥٩٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٤. عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العهد الأيوبي ، ص٦٥.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩، ص ٣٥٠. النويري : نهاية الأرب ، ج٢٩، ص ١٢٥. العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٤٠٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٤.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩، ص ٣٥٠. الفاسي: العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٤٠٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٤.

أخيه راجح قد أدى إلى انفصال عدد كبير من الأشراف والمماليك الموالين له مما أضعف قدرة حسن على مواجهة أي غزو خارجي كامل التنظيم .

لم يكن هدف الملك المسعود مساعدة راجح بن قتادة على أخيه حسن،وإنما كان هدفه الأول هو السيطرة على مكة لمكانتها الدينية لدى شعوب العالم الإسلامي ، فأراد أن يكون للدولة الأيوبية الإشراف الكامل على الأماكن المقدسة، والدليل على أن الملك المسعود بعد أن تمكن من طرد حسن بن قتادة وأتباعه عن مكة والسيطرة عليها بالكامل لم يعين راجح بن قتادة أميراً على مكة وإنما أبعده عنها ، فولاه حلي والسرين ونصف المخلاف [1]وولى على مكة أحد أفضل قادة جيشه وهو الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول على رأس حامية عسكرية تقدر بـــ(٣٠٠) فارس لحمايتها من أي هجوم من قبل الأشراف [2] وبهذا أبعد الأشراف عن حكم مكة و جعل راجح بين قوتين يمنيتين الأولى في اليمن والثانية في مكة ، فيصعب عليه التمرد والخروج عن الطاعة .

والثاني : القضاء على سلطة الأشراف نهائياً بحيث يتم للأيوبيين السيطرة على ساحل البحر الأحمر بالكامل من اليمن إلى مصر حتى تتمكن الدولة الأيوبية في مصر من السيطرة على التجارة في البحر الأحمر ، يدلنا على هذا أن الدولة الأيوبية سعت منذ عام ٦١٣هـــ/١٢١٦م على شراء قلعة ينبع [3] من قتادة وتسلمها نواب الملك الكامل [1] الأيوبي

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٠٣. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٣٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج ١، ص ٥٨٣، ٦١٧. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٩٠. ناصر البركاتي : بنورسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي ، ص ١٤٦.

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤١. الفاسي : العقد الثمين ،ج ٣ ، ص ٤٠٣، المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٧٦.المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٣٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٤الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٨٨. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٨. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤١٠.

(٣) بنى الشريف قتادة بن إدريس بن مطاعن قلعة ينبع قبل عام ٦١١هـــ ، وكان يتحصن بها ويلتجئ إليها إذا تعرض لهزيمة وملاحقة من أعدائه ، واستمرت تؤدي دوراً مهماً في الصراعات العسكرية في المنطقة حتى اشتراها السلطان عمر بن علي بن رسول من الأشراف ، وقام بهدمها حتى لا تكون معقلاً للقوات المصرية خلال صراعه مع الأيوبيين عام ٦٣٩هـــ .النويري : نهاية الأرب ،ج٢٩،ص٦٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٤٦٥.ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٣، ص٥٧. السنجاري :منائح الكرم ، ج٢، ص٢٨٤. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص١١٦.

ملك مصر ، مقابل مبلغ أربعة الآف مثقال ذهب و تقديم مساعدات لقتادة، مستغلة الصراع بينه وبين أمير المدينة الأمير قاسم بن جماز (٢) ، ويبدو أن قتادة قد خادع السلطات المصرية أثناء صراعه مع الأمير قاسم الحسيني و لم يسلم قلعة ينبع لهم بدليل أنه عندما توفي عام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م كان أحد أبنائه يقيم بها ،فتم استدعاؤه من قبل أخيه حسن بن قتادة ، وقتله في مكة (٣). ويؤكد هذا أن قوات الملك الكامل الأيوبي ملك مصر أقدمت في عام ٦٢١هـ/١٢٢٤م على انتزاع قلعة ينبع من الأشراف بالقوة (٤)، لذا كان من أهداف حملة الملك المسعود هو إبعاد حكم الأشراف عن مناطق التجارة على البحر الأحمر .

حاول حسن أن يستعيد إمارته على مكة مستغلاً خروج الملك المسعود إلى اليمن ، فقام بجمع جيش من أتباعه من منطقة ينبع وزحف بهم إلى مكة ، فما أن سمع بتحركه نائب الملك المسعود الأمير عمر بن علي بن رسول حتى أكمل تعبئة قواته وخرج لملاقاة حسن بن قتادة واستطاع أن يوقع به هزيمة كبيرة (٥)قضت على أمل حسن في معاودة الكرة بالهجوم مرة أخرى بقوات محلية ،ففكر في الاستعانة بقوة خارجية تسانده في استعادة إمارته ، فخرج

---

(١) هو محمد بن أبي بكر محمد الملك العادل بن أيوب بن شاذي ، الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي ، ولد سنة ٥٧٦هـ ، كان سلطاناً عظيم القدر ، جميل الذكر ، محباً للعلماء ، متمسكاً بالسنة النبوية ، لا يضع شيء إلا في موضعه ، توفي في دمشق سنة ٦٣٥هـ. ابن خلكان : الوفيات ، ج٤، ص ٣٢٨. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٢، ص ١٢٧.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٦٦. المقريزي :السلوك ، ج١، ص ٣٤١. ابن فهد : غاية المرام ،ج١، ص٥٥٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٩. الجزيري : الدرر ، ص ٥٨٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج٩، ص ٦١٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٦،٢٨. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٨٥. ك سنوك ، صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، ج١، ص١٧٧.

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٣٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٨٨.

(٥) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ج٢، ص٢٠٧. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٣٦. ابن فهد : غاية المرام ،ج١، ص ٥٩٦. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٨. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٩٠. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤١٠. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٧٠.

إلى بلاد الشام فلم يجد بها معيناً ثم غادرها إلى العراق حيث توفى ببغداد سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م [١].

حملة ابن عبدان عام ٦٢٩هـ/١٢٣١م

بعد وفاة الملك المسعود يوسف بن محمد الأيوبي عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م أصبح والده الملك الكامل هو المشرف على بلاد الحجاز واليمن ، وحيث إن الملك المسعود قد استناب في اليمن قائده الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول فقد حرص الملك الكامل على أن تكون مكة تحت إدارته المباشرة وذلك حتى لا تكون تحت إدارة الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول الذي يتوجس منه الانفصال عن الدولة الأيوبية ، فأرسل إلى مكة الأمير شجاع الدين طغتكين [٢] لكي يكون نائباً عنه في مكة [٣] بدلاً من أميرها السابق الأمير حسام الدين ياقوت المسعودي[٤] الذي كان قد عينه الملك المسعود .

وفي عام ٦٢٩هـ/١٢٣١م أراد الملك المنصور نور الدين عمر بن رسول أن يضم إلى أملاكه في اليمن ما كان تحت إدارة الملك المسعود من بلاد الحجاز في مسعى منه لتحقيق

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٠٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٣٦. ابن فهد : غاية المرام ،ج١، ص ٥٨٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٩٠. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١١٩.

(٢) هو الأمير طغتكين بن عبد الله الكاملي ، أمير مكة المكرمة من قبل الملك الكامل الأيوبي صاحب مصر ، أخرجه من مكة المكرمة حملة الملك الرسولي عمر بن علي بن رسول عام٦٢٩هـ بقيادة ابن عبدان والشريف راجح ، ثم عاد إلى مكة على رأس حملة عسكرية ودخل مكة وأساء السيرة في أهل مكة فعزله الملك الكامل الأيوبي . الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤، ص ٢٩٥.

(٣) الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٩٦.

(٤) هو الأمير ياقوت بن عبدالله الأمير حسام الدين المسعودي ، ولاه الملك المسعود الأيوبي على مكة بعد أن استدعى إلى اليمن ، الأمير عمر بن رسول ، واستمر والياً عليها حتى عزله الملك الكامل بعد وفاة الملك المسعود وولى مكة للأمير طغتكين . الفاسي : القد الثمين ،ج٦، ص٢١٦.ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٢١٦.

غرضه في الانفصال عن الدولة الأيوبية نهائياً [1]، ولكي يجعل مكة نقطة متقدمة له يستطيع أن يدافع عنها ضد أي تحرك من الملك الكامل تجاه بلاد اليمن ،وبسيطرته على مكة يستطيع أن يحصل على احترام العالم الإسلامي وخصوصاً الخلافة العباسية إذا ما أحسن القيام بخدمات الحج فيها وأمن زوارها ، ويحقق لدولته مكانة منافسة لدول العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، فقام باستمالة راجح بن قتادة الذي سبق أن ولاه الملك المسعود على السرين وحلي ونصف المخلاف بعد نجاح حملة الملك المسعود على مكة عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م كما مر سلفاً ، وقام بتجهيز حملة عسكرية قوية وأوكل قيادتها إلى أحد قادته ويدعى ابن عبدان ويشاركه راجح بن قتادة الحسني ،وهو بهذا يستطيع أن يمنع أي انفصال من جانب راجح بن قتادة أو ابن عبدان إذا ما فكرا فيه، فزحفت الحملة من اليمن في ربيع الآخر سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م ووصلت إلى مكة ونزلت في الأبطح واستطاعت أن تفرض حصاراً على القوة الأيوبية المتواجدة داخل مكة بقيادة الأمير طغتكين ، وكان الأمير طغتكين قد تعاهد مع السكان على نصرته وأنفق عليهم مبلغاً كبيراً من المال في مقابل الصمود معه ضد الحملة اليمنية الغازية وذلك لقلة جنوده البالغ عددهم (٢٠٠) فارس فقط، فما كان من راجح إلا أن أخذ يراسل كبار أهل مكة ويذكرهم بسيرة الملك المنصور عمر بن علي بن رسول عندما كان نائباً على مكة من قبل الملك المسعود[2] ، واستطاع أن يستميل غالبهم إليه ، وبحكم أن الشريف راجح سليل البيت الحاكم لمكة طبيعياً أن يوجد بين أهل مكة من يميل إليه ويناصره ولم يغب ما كان يعمله راجح مع السكان عن أعين الأمير طغتكين ، لذا خشي الأمير

---

(١) كان الملك المنصور عمر بن علي بن رسول قد أعلن الانفصال عن الدولة الأيوبية، وراسل الخليفة العباسي في تقليده أمر اليمن ، وهو تقليد تشريفي يحصل عليه الولاة من الخليفة العباسي في بغداد تكسب الملوك صبغة شرعية على حكمهم . يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤٢٠.

(٢) كان الملك المنصور عمر بن علي بن رسول من أدهى الرجال حنكة وقيادة ،فعندما كان نائباً للملك المسعود على مكة المكرمة استطاع أن يستميل أهلها حيث أدار الإمارة بكل سياسة وحنكة وحسن تعامل مما جعل= =أهل مكة يكنون له كل حب وتقدير ، ومن أعماله أنه أمر بعمارة دار أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وكانت الأسعار رخيصة في عهده ، وأمن الناس ، وهذا مما جعل للملك المنصور محبة في قلوب الناس بمكة استغلها الشريف راجح وابن عبدان في استمالة الناس إليهم عندما حاصروها في حملتهم عام٦٢٩هـ .
الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٤٠٠. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٣٦٠. ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٣، ص ٤١.

طغتكين أن يدخل في صراع خاسر مع الحملة اليمنية وهو في قلة من جنده ، ولحدوث الخلل في الجبهة الداخلية له ، فقرر الخروج من مكة إلى ينبع القاعدة الخلفية للقوات الأيوبية فاسحاً المجال للحملة اليمنية أن تدخل البلد بدون خسائر(١)

حملة الشريف راجح سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م

بعد أن سيطرت القوات المصرية على مكة عام ٦٢٩هـ/١٢٣١م بقيادة الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ ،ومقتل الأمير اليمني ابن عبدان خرج راجح إلى جهة اليمن وأرسل إلى السلطان عمر بن علي بن رسول بما حدث لقواته بمكة ، ودخول مكة تحت سلطة الملك الكامل الأيوبي ، فما كان من السلطان عمر بن علي بن رسول إلا أن أرسل إلى راجح بقوات كثيرة انضمت إلى القوات المتواجدة معه فزحف بها واستطاع أن يدخل بها مكة في شهر صفر من سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م في الوقت الذي خرجت القوات المصرية التي كانت بها بدون قتال، مما يدل أن القوات المصرية عرفت أنها لن تحقق نصراً على القوات اليمنية ففضلت الانسحاب والإرسال بخبر القوات اليمنية إلى الملك الكامل ملك مصر (٢).

هنا يتبين أن قوات راجح لم تلاق صعوبة في دخول مكة ، كما أن خروج القوات المصرية بشكل سريع يدل على معرفتها بأن أهل مكة سوف يميلون إلى صف القوات اليمنية بقيادة راجح بن قتادة ، وسبب هذا تصرف الأمير طغتكين السيئ مع أهل مكة سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م عندما سمح للقوات المصرية بالنهب والسرقة لمدة ثلاثة أيام وانتقم الأمير طغتكين من السكان بقتل عدد كبير من أهلها لميلهم مع القوات اليمنية عندما قدمت بقيادة

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٩. الفاسي : العقد الثمين ،ج٤، ص٢٩٥،ج٥، ص ٣٦٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٦٢٠،٦٠١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩١. يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ص ٤٢٠. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٢٠. ناصر البركاتي : بنو رسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي ، ص ١٥٤.

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤١. الفاسي : العقد الثمين ج٤،ص ٨٠، ج٦، ص ٢٥٧. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٦٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٦١٧، ٦١٩. العصامي : سمط النجوم العوالي= =، ج٤، ص ٢٣٣. ناصر البركاتي : بنو رسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي ، ص١٥٥.

راجح وابن عبدان في بداية سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م[1] لذا ليس مستغرباً أن يميل أهل مكة لصالح القوات اليمنية ضد القوات المصرية التي ارتكبت بتصرفها وتصرف قائدها طغتكين حماقة كبيرة في حقهم ، وأيضاً القوات اليمنية تضم بين صفوفها أحد أبناء الأسرة الحاكمة في مكة هو راجح بن قتادة الذي من الطبيعي أن يكون له أنصار من بين رجال مكة فهو ابن حاكمهم السابق الشريف قتادة .

لذا كان تصرف الحملة المصرية حكيماً عندما فضلت الانسحاب بدلاً من الدخول في صراع غير محسوب النتائج بين فريقين من الأعداء .

حملة الشريف راجح على مكة عام ٦٣١هـ/١٢٣٣م

ما أن علم الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول بخروج قواته ونائبه راجح بن قتادة من مكة ،بسبب قدوم حملة الأمير آق سنقر الزاهدي عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، حتى أخذ يستعد لإرسال حملة عسكرية جديدة لاستعادة السيطرة على مكة التي باتت تشكل له نقطة عسكرية متقدمة يحافظ بها على ما لديه من الأراضي اليمنية ، وبعد اكتمال التجهيزات أرسل قوة عسكرية كبيرة ومعها خزانة عظيمة [2]تحتوي أموالاً طائلة بحيث يستطيع حليفه راجح أن يصرف منها على القوة العسكرية ويضم به من يستطيع من الأعوان كما يستخدمه في إرضاء أهل مكة بما يقدمه من هبات وخدمات ، فعندما قدمت القوة اليمنية وما تحمله من أموال زحف بها راجح نحو مكة ، واستطاع أن يخرج أميرها ابن مجلي [3] و

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٩. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٣٦٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٦٠١، ٦١٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩١. يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ص ٤٢٠. ناصر البركاتي : بنو رسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي ، ص١٥٥. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٧١.

(٢) خزانة مأخوذة من خزن ، وهي واحدة من خزائن ، وهي اسم لما يوضع فيه المال ويخزن به . ابن منظور : لسان العرب ، ج٤، ص ٨٧. الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، ص١٠٧٥.المنجد في الأعلام واللغة ، ج١، ص١٧٨. والمقصود هنا أنه أرسل مالاً عظيماً للشريف راجح .

(٣) هو أحد الأمراء في دولة الملك الكامل الأيوبي أرسله إلى مكة المكرمة بدلاً من أميرها السابق طغتكين لإساءته لأهلها فوصل إليها في عام ٦٣٠هـ. الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص٣٦٣.

الحامية المصرية المتواجدة معه ويدخل بقواته البلد ويعلن عودتها إلى السلطة الرسولية حيث دُعي للسلطان نور الدين عمر ابن علي بن رسول على منبر المسجد الحرام (1)

يتبين لنا أن هذه الحملة كسابقتها لم تدخل في صراع عسكري مع الحامية المصرية في مكة وأصبحت القوات اليمنية والمصرية ما إن يسمع كلٍ منهما بقدوم قوة أكبر منها في العدد والعدة حتى تنسحب بدون مواجهة عسكرية وهذا يدل على ضعف القناعة لدى القوات العسكرية لكلا الطرفين في الاحتفاظ بمكاسبها السابقة ، والتضحية في سبيل تحقيق أهداف قادتها السياسيين في كلا القطرين المصري واليمني ، بل كان يحرص كل من القادة وجندهم على سلامتهم ، ويكتفون بأن يرسلوا إلى القيادات السياسية في القطرين المصري واليمني بأخبار الحملات التي تصل ، وينتظرون ما تأمر به .

حملة الأمير شهاب الدين بن عيدان(2) سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م

لم يستطع الشريف راجح ومن معه من القوات اليمنية صد القوات المصرية التي زحفت على مكة في عام ٦٣٢هـ/١٢٣٢م بقيادة الأمير جفريل ، فخرج بقواته إلى جهة اليمن وأرسل إلى السلطان نور الدين عمر بن رسول يخبره بما حدث في مكة من دخول القوات المصرية إليها ، عند هذا جهز السلطان عمر بن علي بن رسول حملة عسكرية كبيرة وجعل قيادتها للأمير شهاب الدين بن عيدان ، وأرسل بأموال عظيمة إلى راجح لكي يستغلها في تسليح الجند ، وعندما قدمت القوات اليمنية بقيادة الأمير شهاب الدين بن عيدان ،انضمت إليها القوات المحلية التي تحت قيادة راجح بن قتادة ، فزحفت جميعها تجاه مكة ، فما أن

---

(1) الخزجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٥٤.الفاسي : العقد الثمين ،ج٤، ص٨٠، ج٥، ص ٣٦٣. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٧٠. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٦٢١،٦٠١. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٧١. يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ص ٤٢١. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٣. سليمان مالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية ، ص٧٧. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ٦٠. عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص٧٢. ناصر البركاتي : بنو رسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي ، ص١٥٦.

(2) ابن عيدان : هو الأمير شهاب الدين بن عيدان ،وقيل ابن عبد الله : أحد قادة السلطان عمر بن علي بن رسول أرسله على رأس قوة عسكرية إلى مكة لمساندة الشريف راجح لإخراج القوات المصرية من مكة سنة٦٣٣هـ. الخزجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٥٤. الفاسي : العقد الثمين ،ج٤، ص٨٠.

سمعت القوات المصرية بهذه القوات حتى خرجت لملاقاتها فالتقى الطرفان في خارج مكة في موضع الخرقين[1] ، فدارت معركة قوية انتهت بانتصار القوات المصرية وانهزمت القوات اليمنية ومن معها من أتباع راجح بن قتادة ، وسقط الأمير شهاب الدين بن عيدان أسيراً في يد الأمير جفريل فقام باعتقاله وإرساله إلى مصر[2] .

حملة السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م

بعد هزيمة القوات اليمنية بقيادة راجح وابن عيدان سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م في معركة الخرقين أخذ السلطان عمر بن علي بن رسول يعد العدة لانتزاع مكة من السلطة الأيوبية، فبعد أن أكمل استعداداته خرج على رأس ألف مقاتل من قواته قاصداً مكة ، وفي الطريق التقى بحليفه راجح بن قتادة فجهزه بـ(٣٠٠)مقاتل وأمره بالمسير بمحاذاة الساحل بحيث تشكل حماية لجيش السلطان من أي غزو محتمل يأتي عن طريق البحر ، وعندما اقتربوا من مكة تقدم راجح معلنا للقوات المصرية بأن السلطان قد أمر لكل جندي يأتي إليه من القوة المصرية بـ(١٠٠٠) دينار وحصاناً وكسوة ، فكان لهذا الخبر وقع مؤلم على القيادة المصرية في مكة ،حيث بدأ الخلل في صفوف قواتها فقد بدأ كثير من أفراد الحملة بالانحياز للقوات اليمنية ، فما كان من القيادة المصرية إلا أن فكرت في الخروج من مكة سالمة وألاّ تقدم على مواجهة محتومة النتيجة لصالح السلطان نور الدين بن رسول ، فقام الأمير جفريل بإحراق ما كان معه من أثقال وخرج قاصداً مصر قبل قدوم الحملة بيومين ، مفسحاً الطريق للقوات اليمنية بدخول مكة بدون قتال وذلك في السابع من رجب سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م فأرسل راجح للسلطان عمر بما حدث من الحامية المصرية فدخل السلطان عمر بن علي بن رسول

---

(١) الخريقين :يسمى اليوم الخرقان ، وهو واد جنوب مكة المكرمة بين الخضراء والليث ، تسكنه قبائل رحمان من بني شعبة . البركاتي ، شرف بن عبد المحسن : الرحلة اليمانية ، تحقيق عبدالله بن عبد الرحمن الياس ، ط٣، دار نشر التراث العربي بيروت ، ص٣٧. عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج ٣ ، ص ١١٤.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٥٤. الفاسي : العقد الثمين ،ج٤، ص٨١، ج٥، ص ٣٦٣. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٧٠. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٦٠١،٦٢١. يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ص ٤٢١. سليمان المالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية ، ص٧٩. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٦٠.

مكة معتمراً ثم أقام بها إلى نهاية العام ثم عاد إلى اليمن بعد أن ولى قائدين من أتباعه أحدهم يدعى ابن التعزي[1] والآخر يدعى ابن الوليد [2]على رأس حامية عسكرية تقدر بـــ (١٥٠) فارساً ثم عاد إلى اليمن [3].

يتبين لنا من خلال الأحداث التي تمت في هذه الحملة حنكة السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول في إدارة الحرب، فقد استطاع السلطان بفضل الله سبحانه وتعالى ثم ما أوتي من خبرة عسكرية أن يمنع المواجهة العسكرية ،ويحبط كل محاولة للقوات المصرية في إعاقة الحملة ، فقد بدأ بتقوية الجيش الزاحف بقيادته ثم قام بإرسال مقدمة تكون طليعة للجيش الزاحف مهمتها تلقي الصدمات الأولى والنشر الإعلامي عن القوات الزاحفة بقيادة السلطان في مكة بأن لا طاقة لأحد بمواجهتها ، كما أعلنت عن رغبة السلطان في الإحسان إلى أفراد القوة المصرية من الجنود إذا ما تخلوا عن القتال بما يحصلون عليه من أموال طائلة قد لا يجدونها في حالة دخولهم الحرب وانتصارهم ، فالمبلغ الذي تم الإعلان عنه لمن ينضم إلى القوات اليمنية وهو (١٠٠٠) دينار وحصان وكسوة لكل فرد أمر مغرٍ لكل الجنود ، فكانت هذه الخطوة مفيدة في تفتيت القوة المصرية ،ونشر الفرقة بين أفرادها ، فقد انضم إلى القوات اليمنية عدد من جنود الحملة المصرية فكان هذا الانقسام سبباً في خروج قائد القوات المصرية دون أي مقاومة للقوات الزاحفة على مكة .

---

(١) ابن التعزي : هو أحد القادة لدى السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول ، ومن لقبه يتبين أنه أحد أبناء مدينة تعز اليمنية ، عينه السلطان قائداً بمكة شريكاً للقائد ابن الوليد على رأس الحامية اليمنية عام٦٣٥هـــ ، وقام بتحلية الكعبة المعظمة نيابة عن السلطان عمر بن علي بن رسول . الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص ٣٦٢.

(٢) ابن الوليد : وقيل ابن الوليدي : هو أحد قادة السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول ، عينه السلطان قائداً بمكة المكرمة شريكاً لابن التعزي عندما دخل مكة المكرمة سنة ٦٣٥هـــ . الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص٣٦٥.

(٣) الخزرجي :العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦١.الفاسي : العقد ،ج٣، ص٢٨٣،ج٤،ص ٨١، ج٥، ص ٣٦٣. ابن فهد: إتحاف الورى ، ج٣، ص ٥٣. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٤٢٣. العاصمي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٣٣.سليمان المالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية ، ص ٧٩. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٦١. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية في مكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص٤٨.

و لم يكن السلطان عمر بن علي بن رسول غريباً على القوات المصرية فهو كان أحد قادة الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل الأيوبي فانضمام جنود من القوات المصرية يعني معرفتهم بالقيادة الجديدة التي يدخلون تحت قيادتها ، وقد اتصف السلطان عمر بن علي بن رسول بالحكمة والسيرة الحسنة مع الجند .

كما أنه لم يول راجح على مكة ، وذلك يبدو لعدم قناعة السلطان بمقدرة راجح العسكرية على إدارة الإمارة في مواجهة الحملات المصرية في المستقبل ، كما أنه يعرف طموح راجح بن قتادة في الإمارة ، لذا فضل ألاّ يولي أحداً بمسمى أمير على مكة ولكن جعل له نائبين كقائدين عسكريين على رأس قوة عسكرية تقدر (١٥٠)جندياً ومع أن القوة العسكرية تبدو قليلة بالنسبة لقائدين ولكن يبدو أن السلطان كان يخشى تمرد القادة فجعل قائدين فلو كان قائداً واحداً ربما يفكر في الانفصال عن الدولة الرسولية ولربما يستطيع أن يستميله أو يتغلب عليه راجح فجعلهم قائدين حتى تصعب كل الاحتمالات التي تم ذكرها ، كما يبدو أنه أعاد راجح إلى مكان ولايته السابقة وهي السرين وحلي ونصف المخلاف .

كما أن السلطان عمر بن علي بن رسول تصدق في مسيره هذا بصدقة كبيرة، وأحسن إلى أهل مكة والمجاورين وفرق الأموال بها مما زاد من ولاء سكان المدينة المقدسة له ، وكانت فترة إقامته حتى انقضاء الموسم كافية أن يرتب أمور مكة ويؤمن سكانها ، ويعود إلى بلاده.

حملة الشريف راجح وابن النصيري[١] سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م

(١) ابن النصيري : هو أحد قادة السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول أرسله قائداً لحملة عسكرية شريكاً للقائد الشريف راجح بن قتادة سنة ٦٣٧هـ لإخراج القوات المصرية التي دخلت مكة بقيادة شيحة بن هاشم الحسيني سنة٦٣٧هـ . الفاسي : القعد الثمين . ج٤، ص ٨١.

عندما علم السلطان عمر بن علي بن رسول بخروج حاميته بمكة ، وحجم القوات المصرية التي دخلتها عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م ، وأن الصراع تجدد مع السلطة المصرية الجديدة المتمثلة في السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب خلفاً لوالده الملك الكامل محمد الأيوبي ، أعد قوة عسكرية كبيرة ،وعين لها راجح بن قتادة الحسني وأحد قادته ويدعى ابن النصيري قائدين وأمرهم بالمسير إلى مكة وإخراج القوات المصرية التي بها بقيادة شيحة بن هاشم الحسيني فزحف القائدان بقوتهما ، وقد وصلت أخبار هذه الحملة إلى أسماع شيحة بن هاشم الحسيني أمير القوة المصرية بمكة ، فعرف شيحة أن لا طاقة له بمواجهة القوة اليمنية الزاحفة على مكة ، فقرر الخروج بقواته والعودة إلى مصر ، ويبدو أن عودته لمصر كانت بمفرده حيث أخبر السلطان الملك الصالح بخبر الحملة اليمنية في الوقت الذي بقي الجند في المدينة المنورة ، وفي نفس الوقت دخلت القوات اليمنية مكة بقيادة راجح وابن النصيري معلنة عودة السيادة اليمنية على المدينة المقدسة[1].

حملة السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م

علم السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول بخروج قواته من مكة على أثر قدوم حملة الأمير شيحة الثانية سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م فقام بتجهيز حملة جديدة وأوكل قيادتها إلى راجح بن قتادة ،[2] وزحف من اليمن بالحملة الجديدة ، وقد وصل خبرها إلى القوة المصرية

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦٤. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢، ص ٣٤٣. الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص ٨١. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٤١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٥٦.ابن فهد : غايةالمرام ، ج١، ص ٦٠٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩٤. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٣٤. عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي،ص٧٥. جميل حرب:الحجاز واليمن في العصرالأيوبي، ص ٦١.

(٢) ذكر التقي الفاسي في كتابة العقد الثمين ج٤، ص ٨١. أن الشريف الذي صاحب السلطان في هذه الحملة هو راجح بن قتادة ، بينما ذكرت باقي المصادر أنه الشريف علي بن قتادة والصحيح فيما يبدو هو راجح وذلك لما يلي : الأول أن الشريف علي بن قتادة لم يرد له ذكر في جميع الكتب التي كتبت عن تلك الفترة و لم نستدل على وجود هذه الشخصية إلا بانتساب ابنه أبي سعد والراجح أنه هو الذي تم استدعاؤه من ينبع من قِبل أخيه الشريف حسن بن قتادة وقتله فبقي أبنه أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة في ينبع حتى كبر واشتد ساعده فقدم إلى مكة المكرمة ليدخل دائرة الصراع السياسي بها ، والثاني : أنه لم يكن حياً لأنه إذا كان حياً هذا الشريف

في مكة فأرسلت تطلب مدداً من القاهرة على وجه السرعة ، فأرسلت السلطة السياسية مدداً يقدر بــ(١٥٠)جندي بقيادة الأمير مبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس [1] ، والأمير ابن التركماني [2]، ووصل خبر هذا المدد إلى الحملة اليمنية الزاحفة بقيادة راجح بن قتادة ، مما يدل أن كلا القوتين تتجسس الأخبار عن بعضهما البعض ، فتوقف راجح بن قتادة بقواته في منطقة السرين، وأرسل إلى السطان عمر بن رسول يخبره بخبر النجدة المصرية ويسأله المدد ، فما كان من السلطان عمر بن علي بن رسول إلا أن قرر الزحف بنفسه ليقضي على مخاوف قادته وينتزع مكة من السلطة الأيوبية فقدم بقواته من اليمن، وانضمت إليها جميع قواته المتواجدة مع قادته الآخرين فأصبح في قوة ضخمة للغاية فزحف بالجميع قاصداً مكة فلما سمع الأمير شيحة بن هاشم الحسيني نائب السطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ومن معه من القادة بقدوم السلطان وبكثرة ما معه من القوات، تيقنوا أن لا طاقة لهم بملاقاته فخرجوا هاربين من مكة وقاموا بإحراق دار الإمارة وما تحتويه مخازنها من متاع وسلاح حتى لا تصبح غنيمة للقوات اليمنية ، وذلك لأنه يصعب على الجيش الخارج حملها معه فتصبح معيقاً له في الخروج على وجه السرعة ، لذا كان إحراقها حتى لا يستفيد

فلا يكون لابنه الشريف الحسن بن علي بن قتادة (أبي سعد) زعامة على قومه لوجود والده الشريف علي . والثالث : أن المصادر لم تذكر لهذا الشريف أي دور سوى هذه المهمة البسيطة مع أنها قريبة جداً من أمير مكة المكرمة كما أنها لم تعد تذكر أي دور لهذه الشخصية بعد دخول السطان نور الدين عمر بن رسول في هذه الحملة إلى مكة المكرمة في الوقت التي تذكر ابنه الشريف أبي سعد بن علي بن قتادة . لذا فإن الشريف علي بن قتادة قد توفي قبل هذا التاريخ مما جعل لابنه الشريف أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة الزعامة على قومه في ينبع وفي وادي مر ، والذي قدم مع السلطان نور الدين هو الشريف راجح بن قتادة صديق السلطان وحليفه السابق ، بدليل أن المصادر بقيت تذكر لهذا الشريف أدواره التي قام بها خلال فترة الصراع بين بني رسول والدولة الأيوبية وبين الأشراف أنفسهم بعد زوال سيطرة بني رسول على مكة ونهاية بينها وبين الدولة الأيوبية .

(١) هو الأمير علي بن الحسين بن برطاس مبارز الدين ، كان أحد الأمراء الذين أرسلهم الملك الصالح نجدة للحامية المصرية في مكة المكرمة ، وعندما قدم السلطان نور الدين علي بن رسول انضم إليه فصار أحد قادته ، ثم عاد معه إلى اليمن ، فكان أحد أمراء جنده ، قتل في حملة على مكة المكرمة في عهد الملك المظفر بن رسول سنة ٦٥٢هــ . الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢٤٨.

(٢) هو الأمير أحمد بن التركماني مجد الدين ، قدم إلى مكة مع ابن برطاس أميراً سنة ٦٣٩هــ ، نجدة للعسكر المصري الذي كان بمكة ،كان محباً للعلم سمع العلم على بعض علماء مكة كتباً في الحديث الشريف . الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ١٢٣.

منها العدو ، وكان خروج القوات المصرية خبراً ساراً للسلطان نور الدين فقدم إلى مكة فدخلها في رمضان سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م ، ويبدو أن السلطان عمر بن علي بن رسول قد أعلن للقوات المصرية بهبات وعطايا [(١)] لمن يترك الحرب وينضم إليه مثل ما عمل في الحملة التي دخل بها مكة في سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م والدليل على ذلك انضمام الأمير مبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس بعدد من الجند إلى السلطان عمر بن رسول وأصبح أحد قادته ، وفي هذه الحملة أراد السلطان عمر بن علي بن رسول أن يعيق تقدم القوا ت المصرية وخطوط تموينها في المستقبل وذلك لأنه قرر أن يستولي على قلعة ينبع بحيث كانت مقراً للقوات المصرية في حالة انسحابها من مكة في الحملات السابقة ، فقام باستدعاء الشريف أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة ، واشترى منه قلعة ينبع ،وأمره بأن يخرب تحصيناتها وأبراجها حتى لا تعود صالحة للاستخدام العسكري ، ووضع أبا سعد أميراً على منطقة وادي مر بحيث يشكل منطقة دفاعية متقدمة عن مكة في وجه أي غزو من قبل أمير المدينة المنورة أو حملات مصر ،ويكون أيضاً ضداً لابن عمه الأمير شيحة بن هاشم الحسيني أمير المدينة المنورة الذي كان موالياً للسلطة السياسية في مصر ،كما قام باستمالة المكيين إليه حيث أسقط كافة المكوس والجبايات والمظالم التي كانت تجبى منهم وكتب أمره هذا على حجر ،وجعله في جدار المسجد الحرام المواجه للحجر الأسود ، وذلك لكي لا يبدل الولاة على مكة أوامر السلطان ويعيدوا بعض الجبايات والمكوس ، وبهذا العمل زادت شعبية السلطان الملك المنصور عمر بن علي بن رسول لدى أهل مكة ، وبعد أن أتم تنظيماته في

---

(١) كان السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول قد أعلن في حملته على مكة سنة٦٣٥هـ للقوات المصرية بأنه من ينضم إليه يعطى ١٠٠٠دينار وحصان وكسوة ، فكانت سبباً في تفكك القوات المصرية المتواجدة في مكة ذلك الوقت . الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٥٣.

مكة ، عين نائبين له وهما الأمير فخر الدين الشلاح [١]،والأمير ابن فيروز [٢] ويبدو أنه لم يعط أحد من الأشراف ولاية على مكة خوفاً من استقلالهم بالسلطة فيها وعاد إلى اليمن[٣].

لم يستطع الملك الصالح نجم الدين أيوب أن يرسل قوات جديدة من مصر تعيد مكة إلى السلطة الأيوبية ، وذلك لتفاقم الخلافات بين أبناء البيت الأيوبي ، والتهديدات الصليبية المستمرة المتمثل في هجوم الحملة الصليبية السابعة [٤] وبقيت مكة في يد نواب الملك المنصور حتى استطاع أبوسعد الحسن بن علي من انتزاعها في ذي القعدة سنة ٦٤٧هـ ١٢٤٩م[٥].

حملة الأمير مبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس سنة ٦٥٢هـ ١٢٥٣م

بقيت مكة في يد الأشراف بعد استيلاء الشريف أبي سعد الحسن بن علي ين قتادة عليها في ذي القعدة سنة ٦٤٧هـ ١٢٤٩م [٦] ، ولم تحرك الدولة الرسولية ساكناً وذلك لعدة أمور منها : تزامن وفاة السلطان نورالدين عمر بن علي بن رسول الذي كان مستميتاً في سبيل

---

(١) هو الأمير فخر الدين الشلاح ، مملوك الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول ، استنابه الملك المنصور بمكة المكرمة مع ابن فيروز سنة ٦٣٩هـ ، قام بضبط الأمور في الحجاز ، فبنى الحصون وأقام العدل ، وعزله سنة ٦٤٦هـ. الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص٣٦٥.

(٢) هو الأمير ابن فيروز أحد قادة الملك المنصور عمر بن علي بن رسول استنابه السلطان على مكة المكرمة شريكاً للأمير فخر الدين الشلاح ، عندما استولى على مكة المكرمة سنة ٦٣٩هـ . المصدر السابق ، ج٦، ص٣٦٣.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦٨. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٣، ٤٠٢. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ١٢٣، ج٤، ص ٨٢،ج٥، ص٣٦٤.. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٤١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٥٧.ابن فهد : غايةالمرام ، ج١، ص ٦٢٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٩٤. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٣٤. فريال قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص٢٥٤-٢٥٦. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصرالأيوبي ، ص٦٢.

(٤) المقريزي : السلوك ، ج ١ ، ص ٤١٥-٤٤١. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦، ص ٣٢١-٣٣٤.

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٧٧.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤٤ . الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٣٩٧. المقريزي : السلوك ، ج ١ ، ص٤٣٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٦٨. ابن فهد: غاية المرام ، ج١، ص ٦٣٣. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٩.

(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٧٧.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤٤ . الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٣٩٧. المقريزي : السلوك ، ج ١ ، ص٤٣٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٦٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٦٣٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٦. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣١١.

بقاء مكة ضمن السيادة اليمنية مع استيلاء أبي سعد عليها فقد قتل السلطان في التاسع من ذي القعدة ٦٤٧هـ ١٢٤٩م [١] لذا انشغلت الدولة الرسولية في اليمن في قضية ولاية الملك بعد مقتل السلطان عمر مما جعل إرسال حملة إلي مكة يعد من الأمور الصعبة في هذه الظروف ، والأمر الآخر أن أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة كان من الذكاء بمكان حيث إنه أعلن عند استيلائه على مكة من الوالي اليمني أنه تابع للسلطة اليمنية وليس مستقلاً عنها[٢] مما هدأ الأمور عنه لدى السلطة الجديدة في اليمن ، وقد دخلت السلطة الجديدة في اليمن في نزاع أسري حول العرش لم يستمر طويلاً انتهى بتولي الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول على مقاليد الحكم [٣]، وبدأ في ترتيب وضع المملكة اليمنية ، ولم تغب عن الملك المظفر أمور ولاية مكة ، ولكن يبدو أنه كان شديد الحذر من محاربة أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة ، لما يتمتع به هذا الرجل من نفوذ في المنطقة ، فاكتفى الملك المظفر من أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة بالدعاء له على منبر المسجد الحرام وقام السلطان في عام ٦٤٩هـ/١٢٥١م بأداء فريضة الحج ،و بتقديم الأموال والصدقات في أهلها حتى أنه نثر الذهب والفضة على الكعبة المعظمة ، وكسا الكعبة كسوة من الداخل ، ولم يتعرض لأحد بسوء من جميع وفود الحجاج التي حضرت الموسم بل جهز لأعيان وفد حاج مصر بما يحتاجونه [٤] ويبدو هنا أن السلطان الملك المظفر كان قدومه للحج شكراً لله الذي مكنه من من تولي عرش اليمن ، وأيضاً كان يحاول معرفة الأوضاع في مكة ويقدر حجم القوات

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٨٢. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٣٦٥. يحي بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤٣٣.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٧٧.الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٣٩٧. المقريزي : السلوك ، ج ١ ، ص٤٣٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٦٣٣. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص٥٠.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٨٥. يحي بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤٤٠. مجهول : تاريخ الدولة الرسولية في اليمن ، ص٢٧-٣٠. الكبيسي ، محمد بن إسماعيل : اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، تحقيق أبو حسان خالد أبا زيد الأذرعي ، ط١، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، اليمن ، ١٤٢٦هـ ،ص١٣١-١٣٣.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج١، ص ١٢٣. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٨٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٦٨. الجزيري : الدرر، ج١، ص٥٩٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣١١.

الموالية لأبي سعد الحسن بن قتادة ، وفي نفس الوقت حاول كسب السكان بتوزيعه للصدقات التي وصلت كل بيت ، ونشر صورة حسنة عنه لدى الدول الإسلامية الأخرى بإحسانه لوفودها التي حظرت الموسم ، وهو بهذا يمهد بأن يجعل له أنصاراً من أهل مكة فيما إذا قدمت حملة من قبله في المستقبل القريب ، ويبدو أن الملك المظفر اقتنع بعدم الدخول في صراع مع أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة خوفاً أن يميل إلى القوة الجديدة الفتية في مصر[1] بعد زوال الدولة الأيوبية فقرر أن يتحين الفرصة لحدوث أي خلاف بين أشراف مكة حتى يستطيع أن يستعيد السلطة الرسولية على مكة المكرمة ، وقد سنحت هذه الفرصة بعد مقتل أبي سعد الحسن ابن علي بن قتادة سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م وتنازع الأشراف على الإمارة [2] فما كان من الملك المظفر إلا أن جهز حملة عسكرية تقدر بـ(٢٠٠)فارس تحت قيادة الأمير مبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس ، فوصل إليها بقواته ، وعندما وصلت أخبار الحملة اليمنية إلى الأشراف في مكة استعدوا لملاقاته بقيادة أبي نمي بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة و إدريس بن قتادة وشاركهم في هذه المواجهة جماز ابن شيحة الحسيني أمير المدينة المنورة[3] ودارت معركة عنيفة بين الطرفين في منطقة قوز المكاسة [4] ، انتهت بانتصار القوات اليمنية ودخولها مكة في الخامس من ذي القعدة سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م ،

---

(١) كانت هذه القوة هي الدولة المملوكية حيث بدأت في عام٦٤٨هـ. العبادي : أحمد مختار ، في التاريخ الأيوبي والمملوكي ، ص ١٢٠.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ١٠٠. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٤٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٧٤.ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص ٦٤٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣١٥. الجزيري : الدرر، ج١، ص٥٩٨.

(٣) لم يكن الأمير جماز بن شيحة في ذلك الوقت قد تسلم الإمارة في المدينة المنورة وقد كان الأمير هو أخوه الأمير منيف بن شيحة الحسيني ، و لم يتسلمها إلا بعد وفاة أخيه منيف عام٦٥٧هـ ، ويبدو هنا أن الأشراف استنجدوا بالأمير منيف بن شيحة أمير المدينة المنورة ، فأرسل إليهم ممداً بقيادة أخيه جماز . الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٢٨٤.

(٤) قوز المكاسية : القوز في اللغة الكثيب الصغير من الرمل ، والمكاسة من المكس وهو الجباية الدراهم من البائع على السلع في الأسواق وهو أخذ العشر من مبلغ كل مباع ، والمقصود بقوز المكاسة بمكة المكرمة :هي رملة بآخر المسفلة من مكة في سفح جبل الميثب ، كانت تعرف في القديم بالرمضة ، وقد وصل إليها العمران اليوم وتعرف بقوز النكاسة . ابن منظور : لسان العرب ، ج١١، ص ٣٤٥ ، ١٣، ص ١٦٠.عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٨، ص ٢٣٤.

معلنة عودة السيادة اليمنية ، وقد قام الأمير مبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس بإقامة شعائر الحج للوفود التي قدمت من جميع أقطار العالم الإسلامي [1] واستمر الأمير مبارز الدين في مكة إلى السابع والعشرين من المحرم من السنة التالية سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م حيث استطاع الأشراف أن يجمعوا جموعاً من أنصارهم وبمساعدة الأمير جماز بن شيحة الحسيني الذي فيما يبدو قد استنجد الأشراف بأخيه أمير المدينة المنورة الأمير منيف بن شيحة فأرسل أخاه الأمير جماز على رأس قوة نجدة لهم ، واستطاعوا أن يخرجوا الأمير مبارز الدين وجنده بعد معركة شديدة قتل فيها عدد كبير من القوات اليمنية ثم التجأت القوات اليمنية إلى داخل مكة فقام الأشراف بمحاصرتهم فيها ودخلوها من كل شعب مما يدل على كثرة الجند المهاجمين ، وموالاة السكان لها [2]، واستطاعوا هزيمة القوات اليمنية وقتلوا العديد منها و لم يسلم الأمير مبارز الدين من القتل إلا بتقديم فدية كبيرة من المال وعاد إلى اليمن مع من بقي من جنده واستعاد الأشراف إمارة مكة [3]

لم يقدم بعد هذا السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول ملك اليمن على التدخل في شؤون إمارة مكة المكرمة ، فلم يرسل حملة عسكرية بعد حملة الأمير مبارز الدين علي بن برطاس التي منيت بالهزيمة الساحقة ، ويبدو أن السلطان الملك المظفر قد اقتنع بصعوبة بقاء

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص١١٥. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٤٩، ج٥، ص ٢٤٨. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٤٨٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٧٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٥. ابن ظهيرة الجامع اللطيف ، ص ٢٧٤. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٣٧. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣١٧. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص٥١.

(٢) كان حكام اليمن من بني رسول قد فقدوا ولاء سكان مكة بعد تولية الأمير ابن المسيب عليهم سنة٦٤٦هـ وقد أساء السيرة وأعاد الجبايات والضرائب على أهل مكة المكرمة واستولى على الصدقات التي كانت تصل إلى أهلها فكرهه السكان وأعانوا أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة على قتاله وخلعه . الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٧٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص ٣٦٤. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٤٣٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٦٣٣. الجزيري : الدرر، ج١، ص ٥٩٦.

(٣) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص ٨٤.الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص١١٩.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٤٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٤٩، ج٥، ص ٢٤٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٧٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ٤٥. الجزيري : الدرر، ج٣، ص ٥٩٨. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤٤١. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٣٧.

إمارة مكة تتبع مملكة اليمن وأن يحكمها أمير من غير أهلها لذا نراه يعرض عن التدخل في شؤونها ، فقد حج في عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م بقوات كثيرة جداً فخرج أبو نمي بن الحسن بن علي بن قتادة وإدريس بن قتادة إلى خارج البلد تجنباً للاصطدا م معه ، فقضى السلطان الملك المظفر ما عليه من نسك الحج وعاد إلى اليمن دون أن يتدخل في شؤون مكة السياسية مكتفياً بالدعاء له على منبرالمسجد الحرام ، وقد بذل من أعمال البر الشيء الكثير حيث وصلت صدقاته إلى كل إنسان في مكة [(١)] ، ويبدو أن القوات التي صاحبت السلطان كانت لحمايته فقط من أي هجوم يقوم به الأشراف ضده في المشاعر المقدسة .

حملة الملك المجاهد[(٢)] عام ٧٥١هـ/١٣٥٠م:

أراد الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف الرسولي سلطان اليمن القدوم إلى مكة لأداء فريضة الحج فقدم بقوات عسكرية كثيرة قيل إنها بلغت(٧٠٠)فارس و(٨٠٠) قواس وعدد كبير من الجند من جميع أقاليم اليمن[(٣)] وكان بصحبته أمه وأبناؤه ، وأتى معه بكسوة للكعبة المعظمة[(٤)] ، ويبدو أن قدوم الملك المجاهد بهذه القوة يخفي هدف سياسي تحت غطاء أداء فريضة الحج وذلك أنه علم بالخلاف الذي وقع بين أبناء الشريف رميثة حول تولي الإمارة بعد وفاة والدهم ، وكان تولي عجلان بن رميثة للإمارة بمفرده من قبل السلطة السياسية في

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ١٣٣. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٤٠٥. الفاسي : العقد ، ج٦ ، ص٢٥٣. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٨٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٨١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣١٨. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٣٧. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤٥٠.

(٢) هو الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، سلطان اليمن ، تولى الملك بعد وفاة والده المؤيد سنة ٧٢١هـ وعمره خمسة عشر سنة ، عمر بمكة المدرسة التي سميت باسمه المجاهدية بالجانب اليماني من المسجد الحرام سنة ٧٣٩هـ قبض عليه في مكة في موسم عام ٧٥١هـ من قبل أمراء الحج المصري ، وحمل إلى مصر ثم أفرج عنه وعاد إلى اليمن ، توفي سنة ٧٦٤هـ. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢٥١.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٤٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٤٩. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١٢٢.

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٤٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٤٩.

مصر سبب في خروج أخوته ثقبة و سند ومغامس إلى جهة اليمن [1] في العام السابق [2] وقد رأى ثقبة وإخوته أن يحصلوا على دعم سياسي يوازن دعم السلطة السياسية في مصر لأخيهم عجلان فقام ثقبة بالاتصال بالملك المجاهد [3] وبين له الوضع في مكة وأنهم يريدون الانضمام تحت لوائه ويقومون بالدعاء له والحكم باسمه وتسهيل خدمة الحرم الشريف من قبله ومنها كسوة[4] الكعبة المعظمة [5] إذا قدم لهم المساعدة في تنحية عجلان وتولية ثقبة [6] [6] ويبدو أن الملك المجاهد قد رغب في حكم مكة ، وذلك بعد الضعف الذي أصاب السلطة السياسية في مصر بعد وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٤١هـ/١٣٤١م ،وكثرة التراعات في قصر الحكم في القاهرة بين القادة المماليك في تنصيب أبناء الملك الناصر

(١) المقصود الجهة الجنوبية لمكة المكرمة حتى منطقة حلي .

(٢) الفاسي : العقد ،ج٣، ص٢٥٧ ج٥، ص١٩١. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٥٠. المقريزي : السلوك ، ج ٤، ص ١٢١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٤١. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٣١. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٥٤. السنجاري:منائح الكرم ، ج٢، ص ٣٥٦.

(٣) تذكر بعض المصادر مثل : ابن فهد في كتابه إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٤٥. الجزيري في كتابه الدرر ، ج١، ص ٦٤٩. أن الأشراف ثقبة وأخوته سند ومغامس خرجوا من مكة إلى حلي وأقاموا بها وعندما قدم الملك المجاهد قابلوه واستطاعوا اقناعه بمقصدهم ، ونحن ننفي هذا لأن الملك المجاهد لو لم يكن له اتفاق مسبق مع الشريف ثقبة لما قدم بهذه القوة العسكرية من اليمن ، وإنما المرجح أن الملك المجاهد كان قد اجتمع بالشريف ثقبة في اليمن كما ذكر هذا ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة ، ج١٠، ص٢٢٦، والخزرجي في كتابه العقود اللؤلؤية ، ج٢، ص ٨٣. ويحي بن الحسين في كتابه غاية الأماني،ج٢،ص٥١٦ ، وأقنع الملك المجاهد بإمكانية حكم مكة إذا ساعده على إزاحة أخيه عجلان وتنصيبه ، لذا قدم بهذه الحملة العسكرية الكبيرة

(٤) كان الملك المجاهد يرغب في كسوة البيت الشريف وقد قدم حاجاً في عام ٧٤٢هـ ومعه كسوة للبيت الشريف فلم يستطع أن يضعها عليه حيث منعه الأشراف من ذلك خوفاً من السلطة السياسية في مصر ، فعاد إلى اليمن وهو ناقم على حكام مكة المكرمة .الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٤١٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢٥٨. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ١١٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٢٠.

(٥) الفاسي : العقد ، ج١، ص١٣٤. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص ١٣٠. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ١١٤. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٠، ص ٢٢٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٤٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٤٩. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١٢٢.

(٦) كان الشريف ثقبة بن رميثة على علاقة وطيدة مع الملك المجاهد فقد كان رفيقه في حجه عام٧٤٢هـ حيث قدم معه من اليمن إلى مكة وكان ذلك في حياة والده الشريف رميثة . . الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢٥٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٢٠

وعزلهم بشكل متكرر [1]، لذا نستطيع القول بأن الملك المجاهد قدم بهذه القوة العسكرية لكي يحقق حلمه السابق في حكم مكة والإشراف المباشر على المشاعر المقدسة ، فزحف قاصداً مكة وبصحبته الشريف ثقبة وأخواه سند ومغامس وقبل أن يصل إلى مكة ،وصل خبر مسيره إلى عجلان بن رميثة وتيقن عجلان أن الملك المجاهد سوف يقوم بعمل عسكري في مكة يدعم به أخوته ضده ، فقام بمراسلة الملك المجاهد محاولاً منعه من دخول مكة وفي صحبته أخوته المناوئين له ولكن الملك المجاهد تجاهل طلب عجلان وزحف على مكة ودخلها بقواته ومعه أخوة عجلان ثقبة وسند ومغامس في الرابع من ذي الحجة سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م في تحد واضح لعجلان، مما يدل أنه كان على اتفاق مع أخيه ثقبة ،كما أنه لم يقدم لعجلان ولا لأهل مكة أي مبلغ مالي أو هدية كما فعل في حجته السابقة [2]، وهنا يبدو أن أخوة عجلان قد نجحوا في إقناع الملك المجاهد في تغيير وضع الإمارة وضمها إلى ملكه ،كما أن الملك المجاهد لم يحتف بالأمراء المصريين الذين قدموا مع ركب الحاج وهم : أميرالركب المصري الأمير بزلار [3] ومعه الأمير بيبغاروس[4] نائب الدولة وكان تحت

---

(١) بعد وفاة الملك الناصر حصل اضطراب في السلطة السياسية في مصر فكان القادة المماليك يولون أحد أبناء السلطان الناصر ثم لا يلبث أن يعزلونه ويلون غيره ، فكان بعضهم لا يستمر في الحكم سوى أشهر معدودة ومن ذلك أبو بكر بن الناصر حكم ٥٩ يوماً ، ثم تولى الأشرف كجك بن الناصر وحكم ٥شهور و١٠ أيام ،ثم أحمد بن الناصر فحكم ٣شهور و١٣ يوماً ، ثم إسماعيل بن الناصر فحكم ٣سنوات ، ثم شعبان بن الناصر فحكم سنة و٥٨يوماً، ثم حاجي بن الناصر فحكم سنة و٣شهور، ثم حسن بن الناصر فحكم ٣سنوات و٩شهور ، ثم الصالح بن الناصر فحكم ٣سنوات و٣شهور . المقريزي : السلوك ، ج٣، ص ٣٣٨، ٣٧٥،٣٥٥،ج٤، ص٥،١٣٨،٥٨،٣٣، ٢٠٧.

(٢) كان الملك المجاهد في حجته السابقة عام ٧٤٢هـ تصدق على أهل مكة بأموال طائلة وثياب كثيرة ، وأعطى أميرمكة الشريف رميثة يومئذ ٤٠ألف درهم من دراهمه المجاهدية وأعطاه من الطيب والعود والعنبر والمسك ما يحمله أربعة حمالين ،وعدد من الخيل والبغال ، والسلاح ما يفوق الوصف . الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٤١٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٢٥٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٢٠.

(٣) الأمير بزلار :كان أحد أمراء السلاح ومن كبار الأمراء بمصر في عهد السلطان الصالح صالح ، وتقدم بتحليف الأمراء للسلطان الصالح صالح سنة ٧٥٢هـ، عين نائباً لنيابة دمشق ، ولم تتم لوفاته في ذي القعدة سنة ٧٥٦هـ. ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١، ص ٤٧٦.

(٤) الأمير بيبغا روس :الناصر كان خاصكياً في حياة الناصر ، واشتهر في دولة الصالح إسماعيل ثم عظم قدره في عهد عهد المظفر حاجي وعين أمير مجلس ، ثم باشر نيابة السلطنة فشكرت سيرته ، توجه إلى الحج سنة ٧٥١هـ ،= =وقبض عليه وحج تحت الاعتقال ، ثم حبس بالكرك بعد الحج ، وأفرج عنه سنة ٧٥٢هـ ، وقرر في نيابة

الاعتقال ، ما عدا واحداً من الأمراء وهو والأمير طاز [1] أتابك الجيوش المملوكية وقد حج في هذا العام بصحبته عدد من الأمراء فيما يبدو أن الملك المجاهد كان ينوي التفرقة بين أمراء المماليك ،وكان ركب الحاج المصري قد وصل إلى مكة قبل مجيء الملك المجاهد فقرر عجلان أن يستغل قوات ركب الحاج المصري في دفع خطر الملك المجاهد عنه فقام بالتحدث مع الأمراء المصريين وخوّفهم من الملك المجاهد، وأن مجيئه بهذه القوة يقصد نزع إمارة مكة من تحت السيادة المملوكية ، ويقوم بكسوة البيت الشريف بعد نزع الكسوة المملوكية بعد رحيل ركب الحجاج ، ويقيم بمكة قوة عسكرية تحمي من يوليه عليها من قبله، كما هدد الأمراء المصريين بأنه سوف يترك الحكم بعد انتهاء الموسم للملك المجاهد و يقدم معهم إلى مصر ويخبر السلطان بموقفهم إذا هم لم يساعدوه في دفع خطر الملك المجاهد [2] ، وفي نفس الوقت كان موقف الملك المجاهد موقفاً سيئاً حيث أنه لم يقدم للأمراء ما ينفي عنه تهمة القصد بقيامه بعمل عسكري في مكة ، وما ينقض أي تحالف بينهم وبين عجلان فلم يقدم

حلب ، فأعلن العصيان ، وهزم من قبل جيوش الدولة ، وقبض عليه وقتل سنة ٧٥٤هـ. الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٠، ص ٢٢١. ابن حجر : الدرر الكامنة ج١، ص ٥١٢.

(١) هو الأمير طاز بن قطفاج الأمير الشهير ، كان بداية تقدمه في دولة الصالح إسماعيل ، وزادت وجاهته في ولاية الناصر حسن ، وهو الذي أمسك بيبغا روس في طريق الحجاز ، وولي نيابة حلب ، وأراد العصيان على الدولة فثار عليه الأمراء بحلب وعزل عن النيابة وطلب إلى مصر فأبى ثم قدم ، وبالقرب من دمشق كحل فعمي ، واعتقل بالكرك ، ثم بالإسكندرية ثم أفرج عنه وأقام بالقدس ثم نقل إلى دمشق أواخر سنة٧٦٢هـ وأعطي أمرة طلبخانا إلى أن مات في ذي الحجة سنة٧٦٣هـ. الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٦، ص٢٢٠. ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١، ص ٣٥٧. ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٢، ص٢١٤.

(٢) ذكرت بعض المصادر مثل : الفاسي في كتابه العقد الثمين ، ج١، ص١٣٤، والمقريزي في كتابه الذهب المسبوك ص ١١٤،و ابن فهد في كتابه إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٤٥.و ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة ، ج١٠، ص٢٢٦، أن الشريف عجلان والأمراء المصريين أرسلوا إلى الملك المجاهد قبل دخوله مكة بعدم الدخول بأسلحته وعتاده وأن يعطيهم الشريف ثقبة رهينة عندهم خلال أيام الحج ، وأنهم منعوا حرسه من الدخول والمشي حوله . وهذا يناقض سياق الحدث التاريخي لأنه لو حدث هذا الأمر لكان هناك اشتباك عسكري قبل الدخول إلى مكة ، والثاني أن لو قبل الملك المجاهد بترك سلاحه وحرسه من المشي معه كان انتهى الأمر منذ البداية وليس أمراء مصر في حاجة إلى الركوب على الملك المجاهد في منى والقبض عليه ، كما أنه لو حدث وأن تم تسليم الشريف ثقبة لأمراء مصر لما حدث الصدام العسكري ، وأيضاً ماهو الهدف الذي يمكن تحقيقه بالقبض على الشريف ثقبة خلال أيام الحج وإطلاقه بعده ، فما سوف يتم من تغيير في إمارة مكة هو بعد الحج فما فائدة إطلاقه . لذا ما تم ذكره يكون هو الأقرب للصحة والله أعلم .

لهم أي مساعدات مالية أو هبات تجعلهم في حرج من الوقوف مع عجلان ضد الملك المجاهد ، وتبرئ ساحة الملك المجاهد ، وبهذا هيأ الجو لعجلان لكي يستميل الأمراء المصريين المصاحبين لركب الحاج وأمير الحاج لصالحه ، ويخوفهم غائلة عدم مساعدته ، وتم التخطيط بين عجلان والأمراء المصريين بالتربص بالملك المجاهد وجنده وتحين الفرصة المناسبة للقبض عليه بعد تفرق جنوده عنه في القيام بمصالح السفر ، وذلك بهدف عدم الدخول مع قوات الملك المجاهد في صدام عسكري، وهي مجتمعه مما يدل على أن قوات الملك المجاهد كانت من القوة بمكان حيث عملت هذه الخطة ، وفي صبيحة اليوم الثالث عشر من شهر ذي الحجة تم الاتفاق بين عجلان والأمراء المصريين بالهجوم على معسكر الملك المجاهد بمنى وذلك لتفرق جنده عنه بغرض التجهز للسفر ، فتم الهجوم على الملك المجاهد بشكل سريع ، ولم يلبث أن تفرّق الجند الذين كانوا حوله لقلتهم، ولم يستطع الجند المتبقين التجمع من جديد للدفاع عن ملكهم ، ولما رأى الملك المجاهد هزيمة أتباعه وتفرقهم ونهب أمتعته وأمواله طلب من الأمراء الكف عن القتال في مقابل أن يستسلم لهم ، وفعلاً توقفت القوات المصرية عن القتال ، وتم القبض على الملك المجاهد والاحتفاظ به في معسكر الأمراء المصريين ،أما الشريف ثقبة وأخوته فقد تمكنوا من الفرار خوفاً من القتل أوالأسر إلى خارج مكة ، وفي اليوم التالي رحل الركب المصري ومعه الملك المجاهد تحت الاعتقال ، في الوقت الذي غادرت والدة الملك المجاهد وأبناؤه ومن بقي من جنده إلى اليمن (1)

قدم الأمراء المصريين إلى القاهرة وفي صحبتهم الملك المجاهد تحت الاعتقال فاستقبل أحسن استقبال من قبل السلطان المملوكي حسن بن محمد بن قلاوون ،فيما يبدو أن السلطان الناصر حسن بن قلاوون لم يكن يرغب في القبض على الملك المجاهد وأمر بفك قيده ، ثم

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤، ص ٢٣٧. ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص٥١١.. الفاسي شفاء الغرام ، ج ٢، ص ٤١٨. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٠،ص ٢٢٦. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص ١٤١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٤٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٤٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٥٨. ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٦، ص٢٠٩. عائشة مانع العبدلي : إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة ، ص ٢٣١.

أمر بتجهيزه إلى بلاده بصحبة الأمير قشتمر المنصوري [1] وعندما وصل الملك المجاهد إلى ينبع أمرت السلطة السياسية في مصر برد الملك المجاهد واعتقاله من جديد [2] في الكرك [3] ولم يلبث بالكرك كثيراً حيث أمرت السلطات السياسية في مصر بإطلاقه وعودته إلى اليمن

---

(١) هو الأمير قشتمر بن عبد الله المنصوري سيف الدين كان من بقايا مماليك الناصر ، تنقل في الخدمة بعده إلى أن ولي نيابة السلطنة بعد قتل السلطان حسن ثم نيابة دمشق ثم صفد ثم أعيد إلى مصر ثم ولي نيبابة طرابلس ثم ولي حاجب الحجاب بعد قتل يلبغا الأتابك ، ثم نقل إلى نيابة حلب وبقي بها إلى أن مات مقتولاً سنة٧٧٥هـ. ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣، ص ٢٤٩. ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج٢، ص ٥٤٣.

(٢) اختلفت المصادر في ذكر السبب الذي جعل السلطة السياسية في مصر تعيد الملك المجاهد إلى الاعتقال بعد أن أمرت بسفره إلى بلاده ووصوله إلى مدينة ينبع فتذكر المصادر مثل : ابن خلدون في كتابه في التاريخ ج٥، ص ٥١١، والمقريزي في كتابه السلوك ، ج٤، ص١٣٧، أن السلطان الناصر حسن أمر الأمير قشتمر الناصري المصاحب للملك المجاهد بأنه إذا رأى منه ما يريبه ، أن يقبض عليه ويعيده إلى مصر ، وفي ينبع حاول الملك المجاهد الهرب فتم اعتقاله . وهذا سبب غير مقبول لإعادة اعتقاله حيث أن هرب الملك المجاهد سوف يكون لقصد بلاده وهذا لا يضر السلطة السياسية في مصر في شيء ، كما أن بقاء الملك المجاهد في صحبة الأمير المملوكي أكثر أمناً له ، ولهذا لا يمكن قبول هذا التفسير لإعادة اعتقاله . أما الفاسي في كتابه العقد الثمين ، ج٥، ص٢٥٨، فيذكر أن سبب عودة الملك المجاهد إلى الاعتقال أنه لم يحسن صحبة الأمير المصاحب له وأنه عندما أراد أن يبين له ماهي مكافأته على صحبته له وحفظه أن الملك المجاهد قال له : سوف أعطيك منطقة حافة منيح ، فعندما سأل عنها أحد المصاحبين لهما من أعوان الملك المجاهد أخبره بأنها مكان عزل المجذومين في مدينة تعز فغضب الأمير وأرسل إلى السلطان المملوكي بما غير السلطان على الملك المجاهد فأمر برده ، وذكر ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة ، ج١٠، ص٢٦٤ ، أن الملك الناصر حسن أمر برد الملك المجاهد لأمر بدا منه في السفر في حق السلطان الناصر حسن . ومع ما سبق من تفسيرات إلا أننا نرجح أن الأمير المصاحب للملك المجاهد يكون قد تخوف من أشراف مكة على الملك المجاهد ، فعندما راسل السلطة السياسية في مصر كانت السلطة مشغولة بسبب الخلافات في قصر الحكم والذي انتهى بعزل السلطان حسن وتولية السلطان الصالح صالح فأرادت أن تبقي الملك المجاهد حتى تهدأ الأمور ثم أمرت بسفره عن طريق البحر تفادياً لأي خطر قد يلحق بالملك المجاهد في الحجاز ، وبهذا بكون تغيير طريق سفر الملك المجاهد دليلاً على رغبة السلطة السياسية في مصر في سلامته بعدم تعرضه لخطر في طريق إمارة مكة وذلك فيما يبدو بادرة حسنة لتحسين العلاقات مع السلطات اليمنية التي تشرف على الطريق التجاري القادم من الهند إلى أملاك الدولة المملوكية في البحر الأحمر.

(٣) الكرك :قلعة حصينة في طرف بلاد الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة والبحر الأحمر ، وهي على سن جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة واحدة .وهي اليوم مدينة كبيرة في دولة الأردن . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٧، ص ١٣١. المنجد في الأعلام واللغة ، ج٢، ص ٥٨٦.

ولكن عن طريق البحر فوصل إلى اليمن في ذي الحجة سنة٧٥٢هـ/١٣٥١م [1]، وهنا يتبين لنا أن السلطة السياسية في مصر لم تعتقل الملك المجاهد في المرة الثانية وإنما خشيت عليه من أشراف مكة وخصوصاً أميرها عجلان بن رميثة أن يصيبه بأذى ، وإنما أمرت ببقائه فترة في الكرك ، حتى تهدأ الأوضاع السياسية في الحجاز بين الشريف عجلان وأخوته، يدلنا على هذا أن السلطة السياسية في مصر أمرت بأن يسافر الملك المجاهد في هذه المرة عن طريق البحر، وهذا من المؤكد رغبة في تجنيبه المرور بالحجاز خوفاً عليه ، فتم سفره عن طريق البحر حتى وصل إلى اليمن دون أن يرسو في موانئ الحجاز .

المبحث الرابع : الحملات العسكرية المدنية .

حملة الأمير سالم[2] بن قاسم الحسيني ٦٠١هـ/١٢٠٤م

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج٢، ص٨٣. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص٥١١.الفاسي := =العقد الثمين ، ج٥، ص ٢٥٨.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٤١٨. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ١١٤. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص ١٣٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٥٧،٢٥٤. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٠، ص ٢٢٦.الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٥٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٥٨. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٥٦.

(٢) هو الأمير سالم بن قاسم بن مهنا الحسيني ، أمير المدينة النبوية ، عاصر الشريف قتادة أمير مكة ودارت بين الطرفين حروب قوية وكانت سجالاً بينهما . الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٦٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣. عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ط١، ١٤١٤هـ ، ج٢، ص ١٩٧.

في عام ٦٠١هـ/١٢٠٤م تعرضت مكة لهجوم عسكري بقيادة أمير المدينة المنورة الأمير سالم بن قاسم الحسيني، وكانت هذه الحملة عبارة عن رد اعتداء من قبل أمير مكة قتادة بن إدريس الحسيني الذي كانت أطماعه ليس لها حدود في السيطرة على بعض المناطق المهمة وضمها تحت حكمه .

كان سبب هذه الحملة العسكرية المدنية أن الشريف قتادة بن إدريس الحسني أراد أن يستولي على المدينة المنورة ،ويضمها تحت حكمه فسار بقوات عسكرية كثيفة إلى المدينة المنورة في بداية عام ٦٠١هـ/١٢٠٤م واستطاع أن يهزم قوات الأمير سالم بن قاسم الحسيني التي خرجت لملاقاته ثم حاصرها في داخل المدينة المنورة ، وفي أثناء الحصار استطاع الأمير سالم بن قاسم الحسيني أن يستميل كبار قادة قتادة ويؤثر في قناعاتهم في حربه و حصار المدينة المنورة دار الهجرة النبوية مما جعل همتهم في الحرب تضعف كما أغرى بعضهم بالمال (١) ، وكان هذا تصرف حسن منه وذلك لكي يعيد بناء قواته من جديد وينتظر قدوم مساعدات خارجية من القبائل المجاورة للمدينة المنورة ، فلما أكمل استعداداته ووصله المدد الخارجي من قبيلة بني لام (٢) ،خرج لملاقاة قتادة الذي لم يكن يتوقع معاودة الأمير سالم للحرب و لم يأخذ استعداده فحلت الهزيمة عليه في معركة حامية الوطيس، دارت رحاها بين الطرفين بذي الحليفة (٣)سُميت وقعة المصارع(٤) وقُتل عدد كبير من قوات قتادة

---

(١) عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ج٢، ص ١٩٨.

(٢) قبيلة بني لام : هي إحدى القبائل العربية اليمنية وهم بنو لام بن عمر بن عليه بن مالك بن جدعان بن ذهل إحدى بطون قبيلة طي العربية الشهيرة ، تقع ديارهم قديماً بين المدينة وجبلي طيء كثر عددها حتى كان يضرب بكثرتها المثل ،فنزح قسم كبير منهم إلى العراق .عاتق بن غيث : معجم قبائل العرب ، ص٤٥٢.

(٣) ذي الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال وهي ميقات أهل المدينة ، وهي بظاهر المدينة المنورة تقع بوادي العقيق وتعرف اليوم بابيار علي وهي عامرة اليوم وبها سكان ، وبها مساجد ومدارس .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣، ص ١٧٧. عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٣، ص ٤٩.

(٤) سميت بهذا الاسم لأن الشريف قتادة ندم فيما يبدو على من قتل من أهل بيته في المعركة فأنشد :

مصارع آل المصطفى عدت مثلما   بدأت ولكن صرتِ بين الأقارب

الفاسي : القد الثمين ، ج ٥، ص٤٦٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٥٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٦٩.

وأُسر عدد منهم من أشهرهم وزيره سالم بن سليمان بن عبد المحسن التميمي[1] وعندما رأى قتادة هزيمة جيشه عاد منهزماً إلى مكة ، فما كان من الأمير سالم بن قاسم الحسيني إلا أن زحف يتعقب قتادة حتى وصل إلى مكة وقام بضرب حصار شديد عليها، ومثل ما استخدم الأمير سالم خطة استمالة كبار قادة قتادة أثناء حصاره للمدينة المنورة استخدم قتادة نفس الأسلوب مع كبار قادة الأمير سالم فاستطاع استمالتهم في ترك الحرب ورفع الحصار، فحالفوه على ذلك ، وهنا يبدو أن غالبية جيش الأميرين وكبار قادهم كانوا من القبائل البدوية التي لا تهتم إلا بمصالحها فعندما يبدي أحد الطرفين عطاءً أكبر مما يدفعه الخصم نجدها تغير ولاءها بسرعة ، عند هذا الموقف اكتفى الأمير سالم بن قاسم الحسيني بهزيمة الشريف قتادة وحصاره في مكة مثل ما تم عليه من حصار في المدينة المنورة ، وقفل راجعاً إلى المدينة المنورة ، ويبدو أن الأمير سالم قد كبد قتادة بن إدريس خسائر جسيمة يدلنا على هذا تحديه لقتادة عندما قفل راجعاً عن حصار مكة بقوله: ((يا ابن العم كسرة بكسرة وأيام حصار بمثلها والبادئ أظلم ، فإن كان أعجبكم عامكم فعودوا إلى يثرب من قابل))[2].

حملة الأمير قاسم بن جماز[3] الأولى عام ٦١٢هـ/١٢١٥م

---

(١) هو سالم بن سليمان بن عبد المحسن التميمي الدارمي كان وزيراً للشريف قتادة وأحد قادة جنده ، كان أسود البشرة ضخم الجثة ، وقع في أسر الأمير سالم بن قاسم الحسيني عندما زحف الشريف قتادة لاستيلاء على المدينة المنورة ، بعد هزيمة الشريف قتادة في وقعة المصارع ، عفى عنه الأمير سالم بن قاسم فأطلقه .
ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧٩.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص ٢٦٩. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص ٤١. الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥، ص٤٦٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٥٣. ابن فهد : إتحاف الورى ج٣، ص٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧٩. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٢٥. عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ج٢، ص ١٩٨.

(٣) هو الأمير قاسم بن جماز الحسيني ، تولى إمارة المدينة المنورة بعد وفاة عمه الأمير سالم بن قاسم الحسيني ، ودخل في صراع عسكري مع الشريف قتادة بن إدريس الحسني أمير مكة ، قتل في معركة مع نواب الملك المسعود على مكة سنة ٦٢٢هـ . المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٤١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٩.عبد الباسط بدر : التاريخ ا لشامل للمدينة المنورة ، ص٢٠٤، ٢٠٩.

لم يهدأ بال الشريف قتادة بعد هزيمته على يد الأمير سالم بن قاسم الحسيني وحصاره لمكة ، ولم ينس عداوته له ، وكان سالم بن قاسم الحسيني لا يستطيع أداء مناسك الحج خوفاً من قتادة ، وفي عام ٦١١هـ/١٢١٤م قدم إلى الحج الملك المعظم عيسى [١] بن الملك العادل [٢] بن أيوب وزار في طريقه المدينة المنورة ،فاستغلها الأمير سالم فأكرم وفادة الملك المعظم غاية الإكرام وأنزله في منزله وقدم له كل ما يحتاجه في إقامته وسفره ثم رافقه في حجه فدخل صحبته إلى مكة والمشاعر المقدسة [٣]، فلم يستطع قتادة بن إدريس أن يصيبه بأذى ، وقد أثار قدوم الأمير سالم مع الملك المعظم غضب قتادة مما جعله يقصر في مقابلة وخدمة الملك المعظم[٤] فكانت فرصة للأمير سالم لكي ينتقم من الشريف قتادة حيث يضم إلى جانبه السلطة السياسية في بلاد الشام ومصر المتمثلة في الملك المعظم وأبيه الملك العادل سلطان مصر ، وفعلاً عاد الأمير سالم بن قاسم الحسيني مع الملك المعظم ووفد معه على أبيه الملك العادل بمصر ،وقدم له ما اصطحبه معه من هدايا للملك الكامل ، واشتكى من تهديدات الشريف قتادة المستمرة له ،وهنا ظهر أن قتادة بتصرفه مع الملك المعظم قد أخذ يتمرد على

---

(١) هو الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ، صاحب دمشق ، كان علي الهمة حازماً شجاعاً مهيباً ، حج سنة ٦١١هـ ، كان محباً للأدب مقرباً للعلماء ، توفي سنة ٦٢٤هـ بدمشق . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣، ص ٤٣٣. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢٢، ص ١١٥.

(٢) هو الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن نجم الدين أيوب ، كان أصغر من صلاح الدين بعامين ، كان ذا عقل ودهاء وشجاعة وتؤدة وخبرة بالأمور ، كان السلطان صلاح الدين يعتمد عليه ويحترمه ، استنابه بمصر ثم ولاه حلب ،توفي سنة ٦١٥هـ. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٤، ص ٣٢٢. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢٢، ص ١١٥.

(٣) النويري : نهاية الأرب ، ج٢٩، ص ٦٧. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص ٦٧.المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٢٩٧. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٧٥. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٩٧.الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٦٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٥٤. السنجاري :منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٨٣. عبد الكريم الخطيب ، تاريخ ينبع ، ص ٢٢٦.

(٤) ذكر أن الملك المعظم سأل الشريف قتادة عن المكان الذي سوف يترله فيه فأشار بسوطه إلى الأبطح فغضب الملك المعظم كون أن الشريف قتادة لم يترله في بيته في مكة أو دار الضيافة ، في الوقت الذي أنزله الأمير سالم في داره في المدينة المنورة فكانت خطوة غير موفقة أقدم عليها الشريف قتادة مع الملك المعظم .ابن كثير البداية والنهاية ، ج١٣، ص ٦٧. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٩٧. الفاسي : العقد ، ج٥، ص ٤٦٦.= =ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٨٣. عبد الكريم الخطيب ، تاريخ ينبع ، ص ٢٢٦. سليمان المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٤٣.

السلطة الأيوبية التي قدم لها الولاء والطاعة في عام ٦١١هـ/١٢١٤م، عندما مر الملك المسعود على مكة في طريقه إلى اليمن ، فقد خطب للأيوبيين وقدم كل ما يحتاجه الملك المسعود من مساعدات لسفره إلى اليمن [١] ، لذا أمر الملك العادل بتزويده بقوات عسكرية تكون تحت قيادة الأمير سالم بن قاسم لمحاربة قتادة فزحف بها الأمير سالم مع قواته التي كانت بالمدينة المنورة وعندما سمع قتادة بخبر هذه القوات ، خرج من مكة و لم يلاقهم [٢]، وكان هذا تصرف ذكي من قتادة حيث أضاع على الجيش الغازي تحقيق الهدف الذي كان يقصده ، مما جعل القوات تعود إلى المدينة المنورة دون تحقيق هدفها ، وما أن تفرقت القوات الغازية حتى هاجم الشريف قتادة المدينة المنورة في تاسع صفر من سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م ، ويبدو أن الأمير سالم بن قاسم الحسيني قد خرج من المدينة صحبت القوات التي ساعدته إلى الشام ، مما جعل قتادة يغتنم الفرصة و يستطيع محاصرة المدينة المنورة ، ويقوم بالإضرار بأهلها حيث أقدم على قطع أشجار النخيل في المزارع التي تقع خارج المدينة ، ولكنه لم يستطع اقتحامها لاستماتة المدافعين عنها وقتل عدد من رجاله ، ويبدو أنهم حاولوا اقتحام سور المدينة مما جعل قتادة يعود عن حصارها خاسراً ، وقد كانت هذه المحاولة من جانب قتادة دافعاً للملك العادل أن يرسل قوات مع الأمير سالم بن قاسم الحسيني لتأديب قتادة فزحف بها في الثالث من شعبان سنة ٦١٢هـ/ ١٢١٥م ولكنه توفي قبل أن يصل إلى المدينة المنورة ، فتولى القيادة بعده ابن أخيه الأمير قاسم بن جماز ، فلما سمع قتادة بزحف أمير المدينة ومن معه من القوات خرج على رأس قواته لملاقاتهم والتقى الطرفان في وادي الصفراء ودارت بينهما معركة قوية انتهت بانتصار قوات الأمير قاسم بن جماز وقتل عدد كبير من قوات قتادة ، وهرب قتادة ومن سلم من قواته إلى ينبع ،وذلك فيما يبدو لكثرة أنصاره بها ، وخوفاً من زحف القوات المدنية إلى مكة ، وتحصن بها ، فتبعة الأمير قاسم بن جماز وقواته

---

(١) النويري : نهاية الأرب ، ج٢٩، ص ٦٥. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦، ص٢١٠، ٢٣٤. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤٠٣.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص ٦٧.الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٦٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٥٤.

وحاصر قتادة في قلعة ينبع ، ولكن يبدو أن القوات التي قدمت مع الأمير قاسم بن جماز من الشام قد ملت القتال فقفل راجعاً بقواته وترك حصار قتادة بعد أن غنموا غنائم وفيرة. [1]

أراد قاسم بن جماز الحسيني أن يضع حداً لهجمات قتادة بن إدريس الحسني على المدينة المنورة ، فرأى أن الهجوم على المناطق التابعة لقتادة خير وسيلة لرد هجومه عن المدينة المنورة ويبدو أن قاسم بن جماز كان على درجة كبيرة من الشجاعة جعلته لا يتخوف من المواجهة مع قتادة ، فقام في عام ٦١٣هـ/١٢١٦م بهجمات عسكرية على المناطق التابعة لقتادة أثمرت عن سيطرته على وادي القرى [2] ونخلة ، وبدأ يهدد ينبع ، لذا خشي الملك الكامل صاحب مصر من ازدياد نفوذ الأمير قاسم ابن جماز على طريق الحاج ، والطريق التجاري من اليمن إلى مصر ويمر بميناء ينبع وجدة ، وزاد من مخاوفه أن قاسم بن جماز قام بمهاجمة مدينة جدة بهدف حصار قتادة اقتصادياً وإضعافه فتم الاتفاق مع قتادة على أن يسلم أتباعه قلعة ينبع إلى نواب الملك الكامل الأيوبي صاحب مصر مقابل أربعة آلاف مثقال ذهب [3] مماجعل الملك الكامل يوقف دعمه لأمير المدينة المنورة ضد أمير مكة. ويبد هنا أن ملوك بني أيوب كانوا حريصين على إقامة شيء من التوازن في القوى بين أمراء مكة وأمراء المدينة حتى لا تظهر قوة سياسية قوية في المنطقة تستقل عن سيادتهم وتنافسهم في السيادة على الحرمين ، ومن ثم الزعامة في العالم الإسلامي ، وخدمة الأماكن المقدسة والإشراف عليها في مكة والمدينة.

أما قاسم بن جماز فقد قام بمهاجمة مدينة جدة لفرض حصار على قتادة فما كان من قتادة بن إدريس إلى أن خرج بقواته لملاقاة قاسم بن جماز الذي بدأ يهدد اقتصاد مكة وتقابل

---

(١) النويري : نهاية الأرب ، ج٢٩، ص ٦٧. ابن كثير : البداية النهاية ، ج١٣، ص ٦٩. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٦٥. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٢٩٧. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٧٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٠. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٥٥.

(٢) وادي القرى : هو واد بين المدينة المنورة وتبوك وبه مدينة العلا وبه عيون كثيرة ، و هو واد كثير القرى ولذا سمي بهذا الاسم . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٨، ص ٤٣٣.عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٧، ص ١٠٠.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص ٤٦٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص٣٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٥٧. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٤١.

الطرفان في معركة قوية في منطقة الحميمة[1] في يوم عيد النحر من عام ٦١٣هـ/١٢١٦م ، ومنيت قوات قاسم بهزيمة ساحقة ، أجبرته على العودة إلى المدينة المنورة [2] ، وهنا يتبين حرص قتادة على موارد إمارته المالية واستماتته في الدفاع عنها.

ويبدو أن ما وصل قتادة من الدعم المادي من الملك الكامل مقابل تخليه عن قلعة ينبع استطاع به أن يغير موازين القوى ويصرف عدداً كبيراً من قوات قاسم بن جماز التي كانت في معظمها من القبائل البدوية [3] التي همها الأول والأخير ما تحصل عليه من مبالغ مالية ، فتسليم حصن ينبع لنواب الكامل لابد أن يكون له مردود مالي على قتادة استفاد منه في حربه لقاسم بن جماز فحصلت الكسرة على قاسم وعاد خاسراً إلى المدينة المنورة ، ولم تنته رغبة قتادة عن مهاجمة المدينة المنورة حتى توفي وهو قد أعد العدة لغزو المدينة المنورة في عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م وسار على رأس جيشه ولما وصل وادي الفرع أحس بالمرض فعاد إلى مكة ، ومن رغبته في مواصلة حربه أمر بالجيش بالمسير إلى المدينة تحت قيادة ابنه الحسن وأخيه حسن بن إدريس ، ولكن قدر الله أن اختلف القائدان فقتل الحسن بن قتادة عمه الشريف حسن بن إدريس فأضطربت أحوال الجيش وعاد دون أن يحقق غرضه [4].

حملة الأمير قاسم بن جماز الثانية عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م:

قام قاسم بن جماز الحسيني أمير المدينة المنورة بحملة عسكرية على مكة في عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م حيث زحف بقواته واستطاع أن يفاجئ القوات اليمنية التي كانت بمكة بقيادة الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول ،مما جعل القوات اليمنية تغلق أبواب مكة ،

---

(١) الحميمة :منطقة غير مرتفعة ، يفترق عندها وادي قديد غرب وادي البحول تحتها آبار تقوم عليها زراعية تسمى باسمها وهي تبعد عن مكة المكرمة ١٤٥كيلاً شمالاً على الطريق من جدة إلى رابغ . عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٣، ص ٦٦.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص ٤٦٦. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٠٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٥٧.

(٣) كانت القبائل التي تساند أمراء المدينة هي قبائل طي وقبيلة كلب ، وهي قبائل بدوية تقطن شمال المدينة المنورة وتمتد إلى بلاد الشام . الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥، ص ٤٦٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣، ص ٢٠.

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٦. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٢٨. السنجاري :منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٨٦. ك سنوك : صفحات من تاريخ مكة ، ج١، ص ١٧٧.

وتستسلم للحصار العسكري الذي استمر شهراً كاملاً [1]، رغبة منها في إعادة تنظيم أمورها والتخطيط السليم للمواجهة ،و هذا يدل على مهارة قائد القوات اليمنية العسكرية ، حيث إنه لم يدخل في صراع مع القوة المهاجمة منذ البداية ولكن تحصن في مكة وأخذ يدرس ظروف الغزو المفاجئ وتبعاته ، ثم أخذ يخطط لعملية صد القوات الغازية ، ويبدو أنه استمال أهل مكة في مساعدته ، وبعد أن أتم الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول تعبئة قواته خرج بهم لقتال الأمير قاسم بن جماز الحسيني واستطاع بفضل الله وقدرته أن يحقق انتصاراً كاسحاً على القوات الغازية ويسقط قائدها قاسم بن جماز صريعاً ويتفرق جيشه بعد أن سقط أكثرهم قتلى في أرض المعركة [2]وبهذا يتبين لنا مهارة الأمير نور الدين في قيادة المعارك العسكرية .

ثم يتبين لنا أن سبب هذه الحملة هو التنافس بين أبناء البيت الأيوبي منذ الصراع السابق بين قتادة بن إدريس و سالم بن قاسم الحسيني عام ٦١٢هـ/١٢١٥م ، حيث اتضح لنا أن أمراء المدينة المنورة كانوا يميلون إلى الملك المعظم الأيوبي حاكم دمشق الذي سبق أن حج بصحبته سالم بن قاسم الحسيني عام ٦١١هـ/١٢١٤م ،وقدم له مساعدات عسكرية ضد قتادة كما مر سلفاً ، وعندما تولى الملك الكامل حكم مصر بعد وفاة والده الملك العادل سنة ٦١٥هـ[3]/١٢١٨م، ظهر التنافس بين أبناء البيت الأيوبي بشكل أكبر حيث كان الملك المعظم في دمشق والملك الكامل في مصر، وكل منهما يهدد باحتلال بلاد الآخر [4] ويكون من المؤكد أن الملك المعظم قد ساءه استيلاء الملك المسعود ملك اليمن على مكة لأن

---

(١) المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٤١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٩. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٨. عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص٢٠٩. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ٥٦.

(٢) المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٤١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٩. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٨. عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص٢٠٩. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصرالأيوبي ، ص ٥٦.

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٤، ص ٣٢٦. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢٢، ص ١١٥.

(٤) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص١٣٣. ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٤، ص١٢٧. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٣٧. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج٦، ص ٢٥٥. فريال قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص ٢٤٧.

استيلاءه عليها يعتبر ضمها إلى أملاك والده الملك الكامل الأيوبي في مصر فقد تم رفع علم الملك الكامل الأيوبي في مكة والمشاعر المقدسة وأصبح خادم الحرمين الشريفين (١)، فقام بالإيعاز إلى حليفه حاكم المدينة المنورة بالزحف على مكة وانتزاعها من نواب الملك المسعود وقد وجد هذا الطلب قبولاً لدى الأمير قاسم بن جماز الذي كان يأمل في القضاء على إمارة مكة التي كانت تهدده باستمرار ولكن لم تنجح المحاولة وباءت بالفشل الذريع . ولو نجح أمير المدينة المنورة في انتزاع مكة من نواب الملك المسعود ، لكان باستطاعة الملك المعظم أن يساوم أخاه الملك الكامل على إيقاف تهديداته له ، وذلك لتحكمه في التجارة في البحر الأحمر لأن الذي يسيطر على مكة يسيطر على ميناء مدينة جدة التجاري الميناء الأول في البحر الأحمر.

حملة الأمير جماز بن شيحة الحسيني سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٣م

كان الأمير جماز بن شيحة الحسيني أمير المدينة المنورة يطمع في حكم مكة وضمها إلى إمارة المدينة المنورة ،فقد كان لا يغيب عن ساحة الصراع الهاشمية المكية فتارة نراه يناصر حكام مكة على أعدائهم من خارج البلاد تجلت في مواقفه عامي ٦٥٢هـ/١٢٥٤م، و٦٥٣هـ/١٢٥٥م (٢) وتارة يميل إلى طرف ضد الطرف الآخر من طرفي النزاع حول إمارة مكة مما جعل الشريف أبا نمي يطلب في عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م من السلطان بيبرس سلطان مصر أن يمنع أمير المدينة المنورة جماز بن شيحة الحسيني وأفراد أسرته من مناصرة أعدائه عليه (٣) مما يدل أن إمارة المدينة المنورة في عهد جماز بن شيحة الحسيني كانت

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٩٨.ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص ٣٩٨. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٠٣. المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٣٣. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٧٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٤.ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص ٥٩٠. السنجاري : منائح الكرم ج٢، ص٢٩٠.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٤٩. المقريزي ، السلوك ، ج١، ص ٤٨٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٧٦، ٧٧. العاصمي: سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٣٧. عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص٢٢٣.

(٣) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٥١.الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ١٥١،ج٣، ص١٧٥. ابن فهد إتحاف الورى ، ج٣، ص٩٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٣.

تناصب إمارة مكة العداء وتعمل على إضعافها مما يؤكد رغبة أمراء المدينة في ضم مكة إلى أملاكهم ، وقد كان لجماز بن شيحة محاولة قبل هذه الحملة تمثلت في مساعدة غانم بن إدريس عام ٦٧٠هـ/١٢٧١م في هجوم عسكري على مكة واستطاعا أن يخرجا أبا نمي من مكة ولكن بعد (٤٠) يوماً استرد أبو نمي إمارته بمكة وأخرج منها غانم بن إدريس ومساعده جماز بن شيحة الحسيني.(١)

وفي شهر شعبان عام ٦٧٣هـ/١٢٧٣م قدم جماز بن شيحة الحسيني بقواته قاصداً مكة بهدف إخراج أبي نمي محمد بن الحسن منها وضمها إلى أملاكه ، فعندما قدم إليها دارت مفاوضات بين أبي نمي وجماز ابن شيحة انتهت بعقد اتفاق يتضمن أن يدفع أبو نمي مبلغاً من المال لجماز بن شيحة مقابل أمرين : الأول : عودة جماز بن شيحة عن مهاجمة مكة وعدم الدخول في صراع مع قوات أبي نمي، والثاني : أن يترك مناصرة خصوم(٢)أبي نمي وهم أبناء الشريف حسن بن قتادة الذين تسببوا في قتل ولده(٣)

يبدو لنا أن جماز بن شيحة كان يهدف إلى أمرين : الأول : إنه كان يريد الحصول على مكاسب مالية من خلال حروبه مع حكام مكة ، فعندما اتفق معه أبي نمي على مبلغ من المال تنازل عن موضوع الغزو وضم مكة ، وهنا يحتمل أن جماز بن شيحة كان متوقعاً أن يمد له خصوم أبي نمي يد المساعدة في هجومه على مكة فعندما وصل إلى مكة و لم يفد عليه

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢، ص ٣٤٥.الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ١٥٢. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٧٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٠١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٠٤. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٧٤. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٢٤.

(٢) خصوم الشريف أبي نمي هم أبناء عمومته أبناء حسن بن قتادة وهم جماز وإدريس واخوتهم وقد تسببوا في السابق في قتل أبي سعد الحسن بن قتادة والد أبي نمي حيث قتله جماز بن حسن بن قتادة سنة ٦٥١هـ وقام هؤلاء بقتل ابن لأبي نمي يدعى أبي سعيد بن أبي نمي سنة ٦٦٩هـ وهذا قد التبس على كثير من المؤرخين حيث يعتقدون أن المقتول هو أبوسعد الحسن بن علي بن قتادة فقط بينما هما اثنان أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة الذي هو والد أبي نمي وابن أبي نمي الذي هو أبو سعيد بن أبي نمي بن أبي سعد و لم تذكر المصادر اسم ولد أبي نمي المقتول ولكن ذكرت كنيته فقط (أبو سعيد) ، ويبين ذلك الاختلاف في سنة قتل كل واحد منهما كما ذكر سلفاً . الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ١٠٠. الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ١٥١،ج٣،ص ١٧٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٧٤، ٩٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٣١٥.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص ١٥٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٠٣.

أحد من خصوم أبي نمي تخوف من منازلة قوات أبي نمي حيث خشي من الهزيمة فقد سبق وان الهزمت قوات جماز و غانم بن إدريس عام ٦٧٠هـ/١٢٧١م كما أسلفنا ، فقبل بعرض أبي نمي بشكل سريع وتخلى عن غرضه السابق في الغزو ، وتنازله بعدم مساعدة خصوم أبي نمي يدل على سوء العلاقة بين جماز بن شيحة وأصدقائه السابقين خصوم أبي نمي ويبدو أن سوء العلاقة هذه كانت وليدة هذا الخروج لغزو مكة بتقاعسهم عن نصرة جماز بن شيحة ، لذا وافق جماز على ترك نصرة خصوم أبي نمي فيما لو دار صراع بين الطرفين .

والثاني : إن جماز بن شيحة بعد ما تبين له عدم مساعدته من قبل أصدقائه السابقين خصوم أبي نمي في هذا الخروج قرر أن يترك الأشراف يتصارعون فيما بينهم حتى ينهك بعضهم بعضا ثم يتفرغ هو بعد ذلك لتحقيق أهدافه حيث لا يتبقى له إلا خصم واحد يسهل التغلب عليه لأنه قد أُهك بسبب الصراع الداخلي .

هذا ويبدو أن أبا نمي قد نجح في إيقاف الزحف على إمارته في مكة من قبل أمير المدينة المنورة ، فهو لم يدخل في صراع مع خصومه أبناء حسن بن قتادة واكتفى بعودة جماز بن شيحة وهو بهذا يريد كسب الوقت لبناء قواته وتقوية إمارته من جديد فلم يدخل في صراع من أجل هذا .

لم يهدأ جماز بن شيحة الحسيني طويلاً عن العمل على غزو أمير مكة أبي نمي بن أبي سعد الحسن بن قتادة فقد انضم من جديد لحملة عسكرية بقيادة إدريس بن حسن بن قتادة أمير ينبع في ذلك الوقت هاجمت مكة في عام ٦٧٥هـ/١٢٧٦م ولكن منيت بهزيمة ساحقة من قبل أبي نمي وأنصاره فعاد جماز بن شيحة هارباً إلى المدينة المنورة في الوقت الذي أُسر حليفه إدريس ابن حسن بن قتادة [1].

مع طول الصراع بين أبي نمي أمير مكة وبين جماز بن شيحة أمير المدينة المنورة ، يبدو أن جماز بن شيحة الحسيني قد فقد الثقة في مقدرة معارضي أبي نمي في مواصلة الصراع مع أبي نمي ، وثبت عجزهم عن تحقيق مكاسب في تمردهم المستمر عليه فقرر أن يقيم مع أبي نمي علاقة وثيقة ويبدو ذلك لتخوفه من أبي نمي الذي بدأ يزداد قوة بعد زوال معارضيه ، وتأييد

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢، ص ١٥٢. ج ٥، ص ٤٤٣. ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٠٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ٤٧. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٠٤.

السلطة المملوكية له من مصر فخشي أن ينتقم منه لمواقفه السابقة في مساعدة أعدائه فقرر أن يقيم معه علاقات صداقة قوية ، ولكي يضمن أن تبقى العلاقة بينهما بدون توتر أراد أن يوثقها بزواجه من إحدى بنات أبي نمي ، كما يبدو أن أبا نمي أراد أن يكتفي تقلبات جماز بن شيحة في علاقاته معه فوافق على تزويجه لكي يأمن انحياز جماز بن شيحة إلى أي منافس لأبي نمي بحكم المصاهرة بينهما فتم تزويج جماز بن شيحة من الشريفة خزيمة [1]بنت أبي نمي في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م [2]، وزواج جماز بن شيحة ليست بمستبعد بين البيتين الحاكمين في مكة والمدينة ، فقد سبق أن تزوج أبو نمي أخت الأمير جماز بن شيحة وهوخال ولده رميثة بن أبي نمي [3] ، فهو صهره سابقاً ، وبهذه العلاقة الأسرية استقرت الأوضاع على الجبهة المدنية فترة خمس سنوات .

حملة الأمير جماز بن شيحة الحسيني سنة٦٨٧هـ١٢٨٨م:

لم يحافظ الأمير جماز بن شيحة الحسيني على علاقته القوية مع صهره الشريف أبي نمي ، وذلك أنه قاد حملة عسكرية على مكة في عام ٦٨٧هـ/١٢٨٨م ، والمؤكد أن جماز بن شيحة الحسيني قام بهذه الحملة تنفيذاً لرغبة السلطة السياسية في مصر ، يدل على هذا أن القوات المدنية كانت بصحبة قوات عسكرية قوية قدمت من مصر أرسلها السلطان قلاوون وهنا يبدو أن العلاقات قد ساءت بين أبي نمي والسلطان قلاوون [4] ومن المؤكد أن أبا نمي

---

(١) هي الشريفة خزيمة بنت أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة الحسنية ، تزوجها الأمير جماز بن شيحة الحسيني في عام ٦٨٢هـ ، كادت أن تقضي عليه بمساعدة إحدى جواريها بسقي زوجها سماً ، وذلك لمواقف زوجها الشريف جماز المعادية لأبيها أبي نمي في حروبه مع خصومه من البيت الهاشمي . الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٥٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١١٥.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٥٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١١٥.

(٣) التجيبي : مستفاد الرحلة والاغتراب ، ص٣٠٦.

(٤) كان العلاقات بين الشريف أبي نمي والسلطان قلاوون قد ساءت لعدم تنفيذ أبي نمي لتعهداته السابق ثم زادت سوءاً بعد أن اعتذر أبو نمي عن الحضور إلى مصر لملاقاة السلطان في عام٦٨٥هـ ، ثم أن أبو نمي لم يحقق طلب السلطان بإرسال ما طلبه في نفس العام حيث طلب السلطان من الشريف فرس مشهورة ووعد بإرسال ثمنها إليه ، حيث أن المصادر لم تذكر أن أبا نمي قد أرسل في العام٦٨٥هـ، ولا في العام ٦٨٦هـ هدية

قد أخل بتعهداته للسلطان قلاوون في الصلح الذي تم بين أبي نمي وقائد القوات المصرية الأمير علم الدين الباشقردي في عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م ،فقد كان الأمير علم الدين الباشقردي متواجداً بمكة مع عدد من العسكر لمراقبة تنفيذ أبي نمي لتعهداته للدولة فيما يبدو أنه أحد شروط الصلح التي تم الاتفاق عليها ، يدلنا على هذا أن أبا نمي أرسل إلى السلطان قلاوون يشتكي من الأمير الباشقردي سنة ٦٨٥هـ ويعتذر عن تأخر حضوره إلى مصر(١)وعندما لم تحقق دعوته هذه أي نتيجة لدى السلطان قلاوون قام بإخراج الحامية المصرية من مكة ، فكان هذا السبب كافياً لإثارة غضب السلطان قلاوون فقرر التخلص من أبي نمي بن أبي سعد الحسني، فقام بتجهيز حملة عسكرية ولكي يضمن لها قاعدة خلفية أوكل القيادة العامة لهذه القوة إلى جماز بن شيحة أمير المدينة المنورة فقدمت الحملة إلى المدينة المنورة بقيادة أحد ضباط الجيش يلقب بالجكاجكي ، فعندما قدمت الحملة إلى المدينة المنورة لم يكن أمام جماز بن شيحة إلا أن ينصاع لأمر السلطان ، كما أن القوة العسكرية المصرية كانت مشجعة لجماز بن شيحة على أنها سوف تحقق غرضها في القضاء على أبي نمي ويضم مكة إلى أملاكه ، في الوقت الذي لم يظهر منازع لأبي نمي من نفس الأسرة الحاكمة والذي يمكن أن يتحالف معهم لتحقيق أطماعه في حكم مكة.

لذا زحف الأمير جماز بن شيحة على رأس قواته من المدينة المنورة والقوات المصرية التي قدمت إليه قاصداً صهره أبي نمي بمكة ، واستطاع جماز ابن شيحة الحسيني أن يهزم صهره أبي نمي ويخرجه من مكة ،ودخلها وأعلن إمارته لها بذكر اسمه في خطبة الجمعة بالمسجد الحرام وقام أيضاً بسك العملة باسمه بما يؤكد أن السلطان قلاوون قد ولاه الإمارة بدلاً من أبي نمي لذا تحمس جماز بن شيحة الحسيني لقتال صهره أبي نمي.

لم يقبل أبو نمي بما حدث له من هزيمة ، فلم يدع جماز بن شيحة يتمتع بحكم مكة طويلاً ، وإنما أخذ في مقاومته عن طريقين الأول : محاولة القضاء على جماز بن شيحة بأيسر السبل فيبدو أنه قد اتفق مع ابنته الشريفة خزيمة على التخلص من زوجها جماز عن طريق سقيه

للسلطان قلاوون تدل على تنفيذه لطلب السلطان بإرسال الفرس التي طلبها . المقريزي : السلوك ، ج٢، ص١٩٣.

(١) المصدر السابق ، ج٢، ص ١٩٣.

كأساً مسموماً ، وتم تنفيذ هذا المخطط على يد إحدى جواري الشريفة خزيمة وكاد أن يُقتل جماز بن شيحة لولا لطف الله حيث عكف عليه الأطباء ، وبقدر الله عوفي من السم الذي تناوله بعد فترة من الزمن (1).

والثاني : الاتصال بأعوان جماز بن شيحة واستطاع أن يوقع الخلاف بين القائد المصري الجكاجكي و جماز حيث إن أبا نمي أخذ في مراسلة القائد الجكاجكي ، وطبيعي أن تتضمن مراسلاته طلب التخلي عن نصرة جماز مقابل مبالغ مالية ، فدارت مراسلات بين الطرفين ، كانت مثمرة جداً لأبي نمي حيث إن جماز بن شيحة بعد تناوله السم أصبح طريح الفراش ورأى تحركات أبي نمي مع أعوانه خشي على نفسه ومن معه من أنصاره فقرر الخروج من مكة وتسليمها لمن يرسلهم أبو نمي من نوابه وعندما عاد إلى المدينة المنورة قبض على الأمير الجكاجكي وقيده وأرسله إلى مصر حيث تم اعتقاله (2)، وهذا يؤكد لنا مدى الخلاف الذي حصل بين جماز بن شيحة والقائد الجكاجكي ، وأن القائد كان يعمل لنفسه خاصة في الاتفاق مع أبي نمي ، فلو لم يحدث خلاف بين الطرفين كان جماز بن شيحة قد استناب القائد الجكاجكي في إمارة مكة حتى يأتي أمر من السلطة السياسية في مصر ، ولكن أُسقط في يد الأمير جماز بن شيحة فما كان أمامه إلا أن يسلم مكة لأبي نمي ويرحل إلى المدينة المنورة ، وبهذه الحملة تكون آخر محاولات الأمير جماز بن شيحة على مكة .

---

(1) الفاسي : العقد الثمين ، ج2، ص 153، ج3، ص284، ابن فهد : إتحاف الورى ، ج3، ص 119. ابن فهد :غاية المرام ، ج2، ص48، 17.

(2) الفاسي : العقد الثمين ، ج2، ص 153، ج3، ص284. المقريزي : السلوك ، ج2، ص208. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج3، ص 119. ابن فهد :غاية المرام ، ج2، ص48، 17. الطبري : الأرج المسكي ، ص 120. السنجاري : منائح الكرم ، ج2، ص 323. رتشارد مرتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي : ص 60.

الفصل الرابع: أثر الحملات العسكرية الخارجية على الأوضاع العامة .

المبحث الأول : أثر الحملات العسكرية على الوضع الديني .

المبحث الثاني : أثر الحملات العسكرية على الوضع السياسي .

المبحث الثالث : أثر الحملات العسكرية على الوضع الاقتصادي .

المبحث الرابع : أثر الحملات العسكرية على الوضع الأمني .

المبحث الخامس : أثر الحملات العسكرية على الوضع الاجتماعي .

الفصل الرابع : المبحث الأول :

أثر الحملات العسكرية على الوضع الديني .

كان للحملات العسكرية على مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي أثر على الناحية الدينية من عدة جوانب من أشهرها ما كان مرتبطاً بالناحية الأمنية فعندما يحدث الصدام العسكري في مكة يختل الأمن فيصعب على كثير من المسلمين أداء الشعائر الدينية سواءً كان ذلك في موسم الحج أو في غير موسم الحج ولكن كان واضحاً اختلال أداء الشعائر في موسم الحج لأن أغلب الحملات العسكرية كانت تقدم بمصاحبة ركب الحجاج من أي جهة كانت ومن ذلك مايلي:

في عام ٥٧١هـ/١١٧٥م عندما قدم الأمير طاشتكين بحملته من العراق في موسم الحج كان بهدف تغيير أمير مكة الأمير مكثر بن عيسى بن فليتة ، وقد وصل خبر حملته قبل قدومه إلى الأماكن المقدسة مما كان سبباً في عدم خروج عدد كبير من أهل البلد إلى المشاعر لأداء فريضة الحج ، أما الحجاج من شتى أقطار الأرض الذين خرجوا لأداء الفريضة لم يستطيعوا أن يكملوا أداء مناسك الحج حيث باتوا بعرفة و لم يبيتوا بمزدلفة ،و لم يترلوا منى و لم يرموا

الجمرات ،ومن رمى منهم رمى وهو سائر مستعجل في سيره خوفاً من القتل سواء كان من جند الحملة أومن غيرهم من الناس [(١)].

وهذا يدل دلالة كبيرة على ما أصاب الناس من خوف وهلع حيث يصبح عامة الناس في غاية الخوف حتى أنهم لا يتسطيعوا أن يؤدوا مناسك حجهم وبهذا يتعطل الكثير من أركان الحج الذي لا يتم حج المسلم إلا بأدائه فالمسلم الذي تحمل المشاق بالسفر من بلده في ذلك الوقت يفوته تأدية الحج على الوجه الأكمل ، والمسلم المقيم بالبلد الحرام الذي يتحين الفرصة لأداء مناسك الحج لا يستطيع أدائه بسبب قدوم الحملة العسكرية فهذا يعتبر من أكبر الكوارث على المسلمين في دينهم ، وبهذا تكون الحملات العسكرية سبباً رئيساً في بعض السنين في تعطيل شعائر الحج .

وفي عام ٦٠٨هـ/١٢١١م عندما قام رجال الحملة العراقية الفداويون بتنفيذ عملية الاغتيال الخاطئة في منى بقصد قتل الشريف قتادة كان من أثر هذه الحملة أن حدثت الكارثة على الحجاج جميعاً فأصبح من الصعب أداء مناسك الحج كاملة حيث تعرضوا للنهب والسلب ، وقتل منهم عدد كبير وذلك أن جند قتادة قد اغتنموا الفرصة بعد أن أذن لهم الشريف قتادة بمهاجمة الحجاج العراقيين فأخذوا يهاجمون الحجاج جميعاً دون رادع من دين أو قيادة في جميع أرجاء المشاعر حتى وصل بهم الأمر أن تعدوا على الحجاج في الطواف حول الكعبة بالقتل والسلب ، مما كان سبباً في الإخلال بأداء الشعائر الدينية لحجاج بيت الله الحرام ، ومن سلم منهم تحمل الجوع والخوف والأذى ولم يكمل الحج إلا الأقوياء من الحجاج الذين سلموا من القتل ، وكان أدائهم لطواف الوداع بخوف ووجل من تعقب رجال قتادة لهم [(٢)].

وفي عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م عندما قدم الملك المسعود سلطان اليمن بحملته لقتال الشريف حسن بن قتادة ، كان بصحبته عدد كبير من الجند ، وقد وصل القتال بين جنده

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٠، ص٥٣١. ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص١٣٧. الذهبي : تاريخ الإسلام ، مجلد حوادث سنة ٥٧١-٥٨٠،ص٧. الفاسي :شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٩١. الفاسي : العقد الثمين ،ج١،ص٣٤١، ج٦، ص١٢٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٣٦.

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص٣٠٥. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٦٢. الذهبي : العبر ، ج٣، ص١٤٨. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٤٦٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٩.

وجند حسن بن قتادة إلى داخل المسجد الحرام وبين الصفا والمروة مما يدل أن الشعائر الدينية من صلاة وطواف وسعي وغيرها قد توقفت لاشتباك القوات المسلحة للطرفين في داخل المسجد الحرام ،واستمر تضرر الناس من جند الحملة كثيراً حتى بعد انتهاء القتال بين القوات المتصارعة وقد وصل أذاهم إلى ضرب الناس في المسعى بالسيوف في أرجلهم حتى لا ينغصوا على الأمير نومه بالتكبير والتهليل أثناء سعيهم حيث أنه كان نائماً في دار بجوار المسعى[1] مما يدل أن المسلمين في المسجد الحرام كانوا لا يستطيعون أن يقوموا بأداء عباداتهم بسبب تصرفات جنود الحملة اليمنية ،كما أن الحملة قد أثرت على أداء الحجاج لشعائر حجهم فقد صعدت قوات الحملة إلى عرفات بلباس الحرب لتزعم وفود الحجيج [2] وكادت أن تصطدم مع حامية الحجاج العراقيين في صعيد عرفات ، وقد تصرف قائد ركب الحجاج العراقيين الأمير حسام الدين بن أبي فراس بحكمة وروية حتى أنه تفادى وقوع الحرب وحرص على ظهور شعائر الخلافة العباسية بعد التلطف بالملك المسعود والتوسل إليه [3]، وبهذا نقول أن الحملة كادت أن تفسد على الحجاج حجهم في ذلك العام لو حدث تصلب في موقف أمير الحاج العراقي ، ومع أن الملك المسعود قد تصرف هو وجنده تصرفات لا تليق بمقام الحرم الشريف ، فقد كان لحملته بعض الآثار الايجابية حيث أنه ورد أن نائبه على مكة الأمير نورالدين عمر بن علي بن رسول قام بأعمال دينية جليلة فقد عمر مسجد التنعيم[4]، وبنى قبة على مقام إبراهيم عليه السلام ، وأخرج من مكة أتباع المذهب الزيدي ،

---

(١) النويري : نهاية الأرب ، ج٢٩،ص١٢٥،١٢١. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢،ص ٣٩٩،٣٤١. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص٧٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٦،٣٤.

(٢) أمر الملك المسعود أتباعه بمنع أعلام الخلافة العباسية من الصعود على جبل عرفات ، وإذا حاول رجال الحامية= =العباسية رفع علم الخلافة فعليهم تحطيمه ، ورفع أعلام الدولة الأيوبية وهذا يعني تزعم وفود الحجيج ، وقد غضب الخليفة العباسي الناصر من تصرف الملك المسعود وأرسل إلى والده الملك الكامل في مصر يشتكي من تصرف ابنه فأرسل الملك المسعود عتاباً شديداً لابنه على تصرفه السابق . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص٣٩٨. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣،ص٤٠٣.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ،ج١٣،ص٩٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٢. السنجاري : منائح الكرم، ج٢، ص٢٩٠.

(٤) كان يسمى مسجد الهليلجة ، ورد أن السيدة عائشة رضي الله عنها اعتمرت من موضع هذا المسجد . الفاسي : شفاء الغرام ،ج١، ص٥٠٦. ابن فهد : غاية المرام ،ج١، ص٥٩٦.

و سهل للحجاج دخول الكعبة المعظمة حيث أعطى سدنة البيت من آل الشيي مبلغاً من المال في مقابل تسبيل دخول الناس إلى الكعبة للصلاة بها ليلاً ونهاراً [(١)]

وفي عام ٧٥١هـ/١٣٥٠م عندما قدم الملك المجاهد ملك اليمن إلى مكة بقواته الكثيرة وكان في نيته أداء مناسك الحج وتغيير النظام السياسي أدى هذا الأمر إلى الاشتباك بين قواته والقوات المصرية التي كانت مصاحبة للحجاج المصريين مما كان سبباً في تعطيل أداء النسك على عدد كبير من الحجاج وخصوصاً حجاج اليمن حيث لم يستطع أغلب الحجاج أداء طواف الوداع ومنهم الملك المجاهد نفسه حيث قبض عليه وعلى عدد من خاصته وحملوا إلى مصر، وقتل عدد كبير من الحجاج ونهبت أموالهم ،حيث استغل عدد من ضعاف الإيمان الوضع المضطرب وأخذوا في نهب حجاج بيت الله الحرام [(٢)] مما يدل أن الحجاج أصبحوا في وضع يصعب معه أن يتفرغوا للعبادة وأداء الشعائر الدينية فقد أصبحوا في حالة بائسة من الجوع والحاجة ، مما يجعلهم ينصرفون عن العبادة إلى تلمس القوت بأي وسيلة كانت .

وفي عام ٧٦١هـ/١٣٥٩م عندما اشتبك رجال الحملة المملوكية مع الأشراف بالقرب من المسجد الحرام تعطلت العبادات في المسجد الحرام حيث أن القتال كان دائراً بالقرب منه فحرص الجند المماليك على الاحتماء بالمسجد الحرام وقاموا بقفل أبوابه مما جعل أداء العبادات به مستحيلة ،[(٣)] وهذا يدل على عدم احترام الطرفين لقدسية المسجد الحرام حيث أن القتل به أو بجواره دليل على انعدام الورع لدى المتحاربين من الطرفين .

ومع أن غالب أثر الحملات العسكرية يكون سلبياً إلا أن لها أثراً إيجابياً في بعض النواحي ، ويكون هذا إذا كان هدف الحملة نبيلاً بحيث يهدف قائد الحملة إلا تغيير أمر

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٩٩. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٤٠٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٤٥،٤١،٣٦.ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٥، ص١٢٠. ناصر البركات : بنو رسول وعلاقتهم ، ص ١٤٨.

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص٥١١. الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢، ص٨٣. الفاسي :العقد الثمين ، ج٥، ص٢٥٨،١٩١. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ن ص٤١٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٤١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٤٥.

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٤٢٠. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص٢٤٧. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٨١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٦٦.الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٥٨.

مخالف في الدين ، فعندما يصل إلى مكة يسعى إلا تحقيقه فيتحقق له بإذن الله عز وجل مما يدل أن الله سبحانه وتعالى ناصراً ومؤيداً من يعمل على تطبيق شرعه .

من ذلك أنه في عام ٥٨١هـ/١١٨٥م قدم الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب والي اليمن إلى مكة بحملة عسكرية كان هدفها تأييد المذهب السني والقضاء على شعائر المذهب الزيدي (١) الذي كان يعتنقه أمراء مكة في ذلك الوقت ، وذلك أن الملك العزيز عندما قدم بحملته قام بأعمال جليلة في إقرار الأمور السياسية والأمنية والدينية فمنها أنه منع المؤذنين بالمسجد الحرام من النداء بشعار المذهب الزيدي في الأذان وهو : "حي على خير العمل "بعد النداء حي على الفلاح في الأذان (٢) ، وقد استمرت الدولة الأيوبية في التصدي للمذهب الزيدي ففي عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م عندما قدم الملك المسعود الأيوبي بحملته من اليمن قام بالتصدي لأتباع المذهب الزيدي و إخراجهم من البلد الحرام(٣) .

وقد كانت الدولة المملوكية تسعى جاهدة للقضاء على شعائر المذهب الزيدي من مكة ولأن حكامها كانوا على المذهب الزيدي (٤) لم يكن لمطالب السلطة السياسية المملوكية تنفيذ كامل ، فقد طلبت السلطة السياسية في مصر من عطيفة بن أبي نمي أن يمنع إمام المذهب الزيدي من الصلاة والخطبة بالمسجد الحرام ، وقد استجاب عطيفة لمطالب السلطة السياسية في مصر للمحافظة على رضا السلطة السياسية في مصر عليه وعدم عزله عن

---

(١) في المذهب الزيدي يذكر المؤذن بعد قوله حي على الفلاح ((حي على خير العمل)) وكان هذا يذكر في الأذان في مكة منذ العصر الفاطمي وذلك أن حكام مكة كانوا على المذهب الزيدي . ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٧٨. التجيبي ، القاسم بن يوسف : مستفاد الرحلة والاغتراب ، تحقيق عبد الحفيظ منصور ،ط بدون ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ،ص٢٩٧.

(٢) أبو شامة : الروضتين ، ج٢،ص ٢٧١. التجيبي : مستفاد الرحلة والاغتراب ، ص٢٩٧. الفاسي :العقد الثمين ، ج٤،ص ٢٩٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٥٢. حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٣٣. فريال قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص١٧٥.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٩٩.

(٤) التجيبي : مستفاد الرحلة والاغتراب ، ص٢٩٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص١٠٥، ج٥،ص٢١٤. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص٨٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٧.

الإمارة ، فقام بإخراج إمام الزيدية من المسجد الحرام في عام ٧٢٤هـ/١٣٢٣م[1] ولكن لكثرة أتباع المذهب الزيدي من الأسرة الحاكمة لم يغادر إمام الزيدية الحجاز حيث عاد فيما بعد إلى ما كان عليه من عمل ، وعندما قدم الأمير عمر شاه الحاجب [2] بحملته في عام٧٥٤هـ/١٣٥٣م قبض على إمام الزيدية أبو القاسم محمد بن أحمد اليمني [3] وضربه ضرباً شديداً وسجنه لكي يعود عن مذهبه فلم يقبل وهرب من سجنه إلى وادي نخلة وأقام به ،كما قام الأمير عمر شاه الحاجب بضرب مؤذن المذهب الزيدي [4] حتى مات تحت الضرب[5] . وبهذا يكون من أهداف حملة الأمير عمر تصحيح الوضع الديني في البلد الحرام.

وفي عام ٨٢٦هـ/١٤٢٢م عندما قدمت الحملة المصرية لتغيير النظام السياسي لمكة بعد تصرفات حسن بن عجلان السيئة مع التجار ، كان للحملة دور إيجابي في قيام الحجاج بأداء نسكهم بأمن وطمأنينة وذلك لحفظ الأمن في المشاعر المقدسة ، حيث لم يستطع أحد من اللصوص وقطاع الطرق المتربصون عادة بالحجاج المساس بأي حاج ، وعمت الصدقات

---

(١) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ص٣٩٩. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤، ص١٢٣. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٢١٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٨٤.

(٢) هو الأمير عمر شاه الحاجب ، التركي ، كان أحد كبار الأمراء في دولة الناصر حسن ، تم اعتقاله سنة٧٥١هـ وسجن بالاسكندرية ثم أطلق عين سنة ٧٥٢هـ حاجب الحجاب ، وقاد ركب الحجاج سنة٧٥٤هـ ، ثم عين في نيابة حماة ، ثم عمل حاجب الحجاب حتى مات سنة ٧٧١هـ. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص ١٨٦،١٤٦،١٢٣، ٢٦٨. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٠، حاشية ص ٢١٩.

(٣) هو أبو القاسم بن محمد بن أحمد اليمني إمام المذهب الزيدي في المسجد الحرام وكبير الزيدية بمكة المكرمة عقد له مجلس بحضرة القاضي عز الدين بن جماعة بمكة المكرمة استتيب فيه وأشهد على نفسه،وكتب بخطه أنه تبرأ إلى الله من اعتقاد أهل البدع الزيدية والإمامية وغيرهم ...الخ سنة ٧٥٥هـ وذلك خوفاً من القتل على يد أمراء الدولة المملوكية ، توفي سنة ٧٦٠هـ بمكة المكرمة . الفاسي : العقد الثمين ، ٦، ص ٣١٣. المقريزي:= =السلوك ، ج٤، ص٢١٢.

(٤) يدعى علياً كان يؤذن للمذهب الزيدي في المسجد الحرام ضربه الأمير عمر شاه الحاجب حتى مات تحت الضرب سنة ٧٥٤هـ . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٦١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٥٥. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٦٣.

(٥)المقريزي : السلوك ، ج٤، ص١٨٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٦١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٦٣.

أرجاء البلد [1] وبهذا تكون الحملة قد ساعدت على أداء الركن الخامس من أركان الإسلام في البلد الحرام بكل حرية ، وهذا أمر طبيعي حيث أن الحملات العسكرية كانت في الغالب كاملة التسليح محددة الهدف فما أن ينتشر خبر قدومها حتى يختفي اللصوص وقطاع الطرق والمفسدين خوفاً من رجال الحملة وبهذا يؤدي الحجاج نسكهم في أمن وطمأنينة بخلاف أوقات الفتن التي تغيب عنها الحملات العسكرية .

المبحث الثاني :

أثر الحملات العسكرية على الوضع السياسي .

كانت الحملات العسكرية التي قدمت إلى مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي تهدف في الغالب إلى تصحيح الوضع السياسي والأمني والاقتصادي ، وذلك أن الدولة الأيوبية أبقت على حكام مكة الذين كانوا يتولون إمارتها من الأشراف فلم تعمل على تغيير وضعها السياسي واكتفت بالدعاء لسلاطين بني أيوب بعد الدعاء للخلافة العباسية على منبر المسجد الحرام ، وقد كان للخلافة العباسية في بداية العهد الأيوبي الإشراف المباشر على الوضع السياسي لمكة ،حيث إن الخليفة هو الذي يصدر أوامره بعزل وتولية أميرها ، أما السلطنة الأيوبية فقد أخذت تتدخل شيئاً فشيئاً في شؤون الحجاز مع المحافظة على عدم الاصطدام مع الخلافة العباسية التي تكن لها كل تقدير واحترام.

ومما يدل أن الخلافة العباسية كانت هي التي تقرر الوضع السياسي لإمارة مكة في بداية حكم الدولة الأيوبية أن هدف الحملة العسكرية عام ٥٧١هـ/١١٧٥م كان تغيير الوضع السياسي للإمارة وتم ذلك بتولية الأمير داود بن عيسى بعد أن تعهد بتحقيق ما تطمح إليه الخلافة العباسية من إلغاء المكوس و إقامة شعار الخلافة العباسية على منبر المسجد الحرام

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٣٩٠. العيني : عقد الجمان ، ج٣، ص٢٠٨. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٥، ص٤٦٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٩٤. غاية المرام ، ج٢، ص٣٤٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٧٠٦.

وتأمين الحجاج القادمين إليها [1] أما السلطنة الأيوبية في مصر فلم تعترض على تصرف الخلافة السابق و لم يكن لها دور في فرض رأي على الوضع السياسي للإمارة فقد سبق حملة عام ٥٧١هـ/١١٧٥م أن قدم إلى مكة الملك المعظم توران شاه في طريقه من اليمن إلى مصر في شهر شعبان من نفس العام فلم يتدخل في الشؤون السياسية[2].

وفي عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م يبدو أن الخلافة العباسية تركت للدولة الأيوبية شيئاً من الإشراف المباشر على إمارة مكة بدليل أن الأمير مكثر قد طلب منه السلطان صلاح الدين أن يلغي المكس الذي كان يأخذه من الحجاج في العام التالي لحملة الأمير طاشتكين سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م، مما يدل أن الخلافة العباسية قد أوكلت إلى السلطان صلاح الدين أمر الإشراف على الحرمين الشريفين ؛وذلك لسهولة الاتصال بين الحجاز ومصر ، حيث يقع بين مناطق نفوذ السلطة الأيوبية في اليمن ومصر فقام السلطان بدوره خير قيام، حيث أرسل إلى الأمير مكثر تهديداً شديداً يطلب منه رفع المكس عن الحجاج ويحدد له مبلغاً من المال يحمل إلى الحجاز مع كمية من القمح كل عام [3]؛ مما يؤكد أن السلطان صلاح الدين لم يكن يتصرف هذا التصرف مع أمير مكة دون أن يكون له مطلق الحرية من الخلافة العباسية التي يكن لها كل تقدير واحترام ، ويدل أيضاً على هذا أن الخلافة العباسية لم يظهر منها أي تصرف يدل على غضبها من تدخل السلطان صلاح الدين في أمر مكة مما يدل أنها كانت على علم بتصرفه مسبقاً وأنها قد أطلقت له العنان فيه .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٠، ص٥٣١. ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص١٣٧. الذهبي : تاريخ الإسلام ، مجلد حوادث سنة ٥٧١-٥٨٠، ص٧. ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي : ج٢، ص١٢٣. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢،ص٣٩١،٣٣٩.الفاسي:العقدالثمين ، ج٦، ص١٢٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٣٦.العصامي: سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٢٠. فريال قطان ، الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص١٧٩.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤،ص٦٧،ج٦، ص١٢١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٣٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٣٥،٥٣٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٠.فريال قطان ، الحجاز في ظل الدولة الأيوبية، ص ١٧٦. عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص٤٣.

(٣) ابن جبير الرحلة ، ص ٣٠، ٧٤،٥٥. أبو شامة : الروضتين ، ج٣، ص٩. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٨، ص٣٦٩. ابن كثير : البداية والنهاية ،١٢، ص٢٩٩. الفاسي : العقد الثمين ، ج١، ص٣٤١،ج٦، ص١٢٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٢.السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٥٨. الكردي : التاريخ القويم ، ج٢،ص٢٢٠. الزهراني ، غباشي : تاريخ مكة المكرمة التجاري ، ص٢٩.

وبهذا نستطيع القول أن دخول مكة تحت النفوذ الأيوبي كان منذ عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م و برضا من الخلافة العباسية وبطريقة سليمة سهلة ، هدفها حماية الحرمين الشريفين وخدمة ضيوفهما من جميع أرجاء المعمورة .

ومع نفوذ الدولة الأيوبية على إمارة مكة كانت الخلافة العباسية تحاول فرض إرادتها أحياناً وخصوصاً إذا حدث تصرف يغضبها من أمير مكة مما يدل على استمرار النفوذ العباسي يدلنا على هذا محاولة اغتيال قتادة بن إدريس في الحملة السرية العراقية عام ٦٠٨هـ/١٢١١م[١] إلا أن الحملة قد أعطت الشريف قتادة درساً في التعامل مع الخلافة في بغداد وأن ما تم تدبيره من عملية اغتيال قد يتم تدبير ما هو أكبر منه ولهذا استجاب قتادة بن مطاعن لمشورة أمير حجاج العراق الأمير ابن أبي فراس الحلي، الذي قدم في العام التالي ٦٠٩هـ/١٢١٢م في تقديم الاعتذار للخلافة العباسية وطلب العفو والصفح من مقام الخليفة العباسي[٢]

وقد كانت بعض الحملات العسكرية لا توفق في تحقيق أهدافها التي قدمت من أجلها أو تحقيق الأهداف التي جعلت الظروف في مكة من الحملة أن تتبناها ،ففي عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م لم توفق حملة أمير الحاج العراقي أقباش الناصري في عزل حسن ابن قتادة وتولية أخيه راجح، بل حلت الكارثة بالحملة وقتل قائدها ، ولولا لطف الله سبحانه وتعالى لحل بحجاج العراق كارثة كبيرة ، ولكن أراد الله أن يتصرف حسن بن قتادة بحكمة عندما حرص على الإبقاء على حبل المودة بينه وبين الخلافة العباسية عندما لم يسمح لأحد من أتباعه بالتعدي على حجاج العراق مما جعلهم يؤدون نسكهم في أمن وطمأنينة، ويعودون إلى العراق سالمين كما أردف فعله هذا برسل إلى الخلافة العباسية يقدمون الاعتذار عن

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص٣٠٥. اليافعي : مرآة الجنان ، ج٤، ص١٥. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٦٢. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٩٤. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٢٩٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٩. ابن فهد :غاية المرام ،ج١، ص٥٦٠. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٨١. الطبري : الأرج المسكي ، ص١١٧. ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٥، ص ٣٢.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٥، ص٤٦٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٨٣. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٢٧. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ٤٥. عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص٥٨. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص ٣٩.

حسن بن قتادة عما حدث لركب الحاج بمكة [(١)] وبهذا نستطيع القول إن الخلافة العباسية بتسييرها هذه الحملة وما قام به قائدها من تصرف عسكري ، كما أن تصرف حسن بن قتادة بتقديم الاعتذار للخلافة يدل أنه ما زالت للخلافة العباسية كلمة نافذة في الوضع السياسي لإمارة مكة.

في عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م كان أثر الحملة العسكرية التي قدمت من اليمن بقيادة الملك المسعود كبيراً على الناحية السياسية لمكة ، فقد قدم الملك المسعود بنية مساعدة راجح بن قتادة الذي التجأ إليه طالباً المساعدة له على نيل حقه السليب في الإمارة ، وبعد نجاح حملة الملك المسعود قام بضم إمارة مكة إلى سلطته في اليمن التي تتبع سلطة والده الملك الكامل ،وعين عليها أميراً من قبله وولى راجح منطقة حلي ونصف المخلاف [(٢)] وبهذا يكون الملك المسعود قد غير الوضع السياسي لإمارة مكة بانتزع الإمارة من أبناء الشريف قتادة ،وضمها إلى أملاكه معلناً بذلك نهاية السيادة العباسية على الوضع السياسي لمكة ولأسرة بني قتادة .

وعندما بدأ التنافس بين الدولة الرسولية في اليمن والأيوبية في مصر والشام كان هدف الحملات تغيير الوضع السياسي لإمارة مكة فنتيجة الحملة اليمنية عام ٦٢٩هـ/١٢٣١م إزاحة النفوذ الأيوبي عن مكة وضمها إلى أملاك بني رسول في اليمن وقد تم استخدام راجح بن قتادة قائداً من قادة الحملة مما يدل على التعامل بحذر مع أشراف مكة آل قتادة ومحاولة استخدامهم لتنفيذ الأهداف السياسية لدولة بني رسول دون تقليدهم منصب الإمارة[(٣)].

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص٣٤٥. اليافعي :مرآة الجنان ، ج٤، ص٣٦. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٩٢. الفاسي : العقد ، ج٣، ص٤٠٢. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٩٧. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٣٢٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٨.ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٧٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٨٦.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٦، ص٢٥٥. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٣٣٣. ابن فهد : غاية المرام ،ج١، ص٥٨٣. الطبري : الأرج المسكي ، ص١١٨.السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٩٠. يحيى بن الحسين: غاية الأماني ، ص ٤١٠. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٥٣. ناصر البركاتي : بنو رسول ، ص١٤٨،١٤٦.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٩. الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٢٩٥، ج٥، ص٣٦٢.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤١. ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص٦٢٠،٦١٣،٦٠١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٩٧،٢٩٤. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٢٠. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص٢٧١.

وبهذا نستطيع القول أن مكة انتقلت من حكم بني أيوب حكام مصر إلى حكم بني رسول حكام اليمن ، وأصبحت منطقة تنافس بين الدولة الأيوبية والدولة الرسولية ، فالدولة الرسولية تحاول أن تبرز أمام العالم الإسلامي بقوتها الفتية ، والدولة الأيوبية لا تريد أن تفقد زعامتها للعالم الإسلامي بعد أن حقق سلاطينها أمجاداً عسكرية إسلامية كبيرة[1] .

وبهذا استمرت الحملات في قدومها إلى البلد الحرام ففي عام ٦٢٩هـ/١٢٣١م قدمت حملة مصرية استطاعت أن تعيد مكة إلى النفوذ الأيوبي[2].

لم تستقر أوضاع مكة السياسية حيث إن السلطة الأيوبية في مصر والسلطة الرسولية في اليمن أخذتا تتصارعان على السيادة فتكررت الحملات العسكرية لكلا الطرفين، فمنذ عام٦٣٠هـ/١٢٣٢م إلى عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م شهدت مكة ا حملات عسكرية متتابعة لكلا الطرفين وقد لا تخلوا سنة حتى يقدم فيها حملة عسكرية واحدة من اليمن وأخرى من مصر وجميع الحملات لم يحدث بينها قتال لأنه ما أن تسمع القوة العسكرية المصرية بقدوم الحملة اليمنية حتى تغادر مكة وكذلك القوة اليمنية [3] وهذا يدل أن كلا القيادتين في مصر واليمن كانتا تحاولان الحفاظ على أمن وسلامة أهل مكة لكسب ولائهم في صفها لذا نستطيع القول أن أهلها قد لزموا الحياد في هذا الصراع، و لم ينضموا إلى أحد الطرفين بمعنى لم يكن لهم دور في الوضع السياسي .

---

(١) كان من أشهر هذه الانجازات الانتصار على القوات الصليبية في معركة حطين واسترداد بيت المقدس عام ٥٨٣هـ. ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص١٧٧. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٢٠.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٩. الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٢٩٥، ج٥، ص٣٦٢.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤١. ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص٦٢٠،٦١٩،٦١٣،٦٠١. الجزيري :الدرر= =، ج١، ص٥٩١. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤٢٠.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٥٤. الفاسي : العقد الثمين ،ج٤، ص٨٠. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٣٦٧. ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص٦٢١،٦١٩. العاصمي : سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٣٢. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٢٠.

في شهر رجب عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م أراد الملك المنصور نورالدين عمر بن علي بن رسول أن يضع حداً لوضع مكة السياسي عندما زحف بحملته العسكرية وعمل على كسب ولاء السكان (١)وبعد نجاحه في إبعاد القوة الأيوبية عين عليها نائبين من قبله(٢).

ويتبين لنا من خلال الحملات العسكرية اليمنية أن الدولة الرسولية حرصت على الحفاظ على علاقة مع آل قتادة فلم تقصهم نهائياً عن المشاركة في استرداد مكة ، وفي نفس الوقت لم تقلد أحدهم منصب الإمارة بها ؛ وفي المقابل لم تحرص الدولة الأيوبية على صلات ودية مع أحد أفراد أسرة آل قتادة مما يدل أن انحياز الشريف راجح للدولة الرسولية قد جعل الدولة الأيوبية لا تثق في أحد من أفراد البيت الحاكم ولم تبحث عن فرد منهم تستخدمه في منافسة راجح بن قتادة حليف بني رسول .

ويبدو أن الدولة الأيوبية قد انتبهت لدور رجال الأسر الحاكمة في الحجاز في الوضع السياسي والعسكري فأرادت أن تعمل على مواجهة تحالف الدولة الرسولية مع راجح بن قتادة بتحالف مع خصومهم بني الحسين في المدينة المنورة لذا نراها تعين الأمير شيحة بن قاسم الحسيني أمير المدينة المنورة على رأس الحملة الأيوبية عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م (٣).ومع أن الحملة قد حققت هدفها السياسي يبدو أن السلطة الأيوبية رأت في تعيين الأمير شيحة لقيادة الحملة مكسباً لها لكي يكون لجند الدولة مأوى قريب من مكة إذا ما أخرجتهم قوة يمنية جديدة ، وبهذا نستطيع القول أن هذه الحملة قد غيرت الوضع السياسي لمكة فقد

---

(١) وقد كان السلطان عمر بن علي بن رسول يعمل على كسب ولاء سكان مكة المكرمة بشكل مستمر فقد كان يرسل كل عام بصدقة كبيرة جداً توزع على أهل مكة المكرمة والمجاورين بها ، و كان ابنه الملك المظفر يرسل بتجارة وفيرة من الحبوب لكي تباع في أسواق مكة المكرمة ، وقد كان لهذا الفعل دور كبير في كسب ولاء السكان له . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٣.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦١. الفاسي : العقد ، ج٥، ص٣٦٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٣. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٤٢٣. العصامي :سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٣.السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٠٠.سليمان المالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية ، ص٧٩. ناصر البركاتي : بنور رسول ، ص١٥٩.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦٤. الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٨١، ج٥، ص٣٦٤.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٣. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٤١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٤. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٤٢٣.

أصبحت تتبع إمارة المدينة المنورة ، وهذا الوضع لا يرضي آل قتادة وأيضاً لا يرضي السلطة السياسية في اليمن فعمل السلطان عمر بن رسول على إعادة الوضع السياسي في مكة في نفس العام. (١)

يبدو أن الدولة الأيوبية قد رأت أن تعيين شيحة بن قاسم أمير المدينة المنورة قائدا لحملتها العسكرية لوحده غير كاف لإحكام السيطرة على الوضع السياسي لمكة والدفاع عنها فأشركت معه اثنين من قادتها في حملة أرسلتها عام ٦٣٨هـ/١٢٤٠م لكي يستطيع الجميع أن يحافظوا على وضعها السياسي التابع للدولة الأيوبية والدفاع عنها (٢) وقد نجحت الحملة في إعادتها إلى السيادة الأيوبية .

استعاد الملك المنصور نورالدين عمر بن علي بن رسول سيادته على مكة بعد حملته التي قادها بنفسه عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م ولكي يبقي على الوضع السياسي التابع له قام باستمالة الشريف أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة ، وهو شخصية من أسرة آل قتادة يبدو أنه كان له دور في تموين قوات الدولة الأيوبية حيث كان مسيطراً على قلعة ينبع فأكرمه وأغدق عليه الأموال ، واشترى منه قلعة ينبع وهدمها حتى لا تكون حصناً للقوات المصرية إذا قدمت مرة أخرى إلى الحجاز، وحتى لا يلتجئ إليها من يفر من جنود الدولة الأيوبية إذا ما قدمت قوات يمنية وأعطاه منطقة وادي مرالغنية بمزارعها (٣)بحيث يكون قاعدة متقدمة تحمى مكة المكرمة من أي غزو يقوم به المصريون ومساعداً للحامية اليمنية إذا ما قدمت قوات أيوبية جديدة ، وبهذا يكون السلطان عمر قد أدخل شخصية قوية من أفراد الأسرة الحاكمة في

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٨١، ج٥، ص٣٦٤.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٤. ناصر البركاتي : بنور رسول ، ص١٥٩.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٨١ ، ج٥، ص٣٦٤. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٤١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٠٢. سليمان المالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية ، ص٨١. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٦٢،٦١.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦٤. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص١٢٣، ج٥، ص٣٦٤. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٤١٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٦٠٤،٦٢٩. العصامي : سمط النجوم العوالي ج٤، ص٢٣٤. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٤٢٣. عبد الكريم الخطيب : تاريخ ينبع ، ص٢٣٥.

الوضع السياسي لمكة مما يدل أن ثقته في الشريف راجح كانت ضعيفة ، ومنح أبي سعد إقطاع وادي مر ، يجعله مسانداً يعتمد عليه في الدفاع عن إمارة مكة .

وقد استمر الوضع السياسي لمكة يتبع الدولة الرسولية حتى وفاة الملك المنصور عمر بن علي بن رسول في عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م(١) فأعلن أبو سعد استقلاله بإمارة مكة ومع أن أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة استطاع فرض شخصيته على الوضع السياسي ، إلا أنه كان يحاول تجنب الصدام المسلح مع القوى السياسية في ذلك الوقت،وخصوصاً السلطتين الرسولية في اليمن والمملوكية في مصر حيث كان يخطب لسلطان مصر ثم يخطب لسلطان اليمن ، واستمر هذا الوضع مع ما حدث في بعض السنوات من مصادمات عسكرية ، مما يدل أن أشراف مكة كانوا حريصين على وصول الإمدادات المالية من كل الجهات (٢)

في عام ٦٥٢هـ/١٢٥٤م حاولت السلطة الرسولية في اليمن تغيير الوضع السياسي لمكة بإعادتها إلى السيادة اليمنية عن طريق القوة العسكرية مستغلة الخلافات بين أفراد الأسرة الحاكمة واستطاعت تحقيق هدفها ولكن كان لحكام مكة دور في إعادة وضعها السياسي لصالحهم بعد صدام دموي مع القوات اليمنية وكان ذلك في نهاية عام ٦٥٢هـ/١٢٥٤م وبداية العام التالي ٦٥٣هـ/١٢٥٥م (٣) .وهذا يدل على تنامي قوة الأشراف وتصميمهم على عدم السماح لأي قوة مشاركتهم في السيطرة المباشرة على الوضع السياسي لمكة .

بعد أن تولى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس مقاليد الأمور في مصر والشام وإحياء الخلافة العباسية أراد أن ينظم وضع مكة المكرمة السياسي بالإشراف المباشر من قبله فقرر السفر إليها بهدف الحج والعمل على كسب العالم الإسلامي بالإشراف المباشر على الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وكان الدافع لهذا أن الشريفين أبانمي بن الحسن بن

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦٤. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٤٣٥. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٦٨. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٤٢٣. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٤.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج١، ص١٢٣. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٤٠٥. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٨٤ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٧٤،٨١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٨. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣١٥..

(٣) الخزرجي : العقود ، ج١، ص١١٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٧٦،٧٧.ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٤٥.الجزيري : الدرر ، ج٣، ص٥٩٨. العصامي :سمط النجوم العوالي ،ج٤، ص٢٣٧. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣١٧. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤٤٠.

علي بن قتادة وعمه الشريف إدريس بن قتادة قد كثرت منازعاتهما السياسية وانعدام الثقة بينهما فكان كل منهما يتربص بالآخر ويحاول التقرب من إحدى الكيانات السياسية في مصرواليمن لكسب الموقف لصالحه،وقد وصلت أخبارهما إلى مسامع الملك الظاهر بيبرس (1) فخرج على رأس قوة صغيرة بها عدد من الأمراء في سرعة فائقة وتنظيم خفي عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م واستطاع الملك الظاهر أداء مناسك الحج ، ومعرفة الأوضاع الداخلية عن قرب وكان من نتيجة حملته هذه أنه قرر تعيين الشريفين أبي نمي وعمه إدريس شريكين في الإمارة ،وكتب لهما منشورين بولايتهما ، وقام بوضع حامية عسكرية ترابط في مكة بقيادة الأمير شمس الدين مروان تراقب الوضع ولكي تعمل على منع التصادم بين الشريفين ، وقام بتأكيد ما اتفق عليه في بداية العام مع الشريف أبي نمي من تبعية شريفي مكة للسلطة السياسية في مصر وذلك برفع المظالم عن كاهل الناس ، وكتابة اسم السلطان على العملة التي تضرب بمكة المكرمة ، وقرر الأموال الطائلة لأميري تحمل لهما في كل عام (2) .

وبهذا يكون السلطان الظاهر بيبرس في حملته هذه قد رسم الحالة السياسية وجعل مكة تابعة للدولة المملوكية في مصر والشام ، مع الإبقاء على منصب الإمارة في يد الأشراف، كما أنه جعل نفقات أميري مكة مرتبطة بالدولة في مصر، يعني تحديد مصير السلطة السياسية في مكة فمواردها من مصر ، وأي خلاف يصدر منها يعني توقف هذه النفقات مما يجعلها دائماً في حاجة ماسة للإبقاء على حسن العلاقة مع السلطة السياسية .

وقد استمر الشريف أبو نمي يحترم القيادة السياسية في مصر و يحرص على عدم إغضابها، وعندما يصدر منه ما يكدر صفو العلاقة وترسل الدولة تأنيباً له يسارع بالرد اللطيف الذي يدل على خشيته من صولتها (3)

---

(١) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص١٣١.ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص٤٤٧. النويري : نهاية الأرب ، ج٣٠، ص١٥٠. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٥٩. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص٨٥.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٩٣.

(٢) بن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٥٤. النويري : نهاية الأرب ، ج٣٠، ص١٦٦. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص٤٤٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج١، ص١٢٥،ج٢، ص١٥١،ج٣،ص١٧٥. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص٨٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٩٣،٩٤، ٩٥.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٥٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٠٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٠٣.

وفي عهد السلطان قلاوون تغيرت سياسية أبي نمي في تعامله مع السلطة السياسية في مصر فوقع منه تصرفات غير حسنة في تعامله مع الحجاج وأهل مكة خلافاً لما اشترطه على نفسه في عهد الظاهر بيبرس وفي بداية عهد السلطان قلاوون ويبدو أن سبب التغير قلة موارد أمير مكة بسبب تعهداته السابقة للسلطة في مصر فأعاد فرض المكوس ، فسير السلطان قلاوون حملة عسكرية في عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م لم يستطع أبو نمي مقاومتها، فتم عقد صلح بين الطرفين على يد الصاحب بدر الدين السنجاري ،حيث تم العفو عن أبي نمي وتم تقليده منصبه في الإمارة من جديد فلبس خلعة الولاية [1] . وبهذا نستطيع القول إن الحملة لم تكن تهدف إلى إزاحة الشريف أبي نمي من الإمارة ، بقدر ما كانت تهدف إلى إعادته إلى طاعة السلطة السياسية في مصر، والالتزام بما تعهد به لها من مطالب تدل على تبعيته المطلقة ، كما نستدل أن السلطة السياسية في مصر لم تعد تسمح بخروج إمارة مكة من تحت سلطتها نظراً لمكانتها العالمية الإسلامية .

كانت السلطة السياسية في مصر تعرف حجم العداء بين أمراء مكة من آل قتادة وأمراء المدينة المنورة من بني الحسين ، فعندما يسوء الوضع مع أمراء مكة تلجأ السلطة السياسية في مصر في الاستعانة بأمير المدينة في قيادة حملة عسكرية لتصحيح الوضع في مكة في إشارة واضحة إلى أمراء مكة بأن بإمكان السلطة السياسية في مصر استبدالهم بأبناء عمومتهم في المدينة ، وقد حدث هذا عام ٦٨٧هـ/١٢٨٨م[2]. وبهذا يكون تصرف السلطان قلاوون هو أول تصرف يهدف إلى تغيير إمارة مكة من أسرة آل قتادة إلى أسرة ثانية ولكن السلطان قلاوون قد اختار الأمير جماز حتى لا يقابل بنفور من أهل الحجاز ،فالأمير جماز هو أمير المدينة المنورة وهو أحد أفراد البيت الهاشمي ، وبهذا التعيين قد يجد قبولاً في الحجاز ، ولكن لم يحالفه الحظ حيث إن الشريف أبا نمي قد أحسن تدبير إنهاء الوضع بعبقريته ودهائه .

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٥٧. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢،ص ٤٠٧. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص١٨٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١١٦. الجزيري : الدرر، ج١، ص٦٠٨. الطبري : الأرج المسكي،ص١٢٠. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص٦٠.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٥٣،ج٣، ص٢٨٤. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٢٠٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١١٩. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص١١٧.الطبري :الأرج المسكي ، ص١٢٠. السنجاري منائح الكرم ، ج٢، ص٣٢٣.

بعد وفاة أبي نمي عام٧٠١هــ/١٣٠١م أخذت الحملات العسكرية المصرية طابع آخر وهو تصحيح الوضع السياسي لأمارة مكة إذا حدث خلاف بين أبناء الأمير المتوفى فتكون الحملات العسكرية لدعم أحد المتنازعين ، وتعيينه رسمياً في المسجد الحرام بقراءة مرسوم صادر من القيادة السياسية في مصر وعزل الآخر بل وسجنه في مصر إذا بدر منه عدم قبول بالوضع الجديد وبهذا نستطيع أن نقول أن الأمير الرسمي لمكة هو من يحصل على مرسوم سلطاني بإمارته ولهذا حرص أفراد الأسرة الحاكمة في مكة على الحصول على الدعم العسكري والسياسي للسلطة السياسية في مصر ، ومن الحملات العسكرية التي قدمت بهذا الخصوص حملة الأمير بيبرس الجاشنكير عام ٧٠١هــ/١٣٠١م التي كانت نتيجتها تعيين عطيفة وأبي الغيث ابني أبي نمي ، وعزل أخويهما حميضة ورميثة وسجنهما في مصر [(١)].
ويعتبر هذا تحولاً كبيراً في الجانب السياسي للإمارة فتعرض حميضة و رميثة للعزل والاعتقال في مصر يعتبر سابقة خطيرة في العلاقات السياسية بين الجانبين يدل هذا على ضعف الإمارة وتحكم السلطة السياسية في مصر فيها بشكل كبير ، فهذه المرة الأولى التي يتم فيها عزل السلطة السياسية لمكة بالقوة من قبل سلطة سياسية خارجية ، واعتقالها ثم نقلها لكي يتم سجنها في مصر تحول آخر يدل على مدى سيطرة الدولة المملوكية على مجريات الأمور في الإمارة ، فبهذا نستطيع القول إن الإمارة أصبحت بعد وفاة أبي نمي في قبضة السلطة السياسية المملوكية ، ويكون هذا بفعل انعدام المنافسة الخارجية للسلطات السياسية الأخرى في العالم الإسلامي آنذاك .
وقد تكرر هذا المشهد في عام ٧٠٤هــ/١٣٠٤م عندما أعادت السلطة السياسية حميضة ورميثة إلى منصب الإمارة تحت حماية حملة عسكرية وقبضت على أخويهما أبي الغيث وعطيفة وسجنتهما في مصر[(٢)].

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٣٣٥،٣٣٤.الفاسي : العقد الثمين ،ج٢، ص١٥٥، ج٣، ص٤٤٥، ج٤، ص١٠٠. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٣٤٩. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص ١٢٩،٥٤. العصامي= =: سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٢. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٢٧. علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ص٣٤.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٤٤٧،ج٤،ص١٠١. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٦. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٣٨٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٥٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣،

كان من نتائج الحملات العسكرية على الوضع السياسي في مكة أن يفكر بعض الثائرين في الاستعانة بقوى خارجية تنافس الدولة المملوكية وقد حدث هذا بعد حملة عام ٧١٥هـ/١٣١٥م التي ألحقت الهزيمة بحميضة بن أبي نمي ، مما جعلته يلتجئ إلى العراق طالباً النصرة من ملك العراق بوسعيد بن خدابندا حيث قوبل بالترحيب [(١)]، وبهذا تكون الحملة العسكرية قد نجحت في إبعاد حميضة عن إمارة مكة ولكنها أجبرته أن يُدخِل في الصراع قوة سياسية خارجية تنافس الدولة المملوكية وتطمع أن يكون لها نفوذ في أرض الحجاز .

استطاع حميضة أن يقنع السلطات السياسية في العراق بمعاونته في استعادة إمارة مكة مقابل التبعية السياسية لها فجهزت له حملة عسكرية ، ولكن الحملة فشلت بسبب وفاة السلطان بوسعيد بن خربندا وتعرضها لهجمات رجال البادية و لم ينج منها إلا بضعة رجال قدموا مع حميضة ، ومع هذا فقد استطاع حميضة بن أبي نمي أن يجمع أعوانه و يستعيد إمارة مكة ويعلن تبعيته لسلطان العراق[(٢)] وبهذا يكون تغير كبير في الوضع السياسي لمكة يصعب قبوله من السلطة السياسية في مصر فكان هذا مؤلماً لسلطان الملك الناصر فقرر إرسال حملة عسكرية تعيد مكة إلى أحضان السيادة المملوكية وتحاول التخلص من حميضة وذلك في عام ٧١٨هـ/١٣١٨م فقدمت الحملة العسكرية وحققت هدفها في إبعاد حميضة عن الإمارة، ومنعت الدعاء لملك العراق على منبر المسجد الحرام وإعادتها إلى السيادة المملوكية [(٣)]

ص١٤٠السنجاري :منائح الكرم ، ج٢، ص٣٢٨. علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ص٣٤.

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤، ص٧٧. الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٠٧. الفاسي :العقد الثمين ، ج٣، ص٤٤٨،٤٤٩، ج٤، ص١٠٢، ج٦، ص٣٠٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٥٣،١٥٥. ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص٥٦،٥٩،٦٠. الجزيري :الدرر ، ج١، ص٦٢١. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٢٩،٣٤٤،٣٣٥.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤، ص٧٧. الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٤٤٨،٤٤٩،ج٤،ص١٠٣. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٥٠٣،٥٠٥. ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص٦١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٥٥،١٥٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٢،٦٢٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٣٥.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٤٤٨،٤٥٠،ج٥،ص٢١٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٥٩.ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص٦٤،٦٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٤. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٥. علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ص٣٤.

لم تكن السلطة السياسية في مصر تقبل بأي تمرد على قراراتها من قبل أمراء مكة ، وفي نفس الوقت كانت تعمل على إقصاء أي أمير لا ينفذ رغبتها في أي أمر ، وقد يصل الوضع أحياناً إلى تدبير قتل أمير مكة إذا لم يستجب لمطالبها مع البقاء على وضع منصب الإمارة في أبناء الأسرة الحاكم ومن ذلك كان من هدف الحملة العسكرية المصاحبة لركب الحاج عام ٧٨٨هـ/١٣٨٦م اغتيال أمير مكة محمد بن أحمد بن عجلان وتولية عنان بن مغامس أميراً على مكة (١) .

وقد كانت السلطة السياسية في مصر تكتفي في الغالب بسجن أي أمير تخشى منه أن يتمرد عليها في مكة ويغير في وضعها السياسي .

المبحث الثالث :

أثر الحملات العسكرية على الوضع الاقتصادي .

كان للحملات العسكرية على مكة أثر واضح على الجانب الاقتصادي سلباً أو إيجاباً يتحكم فيه هدف الحملة والوضع والناتج للصدام العسكري مثال ذلك أن بعض الحملات

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص٣٣،٣٤،ج٥،ص٤١٨.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٤٢٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٥٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٧٢. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٨٣. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١١، ص٢٤٥. ص١٢٢. علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ص٤٣.

العسكرية عندما تقدم يكون من أهدافها تحقيق الاستقرار الاقتصادي للإمارة، وذلك لأن حكام مكة دأبوا على أخذ المكوس من القادمين إليها من جميع الطوائف سواءً كانوا زواراً أو حجاجاً أو تجاراً مهما كانت تجارتهم قليلة أو كثيرة ، وقد أرهقت هذه المكوس كواهل الناس جميعاً وقد كان للحملات العسكرية دور في رفع المكوس التي كان يأخذها الأمراء فترة من الزمن ثم لا تلبث أن يعود الأمراء إلى جمع المكوس من جديد بدوافع كثيرة كان من أبرزها ظهوراً رغبة كل أمير يصل إلى السلطة في جمع أكبر عدد من المال لتغطية نفقات جنده ومعاونيه ، ومن ذلك أن الأمير مكثر بن عيسى بن فليته عندما تولى الحكم قام بفرض مكوس جديدة على الناس بمكة فعندما قدمت حملة الأمير طاشتكين في عام
٥٧١هـ/١١٧٥م كان من شروط تعيين أخيه الأمير داود أميراً أن تعهد برفع جميع المكوس عن كاهل الناس.(١)

ومع ما قام به أمير الحملة العسكرية العراقية من تحقيق للاستقرار الاقتصادي من جراء رفع المكوس عن الناس عامة فقد تضرر اقتصاد مكة أثناء الصراع بين قوات الحملة وقوات الأمير مكثر وقد كان القتال في أيام الحج التي هي الأيام التجارية في الموسم وبهذا تعطل البيع والشراء في المشاعر المقدسة وداخل البلد ، ومما زاد في تردي الوضع الاقتصادي أنه أثناء الاشتباك بين القوات العسكرية حدث النهب والسلب من أصحاب النفوس الدنيئة الذين كانوا يرافقون الحملة في دور مكة وخصوصاً منازل التجار بها والمنازل التي في أطراف البلد حيث تعرضت للنهب والسلب والحرق، مما يدل أن ما فقده التجار والسكان من مؤن وأموال كان وبالاً على الاقتصاد المكي بشكل عام (٢)

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٠، ص٥٣١. الذهبي : تاريخ الإسلام ، مجلد حوادث سنة٥٧١-٥٨٠، ص ٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص١٢٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٣٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٣٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧١. عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص٤٤.

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٠، ص٥٣١. ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص١٣٧. الذهبي : تاريخ الإسلام ، مجلد حوادث سنة٥٧١-٥٨٠، ص ٧. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٩١. الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص١٢٢. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٣٦. ابن فهد : غاية المرام ، الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧١.

وفي عام ٥٨١هـ/١١٨٥م ساءت أحوال مكة الاقتصادية وذلك بتعدي جند الأمير مكثر على الناس من أهلها ومن القادمين عليها ويبدو أن هذا الوضع السيئ قد وصل إلى أسماع القيادة الأيوبية في مصر، فأرسلت إلى واليها على اليمن الملك العزيز طغتكين بتصحيح الأوضاع في مكة ، فزحف بقوات كثيفة وقام بالقضاء على المفسدين بالبلد الحرام ،كما قام بسك عملة جديدة تحمل اسم السلطان صلاح الدين ، مما يدل على رغبة الدولة الأيوبية في استقرار الوضع الاقتصادي ، وأن العملات السابقة قد أصابها النقص والتزوير من جراء التصرفات السيئة من جند الأمير مكثر الذين كانوا يعاملون الناس معاملة سيئة(١).

وقد كانت بعض الحملات العسكرية وبالاً على الاقتصاد المكي وذلك نتيجة تردي الوضع من جراء الصدام العسكري ، ونتيجة للوضع الميداني وذلك أن موسم الحج كان موسم التجارة بمكة فالحجاج كانوا يحملون السيولة المالية بالإضافة لبعض السلع التي يتاجرون بها في الحج والتجار يستغلون الموسم في البيع والشراء على وفود بيت الله الكريم في شتى أنواع السلع التجارية ، فإذا حدث به صدام عسكري واختلال أمني يضطرب الجانب الاقتصادي فتحدث الكوارث على الحجاج والتجار ويفقد الكثير من الناس أموالهم وأمتعتهم فتتعطل التجارة ، وينتشر النهب والسلب ومن ذلك مثلاً ما حدث في عام ٦٠٨هـ/١٢١١م عندما قدمت الحملة السرية العراقية التي كان قصدها القضاء على الشريف قتادة باغتياله في مشعر منى كان تصرف رجال الحملة وبالاً على الناس فقد أخطأوا في تنفيذ عملية الاغتيال ، فقام رجال قتادة بمهاجمة حجاج العراق فوقع القتل والسلب في المشاعر المقدسة و انتشر اللصوص يستغلون الفرصة في نهب الحجاج من كل طرف حتى أن الجمال كانت تؤخذ بأحمالها ، وأصبحت المشاعر المقدسة مثل الغابة يأكل القوي فيها الضعيف وأصاب الحجاج كارثة كبيرة ،حيث إن الذين سلموا من القتل فقدوا أموالهم بكاملها ، وكان موقف قتادة سيئاً أيضاً فعندما طُلب منه أن يكف رجاله عن قتل الناس ونهبهم طلب مبلغ (١٠٠) ألف

---

(١) أبو شامة : الروضتين ، ج٣، ص٢٧١.الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص٢٩٥. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٥٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٤. الزهراني ، غباشي : تاريخ مكة المكرمة التجاري ، ص٩٤.عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص٥٥.

دينار فجمع له من الحجاج ما يعادل (٣٠) ألف دينار[1]،وبهذا نستطيع القول إن قتادة كان على درجة كبيرة من الطمع والجشع حتى أنه لم يرحم ضعف الحجاج الذين لا حول لهم ولا قوة وليس لهم دخل في تصرفات القيادات السياسية في ذلك الوقت ، كما أن اقتصاد مكة تضرر من هذه الحملة حيث إن كل ما كان يحمله التجار من تجارة قد ذهب نهباً وسلباً وأصبح في أيدي اللصوص ، أما التجارة التي كانت في أيدي تجار مكة فلم يعد لها من يشتريها من الحجاج الذين فقدوا كل ما معهم من أموال جراء النهب والسلب والقتل ، وبهذا نستطيع القول إن تصرف قتادة وتصرف الخلافة العباسية بهذه الحملة السرية كانت وبالاً على اقتصاد مكة .

في عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م كان أثر الحملة العسكرية التي قدمت من اليمن بقيادة الملك المسعود كبيراً على الناحية الاقتصادية ، فقد قدم الملك المسعود بنية مساعدة راجح بن قتادة وبعد انتصاره قام الجند بنهب مكة ، وقتلوا عدداً كبيراً من أهلها وقد شمل النهب عدداً كبيراً من المنازل بمعنى أن أهلها قد طُرِدوا أو قتلوا ، كما شمل النهب والسلب المزارع التي تقع بالقرب من مكة ، وأخذوا من كثرة النهب والسلب ملابس الناس من على أجسادهم ، بمعنى أن القوات اليمنية كانت كثيرة العدد فشمل نهبها القرى والمزارع ، ويعني هذا أن مكة تعرضت في هذه الحملة إلى نكسة اقتصادية كبيرة ، وعندما شعر الملك المسعود بفداحة الكارثة التي حلت على السكان، أمر برد جميع ما أخذه الجند من الأموال والمزارع بعد أن نادى بالأمان[2]، وهذا بالطبع لم يتم تنفيذه بشكل كامل ،حيث إنه من غير المعقول أن يرد الجند ما أخذوه من الذهب والفضة أما ماكان واضحاً مثل الدور التي اتخذها الجند سكناً لهم والمزارع فيمكن رده بعد أن عاثوا به ونهبوه ودمروا غرسه .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص٣٠٥. اليافعي : مرآة الجنان ، ج٤، ص١٥. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٦٢.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٩٤.المقريزي : السلوك ،ج١، ص٢٩٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٩. ابن فهد :غاية المرام ،ج١، ص٥٦٠. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٨١.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣،ص٤٠٣،ج٦، ص٢٥٥. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤١. المقريزي: السلوك ، ج١، ص٣٣٣. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٢. العصامي : سمط النجوم العوالي = =،ج٤، ص٢٣٠.جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٥٣. ناصر البركاتي : بنو رسول ، ص١٤٦ .

ومع ما قام به الملك المسعود من أعمال شنيعة في من قتل ونهب في بلد الله الحرام، إلا أن الأمور قد استقرت بعد انتهاء القتال في فترة حكمه بمعونة أميرها الأمير عمر بن علي بن رسول فقد استقر الأمن فنشط الجانب الاقتصادي فجلبت إليها الأقوات وراجت حركة البيع والشراء [1]. وذلك بحكم أن البلاد أصبحت من اليمن إلى مكة تحت سلطة واحدة ، ولقوة الملك المسعود وجرأته على سفك الدماء قلّ التعدي على الأموال والممتلكات من قِبل المستغلين لفترات الفوضى السياسية والأمنية حيث كان القتل مصير كل من يتعدى على أحد بنهب ماله أو قتله ،وبهذا ازدهر الجانب الاقتصادي بشكل جيد .

كان من أثر الحملات العسكرية على الوضع الاقتصاد أن بعض الحملات العسكرية كانت تقوم بمحاصرة مكة،حتى يتسنى لها الدخول وتحقيق هدفها الذي قدمت من أجله،ولهذا عانت مكة من الحصار الاقتصادي حيث تتوقف القوافل التجارية القادمة إليها سواءً من داخل الحجاز أو من خارجه ، و تنقص المؤن وتقل الأقوات وترتفع أسعار السلع التجارية في الأسواق بشكل كبير ، ويصبح التجار في حالة من الخوف والفزع من اقتحام القوات الغازية للبلد ونهب أموالهم ومتاجرهم وهذا ما حدث في الحصار الذي فرضته الحملة العسكرية في عام ٦٠١هـ/١٢٠٤م عندما قدم الأمير سالم بن قاسم الحسيني بعد أن هزم الأمير قتادة وحاصره في مكة ، حتى اضطر الأمير قتادة إلى اللجوء إلى الحيلة في استمالة كبار قادة الأمير سالم لكي يفك الحصار الذي ضربه الأمير سالم ، ولكي يأمن على نفسه وعلى أموال السكان من تجار وغيرهم ، وقد نجح في ذلك فما أن شعر الأمير سالم بتغير مواقف كبار أنصاره حتى رفع الحصار وعاد أدراجه إلى المدينة النبوية [2].

وفي حملة الأمير قاسم بن جماز الحسيني على مكة عام٦١٣هـ/١٢١٦م أراد الأمير قاسم أن ينهك قوة الشريف قتادة ، وقد عرف أن قوة قتادة تكمن في قطع المورد الاقتصادي

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٩٨. الفاسي : العقد الثمين ،ج٦، ص٢٥٥. ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص٥٩٠. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٥٤. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص٤٤.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص٢٦٩. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٤١. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٤٦٤.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٥١.

للإمارة، لذا قام الأمير قاسم بمهاجمة المناطق الزراعية القريبة من مكة كما قام بمهاجمة مدينة جدة وكانت هذه الهجمة هي الأولى على مدينة جدة في العصرين الأيوبي والمملوكي ، وقد فزع قتادة لهذا التصرف وخرج إلى ملاقاة الأمير قاسم واستمات في القتال حتى تحقق له النصر(1) واستطاع بانتصاره هذا أن يرفع عن مكة حصاراً اقتصادياً كاد أن يضر بأمارتها ضرراً بليغاً .

عندما قدمت الحملة العراقية في عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م مع راجح بن قتادة قامت بحصار مكة ، بعد أن أغلق حسن بن قتادة أبواب مكة وعندما قدمت الحملة إلى أبواب مكة خرج حسن بن قتادة بأتباعه وقاتل أمير الحملة وجنده واستطاع التغلب عليه ، ودارت بعد ذلك حركة البيع والشراء بعد أن منع حسن بن قتادة التعرض للحجاج بأي أذى وسمح له بدخل مكة (2) . وبهذا نستطيع القول إن حصار الحملة لمكة وخصوصاً في موسم الحج قد أضر بالاقتصاد حيث إن جميع التجارة القادمة إلى مكة توقفت عن القدوم ، كما أن تواجد القوات التي جمعها حسن بن قتادة في مكة بحاجة إلى تموين فيكون هذا وبالاً على السكان والاقتصاد لذا خرج حسن بن قتادة للقتال و لم يفضل الدفاع من خلف الأسوار لأن طول فترة الحصار لن تزيده إلا ضعفاً .

في عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م تعرضت مكة لحصار عسكري أثر على اقتصادها بشكل كبير، وذلك أن أمير المدينة المنورة قاسم بن جماز الحسيني قدم بحملة عسكرية بهدف فرض سيطرته عليها ،ولكن نائب الملك المسعود الأمير عمر بن علي بن رسول استطاع أن يتحصن بها مما

---

(1) الفاسي : العقد الثمين ،ج٥، ص٤٦٦. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٣٠٥. ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص٥٥٧.ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٣. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٤٠. مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص٤١. عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص٦١.

(2) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص٣٤٥. اليافعي :مرآة الجنان ، ج٤، ص٣٦.ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٩٢. الفاسي : العقد ، ج٣، ص٤٠٢. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٩٧. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٣٢٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٨.ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٧٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٨٦.

جعل الأمير قاسم بن جماز يفرض حصاراً عسكرياً عليها استمر شهراً كاملاً [1] وبهذا نستطيع القول إن مكة قد عانت من هذا الحصار اقتصادياً حيث إنه يصعب على كل الواردات من المؤن، وغيرها الدخول إليها أثناء فترة الحصار ،ومع أن مكة وادي غير ذي زرع فإن السكان قد عانوا من قلة المؤن ونفاذ الأقوات، مما جعل الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول يقرر الخروج إلى قتال الأمير قاسم لإنهاء الحصار الذي ضربه عليه وقد نجح في ذلك حتى تم قتل الأمير قاسم بن جماز[2] ، وتم رفع الحصار نهائياً.

في عام ٦٢٩هـ/١٢٣١م قدمت حملة الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول ملك اليمن بقصد إزاحة النفوذ الأيوبي عن مكة وضمها إلى أملاكه في اليمن ، وقد كان لهذه الحملة أثر ايجابي على اقتصاد مكة حيث كانت تحمل مبلغاً كبيراً من المال كما إن قادة الملك المنصور وعدوا أهل مكة بالخير الجزيل إذا ما انضموا إليهم وتركوا مساعدة القوة الأيوبية ، وقد استطاعت الحملة أن تدخل مكة [3]، دون أن يصيب الجانب الاقتصادي أي ضرر بل تحسن بما كانت تحمله الحملة اليمنية من مال وفير من الطبيعي أن يعود نفعه ويعم خيره على اقتصاد البلد .

لم يدم الوضع الاقتصادي المزدهر لمكة وذلك لقدوم حملة عسكرية مصرية في شهر رمضان سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م، وقام أميرها بالتنكيل بأهل مكة ، حيث قتل عدداً كبيراً منهم وسمح لجنده بالنهب والسلب مدة ثلاثة أيام ، [4] وبهذا الفعل نستدل أن الجانب الاقتصادي قد أصيب بنكسة كبيرة عندما يقوم رجال الحملة بقتل عدد كبير من السكان لموقفهم

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٩. الطبري : الأرج المسكي ، ص١١٨. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ٥٦.

(٢) المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٣٤١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٣٩. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١١٨. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٥٦.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٩. الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٢٩٥، ج٥، ص٣٦٢.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤١. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٣٦٦. ابن فهد :غاية المرام ،ج١، ص٦٢٠،٦١٣،٦٠١. الجزيري :الدرر ، ج١، ص٥٩١. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٢.

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٩. الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٢٩٥. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤١. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٣٦٦. ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص٦٢٠،٦١٩،٦١٣،٦٠١. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٢٠.

السابق من الترحيب بالحملة اليمنية ، فالتعدي بالقتل يؤدي إلى ركود اقتصادي حيث لا يأمن الناس على أرواحهم فتتعطل الأسواق وتركد حركة البيع والشراء ويصبح الجند في حرية تامة حيث يقتلون ويستولون على ما يريدون من أموال ومتاع .

استمرت القوتان الرسولية في اليمن والأيوبية في مصر في محاولاتهما فرض سيطرتها على مكة المكرمة ولكن في نفس الوقت، أخذتا الحذر في تجنيب السكان ويلات الصراع العسكري فمنذ عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م إلى عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م شهدت مكة حملات عسكرية متتابعة لكلا الطرفين فكانت تأخذ مبدأ استمالة السكان (١) وبهذا نستدل أن الوضع الاقتصادي لمكة خلال هذه الفترة لم يتأثر بالحملات العسكرية بل كان في وضع حسن حيث حرص كلا الطرفين على كسب ود الأهالي بالهبات والعطايا والمعاملة الحسنة وكانت كل حملة تدخل البلد الحرام تحمل الكثير من المال الذي من البديهي أن يصرف في التعاملات التجارية بين السكان والقادمين عليها ، وبهذا يكون الجانب الاقتصادي قد انتعش جراء هذه الأموال التي كانت تصرف لنفقات الجند .

في شهر رجب عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م كان لحملة الملك المنصور نورالدين عمر بن علي بن رسول على مكة المكرمة أثر كبير في ازدهار اقتصادها ، فقد قام الملك المنصور بكسب ولاء السكان حيث وزّع عليهم من الصدقات أموالاً طائلة عمت جميع السكان والمجاورين ، (٢)مما كان سبباً في ازدهار الجانب الاقتصادي (٣)

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٥٤. الفاسي : العقد الثمين ،ج٤، ص٨٠. ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص٦١٩،٦٢١.الجزيري : الدرر، ج١، ص٥٩١،٥٩٢. العصامي : سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٣٢. ص١١٨. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص٢٧١. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ٦٠. ناصر البركاتي : بنور رسول ، ص١٥٥.

(٢) كان السلطان عمر بن علي بن رسول يعمل على كسب ولاء سكان مكة بشكل مستمر فقد كان يرسل إلى مكة المكرمة بصدقات وفيرة توزع كل عام على المجاورين بها وعلى أهل مكة المكرمة وبطبيعة الحال انعكس= =هذا على اقتصاد مكة فقد راجت حركة البيع والشراء لتوفر السيولة لدى السكان والمجاورين وقد كان ابنه الملك المظفر يرسل بتجارة وفيرة من الحبوب لكي تباع في أسواق مكة وقد كان هذا الفعل ينعش اقتصاد مكة بشكل كبير . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٣.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦١. الفاسي : العقد ، ج٥، ص٣٦٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٣. ابن فهد: غاية المرام ،ج١، ص٦٠١. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٤٢٣. العصامي :سمط

كانت الحملة العسكرية التي أرسلها الملك الصالح نجم الدين أيوب على مكة في عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م لإخراج القوة اليمنية ، وبالاً على اقتصاد مكة حيث إن قائدها الأمير شيحة تصرف بشكل سيئ حيث قام أفراد جيشه بنهبها مع أنه دخلها سلماً وذلك لخروج القوات اليمنية دون مقاومة (١)، ويبدو أن الدافع لهذا التصرف قلة تجربة الملك الصالح في التعامل مع أهل مكة ، لأن هذه الحملة هي الأولى في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب ، كما أن تولية القيادة لأمير المدينة المنورة تجعل فرصة انضمام عدد من أبناء القبائل القريبة من إمارته كبيرة ،لذا يبدو أنه قد استعان بعدد منهم فكان بنهبه للبلد يقصد أن يكافئ هؤلاء الأتباع ، وبهذا نستطيع القول أن مكة أصيب اقتصادها بنكسة كبيرة جراء النهب الذي تعرضت له فلو أن كل فارس من فرسان الحملة الذين قدموا من مصر فقط والمقدر عددهم بـ(١٠٠٠) فارس نهب بيتاً واحداً أو متجراً واحداً فيكون قد نُهب (١٠٠٠)بيت وهذا كفيل بضرب الجانب الاقتصادي بالشلل.

في عام ٦٣٨هـ/١٢٤٠م أرسل الملك الصالح نجم الدين أيوب حملة عسكرية جديدة لاستعادة إمارة مكة ، ولكنه في هذه الحملة غير من سياسته العسكرية مما يدل أن الملك الصالح لم يرض عن تصرف الأمير شيحة مع أهل مكة في حملته السابقة حيث اختل الجانب الاقتصادي للبلد الحرام وذلك عندما سمح لجند الحملة بنهب البلد ، فدخلت الحملة العسكرية المصرية مكة (٢)

النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٣. سليمان مالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية ، ص٧٩.

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٨١، ج٥، ص٣٦٤.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٣.المقريزي : السلوك، ج١، ص٤١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢،ص ٣٠١. فريال قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص٢٥٣. ناصر البركاتي : بنور رسول ، ص١٥٩.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦٥.الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٨١ ، ج٥، ص٣٦٤ . المقريزي : السلوك ، ج١، ص٤١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٠٢. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٦١،٦٢. ص٧٦. ناصر البركاتي : بنور رسول ، ص١٥٩.

وبهذا نستطيع القول أن دخول حملة إلى مكة بدون قتال وتعدٍ على ممتلكات الناس، يؤدي لا محالة إلى انتعاش في الناحية الاقتصادية للبلد حيث إن حركة البيع والشراء تجد لها من يحركها فسوف ترتفع السوق التجارية للبلد بسبب عدد جنود الحملة المزودين بالأموال

في عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م ازدهر الاقتصاد المكي ازدهاراً كبيراً وذلك بسبب قدوم السلطان نور الدين عمر بن علي بحملته العسكرية ، وقام بعدة أعمال أدت إلى ازدهار الاقتصاد المكي، فقد أمر برفع جميع المكوس والجبايات والمظالم عن كاهل الناس وكتب أمره هذا على حجر مربع ووضع في أحد جدران المسجد الحرام قبالة الحجر الأسود [1] بهدف أن يعلم به جميع الناس بمكة ومن يفد إليها من بلاد العالم الإسلامي وبهذا يكون الملك المنصور قد رفع عن الاقتصاد المكي ما أثقله من مكوس وجبايات ، وسهل بهذا الإجراء انتعاش الاقتصاد بالإضافة إلى ما كان يحمله من أموال وما فرقه على الناس بمكة وما صرفه جنده من سيولة مالية في المتاجر والأسواق ، وقد استمر هذا الوضع المزدهر طيلة حكم الملك المنصور عمر بن علي بن رسول لمكة حتى وفاته في عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م[2]

لم تستمر الأحوال الاقتصادية المزدهرة فقد اضطربت ، بعد ذلك التاريخ نتيجة للتنافس بين زعماء الأشراف على الإمارة، منذ أن تولى الإمارة أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة ، فكان زعماء الأشراف يحشدون القوات العسكرية ضد بعضهم البعض، وكان لهذا أثره بطبيعة الحال على الجانب الاقتصادي[3] .

وفي عام ٦٥٢هـ/١٢٥٤م قدمت حملة من اليمن استطاعت دخول البلد الحرام وإزاحة نفوذ الأشراف ، ومع أن القوات اليمنية لم تتعد على أموال وممتلكات الناس ، نستطيع القول إن الجانب الاقتصادي أخذ في الازدهار ولكن لم تطل به المدة حيث عاد الأشراف في

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص١٢٣، ج٥، ص٣٦٤. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٧. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٦٠٤،٦٢٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٤. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٤ .عبد الكريم الخطيب : تاريخ ينبع ، ص٢٣٥.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦٤. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٤٣٥. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٦٨.. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٤٢٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣١١.

(٣) يدل على تردي الوضع الاقتصادي الغلاء الذي انتشر في البلد فقد بلغ سعر شربة الماء في عام٦٥١هـ = =درهم واحد ، وكان الغلاء عاماً في جميع السلع التجارية . الزهراني ، ضيف الله : أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة ، ص ٥٢، ٦٧.

نهاية العام وبداية العام التالي ٦٥٣هـ/١٢٥٥م واستطاعوا انتزاع مكة من أيدي القوات اليمنية [1]، وبهذا نستطيع القول إن الجانب الاقتصادي قد تدهور بسبب القتال المتواصل بين القوات الغازية والمدافعة ، وكان الناس في هذه الحملة لم يستطيعوا أداء الصلاة في المسجد الحرام خوف القتل فكيف يكون الحال بالبيع والشراء فمن الطبيعي أن يتعطل هذا الجانب ويتعرض لهزة كبيرة .

بعد أن استقرت الأوضاع العسكرية والسياسية في مصر للسلطان الظاهر بيبرس قرر الزحف بحملة عسكرية إلى مكة المكرمة يجمع فيها بين أداء فريضة الحج والعمل على تقرير الأوضاع بها، فعندما قدم بحملته كان لها مردود إيجابي على الجانب الاقتصادي ، حيث إن شريفي مكة المكرمة أبانمي وإدريس قد تخوفا من قدوم السلطان الظاهر بيبرس واستجابا لكل المطالب التي طلبها منهما ، ومن ذلك أن السلطان طلب من الشريف أبي نمي وعمه الشريف إدريس أن يرفعا المكوس والضرائب التي أرهقت كاهل الناس فاستجابا لطلبه، وفي نفس الوقت قام السلطان بتخصيص مبالغ مالية مكافأة للشريفين لكي لا يعودا إلى فرض الضرائب على أهل مكة والقادمين عليها ، وقد الشريف أبو نمي على نفسه بعدم التعرض للحجاج بأخذ شيء منهم بعد ذلك ، كما قام السلطان بتوزيع الصدقات الوفيرة التي عمت جميع السكان ، وأعطى أميري مكة أموالاً كثيرة قيل إنها (٢٠) ألف درهم نقرة[2]وخصص لهما كميات وفيرة من الحبوب تحمل إلى مكة كل عام من مصر [3]،وبهذا تكون حملة السلطان الظاهر بيبرس قد أنعشت الاقتصاد المكي انتعاشاً كبيراً ، فرفع المكوس والضرائب يجعل التجار وعامة الناس يتدفقون على مكة بعد أن كانت قد أرهقتهم في الأعوام السابقة .

---

(١) الخزرجي : العقود ، ج١، ص١١٥.الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٤٩، ج٣، ص١٧٦. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٤٨٦،٤٨٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٧٦،٧٧.ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٤٥.الجزيري : الدرر ، ج٣، ص٥٩٨. العصامي :سمط النجوم العوالي ،ج٤، ص٢٣٧.

(٢) الدراهم النقرة هي الدراهم الكاملية وتنسب إلى الملك الكامل الأيوبي (٦١٥-٦٣٦هـ) وهي من فضة نقرة خالصة ، وتتكون من ثلثي فضة وثلث نحاس .الزهراني : أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة ، ص١٠٤. الزهراني ، غباشي : تاريخ مكة المكرمة التجاري ، ص٩٩.

(٣) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٥٤. النويري : نهاية الأرب ، ج٣٠، ص١٦٦. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٢٥٤. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص٤٤٧. الفاسي : العقد الثمين ، ج١، ص١٢٥،ج٢، ص١٥١،ج٣،ص١٧٥. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص٨٥.

كما أن دخول أميري مكة تحت السيادة المملوكية يسر قدوم أموال الأوقاف المخصصة للمسجد الحرام من مصر والشام ،حيث سلمت إلى نواب الشريفين أبي نمي وإدريس [1] وقدوم هذه الأموال من الطبيعي أن تنعش الجانب الاقتصادي ، وتروج التجارة وترخص الأسعار فيعم الخير البلد الأمين .

في عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م أرسل السلطان قلاوون حملة عسكرية وقد كان لهذه الحملة أثر على الناحية الاقتصادية فمن أسباب قدومها هو تعدي الشريف أبو نمي على الجانب الاقتصادي بعودته إلى فرض الضرائب والمكوس ، وقد انتهت الحملة بعقد صلح بين الطرفين تعهد فيه الشريف أبو نمي بترك ما استحدثه من مكوس وجبايات [2][3].وبهذا نستطيع القول إن السلطة السياسية في مصر كانت لا تتهاون في مسألة الإضرار بالقادمين على مكة وأهلها مما يؤدي إلى تدهور اقتصادها ، فقد كانت في هذا العام الذي حدثت في الحملة شديدة الغلاء بخلاف العام السابق [4] مما يدل على نفرة التجار بالبضائع خوف الوقوع في المكوس الجائرة ،وكذلك الحجاج الذين قدموا بأموال للتزود بها في مدة إقامتهم فيصيب الاقتصاد الركود إذا امتنع الحجاج عن القدوم إلى الأماكن المقدسة.

يبدو أن أبا نمي لم يف بما تم الاتفاق عليه مع قائد الحملة العسكرية في عام٦٨٣هـ/١٢٨٤م ،مما اضطر السلطان قلاوون أن يرسل حملة عسكرية في عام ٦٨٧هـ/١٢٨٨م لإقرار أوضاع مكة ومنها الوضع الاقتصادي حيث تم سك عملة جديدة ولكن لم يلبث أن عاد الشريف أبو نمي ، ويجبر الحملة على المغادرة قبل نهاية العام الذي

---

(١) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٥١.الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٥١، ج٣، ص١٨٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٩٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٣.

(٢) كان الشريف أبو نمي قد أعاد أخذ المكوس من الحجاج فكان يأخذ من حجاج مصر ٥٠درهماً على كل جمل ، وعلى حجاج اليمن ٣٠درهماً . المقريزي : السلوك ، ج٢، ص١٨٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١١٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٠٨.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٥٧. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢،ص ٤٠٧. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص١٨٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١١٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٢٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٠٨. الطبري : الأرج المسكي ، ص١٢٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٢٢.

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١١٦. الزهراني : أسعار المواد الغذائية في مكة المكرمة ، ص٦٧.

قدمت فيه [1]. وبهذا نستطيع القول إن اقتصاد مكة أصيب بنكسة في هذا العام فلم يستقر حيث إن العام بكامله شهد صراعاً عسكرياً فمن غير المحتمل أن يجازف التجار بتجاراتهم وأصحاب المحلات التجارية بمزاولة البيع والشراء في هذا الجو المليء بالتوترات العسكرية .

في عام ٧٠١هـ/١٣٠١م كانت حملة الأمير بيبرس الجاشنكير وبالاً على الاقتصاد بمكة المكرمة وذلك أن الشريف عطيفة وأخاه أبا الغيث اللذان تم تنصيبهما أميرين لم يكونا على درجة كافية من المقدرة على كبح جماح المفسدين من العبيد فقد كانوا يتعدون على أموال الناس بالنهب وقد تضرر منهم حتى المجاورون من أهل الخير والصلاح [2] . وهذا يدلنا أن هؤلاء العبيد لم تصل أيديهم بالإساءة إلى المجاورين حتى عم ضررهم التجار وأصحاب الثراء مما كان له تأثير مباشر على الجانب الاقتصادي ، وقد بلغ الوضع المتردي للجانب الاقتصادي إلى مسامع السلطة السياسية في مصر فقدم في عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م. الأمير سلار مع عدد من الأمراء بصدقات كبيرة تم توزيعها حيث لم يبق أحد بمكة من الرجال والنساء إلا عمه النفع [3] وبهذا نستطيع القول إن ضعف السلطة السياسية في مكة أدى إلى تدهور الجانب الاقتصادي[4] .

عندما سمعت السلطة السياسية بتدهور الأوضاع في مكة ومنها الوضع الاقتصادي أمرت بالإفراج عن حميضة وأخيه رميثة في خطوة أولى لكي يتم إعادتهما إلى الإمارة وفعلاً تم إعادتهما و تحسن الوضع الاقتصادي بعودتهما لبضع سنين ولكن عادت الأمور إلى الأسوأ وذلك لتصرفات الشريفين التي دلت على أن الأشراف كانت لهم نفقات باهظة على أتباعهم أرهقت كاهلهم وجعلتهم لا يستطيعون الوفاء بما يتعهدون به للسلطة السياسية في مصر،

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٥٣،ج٣، ص٢٨٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١١٩. ابن فهد :غاية المرام ،ج٢، ص١١٧.الطبري : الأرج المسكي ، ص١٢٠.المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٢٠٨.

(٢) المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٣٦٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٣٧، ١٣٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦١٦. علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ص٣٤. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص٦٨.

(٣) المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٣٧١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ١٣٨. عائشة العبدلي : إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية ،ص٢٣٥.

(٤) بلغ من تردي الأوضاع الاقتصادية أن بيع ويبة الشعير بأربعين درهماً ، والدقيق الويبة بستين درهماً في عام ٧٠٤هـ . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٤١.

مماكان له الضرر الأكبر على الجانب الاقتصادي وذلك بفرض المكوس والجبايات على أهل مكة والقادمين إليها(١) .

ازداد الوضع الاقتصادي لمكة سوءاً بسبب تصرف حميضة ورميثة وذلك بتعديهم على أموال التجار ، وكثرة الضرائب والمكوس (٢) التي فرضوها على الناس ، وكذلك تعدي أتباعهما بالنهب والسلب فضج الناس من تصرفاتهما ووصلت أخبارهما إلى السلطة في مصر فأرسلت الحملات العسكرية بهدف القبض على حميضة ورميثة ، ولكنهما لم يكونا يواجهان الحملات العسكرية، حيث يخرجون إلى خارج البلد وكان الفترة التي تبقى بها الحملة تتحسن الأوضاع الاقتصادية ولكن ما إن تخرج الحملة حتى يعود الشريفان إليها من جديد بأتباعهما فيختل الجانب الاقتصادي بسبب تعسفهما في جمع المال(٣) ،فمن المعقول أن التجار سوف يقل نشاطهم التجاري بسبب هذه الأزمات المتتالية عليهم ، وبهذا نستطيع القول إن الجانب الاقتصادي كان يتأرجح بين الاستقرار والتردي بسبب الخلافات بين أمراء مكة من أبناء الشريف أبي نمي والسلطة السياسية في مصر.

في عام ٧١٥هـ/١٣١٥م وجهت السلطة السياسية حملة عسكرية بقصد القبض على الشريف حميضة فما أن علم حميضة بمسير هذه القوات حتى قام بأخذ جميع المال من خزينة الإمارة ، وأخذ جميع البر من خزائن الإمارة في وادي الجديد ويقدر بـ(١٠٠)حمل وأحرق الباقي ، وقام بقطع (٢٠٠٠)نخلة وخرج من مكة (٤). وبهذا تكون الحملة العسكرية المصرية

---

(١) الفاسي : العقد ، ج٣، ص٤٤٧،ج٤،ص١٠١. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٣٨٣.ابن فهد : غاية المرام ، ج٢،ص ٥٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٤٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٢. علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ص٣٤.

(٢) كان من أثر ذلك إزدياد الغلاء حيث بلغت الغرارة الحنطة ١٥٠٠درهم ، والذرة أكثر من ٧٠٠درهم . ابن فهد :إتحاف الورى ،ج٣، ص١٤٥. الزهراني : أسعار المواد الغذائية في مكة المكرمة ، ص٢٥.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٠٧. الفاسي : العقد ، ج٣، ص٤٤٧،٤٤٦،ج٤،ص١٠٢. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٤٨٨، ٤٩٧.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٤٦، ١٥٠،١٤٨.ابن فهد : غاية المرام، ج٢، ص٥٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٠،٦١٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٢٩.

(٤) الفاسي : العقد، ج٣، ص٤٤٨. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٦٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٥٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢١.السنجاري : منائح الكرم، ج٢، ص٣٣٤. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٣.

قد أجبرت الشريف حميضة على هذا التصرف الذي قضى على نسبة كبيرة من الاقتصاد المكي حيث إن فقد مخزون الإمارة من البر والمال يعني الالتجاء إلى التجار بمكة وأخذ ما يحتاجه الأمير الجديد وأعوانه منهم مما يؤثر على النشاط التجاري في الحبوب التي هي عماد القوت في البلد ، وفقد إنتاج (٢٠٠٠)نخلة من التمور في العام الواحد يعني مجاعة كبيرة لسكان مكة المكرمة وضواحيها .

أرسلت السلطة السياسية في مصر حملة عسكرية بهدف تصحيح الأوضاع في مكة المكرمة ، فوصلت الحملة في ربيع الأول عام ٧١٨هـ/١٣١٨م وقامت بمنع كل ما يخل بالأوضاع جميعاً حيث أخرجت المفسدين الذين يأخذون أموال الناس وينهبون أمتعتهم ، ومنعت حمل السلاح حتى لا يعتدي القوي على الضعيف ، ونادت بالعدل [1] بمعنى لا يأخذ أحد مال أحد أو يعتدي عليه وبهذا بدأت تعود روح الحياة للجانب الاقتصادي من جديد حيث ما أن يسمع التجار والمشتغلون بالبيع والشراء حتى يعودوا إلى أعمالهم فتسير الحركة الاقتصادية بحرية وأمان .

في عام ٧٥١هـ/١٣٥٠م قدمت حملة عسكرية يمنية بقيادة الملك المجاهد الرسولي ملك اليمن تهدف إلى تغيير ولاء مكة المكرمة السياسي ، ولم ينتفع اقتصاد مكة المكرمة من هذه الحملة اليمنية ، فقد تعود أهل مكة المكرمة عند قدوم ملوك اليمن ومنهم الملك المجاهد على نفقات كبيرة تفرق على غالبية السكان وتحمل الحملة من الزاد والمؤن ما يجعل الاقتصاد المكي في حالة من الثراء واليسر ، ولكن في هذه الحملة لم يعط الملك المجاهد هذا الجانب شيئاً من الاهتمام ، وكان غالبية المصاحبين له من الجند المقاتلين [2]. وبهذا نستطيع القول إن هذه الحملة مع كثرة عدد أفرادها لم يستفد الاقتصاد المكي منها بشيء حيث إن الحرب

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٤٥٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٥٩. المقريزي : السلوك ، ج٣، ص١٣. العاصمي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٥. رتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي ، ص ٧٤.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢، ص٨٣. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤، ص ٢٣٧. الفاسي شفاء الغرام ، ج ٢، ص ٤١٨. المقريزي : السلوك ، ج٤، ص ١٣٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٤٥. عائشة مانع العبدلي : إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ١٤١٩هـ ، ص ٢٣١.

نشبت بين الأطراف المتقاتلة، وفقد جند اليمن ما كانوا يحملونه من أموال ربما كانوا سوف يشترون بها أثناء عزمهم على السفر من مكة بعد الحج ولكن كان القتال سبباً في عدم رواج حركة البيع والشراء .

وقد كان لهذه الحملة أثر سلبي آخر على الاقتصاد المكي تمثل في منع التجارة من القدوم إلى ميناء جدة من اليمن ، وذلك أن الملك المجاهد الرسولي بعد أن أطلق سراحه من مصر وعاد إلى بلاده أمر بمنع التجار من السفر بالتجارة إلى مكة (1) وبهذا نستطيع القول إن مكة قد أصابها الركود الاقتصادي بسبب تعطل التجارة اليمنية من الوصول إلى أسواقها وقد قام الشريف عجلان بمواجهة هذا الركود الاقتصادي في سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٣م باسترداد ما وهبه من قبل لزعماء الأشراف والقواد من أموال و إقطاعات ، و بفرض ضريبة على مزارع النخيل بوادي مر، تراوحت ما بين درهمين إلى أربعة دراهم على كل نخلة (2). ويبدو أن هذا التباين في الضريبة بين النخيل على حسب تقدير إنتاج كل نخلة أو على حسب ما يراه الخراصون ، وقد ساعد هذا على تخفيف الضائقة المالية التي تعرضت لها الإمارة من نقص عوائدها من التجارة القادمة من اليمن .

في عام ٧٦٠هـ/١٣٥٨م قدمت حملة عسكرية مصرية بهدف وضع حد للخلافات السياسية التي أثرت على مجريات الأوضاع العامة لمكة وقد كان لهذه الحملة أثر كبير على الاقتصاد المكي حيث إن الحملة قدمت في نهاية شهر جمادى الثاني وبداية شهر رجب وكان من توجيهات الحكومة المصرية للحملة البقاء في مكة حتى تأتي حملة بديلة وتسلم لها المهمة، فكان لهذا الإجراء أثره الكبير على الجانب الاقتصادي وذلك أن هذه الحملة ما أن غيرت الوضع السياسي حتى أخذت في تحسين الوضع الاقتصادي فقامت بإسقاط المكوس التي كان عجلان وأخوه ثقبة قد فرضاها على الناس ، وخصوصاً مكس المأكولات (3) فجلبت

---

(1) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٢٥٨. الفاسي شفاء الغرام ، ج ٢، ص ٤١٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٥٧. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٥٣. الطبري : الأرج المسكي ، ص ١٢٢.

(2) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص١٩٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٦٢. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص١٤٥.

(3) كانت مداً مكياً وربع مد مكي على كل حمل يصل من جهة الطائف ونخلة ، ومداً جدياً على كل حمل يصل من جدة ، وثمانية دنانير مسعودية على كل حمل تمر (لبان) وثلاثة دنانير مسعودية على كل حمل تمر محشي ، وستة

الأقوات إلى الأسواق التي كانت في حالة بائسة من الركود التجاري ، وأدى هذا إلى رخص الأسعار وأصبحت السلع في متناول عامة الناس (١)، وقد كان الناس قد أحجموا عن جلب الأقوات إلى مكة بسبب المكوس التي فرضت ولهذا كان الغلاء على أشده حيث إن الباعة يطلبون في سلعهم المبالغ العالية لكي يسددوا ما أخذه نواب الشريفين من مكوس هذا بالإضافة إلى طلبهم للربح ، فكان إلغاء المكس سبباً في الازدهار الاقتصادي.

في عام ٨٢٧هـ/١٤٢٣م قدمت حملة عسكرية من مصر كان لها دور كبير على الجانب الاقتصادي لمكة ، وذلك أن حسن بن عجلان منذ عام ٨٢٤هـ/١٤٢٠م قد تصرف في بعض الأمور الاقتصادية في مكة بما يغضب السلطة السياسية في مصر ،منها: في عام ٨٢٤هـ/١٤٢٠م أخذ من أموال التجار ،وفرض مكوساً جديدة على الناس فيما يجلب مما يأكله الناس فأرسلت السلطة السياسية في مصر تطلب منه رد ما أخذه من أموال التجار عليهم ،كما أمرت السلطة السياسية في مصر بالكتابة على اسطوانات المسجد الحرام من ناحية باب السلام مرسومها بإسقاط المكوس التي فرضها حسن بن عجلان (٢) ويدل هذا أن حسن بن عجلان كان في ضائقة مالية بسبب ما كان ينفقه على كسب الأعوان لدفع خطر التمرد الذي كان يتزعمه ابن أخيه رميثة بن محمد بن عجلان .

وفي عام ٨٢٥هـ/١٤٢١م قدم إلى مدينة جدة سفينة تجارية قادمة من الهند يقودها بحار يسمى الناخوذة إبراهيم بتجارة كبيرة فقام حسن بن عجلان بأخذ ما مع هذا البحار من بضائع التجار وباعها على تجار الحجاز (٣)، وكان هذا عملاً غير مقبول لدى السلطة

دنانير مسعودية على كل شاة ، وسدس قيمة ما يباع بمكة من السمن والعسل والخضر . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٠٤.

(١) الفاسي : الشفاء ، ج٢، ص٤١٩. الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص٢٦٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣،ص٢٧٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٥٧. الكردي : التاريخ القويم ، ج٢، ص٢٢١. الزهراني : أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة ، ص ٧٦.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٣٨٦.الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢، ص٣٥٧. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٣، ص٥٧٨. ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص٣٢٦،٣٢٤. السنجاري : منائح الكرم ،ج٢، ص٤٢٩. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ،ج١، ص٢٠٠.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٣٨٩. المقريزي : السلوك ،ج٧، ص١١٠. العيني : عقد الجمان ، ص٢٠٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٩٢،٥٨٥. ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٣٤١.

السياسية في مصر التي يهمها رواج التجارة في الموانئ التابعة لها وتصرف حسن بن عجلان هذا يمنع السفن التجارية من القدوم مستقبلاً إلى الموانئ المملوكية ، وهذا يعني ركود اقتصادي على مستوى الدولة بكاملها ، وهذا ما تم فعلاً حيث قدم هذا البحار في العام التالي بتجارة أخرى ونزل بها في ميناء مدينة سواكن [1] بدل أن يرسو بها في ميناء جدة [2] جميع ما سبق كان حافزاً للسلطة السياسية في مصر للنظر في تغيير أمير مكة حسن بن عجلان فأرسلت حملة عسكرية كبيرة ، وقررت أن تبقى الحملة بمكة بعد انتهاء مهمتها السياسية لحماية التجارة في الحجاز، فقدمت الحملة ودخلت مكة في يوم الخميس سادس جمادى الأولى سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م [3] ثم قام قائدا الحملة يعيدان ترتيب الوضع الاقتصادي حيث خرجا بقواتهم إلى مدينة جدة في الثامن من جمادى الأولى من نفس العام لمقابلة التجارة القادمة من الهند وإقناع البحارة الهنود بالرسو في ميناء جدة لأنهم كانوا عازمين على الرسو في ميناء ينبع ، وقد استطاعا إقناع البحارة بالرسو في ميناء جدة وأظهرا لهم من التسامح والود ما جعلهم يغادرون من جدة وهم مسرورون وعازمون على العودة إلى جدة بتجارة أخرى وفعلاً قدم أكثر من (٤٠) سفينة تجارية من الهند في عام ٨٢٩هـ/١٤٢٥م [4] .كما قامت الدولة بتعيين موظف من قبلها، مهمته أخذ مخصصات الدولة من العشور على التجارة القادمة إلى ميناء جدة [5]، وبهذا تكون الحملة العسكرية قد

---

(١) سواكن : من أشهر مدن السودان اليوم ،وهي ميناء هام منذ القدم وتقع على ساحل البحر الأحمرجنوب مدينة بور سودان . ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٣، ص٧٦. البكري : المسالك والممالك ، ص٣٢٧. المنجد في الأعلام واللغة ، ج٢، ص٣٧٠.

(٢) المقريزي : السلوك ،ج٧، ص١١٠. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٩٧. الجزيري : الدرر ، ج١،ص٧٠٦.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٣٩٠. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢، ص٣٥٧. المقريزي : السلوك ، ج٧، ص٨٧. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٥، ص٤٦٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٦٠٤. العصامي :سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٧٤. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص٢٠٤.

(٤) المقريزي : السلوك ، ج٧، ص١٢٨،١١٠.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٦٠٤. ابن فهد :غاية المرام ،ج٢، ص٣٤٣. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٧٠٩.. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٤٣٢.

(٥) المقريزي : السلوك ، ج٧، ص١١٠، ١٢٨. ابن تغري بردي :النجوم الزاهرة ،ج١٤، ص٢٦٠. ابن فهد ،إتحاف الورى ، ج٣، ص٦٢٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٤٣٣.

أعادت الحياة الاقتصادية إلى سابق عهدها وبدأ عهد جديد من الازدهار الاقتصادي والتدخل المباشر من الدولة في اقتصاد مكة عندما قررت بقاء جند الحملة في مكة حتى يتم تقرير وضعها السياسي ،الذي يؤثر في الجانب الاقتصادي للبلاد ، وهذا يدل على مدى فهم الدولة المملوكية لأهمية التجارة في قوة الدول .

إن ما أحدثته الدولة من تنظيمات على الجانب الاقتصادي لمكة مؤثر على مستوى الدخل للأشراف وخصوصاً آل عجلان أخوة الأمير بركات فقد نقص ما كان يأخذونه من مخصصات مالية مما كان سبباً في تمردهم وتهديد بركات بن حسن بن عجلان وتهديد الأمير شاهين العثماني الجمالي المسؤول عن جمع أموال الدولة من واردات التجارة بمدينة جدة ، بالقتل حيث إنهم طلبوا أن يأخذوا من موارد مكة الاقتصادية ما كان مخصصاً لهم في عهد حسن بن عجلان ، وبهذا نستطيع أن نقول إن الأشراف أصبحوا بهذا الوقف يشكلون خطراً كبيراً على اقتصاد مكة خاصة والدولة المملوكية عامة ، فعندما علمت السلطة السياسية بموقف الأشراف وتهديدهم للجانب الاقتصادي أرسلت حملة عسكرية في عام ٨٣١هـ/١٤٢٧م قامت بحماية الجانب الاقتصادي وحفظ الأموال المخصصة للدولة وأرسلت بها إلى مصر[1] وبهذا تكون الحملة قد نجحت في حفظ موارد الدولة وأبعدت عنها الأشراف الذين كانوا يهددون خروج التجارة والقوافل إلى مصر وبما تحصل للدولة من أموال وبهذا أخذت الدولة ترسل كل عام حامية لحفظ أموالها من التعدي عليها .

أثر وجود هذه الحامية المصرية على الجانب الاقتصادي ففي عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م استغل عدد من الباعة المصريين وجود الحامية المصرية فقاموا بالاستيطان في البلد الحرام وأخذوا يمارسون البيع والشراء وتلقي البضائع قبل دخولها الأسواق ، وجلسوا بالحوانيت في المسعى واحتكروا البضائع واغلوا الأسعار تحت حماية الجند المماليك مقابل مبالغ مالية يدفعونها لهم مما أدى إلى اضطراب الوضع الاقتصادي بشكل كبير وصل خبره إلى السلطة السياسية في

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص١٥. ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص٤٠١. المقريزي : السلوك ، ج٧، ص١٧٨. العيني : عقد الجمان ، ص٣٣٦. علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ص٥٢.

مصر فأمرت بمنع الباعة المصريين من البيع والشراء وإخراجهم من مكة [1] ، مما يدل أن السلطة السياسية في مصر كانت تسعى جاهدة إلى استقرار الوضع الاقتصادي للبلد الحرام .

في عام ٨٤٥هـ/١٤٤١م أرسلت السلطة السياسية في مصر حملة عسكرية إلى مكة كان هدفها الرئيس تنحية بركات بن حسن بن عجلان عن الإمارة ، وقد نجحت الحملة في هدفها السياسي ولكن تطور الأمر عندما قرر بركات مهاجمة الجانب الاقتصادي للضغط على السلطة السياسية لإعادته في منصب الإمارة فهاجم بأتباعه مدينة جدة في يوم الأحد الثامن عشر من شهر صفر عام ٨٤٦هـ/١٤٤٢م ، فعندما سمع مباشرو الديوان التابعون للسلطان المملوكي جمعوا أموال الدولة وتحصنوا بها في السفن في البحر ، عند هذا قام بركات بجمع التجار والبحارة القادمين إلى مدينة جدة وطلب منهم مالاً يقدر بـ(١٠٠)ألف دينار وتطلب به التجار والبحار على أن يأخذ منهم نصف العشر وهو ما يقارب (٤٠) ألف دينار فلم يرض بركات بهذا العرض ؛ وبهذا التصرف يكون الشريف بركات قد وجه ضربة قوية للدولة المملوكية بتهديده الاقتصاد العام لها في الحجاز ، ولولا تحصن المباشرين بالمال في السفن داخل البحر لكان وجه ضربة قوية للدولة في مواردها من ميناء جدة ، عند هذا قام رجال الحملة المصرية المقيمين بمكة لإنقاذ اقتصاد البلاد من التهديد المفاجئ له ، واستطاعوا بعد معركة كبيرة مع جند الشريف بركات أن يوقعوا به هزيمة ساحقة جعلته يقلع عن تهديد مدينة جدة [2]. وبهذا تكون الحملة العسكرية التي أرسلتها الدولة قد أنقذت اقتصاد مكة والدولة المملوكية من تهديد خطير.

في عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م قدمت حملة الأمير قيت الرجبي ، وقد كان من أهداف هذه الحملة إعادة الأمور إلى نصابها وخصوصاً الناحية الاقتصادية للحجاز حيث إن الاضطراب الذي سببه الصراع بين أبناء محمد بن بركات جعل هذا الجانب ينهار بشكل كبير فقد كان التجار أكثر طوائف المجتمع خسارة في أموالهم ، حيث إنهم كانوا يتعرضون بعد كل انتصار

---

(١) المقريزي : السلوك ، ج٧، ص٤٤٩. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص ١٤٥. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص٣٥.

(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،ج١٥، ص٣٥٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص١٧٨. ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص٤٩٥،٤٢٢. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٨١.السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص٣٨.

لأحد الطرفين لعملية ابتزاز يقوم بها المنتصر لكي يغطي تكاليف أتباعه ويشبع جشعهم بفرض مبالغ مالية على التجار، مما أدى إلى كساد التجارة ونقص موارد مكة بشكل كبير[1]وقد استطاع الأمير قيت الرجبي أن ينجح في الجانب السياسي لمكة لمكرمة عندما استطاع أن يقبض على الشريف بركات ويولي أخاه جازان الإمارة على أن يدفع مبلغ من المال يقدر بـــ(٦٠) ألف دينار ، و بهذا التصرف ازداد خوف الناس من رجال الحملة ، فقد قام عدد منهم بنهب مترل بركات ، ونهب بعض المنازل الأخرى ويبدو أنها منازل لبعض حاشية بركات وبعض التجار ، كما قاموا بالتضييق على بركات ، وأُخِذ منه عدد من الإبل ومصاغ[2] يساوي (٢٠)ألف دينار كما أُخِذ من بعض أتباع بركات مال وإبل تساوي (١٠)آلاف دينار ، غير الخيل التي أخذها الجند المماليك والتي كان معظمها لأتباع بركات وأخوته ، ولهذا تخوف الناس من القدوم إلى مكة بتجارتهم وقل التبادل التجاري في الأسواق مما أدى إلى غلاء كبير في أسعار المواد الغذائية ، وخصوصاً من القمح [3] الذي يعتمد عليه الناس في معيشتهم [4] وذلك لتخوف الناس من تصرفات جند الحملة المصرية ، وأيضاً التخوف من قدوم جند جازان الذين قد سبق التعامل معهم وكان لهم مواقف سيئة جداً من النهب والسلب والقتل في السكان سواء أكانوا تجاراً أم من العامة .

وبهذا نستطيع القول إن حملة الأمير قيت الرجبي كانت حملة تهدف إلى تحقيق الأهداف السياسية فقط بأقل الخسائر الممكنة والعمل على جمع أكبر قدر من المال و لم تهتم بأمر النواحي الاقتصادية لمكة ، وقد كان لتصرف الأمير قيت الرجبي من القبض على بركات وإخوته عامل على دفعه للخروج السريع من مكة تاركاً جميع الجوانب التي تحتاج إلى تنظيم ومتابعة مثل النواحي الاقتصادية والأمنية ، ما عدا ما أخذه من جازان مقابل ما أخذه جنده عندما اقتحموا مكة في المرة السابقة في قتاله لأخيه الشريف بركات من قيمة تجارة الفلفل

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١١٧٠، ١٢٠٢، ١٢٣٠،١٢٠٦. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص٤٧.

(٢) المصاغ : مصدر صاغ يصوغ ، وهو ما سك من الحلي والأواني . ابن منظور : لسان العرب ، ج٧، ص ٤٤٢. المنجد في الأعلام واللغة ، ج١، ص٤٤٠.

(٣) بلغ سعر الغرارة من القمح والذرة (١٠٠)محلق ، وهذه حالة غلاء كبير . الزهراني : أسعار المواد الغذائية ، ص٣٥،٢٩.

(٤) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٨٠ ابن فهد : غاية المرام ،ج٣، ص ١٤٧.

التي تقدر بـــ(١٠)آلاف دينار[1] وهذا يدل على أن الأمير قيت الرجبي كان حريصاً على أن يحافظ على كسبه السياسي في أسر الشريف بركات وأخوته ، وكان خائفاً أن يتم الهجوم عليه من أتباع الشريف وتخليصه من بين يديه ، إذا أقام في مكة فترة طويلة لذا قرر الخروج بشكل سريع دون النظر للنواحي الأخرى .

ثار خلاف بين أبناء الشريف محمد حميضة وأخيه أحمد الجازاني وانتهى بمقتل أحمد في شهر رجب من عام ٩٠٩هـــ/١٥٠٣م على يد بعض جند المماليك بتدبير من أخيه حميضة [2] ، وبهذا عاد الاضطراب الأمني إلى مكة ، كما أن عودة الشريف بركات من مصر إلى الحجاز في شهر شوال عام ٩٠٩هـــ/١٥٠٣م ساهمت في ازدياد الإضراب الأمني الذي أثر على الجانب الاقتصادي [3] حيث أخذ كل من الأخوين يجمع الأتباع لمواجهة خصمه مما جعل الأمور في مكة غير مستقرة ،فقبيلتا بني إبراهيم وزبيد اللتين كانتا مواليتين لحميضة كانتا تشكلان خطراً كبيراً في مكة وضواحيها ،وتهددان باستمرار مدينة جدة ،كما أن المفسدين كثر ضررهم على أهل السكان بالسلب النهب ، ومن ذلك تعقب التجار وخطفهم والتنكيل بهم حتى يدفعوا مبالغ طائلة من المال ، وكان دخول حميضة إلى مكة في شهر رجب عام ٩١٠هـــ/١٥٠٤م من أصعب الأوقات على أهلها حيث إن رجاله قاموا بالنهب والسلب والقتل بعد أن تعهدوا بعدم التعرض لأحد من العامة والتجار بسوء [4]، وقد حاولت السلطة السياسية في مصر أن تعيد الاستقرار للمحافظة على الاقتصاد المنهار للحجاز عامة، فقامت باستمالة الشريف بركات بن محمد وأرسلت له تفويضاً بالإمارة وله أن يختار من يراه من قِبله إذا لم يكن يرغب في إمارتها ، فتم تعيين أخيه قايتباي بن محمد أميراً تحت

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٨٠. ابن فهد : غاية المرام ،ج٣، ص ١٤٧.

(٢) المصدر السابق ،ج٢، ص١٣٠١. المصدر السابق ،ج٣، ص٨ ، ١٦٥. ابن إياس : بدائع الزهور ،ج٤، ص٦٢. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٧. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٨٢. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٦٣٠. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص٣٢٢.

(٣) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص٨ ،١٦٥. ابن إياس : بدائع الزهور ،ج٤، ص٦٢. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص٣٢٠.

(٤) ابن فهد : بلوغ القرى ،ج٢، ص١٣١٤، ١٣٣٢، ١٣٣٨، ١٣٨٣،١٣٧٠،١٤٦١،١٣٤١، ١٤٨٩، ١٤٩٨، ١٥٠٣. ابن فهد :غاية المرام ،ج٣، ص٨ ، ١٦٥. ابن إياس : بدائع الزهور ،ج٤، ص٦٢، ٨٩. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٨.

إشراف أخيه بركات ، فلم يقبل أخوه حميضة بهذا العرض وأخذ هو وأتباعه من قبيلة بني إبراهيم يغيرون على مكة وجدة ، ويقومون بأعمال النهب والسلب و لم يكن قايتباي وأخوه بركات يستطيعان مواجهته لكثرة أتباعه وعدم استقراره في مكان واحد ، لذا رأت السلطة السياسية في مصر أن تدعم موقف بركات بن محمد وأخيه قايتباي بحملة عسكرية تزيح عنهما شبح الخطر الذي يشكله حميضة وأتباعه ، وتحافظ على موارد الحجاز الاقتصادية [(١)].لذا أمر السطان قانصوه بخروج الحملة العسكرية من مصر في شهر رجب سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م ونجحت الحملة أن تنزل بحميضة وأتباعه هزيمة ساحقة [(٢)]،مما اضطره للفرار[(٣)]، وبهذا تكون الحملة قد نجحت في تحقيق أهدافها ، وقضت على شوكة القبائل المتمردة على السلطة والتي كانت تشكل خطراً كبيراً على اقتصاد مكة ، كما أعطت الشريف بركات بن محمد قوة في تعقب الخارجين على السلطة من المفسدين واللصوص ، الذين كانوا في هجوم مستمر على مكة وضواحيها ، ويشكلون خطراً على طرق التجارة المصاحبة للحجاج لما يقومون به من تصدي للحجاج بالقتل والنهب . وبهذا نستطيع القول إن الجانب الاقتصادي عاد إلى وضعه الطبيعي في الازدهار لتلاشي الخطر عنه بفضل الله ثم بجهود الحملة المصرية ومساعدة الشريف بركات بن محمد وأخيه قايتباي بن محمد .

---

(١) ابن فهد :بلوغ القرى ،ج٢، ص١٣٢٦، ١٣٤٣، ١٣٤٧، ١٣٧٠. ابن فهد :غاية المرام ،ج٣، ص٨ ، ١٦٥. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٩.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص١٥٤٢ــ١٥٥٠. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص ١٨٧ــ٢٠٢. ابن إياس :بدائع الزهور ، ج٤، ص٩٩. الجزيري : الدرر ، ج٢،ص٧٩٠. عبد الكريم الخطيب ، تاريخ ينبع ،ص٢٤٠.

(٣) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٣، ص ١٥٥٦، ١٥٦٨،١٥٦٢. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص ١٠٩. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص ٧٩١.

المبحث الرابع :

أثر الحملات العسكرية على الوضع الأمني .

كان الوضع الأمني لإمارة مكة في العصرين الأيوبي والمملوكي يتذبذب بين الاستقرار والهدوء والفوضى والاضطراب فعندما تكون الأوضاع السياسية مستقرة يتحسن الوضع الأمني لمكة والمشاعر المقدسة ، وعندما يضطرب ذلك الوضع يختل معه الجانب الأمني ،وظهر ذلك واضحاً بما يصيب الحجاج من كوارث تعيقهم عن أداء النسك ويسقط عدد كبير منهم بين قتيل ومنهوب من عسكر الطرفين المتنازعين ومن اللصوص والمفسدين وقطاع الطرق الذين يستغلون الوضع المضطرب لتحقيق أطماعهم الدنيئة .

وقد كان للحملات العسكرية التي تقدم إلى مكة بهدف تهدئة الوضع السياسي دور على الناحية الأمنية للإمارة ، وأحياناً يكون توطيد الأمن هو الهدف الرئيس للحملة ، وفي بعض الأوقات يكون دور الحملات العسكرية سلباً على الناحية الأمنية ، ويكون كذلك في الغالب أثناء الصراع العسكري مع المقاومين ، ولكن في الغالب ما يتحسن الوضع بعد الاستقرار السياسي فيصبح الدور ايجابياً بشكل ملحوظ ، ومن ذلك نذكر مايلي:

في عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م كان الوضع الأمني لمكة مضطرباً بسبب الخلاف بين الأخوين مكثر وداود ابني الأمير عيسى بن فليته ، وكان نتيجة هذا الوضع أن تعرض حجاج العراق للنهب والقتل في نهاية موسم الحج [(١)] ، وكان هذا سبباً رئيساً في قدوم حملة عسكرية في العام التالي ٥٧١هـ/١١٧٥م بقيادة طاشتكين أمير الحاج العراقي كانت تهدف إلى تغيير الوضع السياسي وذلك بتغيير بيت الإمارة في مكة وتنصيب أمير من غيرها، وعندما قدمت الحملة العسكرية استعد الأمير مكثر لها بكل ما يستطيع وجمع عدداً كبيراً من الأتباع ،وبعد أن اشتبك الطرفان في القتال اختل الجانب الأمني بشكل كبير حيث أصبح القتل والسلب هدفاً لكل رجال الطرفين ،ومن شارك معهم من اللصوص الذين استغلوا انفلات الأمن ، فأغلب الحجاج لم يكملوا مناسكهم خوفاً من القتل ، و لم يحج من أهل مكة إلا العدد القليل خوفاً على أنفسهم ومنازلهم من النهب ، وأصبحت منازل السكان وخصوصاً منازل التجار والمنازل الواقعة في أطراف البلد غنيمة لكل طامع ، وقد وصل الأمر ببعض جنود الحملة أنهم كانوا يرمون المنازل بالنفط فتشتعل المنازل دون تفريق بين من فيها، هل هم من المحاربين أم من عامة الناس الضعفاء.[(٢)]

ومع ما قامت به الحملة من انجاز عسكري تمثل في انتصار قواتها على القوات الحجازية لكنها لم توفق في تحقيق ما أرادت الخلافة العباسية من تغيير الأسرة الحاكمة ولكنها أثمرت في تعيين الأمير داود بن عيسى الأمير السابق لمكة وعزل أخيه مكثر ، وقد تعهد الأمير داود لقائد الحملة العراقية بأمن الحجاج وإسقاط المكوس والتخلي عن بناء التحصينات العسكرية وخدمة ضيوف الرحمن بما يليق بهم[(٣)].

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٩١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص ٥٣٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص ٢٥٦.

(٢) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ج٢، ص١٢٣. الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص١٢٢. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣، ص٥٣٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٥٧١. فريال قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص ١٨٠. جميل حرب محمود حسين : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ط١، تهامة للطباعة والنشر ، جدة ، ١٤٠٥هـ ، ص ٣٠.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص١٢٢. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص ٣٣٩. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣، ص٥٣٦. ابن فهد : غاية المرام ، ١، ص ٣٥. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٦٩. عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص ٤٤.

وفي عام ٥٨١هـ/١١٨٥م ساءت أحوال مكة الأمنية حيث يظهر أن الأمير مكثر بن عيسى كان يغض الطرف عن تصرفات جنده الذين كان غالبهم من العبيد، سود البشرة، فقد كانوا يسيئون معاملة أهل مكة والحجاج القادمين إليها ، فقدم الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب والي اليمن للسلطان صلاح الدين بقوات عسكرية، ويبدو أن قدومه هذا بطلب من أخيه السلطان صلاح الدين ،وقام بتأديب هؤلاء المفسدين من عسكر الأمير حيث قتل عدد كبير منهم ، وشرط على من سلم من القتل عدم إيذاء أحد من السكان سواء من أهلها أو من القادمين إليها [١]

وقد كانت الحملات العسكرية تؤثر على الناحية الأمنية في مكة فما أن تقدم حملة عسكرية إلى الأماكن المقدسة حتى يستغل قدومها عدد من اللصوص وقطاع الطرق الذين هدفهم استغلال الفرصة لكي يحققوا أطماعهم فعندما يشتبك الطرفان في القتال يكون هم هؤلاء السلب والنهب ،والقتل لكل من يقاومهم من أهل مكة ، وقد كان مجرد الحصار على مكة من أي حملة عسكرية يجعل أهلها جميعاً في قلق مستمر على مصيرهم فعندما تدخل القوات المدينة تحل الكارثة على أهلها فيصبح الناس بين قتيل ومنهوب من قبل المفسدين واللصوص حتى تضع الحرب أوزارها ، وقد تعرضت مكة للعديد من الحصار العسكري من قبل الحملات العسكرية الخارجية منها : في عام ٦٠١هـ/١٢٠٤م عندما هاجم مكة الأمير سالم بن قاسم الحسيني بعد هزيمة الشريف قتادة له في نفس العام وضرب الأمير سالم حصاراً على مكة جعل أهلها في خوف مستمر فقد وقع بينهم الاضطراب، ولم يأمن الناس على أنفسهم وأموالهم من توقع اقتحام المدينة لولا لطف الله سبحانه وتعالى ثم جنوح قتادة لرفع الحصار عن مكة عن طريق الحيلة حيث عمل على استمالة كبار قادة الأمير سالم مما جعله يشك في نوايا كبار مساعديه ويرفع حصاره ويعود راجعاً إلى المدينة النبوية[٢] .

---

(١) أبو شامة : الروضتين ، ج٣، ص٢٧١.الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص٢٩٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٥٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٤. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٢١. الزهراني ، غباشي : تاريخ مكة المكرمة التجاري ، ص٩٤.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص٢٦٩. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٤١. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص٤٦٤.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٥٥١. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٩.

في عام ٦٠٨هـ/١٢١١م عندما قدمت الحملة السرية العراقية التي كان قصدها القضاء على قتادة باغتياله في مشعر منى كان تصرف رجال الحملة وبالاً عليهم وعلى أمن مكة والمشاعر المقدسة فبعد أن فشلت الحملة في تحقيق هدفها، قام رجال قتادة بمهاجمة حجاج العراق فاختل الجانب الأمني فوقع القتل والسلب في المشاعر المقدسة و انتشر اللصوص يستغلون الفرصة في نهب الحجاج من كل طرف وأصبحت المشاعر المقدسة مسرحاً للفوضى الأمنية وأصاب الحجاج كارثة كبيرة حيث إن الذين سلموا من القتل منهم فقدوا أموالهم بكاملها ،وكانوا في رعب مستمر خوف القتل[1]

وبهذا نستطيع القول إن قتادة قد أخذ منه الغضب كل مأخذ حيث إنه لم يعد يهتم بأمن الحجاج وغيرهم من أهل مكة وإنما يحاول التنكيل بالحجاج العراقيين مع أن رجاله قد قتلوا القاتل فلم يرحم ضعف الحجاج الذين لا حول لهم ولا قوة وليس لهم دخل في الصراعات السياسية ، واعتبر جميع ركب الحاج العراقي مذنبين فحل التنكيل بهم .

ففي عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م اضطرب الجانب الأمني لمكة بسبب قدوم حملة أمير الحاج العراقي أقباش الناصري، وقصده عزل حسن بن قتادة عن إمارة مكة وتولية أخيه راجح ، وذلك أنه ما إن سمع حسن بن قتادة بقدوم الحملة بصحبة أخيه راجح حتى جمع أكبر عدد من أتباعه وقام بإغلاق أبواب مكة ومنع الحجاج العراقيين من دخولها [2]. وهذا يدل على مدى الخوف الذي أصاب حسن بن قتادة من الحملة وبهذا نستدل أن المجتمع المكي أصابه الخوف أيضاً عندما أغلقت أبواب مكة وانتشر خبر قدوم الحملة وأصبح يتوقع في كل وقت اقتحام القوات الغازية لأسوار المدينة وتعرضهم للقتل والنهب ، ولكن فرج الله عن الناس عندما قرر حسن بن قتادة الخروج لملاقاة عدوه خارج أسوار البلد وقد نصره الله عليه وتم قتل أمير الحملة وبمقتله هرب راجح بن قتادةوأمن الناس على أنفسهم وأموالهم، بعد أن قرر

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص٣٠٥. اليافعي : مرآة الجنان ، ج٤، ص١٥.ابن كثير : البداية والنهاية ،ج١٣، ص٦٢. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٩٤. المقريزي :السلوك ،ج١، ص٢٩٤.ابن فهد : إتحاف الورى، ج٣، ص٩. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٢٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٧٢.

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص٣٤٥. اليافعي :مرآة الجنان ، ج٤، ص٣٦. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٩٢. الفاسي : العقد ، ج٣، ص٤٠٢. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٩٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٨٦.

حسن بن قتادة عدم التعرض للحجاج العراقيين بأذى [1] مما جعل فرص المتربصين بأمن مكة معدومة .

في عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م كان أثر الحملة العسكرية التي قدمت من اليمن بقيادة الملك المسعود كبيراً على الناحية الأمنية ، فقد كانت في بدايتها وبالاً على أهل مكة حيث قام جند الملك المسعود بعد هزيمة جند حسن بن قتادة وفراره بسفك دماء الناس بمكة حتى كان القتل في داخل المسجد الحرام ونهبهم جميع ما يملكون حتى أنهم أخذوا الملابس من على بعض عامة الناس[2]، مما يدل أن قوات الحملة لم تفرق بين المحاربين من صفوف حسن بن قتادة وغيره من عامة الناس وأن الكثير من جند الحملة كان همه ما يجمعه من مال ومتاع ، و قد استغل الكثير من اللصوص الذين كان همهم السلب والنهب فترة الانفلات الأمني .

بعد أن استقرت الأمور للملك المسعود الأيوبي في مكة ساد الأمن وأصبح الناس في طمأنينة وراحة و لم يعد يهددهم شيء، فأصبحت الطرق آمنة يسافر فيها الناس بأمن وراحة بال وذلك أن الملك المسعود الأيوبي كان على درجة كبيرة من النجدة وشدة البأس فلم يجرؤ أحد في فترة حكمه لمكة أن يخل بالجانب الأمني أو يتعمد إثارة الفوضى والاضطراب [3]، كما أنه استناب على مكة الأمير عمر بن علي بن رسول وكان قيادياً وأميراً محنكاً استطاع أن يوفر لمكة بعد رعاية الله الأمن والطمأنينة بتعقب المفسدين والقضاء عليهم .

في عام ٦٢٩هـ/١٢٣١م قدمت حملة الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول ملك اليمن بقصد إزاحة النفوذ الأيوبي عن مكة وضمها إلى أملاكه في اليمن ، وقد كان لتصرف قادة الملك المنصور أثر ايجابي على الناحية الأمنية حيث إن هذه الحملة لم تصطدم مع القوات المصرية المتواجد في مكة حيث استخدم قائداها الحيلة في استمالة زعماء أهل

---

(١) اليافعي :مرآة الجنان ، ج٤، ص٣٦. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٩٢. الفاسي : العقد ، ج٣، ص٤٠٢. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٩٧. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٣٢٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٨٦.

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص٣٥٠. ابن كثير :البدايةوالنهاية ، ج١٣، ص٩٩. الفاسي : العقد الثمين= =ج٣، ص٤٠٣،ج٦، ص٢٥٥. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٨٨. ناصر البركاتي : بنو رسول ، ص١٤٦.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٩٨. الفاسي : العقد الثمين ،ج٦، ص٢٥٥. ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص٥٩٠. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٥٤.

مكة وذكروهم بالتصرفات الحسنة للملك المنصور عندما كان أميراً عليهم في عهد الملك المسعود، فمال الناس إلى تأييد الحملة اليمنية مما اضطر الحامية المصرية إلى مغادرة مكة دون قتال(١)وسهل بهذا دخول القوات اليمنية التي لم تتعرض لأحد بسوء ، وهذا يدل على حنكة الملك المنصور عمر بن علي بن رسول الذي كان يرغب في تأييد السكان له لذا تصرف قادته مع السكان بكل لطف ولين وكسبوا دخولها بدون قتال .

لم يدم الاستقرار الأمني طويلاً وذلك لأن السلطان الملك الكامل الأيوبي ما أن علم بخروج قواته حتى أمر بتجهيز حملة عسكرية لاستعادة السلطة الأيوبية على مكة ، وقد كانت هذه الحملة شديدة الوطأة على السكان بالبلد الحرام فبعد أن دخلت المدينة في شهر رمضان سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م ، قام قائدها بالتنكيل بالسكان انتقاماً منهم لموقفهم السابق في الميل لصالح القوات اليمنية فقتل عدداً كبيراً منهم وسمح لجنده بالنهب والسلب مدة ثلاثة أيام (٢) ،وبهذا نستطيع القول إن مكة أصبحت في حالة بائسة من الانفلات الأمني ،فالقوات الغازية كثيفة العدد وسمح لها بالقتل دون تورع فحلت الكارثة بالسكان حيث قُتل منهم خلق كثير جداً وهم بذلك الاختلال الأمني فقدوا أنفسهم وأموالهم.

شهدت مكة منذ عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م إلى عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م قدوم عدد من الحملات العسكرية لكلا الطرفين المتنازعين على السيادة على مكة مما جعل أهل مكة يعيشون في حالة من الرعب المستمر ،وذلك أنه من الطبيعي أن يخاف الناس من قدوم أي حملة عسكرية ولو أن الحملة لم يكن لها نتائج سيئة على السكان، فمجرد العلم بوصول حملة عسكرية تهدف إلى إخراج قوات عسكرية أخرى كان كفيلاً بإحداث الرعب في قلوب السكان لتخوفهم من تصرف بعض الجند ، وقد جنب الله سبحانه وتعالى سكان مكة

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٩ الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٢٩٥، ج٥، ص٣٦٢. ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص٦٢٠،٦١٣،٦٠١. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤٢٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٢٩٧،٢٩٤. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٥٨. ناصر البركاتي : بنو رسول ، ص ١٥٤.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٢٩٥. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٣٦٦.ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص٦٢٠،٦١٩،٦١٣،٦٠١. الجزيري :الدرر ، ج١، ص٥٩١. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٢. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص٢٧١. الطبري : الأرج المسكي، ص١١٨. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص١٢٠.

آثار الصدامات العسكرية وذلك لخروج القوات التي كانت مقيمة لحفظ البلد إذا سمعت بقدوم القوات المعادية ، ويدل هذا على أن قوات كلا الطرفين كانت لا تفضل المواجهة وغير مقتنعة بأهداف القيادتين ،كما أنها مجرد قوات بسيطة أبقتها الحملات العسكرية لكلا الطرفين لحفظ الأمن فقط (1) وبهذا نستطيع القول إن كلا القيادتين في مصر واليمن كانتا تحاولان كسب ولاء أهل مكة بالمحافظة على أموالهم وأنفسهم وقد كان بقاء حامية عسكرية بعد خروج الحملات العسكرية كفيلاً بحفظ الأمن مما ساعد في استقرار هذا الجانب.

نستخلص أيضاً أن أهل مكة تجنبوا الاشتراك في هذا النزاع مما جعلهم في مأمن من مهاجمة القوات العسكرية لهم وتتبعهم بالقتل والتنكيل ، لذا نستطيع القول إن الجانب الأمني لمكة في هذه الفترة لم يتأثر.

في شهر رجب عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م كان لحملة الملك المنصور نورالدين عمر بن علي بن رسول على مكة أثر كبير على الجانب الأمني فقد قدم الملك المنصور بقوات كثيرة واستطاع دخول مكة بدون قتال وقد كانت كثرة جيش الملك المنصور كفيلة بتحقيق النصر على الحامية المصرية و بالقضاء على أي تصرف غير حسن قد يقوم به اللصوص والمتربصون بأمن مكة ، كما أنه أطلق لكل جندي من جنود الدولة الأيوبية يترك المقاومة وينضم إليه ألف دينار وحصاناً وكسوة وبهذا جعل كثير من الجند يميل إليه تاركاً ما كان سوف يحصل عليه من مال لو حدث قتال ، ويكون بهذا الفعل قد قضى على الفوضى الأمنية التي قد تصيب البلد في حالة دخول القوات بشكل حربي ، وقد استطا ع أن يدخل مكة بيسر وسهولة والناس في أمن وطمأنينة (٢)

---

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٥٤. الفاسي : العقد الثمين ،ج٤، ص٨٠. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٣٦٧. ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص٦٢١،٦١٩. العصامي : سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٣٢. الطبري : الأرج المسكي ، ص١١٨. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٦٠. عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص٧٢،٧٣.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦١. الفاسي : العقد ، ج٥، ص٣٦٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٣. ابن فهد : غاية المرام ،ج١، ص٦٠١. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٤٢٣. العصامي :سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٠٠.

كان دخول مكة المكرمة تحت السيادة الرسولية مغضباً للملك الصالح نجم الدين أيوب الذي تولى بعد وفاة الملك الكامل فقام بإرسال حملة عسكرية في محاولة لاستعادة السيطرة عليها في عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م واستطاعت الحملة تحقيق هدفها بعد خروج القوات اليمنية بدون قتال ، وفي نفس الوقت لم يحسن قائدها التصرف مع أهل مكة حيث سمح لقواته بنهب المدينة[١] فكان هذا التصرف نكسة كبيرة على أمن المدينة المقدسة ، ويبدو أن الوضع الاقتصادي المزدهر الذي عاشته المدينة المقدسة بعد حملة الملك المنصور عمر بن رسول مغرياً لهم بنهب المدينة ، فكان هذا التصرف سيئاً على الناحية الأمنية ، فكان الناس في خوف ووجل من تصرفات الجند الذين همهم ما يجمعونه من أموال وأمتعه ، وبديهياً أن ينتشر القتل جراء هذا التصرف حيث سيعمد الكثير من الناس في الدفاع عن أموالهم وممتلكاتهم .

لم يلبث الوضع الأمني لمكة أن تحسّن بفضل الله ،ثم بسبب قدوم حملة جديدة من اليمن فما أن سمع قائد الحملة المصرية بقدومها حتى خرج هارباً ،فدخلت الحملة اليمنية مكة بدون مقاومة[٢]وأطمأن الناس واستقر الوضع حيث إن الحملة لم تقم بأي عمل يزعزع الناحية الأمنية.

في عام ٦٣٨هـ/١٢٤٠م قدمت حملة عسكرية جديدة من مصر لاستعادة إمارة مكة ولكن في هذه الحملة لقائدها الحرية المطلقة في التصرف حيث كان يشاركه اثنان من القادة مما يدل أن الملك الصالح قد أغضبه التصرف السابق مع أهل مكة حيث اختل الجانب الأمني للبلد الحرام في الحملة السابقة ، فدخلت الحملة العسكرية المصرية مكة دون مقاومة، حيث خرجت منها القوات اليمنية عندما سمعت بقدومها [٣]، وقد اتبع أمراء الحملة سياسة حكيمة

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٨١، ج٥، ص٣٦٤.الفاسي:شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٣. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٤١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٦. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ٦١. فريال قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص٢٥٣.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦٤.الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٨١، ج٥، ص٣٦٤.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٤. عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص٧٥.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦٤.الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٨١ ، ج٥، ص٣٦٤. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٤١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٠٢..

في حفظ أمن الناس حيث إنهم لم يسمحوا لأتباعهم بالتعدي والنهب مما جعل الناس يطمئنون على أرواحهم وممتلكاتهم بعد أن كانوا في خوف ووجل لما حل بهم في الحملة السابقة .

في عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م قدم السلطان عمر بن علي بن رسول بحملة عسكرية كثيرة استطاع بها أن يدخل مكة ، وقام بالعمل على استقرار الوضع الأمني حيث رفع عن الناس جميع المظالم التي كانت عليهم ، وقام بعمل حماية أمنية خارجية لمكة فقد استمال الشريف أبا سعد الحسن بن علي ابن قتادة وجعله مقيماً بوادي مر الظهران لكي يكون درعاً واقيا للبلد الحرام ضد كل من يحاول الاعتداء عليه (١) ، ويخل بأمنه ، وبهذا نستطيع القول إن الملك المنصور قد أقام سوراً بشرياً يحمي مكة من أي اعتداء . وقد استمر الوضع الأمني في أحسن حال طيلة حكم الملك المنصور عمر بن علي بن رسول حتى وفاته في عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م(٢) ثم تدهور الوضع الأمني لمكة وذلك بسبب الخلافات التي كانت تنشب بين أبناء البيت الحاكم من أسرة الشريف قتادة .

في عام ٦٥٢هـ/١٢٥٤م حاول الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول إعادة النفوذ الرسولي إلى مكة مستغلاً الوضع السياسي المضطرب بين أفراد البيت الحاكم فأرسل حملة عسكرية استطاعت دخولها ظافرة واستقرت الأوضاع الأمنية بعض الوقت لأن القوات اليمنية عندما دخلت البلد لم تقم بأي تصرف يؤذي السكان ، ثم عاد الوضع الأمني المضطرب بسبب زحف الأشراف بقوات كثيفة استطاعوا بها انتزاع إمارة مكة من القوات اليمنية في نهاية العام وبداية العام التالي ٦٥٣هـ/١٢٥٥م وقد كان دخول قوات الأشراف عنيفاً جداً حتى أن الناس خافوا خوفاً شديداً على أنفسهم وأموالهم ، ولم يستطيعوا من جراء القتل وإضراب الأمن أن يصلوا في المسجد الحرام خوف القتل والنهب وقد وصل القتال إلى

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص١٢٣، ج٥، ص٣٦٤. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٤١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٧. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٤٢٣. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٤. عبد الكريم الخطيب : تاريخ ينبع ، ص٢٣٥.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦٤. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٤٣٥.ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٦٨. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٤. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٤٢٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣١١،٣٠٦.

ساحات المسجد الحرام وبداخله حتى وصل إلى الكعبة المعظمة [1] وبهذا نستطيع القول إن مكة المكرمة عاشت منذ وفاة السلطان عمر بن علي بن رسول وضع أمني غير مستقر بسبب التزاعات الداخلية والخارجية على الإمارة .

بقي الوضع الأمني مختلاً حتى قدم السلطان الظاهر بيبرس بحملته في عام ٦٦٧هـ‍ــ١٢٦٨م فكان قدومه إلى مكة بحملة قليلة العدد قوية التأثير،مفزعاً للشريفين أبي نمي وعمه إدريس اللّذيِن قدما له الطاعة والولاء منذ قدومه، واستجابا لكل مطالبه ، وقام الملك الظاهر بترتيب وضع مكة المكرمة وشدد على الجانب الأمني فيها، وقد سبق أن تعهد أبو نمي للسلطان الملك الظاهر أن يقيم الأمن ولا يظلم أحد من التجار وغيرهم من الحجاج والزوار ، وقد كان الحاج قد انقطع من شدة خوف الناس على أموالهم وأنفسهم ، وقد قرر السلطان أبا نمي وعمه إدريس في الإمارة مكة [2]حتى لا يحدث بينهما ما يعكر الأمن ويزعزع استقرار حياة الناس وعين لهما مبالغ مالية تصلهما من مصر حتى لا يعودا لفرض المكوس التي من جراء فرضها يختل الجانب الأمني لمكة .

وبهذا نستطيع القول إن الدولة المملوكية منذ هذه الحملة أخذت على عاتقها حماية سكان مكة والعمل على استتباب الأمن وشيوعه بين أفراد المجتمع المكي .

وبعد وفاة السلطان الظاهر بيبرس عاد الاضطراب الأمني إلى مكة بسبب عودة أبي نمي إلى فرض المكوس والضرائب من جديد مما جعل الناحية الأمنية تصاب بالخلل فأمر السلطان قلاوون الصالحي بتسيير حملة عسكرية في عام ٦٨٣هـ‍ـ/١٢٨٤م تقوم بإعادة الأمور إلى نصابها فقدمت الحملة العسكرية في موسم الحج واستطاعت اقتحام البلد الحرام ، و قامت باحترام السكان والوافدين حيث إن المصادر لم تذكر أن السكان تعرضوا للنهب والقتل مع أن الحملة دخلت مكة بعنف شديد ،مما يدل أن الحملة كانت تهدف إلى إلغاء ما استحدثه

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج٢، ص١٤٩، ج٣، ص١٧٦،ج ٥، ص٢٤٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٧٦ ،٧٧.ابن فهد : غاية المرام ، ج٢، ص٤٥.الجزيري : الدرر ، ج٣، ص٥٩٩،٥٩٨. العصامي :سمط النجوم العوالي ،ج٤، ص٢٣٧. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣١٧.

(٢) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٥٤. النويري : نهاية الأرب ، ج٣٠، ص١٦٦. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٢٥٤. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص٤٤٧. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٥٩. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص٨٥.

أبو نمي من مكوس وجبايات مما أخل بالجانب الأمني لمكة ، وقد قام قائد الحملة بعقد صلح مع أبي نمي وعلى أثره تم إعادة تنصيبه أميراً لمكة [1] وهذا يدل أن الحملة لم تكن تهدف إلى إزاحة أبي نمي بقدر ما كانت تهدف إلى تصحيح الأوضاع ،لذا نستطيع القول إن الجانب الأمني عاد إلى الاستقرار من جديد بعد هذه الحملة .

في عام ٦٨٧هـ/١٢٨٨م أمدت السلطة السياسية في مصر جماز بن شيحة أمير المدينة المنورة بقوات كان هدفها انتزاع إمارة مكة من يد أبي نمي ، ويبدو أن الدافع لهذا أن أبا نمي قد أخل بما تم الاتفاق عليه مسبقاً [2] .

وبهذا يكون هذا العام شهد اضطراباً أمنياً حيث إن القوات المصرية والمدنية كانت في مكة في خوف ووجل في الوقت الذي كان أبو نمي وأتباعه في داخل البلد وخارجه يكيدون لها ويعملون على إبعادها ، فمن الطبيعي أن يضطرب أمن البلد الذي يشهد هذه الأحداث العسكرية، فأمير يحاول فرض سلطته وآخر يعمل على نقضها ، وجند من خارج البلد يتخوفون الهجوم عليهم في أي وقت ، وبهذا يكون هذا العام عام اضطراب أمني لمكة.

استمر أبو نمي في الحكم حتى وفاته في عام ٧٠١هـ/١٣٠١م فاختلف أبناؤه من بعده على منصب الإمارة مما كان سبباً في الاضطراب الأمني ، وقد أرسلت السلطة السياسية في مصر حملة عسكرية مصاحبة لركب الحجاج في نفس العام، فقامت بتغيير سياسي في مكة حيث عينت أبا الغيث وأخاه عطيفة وعزلت حميضة ورميثة ، ولم يكن لأبي الغيث وعطيفة من القدرة ما كان لأخويهما السابقين مما أدى إلى اختلال الجانب الأمني في مكة حيث أصبح الناس في خوف من التعدي على أموالهم وأنفسهم وخصوصاً المجاورين ، وقد وصلت أخبار هذا التردي الأمني إلى أسماع السلطة السياسية في مصر، مما حدا بها إلى أن تعيد حساباتها في

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٥٧. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢،ص ٤٠٧. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص١٨٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١١٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج١، ص٢٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٠٨. الطبري : الأرج المسكي ، ص١٢٠.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٥٣،ج٣، ص٢٨٤. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٢٠٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١١٩. ابن فهد :غاية المرام ،ج٢، ص١١٧.الطبري : الأرج المسكي ، ص١٢٠. السنجاري منائح الكرم ، ج٢، ص٣٢٣.

إعادة حميضة ورميثة اللذين كانا معتقلين في مصر إلى إمارة مكة لكي يعيدا الأمور إلى نصابها[1] وخصوصاً الجانب الأمني لمكة.

لم يلتزم الشريفان حميضة ورميثة بما تعهدا به للسلطة السياسية في مصر فقد عادا إلى سابق عهدهما من الإضرار بالناس والتعدي على أموالهم وفرض الضرائب والمكوس الجائرة فكان هذا الأمر مخلاً بالجانب الأمني لمكة فقد كان أتباع الشريفين يسومون الناس الذل بأخذهم أموالهم بدون حق والتعدي عليهم حتى وصلت أخبار أوضاع مكة إلى السلطة السياسية في مصر فكانت السلطة السياسية تحاول إعادة حميضة ورميثة إلى الصواب وذلك بتسيير الحملات العسكرية المصاحبة للحجاج فما أن تأتي الحملة العسكرية إلى مكة حتى يغادر حميضة ورميثة وأتباعهما إلى خارجها [2] ، فتستقر الأوضاع الأمنية فترة بقاء الحملة العسكرية بها وما أن تخرج الحملة العسكرية حتى يعود الشريفان إلى مكة ، ويمارسان ما كانا يمارسانه من إخلال بجوانب الحياة في مكة ومن نتاجها اختلال الجانب الأمني في البلد الأمين . وبهذا تكون فترة استقرار الجانب الأمني هو فترة بقاء الحملة العسكرية المصرية فيها.

عندما ازداد حميضة ورميثة في ظلم الناس والتعدي عليهم وعلى أموالهم أبي الغيث ،بصحبة حملة عسكرية وأمرت ببقاء القوات العسكرية لحفظ الأمن من تعدي حميضة ورميثة اللذين غادرا مكة عندما سمعا بخبر وصول الحملة العسكرية [3].

---

(١) كان تنافس أبناء الشريف أبي نمي قد أدى إلى كثرة أتباع كل واحد منهم فكان هؤلاء الأتباع ومعظمهم من العبيد شراً مستطيراً بمكة المكرمة ،وأصبح أبناء الشريف أبي نمي حميضة ورميثة وغيرهم من الأبناء لايستطيعون كبح جماح هؤلاء العبيد لكثرتهم و لعدم مقدرتهم على النفقة عليهم ، فيبدو أن الأشراف كانوا يغضون الطرف عن تصرفاتهم في نهب الناس والتعدي عليهم وخصوصاً في موسم الحج لكسب ولائهم لهم ، فإذا أرادوا منعهم من هذه التصرفات كان يجب عليهم أن يجزلوا لهم العطاء وهذا شيء مكلف عليهم وبهذا لم يستطيعوا التوفيق بين أتباعهم والسلطة السياسية في مصر. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٤٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦١٨.المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٤٢١.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٦، ٤٤٨،ج٤، ص١٠١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٤٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٢٤٢. علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ص٣٤.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٠٧. الفاسي : العقد الثمين ،ج٣، ص٤٤٧، ج٤، ص١٠٢. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٤٨٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٥٠.ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص٥٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٢٩.

وبهذا نستطيع القول إن تصرف الدولة بإبقاء حامية عسكرية كان له دور كبير في حفظ أمن البلد المعظم وأن هذه الخطوة جاءت متأخرة ، لأن المجتمع المكي عانى الكثير من الانفلات الأمني ، وعندما خرجت الحامية العسكرية بسبب ضعف أبي الغيث في التعامل مع الأزمات عاد الاضطراب الأمني وكان نتيجته مقتل أبي الغيث[1].

لم تستقر أوضاع مكة الأمنية بسبب استمرار الخلاف بين حميضة والسلطة السياسية في مصر، فما أن تأتي حملة عسكرية من مصر حتى يخرج حميضة من مكة ويأخذ في تهديدها بين الحين والآخر ، وقد أرادت الدولة أن تحسم الوضع فأرسلت حملة عسكرية في عام ٧١٨هـ/١٣١٨م قامت بإجراءات أمنية غاية في القوة والحزم حيث أمرت بعدم حمل السلاح في البلد الحرام ، وقامت بإخراج المفسدين منها ، ونادت بالعدل بين الناس[2] ؛وهذا يدل على مدى اهتمام الدولة المملوكية بتحقيق الأمن للسكان ، وعندما حج السلطان الناصر المملوكي أبطل جميع المكوس و طلب منه السكان والمجاورون أن يجعل حامية عسكرية دائمة تحمي السكان من أي هجوم يقوم به الشريف حميضة فاستجاب لهم السلطان فأمر ببقاء فرقة من الجند الذين كانوا بصحبته ، فكان لهذه الحامية دور في الحد من تهديدات الشريف حميضة ومنعه من القيام بأي هجوم عسكري وبقي خارج البلد حتى قتل عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م وبمقتله انتهى تهديده المستمر لمكة وأمنها الذي استمر فترة تقارب الـ ٢٠عاما[3].

---

(١) الفاسي :العقد الثمين ، ج٣، ص٤٤٨، ج٤، ص١٠٢، ج٦، ص٣٠٧. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٤٩٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٥١. ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص٥٦،٥٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٠،٦٢١. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٣.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص ٤٤٨،٤٥٠،٤٥١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٥٩. ابن فهد : غاية المرام ،ج٢،ص ٦٤،٦٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٣٩. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٥.

(٣) اليافعي : المرآة ، ج٤، ص٢٥٩. الفاسي : العقد الثمين ،ج ٣، ص٤٤٩،٤٥١،ج٥،ص٢١٣. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٥٢٦، ج٢٥،١٦،١٣،٣. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٩، ص٥٩. ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٣، ص١٦٣،١٦٧.

في عام ٧٥١هـ/١٣٥٠م قدمت حملة عسكرية يمنية بقيادة الملك المجاهد الرسولي ملك اليمن تحت غطاء أداء فريضة الحج ونتيجة للتصادم المسلح في مشاعر الحج ، كان الوضع سيئاً على الناحية الأمنية حيث أصبح الناس في خوف ووجل فكثر القتل والنهب والسلب واشترك مع المقاتلين اللصوص والنهابون الذين لا يميزون بين مقاتل وغيره من العامة ، وكان الأمر سيئاً جداً على الحاج اليمني الذي كان مصاحباً للملك المجاهد ، فعمت الفوضى جميع أرجاء المشاعر المقدسة ، فكان الجانب الأمني قد اختل حيث أن جميع الناس كانوا يخافون على أنفسهم من القتل والنهب والحاج بين مقتول ومنهوب(١)

في عام ٧٦٠هـ/١٣٥٨م سيرت حكومة المماليك حملة عسكرية كبيرة بسبب الخلافات السياسية بين عجلان وأخيه ثقبة والتي أثرت على مجريات الأمور بمكة ومنها الجانب الأمني بسبب انشغال كل منهما في حشد الأعوا ن ضد أخيه، ولذا كان من البديهي أن يغض كلا الأخوين طرفيهما عن تصرفات أتباعهما التي كانت تصب في كسب المنافع بالطرق غير المشروعة من نهب وسلب لأموال الناس ، فعندما قدمت الحملة كان من انجازاتها منع حمل السلاح بمكة مما كان سبباً في منع المفسدين من التعرض للناس بالنهب والسلب والقتل ، كما أن وجود الحملة العسكرية لمدة عام كامل جعل تطبيق النظام أمراً حتمياً فاستقر الجانب الأمني حيث أمن الناس على أرواحهم وأموالهم(٢) .

وبهذا تكون الحملة العسكرية قد حققت أهدافاً كثيرة منها نشر الأمن بين السكان، فأصبح الناس من حجاج ومعتمرين وتجار وعامة لا يخشون أحداً من المفسدين لتلاشي حمل السلاح ، وهذا كان العنصر الرئيس في إرساء الأمن في البلد الأمين .

في عام ٨٢٧هـ/١٤٢٣م قدمت حملة عسكرية من مصر وكان من أهداف الحملة ، إقامة العدل والأمن وذلك أن حسن بن عجلان قد أساء السيرة مع أهل مكة بكثرة ظلمه

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤، ص ٢٣٧. ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص٥١١. الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢، ص٨٣. الفاسي : العقد الثمين ، ج٥، ص١٩١. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٠،ص ٢٢٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص ٢٤٥. الجزيري : الدرر ، ج١، ص ٦٤٩.

(٢) الفاسي : الشفاء ، ج٢، ص٤١٩. الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص٢٦٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٧٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٥٧. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ،ج١، ص ١٥٨. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٦٥. الكردي : التاريخ القويم ، ج٢، ص٢٢١.

وأخذ أموال الناس ظلماً وخصوصاً التجار ، وظلم أتباعه وحاشيته وعبيده بتعديهم على الناس ، وقد كان لهذه الحلمة أثر على الناحية الأمنية وذلك أن الحملة أقامت بمكة ، وذلك لمراقبة الوضع الأمني الذي يُتوقع أن يختل لوجود المعارضين للشريف علي بن عنان، مع أنه أعلن الأمان لكل من يوالي السلطة الجديدة من القادة والعبيد والأشراف وكانت هذه خطوة جيدة في تأليف قلوب الناس مع السلطة الجديدة ولتأمين الناس بالقضاء على العناصر المعارضة باستمالتها وتأمينها ، وقد كان لإقامة قائد الحملة بقواته ما يقارب عامين فرصة لإقامة الأمن وذلك بقمع المعارضين والقضاء على المفسدين (١) وبهذا نؤكد أن الحملة كان لها تأثير إيجابي على الناحية الأمنية لمكة التي قد أصابها الخلل بسبب التنافس على منصب الأمارة.

في عام ٨٣١هـ/١٤٢٧م أرسلت السلطة السياسية في مصر حملة عسكرية بسبب تمرد الأشراف من أسرة أمير مكة بركات بن حسن بن عجلان ،وتهديدهم الوضع الأمني بسبب نقص أعطياتهم التي كانوا يتقاضونها في عهد والدهم فما أن علم الأشراف وأتباعهم بقدومها حتى خرجوا على وجوههم خوفاً منها إلى خارج البلد ولم يستطيعوا مواجهتها ، وأعادت الأمن والاستقرار إلى سابق عهده ، وحج الناس في أمن وسلام (٢) .

وبهذا تكون الحملة قد نجحت في إعادة الأمن والاستقرار إلى مكة ، بعد أن كاد الأشراف وأتباعهم أن يزعزعوه ، رغبة في تحقيق مصالحهم الشخصية ، فينتشر القتل والخوف والنهب والسلب وخصوصاً مع قدوم الحجاج فتصبح البلاد فوضى يأكل القوي فيها الضعيف ويسطو المفسد على الآمن من سكانها والقادمين إليها .

في عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م أرسلت السلطة السياسية حملة عسكرية كبيرة بعد تردي أوضاع مكة المكرمة ومنها الناحية الأمنية فقد انتشر الخوف بين الناس من مكة حتى مدينة ينبع نتيجة لتنازع أبناء محمد بن بركات على السلطة ، وانعدم الأمن وأصبح لكل من أبناء

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٣٩٠. الفاسي : الشفاء ، ج٢، ص٣٥٧. المقريزي : السلوك ، ج٧، ص١١٠، ٨٧، ١١٦. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،ج١٤،ص٢٦٠، ج١٥، ص٤٦٧.العيني:عقد الجمان، ص٢٠٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٦١٩،٦٠٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٧٠٩.

(٢) المقريزي : السلوك ، ج٧، ص١٧٨. العيني : عقد الجمان ، ص٣٣٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص١٥. ابن فهد : غاية المرام ،ج٢، ص٤٠١.

محمد بن بركات أنصار ومؤيدون ، يتعقبون ويترصدون أتباع وأنصار خصومهم ،كما أن العدد الكبير من هؤلاء الأتباع كان همه الوحيد هو النهب والسلب ، فانعدم الأمن في الطرقات وفي داخل مكة خاصة فقد أحاطت بها جماعات من رجال البادية المتربصين بعامة المسلمين ،همهم الوحيد النهب والسلب ومن قاومهم قتلوه ، وكانوا يدخلون إلى داخل البلد ويقتحمون المنازل ويأخذون ما استطاعوا أخذه من أقوات الناس وأموالهم ، كما أن ركب الحجاج أصبح في خطر عظيم فكل فريق من المتنازعين يحاول كسب ولاء أمير الركب والقوة المصاحبة له إلى صفه ، وإذا لم يوافق أمير الركب على أي خيار مما يقدم إليه يتم مهاجمة الركب وقتل رجاله ونهب أموالهم وسبي نسائهم (١)

ومن صور انعدام الأمن أن المنتصر من أبناء محمد بن بركات كان يتعقب مواقف الناس المؤيدين لخصمه إذا انتصر عليه ، ومن ذلك موقف جازان من عدد من أهل مكة الذين اتخذوا موقفاً مؤيداً لأخيه بركات أثناء انتصاره عليه، فطلبهم جازان واستجوبهم على أقوالهم التي ذكروها وفيها تأييد لأخيه بركات وبيان خطأ جازان في مقاومة أخيه بركات ، وكانت هذه من المواقف الصعبة لعلّية القوم بمكة ، فقد أمر جازان بتغريمهم مبالغ مالية كبيرة حتى أن بعضهم اختفى عن الأنظار فأمر جازان بهدم منزله ، وكان عدد من السكان حاولوا الهرب من مكة خوفاً على أنفسهم ، فمنعهم جازان ، وأمر بنهب كل من حاول السفر (٢) ويتضح هنا أن المجتمع المكي قد مر بأصعب فترة من فترات الاختلال الأمني في العصر المملوكي ، لذا قررت السلطة السياسية في مصر إرسال حملة عسكرية لتصحيح الأوضاع وقدمت الحملة في الخامس من شهر ذي الحجة عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م وتصرفت تصرفاً غير متوقع حيث قبضت على بركات وعدد من أتباعه وأعلنت تولية جازان للإمارة ، فتغير الناس لهذا الموقف ، واضطربت أحوالهم وذلك خوفاً من قدوم أتباع جازان الذين أذاقوا الناس ألوان العذاب ، ومع وجود الحملة أثناء الحج، فقد كانت الناحية الأمنية على أسوأ حال حيث لم

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١١٧١ ، ١١٩٨ ، ١٢١٦، ١٢١٧،١٢٣٠١، ١٢٤٠، ١٢٤٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص١٢١، ١٢٥. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨١.الطبري : إتحاف فضلاء الزمن= =ج١، ص٢٩٠ ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص٣٥. ابن إياس : بدائع الزهور ،ج٤، ص ٤٨. ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص٢٨٢.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٣٨..

يستطع كثير من السكان أداء فريضة الحج خوفاً على أنفسهم من غارات العرب المتربصين بالحجاج مما يدل أن جند الحملة لم يقوموا بدورهم في تتبع اللصوص الذين كانوا محيطين بالمشاعر المقدسة يتربصون بحجاج بيت الله الحرام وأهله ، ومن حج من السكان تعرض للأذى والنهب والسلب ، كما أن الطريق بين جدة مكة كان في غاية الخوف وانعدام الأمن من اللصوص ، فقد نهب عدد كبير من الناس القادمين من جدة ، وقتل عدد كبير من الحجاج القادمين عن طريق البحر ، وبعد أن غادرت الحملة بالأشراف المأسورين إلى مصر تركت مكة بدون حماية عسكرية وذلك أن جازان لم يصل بعد لاستلام إمارته مما يدل أن الأمن قد اختل بشكل كبير ، وفقد الناس ثقتهم في الدولة ورجال الحملة فعاد الاضطراب الأمني إلى سابق عهده ، وصفا الجو لقطاع الطرق واللصوص فانتشروا في الطرقات ، فكثر النهب والسلب واضطرب الأمن بمكة ونواحيها من جديد(١) .

ويتضح لنا أن الحملة لم تحقق للبلد الحرام ما كان يتمناه أهله وزواره من تقرير حسن للناحية الأمنية بعد أن عانوا من اضطرابها فترة عصيبة منذ بداية الخلاف بين أبناء محمد بن بركات في عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م إلى وقت وصول الحملة في موسم حج ٩٠٨هـ/١٥٠٢م وكان سبب ذلك هو رغبة أميرها الخروج بسلامة من الحجاز بعد أن حقق كسبه السياسي بالقبض على بركات، وكان قبضه على بركات معيقاً له للعمل على ترسيخ الأمن والنظام في البلد الحرام مما يدل أن الأمير كان متخوفاً جداً من إحاطة أتباع جازان بقواته والفتك بها لذا نراه يتصرف هذا التصرف غير السوي مع ما حققه من كسب سياسي .

لم يستمر جازان بن محمد في إمارته طويلاً فقد قتل في شهر رجب من عام ٩٠٩هـ/١٥٠٣م على يد بعض جند المماليك(٢)، فعاد الاضطراب السياسي إلى سابق عهد وصاحبه اضطراب كبير في الناحية الأمنية ، زاد الاضطراب قدوم بركات بن محمد من مصر

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٧٨-١٢٨٥. ابن فهد : غاية المرام ،ج٣، ص١٤٤-١٤٩.السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص١٣٤.

(٢) ابن فهد:بلوغ القرى ،ج٢، ص١٣٠١.ابن فهد:غاية المرام ،ج٣، ص٨ ،١٦٥.ابن إياس : بدائع الزهور ،ج٤، ص٦٢. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٧ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٨٢. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٦٣٠. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص٣٢٢.

هارباً من يد السلطة السياسية في مصر وعاد إلى الحجاز في شهر شوال عام ٩٠٩هـ/١٥٠٣م[١] وبهذا عاد النزاع الأسري من جديد بين أبناء محمد على الإمارة حميضة بن محمد وأخيه بركات ، وأخذ كل منهما يجمع الأتباع لمواجهة خصمه مما جعل الأوضاع الأمنية في مكة غير مستقرة ،فقبيلة بني إبراهيم وزبيد كانتا تشكلان خطراً كبيراً في المنطقة الممتدة من ينبع إلى مكة وتهددان باستمرار مدينة جدة ، وبهذا أصبح طريق الحاج غير آمن مما جعل السلطة تمنع في عام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م، النساء من السفر إلى الحج خوفاً عليهن من هجمات رجال البادية، كما أن المفسدين كثر ضررهم على أهل مكة بالسلب النهب ، فانتشر اللصوص في كل مكان وأصبحوا يهاجمون المنازل ويأخذون ما شاؤوا [٢]، وأرادت السلطة السياسية أن تعيد الأمور إلى نصابها بتولية بركات بن محمد مهام الإمارة من جديد، وأرسلت إليه بهذا بعد موقفه من عدم مهاجمة حجاج الدولة في عام ٩٠٩هـ/١٥٠٩م ، وإرساله إلى السلطان يعتذر عن هربه ويطلب العفو والصفح عنه [٣] عند هذا تمرد أخوه حميضة ،وانحاز إلى بني إبراهيم وزبيد وأصبحوا يشكلون خطراً شديداً على المنطقة برمتها وكانوا يهاجمون القرى التابعة لها وينهبونها[٤] وكان هجوم حميضة وأتباعه على مكة في شهر رجب عام ٩١٠هـ/١٥٠٤م من أكثر الفترات الأمنية اضطراباً ، فقد سافر غالب السكان لما سمعوا بقدوم حميضة وأتباعه إليها، وعندما دخل حميضة وأتباعه مكة بعد أن أقسموا على عدم التعرض لأحد بسوء ، أرادوا نهبها بحجة إذا لم يتم تحقيق طلبهم بجمع مبلغ من المال من السكان لكي يتزودوا به في خروجهم ، مما أدى إلى وقوع القتال بينهم وبين أهل مكة وجند المماليك المقيمين بها بداخل المسجد الحرام وبالقرب منه.[٥]

---

(١) ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص٨، ١٦٥ . ابن إياس : بدائع الزهور ،ج٤، ص٦٢. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج١، ص٣٢٠.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ،ج٢، ص١٣١٤، ١٣٣٢، ١٣٣٨، ١٣٤١. ابن فهد :غاية المرام ،ج٣، ص٨، ١٦٥. ابن إياس : بدائع الزهور ،ج٤، ص٦٢، ٨٩.الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٨.

(٣) ابن فهد : بلوغ القرى ،ج٢، ص ١٣٢٧، ١٣٤٣، ١٣٣٥،١٣٢٨.

(٤) المصدر السابق ، ج٣، ص١٣٥٢ .

(٥) المصدر السابق ، ج٣، ص١٣٧٢- ١٣٧٩. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٩.

وبهذا يتضح لنا أن السلطة السياسية في مصر لم توفق في التعامل مع الخلافات السياسية التي حدثت بين أبناء محمد بن بركات ، فكان ما حدث من حميضة والقبائل الموالية له في زعزعة الجانب الأمني للبلد الحرام نتاج الحملة العسكرية التي تحالفت مع جازان الذي قاد التمرد ضد أخيه بركات أمير مكة ، وهذا الموقف شجع هذه القبائل على التحالف مع أخيه حميضة بعد مقتله .

المبحث الخامس :

أثر الحملات العسكرية على الوضع الاجتماعي :

من البديهي أن يكون للحملات العسكرية الخارجية على مكة أثر على الناحية الاجتماعية ، فالمجتمع المكي في غالبه مجتمع مسالم يغلب عليه التأثير الديني نظراً لوجود المسجد الحرام وسيادة جو العبادة الدائم به وحيث إن جميع زوار مكة من جميع أرجاء الدنيا يكون دافعهم للقدوم إليها هو الرغبة في رضا الخالق سبحانه وتعالى فهو مجتمع يكره القتل بغير وجه شرعي ، ومع هذا كان بمكة من بعض الطوائف من ضعف الإيمان في قلوبهم يستغلون الاضطرابات السياسية والفوضى الأمنية فينضمون لكل محارب بهدف السلب والنهب وهؤلاء في معظمهم قليل ، أما بقية المجتمع فهم من الناس العزل أصحاب العبادات والتجار القادمين للتجارة بغية الربح الوفير حيث إن تجمع الناس بكثرة في منطقة واحدة من شتى أرجاء المعمورة جعل منها سوقاً رائجاً يدر الكثير من الأرباح على التجار ، وبهذا عندما تقدم حملة عسكرية وتواجهها مقاومة من أعوان أمراء مكة يحدث أن تعم الفوضى الأمنية في أرجاء البلد الحرام فيتعرض السكان للنهب والسلب والقتل وبهذا نستطيع القول إن كل حملة عسكرية تصطدم بمقاومة ينتج عنها نقص في المجتمع المكي من جراء القتل الذي يحل بالسكان الآمنين ، وفي الوقت الآخر يغادر بعض السكان الذين يستطيعون المغادرة ويسلمون من المواجهة إلى خارجها ومن ذلك نذكر ما يلي :

في عام ٥٧١هـ/١١٧٥م عندما قدمت حملة الأمير طاشتكين أمير الحاج العراقي بهدف تغيير الوضع السياسي للإمارة قام جنود الحملة العسكرية بقتل عدد كبير من السكان كما قاموا بسلب ونهب العديد من المنازل وخصوصاً التي كانت تقع في أطراف البلد حيث يسهل اقتحامها ويبدو أن أهلها قد تركوها وخرجوا خوف القتل فكانت عرضة للنهب

أكثر من غيرها ، كما قاموا بإحراق الكثير من المنازل وذلك أن الحملة كان يصاحبها عدد من الجنود النفاطين ،الذين كان عملهم إلقاء النار في المباني ليسهل اقتحامها فتم استخدامها بشكل عشوائي فقد ألقيت على عدد كبير من المنازل دون تمييز [1]، بالإضافة إلى من سقط قتيلاً من السكان الذين انضموا إلى صفوف جند الأمير مكثر بن عيسى بن فليته [2] ، فحرق المنازل ونهب أموال أهلها وقتل الرجال يعني تشريد عدد كبير من النساء والأطفال وتشتت الكثير من الأسر حيث أصبحوا بدون مأوى مما يدل أنهم سوف يتجهون إلى المسجد الحرام ويتخذونه سكناً لهم ، وبهذا يكون المجتمع المكي قد حلت به كارثة اجتماعية كبيرة من جراء تصرفات جنود الحملة الذين كانوا لا يفرقون بين المقاتلين والمسالمين ، فأصبح فيه عدد كبير من الأيتام والأرامل ، وعدد كبير من الفقراء ، بالإضافة إلى عدد من المعوقين الذين أصيبوا بإصابات بليغة من جراء القتال سواء كانوا من جند الأمير مكثر أو من عامة الناس ، وبهذا يصبح المجتمع المكي في حالة بائسة يرثى لها.

وفي عام ٥٨١هـ/١١٨٥م ساءت أحوال مكة الاجتماعية فقد كان الوضع الاجتماعي غير سليم حيث إن المجتمع كان يعاني من جند وحاشية الأمير مكثر فكان لهم نفوذ على السكان حيث كانوا يعيشون على ما يحصلون عليه من الأهالي بالنهب والسلب وبهذا يكون المجتمع عبارة عن قسمين قسم من العاطلين أصحاب النفوذ ،وقسم من العامة الذين لا حول لهم ولا طول وعرضة للنهب والسلب ، وبهذا يكون من الصعوبة العيش في مناخ اجتماعي بهذا الشكل فسوف ينتج عن هذا الاضطراب خلل في تركيبة السكان وذلك أن جميع الأقوياء من السكان سوف ينضمون لا محالة إلى صفوف هذه الفئة للتخلص من الأذى فتنعدم وظائف المجتمع الأخرى ، وبهذا يصبح المجتمع المكي عبارة عن مجموعة كبيرة من المفسدين والذين سوف يصل فسادهم لحجاج بيت الله الحرام ، وقد أراد الله تصحيح هذا الوضع

---

(١) من ذلك أن أحد جنود الحملة أحرق داراً لأيتام كانوا يؤجرونها في الموسم على الحجاج ، حيث رماها بقارورة نفط فاحترقت وهلك من فيها من الأيتام ،وهذا يدل أن جنود الحملةكانوا لا يتورعون عن إحراق أي دار في= =مكة المكرمة . ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٠، ص٥٣١ الفاسي : العقد ، ج٦، ص١٢٢.

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٠، ص٥٣١.ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص١٣٧. الذهبي : تاريخ الإسلام ،مجلد حوادث سنة ٥٧١-٥٨٠هـ، ص ٧.الفاسي : العقد الثمين ، ج٦، ص١٢٢. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢، ص٣٩١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٣٦.

الاجتماعي عندما أمر السلطان صلاح الدين الأيوبي بتسيير حملة عسكرية بقيادة الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب واستطاع أن يتعقب المفسدين ويعيد استقرار الوضع الاجتماعي للبلد الحرام(1) وبهذا نؤكد أن حملة الملك العزيز قد نجحت في تحقيق الاستقرار الاجتماعي والقضاء على أسباب تزعزعه .

كان من جراء الحملات العسكرية التي تقدم إلى مكة إذا لم تحقق أهدافها وتحافظ على سلامة أفرادها أن يتخلف عدد كبير من الذين كانوا يرافقون الحملات العسكرية ،من الذين ليس لهم دراية بأهدافها، حيث إن غالبية الحملات كانت ترافق مواكب الحجيج فعندما تنهزم الحملة وتحل الكارثة بأفرادها يصل الضرر إلى جميع من كانوا يرافقون الحملة من حجاج ومعتمرين، فيفقدون أموالهم وأمتعتهم ويصبحون لا حول لهم ولا طاقة على السفر والعودة إلى أوطانهم فيبقون في مكة تحت حسنة المحسنين وبهذا يزيد عدد العاطلين البائسين في المجتمع المكي(2) ،ومن ذلك أنه في عام ٦٠٨هـ/١٢١١م عندما قدمت الحملة السرية العراقية التي كان قصدها القضاء على الشريف قتادة باغتياله في مشعر منى كان نتيجة الحملة أنها لم تحقق أهدافها فوقع القتل والسلب في المشاعر المقدسة ، وأصاب الحجاج كارثة كبيرة حيث إن الذين سلموا من القتل منهم فقدوا أموالهم بكاملها ،وكانوا في رعب مستمر خوف القتل(3) وبهذا نستطيع القول إن غالبية الحجاج أصبحوا معدمين لا يستطيعون العودة إلى أوطانهم وبهذا سيبقى عدد كبير منهم في حالة من البؤس والشقاء في مكة يتكففون الناس حتى يجمعون من المال ما يكفيهم للعودة إلى أوطانهم وبهذا سيبقون على الأقل مدة عام

---

(1) أبو شامة : الروضتين ، ج٣، ص٢٧١.الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص٢٩٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢، ص٥٥٢. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٧٤. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٢١. الزهراني،= =غباشي : تاريخ مكة المكرمة التجاري ، ص٩٤.عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص٥٥.

(2) يدل على ذلك كثرة الأربطة التي انتشرت بالقرب من المسجد الحرام لإيواء البائسين ، ومن ذلك ما ذكر عندما أوقف الخواجا بدر الدين حسن بن محمد بن قاسم الطاهر وقفه عند باب سويقة عام٨٤٣هـ جعله على الفقراء والمساكين الغرباء المتعطلين الرجال دون النساء الذين لا سكن لهم ولا يقدرون على أجرة مسكن ، وليس لأحدهم بيت . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص١٥١.

(3) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص٣٠٥. اليافعي : مرآة الجنان ، ج٤، ص١٥. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٩٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٩.المقريزي : السلوك ، ج١، ص٢٩٤.ابن فهد:غاية المرام ،ج١، ص٥٦٠. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٨١.العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٢٦.

كامل حتى يأتي ركب الحجاج فيسافر معه من يستطيع السفر ، وبهذا نقول إن الحملات العسكرية كانت تعمل خللاً في المجتمع المكي في قتل البعض وتخلف البعض الآخر ، فإذا كان القتل في أهل مكة حدث النقص في المجتمع المكي وإذا كان القتل والسلب في جند الحملات والحجاج ، حدثت الزيادة في السكان بشريحة اجتماعية فقيرة وعاطلة تعيش أغلبها على التسول والصدقات .

في عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م أصيب المجتمع المكي بنكسة كبيرة وذلك بسبب قدوم حملة الملك المسعود فقد كانت وبالاً على أهل مكة حيث قام جند الملك المسعود بسفك دماء الناس دون تميز حتى كان القتل في داخل المسجد الحرام ونهبهم في جميع ما يملكون، حتى أنهم أخذوا الملابس من على بعض الناس وأخذوا المنازل من أصحابها (١) مما يدل أن قوات الحملة لم تفرق بين المحاربين من صفوف أمير مكة وغيره من عامة الناس، وبهذا يكون المجتمع المكي قد أصيب بنكستين الأولى نقص عدد أفراده بسبب من قتل عدد كبير حيث وصل القتل إلى المسجد الحرام ، والثانية أنه من سلم منهم أصبحوا فقراء معدمين من جراء النهب والسلب الذي تعرضوا له ، بالإضافة إلى كثرة الأيتام والأرامل والمعوقين .

وعندما أمر الملك المسعود بإعادة ما أخذه جنده من دور أهل مكة ومن المزارع القريبة منها مما يملكه السكان وأهل القرى المحيطة بها (٢) ، وهذا الإجراء ساعد على الاستقرار الاجتماعي لمن بقي على قيد الحياة من الأهالي .

منذ عام ٦٢٩هـ/١٢٣١م شهدت مكة صراعاً عسكرياً بين الدولة الرسولية في اليمن والدولة الأيوبية في مصر ، فكلا القيادتين تحاولان فرض السيادة على البلد الحرام تدفع كلا منهما دوافعه وأهدافه ، ومن ذلك نذكر مايلي:

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٩، ص٣٥٠.ابن كثير : البداية والنهاية ،ج٣، ص٩٩. الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٠٣،ج٦، ص٢٥٥. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٤. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤١٠. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٨٨. ناصر البركاتي : بنو رسول ، ص١٤٦.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص٤٠٣ . الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤١. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٣٣٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٣٤. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٨٨. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤١٠.

في عام ٦٢٩هـ/١٢٣١م قدمت حملة الملك المنصور عمر بن علي بن رسول وقد استطاعت حملة الملك المنصور دخول مكة ،بعد أن خرجت منها الحامية المصرية ، وهذا يعني أنها أصبحت من ضمن أملاك الملك المنصور ، وبهذا من المؤكد أن المجتمع المكي أصبح مفتوحاً على مصراعيه للزيادة السكانية من جهة اليمن حيث، إن الحامية اليمنية قد دخلت مكة دون أن تحدث أثراً سيئاً يجعل المجتمع المكي ينفر منها ولا يتعاون معها، وبهذا سوف تقيم وتستقر مما يسهل لها الاندماج في المجتمع المكي مع مرور الزمن .(١)

وعندما علم السلطان الملك الكامل الأيوبي بخروج قواته من البلد الحرام حتى أمر بتجهيز حملة عسكرية لاستعادة السلطة الأيوبية ، فقدمت الحملة ، وانضم إليها في الطريق أمير ينبع الشريف أبي سعد بن علي بن قتادة وأمير المدينة المنورة الأمير شيحة الحسيني بقوات عسكرية أخرى ، فزحفت الحملة واستطاعت أن تنزل هزيمة ساحقة بالقوات اليمنية ومن شارك معها من أهل مكة في شهر رمضان سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م وقام أمير الحملة بالتنكيل بأهل مكة حيث قتل عدداً كبيراً منهم بسبب مواقفهم السابقة عندما رحبوا بقوات الملك المنصور والشريف راجح ولاشتراكهم في حربه مع القوات اليمنية وسمح لجنده بالنهب والسلب مدة ثلاثة أيام (٢)، وبهذا نستطيع القول إن المجتمع المكي أصيب بنكسة كبيرة حيث قُتل عدد كبير منه في ساحة المعركة وفي داخل البلد (٣). ومن البديهي أن عدداً من السكان قد خرج من البلد خوفاً من القتل حيث استمر القتل والنهب مدة ثلاثة أيام ، كما أن هذه الحملة أعطت لسكان المنطقة الواقعة من مكة إلى ينبع حرية في القدوم والاستقرار في البلد الحرام بحجة أنهم أنصار القيادة وجند الأمير .

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٩. الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٢٩٥، ج٥، ص٣٦٢.الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤١. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٣٦٦. ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص٦٢٠،٦١٣،٦٠١. الجزيري :الدرر ، ج١، ص٥٩١. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤٢٠.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٩. الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٢٩٥. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٣٦٦.ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص٦٢٠،٦١٩،٦١٣،٦٠١. الجزيري :الدرر ، ج١، ص٥٩١. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤٢٠. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٢.

(٣) لم يكن هذا الفعل من القائد بأمر الملك الكامل الأيوبي فقد غضب من تصرف قائده في أهل مكة المكرمة ولما علم بتصرفه هذا أمر بعزله واستدعاه إلى مصر . الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٩. ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص٦١٣.

كانت القيادتان في مصر واليمن تقدران مكانة البلد الحرام وسكانه ، وقد أرادت تجنيب مكة وأهلها ويلات الصراع العسكري يدلنا على هذا أن جميع الحملات منذ عام٦٣٠هـ/١٢٣٢م كانت تتجنب إيذاء السكان بالبلد الحرام فكانت الحملات تخرج سريعاً، إذا سمعت بقدوم حملة معادية دون الاصطدام بها في البلد الحرام مما يدل أن هناك توصيات سابقة من القيادات السياسية بعدم الإضرار بالحرم وأهله ، وهذا بديهي لأن أي ضرر تتعرض له مكة وسكانها سوف تتأثر به السلطة السياسية التي ينتمي إليها ملحق الضرر وهذا ما لا ترضى عنه السلطة السياسية في مصر واليمن لرغبتهما في كسب ود العالم الإسلامي بالإشراف على الأماكن المقدسة ، كما يدلنا أيضاً على هذا التوجه ما كانت تنفقه السلطتان في مكة رغبة في كسب ود السكان [1]، وبهذا يتضح لنا أن الجانب الاجتماعي كان مستقراً فقد سلم الناس من القتل جراء عدم التدخل في الصراع بين القوتين المتصارعتين المصرية واليمنية ، ومن الهروب منها، ولكن كان من الطبيعي أن يحدث للمجتمع المكي بعض الزيادة الاجتماعية جراء من يبقى في مكة من المرافقين للحملات العسكرية المصرية منها واليمنية.

في شهر رجب عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م كان لحملة الملك المنصور نورالدين عمر بن علي بن رسول على مكة المكرمة أثر كبير على الجانب الاجتماعي ، فقد استطاع أن يدخل مكة ، وقام بتوزيع الصدقات الكثيرة على السكان في رغبة منه لكسب ولائهم له وفي نفس الوقت كان لها مردود اجتماعي كبير حيث أصبح المجتمع المكي مجتمعاً ثرياً بسبب ما يوزع عليه من صدقات، وما ينفقه الجند من أموال حيث كانوا يحصلون على نفقات كبيرة [2] فمن الطبيعي أن تعود فوائدها على السكان بخلاف لو دخلت القوات العسكرية بالعنف فيحل الفقر وينتشر القتل.

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج٤، ص٨٠. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤١.ابن فهد :غاية المرام ، ج١، ص٦٢١،٦١٩. الطبري : الأرج المسكي ، ص١١٨. العصامي : سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٣٢. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ٦٠. ناصر البركاتي : بنور رسول ، ص١٥٥.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦١.الفاسي : العقد ، ج٥، ص٣٦٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٣. العاصمي :سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٣. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٠٠. سليمان المالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية ، ص٧٩.

لم تستقر أوضاع مكة الاجتماعية ففي عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م أرسل الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي خلف الملك الكامل في حكم الدولة الأيوبية حملة عسكرية كبيرة واستطاعت دخول مكة بعد خروج القوات اليمنية منها ، وقد كان لتصرف جنود الحملة الذين أطلق لهم العنان قائدها الأثر السلبي على الناحية الاجتماعية لمكة فقد سمح لجنده بنهب البلد (١)، وهذا يؤدي إلى أن يحدث مقاومة من الأهالي حيث إن كل فرد سوف يدافع عن ماله ومتاعه مما يجعل فرصة تعرضه للقتل كبيرة،وبهذا سوف يفقد المجتمع المكي عدداً كبيراً من أبنائه جراء هذا التصرف،بالإضافة إلى أن عدداً من القادرين على الهرب سوف يغادرون البلد خوفاً على أنفسهم، فقوة تقدر بـ(١٠٠٠) فارس بالإضافة إلى من انضم إليها من المفسدين المتربصين كفيلة بأن تصيب المجتمع الذي تهاجمه بنكسة كبيرة فيكثر عدد القتلى من الرجال القادرين على العمل و من هم في سن الشباب ويبقى من يسلم من كبار السن والعجزة والأيتام ممن فقدوا آباءهم وبهذا نستطيع القول إن المجتمع المكي في غالبه أصبح عبارة عن مجموعة من الأسر الفقيرة التي فقدت كل مقومات الحياة .

لم تطل فترة الاضطراب الاجتماعي لمكة حيث قدمت حملة عسكرية يمنية أنفذها الملك المنصور ،في نفس العام وكانت كثيرة العدد ، فدخلت مكة(٢) و لم يحدث منها أي اضطراب اجتماعي ،حيث إنها لم تقدم على أي عمل يمس المجتمع المكي بأي أذى مما جعل الأمور تستقر بعد ما أصابها من هزة اجتماعية عنيفة جراء الحملة السابقة.

في عام ٦٣٨هـ/١٢٤٠م أرسل الملك الصالح نجم الدين أيوب حملة عسكرية جديدة ، وكانت تحت عدد من مما يدل أن الملك الصالح لم يرض عن تصرفات قائده في الحمله السابقة حيث أضر بالمجتمع المكي عندما سمح لجند الحملة بنهب الناس ، وبهذا دخلت الحملة

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٨١، ج٥، ص٣٦٤. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٣. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٤١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٤. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢،ص ٣٠١.فريال قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص٢٥٣.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٦٤. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٩٤. يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٤٢٣. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٣٤.

العسكرية المصرية دون مقاومة [1]، و لم يتعرضوا للمجتمع المكي بأي أذى مما يدل على أن تصرف قائد الحملة السابقة لم يرض السلطة السياسية في مصر فكان تصرف هذه الحملة مع كثرتها سليماً مع المجتمع المكي .

في عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م قدم السلطان عمر بن علي بن رسول بحملة عسكرية كثيرة استطاع بها أن يدخل مكة ، وقام بالعمل على استقرار الوضع الاجتماعي للسكان برفع المظالم[2] عنهم ، وبهذا يكون المجتمع المكي قد نعم بالاستقرار و لم يحدث عليه اعتداء [3]، وقد استمر هذا الوضع الاجتماعي المستقر حتى وفاة السلطان المنصور عمر بن علي بن رسول عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م[4] ومن الملفت للنظر أن المجتمع المكي لم يتعرض لأي أذى من قبل الحملات اليمنية في صراعها مع الحملات المصرية، بل كان يقابل بكل تقدير واحترام ، مما يدل أن القيادة الرسولية كانت تقدر وتحترم المجتمع المكي الذي يعيش في رحاب أطهر بقعة على وجه الأرض ، وقد كان المجتمع المكي في عهد السلطان عمر بن رسول ينعم بالاستقرار والثراء حتى أن الناس عمّروا المنازل وظهر عليهم النعم [5]في مآكلهم ومراكبهم وملابسهم، وهذا بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بما حظي به المجتمع المكي من رعاية من السلطان عمر بن علي بن رسول .

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج٤،ص٨١ ، ج٥، ص٣٦٤. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٠٢. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٦٢،٦١. فريال قطان : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، ص ٢٥٤.

(٢) قام السلطان عمر بن علي بن رسول بمنع المكوس والضرائب والمظالم التي كانت على أهل مكة ، وكتب أمره على جدار بئر زمزم في المسجد الحرام مقابل الحجر الأسود ، في مسعى لكسب ود السكان بالبلد الحرام . ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٧. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٥٦١.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣، ص١٢٣، ج٥، ص٣٦٤. الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٣٤٣. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٤١٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٥٧. عبد الكريم الخطيب : تاريخ ينبع ، ص٢٣٥.

(٤) المقريزي : السلوك ، ج١، ص٤٣٥. ابن فهد :إتحاف الورى ، ج٣، ص٦٨. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣١١.

(٥) يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٤٢٣.

ومنذ وفاة السلطان عمر بن علي بن رسول ،نستطيع القول إن المجتمع المكي أصيب بنكسات كبيرة جراء التزاعات بين زعماء الأشراف على الإمارة ، حتى أن الحملة التي سيرها الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول في عام ٦٥٢هـ/١٢٥٤م لم يكن لها دور فاعل بسبب قصر المدة التي بقيت بها ،حيث إن الأشراف استطاعوا إخراجها بقوة بالغة في بداية عام ٦٥٣هـ/١٢٥٥م وقد سفكت دماء الناس حيث دار القتال داخل البلد الأمين وفي ساحات المسجد الحرام وبداخله حتى وصل القتل بجوار الكعبة المعظمة ، وقد خاف الناس خوفاً شديداً من جراء كثرة القتل حتى أنهم لم يستطيعوا الصلاة في المسجد الحرام (١)، وبهذا نستنتج أن المجتمع المكي قد نقص عدداً كبيراً من أفراده بسبب القتال الذي حدث في هذه الحملة فكثر عدد الأيتام والأرامل ممن فقدوا آباءهم من جراء القتال ، وبعد خروج من بقي من جنود الحملة اليمنية على قيد الحياة عاد الأشراف إلى منازعاتهم الداخلية مما كان له الأثر الكبير على المجتمع المكي في الجانب الاجتماعي ،فمع كل ثورة من البديهي أن يسقط عدد من القتلى من السكان مما يعني نقص في أفراد المجتمع المكي هذا بالإضافة إلى من يحاول المغادرة إلى مكان آخر .

في عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م قام السلطان الملك الظاهر بيبرس بحملة عسكرية كان لها أثر على استقرار الناحية الاجتماعية لمكة حيث أن السلطان قد أمر الشريفين أبا نمي وعمه إدريس برفع المظالم(٢) عن كاهل الناس من السكان وممن يقدم عليهم من الحجاج والمعتمرين والتجار ، وأعطاهما أموالاً طائلة حتى لا يعودا إلى ظلم الناس من جديد، كما قام بتفرقة الأموال والصدقات هو وأمراء الدولة المملوكية المصاحبين له فعمّ الخير جميع طوائف المجتمع

---

(١) الخزرجي : العقود ، ج١، ص١١٥. الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٤٩، ج٣، ص١٧٦. المقريزي : السلوك ، ج١، ص٤٨٦،٤٨٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٧٦،٧٧. لطبري : الأرج المسكي ، ص١١٩. جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٦٥.

(٢) كان من المظالم التي فرضها أشراف مكة على الناس سواء من السكان أو من غيرهم من الحجاج مضايقة الناس في العبادة في المسجد الحرام ومنعهم الدخول إليه في بعض الأوقات ، أخذهم أموال الناس بغير وجه حق ، وقد انتشر الخوف من الظلم بين الناس حتى أن الحجاج قل عددهم خوفاً مما يحل بهم في مكة من الظلم والتعدي عليهم مما يدل أن المجتمع كان غير مستقراً بسبب تصرفات السلطة وقد تعهد الشريف أبو نمي للسلطان الظاهر بيبرس برفع المظالم عن كاهل الناس والحجاج . ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص٣٥١. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٩٤، ٦٩.

المكي من حكام ومحكومين ومجاورين حيث وصلت صدقاته كل بيت في مكة [(1)] وبهذا نجد أن حملة السلطان بيبرس كانت لها نتائج محمودة وملموسة لدى السكان، ثم أن المجتمع المكي قد انتقل إلى مرحلة جديدة من الحياة المستقرة التي لا تكدرها المظالم والتصرفات السيئة ، وأصبح مجتمعاً منفتحاً يستقبل كل من يقدم عليه وذلك لاستقرار الأوضاع العامة.

لم يلبث المجتمع المكي أن عادت إليه الاضطرابات بعد وفاة السلطان الظاهر بيبرس حيث تعرض المجتمع المكي لمظالم عديدة كانت في مجملها تتعلق بالتعدي على أموال الناس من السكان والتجار والحجاج مما جعل القدوم إلى مكة عسيراً نظراً لما سوف يلحقهم من ظلم وقد أمر السلطان قلاوون بإرسال حملة عسكرية في موسم الحج عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م بهدف تصحيح أوضاع مكة فقدمت الحملة ،وامتنع الشريف أبو نمي عن السماح للحجاج ولجند الحملة بدخول البلد الحرام مما جعل الحملة تفرض حصاراً شديداً عليها ثم استطاعوا اقتحام المدينة بعد فرار أبي نمي وأتباعه منها [(2)]. وعليه فإن المجتمع المكي قد أصيب بالذعر أثناء الحصار لأن نتيجة كل حصار أن يقتحم المحاصرون المدينة ويقومون بالنهب والقتل ، وبهذا يفقد المجتمع عدداً كبيراً من أفراده ، ولكن جنود الحملة التي سيرها السلطان قلاوون لم يتعرضوا للمجتمع المكي بأي أذى مما يدل أنهم كانوا ينفذون أوامر قادتهم بعدم التعرض للسكان ، كما أنهم لم يتعقبوا أبا نمي وأتباعه مما يدل أن الحملة كان هدفها تصحيح الأوضاع العامة بمكة .

في عام ٦٨٧هـ/١٢٨٨م يبدو أن الشريف أبا نمي لم يف بما التزم للسلطة السياسية في مصر بتعهداته السابقة لذا أرسلت السلطة السياسية حملة عسكرية لتأديبه فخرج الشريف أبو نمي إلى خارج البلد مع أتباعه وأخذ يدبر الحيل في استعادة إمارته فاستطاع في نهاية العام أن

---

(١) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٥٤. النويري : نهاية الأرب ، ج٣٠، ص١٦٦. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣، ص٢٥٤. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص٤٤٧. المقريزي : الذهب المسبوك ، ص٨٥.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٥٧. الفاسي : شفاء الغرام ،ج٢،ص ٤٠٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١١٦. الطبري : الأرج المسكي ، ص١٢٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٣٢٢.

يستعيد إمارته [1]. ومن جراء الحملة نجد المجتمع المكي قد أصيب بنكسة كبيرة حيث إن زحف القوات سوف يحدث اضطراباً في المجتمع المكي ،وبعد دخول القوات إلى مكة فقد عاش المجتمع المكي فترة عام كامل وهو في خوف ووجل من الصراع العسكري المرتقب حدوثه ،فأبو نمي خارج البلد يحشد الجند ويجمع الأعوان، فكان الناس يتوقعون اقتحامه في كل وقت ، كما أن تواجد القوات العسكرية بهذه الكثافة في مكة يعني انتزاع عدد كبير من المنازل لكي يقيم بها الجند ويتحصنون بها من أي هجوم وشيك ، وفي نفس الوقت يحتاجون إلى تقديم عدد من الخدمات والتي بطبيعة الحال سوف يقدمها السكان بالقوة ، وبهذا يكون السكان قد عانوا من الوضع المتردي لتواجد القوات وترقب الهجوم .

بعدوفاة أبي نمي اضطربت أوضاع مكة الاجتماعية وذلك بسبب الصراع بين أبنائه على السلطة ، وكان المجتمع المكي في خوف ووجل من القتل والسلب والنهب ، فقد كثر تعدي أتباع الأشراف وخصوصاً من العبيد الذين كانوا في الغالب أتباع لأبناء أبي نمي ، وقد قامت السلطة السياسية في مصر بتسيير حملات عسكرية بهدف تأديب الأشراف ومنعهم من التعدي على الناس ورفع الظلم عنهم ، وفي الوقت الذي تكون الحملة نافعة للمجتمع المكي حيث ترفع عنه الظلم فترة بسيطة من الزمن كان خروجها من مكة يعني عودة الأزمات الاجتماعية من جديد فيعود الأشراف الذين قد أخرجتهم قوات الدولة من مكة وأتباعهم، فيسومون الناس الظلم والتعدي عليهم بغير وجه حق [2].

ومن الواضح أن المجتمع المكي قد نقص عدد أفراده جراء هذه الأزمات فمن غير المعقول أن يبقى في مكة من يخاف على نفسه وماله وله استطاعة أن يخرج ويلتجئ إلى منطقة أخرى سواء قريبة أو بعيدة يجد فيها الأمن وقد كان غالب الناس يخرجون إذا أحسوا بالخطر من الحملات العسكرية إلى وادي نخلة بحيث لا يبقى بالمدينة المقدسة إلا من لايستطيع الخروج ؛ ومن أمثلة ذلك في عام ٧٣١هـ/١٣٣٠م خرج الناس إلى وادي نخلة والقرى المجاورة

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص١٥٣،ج٣، ص٢٨٤. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٢٠٨. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١١٩. ابن فهد :غاية المرام ،ج٢، ص١١٧.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص٤٠٧. الفاسي : العقد ، ج٣، ص٤٤٧،٤٤٦،ج٤،ص١٠٢. المقريزي : السلوك ، ج٢، ص٤٨٨، ٤٩٧. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٤٦، ١٥٠، ١٤٨. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٢٠،٦١٩.

خوفاً من جنود الحملة العسكرية التي أرسلتها السلطة السياسية في مصر بعد حدوث الخلاف بينها وبين الشريفين عطيفة ورميثة [1].

وقد كان لبعض الحملات العسكرية دور إيجابي في تحسين الوضع الاجتماعي بالقضاء على المفسدين والخارجين على السلطة ، ويدلنا على هذا أن الحملة العسكرية التي سيرتها السلطة السياسية في مصر عام ٧١٨هـ/١٣١٨م أمرت بمنع حمل السلاح بمكة ، وقامت بإخراج المفسدين من البلد ،ونادت بالعدل [2] ، وبهذا نستطيع القول إن المجتمع المكي قد عانى من الخوف والنهب والقتل ، والجور وهذه الأمور كفيلة بأن تجعل أي مجتمع متفككاً ينهب بعضه بعضا ويقتل بعضه بعضا لذا كان دور الحملة العسكرية كبيراً في إصلاح المجتمع

وعندما حج السلطان الناصر في عام ٧١٩هـ/١٣١٩م قابله الأهالي والمجاورون والتجار[3]، وطلبوا منه أن يبقي فرقة من الجند تحميهم من أي اعتداء [4] مما يدل أنهم كانوا يعانون الأمرين من القتل والنهب في كل هجوم تتعرض له مكة .

وقد كان للجند الذين تتركهم الدولة في البلد الحرام بعد قيام الحملات العسكرية بدورها لتحقيق أهدافها دور في استقرار المجتمع المكي ، حيث إن قوة الدولة لها تأثير كبير على هذا الجانب فمن ذلك أنه في عام ٧٦٠هـ/١٣٥٨م عندما أرسلت الحكومة المصرية حملة عسكرية لتصحيح الوضع المضطرب من جراء الخلافات المستمرة بين عجلان وأخيه ثقبة ابني الشريف رميثة ، أمرت الحكومة المصرية بأن تبقى الحملة العسكرية في مكة لمدة عام كامل حتى تتسلم منها البلاد حملة عسكرية أخرى ،وقد أمر أمير الحملة بمنع حمل السلاح في البلد ، وكان لهذا الإجراء أثره على المجتمع المكي حيث اختفى من المجتمع المكي حاملو السلاح الذين كانوا يجعلون المجتمع المكي في حالة من الخوف من القتل والنهب والتعدي على

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤، ص١٠٦.ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٩٤.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣،ص٤٥٠. المقريزي : السلوك ، ج٣، ص١٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٥٩. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٥.

(٣) في عام ٧٢٠هـ اقتحم الشريف حميضة مكة المكرمة وقتل جماعة من أهلها ومن المجاورين بها .الفاسي : العقد الثمين ،ج ٣، ص٤٥١. ابن فهد :غاية المرام ،ج٢، ص٦٥.

(٤) الفاسي : العقد ،ج٣،ص٤٥١، ج٥، ص٢١٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص١٦٣. ابن فهد :غاية المرام ، ج٢، ص٦٦. المقريزي : السلوك ،ج٣، ص٢٥. العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص٢٤٦.

المحرمات ، و انقمع المفسدون ، وزال خطرهم وعاد الناس إلى مزاولة أعماله في البيع والشراء وجلب الأقوات للاستقرار المجتمع المكي [1] ، وقد كان المجتمع المكي قبل هذه الحملة عبارة عن فئتين : فئة حاملي السلاح وهم عادة أتباع الأشراف الذين يشكلون جنوداً مرتزقة ، والمفسدين من العاطلين الذين يعيشون بقوهم وشهر سلاحهم في وجوه الناس ، والفئة الأخرى تتكون من العامة والعباد وأهل العلم ، وأصحاب الحرف والتجار ، وهؤلاء هم فريسة الفئة السابقة ، لذا كان لقيام الحملة العسكرية بتطبيق نظام منع حمل السلاح فقد جعلت من المجتمع المكي مجتمعاً مسالما مستقراً يسود فيه احترام الآخرين .

ومع أن وجود الحاميات العسكرية بالبلد الحرام له دور إيجابي على الناحية الاجتماعية إلا أنه في بعض الأحيان يكون له دوراً سلبياً وذلك أنهم يشكلون شريحة اجتماعية لها من القوة والنفوذ ما جعل بعض أفرادها يعتدى على سكان البلد الحرام ويحدث منهم تصرفات تدل على اعتمادهم على القوة والنفوذ، وخصوصاً إذا فقد الجند القيادة الحازمة لهم من قبل بعض أمرائهم ، من ذلك أنه في عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م ظهر من الجند المماليك شر كثير على السكان ، وأفسدوا بالبلد الحرام ، وذلك بالتعدي على الناس وظلمهم وكان من أسباب ذلك وفاة قائدهم الأمير جانبك السيفي[2] مما جعلهم يتصرفون على أهوائهم[3] ، وقد كان بعض الجند يتعدون على أعراض الناس مما يدل على ضعف الناحية الدينية لدى بعضهم من ذلك أنه في الرابع من جمادى الآخرة عام ٨٤٩هـ/١٤٤٥م، وجدت طفلة مقتولة بميضأة بمكة ، واهم بقتلها أحد جنود الحامية المملوكية لأنه قد هدد والدة الطفلة بقتل ابنتها إذا لم تستجب له عندما راودها عن نفسها [4] . وبهذا نستطيع القول إن بعض جنود الحملات العسكرية كانوا يشكلون خطراً على بعض السكان ، وأن ردعهم عن التعدي كان ضعيفاً

---

(١) الفاسي : الشفاء ، ج٢، ص٤١٩. الفاسي : العقد الثمين ، ج٢، ص٢٦٣. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٢٧٦. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٥٧. الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ،ج١، ص ١٥٨. الكردي : التاريخ القويم ، ج٢، ص٢٢١.

(٢) هو الأمير جانبك السيفي يلقب بالثور ، كان أمير الترك بمكة ولي نيابة جدة ، كان أحد أمراء الطبلخاناه مات بمكة في الحادي عشر من شهر شعبان سنة ٨٤١هـ. السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣، ص٥٦.

(٣) المقريزي : السلوك ، ج٧، ص٣٧٢.

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص ٢٤٣.

من قبل أمرائهم ، لأنه أمير الحامية المملوكية الأمير كزل [1] قبض على الجندي المتهم بقتل الطفلة وقام بضربه وسجنه وعندما لم يعترف أمر بإطلاقه[2] ،دون أن يتم عرض القضية على القضاء أو الشريف مما يدل على عدم مبالاة الجند بالسلطة ، وأن هذه الشريحة الاجتماعية لا تخضع لسلطة الشرع .

وفي عام ٨٧١هـ/١٤٦٦م كثر تضرر السكان بالبلد الحرام من تعدي بعض الجند المماليك عليهم حتى وصل الأمر بتعدد شكوى الناس إلى السلطة السياسية في مصر، مما يدل على كثرة الأذى الذي لحق بالناس، فاتخذت قراراً حاسماً ضد هذه التجاوزات فأمرت الشريف محمد بن بركات بالقبض على الأمير جان بلاط [3] الذي ثبت لديها أنه المحرض للجند المماليك في التعدي على الناس ونفيه إلى الهند، وأمرت بالقبض على كل جندي يتعدى على السكان بأذى وإرساله إلى مصر تحت الحراسة [4]. مما يدل أن السلطة السياسية في مصر كانت غير راضية عن تصرفات الجند المماليك ، وأن الجند المماليك كانوا يشكلون شريحة اجتماعية متسلطة على السكان عامة .

وقد كان جنود الحاميات العسكرية يشكلون دعماً قوياً لمن يستوطن مكة من المصريين مما يدل أن المجتمع المكي كان يعاني من تصرفاتهم ،فيشكلون بدعمهم تميزاً لشريحة اجتماعية ضد الشرائح الأخرى ، يدل على هذا موقفهم من الباعة المصريين الذين استوطنوا البلد الحرام وجلسوا في الأسواق عام ٨٤٣هـ/١٤٣٩م وأخذوا يضايقون المكيين في كسب أرزاقهم معتمدين على جنود الحامية المملوكية مقابل بعض المال حتى وصل الأمر أن تدخلت

---

(١) هو الأمير كزل السودوني المعلم ، ترقى في المناصب وقربه السلطان الأشرف برسباي ،كان أحد أمراء العشرات ثم رأس نوبة ، جعله السلطان أميراً على الجند بمكة ، كان شهماً ، محتشماً شجاعاً ، توفي سنة٨٦٥هـ . ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج٢، ص٥٥٧. السخاوي : الضوء اللامع ، ج٦،ص٢٢٩.

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص٢٤٣.

(٣) هو الأمير جان بلاط بن يشبك الأشرفي أبو النصر كان من مماليك الأشرف قايتباي ، رقاه إلى أن جعله أميراً للحاج المصري أكثر من مرة ، جعله الناصر محمد بن قايتباي دويداراً كبيراً سنة ٩٠١هـ ، ثم عزله ، تولى السلطنة سنة ٩٠٥هـ ، واستمر ستة أشهر وثمانية عشر يوماً فخلع وسجن حتى توفي في السجن سنة٩٠٦هـ الزركلي : الأعلام ، ج٢،ص١٠٧.

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤، ص٤٧٠.

السلطة السياسية في مصر وأمرت بإخراج الباعة المصريين من البلد الحرام [1]، مما يدل أن شكوى السكان من تصرفات الجند والباعة قد وصلت إلى السلطة السياسية في مصر. وهذا أيضاً يدل على أن جند الحملات العسكرية كانوا بمعزل عن المجتمع المكي يساندون كل من له صلة بهم ضد السكان بالبلد الحرام ،فيشكلون بقوهم دعماً قوياً من الصعوبة على السكان الوقوف ضدهم لذا كانت شكواهم تصل إلى السلطة السياسية في مصر تطالب بإيقاف تعديهم على المجتمع المكي .

كان من آثار الحملات العسكرية على المجتمع المكي أن الاستعداد الذي يتخذه الأمراء المستهدفين من قبل الحملات يشكل ضغطاً اجتماعياً كبيراً على البلد الحرام وذلك لكثرة الأتباع الذين يستنجد بهم الأمراء المستهدفون من رجال البادية لمواجهة الحملات العسكرية مما يجعل المجتمع المكي يتحمل معاناة كبيرة ، ومن ذلك مثلاً عندما قررت السلطة السياسية في مصر تنحية الشريف حسن بن عجلان عن الإمارة ، وأرسلت حملة عسكرية لتنفيذ هدفها عام ٨١٢هــ/١٤٠٩م جمع الشريف لمواجهة الحملات عدداً كبيراً من الأتباع وكان غالبهم من رجال البادية المحيطين بمكة وقد وصل عدد رجال البادية الذين قدموا لمساعدة الشريف حسن (٤٠٠٠)[2] رجل وهذا عدد كبير جداً له أثره على المجتمع المكي من ناحية الحرية في ممارسة أعمالهم ، وحاجة هذا العدد من الجيش لخدمات المأكل والمشرب والمسكن يتحملها سكان البلد الحرام[3] .

في عام٩٠٦هــ/١٥٠٠م تعرض المجتمع المكي لهزة اجتماعية كبيرة جداً أثرت على جميع طوائفه، وذلك بسبب الخلاف بين أبناء الشريف محمد بن بركات على تولي إمارة مكة

---

(١) المقريزي : السلوك ، ج٧، ص٤٤٩. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣، ص٣٥.

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٤٢٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٤٦٩. الجزيري : الدرر ، ج١، ص٦٩٠. السنجاري : منائح الكرم ، ج٢، ص٤١٠.

(٣) كان من أثر ذلك أن رجال البادية الذين جمعهم الشريف حسن تعرضوا للحجاج في طريق منى واعتدوا عليهم ونهبوا وقتلوا عدداً منهم بعد ما عرفوا أن المواجهة مع الحملة قد فشلت و لم يستجيبوا لطلب الشريف حسن بكف أذاهم عن الحجاج . الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢، ص٤٢٦. ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣، ص٤٦٩.

،وقد عانى المجتمع المكي خلال هذه الفترة من القتل والنهب والسلب ، والخوف والجوع [1] ما الله به عليم ، وفي عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م أرسلت السلطة السياسية في مصر حملة عسكرية ،وعندما وصلت أخبار قدوم الحملة إلى مكة تفاءل الناس بمكة خيراً ، وذلك أن الشريف جازان قد خرج بقواته التي عاثت في البلد نهباً وقتلاً وسلباً وقد كانوا عدداً كبيراً مما يدل أن المجتمع المكي قد تعرض لضغط اجتماعي كبير فكان أتباع جازان يشكلون جيشاً محتلاً ، لأن عامتهم كانوا من قبائل ينبع من بني إبراهيم ، وقبائل زبيد أخوال الشريف جازان ، وبعض أفراد من القبائل البدوية الأخرى الذين كانوا يشكلون في عامتهم جنداً مرتزقة تعيش على موارد المجتمع المكي [2].

وقد سعد السكان بسماع أخبار قدوم الحملة المصرية التي سوف تعيد الأمور إلى نصابها وتريحهم من ظلم جازان وأتباعه ، ولكن ما لبث أن تحول هذا الفرح ترحاً، وذلك أن أمير الحملة العسكرية قد اتفق مع الشريف جازان وأنصاره على تنصيبه أميراً على مكة مقابل مبالغ مالية ، وقدم إلى مكة واستطاع أن يقبض على الشريف بركات بن محمد وأخوته الموالين له بدون عناء ، ومع هذا فقد أصيب المجتمع المكي بحالة من الذهول لتصرف الأمير الشريف بركات ، وانتشر الخوف والفزع بين سكان مكة من جنود الحملة العسكرية ومما سوف يعانوه من جند جازان إذا قدم إليهم أميراً بعد رحيل الحاج [3] ، وقد كان تصرف أمير الحملة سبباً في اضطراب الناحية الاجتماعية للمجتمع المكي، الذي أصبح في منتهى الخوف، فقد ترك كثير من أهل مكة الحج بسبب الخوف على أنفسهم وأموالهم، وكان

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١١٧١ ، ١١٩٨ ، ١٢١٦، ١٢٣٠١، ١٢١٧، ١٢٤٠، ١٢٤٦. ابن فهد : غاية المرام ، ج٣، ص١٢١، ١٢٥. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨١. ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص٣٥، ٤٨.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ،ج٢، ص١٢٦٩.

(٣) كان الكثير من أهل مكة قد عزموا على الرحيل منها عندما دخل الشريف جازان مكة بعد إخراج أخيه الشريف بركات في أوائل عام٩٠٨هـ فكان بعضهم قد قرر السفر إلى المدينة المنورة ، وعدد من المجاورين قد عزموا على السفر بحراً والعودة إلى ديارهم وأعدوا لهذا ٤٠مركباً للسفر من مدينة جدة ، وعندما علم الشريف جازان بخبرهم أمر بنهب كل من عزم على الرحيل من مكة ، فترك الناس السفر وقرروا الاستسلام لقدر الله ، وهذا يدل على مدى ما وصلت إليه الأمور في مكة من التردي والخوف والفزع على النفس والمال والأهل . ابن فهد : بلوغ القرى ، د٢، ص١٢٣٨. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٦.

الحجاج مع وجود الحملة في خوف من قطاع الطرق بين المشاعر المقدسة مما يدل أن جند الحملة كان همهم الوحيد حراسة الأشراف المسجونين ،فلم يهتموا بأمر اللصوص والمفسدين الذين كانوا يحيطون بالمجتمع المكي من كل ناحية [(١)] ، وبعد سفر الحملة العسكرية في التاسع من شهر محرم سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م ترك كثير من أهل مكة والمجاورون منازلهم، وخرجوا إلى جدة بقصد السفر ، فسافر أغلب الناس إلى مصر واليمن والهند [(٢)] وهذا يدل على تخوف الناس من تردي الأوضاع بعد عودة الشريف جازان إلى مكة بصحبة أتباعه ، وهذا ما حدث فعلاً فما أن عاد جازان حتى عاد معه أعداد غفيرة من أنصاره وخصوصاً من قبيلة زبيد، فكان أفراد هذه القبيلة ينهبون أمتعة الناس وعبيدهم ، وكانوا في صدام مستمر مع الحامية المملوكية التي كانت ترابط في مكة ، مما يدل أن نفوذهم كان قوياً على السلطة في مكة [(٣)]، وبهذا نستطيع القول إن الحملة المصرية لم تحقق ما يؤمله المكيون من استقرار اجتماعي، بل زادت من تردي الأوضاع الاجتماعية فقد نقص عدد أفراد المجتمع المكي ،وكثر به الأيتام والأرامل وقل به أصحاب الثراء ، وكثر بهم قطاع الطرق والمرتزقة من أفراد جميع القبائل البدوية المحيطة بمكة مثل قبيلة هذيل وبني شعبة وخصوصاً القبائل الموالية للشريف جازان مثل قبيلة زبيد وبني إبراهيم وغيرهم [(٤)] .

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ،ج٢، ص١٢٦٩، ١٢٧٣ـ١٢٨٤. ابن فهد : غاية المرام ،ج٣، ص١٤٤،٧-١٤٨. الجزيري : الدرر ، ج٢، ص٧٨٦. السنجاري : منائح الكرم ، ج٣ ، ص١٣٥. العصامي : سمط النجوم العوالي ،ج٤، ص٣١٥.

(٢) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٨٥.

(٣) المصدر السابق : ج٢، ص١٢٩٨.

(٤) ابن فهد : بلوغ القرى ، ج٢، ص١٢٩٨،١٢٥٣،١٢٤٦.

الخاتمـــــة :

بفضل من المولى عز وجل حاولت جاهداً أن ألم بالثورات الداخلية والحملات العسكرية الخارجية على مكة المكرمة وأثرها على الأوضاع العامة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي منذ عام ٥٧٠هـــ/١١٧٤م إلى عام ٩٢٣هـــ/١٥١٦م ، ومن خلال الدراسة التي شملت جميع الجوانب التي ظهرت مصاحبة للثورات الداخلية والحملات العسكرية الخارجية نستطيع أن نستخلص النتائج التالية :

١- ضعف موارد الحجاز الطبيعية جعلت أمراءه ينضمون اسمياً إلى الكيانات السياسية التي تقدم لهم مساعدات مالية وغذائية كبيرة ،ولهذا كان ولاؤهم يتذبذب بين تلك الوحدات مما أدى إلى قيام نزاعات بين الوحدات السياسية على تبعية الحجاز .

٢- عدم وضع قاعدة نظامية لولاية العهد لدى أمراء مكة المكرمة سهل قيام النزاعات وظهور الثورات بين أبناء الأمراء بعد وفاتهم مما كان له الأثر الكبير على جميع الجوانب في الحياة في مكة المكرمة .

٣- كثرة الصراعات بين الأشراف في مكة المكرمة على منصب الإمارة أدى إلى ضعف اهتمامهم بالجوانب الأخرى التي تعتبر ضرورية لسكان مكة المكرمة وزوارها ، مثل توفير المياه والاهتمام بالتعليم ، وعمارة المسجد الحرام وغيرها .

٤- كثرة الصراعات بين أشراف مكة المكرمة أدت إلى تدخل الكيانات السياسية في ذلك العصر في الشؤون الداخلية لإمارة مكة المكرمة فأصبح كل أمير يميل إلى وحدة سياسية تسانده في نيل مراده من إمارة مكة المكرمة .

٥- قدوم الحملات العسكرية إلى مكة المكرمة وبقاء بعض جنودها أوجد شريحة اجتماعية من السكان تتميز بشيء من السلطة على المجتمع المكي .

٦- تركيز اهتمام أمراء مكة المكرمة على ما يفد إليهم من الهبات والعطايا جعلهم يهملون تنمية موارد البلاد وخصوصاً من الزراعة ويتهاونون في استصلاح ما يتلف منها .

٧- كثرة الهبات والعطايا والصدقات التي كانت تفد إلى مكة المكرمة أدت إلى وجود شريحة من العاطلين عن العمل همهم انتظار الصدقات والهبات من الخارج .

٨- تركيز أمراء مكة المكرمة في بذل الهبات والعطايا على شريحتي الأشراف والقواد أدى إلى وجود قوتين عسكريتين كانتا خطراً على إمارة مكة المكرمة ، ومرهقة لمواردها .

٩- اعتماد أمراء مكة المكرمة على شريحتي الأشراف والقواد في مهامها العسكرية جعلهم رهناً لهاتين الشريحتين فأصبح لهما دور في اختيار الأمير من الأسرة الحاكمة .

١٠- عدم وضع قوات نظامية وتدريبها جعل إمارة مكة المكرمة عاجزة عن دفع الأخطار التي تحدق بزوار مكة المكرمة في موسم الحج ،وعن سكانها في وقت الأزمات .

١١- نظام الحياة الذي اتبعه أشراف مكة المكرمة في البقاء خارج مكة المكرمة في أغلب الأوقات والحياة في الضواحي القريبة منها جعلهم بعيدين عن معاناة السكان ومتطلباتهم .

١٢- تعرض أشراف مكة المكرمة لحجاج بيت الله الحرام بفرض الضرائب والمكوس أفقدهم ثقة ملوك وسلاطين العالم الإسلامي ، كما أفقدهم حب واحترام حجاج بيت الله وسكانه .

١٣- تعرض أشراف مكة المكرمة للتجار بأخذ نصيب من أموالهم عند نجاح كل شريف في ثورته أو استرداده لأمارة مكة المكرمة أثر بدرجة كبيرة على اقتصاد مكة المكرمة .

١٤- مناصبة أمراء مكة المكرمة للقبائل العربية في شبه الجزيرة العربية العداء ،ومهاجمتها بين الحين والآخر ، واقتسام أموالها جعل هذه القبائل تشكل خطراً يتهدد إمارة مكة المكرمة في كل حين .

١٥- عدم الاهتمام بالناحية الدينية ونشر تعاليم الدين الصحيح بين القبائل البدوية القاطنة على طريق الحجاج جعلها تشكل خطراً على حجاج بيت الله الحرام ومن ثم تأثرت جوانب أخرى لمكة المكرمة .

١٦- ترك أمراء مكة المكرمة لأتباعهم من العبيد والجند الحرية في التعدي على الناس وممتلكاهم أدى إلى نشوب صراعات كانت وبالاً على إمارة مكة المكرمة والسكان عموماً.

١٧- انشغال أمراء مكة المكرمة بالثورات الداخلية بينهم أدى إلى عدم وضع نظام أمني لحماية حجاج بيت الله الحرام مما جعل حجاج بيت الله جميعاً صيداً سهلاً للصوص وقطاع الطرق ، وأدى إلى تعطيل أداء الشعائر في مواسم عديدة .

١٨- مصاهرة أمراء مكة المكرمة لبعض القبائل الكبيرة في شبه الجزيرة العربية أدى إلى تدخلها في الصراع السياسي في الإمارة فكان لها شأن كبير في ميزان القوى المتنازعة على الإمارة .

١٩- التنافس بين بني الحسن أمراء مكة المكرمة وبني الحسين أمراء المدينة المنورة ورغبة كل منهما السيطرة على إمارة الآخر وهذا أدى إلى ضعف السلطتين في مواجهة التدخل الخارجي لهما .

٢٠- الأخذ بمبدأ الشراكة في منصب الإمارة في مكة المكرمة كان سبباً رئيساً في نشوء العديد من الخلافات بين الشريكين التي تنتهي عادة بالصراع بينهما مما يؤثر على الحياة العامة لمكة المكرمة .

٢١- اتخاذ سلاطين المماليك لمبدأ السجن لعدد من أمراء البيت الحاكم جعل البعض منهم يولي وجهته إلى كيانات سياسية أخرى لمساعدته في تحقيق أهدافه مما سهل التنافس الخارجي بين السلطات السياسية الخارجية على مكة المكرمة .

٢٢- تركيز الخلافة العباسية و سلاطين بني أيوب ، وبني رسول و المماليك على استغلال موسم الحج لتحقيق أهدافهم السياسية في مكة المكرمة وهذا جعل موسم الحج مسرحاً لصراعات عسكرية أدت في أغلبها إلى تضييع موسم الحج على الحجاج وتعذر أداء النسك .

٢٣- التباين في سياسية السلاطين بين أمراء مكة المكرمة جعل تمرد أغلبهم محتملاً وخصوصاً إذا نقصت موارده المالية المعتادة .

٢٤- أدت كثرة الثورات الداخلية والحملات العسكرية على مكة المكرمة إلى نقص كبير في سكان مكة المكرمة ، وذلك لكثرة عدد القتلى ،وما يتعرض له الناس من نهب لأموالهم وأمتعتهم .

٢٥- التنازع بين أمراء مكة المكرمة على السلطة أفقدهم جزءاً كبيراً من مواردها من التجارة فأصبح لدولة المماليك نواباً يجمعون حصيلة الدولة من هذا المورد وينقل إلى مصر .

٢٦- أدى تصرف بعض أمراء مكة المكرمة مع التجار في بعض السنين إلى حدوث أزمات اقتصادية كان لها مردود سيء على أحوال الناس في مكة المكرمة .

٢٧- أدى تنافس أمراء البيت الحاكم في مكة المكرمة إلى ظهور مبدأ شراء المنصب من السلطة في مصر فأصبح الأمير الذي يتكفل بدفع مبلغ أكثر من منافسه للسلطة يدعم في حصوله على منصب أمارة مكة المكرمة .

٢٨- أدى التنافس بين قيادات العالم الإسلامي على مكة المكرمة في بعض السنين إلى رخاء اقتصادي لسكان مكة المكرمة بسبب ما يغدقه كل طرف على السكان من هبات وعطايا .

٢٩- تبين من خلال الدراسة أن أشراف مكة المكرمة لم يهتموا بأمر المذهبية الدينية في مكة المكرمة بشكل كبير فكانوا على المذهب الزيدي فلم يحاولوا فرضه على الناس الذين كان معظمهم على المذهب الشافعي ، وكانت مظاهر المذهب الزيدي تظهر حيناً وتختفي حيناً آخر بسبب رغبة السلطة السياسية في مصر .

٣٠- لم يهتم أمراء مكة المكرمة بشكل كامل بمسألة تولية المناصب الدينية في البلد الحرام لأصحابها فكانت السلطة السياسية في مصر هي التي تعين وتعزل متى شاءت .

٣١- كانت دولة المماليك هي صاحبة اليد الطولى في بسط سيادتها من بين قيادات العالم الإسلامي على مكة المكرمة لتلاشي قوة الدولة الرسولية ، وضعف الدولة العباسية وانهيارها.

هذا وبعد العرض لأهم نتائج الدراسة أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في تتبع الثورات الداخلية والحملات العسكرية على مكة المكرمة وأثرها على الأوضاع العامة في العصرين الأيوبي والمملوكي .

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : المخطوطات :

الهندي : عبد الله بن محمد غازي (ت ١٣٦٥هـ).

١- إفادة الأنام بأخبار البلد الحرام ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي ،مصور على فيلم برقم ٢٧٤٣.

ثالثاً : المصادر المطبوعة :

ابن الأثير : علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠هـ) .

١- الكامل في التاريخ ، ط٣، ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ١٤٠٠هـ.

ابن إياس : محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت٩٣٠هـ) .

٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ.

ابن تغري بردي : جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٢هـ).

٣- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، تحقيق محمد كمال الدين ، عالم الكتب ، ط١، ١٤١٠هـ.

٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

٥- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين ،ط بدون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م.

ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت ٦١٤هـ).

٦- رحلة ابن جبير ، ط بدون.دار بيروت للطباعة والنشر ،١٤٠٤هـ.

ابن الجوزي : جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ).

٧- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ،تحقيق سهيل زكار، ط بدون ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٥هـ.

ابن حجر : أحمد بن علي العسقلاني ، (ت ٨٥٢هـ).

٨- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** ، ط بدون ، دار إحياء التراث العربي .

ابن حوقل:أبو القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ).

٩- **صورة الأرض** ، ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة.

ابن خلدون، عبد الرحمن: (ت ٨٠٨) .

١٠- **تاريخ ابن خلدون** (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ،تحقيق خليل شحادة،دار الفكر للطباعة والنشر،ط١،١٤٠١هـ.

ابن خلكان ، أحمد بن محمد: (ت٦٨١هـ).

١١- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، ،ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٩هـ .

ابن سلام ، القاسم : (ت ٢٢٤هـ).

١٢- **الأموال** ، تحقيق محمد خليل هراس ، ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٦هـ.

ابن ظهيرة : جمال الدين محمد بن جار الله القرشي (ت٩٨٦هـ).

١٣- **الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف** ،ط١ ، مكتبة الثقافة ، ١٤٢٣هـ.

ابن عبد الظاهر : محيي الدين عبد الله (ت ٦٩٢هـ).

١٤- **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر** ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ،ط ١، الرياض.

ابن عباد : إسماعيل (ت ٣٨٥هـ).

١٥- **المحيط في اللغة** ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ .

ابن العماد : عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ).

١٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،

ابن فهد : جار الله محمد بن عبد العزيز بن عمر الهاشمي (ت٩٥٤هـ).

١٧- حسن القرى في أودية أم القرى ، تحقيق الدكتور علي عمر، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤٢٢هـ ، بور سعيد ، مصر .

ابن فهد : عز الدين عبد العزيز بن عمر (ت ٩٢٢هـ).

١٨- غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، ط ١ ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث ، مكة المكرمة ، ١٤٠٦هـ.

١٩- بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق : صلاح الدين بن خليل إبراهيم ، عبد الرحمن أبو الخيور ، عليان المحلبدي ، دار القاهرة ، القاهرة.

ابن فهد: عمر بن محمد بن فهد (ت٨٨٥هـ).

٢٠- إتحاف الورى بأخبار أم القرى ،ط١، مركز إحياء التراث الإسلامي ،مكة المكرمة ١٤٠٤هـ .

٢١- الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق عبد الملك بن دهيش ، ط١، ١٤٢١هـ ، دار خضر للطباعة والنشر ، بيروت.

ابن القيم : محمد بن أبي بكر (ت٧٥٢هـ).

٢٢- زاد المعاد في هدي خير العباد ،تحقيق :محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية

ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ).

٢٣- البداية والنهاية ، ، ط بدون ، دار الفكر .

ابن المجاور : يوسف بن يعقوب بن محمد (ت٦٩٠هـ).

٢٤- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر ، صححها وضبطها أوسكر لوفغرين ، مطبعة بريل ، لندن ، ١٩٥١م.

ابن منظور : محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ).

٢٥- لسان العرب ،ط١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان، ١٤١٩هـ.

ابن واصل :جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت ٦٩٧).

٢٦- **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** ، تحقيق جمال الدين الشيال ،ط بدون الإسكندرية .

ابن الوردي : زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ).

٢٧- **تاريخ ابن الوردي** ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٩هـ.

الأزرقي : أبو الوليد محمد بن عبد الله (ت٢٤٤هـ).

٢٨- **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار** ،تحقيق ، رشدي الصالح ملحس ،ط ،مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ.

أبو شامة : شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ).

٢٩- **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية** ، تحقيق إبراهيم الزيبق، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٨هـ.

٣٠- **تراجم رجال القرنين السادس والسابع ((الذيل على الروضتين))** ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، ط١، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤م.

أبو عنبة الأصغر: أحمد بن علي بن حسين (ت ٨٢٨هـ).

٣١- **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب** ،ط ١،مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤٢١هـ.

أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت٧٣٢هـ).

٣٢- **المختصر في أخبار البشر** ، دار المعرفة ، بيروت .

٣٣- **تقويم البلدان** ،ط بدون ، دار صادر ، بيروت.

البروسي ، محمد بن علي :(ت ٩٩٧هـ).

٣٤- **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك** ، تحقيق المهدي عيد الرواضية ، ط١، دار الغرب الإسلامي .

البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ) .

٣٥- **الفرق بين الفرق** ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، ١٤١٩هـ.

التجيبي ، القاسم بن يوسف :(ت ٧٣٠هـ).

٣٦- مستفاد الرحلة والاغتراب ، تحقيق عبد الحفيظ منصور ،ط بدون ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا .

الجزيري : عبد القادر بن محمد (ت٩٧٧هـ).

٣٧- درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ،ط١، دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠٣هـ.

الحربي أبو إسحاق:

٣٨- المناسك وطرق الحج ومعالم الجزيرة ،تحقيق حمد الجاسر ، دار اليمامة ، الرياض ،١٣٨٩هـ.

الحموي : ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ).

٣٩- معجم البدان ، ط١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٤١٧هـ .

الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت٧٢٧هـ).

٤٠- الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط بدون ، مكتبة لبنان.

الخزرجي : علي بن الحسين (ت ٨١٢هـ).

٤١- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق محمد بسيوني عسل ، مطبعة الهلال مصر،١٣٢٩هـ

الذهبي: محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ).

٤١- سير أعلام النبلاء ، ط١١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧هـ.

٤٢- تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام ، ط ١، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ،١٤١٧هـ .

٤٣- العبر في خبر من غبر ، حققه أبو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

سبط ابن الجوزي : شمس الدين بن المظفر يوسف التركي (ت ٦٥٤هـ).

٤٤- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ط ١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرأباد، ١٣٧٠هـ

السبكي : تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ).

٤٥- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق / محمود الطناحي ، عبد الفتاح الحلو،ط بدون ، دار إحياء التراث العربي .

السخاوي : محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ).

٤٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،ط بدون ، دار الجيل ، بيروت .

السمهودي : علي بن أحمد (ت ٩١١هـ).

٤٧- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، ط ٤، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٤٠٤هـ.

السنجاري : علي بن تاج الدين (ت ١١٢٥هـ).

٤٨- منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ،ط١، ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ١٤١٩هـ.

السويدي: محمد أمين (ت ١٢٤٥هـ).

٤٩- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ.

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ).

٥٠- تاريخ الخلفاء ، ط١ ، دار الفكر، بيروت.

الشهرستاني : محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ).

٥١- الملل والنحل ، تحقيق عبد اللطيف محمد العبد ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

الصفدي : صلاح الدين خليل (ت٧٦٤هـ).

٥٢- الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرنأووط ،تركي مصطفي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،١٤٠٢هـ.

الطبري : أحمد بن عبد الله (ت ٦٩٤هـ).

٥٣- القرى لقاصد أم القرى ، ط٢، دار الفكر ، ١٤١٣هـ.

الطبري : علي بن عبد القادر (ت١٠٧٠هـ).

٥٤-الأرج المسكي في التاريخ المكي ،ط١،المكتبة التجارية ، مكة المكرمة.

الطبري : محمد بن علي (ت ١١٧٣هـــ).

٥٥- إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن ، ط١ ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة.

العصامي : عبد الملك بن حسين (ت ١١١١هـــ).

٥٦- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـــ.

العيني : بدر الدين (ت ٨٥٥هـــ).

٥٧- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق عبد الرزاق الطنطاوي ، ط ١، الزهراء للإعلام العربي ،١٤٠٩هـــ.

الفاسي ،تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت ٨٣٢هـــ).

٥٨- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٩هـــ.

٥٩- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،ط٢، ، مطبعة النهضة الحديثة ، ١٤٢٠هـــ.

الفاكهي : محمد بن إسحاق (ت ٢٨٢هـــ).

٦٠- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق د عبد الملك بن دهيش ، ط ٣، دار خضر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٩هـــ،

الفيروزآبادي : محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـــ).

٦١- القاموس المحيط ، ط بدون ، دار الفكر ، بروت ، لبنان ، ١٤١٥هـــ

القلقشندي ، أحمد بن علي (ت٨٢١هـــ).

٦٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ط ١، ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ١٤٠٧هـــ.

مسلم الإمام : أبي الحسين بن الحجاج (ت ٢٦١هـــ).

٦٣- صحيح مسلم ، ، ط ٢،كتاب البر والصلة والآداب ،باب تحريم الظلم ، ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،١٤٢٤هـــ.

المقري : أحمد بن محمد (ت ٧٧٠هـــ).

٦٤- **المصباح المنير** ، ط١، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٧هـ .

المقدسي :شمس الدين (ت٣٨٠هـ).

٦٥- **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، ط بدون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ١٤٠٨هـ.

المقريزي : أحمد بن علي (ت ٨٥٤هـ).

٦٦- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ، تحقيق خليل منصور ،ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م.

٦٧- **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك** ، ط بدون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٥م.

٦٨- **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٤١٨هـ.

المنصوري : الأمير ركين الدين بيبرس (ت٧٢٥هـ).

٦٩- **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة** ، تحقيق : دونالد س ، ريتشاردز ، ط١، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت ١٤١٩هـ.

النهروالي : محمد بن أحمد (ت٩٩٠هـ).

٧٠- **الأعلام** ، تحقيق هشام عطا ، مكتبة مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، ط ١، ١٤١٦هـ.

النويري : أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ).

٧١- **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، تحقيق فوزي العنتيل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٥هـ.

الهمداني : الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت٣٣٤هـ).

٧٢- **صفة جزيرة العرب** ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٣٩٧هـ .

اليافعي : عبد الله بن أسعد (ت٧٦٨هـ).

٧٣- مرآة الجنان ، وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، دار الكتاب الإسلامي ،ط٢، القاهرة، ١٤١٣هـ .

يحيى بن الحسين (ت١١٠٠هـ).

٧٤- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق سعيد عاشور ، دار الكاتب العربي، القاهرة ، ١٣٨٨هـ .

اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت ٢٨٤هـ).

٧٥- البلدان ،ط ١، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ.

اليماني : عبد الباقي بن عبد المجيد (ت٧٤٣هـ).

٧٦- بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق مصطفى حجازي ،ط بدون، دار الكلمة صنعاء .

مجهول :

٧٧- تاريخ الدولة الرسولية في اليمن ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، ط بدون ، مطبعة لكتاب العربي ، دمشق ، ١٩٨٤م .

المراجع العربية :

أبو بكر محمد عثمان :

١- المثلث العفري في القرن الأفريقي عبر العصور التاريخية ، ط ١، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، ١٩٩٦م.

إبراهيم أنيس :

٢- المعجم الوسيط ، ط٢، القاهرة ، ١٣٩٢هـ.

إبراهيم بن أحمد المقحفي :

٣- معجم البلدان والقبائل اليمنية ،ط١، دار الكلمة للطباعة والنشر ، صنعاء .

إبراهيم جار الله الشريفي :

٤ - الموسوعة الذهبية في أنساب قبائل وأسر شبه الجزيرة العربية ،ط بدون.

أحمد حسين شرف الدين:

٥- المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية ، ط ١ ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ١٤٠٤هـ.
أحمد زيني دحلان : (ت ١٣٠٤هـ).
٦ - خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، مكتبة الكليات الأزهرية .
أحمد السباعي :
٧- تاريخ مكة (دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران) ، ط ٦، ١٤٠٤هـ مطبوعات نادي مكة الثقافي .
أحمد مختار العبادي ،:
٨- في التاريخ الأيوبي والمملوكي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية .
إسماعيل ابن الأكوع :
٩- الزيدية نشأها ومعتقداها.
آمنة إبراهيم أبو حجر :
١٠- موسوعة المدن العربية ،ط ١، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان .
جميل حرب محمود حسين :
١١-الحجاز واليمن في العصر الأيوبي،ط١،تهامة للطباعة والنشر،جدة ، ١٤٠٥هـ.
حسن إبراهيم حسن :
١٢- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،ط١، ،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٧م.
حسن الباشا :
١٣- مدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ، ط بدون.
حسين عبدالله باسلامة : (ت١٣٦٤هـ).
١٤- تاريخ الكعبة المعظمة ، ط٢، تهامة للنشر، ١٤٠٢هـ.
حسين علي الحبشي :
١٥- اليمن والبحر الأحمر ، ط١، دار الفكر المعاصر ،بيروت ، ١٤١٣هـ
حماد بن الأمين :

١٦- تحفة الألباب وشرح الأنساب ، ط بدون .

حمد الجاسر :

١٧- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ،دار اليمامة ، الرياض .

خالص الأشعب:

١٨- اليمن دراسة في البناء الطبيعي ، والاجتماعي والاقتصادي ط١، دار الرشيد ، بغداد ، ١٤٠٢هـ.

خير الدين الزركلي : (ت ١٣٩٦هـ).

١٩- الأعلام ، ط١٥، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢م .

السيد سابق :

٢٠- فقه السنة ،ط بدون ، دار الأصفهاني ، جدة .

سليمان عبد الغني مالكي ،:

٢١- بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية ، ط ١،مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤٠٣هـ.

شرف بن عبد المحسن البركاتي :

٢٢- الرحلة اليمانية ، تحقيق عبدالله بن عبد الرحمن الياس ، ط٣، دار نشر التراث

صالح بن عبد اللطيف عليان السيد:

٢٣- ملامح من تاريخ ينبع ، ط١، مطبعة الهيئة الملكية بينبع ، ١٤٢٥هـ.

ضيف الله بن يحيى الزهراني ، وعادل غباشي :

٢٤- تاريخ مكة التجاري ، الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة ، ط ١، ١٤١٨هـ.

ضيف الله بن يحيى الزهراني:

٢٥- أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة خلال الفترة (٦٤٨هـ - ٩٢٣هـ ،١٢٥٠م- ١٥١٧م) مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى ، ١٤١١هـ.

طرفة عبد العزيز العبيكان :

٢٦- الحياة العلمية والاجتماعية في مكة المكرمة في القرنين السابع والثامن للهجرة ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٦هـ.

عاتق بن غيث البلادي :

٢٧- بين مكة و اليمن رحلات ومشاهدات ، ط ١، دار مكة للنشر والتوزيع،١٤٠٤هـ.

٢٨- المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢هـ.

٢٩- معالم مكة التاريخية والأثرية ، ط٢،، دار مكة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ.

٣٠- معجم معالم الحجاز ، ط١ ، دار مكة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٠هـ.

عارف عبد الغني :

٣١- تاريخ أمراء مكة المكرمة ، ط١، دار البشائر ، دمشق ،١٤١٣هـ.

عبد الباسط بدر :

٣٢- التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ط١، مطبعة المدينة المنورة ، ١٤١٤هـ.

عبد الحفيظ محمد سعيد سقا :

٣٣- الجغرافية الطبيعية للمملكة العربية السعودية ، ط٢، دار كنوز العلم ،جدة ، ١٤١٩هـ .

عبد الحكيم العفيفي :

٣٤- موسوعة ١٠٠٠مدينة إسلامية ، ط ١، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة، ١٤٢١هـ .

عبد الرحمن صادق الشريف :

٣٥- جغرافية المملكة العربية السعودية ، دار المريخ ، ط١، ١٤٠٤هـ، الرياض .

عبد الرحمن فهمي:

٣٦- النقود العربية ماضيها وحاضرها ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ.

عبد الفتاح حسين راوه المكي :

٣٧- تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام،ط بدون ،مكتبة المعارف .

عبد القدوس الأنصاري :

٣٨- موسوعة تاريخ مدينة جدة ، ج١ ، ط٢، مطابع الروضة ، جدة ، ١٤٠١هـ

عبد الكريم الخطيب :

٣٩- تاريخ ينبع ، ط ١ ، الرياض ، ١٤٠٥هـ.

عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي:

٤٠- إعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري ، ط١، مؤسسة الفرقان ، ١٤٢١هـ.

علي حسين السليمان:

٤١- العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، مطابع جامعة القاهرة ، ١٣٩٣هـ .

عمر رضا كحالة :

٤٢- جغرافية شبه الجزيرة ، ط٢، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ١٣٨٤هـ.

٤٣- معجم قبائل العرب ،ط٣، ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢هـ.

محمد أحمد الحجري :

٤٤- مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، ط٢،دار الحكمة ، اليمن ،١٤١٦هـ.

محمد أحمد دهمان ورفاقه :

٤٥- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ط ١، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٠هـ.

محمد أحمد العقيلي :

٤٦- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ،ط بدون ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٩هـ.

محمد أمين وآخرون :

٤٧- المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ،ط ١، الجامعة الأمريكية ، القاهرة،١٣٩٦هـ.

محمد لبيب البتوني : (ت ١٣٥٦هـ).

٤٨- الرحلة الحجازية،ط٢ ،مكتبة المعارف ، الطائف ، ١٤١٥هـــ.
العربي بيروت.

محمد إسماعيل الكبيسي : (ت ١٣٠٨هـــ).
٤٩- اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، تحقيق أبو حسان خالد أبازيد الأذرعي ، ،ط١، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ،اليمن ١٤٢٦هـــ.
محمد طاهر الكردي ،:
٥٠- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ،ط ١، دار خضر للطباعة والنشر بيروت،١٤٢٠.
محمود رزق سليم:
٥١- موسوعة عصر سلاطين المماليك ،ط٢ ،مكتبة الأدب ،القاهرة ،١٤١٧هـــ.
محمود شاكر :
٥٢- التاريخ الإسلامي ، المكتب الإسلامي ، ط ٤، بيروت ، ١٤١١هـــ.
محمود ماهر حمادة ،:
٥٣- الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي ، مؤسسة الرسالة ، ط٢.
محيي الدين الدرويش :
٥٤- إعراب القرآن الكريم ،ط٧، دار ابن كثير للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٤٢٠.
مصطفى عبد الكريم الخطيب ،:
٥٥- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ط ١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٦هـــ.
علي محمد علي عودة الغامدي ،:
٥٦- بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ،ط ١، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة،١٤٠٨هـــ.
فاروق عمر فوزي ،:

٥٧- المدخل إلى تاريخ آل البيت منذ فجر الإسلام وحتى مطلع العصر الحديث ، منشورات جامعة آل البيت ، ١٤١٩هـ .
فؤاد عبد الحميد عنقاوي :
٥٨- مكة الحج والطوافة ،ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٥هـ.
وهبة الزحيلي :
٥٩- الفقه الإسلامي وأدلته ، ط٣، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٩هـ .
ناهض عبد الرزاق القيسي :
٦٠- تاريخ النقود وتطورها ،ط بدون ، دار زهران للنشر ، ١٤٢٦هـ.

الموسوعات :

١- دائرة المعارف الإسلامية ، ط بدون، دار الشعب ، القاهرة.
٢- الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب ، القاهرة .
٣- الموسوعة العسكرية ،ط٢، المؤسسة العربية للدراسات النشر، بيروت ، ١٩٨٥م.
٤-المنجد في اللغة والأعلام ، ط١٢، دار المشرق ، بيروت.
الندوة العالمية للشباب الإسلامي :
٥- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ،ط٢، الرياض ،١٤٠٩هـ.
مكتب الآفاق المتحدة :
٦- المعلومات ، ط١، مكتب الآفاق المتحدة ، الرياض ،١٤١٤هـ.

المراجع الأجنبية المترجمة :

رتشارد مورتيل
١- الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، طبع جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٥هـ.
ما ير :

٢-**الملابس المملوكية** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
زامباور ، إدور دفون :
٣- **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي** ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، ١٩٥١م.
فالتر هنتس :
٤- **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري** ، ترجمة الدكتور كامل العسيلي.
ك سنوك :
٥- **صفحات من تاريخ مكة المكرمة** ، مكتبة دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤١٩هـ.

الرسائل العلمية :

عائشة عبد الله باقاسي :
١- **بلاد الحجاز في العصر الأيوبي** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة لجامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٠هـ .
عائشة مانع العبدلي :
٢- **إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة لجامعة أمر القرى ، ١٤١٩هـ.
فريال ، محمود قطان :
٣-**الحجاز في ظل الدولة الأيوبية** ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، مقدمة لجامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، ١٤١٠هـ.
منى حسن محمد مقرن مشاري:
٤- **المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي** ، رسالة ماجستير بجامعة الملك سعود غير منشورة ، الرياض ، ١٤٠٩هـ.

الدوريات :

أحمد بن عمر الزيلعي ، :

١- **بنو حرام حكام حلي ، وعلاقاتهم الخارجية (ق ٤-٩هـ)** ، مجلة كلية الآداب ،جامعة الملك سعود ، المجلد الخامس عشر ، العدد الأول ، ١٤٠٨هـ.

عبد العزيز بن راشد السنيدي ،:

٢- الشريف حميضة بن أبي نمي في بلاط المغول الإيلخانيين ، مجلة التاريخ العربي ، العدد ٢٥ ، ١٤٢٤هـ.

أحمد الحجي الكردي ،:

٣- المقادير الشرعية (المكاييل والموازين) وما يتعلق بها من الأحكام الشرعية ، وما يقابلها من المقادير المعاصرة .مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الكويت، السنة السادسة عشرة ، العدد ٤٧، رمضان ١٤٢٢هـ.

ناصر بن عبد الله البركاتي :

٤- بنو رسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي والتنافس بينهم على العلاقة بالحجاز.

مجلة جامعة أم القرى ، السنة الثالثة ، العدد الرابع ، العام ١٤١١هـ.

قـــائمة المحتـــويات

الموضوع الصفحة

المقدمة. **١**

تمهيـــــــــد.

الحالة السياسية في مكة المكرمة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي . ١٠

الفصل الأول : الثورات الداخلية في مكة المكرمة . ٢٣

المبحث الأول : الثورات الداخلية خلال العصر الأيوبي . ٢٤

المبحث الثاني : الثورات الداخلية خلال العصر المملوكي . ٤٩

الفصل الثاني : أثر الثورات الداخلية على الأوضاع العامة . ١٦٤

المبحث الأول : أثر الثورات الداخلية على الوضع الديني . ١٦٥

المبحث الثاني : أثر الثورات الداخلية على الوضع السياسي . ١٨٢

المبحث الثالث : أثر الثورات الداخلية على الوضع الاقتصادي . ٢٠٣

المبحث الرابع : أثر الثورات الداخلية على الوضع الأمني . ٢٣٠

المبحث الخامس : أثر الثورات الداخلية على الوضع الاجتماعي . ٢٤٧

الفصل الثالث :الحملات العسكرية الخارجية على مكة المكرمة ٢٦٠
المبحث الأول : الحملات العسكرية المصرية والشامية . ٢٦١
المبحث الثاني : الحملات العسكرية العراقية . ٣٢٧
المبحث الثالث : الحملات العسكرية اليمنية . ٣٤٧
المبحث الرابع : الحملات العسكرية المدنية . ٣٧٥

الفصل الرابع: أثر الحملات العسكرية على الأوضاع العامة . ٣٨٨
المبحث الأول : أثر الحملات العسكرية على الوضع الديني . ٣٨٩
المبحث الثاني : أثر الحملات العسكرية على الوضع السياسي . ٣٩٥
المبحث الثالث : أثر الحملات العسكرية على الوضع الاقتصادي . ٤٠٧
المبحث الرابع : أثر الحملات العسكرية على الوضع الأمني . ٤٢٩
المبحث الخامس :أثر الحملات العسكرية على الوضع الاجتماعي. ٤٤٧

الخاتمـــــة ٤٦٤

المصادر والمراجع ٤٦٨

قائمة المحتويات ٤٨٥

١

١